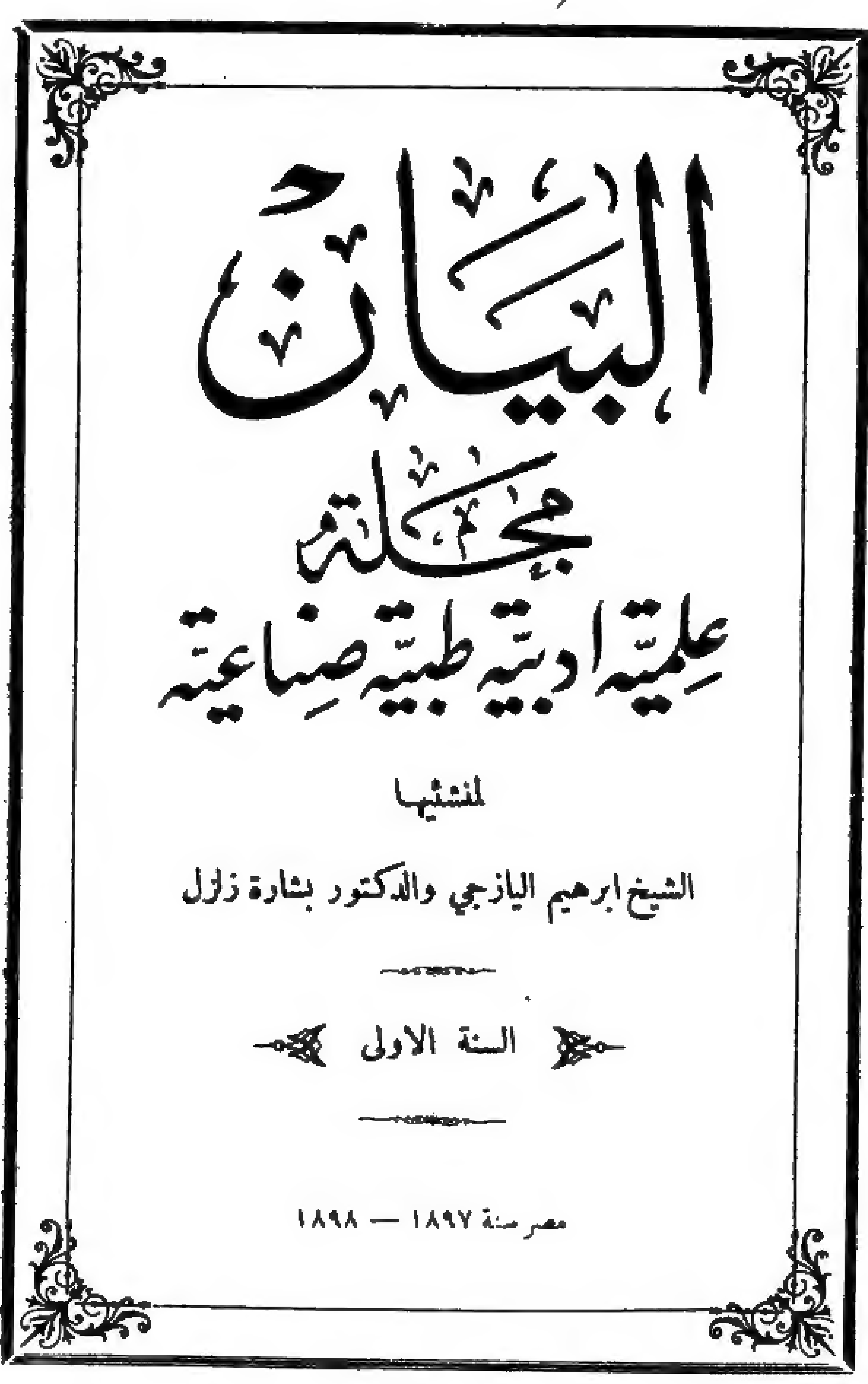
(al-Bayān)



البيان

مجلة
علمية ادبية طبية صناعية

لمنشئيها

الشيخ ابرهيم اليازجي والدكتور بشارة زلزل

السنة الاولى

مصر سنة ١٨٩٧ — ١٨٩٨

١ .

فهرس المواد

فهرس اسماء الكاتبين

اصلاح غلط

صوابه	غلط	سطر	صفحة
يقطع في فلكهِ	تقطع	٣	٣٦
النساخ	النساح	٢٠	١٣٤
من كرامتك	عن كرامتك	٩	١٣٦
كثيرة	ثيرة	٦	١٣٧
اقلّ	اقاّ	٣	١٣٨
التعريف	العريف	٤	١٩١
لاتطابق بين الطَرفين	بين الطرفين	٦	٣٥٦
من خيار الشيء	خيار الشيء	٩	٤٥٠
متراً	كيلومتراً	١٣	٦٠٨
قبل الميلاد	للميلاد	٣	٦١٣



البيان

السنة الاولى —— الجزء الاول

اول مارس سنة ١٨٩٧

بسم الله المبدئ المعيد

خير ما افتُتحت بهِ الاقوال والافعال وقُدّم رائدا بين يدي الاعمال والآمال حمد الله جلّ جلالهُ على ما أنعم واستلهامهُ الهداية الى الطريق الأقوَم * وبعدُ فان خير ما انفق العاقل فيهِ أيامهُ علمٌ يتسع بهِ نطاق عقلهِ وأفضل ما اشتغل بهِ العالم السعي في بثّ منافع العلم وتعميم فضلهِ اذ هو السُلَّم التي تُتدرّج بها الأمم في مراتب الارتقآء والمركب الذي يضمن لها الفوز في حلبة تنازع البقآء والركن الذي تُوثق بهِ دعائم الحضارة والعمران والأُسّ الذي تشاد عليهِ قواعد الفلاح راسخة البنيان بل هو مجمع أشمّة العقول والافهام وتأريخ ما فُتح بهِ على الانسان من تجربةٍ او الهام ومستودَع ما وعتهُ خزائن الغابرين من كنوز الحقائق عصرًا بعد عصر وسجلّ ما رسمتهُ اقلام الحكمة في لوح اليقين باقيًا على وجه الدهر

وقد خصص الله للعلم في كل زمنٍ رجالاً يفنون في سبيلهِ الاعمار ويصلون في خدمتهِ آنآء الليل بأطراف النهار فكانوا مصابيح الظُلَم وهُداة

الأمم ورافعي أعلام النجاح وناهجي معالم الفلاح وبهم أدرك العقل أشدَّهُ وعرف الانسان حدَّهُ وفتحت لهُ الطبيعة خزائن كنوزها وأسرارها وكشفت لهُ عن غوامض رموزها وآثارها حتى أصبح ربَّها وقيّمها يسخرها فيما يشآء ويستخدمها في خلق ما لم تخلق من الاشيآء فاتخذ لهُ خيلاً ليست من حيوانها وناراً ليست من جزلها وعيدانها واضوآء ليست من شمسها وبدرها ومآء ليس من سحابها وبحرها بل ربما استمطرها بغير سحاب واصطاد صواعقها برؤوس الحراب وقبض فيها على الخيال فهو سجين لا يطمع في الخلاص وأسر الصوت فقيّدهُ كما تقيَّد صوادح الطير في الاقفاص وجسَّم ما لا شبح لهُ عند الحسّ فمثلهُ للأبصار واستشفّ ما ورآء الجرم الكثيف فاذا هو ماثل بغير ستار بل ربما استشفّ ما يمرّ بالمخيلة من المعاني والاشباح فقرأهُ فقراً مرقومة أو تمثلهُ صُوَراً مرسومة على الالواح الى غير ذلك مما يطول استقرآؤه ويتعذّر احصآؤه

بيدَ أنّ القائمين بأمر العلم لم يبرحوا في كل أُمةٍ نفراً قليلاً وسائر الأُمة لا يكاد يدرك منهُ الآ اثراً ضئيلاً أو رسماً مُحيلاً فكان العلم بذلك أبطأ نماء وأقلّ اتساعاً وكانت الأُمم بهِ أبطأ تقدماً وأقلّ انتفاعاً الى أن نهض رجال العلم في هذه الايام فعكفوا على بثّ أشعتهِ في سمآء الافهام وتقريب منالهِ على المُريدين حتى صار منهم على طرف الثمام فما عتموا أن هبّت بهم رياح العلم من كل جانب وانتشرت طلائعهُ في أطراف المشارق والمغارب وكان منهم الباحث والمصنّف والمستنبط والمستكشف ومَن آزر العلمآء في اقتداح زناد الفكر ومَن جاذبهم أهدابَ الشهرة وبقآء الذِكر ولم يبقَ يومٌ لا تتلقى الاسماع فيهِ خبر اكتشافٍ جديد أو اختراعٍ مفيد حتى عاد العصر حافلاً

بصنوف المعجزات والغرائب واصبح غرّة العصور بل كان على الحقيقة عصر العجائب

وغير منكرٍ أنهُ ليس في الذرائع الموصلة الى سرعة انتشار العلم أعوَن من هذه المجلاّت العلمية على أصنافها الموكلة بنشر كل ما يحدث في عالمي العلم بانحائهِ والصناعة بأطرافها فانها لم تبرح العامل الاعظم في شيوع المباحث العلمية بين طبقات الناس على العموم وتقريب مداركها على غير المتعلم فضلاً عمن شدا شيئاً من العلوم اذ هي تلقن العلم اجزاءً متفرّقةً يتناولها المطالع من أيسر سبيل وتلقي اليهِ زبدة الحقائق محصلةً دون ان تكلفهُ معاناة التحصيل وذلك مع ما فيها من تنوُّع الاعراض بحيث يجد فيها كلُّ واردٍ مشرعاً وتشعُّب طرق البحث بما لا يعدم منهُ كلُّ رائدٍ منجعاً فهي جليس العالم واُستاذ المُريد والموعد الذي يتلاقى فيهِ المفيد والمستفيد بل هي خطيب العلم في كلّ ندوة وبريدهُ الى كل خلوة والمشكاة التي تستصبح بها بصائر أولي الألباب والمنار الذي تأتمّ بهِ المدارك اذا اشتبهت عليها شواكل الصواب

ولقد كنا ممن عانى هذه الخُطّة حيناً من الدهر في مجلتنا المسماة بالطبيب فاودعناها كل ما تمثلت لنا فيهِ فائدةٌ للبيب أو فكاهةٌ للاديب مما لم تبرح الرغبات متواصلةً الينا في استئنافهِ والحوادث تمنع من تلقي هذا الطالب باسعافهِ الى ان قُيِّض لنا الطروء الى هذه الديار فالفينا فيها من انتشار العلوم والآداب ووفرة المؤلفين والكتّاب والمطابع الحافلة بالمصنّفات والجرائد والاسفار الغاصّة بالمطالب والفوائد وكثرة المتطلعين الى المباحث العلمية والعملية والمتشوفين الى الحقائق العقلية والنقلية والعاكفين على تتبع الاكتشافات والاختراعات واستبطان أسرار العلوم والصناعات ما استنهض هممنا الى

استئناف تلك الخُطّة ومعاودة الانتظام في هذه الخدمة فانشأنا هذه المجلة التي دعوناها بالبيان [1] نضمنها من ذلك كل ما فيهِ تثقيفٌ للاذهان او تحضيضٌ على الجدّ في سُبُل العرفان وننشر فيها جميع ما يتصل بنا من مبتكرات هذا العصر الزاهر وما طواهُ كرور الايام من حسنات الدهر الغابر خصوصاً ما كان من مآثر الأُمّة العربية وما لها من الآثار العلمية والادبية مع اعمال الجهد في احياءِ لغتها التي هي أفصح ما اختلج بهِ لسان وتدارُك ما طرأ عليها من النقص بما اعتوَر اوضاعها من الاهمال والنسيان او ما خلت عنهُ من الاوضاع العصرية التي زادت بزيادة مدارك العلم ومطالب العمران والله المسؤول أن يوفّقنا الى سلوك محجة السداد وييسر لنا ما نتوخاهُ من النفع في خدمة الامة والبلاد ويصرف اقلامنا عما لا تجمل آثارهُ ولا يحسن في الغابرين تذكارهُ ويجعل عملنا هذا خالصاً لوجههِ الكريم وذريعةً الى الفوز برضاتهِ يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون الّا من أتى اللهَ بقلبٍ سليم

---

١ انظر التنبيه فى اخر هذا العدد

المصريون

هذه الارض المنبسطة الخصيبة التربة الغزيرة المآء الكثيرة النتاج السريعة النمآء واسطة عقد قارّات العالم القديم الثلاث المحصرة بين بحرين البحر المتوسط وبحر القلزم وبين صحراوين صحرآء ليبيا وصحرآء نوبيا لا تكفهرّ سماؤُها بالغيوم فتمطرها الا رذاذًا ولا تبرّد جوّها الانوآء فتسلب من حرارتها ما يتوقف بهِ النشوء والتكوين ولا تشرق شمسها الا انتشرت عوامل الحياة ولا يتحرك هوآؤُها الا على احيآء تتفاعل فيها العناصر بين تحليل وتركيب ولا يجري مآؤُها الا انهارًا بين جناتٍ كانها خُلقت لتكون مطمح أنظار الانسان فهي مهد الحضارة ومنشأ المدنية ومبدأ العمران وحلبة السباق في تنازع البقآء وغنيمة المقتدر

ولا مرآء في ان للهوآء والمآء والحرارة والتربة تأثيرًا في بنآء الكائنات الحية ونشوئها والانسان وهو اسمى هذه الكائنات وأشرفها وأحسنها تقويمًا وألطفها بنآء تفعل فيهِ هذه المؤثرات فعلها فيما دونهُ في مراتب الخلق فتؤثر في بنآئهِ واخلاقهِ وطباعهِ وعوائدهِ فلا بدع ان كان تأثيرها في المصريين أثبت وأوضح لاستمرار فعلها وثبوت أثرها فيهم ولذلك ترى هيئاتهم متشابهة وأخلاقهم متماثلة وأزيآءهم وعوائدهم متقاربة الا فيما أحدثتهُ التربية اضطرارًا وانقاد بهِ المغلوب لحكم الغالب فجرى في عقبهِ حتى رسخ وتأصل . ومن أنعم النظر في هيئات المصريين المنتشرين في الارياف على ضفاف النيل وقابل بينها وبين التماثيل المنقوشة والصور المرسومة على جدران الهياكل القديمة ومدافن الملوك أخذهُ الدهش لما يرى من الشبه في الملامح والتقاطيع حتى يخيَّل لهُ ان المصريين أهل

تلك الاعصر الخالية قد أُنشِروا بعد الوف من السنين فعادوا الى عالم الظهور وكفى بذلك دليلاً على ثبوت المؤثرات واستمرار فعلها عليهم

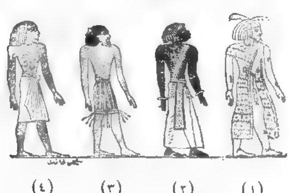
ومعلوم ان الجنس البشري أنواع تتشابه بالخصائص اللازمة المقوّمة للجنس من مثل انتصاب القامة وعرض الجبهة ووضوح الملامح ووجود الاظافر وكون الابهام في اليدين يلامس كلاً من الاصابع ويقع طرفهُ على طرف كلٍّ منها ويضادُّها بخلاف الابهام في الرجلين الى غير ذلك من الخصائص التي يشترك فيها جميع افراد الجنس البشري وان تباينوا بالخصائص العارضة التي تتفاوت بحسبها الانواع كاللون والشعر وشكل الرأس واختلاف الملامح والتقاطيع الى غير ذلك مما يفرق بين الانوع المنتشرة سلائلها في جميع الامصار والاقطار . وهي ثلاثة على الارجح الابيض القوقاسي والاصفر المغولي والاسود الزنجي . والسلائل تُفرَق أيضاً بخصائص تمتاز بحسبها بعضها عن بعض وتنقسم الى فصائل وقبائل واسباط يُعرَف كلٌّ منها بصفات خاصة فالطليان مثلاً قبيلة منشأها الفصيلة اللاتينية فرع السلالة الآرية وهي احدى سلائل النوع الابيض واذا نظرت الى المصريين من هذا الوجه تبينت انهم قبيلة تمتاز عن غيرها بخصائص تستقلّ بها هي غير خصائص النوع المغولي وغير خصائص النوع الزنجي فهي اذا من النوع الابيض

اما كون المصريين قبيلةً مستقلة ممتازةً بخصائص النوع الابيض فمسئلة كشف عنها العلم في عصرنا حجب الخفآء وقد اثبت الباحثون في علم طبيعة الانسان انهم كالبربر منشأهم الفصيلة الليبية نسبةً الى ليبيا وهو اسم يوناني ذكرهُ اوميروس ويراد بهِ غربيُّ افريقيا من مصر الى برقة وطرابلس الغرب وكردوفان ودرفور وغيرها . وهذه الفصيلة نشأت كالفصيلة الساميّة وغيرها من

الفرع الارامي احد فروع النوع الابيض فهم من حيث النسب أقرب الى العرب وغيرهم من اعقاب الفصيلة السامية

ولا يحتاج في بيان أصل الامة المصرية الى الحدس والتخمين كما هو الحال في بيان أصل غيرها من الامم لانها اول أمة تهيأت لها أسباب الحضارة وتوفرت وسائل العمران فانتظمت احوالها المدنية وثبتت لدى تقلبات الزمان وهذه آثارها الباقية لهذا العهد تنطق باخبارها وتدل على ما كانت عليهِ من عظمة الملك وفخامة الدولة وسعة العمران وانتظام المدنية على حين كانت الهمجية ضاربة اطنابها في كثيرٍ من الاقطار والبلدان . ولا يخفى أن التوراة هي أقدم كتاب دُوّنت فيهِ أخبار الخلق وبيّنت أنساب الامم وقد ورد في الفصل العاشر من سفر التكوين ان مصرائيم من أبناء حام الا انهُ لم يوضع فيه شيء من الخصائص التي يُعتَمَد عليها في التمييز بين القبيلة والفصيلة والسلالة وغير ذلك مما يتحراهُ الباحثون في بيان الحقائق المطموس عليها . واذا سلمنا بان موسى عليهِ السلام هو كاتب هذا السفر خلافاً لما ذهب اليهِ بعضهم فهو متأخرٌ كثيرًا عن زمن الرسوم الكتابية والتصويرية التي وُجدت في الهياكل والمدافن القديمة المصرية وقد زعم بعضهم انها تردُّ الى عصر نوح وما قبلهُ . وهي محكمة الوضع بديعة الصنع متقنة النقش واضحة الدلالة على الخصائص المميزة للسلائل البشرية . فقد ثبت أن المصريين كانوا في الدولة الثانية عشرة وذلك قبل التاريخ الميلادي بنحو ٢٣٠٠ سنة يتميزون الى أربع سلائل وقد رُسم مثال كلّ منها رسمًا واضحًا تتبين بهِ خصائصهُ المميزة على نحو ما نرى الآن في الامة التي تُنسَب اليهِ وقد نقلنا صورة هذه السلائل الاربع لزيادة الايضاح وهي مأخوذة عن الرسم الذي كشفهُ بلزوني في مدفن ستي منفتاح

الاول من ملوك الدولة التاسعة عشرة في مدينة طيبة وذلك سنة ١٥٠٠ ق م · فالصورة الاولى تمثل الآريين الذين سموهم بالتمهو [١] وصوروهم بيض اللون زرق العيون · والصورة الثانية تمثل الزنج بلونهم الاسود وشعرهم الصوفي الجعد



(٤) (٣) (٢) (١)

وقد كتب في أعلاها نحسو [٢] · والصورة الثالثة تمثل الساميين وقد كتب في أعلاها نمو [٣] ولونها أصفر وشكل الانف أقنى · والصورة الرابعة تمثل المصريين وقد كتب في اعلاها بالقلم المصري القديم اي الهيروغليف روت [٤] ولونها أصدأ وهي أشبه من حيث الهيئة بالفلاحين المنتشرين في الارياف على ضفاف النيل

ومن الصور المصرية البديعة لوح وجد في هيكل أبي سمبل في نوبيا مُثِّل فيهِ رعمسيس الثاني محاطًا بزمرة من حشمهِ وخواصهِ وفي يدهِ صولجان مرفوع فوق رؤوس الزنج والنوب وأهل المشرق وكلهم مزوَّق بألوان تحاكي ألوانهم الطبيعية من اسود وأسمر وأصدأ وأبيض وفوق رأسهِ درجٌ مكتوبٌ فيهِ

Rot ٤ Namahu ٣ Nahsu ٢ Tamahu ١

بالهيروغليف ما ترجمتهُ « الاله الحي الصالح رب المجد ضرب الجنوب ودوَّخ الشرق فليملك مظفرًا ويخضع الارض لسلطتهِ » وكان هذا الملك في القرن الثالث عشر وقيل في الرابع عشر قبل الميلاد وذلك يوافق زمن موسى عليه السلام

وليست الصور المذكورة جميع ما أبقته الآثار مما تُعرَف به السلائل البشرية فقد وُجد مثال الفصائل القوقاسية على أشكالها في عاديّات بابل واشور ومنها الفصيلة الساميّة ممتازة بخصائصها فقد كانت منذ سنة ٦٠٠ و ٨٠٠ و ١٠٠٠ ق م كما هي الآن . وصورة المثال الآريّ وُجدت في بلاد فارس في القرن السادس قبل المسيح . على ان العاديّات المصرية أوضحها دلالةً وأحسنها بيانًا واكثرها قدمًا فترى فيها صور المصريين القدماء ولا سيما الملوك والملكات وعمالقيهم وأعدائهم واسرائهم وخدامهم وارقّائهم والكهنة واصحاب المناصب بازيائهم وهيئاتهم وجميع ما يُفرَقون بهِ ويمتازون بحسبهِ . وقد كثر التفنن في اتقان التصوير في الدولة السابعة عشرة [١] وفي الدولة الثامنة عشرة والتاسعة عشرة فترى صور الفراعنة متدرجة بالترتيب من المصري الصرف الى المصري الممتزج بالسامي واليوناني والنوبي حتى اليهودي . واكثر ما ترى هذه الامتزاجات في الدولة التاسعة عشرة التي ابتدأت برعمسيس الاول سنة ١٥٩٦ ق م وما دونها اي الدولة الثانية والعشرين والثالثة والعشرين والرابعة والعشرين حين كثر الامتزاج فلم يبقَ سبيلٌ الى تمييز المثال الواحد عن الآخر . ومما يجدر ذكرهُ هنا ان الدولة المسماة بالاثيوبية وهي الخامسة والعشرون يؤخذ من صورها أن لا شيء

---

١ وهي دولة الرعاة الذين سموهم هكسوس وكانوا من العرب غالباً اجتاحوا مصر سنة ٢٣٠١ ق م

فيها من الدم الزنجي فالانف أذلف لا فَطَس فيهِ والشفتان غير هدلاوين والشخوص الوجهي غير مائل الى الامام · وعلى الجملة فان صور الدولة الاثيوبية تشابه صور غيرها مما يدل على وحدة الاصل المصري · والحاصل ان التزاوج بين ملوك مصر وبنات الملوك الاجانب على ما أثبت التاريخ كان علة اختلاط الاصول البشرية في مصر · على ان امتزاج الدم المصري بالدم الشرقي ابتدأ منذ الدولة الرابعة التي ملكت على ما ذهب اليهِ لبسيوس سنة ٣٤٠٠ ق م وذلك قبل زمن ابرهيم الخليل

وما زالت الاخلاط تزداد بتداول الدول والقواعل الطبيعية تعارضها محافظةً على أصول النشأة المصرية فقد تغلب على مصر اليونان وحكوها منذ سنة ٣٢٣ الى سنة ٤٨ ق م ثم استولى عليها الرومان وفي أيامهم انتشرت النصرانية وكثرت المشاحّات على العقائد والبدع وثقل نير الرومان على مصر حتى دحرهم عنها العرب بقيادة عمرو بن العاص فصارت عربية ثم تغلب عليها الاكراد والشراكسة ومع كل ذلك لم يزل المصريون ممتازين بالخصائص الاصلية التي فُطروا عليها

فالمصريون الآن أخلاط من المصريين الخُلَّص والبرابرة والبدو والترك واليهود والمشارقة ومنهم السوريون والفرنجة على اختلاف أممهم وأجيالهم وأخصهم المصريون الخُلَّص وهم القبط والفلاحون

فالقبط هم بقية الامة المصرية التي حافظت على منزعها الديني المسيحي وخطت عقائدها بالقلم القبطي صونًا لها من الابتذال وكانت في مصر على حكم الذميين بحسب الشريعة الاسلامية التي هي شريعة البلاد « يؤدّون الجزية عن يدٍ وهم صاغرون » وكان عدد الذين دفعوا الجزية الى عمرو بن العاص اكثر

من ٦،٠٠٠،٠٠٠ على ما رفع عرفآؤهم بالأيمان المؤكدة ما عدا الشيخ الفاني والصغير الذي لم يبلغ الحلم والنسآء وما عدا أهل الاسكندرية . وقد فُرضت الجزية على جميع من بمصر من القبط دينارين دينارين فبلغت اثني عشر الف دينار . أما الاسكندرية فكان فيها من الروم حينئذٍ ٢٠٠،٠٠٠ ومن اليهود ٧٠،٠٠٠ فاذا فُرض ان الذين دفعوا الجزية انما كانوا ثلث جميع سكان مصر فقول بعضهم انهم بلغوا في زمن الفتح عشرين مليونًا غير بعيد من الصحة خلافًا لما زعم مؤرخو الافرنج من ان هذا العدد انما كان من مبالغات مؤرخي العرب . والقبط في أيامنا لا يتجاوز عددهم ١٥٠،٠٠٠ نفس وانما قلَّ عددهم لكثرة الذين دخلوا منهم في الدين الاسلامي في القرون الماضية اذ كانوا في كل عصر عرضةً للاضطهاد والمظالم ولم يُرفَع عنهم نير العبودية الثقيل الا في ظل عدالة الأُسرة المحمدية العلوية . وكان الحكام من قبل يستخدمونهم في الحسبانات وجباية الخراج ولم يزل الاذكيآء منهم قائمين بمناصب عالية في مصالح الحكومة المختلفة على مقت العامة لهم ووصفهم بالكيد والمكر وانما شأنهم في ذلك شأن الاذلآء الذين غُلبوا على أمرهم وهُضِموا في ضياعهم فنشأوا على الضعف والجبن وسرعة الخوف والحسد والنميمة الى غير ذلك مما ذكرهُ المقريزي وغيرهُ قال « وليست هذه الشرور عامة فيهم ولكنها موجودة في اكثرهم ومنهم من خصَّهُ الله بالفضل وحسن الخلق وبرّأهُ من الشرور »

اما المشابهة بين القبط والمصريين القدمآء في هيئاتهم واشكالهم فقد اكثر من البحث فيها علمآء العصر وغاية ما توصلوا اليهِ على ما ثبت بعد التحقيق ان هذه المشابهة تدل على وحدة الاصل المصري فملامح القبط كملامح التماثيل المصرية القديمة تعرف بطلاقة الوجه وعليها لمحة من الجمال واللطف وعيونهم نجل

سود الحدق مطرقة قليلاً منحرفة الوضع وآذانهم ثخينة وانوفهم قصيرة فيها فَطَسٌ قليلٌ رشفاههم هُدلٌ واسعة الاشداق ووجناتهم شاخصة وجباههم مائلة الى الورآء والفك السفلي عريض مسطح وشعرهم اسود جعد واطرافهم نحيفة واصابع ارجلهم مستطيلة مسطحة اما لونهم فاقهب ومنهم بيض اشبه بالاوربيين على ما ذكر بلزوني وهم قليلون على ان اهل الصعيد منهم وهم اكثرهم يقربون من الزنج لانهم يتزوجون بالزنجيات

ستأتي البقية

اشعة رنتجن

لم يبقَ من لم يطرق سمعهُ امرُ هذه الاشعة وما كان عنها من الاستنباط العجيب باختراع الطريقة التي ترتسم بها الاجسام المحجوبة بحيث تبدو من ورآء الحُجُب بمثالها الطبيعي · ونحن ذاكرون هنا خلاصة التوجيهات العلمية التي بُني عليها هذا الاستنباط وكيفية العمل بهِ ومُلخص تقارير بعض المشـاهير عما تُوُصِّل بهِ الى اكتشافهِ من العلل الخفية في الطب والجراحة بيانًا لمنزلة هذا الاستنباط في عالمي العلم والعمل وما يؤمل ان يحصل عنهُ من المنافع · وأولاً نبدأ بتعريف الاشعة المذكورة التي هي جوهر هذا الاكتشاف تسهيلاً لادراك ما ترتب عليها من الاعمال العظيمة لا نقتصر في ذلك على مجرد الاخبار عن الحوادث كما يفعل الرواة ولكننا سنورد بيان الحقائق العلمية ليكون المطالعون على بينةٍ منها

لا يخفى أن الانسان يتوصل الى ادراك الصور الخارجية من المحسوسات الكونية بالحواس الخمس والبصر أدقها حسًّا واعظمها تأثرًا لان ادراك تموجات

دقائق النور وهي ألطف دقائق الاجسام المعروفة موقوفٌ عليهِ فليس في اعضآء الحواس ما ينفعل بها كالشبكية في العين · وقد ثبت أن الشعور بالنور لا يتم الا متى بلغت تموجات دقائقهِ من ٤٠٠ الى ٨٠٠ تريليون (والتريليون الف الف مليون) وما فوق ذلك لا يُدرَك بالعين مع انهُ في الحقيقة موجود وانما يدرك بالذرائع التي اهتدى اليها العلمآء بعد معاناة البحث والتجارب · ومن هذا القبيل الظواهر الحادثة عن التفاعل الكهربآئي واخصها الحادثة بقرب القطب الايجابي حيث يكون محيطهُ مظلماً أي لا يوجد فيه شيءٌ من الظواهر التي توثّر على الشبكية مع ان التفاعل واقع فيهِ فالفعل في الحقيقة موجود بدليل انهُ اذا اكتُنِفت الفسحة الواقع التفاعل فيها بأنابيب يتلطف فيها الهوآء كثيرًا كالتي استنبطها كروك[١] ثم أُدخل اليها جسم من شأنهِ التألق يصير ذلك الجسم منظورًا في الظلام أي ان العمل الذي كان خفيًّا يظهر بواسطة هذا الجسم فيصير مرئيًّا لوصول اثرهِ الى الشبكية · وقد سميت الاشعة الحادثة على هذا النحو بالاشعة القطبية الايجابية

وقد توسع لينار في البحث عن هذه الاشعة معتمدًا في تجاربهِ على انابيب كروك الا انهُ سدّ فوّهتها بهنةٍ صلبة يخترقها ثقب يغطى بقطعة رقيقة من

١ انابيب كروك مصنوعة من الزجاج وهى مفرغة من الهواء بحيث لا تتضمن الواحدة منها الا جزءًا من مليون من الهواء المضغوط على مساواة سطح البحر وفيها تمر الاشعة القطبية الايجابية على خط مستقيم فتظهر وتتألق فى طرفها البعيد حيث تخترق صفحة من البلاتين مثبتة فيه وقد ظهر بالامتحان انها تدير دولاباً صغيراً ضمن الانبوبة وتذيب من جدرانها الباطنة بفعل الحرارة التى تولدها وهذا ماحدا كروك على القول بان الاشعة القطبية الايجابية انما هى دقائق الهواء المندفعة بقوة المجرى الكهربائى

الالومينيوم فاظهر انها اي الاشعة تخترق المعادن ولا سيما الالومينيوم وانها تنتشر في الهوآء والغازات وهي في حالة الضغط الجوّيّ فتظهر حينئذٍ بضوء ضعيف ولا تظهر اذا كان الهوآء لطيفاً والغازات مخففة ولذلك لا يُعتَمَد في درسها على العين المجردة على انها توثر في كثير من الاجسام فتجعلها متألقة وتوثر ايضاً في الصفائح الحساسة المستعملة في التصوير الشمسي . ومن خصائصها سهولة الانتشار من خلال الاجسام خلافاً لأشعة النور المألوفة فالالومينيوم بالنسبة اليها شفاف مع انهُ مظلم من حيث أشعة النور العادية والفعل المغنطيسي يحوّلها عن مركزها وذلك دليل على انها تختلف بالطبع عن الاشعة الضوئية

أما رنتجن فقد اعتمد في تجاربهِ على الطرق المذكورة آنفاً الا انهُ بالغ في اتقانها فأخذ انبوبة من انابيب كروك وليتار وغطاها بغلاف من المقوّي الاسود الدقيق واستعمل بطارية يصدر عنها مجرى كهربآئي قوي الفعل كبطارية كروف المؤلفة من عدة حلقات كهربآئية مغنطيسية فظهر ان المجرى الكهربآئي لا يكون لهُ أثرٌ في الخزانة المظلمة الآ اذا وُضعت ورقة تجاه الانبوبة مغشاة بمحلول سيانور الباريوم البلاتيني فتتألق هذه الورقة بضوء لامع وهّاج مصدرهُ المجرى الكهربآئي في الانبوبة . وهذا الضوء يتخلل الزجاج والمقوّي والورق والخشب وصفائح المعادن الرقيقة فقد شوهد ان الورق المتألق على هذا الضو يكون شفافاً فيبدو من ورآئهِ الجسم ولو جُمع كتاباً تبلغ صفحاتهُ الفاً وليس لحبر الحروف المطبوعة اثر حينئذٍ . وخشب الصنوبر ايضاً شفاف اذا لم يتجاوز ثخنهُ ٣ سنتيمترات . وصفائح المعادن اذا كانت ثخينة فهي مظلمة والا فهي شفافة ولا فرق في ذلك اذا وُضعت بعضها فوق بعض فالاشعة تخترقها حينئذٍ ولكن الصفائح القريبة من الانبوبة تتألق اكثر من البعيدة عنها . على ان المعادن تتفاوت من حيث اختراق الاشعة

المذكورة كتفاوتها من حيث الكثافة الطبيعية

وآية الغرابة ان هذه الاشعة على لطافتها وخفائها تؤثر في الورق الحساس المستعمل في التصوير الشمسي تأثير اشعة الشمس فيهِ فترتسم عليهِ الصور ولا يبقى بعد ذلك الا معالجتها بالطرق المستعملة في الفن المذكور لاظهار الرسم الذي تنطبع فيهِ الاجزاء الكثيفة المحجوبة وراء الطبقات الظاهرة مما تخترقهُ هذه الاشعة فيمكن والحالة هذه فحص الاشياء الغامضة التي يراد كشفها

وبقي القول في ماهية هذه الاشعة وهل هي غير اشعة الضوء وغير اشعة المجرى الكهربائي في القطب الايجابي فلا يخفى ان ضوء الشمس وضوء القوس الكهربائية يتحلّ الى اشعةٍ بعضها تؤثر في الشبكية مباشرةً وهي المعروفة بالاشعة الوسطى وبعضها لا تؤثر فيها الا بواسطةٍ كالاشعة الواقعة في الطيف دون اللون الاحمر وفوق اللون البنفسجي وهذه الاخيرة تنير الاجسام القابلة للتألق وتؤثر في الصفائح الحساسة المستعملة في التصوير الشمسي . فأشعة رنتجن تشبهها من هذا القبيل كما تشبه الاشعة القطبية الايجابية ولكنها تختلف عنهما بان اتجاهها لا يتغير بالمغنطيس ولا يقع فيها انكسار اذا اعترضها حجاب او موشور فماهيتها خصوصية مع انها تنشأ من الاشعة القطبية المذكورة بتأثيرها على زجاج الانبوبة التي يقع فيها التفاعل الكهربائي

وقد تحدّى رنتجن كثيرٌ من رجال العلم في البلاد المتمدنة ومنهم أودن وتريلمن في فرنسا فقد استعملا بطارية كروف الكهربائية المغنطيسية بقوّةٍ تكفي لصدور شرارات كهربائية طولها من ٦ الى ٨ سنتيمترات تمرّ في انبوبة من انابيب كروك على صفائح حساسة من الصفائح المستعملة في التصوير الشمسي مغطاة بورق اسود كثير التضاعيف موضوع على بعد ١٠ سنتيمترات من الانبوبة وضعاً

عموديًا على اتجاه مجرى الاشعة القطبية الايجابية وبين الانبوبة والصفيحة الحساسة الشيء الذي يراد تصويره وهذا الشيء يبقى معرَّضًا لها مدة عشر دقائق الى ٢٠ دقيقة ثم تعالج الصفيحة الحساسة بحسب الطرق المألوفة في التصوير الشمسي والظاهر ان مزاولة هذا العمل ليست صعبة فلا تحتاج الا الى المران والتأني

وقد ظُنَّ في اول الامر ان منفعة هذا الاكتشاف تنحصر في بعض احوال بسيطة فلا تتعدى الى الكشف عما تضمَّنهُ القفص الصدري مثلاً لاعتراض الظل بين العمود الفقري والقص من جهة وبين القسم المقدم من الاضلاع والقسم المؤخر منها من جهة اخرى ومثل ذلك يقال في الكشف عن المعدة والكبد والكليتين ربما ضمن الحوض ولكن التجارب التي أُجريت حتى الآن لم تبقِ مجالاً للريب في نجاح هذه الطريقة في الاحوال التي تُوُهِّم انها لا تنجح فيها فقد عُرِضَ في مجمع الطب الفرنساوي في جلسة ١٠ مارس (اذار) سنة ١٨٩٦ صورة جنين في احشاء امه أُخذت بالطريقة المذكورة وكانت الاحشاء محفوظة في الكُحُل [١] لان الأُم ماتت قبل التجربة بثلاثة اشهر وعرض بعضهم فيه صورة

---

١ المراد بالكحل روح النبيذ وهو فى الاصل الاثمد وكل ما وضع فى العين يستشفى به استعمله الافرنج لما يستقطر من المواد المختمرة القابلة لان تستحيل خلاًّ . والمعربون اليوم يستعملونه على لفظه الافرنجي او يميلون به الى العربية قليلا فيكتبونه الكؤول او الكحول وبعضهم يكتبه الالكحول وهو عربي بلا ريب اخذه الافرنج عن عرب الاندلس حين تعلموا منهم كيفية استقطاره فى القرن الثانى عشر وليس فى يدنا ما يتبين به وجه هذه التسمية الا ان ليترى صاحب المعجم المشهور فى اللغة الفرنساوية يزعم انهم تصرفوا فى معنى هذه اللفظة واخرجوها عن اصل مدلولها كما تصرفوا فى لفظ الاكسير فسموا به المركبات التى تحصل عن مزج بعض الاشربة بالمستقطرات الروحية وهو فى الاصل اسم للمادة التى زعموا انها تحول المعادن الى الفضة او الذهب

يدٍ قد نفذت فيها ابرة فاختفت في الرسغ ولم يهتدَ الى مقرّها الّا بالتصوير على الطريقة المذكورة . ومن هذا القبيل صورة يد رَجُل نقرسي ظهرت في مفاصلها رسوبات اوريات الصودا على شكل منطقة واضحة وصورة الشرايين التي ظهر تمرجها وعلامات تصلبها في رجل مسنٍّ مصاب بالحؤول . واثبت بعضهم وجود الحصى الكاوية والصفراوية في الكليتين والكبد بالطريقة المذكورة . ومن هذا القبيل الكشف عن سرطان بحجم قبضة اليد في الحجاب المنصف وقد ظُنَّ ان مقرَّهُ المعدة . وقرر بوشار وهو من اطباء فرنسا المشهورين في جلسة مجمع العلوم التي عُقدت في ٧ دسمبر (كانون الاول) الماضي ما نذكر ملخصهُ قال « اذا وُضع صدر انسان صحيح البنية بين انبوبة كروك والحجاب المتألق ظهر ظل القص على هذا الحجاب كعصابة سوداء مستقيمة الوضع وظهر ظل الاضلاع على الجانبين كعصائب اخف سوادًا منحرفة الوضع . وفي وسط القطر الظهري يرى ظل القلب ممتازًا بنبضانهِ وظل الكبد بتحدبها العلوي وما على جانبي الصدر يكون اخفّ لونًا اما الحجاب المنصف فلا يظهر لان العمود الفقري يحجبهُ . قال وقد شاهدت ثلاثة رجال اصيبوا بذات الجنب فكانت الجهة الواقع فيها الانسكاب ممتازة بلون قاتم خلافًا للجهة السليمة وقد رأيت هذا اللون يحد الانسكاب من جميع الجهات على ما ثبت بالقرع وغيرهِ من الوسائط المستعملة في التشخيص الطبيعي وهو يزداد قتمةً بمقدار ما يتراجع الانسكاب عن حدهِ الاعلى فيبلغ معظمهُ في الاسفل حيث يكون الانسكاب كثيرًا فيختلط ظلهُ بظل الكبد ورأيت الحجاب المنصف الذي لا يظهر ظلهُ في الحالة الطبيعية كما تقدم على شكل مثلث الى يسار العمود الفقري قمتهُ الى الاعلى وقاعدتهُ متصلة بالقلب وذلك لان السيال المنسكب قد حوَّلهُ عن موضعه الطبيعي »

وقد عقّب الطبيب المشار اليه على تقريره المذكور في الجلسة التالية (٤ دسمبر) فقال ما محصلهُ « لقد ثبت لديَّ باعادة النظر في حوادث ذات الجنب التي قررت عنها من قبل ان اللون القاتم يصفو بمقدار ما يزول الانسكاب ولكنني وجدت في احد المرضى انهُ لم يزل على حالته في قمة الرئة فسبق الى ظني ان ذلك الجزء من النسيج الرئوي متصلب وقد تحقق ظني بالقرع والاستقصاء فثبت وجود مرتشح تدرُّني ابتدأ بهِ السلّ الرئوي . وقد رأيت في جميع المصدورين الذين فحصتهم ظلَّ العلل الرئوية مطابقاً للحدود التي تعين بالقرع والاستقصاء وكثافة الظل مطابقة لغور العلة فالكهوف الرئوية تعين بكلفٍ صافية اللون محيطها قاتم . ومما هو حريٌّ بالذكر ان مريضاً ظهرت عليه علامات التدرن ولدى فحص النفث لم توجد « انبوبيات » السلّ ولم يظهر شيءٌ من الاعراض الطبيعية تأكد بهِ ماهيَّة العلة الا ان اشعة رنتجن ابانت ان قمة احدى الرئتين لا ينفذها الهواء ثم برح الخفاء فظهرت اعراض التدرن على ما ثبت بعدئذٍ بالاستقصاء والفحص المكرسكوبي » اه

مقالة في التربية

لحضرة الكاتب الفاضل عبد الله افندي المرّاش نزيل مرسيليا

مقدمة

قوام كل أُمةٍ برجالها ولا رجال الّا بالتربية لانها هي التي تعين الطبيعة على انماء بدن الولد في صحةٍ وارهاف ذهنهِ في سداد وتقويم سيرتهِ في رشاد وتُكسبهُ من صفات الرجولية ما يؤهلهُ لأن يكون رجلاً حقًّا اذا شبَّ .

والمراد بالرجل هنا ذاك الذي عناه أحد الفلاسفة بقوله انهُ لأيسَرُ عليك أن تلق في شوارع آثينا الهًا من أن تلق فيها رجلًا. والذي عناهُ فيلسوفٌ آخر وقد رُؤيَ في رائعة النهار وبيدهِ مصباحٌ وهو يتطوّف في شوارع تلك المدينة الغاصّة بالناس تطوُّف من يطلب شيئًا لا يكاد يرى فسُئل عما يطلب فقال أطلب رجلًا. هذا هو المعنى المراد بالرجال هنا وقليلٌ ما هم واما الرجال بالمعنى المتعارَف فكثيرون ولله درّ القائل وان بالغ

ما أكثر الناسَ لا بل ما أقلّهمُ ... واللهُ يعلم اني لم أقل فَنَـدا
انّي لأُغلق عيني ثمّ افتحهـا ... على كثيرٍ ولكن ما أرى أحدا

وكل من يتصفح كتب التأريخ القديم والحديث يجد انهُ قلما انحطّت امةٌ عن منزلتها الاّ لانها عدمت رجالها وانها ما عدمت رجالها الاّ لانها لم تُعْنَ حقّ العناية بتربيتهم صغارًا فلم يكن لها منهم كبارًا سوى اشخاص لا شيء لهم من الرجولية سوى الاسم

واعلم ان فنّ التربية بحرٌ زاخرٌ لا يكاد يكون لهُ ساحلٌ ولا قرار فلذلك لا يُنتظر منّا ان نستقصي البحث فيهِ تفصيلًا في مقالةٍ مرجزةٍ مثل هذه وانما نجتزئُ بالغوص على شيء من دررهِ ونكتفي بالالماع اجمالًا الى ما تفرّق من قواعدهِ الكلية واركانهِ الاولية في مصنفات علمآئهِ الافاضل وعلى المطالع الفَطِن ان يطبّق من أحكامها على أحوال عصرهِ ومصرهِ واحوال نفسهِ ومن يلوذ بهِ ما كان تطبيقهُ ممكنًا او سهلًا

المطلب الاول

فى غاية التربية

قد عرَّف القدمآء والمحدثون التربية بانها فنٌّ غايتهُ تأهيل الولد لان يكون

رجلاً بالمعنى الذي عرفتهُ وذلك بان تبلغ ما رُكزَ في جبلتهِ من خصال الخير وصفات الانسان الى أقصى غاياتها بقدر الاستطاعة وتستأصل ما ركز فيها من جرائيم الشرّ وخلال البهيمة بقدر الطاقة وتؤهلهُ في الجملة لأن يكون خليقاً بأن يُدعى رجلاً اذا شبّ

وهذا انما يتمُّ بتتبع ثلاث طرقٍ متوازية تفضي كلها الى تلك الغاية. أُولاها تربية بدنهِ بحسب قوانين الصحة. والثانية ارهاف ذهنهِ حتى ينفذهُ نور المعرفة وتنزاح عنهُ ظلمة الغباوة. والثالثة تقويم سيرتهِ وهداية خطواتهِ الى السبل المستقيمة والتنكيب بها عن سبل الغيّ الملتوية. ثم تهذيب أخلاقهِ بحسب النواميس الازلية الفارقة في كل عصرٍ ومصرٍ بين الخير والشر والاحسان والاساءَة [1]. ولعل الاحرى أن يقال ان غاية التربية اعانة هذه الاشياءَ على النموّ الصالح بقدر الاستطاعة

واعلم ان تربية الصغار كسياسة الكبار قائمةٌ على ركنين مهمَّين احدهما السلطان بالاضافة الى المربي وثانيهما الطاعة بالاضافة الى الولد. الا ان السلطان ينبغي أن يكون مقترناً بالرفق في حزمٍ اي منزهاً عن العنف في غير موضعهِ وعن الرخصة والتسامح في غير موضعهما كما ان الطاعة ينبغي أن تكون ناشئة عن ثقة الولد بمربيهِ وعن الاحترام والهيبة اللذين تبعثهُ عليهما المحبة لهُ لا الخوف من عقابهِ. فان أُهمل من التربية واحدةٌ من تلك الطرق أو عُدِم منها احد هذين الركنين فسدت وفاتت الخلة المقصودة منها

(١) كل فعل ينشأ عنه او يترتب عليه فى الحال او الاستقبال نفع ما فهو خير واحسان وكل فعل ينشأ عنه او يترتب عليه فى الحال او الاستقبال ضرر ما فهو شر واساءة

ونعني بالخصال والخلال المتقدم ذكرها ما كان منها كامناً في بدن الولد كون الشجرة في النواة وفي ذهنهِ واخلاقهِ كون النار في الحجر كما سبقت الى ذلك الاشارة · ونعني بالولد كل صغيرٍ ذكرًا كان او انثى في نشأتهِ الاولى لتكون التربية لهُ بمنزلة نشأةٍ أخرى ينتقل بها من الحيوانية المحضة الى الانسانيّة ولك أن تدعوها تكميلاً لنشأتهِ الاولى يتميز بهِ عن سائر الحيوان · وقد ناط الله سبحانهُ أمر هذا التكميل بالابوين اصالةً ثم بالمعلم نيابةً عنهما وخوَّلهم من السلطان والكفاءة ما اذا أحسنوا استعمالهُ اقدرهم على القيام بما نيط بهم

فلا بدَّ للمربي اذًا من السلطان وللولد من الطاعة اي الانقياد والاذعان لما يأمرهُ بهِ مربّيهِ والامتثال للقوانين التي يفرضها عليهِ لان المربي والولد في هذا الامر كالفارس وفرسهِ فالفارس مهما كان بارعاً في الفروسية خبيرًا بتمرين الخيل على الجري واقتحام العقبات لم يستغنِ عن اللجام ولم يستطع مع ذلك ان يفوز بالسبق في الميدان ما لم يكن الفرس نفسهُ مطيعاً لحركة يدهِ فان حرن او جمح ذهب سعي الفارس سدًى · وكذلك الولد ان لم يكن سلس القياد ممتثلاً لما يحملهُ عليهِ مربّيهِ امتثالاً ناشئاً عن تيقّنهِ بانه يحبهُ وبانهُ لا يريد بما يأمرهُ به سوى نجاحهِ وفلاحهِ لا مجرّد التحكم سقط من فنّ التربية احد ركنيهِ وفسدت

ولما كان للتربية تعلقٌ بالجسم والذهن معاً وجب أولاً أن يكون سيرها تدرّجاً كسير الطبيعة نفسها حتى تكون احداهما معاونةً للاخرى من غير تعاندٍ بينهما · ثانياً ان تلازم الولد من ساعة يولد الى أن يبلغ أشُدَّهُ اي الى أن يتكامل نموّ بدنهِ وذهنهِ · وهذا البلوغ يختلف شيئاً باختلاف البلاد[1] ونحن نفرض

(١) في البلاد الحارة الهواء يعتبر الولد بالغاً بين الاربع عشرة والخمس عشرة من سنه وذلك شرعا الا ان العرف غيره واما في البلاد الباردة الهواء فانه يعتبر بالغا شرعا وعرفا اذا تجاوز العشرين · ويروى ان بعض الامهات من الافرنج قيل لها

هنا ان الولد منّا يبلغ اشدَّهُ اذا ناهز الثاني عشرة من عمرهِ ولذا تقسم مدة التربية بهذا الاعتبار الى ثلاثة ادوارٍ كما قسمها اكثر علمآء هذا الفنّ · اولها تربية ابويهِ اياهُ وذلك من ساعة يولد الى السنة السادسة او السابعة من عمرهِ ومعظم تربيتهِ في هذا الدور قائم باعتنآء ابويهِ ولا سيما الامّ منهما بتربية بدنهِ اي بمعاونة الطبيعة على انمآء قوى جسمهِ بحسب قوانين الصحة غير غافلين مع ذلك طرفة عين عن ارهاف ذهنهِ وتقويم سيرتهِ وتهذيب اخلاقهِ بمقدار ما يطيق ذلك وهو في تلك السنّ · ثانيها دور تعليمهِ ما لا بدّ منهُ من القرآءة والكتابة ومبادئ المعارف البسيطة التي تلائم سنهُ وتناسب طبقة اهلهِ والحرفة التي عساهُ ان يحترفها اذا شبّ · وهذه التربية تدوم في الغالب الى نحو السنة الثانية عشرة من عمرهِ وامرها منوطٌ بالمعلم سوآء كان ذلك في الكتّاب او في البيت ويحسن مع ذلك ان يكون للابوين يدٌ فيها واطلاعٌ عليها · الثالث دور تربيتهِ اذا خرج من الكتّاب وذلك الى نحو السنة الثامنة عشرة من عمرهِ وهذه التربية تكون وهو في احدى المدارس العالية يشتغل بالمعارف الكمالية هذا ان كان من أولاد الخاصّة الذين يمكنهم ان يستغنوا عن اشتغالهِ بما يكسب بهِ معاشهُ وتتسع ذات يدهم ايضاً للقيام بالنفقة التي تترتب على اقامتهِ باحدى تلك المدارس · فان لم يكن من تلك الطبقة فما سنذكرهُ من دور التربية الرابع يبتدئ بالنظر اليهِ بعد الدور الثاني · ولكن يحسن مع ذلك ان يلتفت الى ما فوق القرآءة والكتابة من المعارف ان كان في سجيتهِ استعدادٌ للتعلم ورغبةٌ فيهِ فثمّ في البلاد التي توفّر حظّها من

ان تربية الولد لا تنقطع ولا تهمل الا اذا بلغ العشرين من عمره فقالت يا ويلتنا هذا عناء طويل وتعب جزيل فقالت لها جارتها وكانت ذات عقل راجح وخاطر سريع لقد وهمت ياسيدتي وانما يبتدئ عناؤنا اذا بلغ ولدنا سن العشرين وكنا قد اهملنا تربيته في ابانها

الحضارة حلقات درسٍ تقام ليلاً ينتابها الاساتذة و يلقون فيها دروساً في اكثر المعارف والعلوم على الاحداث والفتيان الذين تصدّهم صناعاتهم او حرفهم من التفرّغ نهارًا لغير كسب معاشهم

وان كان الولد من اهل المدارس العالية التي أشرنا اليها فلا ينبغي ان نتوهم انهُ اذا بلغ السنة الثامنة عشرة من عمرهِ واحكم فهم آخر درسٍ القاهُ عليه استاذهُ ونال الاجازة او الشهادة من الفاحصين فقد تمّ تعليمهُ وتمّت بذلك تربيتهُ . كلا . اولاً لان اكثر ما يتعلمهُ الاولاد في المدرسة انما هو في الاغلب طريقة التعلم بعد خروجهم منها لا شيء آخر كما يعلم ذلك كلّ مَن عاناهُ . ثانياً لان التربية بالمعنى المتسع المراد منها هنا ليس لها في الحقيقة حدٌّ اذا بلغتهُ وقفت عندهُ ولم تتجاوزهُ لانها لما كانت غايتها تبليغ الانسان بقدر الاستطاعة الى اقصى مدى غاياتهِ حتى يصير رجلاً بالحق كان لا بدّ لها ان ترافقهُ سحابة عمرهِ من الصبوة الى الكهولة عسى ان يتسنّى لهُ بها ان يبلغ درجة تُدنيهِ شيئاً من حدّ الكمال المتعارَف الممكن وجودهُ في الخارج لان الكمال باطلاق اللفظ وكما تصوَّر وجودهُ في الذهن غايةٌ لا تُدرَك اليوم وعلى فرض ان احدًا من الناس ادركها فانهُ لا يسعد بها بل يشقى لانهُ يكون بها وحيدًا في نوعهِ فيعيش عيشاً منغّصاً ثم يموت كمدًا

وقلنا ان سير التربية ينبغي أن يرافق سير الطبيعة في تدرّجه فكما ان الطبيعة سنّت ان يكون الولد حين ولاده ضعيفَ البنية والادراك ثمَّ ينشأ ويتقوى رويدًا رويدًا وعلى التدريج فكذلك ينبغي ان تُدرّج تربيتهُ بتدرّج نشوئهِ فيعوّد بدنهُ شيئاً فشيئاً على ما يصلح لهُ ويناسبهُ من مراعاة قوانين الصحة وما يطيقهُ ويميل اليهِ من صنوف الرياضة ويُلقى الى فهمهِ من موادّ التعليم والتهذيب

ما يلائم طبعهُ ويناسب سنّهُ ويصلح لتخريجهِ وارهاف ذهنهِ ويقوى هو على تشرُّبهِ وخصوصاً ما يحبهُ من ذلك جميعهِ وما يجد في تعلمهِ لذةً او يميل الى الاطلاع على خفياتهِ ميلاً غريزيًّا ومن تلقاءِ نفسهِ لا مكرهًا عليهِ

وقلنا ان التربية تبتدئ من ساعة يولد لان الطفل اذا استهلَّ فسكتتهُ امهُ او طالب الرضاع فأرضعتهُ فذلك تربيةٌ لهُ. ثم اذا هدهدتهُ ليكفَّ عن الصياح او البكاء او ناغتهُ او قبَّلتهُ وهو في مهدهِ او في حجرها فذلك ايضاً تربيةٌ لهُ. واذا لاعبتهُ مترعرعاً او ألهتهُ بالحكايات والقصص الممتعة التي ترتاح اليها نفسهُ او حذَّرتهُ سوء عواقب الخطأ والعرام او كبحتهُ عن العتوّ والبغي اللذين هما غريزيانِ في الاولاد فقد ربّتهُ. كما ان آخر درسٍ يلقيهِ عليهِ استاذهُ هو تربيةٌ لهُ. وفي الجملة فكلّ ما يُفعَل بهِ او يُحمَل هو على فعلهِ او تركهِ او يقال لهُ من امرٍ ونهيٍ وتكليفٍ وزجرٍ وتفقيهٍ وتهذيبٍ سواءٌ كان ذلك في بيت ابويهِ او في الكتَّاب او في المدرسة فهو من اولهِ الى آخرهِ تربيةٌ لهُ ولا يُنوَى بهِ في جاري العادة سوى صلاحهِ وفلاحهِ نفساً وجسدًا ولا يُقصَد بهِ سوى ترشيحهِ للدخول في الدور الرابع من ادوار التربية ومعهُ من الآلة والسلاح ما يؤهلهُ للمقاومة ويجعلهُ على ثقة من الفوز والنجاح

وهذا الدور الرابع ندعوهُ دور تربية المرء نفسهُ بنفسهِ ولك ان تدعوهُ ايضاً تربيةً بمخالطة الناس او تخريجاً وتحنيكاً بمباشرة ابناء الجنس او بما شئت من الالفاظ التي تدل على ان التربية فيهِ تكون بالممارسة لمواتٍ وقتها بالتلقين وان حقيقتها استثمار ما سبق زرعهُ في الانسان من بذور التربية المتنوّعة في الادوار السابقة واخراجها من القوّة الى الفعل. اذا علمتَ هذا علمت ان هذه التربية الاخيرة ضربة لازبٍ على كل البشر لا يستغني عنها ولا يُعفَى منها احدٌ

منهم اللهمَّ الّا المتوحّش او الذي يعتزل الناس بتةً وينقطع في رأس جبل . ولكن لا يستفيد منها حقّ الاستفادة الّا الذي أُتقِنت تربيتهُ في الادوار المتقدمة عليها لان اعظم الناس انتفاعًا بها مَن كان احسنهم ترشحًا لها وذلك انما يكون بما اعتادهُ واكتسبهُ واستفادهُ في التربيات الاخرى حتى اصبح مستعد قوى البدن والنفس مشحوذ الذهن والحجى بقدر الاستطاعة متيئًا في الجملة لاقتحام هذه اللجة فيقتحمها وهو يرجو اذا وفّاها شروطها ولم يحجم عن اهوالها ان يكون خليقًا بعدها بأن يدعى رجلًا

ستأتي البقية

القمر

هو بعد الشمس أبهى الاجرام السماوية على العموم ونكتة الفلك الارضيّ بل أغرب ما يرى الناظر في عالم النجوم اذا استقلّ في فلكهِ يسبح فوق الوهاد والإكام ورأيتهُ يتراجع مع النجم وهو مجدٌّ في وجهتهِ الى الأمام فتخطى الأبراج وكانهُ واقفٌ لا يحسّ لهُ الناظرون انتقالا وظهر بأشكالهِ من الهلال الى البدر حتى يعود هلالا فكان قيد الابصار تراهُ ابدًا جديدًا على تقادُم عهدهِ وتتوهمهُ على قِيد اميالٍ منها وهو الشاسع في بعدهِ على انهُ ادنى العوالم من الارض مقيلا واعلقهنَّ بها حبلًا واقربهنَّ تمثيلا فهو صورة الارض في السماء ورفيق طِينتها الى حيث لا تدري في اجواز الفضاء وشريك بختها فيما أُرصد لها من احكام القضاء بل هو وليدها وان تقضّى قبلها شبابهُ وشابت دونها

أترابهُ وقد دفعتهُ عنها منذ فصالهِ فمرَّ الى حيث لا مطمع في ايابهِ ثم عزَّ عليها الآن يكون بحيالها فأخذَت عليهِ طريق انسيابهِ فهو ابدًا يدور من حولها مقطَّع النياط ويقطع معها اضعاف ما تقطع من الاشواط

∴

بل هو مثال الرونق والجمال وآية الأُبهة والجلال اذا برز من الافق فانهزمت من وجههِ جيوش الظلمآء وانفرجت الكواكب لممرّهِ في عُرض السمآء فأقبل يتنقّل بينها وهو يسير الهُوَينَى عزَّةً وخُيلآء فسمَت اليهِ الأبصار اعجابًا واكبارا وانصرفت اليهِ الوجوه ابتهاجًا واستبشارا وانطلقت لهُ النفوس نشاطًا وارتياحا واتّسعت بهِ الصدور انبساطًا وانشراحا وخلا اليهِ العاشق يتذكر وجه حبيبهِ ولها بهِ المحزون فسلا عن همهِ ونسيبهِ وأوى اليهِ المسهَّد فكان سَميرهُ في سُهدهِ واتخذهُ المسافر رفيقًا فذهل بهِ عن مخاوف سفرهِ ومشقّة جهدهِ وجلس اليهِ الشَرْب يتعاطون مثل الشمس في مثلهِ وتسامر بازآئهِ المتعاشقان يستبصران بنورهِ ويستتران بظلهِ وقد تخلل شعاعهُ نسج النسيم حتى اتحدا اتحاد المآء بسلافة النديم فكان ألطف ما مرَّ ببَصَر في ألين ما اتحف بَشَر فأسجل الشاهد أنَّ لياليهُ اصفى الاوقات وانهُ الجالي لاكدار النهار كما تُجلَى بهِ كدورة الظلمات

∴

لا بل هو مبعث الوحشة ومحرِّك الاشجان ومثير هواجس الصدر وبلابل الجنان اذا طلع في ليلهِ وقد سكتت الاصوات وسكنت الحركات ولم يبقَ الاّ تموّج الهوآء باختلاج الانفاس الصوامت وحفيف النسائم بين ورق الشجر المتهافت فأرسل نورهُ الضعيف سابحًا في انحآء الفضآء مترقرقًا على وجه

الغبرآء تظهر من تحته الوهاد المنبسطة في العرآء والقِمم الشاخصة في الهوآء لا يمشي فيها حيوان ولا تُسمع نأمة انسان فوقف المتأمل امام مشهد ذلك الجمود وقد مُلكت عليهِ مشاعرهُ حتى توهم نفسهُ بمعزلٍ عن الوجود فتخيَّل ما حولهُ من الارض مجاهل خالية او اطلالاً بالية بل تخيَّل الارض كانها يومَ خُلقت فهي ادغالٌ وتنائف وتصوَّر نفسهُ آدمها وقد وقف فيها بين الدَهَش والمخاوف فخيَّمت فوقهُ وحشة العُزلة واحاطت بنفسهِ هيبة الوحدة وانبعثت الاشجان في صدرهِ فتفرَّغ لمناجاتها وهاجت الذِكَر في نفسهِ فغاص بين تياراتها وتوارد عليهِ من الخواطر ما حبَّب اليه اللحاق بعالم الفنآء ثم استهواهُ ما يرى من جمال الطبيعة فثابت اليهِ الرغبة في البقآء فتمنى لو اتخذ سبباً الى هذا العالم الماثل فوق راسهِ او تعلق بما تدلى اليهِ من أشعة نبراسهِ فربما تخيل أنَّ هنالك حدائق غلبآء ومدائن غنآء وقصورًا شاهقة وانهارًا دافقة واقوامًا يمرحون في نعيم ويرتعون في خصب مقيم .. وما ثمَّت لو يعلم الاَّ كونٌ جامد وقفرٌ هامد وسكوتٌ سائد وحطام خلقٍ بائد لا يخطو هنالك غادٍ ولا رائح ولا يُسمع صوت باغمٍ ولا صادح ولا يسبح طائرٌ في السمآء ولا يدبُّ حيوانٌ على العرآء ولا يخضرُّ وادٍ ولا أكمة ولا تسحب أذيالها نسمة ولا ينتشر سحابٌ ولا ضباب ولا يترقرق مآء ولا سراب ولكنَّ جملة ما هنالك طللٌ داثر وعالمٌ من عوالم الدهر الغابر بل جنازةٌ يُطاف بها حول الارض وان لم تحملها المناكب وقد صلَّت عليها السيارات فترحمت عليها الكواكب

∴

لا بل هو خَلَف الشمس ومصباح الظُلَم ومقياس الازمان وموقِّت الأمم

عنهُ أُخذ حساب الاسابيع والشهور وبحركتهِ حُدّدت الآجال والتواريخ من اقدم الدهور فكان السجلّ الذي يُرجع اليهِ في المعاملات والإمام الذي يُنزل على حكمهِ في توقيت العبادات بل طالما عبدهُ المتقدمون لانهم رأوا في فعلهِ ما يشبه افعال العاقل وآنسوا في صورتهِ ما يقرب من هيئة الناطق وشاهدوا من بقآئهِ ما نزّلهُ عندهم منزلة الخالد فكان لهُ الحكم في السعادة والشقآء والاعتلال والشفآء وصلاح الغرس والزرع وصحّة الجنى والقطع وعلى الجملة فقدكان الحاكم في الاحوال والاعمال والمستشار في العزائم والآمال بما يبدو عليهِ من نقصٍ او تمام او يتفق لهُ من اقترانٍ بغيرهِ من الاجرام مع اعتبار ما يقع ذلك فيهِ من الايام [1] شؤونٌ ساق اليها ضعف الاحلام واستيلاء الاوهام والله من ورآء ما يفعلون وهو العزيز العلّام

***

لا جَرَمَ ان اول ما يَبدَه الناظرَ من مرأى القمر وهو في اوان البدر وما حواليهِ انهُ يراهُ على خلقة وجه الانسان فيهِ العينان والحاجبان والانف والفم وذلك بما يتخلل سطحهُ من المحو أي السواد المنتشر على وجههِ بحيث يتبادر منهُ الى الخيال هذه الهيئة الغريبة . فهو في ذلك على حدّ ما تُخيَّل احيانًا في قِطع الغيم المتراكمة من هيئات الاناسيّ والدوابّ وغيرها بما يعرض لها من اختلاف الاشكال وما يتخللها من الظلال في جنب ما يقع عليها من ضوء الشمس . وهذا المنظر في القمر يستمرّ من لدن طلوعهِ من المشرق حتى يبلغ الزوال فاذا

---

١ كان يوم القمر عندهم يوم الاثنين كما لا تزال تدل على ذلك تسميته عند اكثر الامم الافرنجية فاذا اتفق ان يكون القمر في ذلك اليوم بدراً ففيه تمام السعادة . وكثير مما ذكر من هذه العقائد باقٍ الى يومنا هذا ولا سيما عند اهل الفلاحة

مال بعد ذلك وانقلب الى جهة المغرب تبدّل منظاره واستحال الى صورة رجلٍ قائمٍ على ساقيهِ وقد مدَّ ذراعيهِ الى الامام كانهُ يدافع بهما · الاّ ان كل ذلك انما يكون في نظر العين المجرَّدة فاذا نُظر اليهِ ولو بمنظارٍ ضعيف انتسخ ذلك بجملتهِ ولم يبقَ لهُ اثر

ثم ان هذا المحو كما كان سبب تضليل للأُمم الاولى ومن بقي على شاكلتها ليومنا هذا من العامة فقد كان محلّ حيرةٍ للعلماء واهل البحث منهم وقد اختلفوا في امرهِ اختلافًا بعيدًا وافترقوا في ماهيتهِ على مذاهب نورد بعضها تفكهةً للقرّاء · فمنهم من ذهب الى ان ذلك ناشئ عن شكل القمر وخلقتهِ اذ هو مخلوقٌ على هيئة وجه الانسان على نحو ما تقولهُ العامة فهو عند هؤلاء القائلين تمثال رأسٍ ضخمٍ بمنزلة رأس ابي الهول مثلاً · وزعم آخرون انهُ شبح ما ينطبع فيهِ من السفليات من الجبال والبحار يعنون ما في الارض من ذلك وهذا مبنيٌّ على أن القمر جرمٌ صقيل كالمرآة بدليل عكسهِ لضوء الشمس على ما سيمرّ بك من مذهبهم · وقال غيرهم انهُ السواد الكائن في الوجه الآخر منهُ اي النصف المظلم الذي لا يقع عليهِ ضوء الشمس وهو قول من يزعم ان الكواكب اجسامٌ شفافة · وهناك مذاهب اخرى لا تقلّ غرابةً عن هذه كانوا يقولون فيها بالحدس ويبنونها على قواعد فلسفة ذلك العصر مما لا محلّ للافاضة فيهِ في هذا الموضع · والصحيح وهو الذي يُشاهَد بالآلات المعظِّمة ان بعضهُ لون الظلّ الذي تلقيهِ جبالهُ على وهادهِ وبسائطهِ واكثر ما يكون ذلك وهو في احد التربيعين وما اليهما لوقوع شعاع الشمس عليهِ حينئذٍ منحرفًا والبعض الآخر لون صحاريهِ وما يتخلل جبالهُ من الاتربة والرمال وبقايا الخلق الداثر · واما في أوان البدر الذي يكون فيه صفحهُ المواجه لنا مقابلاً للشمس وحين يكون ظلّ جبالهِ محجوبًا عنا

بقمم تلك الجبال انفسها فلا كلام في انهُ لون تلك الاتربة

اما شكل القمر فالظاهر لنا انهُ كرويٌّ على الجملة الآن الذي يستقبلنا منهُ انما هو احد صفحيهِ دون الآخر اذ هو يوجه الى الارض جهةً واحدةً ابدًا كما يظهر ذلك بمراقبة محوهِ وتتبعهِ من اول الشهر الى آخرهِ ٠ واما الجهة الاخرى فلا يكاد يُرى منها الا الشيء النزر من اطرافها لاسبابٍ ليس هذا موضع بيانها ولذلك لا يُعلم شكلهُ من تلك الناحية وبالتالي لا يُعلم قطرهُ المسامت لخط النظر٠ قالوا وعلة ذلك قوة جذب الارض لهُ وممانعتها اياهُ من الدوران على نفسهِ الآ في القدر الذي يدور بهِ احد وجهيهِ حول الارض فتكون لهُ حول نفسهِ دورةٌ اضافية يتمها مرةً في الشهر عند تمام دورتهِ حول الارض٠ على انهُ قد رُؤي احد اقمار المشتري وهو اقربها منهُ مستطيلاً من القطر القائم على السيّار فهو اشبه بهيئة البيضة وهو ايضًا لا يوجه الى السيار الآ وجهًا واحدًا فغير بعيدٍ ان يكون قمرنا كذلك ويكون ما ذُكر هو العلة في وحدة اتجاههِ الى الارض

ولما كان القمر يدور حول الارض ويدور معها حول الشمس لزم بالضرورة ان يكون القمر تارةً بيننا وبين الشمس وهو اوان المحاق فلا تتأتى لنا فيهِ رؤيتهُ اذ يكون الوجه المستنير منهُ الى الشمس والوجه المظلم الى الارض٠ وتكون الارض تارةً بينهُ وبين الشمس وهو اوان البدر وحينئذٍ نرى كل سطحهِ المستنير لوقوعهِ في استقبال الشمس٠ وتارةً تكون الارض والقمر متحاذيين على بعدٍ واحد من الشمس وهو اوان التربيع فنرى نصف السطح الموجه منهُ الينـا لوقوع النصف الآخر في جهة الفضآء ٠ وكما اننا نرى القمر متشكلاً بهذه الاشكال فلو وقف ناظر على سطح القمر المواجه لنا رأى الارض كذلك اي

يراها بدرًا عندما يكون القمر في المحاق ويراها في المحاق عندما يكون هو بدرًا واما في التربيع فالمنظر بينهما واحد حتى يجاوزه فيعود الى الاختلاف شيئًا فشيئًا الى ان يصير احدهما بدرًا والآخر في المحاق



منظر الارض من القمر

ومما يُستملح ايرادهُ هنا ما جآء في كتاب الكشكول للامام بهآء الدين العامليّ من اهل القرن العاشر للهجرة (٩٥٣ — ١٠٠٣) فانهُ وصف هذا المنظر اي منظر الارض من القمر بما لا يقصر عن وصف اعظم علمآء هذا العصر قال

« كما أنّ جرم القمر يقبل ضوء الشمس لكثافته وينعكس عنهُ لصقالته كذلك الارض تقبل ضوءها لكثافتها وينعكس عنها لصقالتها لاحاطة المآء باكثرها

وصيرورته معها كرةً واحدة . فاذن لو فُرِض شخصٌ على القمر تكون الارض بالقياس اليه كالقمر بالنسبة الينا وبحركة القمر حول الارض يخيَّل اليه انها متحركة حوله ويشاهد الاشكال الهلالية والبدرية وغيرها في مدة شهر لكن اذا كان لنا بدرٌ كان له محاق واذا كان لنا خسوفٌ كان له كسوف لوقوع اشعَّة بصره داخل مخروط ظلّ الارض ومنعهِ اياها من وقوعها على المستنير من الارض والمآء بالشمس (كذا والصواب من وقوعها على الشمس) واذا كان لنا كسوف كان له خسوف لوقوع اشعَّة بصره داخل مخروط القمر ومنعهِ اياها ان تقع على الارض الّا ان خسوفه لا يكون ذا مكثٍ يُعتدّ بهِ لكونهِ بقدر مكث الكسوف ويكون لكسوفهِ مكثٌ كثير لكونه بقدر مكث الخسوف . ولأنّ بعض وجه الارض يابس فلا ينعكس عنه النور بالتساوي فكما يرى على وجه القمر المحو يرى على وجه الارض مثله . وهذا الفرض وان كان محالاً لكنّ تصوُّر بعض هذه الاوضاع يعين الفكر على تخيل ايّ وضعٍ اراده بسهولة « اه

وهو كلامٌ في غاية الحسن وقد أصاب في اكثره شاكلة الصواب الّا انه جعل علة انعكاس النور عن الارض كون اكثرها محاطاً بالمآء وهو خلاف الواقع لأن شطرًا من النور بل معظم أشعَّته ينفذ المآء ويتكسر فيهِ فلا ينعكس الّا أقلّه وبخلافهِ الارض فانه لا يغيب فيها من النور الّا الشيء الذي لا يُعتدّ بهِ وباقيهِ ينعكس بجملتهِ . ولا اثر للصقالة هنا اذ هي انما تُعتبر في عكس النور عن السطح المستوي كما في المرآة ووجه الكأس والبركة مثلاً حيث لا يظهر للمآء تحدُّبٌ محسوس فتنعكس الاشعَّة كلها الى جهة واحدة وذلك بشرط موافقة خط انعكاسها لاتجاه خط البصر واما السطوح الكروية فانما يُرَى النور المنعكس عنها من نقطة واحدة وهي التي يوافق انعكاسه عنها جهة البصر كما ترى في

الكرات العاجية والزجاجية وغيرها و باقيها تنعكس الاشعة الواقعة عليه الى غير تلك الجهة فلا يُرى منها شيء . ومن هنا يُعلم ان الانعكاس عن الارض يكون اشدّ واكثر لانها لتضاريسها تعكس الاشعة عن كل قِمّة وحَيد مما لا بدّ ان يوافق الكثير منهُ خط البصر كيف اتفق وضعهُ بالقياس الى الشمس والى الناظر . وقد ثبت ذلك بمراقبة القمر نفسهِ في مروره على البرّ والبحر واختلاف ما يُرى عليهِ من النور المنعكس عنهما حتى يُروى ان كِستلي وهو خرّيج غاليلاي المشهور استدلّ بذلك على وجود قارّة استراليا قبل كشفها . وذلك انهُ راقب الهلال عند عبورهِ فوق المحيط الجنوبي فوجدهُ كلما انتهى في فلكهِ الى الموضع المسامت لهذه القارّة يقوى النور الضعيف الذي على سائر جرمهِ المظلم وهو النور المنعكس اليهِ عن الارض على ما سنذكرهُ قريباً فتبين من ذلك ان هنالك ارضاً واسعة اذا قابلها اشتدّ انعكاس النور عنها اليهِ بخلاف ما يكون عليهِ وهو مواجهٌ لغير ذلك الموضع من البحر

ثم انهُ يفرض ان الواقف على القمر يرى الارض تدور حولهُ يعني مرةً في الشهر وقد يتبادر من هذا الفرض ان ذلك على حدّ ما نرى نحن الشمس تدور حولنا وهو غير مرادهِ قطعاً لانهُ جعل ذلك مسبباً عن حركة القمر حول الارض ونحن انما نرى الشمس والنجوم تدور حولنا بدوران الارض على محورها لا بدورانها حول الشمس فالأظهر ان لهذا الفرض وجهاً آخر وهو انهُ يقدّر ان القمر يدور حول الارض واقطارهُ الاستوآئية موازية لنفسها بمعنى انهُ لا يتحرك على محورهِ البتة فهو يستقبل الارض بجميع اجزآء سطحهِ على الولآء ولذلك يخيَّل الى الواقف عليهِ ان الارض تتحرك حولهُ . وهذا ايضاً ليس بصحيح لما ابنّا من ان القمر يولّي الارض وجهاً واحدًا ابدًا فالذي يلزم من هذا ان الواقف على نقطةٍ

منهُ حيثما رأى الارض من تلك النقطة سوآءٌ كانت على الافق او في السمت او ما بينهما لا يتغير عليهِ موضعها ولا يراها تنتقل منهُ الّا بمقدار ما يترجح في فلكهِ على ما سبقت الاشارة اليهِ وهي حركةٌ ضعيفة لا يكاد يُتنبَّه لها ولا تتمّ الّا في الزمن الطويل

بقي أنّ قطر الارض يكون نحو اربعة اضعاف قطر القمر فهي تُرى من القمر اعظم مما نرى القمر بما يزيد على ثلاث عشرة مرة فيكون منظرها منهُ ابهى من منظرهِ من الارض بما لا يقاس والنور المنعكس عنها اليهِ على ما يقرب من تلك النسبة حتى اننا نشاهدهُ من هنا على المكان المظلم منهُ واضحًا وذلك في وقت الهلال وأبيَن ما يكون بين الليلة الثالثة والسادسة منهُ حين يرتفع القمر عن الشفق وقبل ان يعظم القسم المستنير منهُ بحيث يكسف رؤية النور المنعكس عليهِ من الارض وهذا ما يسميهِ علمآء الافرنج بالنور الرماديّ لمشابهتهِ لون الرماد فانك اذا تأملتهُ رأيتهُ يُتمّ دائرة القمر واذا وجهت اليهِ المرقب امكنك ان ترى ما فيهِ من المحو الذي تراهُ بعد ذلك تحت ضوء الشمس . واذا اردت ان تستوضح النور الرمادي وترى القمر معهُ بصورتهِ البدرية فقف بحيث يحتجب عنك القسم المستنير من الهلال ورآء طرف جدارٍ ونحوهِ ويبقى القسم المستنير بنور الارض وحدهُ فانك تراهُ في تمام الوضوح لزوال ما يكسفهُ من حاجب الهلال

وهنا مسئلةٌ نختم بها هذا الفصل للتفكهة وهي أنّ الناس يختلفون كثيرًا في تقدير دائرة القمر فنهم من يتوهمهُ بمقدار الصحن الذي لا يزيد قطرهُ على عشر المتر ومنهم من يتوهمهُ بمقدار الطبق الذي قطرهُ نحو نصف متر ومنهم بين ذلك وهي مسئلة كثيرًا ما يُتحاور فيها حتى لا تكاد ترى اثنين يتفقان

على قياسٍ واحد . ولعلّ فصل الخطاب في ذلك ان تؤخذ قطعة ورقٍ او نحوهِ ويُثقَب فيها ثقبٌ مربع كلٌّ من اضلاعهِ نحو نصف سنتيمتر ثم تُثقَب من موضع آخر ويُدخَل في الثقب طرف عصاً بحيث تجري الورقة على العصا وبعد ذلك يوضع احد طرفي العصا عند موق العين ويُنظَر الى القمر من الثقب المربع وتُدنَى الورقة وتُبعَد حتى تماسّ دائرة القمر اربع اضلاع الثقب فاذا انضبط ذلك يؤخذ صحنٌ او شيءٌ آخر مستدير ويُنظَر اليهِ من الثقب المربَّع على نحو ما نُظِر الى القمر فيدنو الناظر منهُ او يبعد عنهُ حتى يماسّ محيطهُ واضلاع الثقب فتكون دائرة القمر بقطر ذلك الصحن على البعد الذي رُؤي عليهِ والله اعلم

خطاب الى السيدات

لحضرة الكاتبة الاديبة السيدة لبيبة ماضي بالقاهرة

أستهلّ كلامي بتقديم خالص التهنئة لكافة الادباء قرَّاء الجرائد بظهور هذه المجلة الغرَّاء التي طالما عللنا النفس بارتشاف سَلسال فوائدها وأتمنى لها سرعة الانتشار والنجاح ولمطالعيها عمومَ النفع بما تبثهُ من الحقائق العلمية والادبية حتى تكون من افضل الآثار التي يُذكَر بها هذا العصر المجيد

اجل يجب على كل اديبةٍ واديب ان يشيدا بفضل هذا القرن الأنوَر الذي لم يرضَ بوداعنا قبل ان سهل لنا كثيرًا من سبل الفلاح ففي عهدهِ كثرت لدينا المدارس وتوفرت لنا الجرائد وتحت لوآئهِ مُنِحت المرأة الشرقية حقوق التعليم وهذه من اعظم حسناتهِ وافضل بركاتهِ فكانهُ رأى اهمّية مكانها في الهيئة الاجتماعية وانهُ عليها يتوقف نجاح العمران فمهد سبل تهذيبها واعلاء

شأنها وصيرها العضو المبم في عالم التمدن بعد ان كانت دهرًا طويلاً منبوذة في زوايا الاهمال فصار من المتعين علينا معشرَ النسآء ان نقابلهُ على هذا الجميل وفيهُ عند شيخوختهِ ما لهُ علينا من الحقوق فنشيّد على الاساس الذي وطدهُ لنا قصورًا من الآداب ليُدفن في زواياها ناعم البال عالمًا بأن ما حصّلهُ سيكون افضل ميراث يتركهُ لخلفهِ القرن العشرين

ولكنهُ حتى الآن لم يقم من اعمالنا آثارٌ تدلُّ على اننا حقيقةً قد تقدمنا ولا يمكننا أن نقول ان العالم قد انتفع منا اكثر مما استفاد من جدّاتنا وما سبب ذلك الا اهمالنا وتقاعدنا عن الجد في طلب الفلاح . فحتّامَ ايتها الرصيفات لا تنهضنَ من وهدة هذا الخمول والامَ لا تنزعنَ عن عاتقكنَّ رداء الكسل وتُبرِزنَ من مخابئكنَّ تلك الدرَر التي انما ابتعتنَّها بأثمن سني حياتكنَّ . فهلمَّ وكنَّ يدًا واحدةً وقلبًا واحدًا فيما يعود عليكنَّ بالفخر وعلى الوطن بالنفع العميم واعلمنَ أن المرأة هي مرآة الأُمّة وعنها تنعكس أشعّة آدابها حسنةً كانت او سيئة وان شككتنَّ فانظرنَ الى كل قوم لم يمهدوا سبل التعليم لنسآئهم بل آثروا بقآء برقع الجهل على بصائرهنَّ كيف لا يزالون خابطين في ظلمات الهمجية سائرين في سبيل التقهقر والانحطاط وهذا اعظم برهان يدلنا على اهمية منزلة المرأة من المجتمع الانساني وما لها من التأثير في حالتي سعادتهِ وشقائهِ . وكيف لا وهي التي بآدابها تطبع في اخلاق ولدها آثار الفضل والفضيلة وترفع نفسهُ الى طلب الكمالات الانسانية وتُعدّهُ لارتقآء الدرجات العليا في سلم الحضارة وبجهلها تحطُّ بهِ الى الدركات الحيوانية وتقذفهُ في مهاوي الشقآء والمذلة . فهي القادرة على دمار القصور المشيَّدة وهي المشيّدة قصورًا من العدم وهي مجلبة السعادة لأُسرتها وكذلك مجلبة التعاسة لها وبالجملة فهي محور الهيئة

الاجتماعية وعليها يتوقف نظام العمران . فمن العجيب بعد هذا تقاضيكنَّ عن القيام بحقوق هذا المكان الخطير واستخفافكنَّ بما خولتكنَّ الطبيعة من الحقوق وها ان الوسائط معدَّة لديكنَّ لكن النجاح معقود بالاتحاد مع الهمة والثبات وانما يتمُّ الاتحاد بانشاء الجمعيات العلمية والادبية التي لا تقلُّ اهميتها عن المدارس وبهـا تتألف منا الاهوآء والمشارب وتمتزج الافكار والخواطر وتجتمع الآرآء على التماس كل امرٍ لنا فيه فائدة وعلوّ شأن في المجتمع الانساني واجتناب كل ما هو مضرٌّ بشرفنا وآدابنا وبذلك تسمو منزلة المرأة الشرقية التي وصلت من العلم الى درجة يحرُم معها بقاؤها في حالة الخمول والتقاعد وانفاق ساعات العمر فيما لا طائل تحتهُ من الزخارف الوهمية التي قلما تأتيها بفائدة بل قد تلحق بها وبالعمران خسائر أدبية لا يتأتى للرجل وحده ان يعوّضها مهما اجتهد واخترع واكتشف . فان واجبات المرأة محصورةٌ في المرأة نفسها وهي وحدها قادرة على القيام بها او بقسمٍ منها بحسب استعدادها وما دامت قاصرة عن ذلك فميزانية الكون مختلة النظام

وهذا الخلل قد ينالها من اذاه اكثر مما ينال سواها لانها كلمـا جهلت امرًا من واجباتها سقطت منزلتها درجة لدى الهيئة المدنية وعوقبت على ذلك بحرمانها الحقوق التي تصبو اليها وتطالب بها والتي لا يمكنها الحصول عليهـا الاّ متى تمكنت آدابها وحسن تهذيبها واعتدلت خطتها وحينئذٍ يطأطئ الرجل لها اجلالاً لشأنها واعترافاً بمزيتها لا تملقاً كما هو جارٍ في هذه الايام ويهبها حقوقها عن طيبة خاطر معتقدًا انها انما نالتها عن استحقاق لا شفقة منهُ على ضعفها وجبرًا لقلة بضاعتها

ومعلومٌ انهُ لا يتسنى للمرأة ان تترشح لمركز كهذا الاّ بوسائط التهذيب

الذي اساسهُ العلم وقد اوجدت لها المدارس هذا الاساس فاضحى من واجباتها ان تقيم عليه مباني آدابها وتُظهِر ما فيها من الاستعداد الفطري لكل امرٍ خطير . غير انهُ لا يتهيأ ليدٍ واحدة ان تقوم بهذا البنآء العظيم بل يلزمها لذلك اذرع قوية فاذا اتحدت معها ايدي سواها من الجنس اللطيف شدنَ من معارفهنَّ قصورًا مزينة بدرر افكارهنَّ الثاقبة حتى اذا رأى الرجل نتيجة اجتهادهنَّ اتضح لهُ ان ذلك الهيكل النحيف العضلات يضمن من القوة والاقتدار ما هو كافٍ للقيام بأعمالٍ ليست دون اعمالهِ اهمية وخطرًا

وغير خافٍ اننا ما دمنا مشتتات الشمل تؤثر كل واحدة منا الانفراد بمعارفها وعدم التضافر على النفع والانتفاع بما وُهبتهُ من مزية العقل والتهذيب فيجب علينا ان نقنع بالحالة التي وصلنا اليها دون ان نطلب المزيد عليها ولكني لا اسلّم بوجود سيدةٍ في بلاد الشرق ترضى بهذا الانحطاط لنفسها وهي ترى امامها المرأة الغربية تتقدما كل يوم بالفنون والمعارف ولا تملّ من الجد في سبيل الرفعة والفلاح حتى وصلت الى الغاية التي تطلبها وحصّلت من الرجل كامل حقوقها . ونحن نعلم ان نسآء الغرب لم يبلغنَ ما وصلنَ اليهِ من المراتب العليا في الهيئة المدنية الّا بما كنَّ ولم يزلنَ ينشئنهُ من الجمعيات العلمية والفنية والادبية التي كانت السبب الاقوى في تثقيفهنَّ وتمام تهذيبهنَّ فما بالنا والحالة هذه لا نقتدي بهنَّ في ذلك وما بال الكثيرات منا يغضضنَ الطرف عن نافع اعمالهنَّ ومستحسنها ويتبعنَ مضرَّها ومذمومها ويرضينَ لانفسهنَّ بصفات الجهل والكسل مع ما خصصتنا بهِ الطبيعة نحن الشرقيات من الهمة والاقدام وعزة النفس وتوقد الفكر ومع ما بلغتنا اليهِ من المعارف وصرفناهُ من الايام الطوال بين مطالعة واختبار أفيليق بنا التهاون بعد ذلك ودفن ما حصلناهُ في زوايا الخمول بل كان خيرًا

لنا لو بقينا في حالة الغباوة والامية من ان نقضي العمر في تحصيل العلوم ثم نتركها تذهب ضياعاً

ذلك بعض ما تردَّد في ذهني من هذا الشأن جئت التيه على مسامع السيدات ولا اظنُّ ان ينهنَّ من تتحفَ بمثل هذه المشروعات التي لاينكر نفعها الّا من قصر عن ادراك حقائقها وجهل حسن نتائجها ورجآئي في حضرات الفاضلات الاديبات ممن يتصفحنَ جلتي هذه ان يحسرنَ عن ساعد الجدّ ويتحفنني برسائلهنَّ معلنات استعدادهنَّ للاشتراك معي في هذا العمل النافع وانني اعدهنَّ ببذل كافة ما بوسعي من الوسائل لانشآء جمعية علمية ادبية يكون لها شأنٌ يذكر في عالم التمدن العصري ولا اكلفهنَّ مقابلةً لذلك سوى ما قلَّ وهان من المساعدات الادبية والله الموفق الى سوآء السبيل

الطاعون

لم ينقطع دابر الهوآء الاصفر وتُستأصل شأفتهُ من مصر حتى استكّت المسامع من خبر ظهور الطاعون في بمباي[1] وانتقالهِ الى قوراشي وغيرها من اعمال الهند الانكليزية وهو الخبر الذي وجفت القلوب منهُ فرَقاً واهتزَّت لهُ الممالك قلقاً فاخذ القوم يتحدثون بما يكون من أمرهِ وما لا يكون وقد غلبت الاوهام وكثرت الظنون وعلم الله فوق ما يعلمون · فمنهم من قال ان الحجاج

---

١ بمباي مدينة كبيرة واقعة في جزيرة صغيرة يحيط بها بحر عمان أحصي سكانها سنة ١٨٨١ فبلغوا ٧٧٣،١٩٦ نفساً منهم ١٥٨،٧١٣ مسلمون ويبلغون الآن ٨٢١،٧٦٤ وهي رديئة الهواء لكثرة ما فيها من المناقع والعمق ولها تجارة متسعة مع الصين والبلدان الواقعة على شاطئ البحر الاحمر والخليج العجمي

من الجنود سيحملونهُ الى مكة المكرمة فيقع فيها الاتيان بجميع الحجاج القادمين اليها من سائر اقطار العالم وهناك الطامة العظمى والمصيبة الكبرى ولا سيما على القطر المصري الذي يعدونهُ مقرّ وبالة هذا الوبآء ومصدر تفشيهِ في جميع الامصار والانحآء . على ان الحكومة الخديوية قد وقفت لهُ بالمرصاد وبثّت تليه العيون والارصاد [١] ونحن نتوقع منها مزيد الاحتياط وتشديد المراقبة على السفن التي تمرّ في قناة السويس حرصاً على سلامة هذا القطر وتذرعاً بأسباب الوقاية على ما تقتضيهِ المحالفات الدولية . ومنهم من اوجس خيفة امتدادهِ الى اوربا عن طريق الخليج العجمي لان المسافة بينهُ وبين بمباي وقوراشي ستة ايام على السفن وليس ثمت من أسباب الوقاية ما يفي بدرء المخاطر من حمل جراثيم العدوى وقد اهتمت الحكومة الروسية بهذا الامر حرصاً على سلامة املاكها القريبة من الخطر ولعلّ المؤتمر الدولي الذي تقرر انعقادهُ في مدينة البندقية في اليوم العاشر من هذا الشهر يتدارك الخلل فيحتاط بانشآء محجر صحيّ في بندر عباس عند مدخل الخليج وآخر في املاك الدولة العثمانية على ما تلائم الاحوال

وقد اشتغلت الجرائد في هذه الايام بنقل اخبار الوبآء وتبارت مع المجلات العلمية بنشر الفصول الطوال في ذكر علاماتهِ واعراضهِ واسبابهِ وتشخيصهِ

١ من التدابير التى اتخذتها الحكومة المصرية على ما فى قرار مجلس النظار فى يوم الاثنين الواقع فى ٨ شعبان سنة ١٣١٤ و ١١ يناير سنة ١٨٩٧ عدم الترخيص لسكان القطر فى الذهاب الى مكة الا اذا اثبت الذى يقصد الحج اقتداره على نفقة السفر ذهابا وايابا على مدة ٦ اشهر على الاقل ووجوب منع الحجاج من الدخول الى القطر فيما لو حدث الوباء فى مكة والاقطار الحجازية الا بعد زواله بالكلية . وتعيين روجرس باشا والدكتور ملتون مندوبين لفحص احوال الوباء المتفشى فى بمباى . وتعيين الدكتور حسن باشا والدكتور ملتون مندوبين فى المؤتمر الدولى

وعلاجه مما لا نتعرض لهُ في هذا الموضع ولكننا نذكر من أمره ما يفيد القرآء معرفة حقيقتهِ ووجوه الوقاية التي ينبغي اتخاذها لدفع شرّهِ وصدّ غارتهِ فنقول

يمتاز الطاعون عن سائر اصناف الوبآء بما يصحبهُ من الدمّل والجمر وهما من خصائصهِ اللازمة فليس كل وبآء طاعوناً كما وهم بعضهم فادخلوا فيهِ ما ليس منهُ كانهم يرون الدمّل عرضاً اضافيًّا لا اعتبار لهُ في تقويم ماهية العلة على نحو ما قال الشاعر

شكوت جلوس انسانٍ ثقيلٍ   فجآءوني بمن هو منهُ أثقل
فكنت كمن شكا الطاعون يوماً   فزادوهُ على الطاعون دُمّل

ولذلك كان الوبآء الآثيني الذي فتك باليونان فتكاً ذريعاً سنة ٤٣٠ ق م غير الطاعون على ما أثبت المحققون ٠ وكذلك الموتان الذي حدث في المملكة الرومانية سنة ١٦٦ م والوبآء الذي اجتاح مصر وبقي يفتك بأهلها وباليونان مدة ١٠ سنوات (من سنة ٢٥٥ الى سنة ٢٦٥) على ما ذكر القديس كبريانس لان اطبآء تلك القرون ومؤرخيها لم يذكروا الدمّل والجمر مع الاعراض المميزة لهذه الاوبئة ولذلك اختلف الاطبآء المتأخرون في ماهيتها ٠ وزعم بعضهم ان الطاعون لم يُعرَف قبل عصر يستنيانس القيصر الروماني ولكنهُ يؤخذ من كلام دسقوريدس ان الوبآء الذي نشأ في مصر سنة ٣٠٠ ق م وانتشر في ليبيا وسوريا انما كان الطاعون وقد اطال الكلام في وصفهِ ووصف دملهِ وجمرهِ

أما الطاعون الجارف الذي حدث سنة ٥٤٢ م (في عهد القيصر يستنيانس) فقد امتدّ من مصر الى سواحل البحر المتوسط والعجم فلم يبقِ ولم يذَر وهو انما نشأ في طينة (بيلوز القديمة) وكانت فرضة مصر في ذلك العهد ٠ وفي خلافة الامام عمر بن الخطاب حدث طاعون عمواس بالشأم وأصاب الناس

بالبصرة مثلهُ وكان عدة من مات بهِ على ما ذكر ابن الاثير ٢٥ الفًا · وفي ايام الملك العزيز بن صلاح الدين الايوبي حدث الطاعون في مصر سنة ١٢٠٠ وسنة ١٢٠١ م وقد وصفهُ عبد اللطيف البغدادي الطبيب · ولم نقف بعد هذا التأريخ على ما يعوَّل عليهِ من اخبار هذا الوبآء الى سنة ١٣٤٧ م · الّا أن المقريزي ذكر في مؤلفهِ الخطط والآثار ما يستفاد منهُ انهُ انتاب مصر مرارًا زمن الشدة المستنصرية من سنة ٤٥٧ هـ الى سنة ٤٦٤ فاهلك اهلها وخرَّب ديارها وغيّر احوالها فصارت القاهرة يبابًا داثرة خاوية على عروشها خالية من سكانها وأنيسها · ثم حلّ بها وبآء سنة ٧٤٩ هـ وسنة ٧٦١ وهو الوبآء الذي انتشر في اوربا سنة ١٣٤٧ وقد سمي بالموت الاسود والطاعون الاسود ولا يُعلَم هل نشأ في مصر ام في الهند وامتدّ الى الصين فروسيا فبولونيا فالمانيا ففرنسا وايطاليا واسبانيا · وقد حلّ في انكلترا سنة ١٣٤٩ وفي نرويج سنة ١٣٥١ وكان عدد الذين توفوا بهِ في البندقية ولندرا ١٠٠,٠٠٠ وفي سيانا من توسكانا ٧٠,٠٠٠ وفي فلورنسا ٦٠,٠٠٠ وفي باريز ٥٠,٠٠٠ ومات بهِ من جماعة الكبوشيين وحدهم في المانيا ١٢٤,٤٣٤ وبلغ عدد المتوفّين بهِ في المانيا ١,٢٤٤,٤٣٤ وقُدِّر تباب ايطاليا نصف سكانها وتباب البندقية ثلاثة ارباع اهاليها وجملة الذين ماتوا بهِ في اوربا ٢٥ مليونًا من ١٠٥ ملايين وذكر البابا اكليمنضس السادس ان عدد الذين افنام الوبآء في العالم القديم يبلغ ٤٢,٨٣٦,٤٤٦ فتأمل · ولا مشاحةَّ في ان هذا الوبآء انما كان الطاعون لِما ثبت بما كتب عنهُ اطبآء ذلك العصر ومؤرخوهُ من حدوث الحمى والبثور والحَصَف ونفث الدم وعسر التنفس والبَخَر وورم الغدد وتقيحها الى غير ذلك

ثم انتاب الطاعون اوربا من القرن الخامس عشر الى السابع عشر وكان

آخر عهده في الدنمرك سنة ١٦٥٤ وفي السويد سنة ١٦٥٧ وفي انكلترا سنة ١٦٦٥ وفي سويسرا سنة ١٦٦٨ وفي هولندا سنة ١٦٦٩ وفي اسبانيا وايطاليا سنة ١٦٨١ . اما فرنسا فانهُ عاد اليها بعد زوالهِ منها محمولاً في سفينة تجارية وُسِقت حريرًا من مدينة صيدآء بسوريا الى مرسيليا سنة ١٧٢٠ وبقي يفتك فيها وفي المدن التي لم يُمنع الالتياث فيها مدة سنتين . ومن هذا القبيل وافدة مسينا سنة ١٧٤٣ فانها جُلبت من بلاد اليونان في مركب جنوي . وقد انقطع دابر الطاعون من اوربا في القرن الثامن عشر فلم يبقَ لهُ مقرٌّ الا في افريقيا وآسيا على انهُ ظهر بعدئذٍ مرارًا في الآستانة وفي البلاد الواقعة على ضفاف نهر الدانوب فانتقل من ثمَّ الى روسيا وترنسلفانيا ودلماتيا واليونان

وانتاب هذا الوبآء القطر المصري في اواخر القرن الماضي الى اواسط هذا القرن ٢١ مرة وذلك من سنة ١٧٨٣ الى سنة ١٨٤٤ وبعض وافداتهِ استمرَّ سنتين فاكثر ولذلك زعم بعضهم انهُ ينشأُ في وادي النيل رأسًا ويتفشى بسهولة لتوفر اسباب الوبالة فيها بما يتحلل من الحيوان والنبات ويفسد بفعل الحرارة والرطوبة فتتولد العفونات واكثر ما يكون ذلك في المضاحل والغَمَق . وقيل ان هذه العفونات تتولد من المطر في الشتآء على قلتهِ ولا تتولد من مآء النيل عند فيضانهِ ولذلك تحدث العلة في شهر فبراير وتنمو وتزداد من مارس الى ابريل وتخف وتتوقف في مايو وتتناقص وتزول في يونيو وليس للخماسين فعل في توليدها ولكنها تكون شديدة الوطأة على المرضى . وقال كلوت بك «الطاعون متوطن في ارض مصر يظهر فيها سنويًّا ويكون وافدًا كل ٦ او ٨ او ١٠ سنين» وهذا القول مردود بما ثبت من زوال هذه العلة من مصر منذ سنة ١٨٤٤ كما انها زالت من سوريا والاناطول والجزائر ومرّاكش منذ سنة

١٨٣٧ فضلاً عن ان وافدة سنة ١٨١٣ انما جُلبت الى الاسكندرية من الآستانة كما يؤخذ من تاريخ الجبرتي في كلامهِ على حوادث سنة ١٢٢٨ هـ. وهذه الوافدة تفشت في تلك السنة في مالطة فأودت بحياة ٤,٠٠٠ نفس وكانت شديدة الوطأة في الآستانة فمات بها ١١٠,٠٠٠ من اهاليها وكان في سنة ١٨٠٨ قد هلك بها ١٥٠,٠٠٠ وزالت منها سنة ١٨٣٩ بعد ان حُملت الى الفلاخ والبانيا والمورة وانتشرت في جميع ساحل البحر الادرياتيك ومن ثم امتدت الى نوجا من اعمال ايطاليا سنة ١٨١٥! ولم تتجاوز تلك المدينة الصغيرة بسبب الحجر الصحي المشدد ستأتي البقية

متفرقات

العين الكهربائية — هي آلة جديدة اخترعها الدكتور بوز استاذ الطبيعيات في المدرسة العليا بكلكوتا يُدرَك بها نفس الاشياء التي تُدرَك باشعة رنتجن من الاشباح المغيَّبة وراء الحجب الكثيفة الا أن أشعة رنتجن يستعان على ادراكها بالصفائح الحسَّاسة التي تنقل صورة ما تؤديهِ الى العين وهذه تحوّل تلك الاشعة عينها الى أشعة تدركها العين بنفسها من غير واسطة. ومحصَّل ما عُلم من أمر هذه الآلة انها مؤلفة من جهاز يولّد الاشعة الكهربائية وبازائهِ شبه دريئةٍ تجمع هذه الأشعة فتكون لها بمنزلة الشبكية في العين ثم تلقيها الى قابلٍ فيهِ قوة على تمديدها واحالتها الى أشعة مُبصَرة بحيث تتحول الموجة الكهربائية الى موجة ضوئية. فان صحّ خبر هذا الاختراع فهو ولا ريب من أغرب نتائج العلم في هذا العصر

الذهب في مآء البحر — رفع بعضهم الى الجمعية الملكية بأستراليا خلاصة بحثهِ في تحليل مآء البحر والكشف عن محتوَياتهِ فكان في جملة ما قرَّرهُ ان الوسق[1] منهُ يتضمن من ٣ الى ٥ سنتغرامات من الذهب المحلول منتشرًا بين دقائق المآء . وقدَّر غيرهُ ان في الميل المكعَّب[2] من مياه بحر استراليا ما بين ١٣٠ و ٢٦٠ وسقًا من الذهب (كذا) فاذا أخذنا معدَّل هذا التقدير وفرضنا ان في الميل المكعب من المآء ٢٠٠ وسق من الذهب وقدّر أن مآء ذلك البحر يبلغ ٤٠٠,٠٠٠,٠٠٠ ميل مكعب كان فيهِ من الذهب ما يرتفع مقدارهُ الى ٨٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ وسق

نكتة حسابية — اذا ضربت هذا العدد ١٤٢٨٥٧ في ٢ و٣ و٤ و٥ و ٦ كان الحاصل في كل ذلك ارقامهُ بعينها لكن بنقل بعضها وهو على ترتيبهِ من اليسار الى اليمين . وهذه صورة ضربها

١٤٢٨٥٧ = ١ ×

٢٨٥٧١٤ = ٢ ×

٤٢٨٥٧١ = ٣ ×

٥٧١٤٢٨ = ٤ ×

٧١٤٢٨٥ = ٥ ×

٨٥٧١٤٢ = ٦ ×

واذا ضربتهُ × ٧ = ٩٩٩٩٩٩

﴿ علاج العلل العصبية بالمؤثرات النفسانية ﴾

العلل العصبية كثيرة الضروب والأشكال لم يُهتدَ الى معرفة حقائقها على

---

١ نحو ٨٠٠ اقة   ٢ الميل نحو ١٦١٠ امتار

ما يقتضيهِ العلم لكثرة ما يعتورها من الغموض والإشكال ولذلك كان شفاؤها غالبًا بعيد المنال او ضربًا من المحال على أن الاطبآء متفقون على منفعة علاجها بالوسائط الادبية كالنهي والامر والوعظ والزجر ولكن هذه الوسائط لا تنجع ما لم يكن الطبيب حاذقًا والمريض موافقًا

انمـا تنجح المقـالة ـيـفي المر ءاذا وافقت هوًى في الفؤادِ

ومن الثابت أن الوهم يتغلب على اصحاب المزاج العصبي فهو العلة الفاعلة في توليد كثير من العلل العصبية فيهم وذلك ان الواحد منهم يتصور انهُ عليل فيتوجع ويتشكى ويتأوَّه ويتأفف وهو لا يزال يدمن ذلك ويبالغ فيهِ حتى يصير ملكةً راسخةً يزيدها الفعل والانفعال شدةً فتفضي بهِ الى الخبال واختلاط العقل

وقد نجح في علاج هذه العلل التنويم والايهام على الطرق المستحدثة مما سنبيّنهُ في هذه المجلة ان شآء الله ونجتزئ الآن بتلخيص ما قررهُ الاستاذ وَلَنْتَن في الجلسة السنوية لمجمع علمآء النفس والتنويم (٢٠ يوليو سـنة ٩٦) وهو انهُ شفى بطريقة التنويم والايهام كثيرين من المصابين بالامراض العصبية ممن لم تنجع فيهم المركبات الدوآئية وهو يعتقد ان هذه الطريقة افضل ما يعتمد عليهِ ـيـفي معالجة الامراض المذكورة . وقد أيد هذا الرأي دومنباياي فذكر حادثةً حاصل ما قررهُ عنها « ان فتاة عصبية المزاج بقيت ملازمة الفراش ستة اشهر لانهـا توهمت انها لا تستطيع المشي وقد رسخ هذا الوهم بما اشار بهِ طبيبها ووافق عليهِ اهلها من وجوب ملازمتها الفراش . ولكن الطبيب المذكور (منباياي) تغلب على وهمها فأقنعها وهي في حالة اليقظة بانهـا قادرة على المشي فمشت للحال ثم تغلب على أوهامها الأُخر فأزالها فثاب اليها رشدها وعادت الى الحالة الصحية وقد آمنت بانها شُفِيَت » قال « ويجتنَب النكس في مثل هذه الاحوال باقناع العليل

بانهُ لا يحدث واذا خيف حدوثهُ يُنوَّم »

اخبار الوبآء الاخيرة

يستفاد من الاخبار الاخيرة الواردة من بمباي ان الطاعون لم يزل آخذًا مأخذ الزيادة مع أن اكثر من نصف سكانها هاجروا منها وليس في ما تنشرهُ حكومتها من حوادثهِ ما يُوثق بهِ فقد اذاعت ان عدد الوفيات بهِ في الاسبوع الذي آخرهُ ١٩ يناير الماضي انما بلغ ٤٧٠ وهو ولا شك دون العدد الحقيقي بدليل ان مبلغ الوفيات في هذه الاثنآء بجميع الامراض في كل اسبوع كان على ما في تقاريرها الرسمية من ١,٧٠٠ الى ١,٨٠٠ فاذا أُسقِط منهُ عدد الذين يُتوفَّون بالامراض وفاقًا للتعديل الرسمي قبل حدوث الوبآء وهو من ٤٠٠ الى ٥٠٠ في كل اسبوع يبقى اكثر من ١,٣٠٠ وفاة بالطاعون في كل اسبوع وهو برهان واضح على شدة وطأة هذا الوبآء وفتكهِ الذريع مع كثرة المهاجرة والظاهر ان حكومة الهند تقصد كتمان الحقيقة فهي تزيد في عدد الوفيات بالامراض المألوفة كالحميات والامراض الصدرية وتقلل من عدد المطعونين . والحاصل ان مبلغ الوفيات بالطاعون في بمباي وحدها من بدآءة ظهورهِ الى ٢٩ يناير يزيد على ٧,٠٠٠ خلافًا لما نُشِر في التقارير الرسمية من انهُ ٣,٢٢٧

وقد ثبت ان المهاجرين من بمباي نقلوا الوبآء معهم الى الامصار الهندية فتفشى فيها وكانت من قبل سليمة . وقد حدث الالتياث في مدينة تبعد عن بمباي ١٧ ساعة بالسكة الحديدية بواسطة رجلٍ « واحدٍ » طُعِن على اثر وصولهِ اليها فلم يلبث ان اصيب ثلاثون شخصًا ماتوا كلهم

فعسى ان تنتبه حكومتنا الى هذا الامر الخطير فتبالغ في اخذ التدابير الواقية وتحتاط على القطر بما يدرأ عنهُ خطر انتقال العدوى اليه فالسعيد من وُعِظ بغيرهِ والشقيُّ من اتعظ بهِ غيرهُ

تنبيه

قد لغط بعض الناس في تسمية مجلتنا هذه باسم البيان وتوجهت علينا الدعاوي باننا قد سُبقنا الى هذه اللفظة ومُلِك علينا حقّ استخدامها حتى لقد بعث الينا بعض الادباء من ايام يقول انهُ عاملٌ منذ حين على انشاء جريدة سماها بالاسم نفسهِ ويسألنا ان ننزل لهُ عن هذه اللفظة .. وما كنا يعلم الله لنضنّ عليهِ بها ولا ضاق بحر اللغة عن الاتيان بلفظةٍ اخرى نجعلها اسماً لمجلّتنا لولا انها قد اشتهرت بهذا الاسم قبل صدورها بزمان اذ كان طلبنا للرخصة فيها منذ سنة ١٣٠١ على عهد المرحوم احمد حمدي باشا والي سوريا وذلك قبل اشتغالنا بمجلة الطبيب التي تولينا كتابتها سنة ١٣٠٢ وقد قُيِّدت مذ ذاك في السجلّات الرسمية. ثم صدرت الرخصة فيها بتاريخ ١٨ يناير سنة ١٣٠٣ بموجب مرسوم ورد على المرحوم علي باشا والي بيروت من جانب نظارة الداخلية مبنيٍّ على ارادة سلطانية وهي ثاني مرةٍ صدرت فيها رخصةٌ من هذا النوع بأمرٍ سلطاني كما صُرّح بهِ في المرسوم المشار اليهِ والرخصة في يدنا منذ ذلك الحين الآن الاحوال اقتضت تأجيل نشرها الى اليوم والاشياء مرهونةٌ بأوقاتها . ولذلك فنحن نرجو من هذا الاديب معذرة الكرام كما نأمل في غيرهِ ممن ادّعى سبقنا اليها ان يعلم اننا لسنا ممن يحوم على مثل هذا الوِرد والسلام

البيان

السنة الاولى —— الجزء الثاني

اول ابريل سنة ١٨٩٧

القوى النفسانية في الاطفال

لا شيء احقُّ بالانسان وأليق بهِ من معرفتهِ حقيقة نفسهِ ولا شيء اكثر امتناعاً عليهِ وابعدُ عن مرامي بصرهِ من ادراك ما وَسِعهُ هيكلهُ من القُوَى العجيبة والتراكيب الغريبة ولذلك قالوا الانسان اشيآء كثيرة فلكثرة ما هو بهِ كثيرٌ يعجز عن ادراك ما هو بهِ واحدٌ. لاجرم أنَّ هذا الهيكل العجيب والبناء البديع الذي هو آية الله في خلقهِ مؤلفٌ من دقائق لا يحصيها العدُّ ولا يحيط بها الادراك كلٌّ منها يقوم بعملٍ خاصّ ويستقلُّ بحياةٍ خاصّة ويعمل بالقوى الفاعلة في جميع الاجسام. وهذه الدقائق على كثرتها وتباين اشكالها واختلاف اوضاعها وتنوُّع العناصر المكوّنة هي منها تتضامُّ فتتكوّن منها الاعضاء وتتكافأ في القيام بما أُرصِدَت لهُ من المنافع التي تضمن لجملتها انتظام الاعمال الحيوية الى الاجل الذي أُتيح لها. فمعرفة الانسان نفسهُ من حيث هو مركَّب على كمال خَلقهِ وتمام خُلُقهِ لا يتهيأ الاحاطة بها لعاقل لِما يقف دونها من العقبات المنيعة ولاسيا في ما اختص منها بالنفس الناطقة التي هامت العقول في اودية

البحث عنها والتطلع الى غوامض اسرارها فهي المشكلة المعضلة التي ما برح الطبيعيون والفلاسفة والمتكلمون يتجاذبون اطراف حلها كلٌّ فريق على نحو ما فتح عليهِ مقدار علمهِ وثقوب ذهنهِ

لا جَرَم ان النفس البشرية مع ملازمتها لبدن الانسان وحلولها فيهِ من ابتدآء تكوينهِ انما تُعرَف بالقوى التي تصدر عنها والظواهر التي تبديها ونحن انما نبحث عنها الآن بحثاً علمياً في ابسط احوالها منذ تجليها على هذا الكائن الحيّ وهو جنين في احشآء امهِ الى ما بعد ميلادهِ بثلاثة اشهر مقتصرين في ذلك على ما قلّ ودلّ من غير تعرّض للمذاهب الفلسفية والمغالطات الجدلية اذ ليس من غرضنا الجولان في فيافي الخيال ولكننا انما نؤثر تقرير الحقائق العلمية الثابتة ببرهان المعاينة والامتحان

ذهب أرسطو الى ان النفس تظهر في الجنين بعد اربعين يوماً من حملهِ وعليهِ جمهور المتقدمين ومنهم حكمآء العرب والقديس توما اللاهوتي[1] . ومن الثابت اليوم ان الجنين يتحرك في الاسبوع الثامن حركة رحوية فيتخذ الحبل السُرّيُّ الشكلَ اللولبيَّ والدليل على ان هذا الشكل من حركتهِ ان الحبل المذكور لا يكون كذلك في الكثيرات الاجنة في الحمل الواحد اذ لا يبقى لأجنّتها مجالٌ للحركة وربما تحرك حركة اختلاج وارتعاش منذ الاسبوع الرابع وهو وقت تكوُّن الاطراف . ولا تشعر الأمّ بارتكاض الجنين الّا منذ الاسبوع الثامن عشر وهي حركة تزداد بمقدار نمآئهِ حتى يولد وربما دلت على بعض المؤثرات الخارجية كالاحساس بالبرد . اما حقيقة هذه الحركات وهل هي صادرة عن غير وجدان او

---

١ زعم ارسطو ان الجنين يكون ذا نفس فى اليوم الاربعين اذا كان ذكراً وفى اليوم الثمانين او التسعين اذا كان انثى وتابعه فى ذلك القديس توما اللاهوتى

هل يجوز ان تظهر قوى النفس قبل الولادة فالباحثون في منافع الاعضآء على انها قسرية من حيث طبيعتها منعكسة من حيث مصدرها والمتكلمون يقولون ان الجنين يشعر باللذة والالم ولا ريب في ان ذلك لا يكون الآ عن وجدان فهو ذو نفس كاملة . ولا يُنكر أن الوجدان موجودٌ حينئذٍ في ابسط احوالهِ وانما هو أثريٌّ يأخذ في النمآء منذ ذلك الحين ولا يزال يزداد ويتكامل بعد الولادة حتى يصير الطفل قادرًا على تمييز نفسهِ عن غيرهِ من الكائنات . وعليهِ يكون مبدأ القُوَى النفسية الفعل العصبيّ المنعكس حيث لا يكون للعقل والارادة سلطان ولو كان للحركة الصادرة عنهُ علةٌ غائية مقصودة اذا لا انفعال لا يكون بدون فاعل

ثم ان الجنين يُولد لتمام حملهِ طفلاً لا قِوام لهُ في ذاتهِ لانهُ لا يستطيع ان يستقلَّ بنفسهِ متحركاً حركةً يتوصل بها الى جلب النافع ودفع الضارّ وحواسُّهُ لا تعينهُ على معرفة الموجودات مما حواليهِ فلا تتطرق بها المحسوسات الى قوى النفس الباطنة وكأنهُ قد أُلقي في تيَّار هذا العالم بين اضطراب امواجهِ وليس لهُ من نفسهِ ما يساعدهُ على العوم فيهِ فاذا لم ترأمهُ أُمُّهُ يهلك . واول ما يبديهِ عند الولادة استهلالهُ بصياحٍ يدل على تألُّمهِ لتغيُّر البيئة عليهِ وملامسة الهوآء جلدهُ ونفوذهِ الى مسالك التنفس حتى اقصى حويصلاتهـا وتأثير اشعة النور على شبكيتهِ الى غير ذلك مما لم يألفهُ من قبل . وكأن المولود ينعر لساعتهِ من وحشةٍ يجدها لفراق وطنهِ الذي كان فيهِ اوكأنهُ يشكو ضعفهُ في تنازع البقآء ومغالبة الطبائع وفي ذلك مجالٌ ينفسح فيهِ القول للفلاسفة والشعرآء بالحِكَم وما احسن قول ابن جريج الرومي وقد ذكر هذه الحالة وما تأوَّل به من لطيف الحكمة

لِما تُؤذِن الدنيا بهِ من صروفها يكون بكآء الطفل ساعة يُوضَعُ

والاّ فما يُبكيهِ منها وانها لأفسحُ مما كان فيهِ واوسعُ
اذا عاينَ الدنيا استهلَّ كأنهُ بما سوف يلقى من أذاها يُفزَّعُ[1]

ثم انهُ يكون في بدآءَة هذا الطوْر من حياتهِ قاصرًا همهُ على الغذآء والنوم فلا يظهر من آثار قُوَــى النفس حينئذٍ الاّ الاعمال التي يسميها علمآء المنافع بالمنعكسة والفلاسفة بالقُوَى البهيمية او الشَهوية · على ان حاسّة اللمس تكون موجودة لان الجُسَيات والالياف العصبية تكوَّن في الشهر الثامن من الحمل وتنمي نمآء سريعًا فيبلغ وزن الدماغ عند الولادة ٣٨١ غرامًا وفي السنة الاولى بعد الولادة ٩٤٥ غرامًا وتظهر تلافيف الدماغ في الجنين منذ الاسبوع العشرين وتزداد غورًا وامتدادًا بتقدم العمر ومنذ ذلك الوقت تمين المراكز العصبية التي ترد اليها المؤثرات الخارجية وتصدر عنها الحركات المتساوقة · ولذلك كان مبدأُ القُوَى النفسية ورسمها ظاهرًا منذ الولادة لما هو معلوم من ان اعمال العقل لا تقوم الاّ بالمجموع العصبي فقول علمآء المنافع انها موقوفة على حركة الدقائق العصبية غير سديد لان بين حركة الدقائق والوجدان بونًا سحيقًا

ومعلومٌ ان الانسان في مبدأ الفطرة خالٍ من تحقق الاشيآء الاّ انهُ مجهزٌ بآلاتٍ يُدرِك بها كيفياتها بما بينها من المناسبات والمباينات فينتزع المعلومات الصادقة المحقَّة · وهذه الآلات هي الحواسّ الخمس التي تنقل المحسوسات الى الحسّ المشترَك فيعرضها على القُوَى العقلية حيث يقع الادراك والتمييز والحكم والارادة وتصدر الافعال المحركة وغيرها · ولكلٍ من هذه القُوَى مقرٌ خاصٌ في الدماغ يتعين

---

(١) وتروى هذه الابيات بثلاث قواف غير هذه قيل فى الاولى منها يولد وفى الثانية ارغد وفى الثالثة يهدد فيكون فيها على هذا نوع التخيير المشهور عند اهل البديع

بعد الولادة اذ لا سبيل قبلها للتأثر بالمحسوسات الخارجية فقد ثبت ان الحيوانات التي تولد عمياً كالكلاب لا يتعين مقرُّ القوّة المحركة في قشرة ادمغتها الّا بعد ان تبصر بثلاثة ايام فالحركات التي تبديها قبل ذلك انما تكون منعكسة مصدرهـا النخاع المستطيل لا الدماغ لانها غير خاضعة للارادة خلافاً للحيوانات التي تولَد مُبصِرةً كالخنزير والقنفذ فان حركاتها تكون ارادية صادرةً عن مقرٍّ معين في الدماغ ينشأُ حين الولادة باقتضآء المنفعة المترتبة عليه كما هو الحال في الاعضآء التي يتوقف وجودها على عملٍ تنفعل بهِ اذ تكون المنفعة هي العلة الفاعلة في التكوين. ولا ينكر أنّ للإرث شأناً في ذلك فأن العضو يتهيأُ بواسطتهِ للعمل قبل ان يقع على الحيوان تأثيرٌ من الخارج

واللمس هو اول الحواسّ منشأً واعظمها للحيوان نفعاً وكثيرٌ من الحيوانات السافلة ليس لها من الحواس غيره. على انهُ يظهر في النوع الانساني في الشهر الخامس من الحياة الجنينية ويكون أثرياً غير منتظم الى ما بعد الولادة بشهرين فيصير حينئذٍ وسيلةً لادراك اول ما يتهيأُ للاطفال ادراكهُ من المحسوسات الخارجية

وينشأُ الذوق على اثر نشوء اللمس لان الحاجة ماسةٌ اليهِ منذ الولادة فاذا أُدخلت حينئذٍ اصبعٌ الى فم المولود مصّها كأنهُ يحاول الرضاع ثم يتبرّم من ذلك بعد ايام كأنهُ قد شعر بالفرق بين الوهم والحقيقة. واذا أُعطي لبن البقرة غير محلًّى بقليل من السكّر مجّهُ وذلك دليل على سرعة نمآء هذه الحاسة فيه . وبعد قليل يظهر تعلّقهُ بمرضعهِ واذا اتى عليهِ شهران منذ ولادتهِ لم يعد يطيق استبدالها وليس الامر كذلك من قبل. على ان هذه الحاسة تجلب للطفل لذةً لا تجلبها حاسةٌ اخرى في بدء امرهِ

والشمّ انما ينشأُ بعد نشوء الذوق بمدةٍ فهو متمٌ لهُ اذ يكون وسيلةً لمعرفة الطفل بمرضعهِ بعد شهرين من ولادتهِ وقد رُوِيَ انهُ كان لداروين طفلٌ يستروح امهُ عن بعد ٨٠ مليمترًا فيحدّق ببصرهِ اليها ويحرّك شفتيهِ طلبًا للرضاع

ومعلومٌ ان طفل الانسان يُولَد غير مغمض العينين فاذا عُرّض للنور عند ولادتهِ انقبضت حدقتاهُ وطرف بجفنيهِ وهو دليلٌ على تأثر الشبكية ولكنهُ في الحقيقة لا يبصر لان مقرَّ البصر في الدماغ لا يتعين حينئذٍ وانما يتعين بعد الممارسة والتكرار وألفة الاشياء المُبصَرة على التدريج حتى تظهر قوة التنبه عند نهاية الشهر الاول بعد الولادة. ولا مراء في ان حاسة البصر هي رائد العقل في ادراك المحسوسات لانها الوسيلة لادراك الابعاد ومعرفة السطوح ولايتهيأ ذلك الّا في الشهر الثاني وهي تشترك مع حاسة اللمس في تمهيد السبيل لمعرفة الطفل باستقلال جسدهِ عن الاجسام حواليهِ

اما حاسة السمع فتظهر في الطفل بعد ثلاثة ايام من ولادتهِ بدليل انهُ يصيخ للمناغاة ويثور جأشهُ بالصخب على انها اقلّ نماء من حاسة البصر لاقتصارها على معرفة الاصوات

وهنالك قوًى نفسانية أُخر تظهر في الاطفال منذ نشأتهم مصدرها الفطرة وغايتها المحافظة على البقاء وليس لها علاقة بالوجدان ولكنها تنتقل اليهم بطريقة الإرث الطبيعي وقد سميت بالخُلق والسليقة والغريزة وسماها الحكماء بالقُوَى الشهوية والبهيمية ومن خصائصها التماس المنافع ودرء المضارّ. ومنها التنفس وهو اول تباشير الحياة يظهر حال الولادة اذ يباشر الهواء جسم الطفل. والنوم ويترجح حدوثهُ قبل الولادة فيعلل بهِ عن الفترة في حركات الجنين وهو لا يستوقف قوى النفس لان بعض الاطفال تظهر عليهم ابتسامةٌ في النوم كانهم يرون رُؤًى

مفرحة وبعضهم يحركون شفاههم للرضاع واحياناً تُرَى المقلة تتحرك تحت الجفون الوَسنى . والغالب على الاطفال النوم كثيرًا ولا سيما في النهار حتى يبلغوا اليوم العشرين من ولادتهم فيقلُّ بالتدريج بعد ذلك . ومنها الخوف وهو في الاطفال مسببٌ عن امور لا يكترث لها غيرهم كالقماط والغسل . والبكآء وهو لا يكون الاّ بعد نشوء الغدد الدمعية عقيب الولادة بعشرين يوماً وما كان قبل ذلك فهو صياح وصراخ . والابتسام وهو لا يكون قبل الشهر الاول . والضحك وهو لا يظهر الاّ بعد نهاية الشهر الثاني الى غير ذلك

والطفل يبقى في اول اطوار الحياة مدةً تحت مَلَكة الافعال العصبية المنعكسة واحكام الغريزة لا يُدرك من حقيقتهِ ما يعرف بهِ ذاتيته ُ ولا يميز بين جسمٍ وآخر فعمل حواسهِ أثريٌّ ووجدانه ُ مفقود الى ان يصير قادرًا على تحقق بُعد الاجسام واختلاف سطوحها بواسطة البصر وذلك لا يتأتى لهُ الاّ عند نهاية الشهر الثاني من ولادتهِ . ويُستدَلُّ عليهِ في الاسبوع السادس بعد الولادة بحركةٍ ارادية تظهر بتوجيه الطفل رأسه ُ نحو أُمّهِ اذا سمع صوتها فيتعلم ثمت ان يوجه عينيهِ نحو الاشيآء المرئية ويمرُن على ذلك الى ان يصير قادرًا على تسديد بصرهِ فتظهر حينئذٍ علامات التنبُّه في بدء نشأتهِ

ويصاحب نمآء حاسة البصر على ما تقدم ارتقآء حاسة اللمس فالطفل في بدء حياتهِ يمسك الشيء الذي يوضع في راحتهِ بدون وجدان فانقباض يدهِ حينئذٍ انما هو فعلٌ عصبيٌّ منعكس غير خاضع للارادة ثم يصير بتكرار التجربة والممارسة عملاً اراديًا يصاحبه ُ نموُّ الحِسّ العضلي فتظهر الحركات العضلية المتساوقة

ومتى بلغ الطفل الشهر الثالث من عمرهِ قويت حواسه ُ على تحقق المحسوسات وخضعت الافعال العصبية المنعكسة لسلطان العقل والارادة وانفتحت

لهُ ابواب الهداية بما يُعرَض عليهِ من المؤثرات التي يستفيد منها العلم بما يكون نافعًا او ضارًّا فيألف النافع وينفر من الضار ولا تزال القوى العقلية تنمي بالممارسة والاكتساب طورًا فطورًا والاستعداد الطبيعي يمهد امامها سُبُل الارتقاء حتى تبلغ الشأوَ العجيب · ومن الغريب ان الانسان في بدء امرهِ ينسى كثيرًا من الحوادث والآثار التي ترد عليهِ فلا يحفظ منها الّا ما كان مفيدًا لهُ في امر تنازع البقاء ولذلك كانت الذاكرة ضعيفة في اول العمر

ومعلومٌ ان هذه القوى تكون في الحيوانات غريزية في اصل فطرتها فالفراخ مثلاً تلتقط الحب حالما تنقف وأجراء الكلاب تمشي عند ١٠ تولد والمهر يستوي على قوائمهِ حينئذٍ والقرد يتسلق الاشجار بخفة منذ ولادتهِ · ولكن ذلك فيها يقف عند درجة القوّة البهيمية فلا يتعداها الى القوى السامية المميزة للانسان وهي التي تدخل تحت الارادة والعقل و تأخذ في النماء والارتقاء منذ اول اطوار حياتهِ على ما تقدم بيانهُ حتى تبلغ فيهِ الى درجة الكمال

المصريون

(تابع لما قبل)

والقبط من حيث المذهب ينقسمون اليوم الى ثلاث فِرَق ارثوذكس وانجيليين وكاثوليك والارثوذكس هم اقدمهم عهدًا واكثرهم عددًا[1] واشدّهم

١ زعم بعضهم ان القبط يبلغون الان ٧٠٠,٠٠٠ فاكثر ولم نقف على ما يثبت هذا القول فى احصاء يستند عليه والذى تحققناه على ما فى المؤلفات الموثوق بها انهم لا يزيدون على ١٥٠,٠٠٠ كما تقدم لنا ذكره (راجع موسوعات العلوم الفرنساوية الكبيرة فى لفظة « كنيسة القبط » صفحة ٦٢٦ من المجلد ١٥) الا ان فلاماريون ذكر فى معجمه الجارى الان طبعه انهم يبلغون ١٦٠,٠٠٠ وعلى كل حال فالحقيقة

اعتصاماً بالعقائد المسيحية على ما كانت عليهِ الى المجمع الخلكيدوني سنة ٤٥١ من المبالغة في التورُّع والقنوت وتطويل العبادات . وقد نبغ في الكنيسة الاسكندرية التي ينتسب اليها بطاركتهم رجالٌ لم تزل آثارهم ومؤلفاتهم تشهد بما كان لهم من الفضل والحكمة ولا سيما في القرن الثالث الى آخر الخامس ولا غرو فان مدرسة الاسكندرية كانت نبراس الفلسفة المشرقية الذي استضاءُوا بنورهِ واناروا العالم الى ان خبا بهبوب ريح المماحكات في العقائد المذهبية وما انضمَّ الى ذلك من اسباب المشاحنات والمنافسات بين رجال الدين ولا سيما بعد ان رُفع اسقف بزنطية الى مقام بطرك مسكوني بانتقال كرسي القياصرة اليها حتى آل الحال الى الشقاق والانقسام فاستقلت البطركية الاسكندرية ولبثت محافظة على لقب الكنيسة المرقسية وجعلت كرسيها القاهرة. وكانت الحبشة تابعة لها فكان البطرك ينصب رئيس كهنتها الذي يسمونهُ « ابونا » وبقي الامر على ذلك الى القرن السادس عشر. ومن ذلك يُعلَم ان الرابطة الدينية بين الحبشة والقبط موثَّقة العُرَى لم يُضعِف استحكامها الا انحطاط رجال الدين من هذه الطائفة فانهم لو اقتفوا آثار الصلحاءِ من اسلافهم وحافظوا على تقاليدهم القديمة لكانت الأُمَّتان أُمَّةً واحدة لايصدُّها عن الجدّ في سبيل الحضارة الاتفرق الكلمة وعدم اكتراث الرؤساءِ بتحصيل العلوم التي يتوقف عليها نجاح الأُمَّة وارتقاءُ شأنها

وقد نشط فريقٌ من نخبة رجال هذه الطائفة وأفاضلها لتدارُك تلك الحال والنهوض بالأُمَّة الى مجاراة غيرها من الأُمم السائرة في سبيل التمدُّن العصريّ فأنشأوا جمعية في القاهرة سموها بالجمعية التوفيقية وجعلوا لها فروعاً في

لا يقطع بها الا بعد ظهور الاحصاء الذى شرعت فيه الحكومة ولعل موعدنا به قريب ان شاء الله

سائر انحاء القطر وانحاز اليها المتأدبون وارباب الحميّة والالمعيّة من كل صوب مستمسكين بعروة الاتحاد الوثقى متوسلين الى اقامة الأَوَد وتعميم التهذيب بانشاء المدارس والالحاح في وجوب تعليم رجال الدين وتثقيف عقول الإناث . وعلى كون هذه اول خطوةٍ لهم في هذا السبيل فمع ما شوهد فيهم من المواظبة والثبات في طلب التقدم ومع ما هو متوفرٌ لهم من الذرائع المبلّغة الى نيل تلك الامانيّ على اتمّ وجوهها فالمأمول انهم لا يمضي عليهم طويل زمنٍ حتى يصلوا الى المنزلة التي يتقاضاهم العصر بلوغها ويسرّهم ان يصفهم بها الواصفون

وأمّا الفلاحون ويقال لهم العرب وانما هم في الحقيقة اخلاط من القبط الذين اسلموا والعرب الذين استولوا على البلاد منذ ايام عمرو بن العاص فسحناتهم مصرية وان كانت لغتهم عربية وآدابهم اسلامية . ويكفي لثبوت ذلك مقابلتهم بصور قدماء المصريين فيُرَى ان شكل القحف غير مستدير كما هو في العرب ولكنهُ مستطيل قليلاً كما في الموميآء والجبهة غير عريضة والشخوص الوجهي كما هو في القبط وكذلك العينان فهما نجلاوان والفم فهو باسم غليظ الشفتين والمنكبان عريضان والاطراف مسطحة مرتبطة بقوائم نحيفة كما هو الحال في التماثيل القديمة . ومدلول ذلك ان اختلاط العرب بالقبط كان كاختلاط اليونان والرومان بهم ضعيف التأثير ومثل ذلك اختلاط الكرد والترك وغيرهم بهم في الازمنة المتأخرة كأنّ العنصر الاصليّ اكثر ملاءمة لأثر الأحداث الطبيعية فهو يتفق مع تأثير الاقليم في اهتضام العناصر الاخرى متغلباً عليها على تراخي السنين ولذلك كان الفرق بين القبط والفلاحين مقصورًا على الحالة الاجتماعية واكثرهُ صادرٌ عن اختلاف الدين . اما من حيث الخصائص الطبيعية فلا فرق بينهم فيما يُعتدُّ بهِ مع ما عرض على الفلاحين من اسباب الاختلاط وثبوت القبط مستقلين

بخصائصهم لانحصارهم في شؤونهم الطائفية واستمرارهم على عوائدهم الاصلية. ولا عبرة باللون في التمييز بين سُلالة واخرى ما لم يكن مضافاً الى غيره من الخصائص الطبيعية اللازمة غير العارضة بسبب امر خارجي فلون الفلاحين يزداد سمرةً بمقدار ما يقتربون الى الجنوب وهو يكون في الاسكندرانيين اغثر وفي سكان مصر الوسطى اسحم وفي اهل الصعيد آدم وفي المنتشرين على حدود نوبيا اسحم . ومعلوم ان اللون يتوقف على نوعية المعيشة فالذين يصرفون حياتهم بالشغل في حر النهار تحت اشعة الشمس يكون لونهم ادكن بخلاف الذين يعيشون بالرخآء في ظلال البيوت والاسواق والمساجد فلونهم يكون اصفى وانقى وما احسن ما قال المتنبي

تسوّد الشمس منا بيض اوجهنا ولا تسوّد بيض العُذر واللِمَمِ
وكان حالهما في الحكم واحدةً لواحتكمنا من الدنيا الى حَكَمِ

ونسآء الفلاّحين رشيقات القوام عليهنَّ لمحة من الجمال ولكن العواطف قلما يظهر تأثيرها على ملامحهنَّ مع دَعَج عيونهنَّ . على ان جمالهنَّ لا يثبت الاّ قليلاً فهنَّ ينمين بسرعة ويبلغنَ في الثانية عشرة من عمرهنَّ ويلدنَ كثيرًا فاذا بلغنَ العشرين ذوت نضارتهنَّ وجفَّ مآء الحسن من وجوههنَّ وتهدلت صدورهنَّ حتى يخيَّل ان عمرهنَّ حينئذٍ خمسٌ واربعون ولذلك فكثيرًا ما يتعمدنَ التمويه وما يُصلِح العطار ما افسد الدهر . ومن الغريب ان اطفالهنَّ يُخلَقون نحافًا مهازيل كأنهم لم يولدوا ليعيشوا وتظهر عليهم في الطَور الاول من اطوار الحياة علامات الكُساح من ضعف البنية واسترخآء البطن وكبره فكثيرًا ما يهلكون صغارًا لعدم الاعتنآء بهم الا الذين أُتيح لهم الفوز في مغالبة الامراض فان احوالهم تستقيم في طور البلوغ فتنمي اطرافهم وتتبدل ملامحهم فتبدو عليها

امائر القوّة والرجولية في الفتيان واللطف والاعتدال في الفتيات

ومعلوم ان الامة المصرية لهذا العهد يتألف معظمها من الفلاحين وعددهم غير معروف بالضبط والتدقيق لانهُ لم يوجد حتى الآن احصآء يصحّ الاعتماد عليهِ الاّ الاحصآء الذي أُجري سنة ١٨٨٢ وقد بلغ مجمل سكان القطر بموجبهِ ٦,٨١٨,٠٠٠ واقلُّ ما يقال فيه انهُ صار متقادم العهد ولا سيما بعد طروء الاحداث المهمة في القطر منذ ذلك التاريخ فضلاً عما وجد فيهِ حينئذٍ من الخلل اذ ثبت عند جمع الرديف في احدى المديريات ان ٤٢,٣٠٧ اشخاص لم يقيدوا في سجلّات الولادة وان ادارة الصحة في مديرية

القرية تحرَّت في احدى السنين سجلّ المواليد فوجدت ان ٨،٠٠٠ طفل لم تقيد اسماؤهم فيهِ فما ادري الحكومة المصرية مع حرصها على الاصلاح وايثارها حسن النظام والضبط باجراءِ احصاءٍ[1] يتكفل ببيان الحقيقة لما يترتب عليهِ من الفوائد. والحاصل ان الاحصاء المذكور يؤخذ بهِ على علاَّتهِ بوجه التقريب واذا أُخذت مساحة الارض التي يشغلها السكان وقُسمت عليهم حصل لكل ١٧٨ نفساً كيلومتر مربع وذلك ما لم يبلغهُ محل في جميع ممالك اوربا

والمصريون من حيث المدنية اخوان في الدين متساوون في الحقوق يأتمرون باوامر الشريعة الاسلامية التي هي شريعة البلاد وينتهون بنواهيها ويحترمون ائمتهم وعلماءهم ويحفظون القرآن والسُنّة وعندهم العصبية ولكنهم ليسوا بمتعصبين كغيرهم ممن اعماهم الجهل واعمتهم الغباوة لطفاءُ المحاضرة على دماثة اخلاق ولين عريكة كرام في ضيافاتهم سريعو التودد اذكياءُ الخاطر يضرب المثل بهم في البداهة وسرعة الجواب وفي طباعهم الميل الى الدعة والسكون والقناعة والاعراض عن النظر في العواقب والاستسلام لحكم القضاءِ والقدر على نحو ما قال الشاعر

جرى قلم القضاءِ بما يكونُ فسيَّان التحرُّكُ والسكونُ
جنونٌ منكَ ان تسعى لرزقٍ ويُرزَق في غشاوتهِ الجنينُ

وقد اكثر المتكلمون في الطبائع من الكلام على الطلاق وتعدد الزوجات فاثبتوا انهما من دواعي ضعف الشرقيين حسّاً ومعنى وأطالوا في امتهان الشرقيين نساءهم ومنعهنَّ من التعليم والتهذيب ومعاملتهنَّ كالحيوانات على زعمهم الى غير

---

[1] بلغنا بعد جمع هذه المقالة ان الحكومة قد شرعت في احصاء سكان القطر فعسى ان يكون هذا الاحصاء الجديد بالغاً غايته من الدقة والضبط

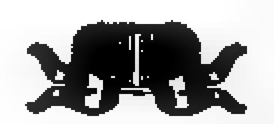
ذلك مما لا يصحّ اطلاقهُ ولا يخلو من المبالغة. على ان كثيرين من افاضل مصر وسوريا لا يؤثرون كثرة الزوجات على الزوجة الواحدة ويكرهون الطلاق ويعاملون نساءهم بالحسنى ولا يمنعون بناتهم وسائل العلم والتهذيب

وقد غلب على اصحاب الوجاهة والثروة من المصريين تحدّي العوائد الغربية في الملبس والمآكل والمفرش والزيارة والعيادة وتعليم الاولاد حتى نبذوا لغتهم العربية واهملوها فما افادوا ولا استفادوا الا قليلاً . ومن العجب ان فريقاً منهم مع اعتصامهم بعروة الدين الاسلامي لا يقرأون كتب الشرع العربي ولكنهم يتعلمون ما سمي بعلم الحقوق باللغة الفرنسوية طمعاً في الحصول على الشهادة المدرسية التي يقتضيها قانون الحكومة فلا يُسمَح بدونها لايٍّ كان ان يُقبَل في المحاكم وكيلاً عن المدعي او المدعى عليهِ فلو احسنت الحكومة ترتيب المدارس على وجهٍ يكفل للطلبة بالنجاح المقصود لكانت في غنى عن خسارة رجالها الذين ربّتهم لينتفع غيرها بهم فان الذي ينشأ في فرنسا مثلاً يكون فرنسويًّا والذي ينشأ في المانيا يكون المانيًّا والذي ينشأ في انكلترا يكون انكليزيًّا ومصلحة الوطن لا تقوم بشيءٍ من هذا . واعجب من ذلك ان ادارة المعارف موكولة الى من لا يحسن معرفة لغة هذا القطر الذي ما برح الى هذا العهد حِمَى اللغة العربية الوحيد ومنتجع آمال مريديها من مفيد ومستفيد ولنا على ذلك كلام نرجئُ الافاضة فيهِ الى غير هذا الموضع . وقد رأينا ان نشوء هذه العوائد واردٌ من قبيل نفوذ الاوربيين وتدخلهم في المصالح الادارية والسياسية . واما رجال الدين والتجار والعامة فلم يزالوا محافظين على عوائدهم القديمة عملاً بالشريعة والتقليد وزيهم معروف والعلماء يمتازون بالعمائم البيض والاشراف بالعمائم الخضر . واصحاب المناصب والموظفون في الحكومة كلهم يتزيون بالزيّ الافرنجي ولكنهُ

يترتب عليهم ان يلبسوا الطربوش ولو كانوا من الاجانب وفي الرسميات ان يتزيوا بما يعرف بالاستنبولينا اقتداَء بالحضرة الخديوية الفخيمة الحريصة على المحافظة على الشعار العثماني

ومن عوائد المصريين واخلاقهم انهم ميالون الى اللهو والطرب يؤثرون الغناَء وسماع الالحان الشجية الرقيقة النغم على سماع الموسيقى الاوربية ولهم في هذا الفن تصرف واسع فربما ابتكر المطرب صوتاً يحفظ عنهُ فينتشر في البلاد ويعم استعمالهُ فيشدو بهِ الرائح والغادي والملاح والحادي فكأن هذا الميل فيهم طبيعي يظهر في سكناتهم لتنبيه عواطفهم وفي حركاتهم للحث على العمل فتراهم في الموالد والاعياد والاعراس والولائم والملاهي ومحالّ القهوة يجتمعون زرافات زرافات لسماع الغناء على نغم الاوتار وفي شهر الصوم ينشدون الذكر حتى ان الباعين المتنقلين يطوفون الاسواق والشوارع وهم ينادون على الايقاع للاقبال على الشراء والفعلة تحت الاحمال الثقيلة يتراسلون التلحين كانهم يخففون بهِ وقرًا على كواهلهم . ومنها انهم مولعون بقهوة البن الا أن بعضهم يستعمل الحشيش تدخيناً وهو شرّ المسكرات لانهُ يؤدي الى الخمول وضعف العقل وموت الوجدان وبالتالي الى انحطاط الحالة المدنية

وقد أطلنا في هذا الباب فنقف منهُ عند هذا القدر خشية الملال ولعلنا نعود الى توفيتهِ حقهُ في فرصةٍ اخرى ان شاَء الله تعالى



مقالة في التربية

لحضرة الكاتب الفاضل عبد الله افندي المراش نزيل مرسيليا

(تابع لما قبل)

المطلب الثاني في المربين

فصلٌ

في الابوين

كل مَن طالع ما وصل الينا من كتب التعليم العربية جاز لهُ ان يجزم بأن مصنفّيها كانوا عُزَّابًا وانهم انما صنفوها لتعليم عُزَّابٍ مثلهم لانهُ لا يكاد يرى فيها شيئًا من امر تعليم الآباء والامّهات فنّ تربية الاولاد مع ان هذا الفنّ من اهمّ ما يجب عليهم تعليمهُ وتعلّمهُ . ونحن اذا تأملنا في ما قيل لنا عن سعة معارف الاقدمين من مصنّفي العرب وانهم لم يتركوا علمًا ولا فنًّا معروفًا في ايامهم الاّ صنّفوا فيهِ مصنفاتٍ عديدة وجدنا اغفالهم هذا الفنّ عجيبًا

واعجب منهُ ان نرى الناس في ايامنا هذهِ مع شدّة انصبابهم وهم شبّانٌ على تعلّم لغات الافرنج وتهافتهم على قرآءة ما فيها من القصص الملفّقة وتعريب اكثرها لا يطالعون ولا يعرّبون شيئًا يفيدهم اذا صاروا آباءً وهذا مع ان حياة الاولاد الذين عسام ان يولدوا لهم او موتهم ورشادهم او غيّهم كل ذلك موقوفٌ على كيفية تربيتهم

فلو ان احدًا من الناس اقدم مثلاً على تعاطي التجارة وهو لا يدري من علم الحساب ومسك الدفاتر شيئًا لاستحمقناهُ وترقّبنا ان تكون عاقبة تجارتهِ وبالاً عليهِ . ولو رأينا جارنا الحجّام قد نصب نفسهُ طبيبًا او جرّاحًا من قبل ان يتعلّم الطبّ او التشريح تعجّبنا من جرأتهِ ورثينا لحال المرضى الذين يُعوِل فيهم

مباضعهُ . لكننا ان رأينـا ابا ينصب نفسهُ لتربية اولادهِ ويسنّ سننًا ويشترع شرائع تجري احكامها على ابدانهم واذهانهم واخلاقهم وهو لا يدري شيئًا من امر قوانين الصحة وتخريج العقل وتقويم السيرة لم نتعجب من تهوّرهِ ولا رثينـا لحال اولادهِ المساكين الذين اقدم على تربيتهم وهو على هذهِ الحال

ألسنا نرى كل يوم ان عددًا وافرًا من الاولاد يموتون بسبب جهل والديهم بأبسط قوانين الصحة وان الذين ينجون من الموت منهم فانما يعيشون مساقيم ضعفاء البنية عاجزين عن احتمال أيسر المشاق محرومين التمتع بملذ الهناء قاصرين عن ادراك كثيرٍ من الاوطار والاماني التي يدركها اترابهم وكانوا جديرين بادراكها كغيرهم لو لا ما فاتهم من قوّتهم وصحة ابدانهم

وان رأى الابوان ان ولدهما قصيعٌ او ممراضٌ قالا هذا رزءٌ ابتُلينـا بهِ ونسباهُ الى سوء بختهما وكان الوجه ان ينسباهُ الى سوء تدبيرهما لانهُ ما من معلول طبيعيّ الّا ولهُ علةٌ طبيعيةٌ وعلة سقم ولدهما في اغلب الامر جهلهما بتربيتهِ . ولو قال لهما الطبيب ان وحيدهما قد هلك لعدم معرفتهمـا بمداراة صحتهِ فاية تعزيةٍ لهما في ان الاب منهما قد قرأ مثلاً كتاب الاغاني من الدفة الى الدفة وفي ان الامّ منهما قد تفرنست على جهل منها بالفرنسوية الحقيقية

نعم ان بعض امراض الاولاد موروثةٌ كبعض مناقبهم وشوائبهم فلا يمكن شفاؤها بمجرّد المداراة والتمريض الّا أن اكثرها مسببٌ عن جهل ابوَي الولد بتربية بدنهِ فهما لهذه العلّة مطالَبان بالتباعة لانهما لما اقترنا بعقد الزواج تعاهدا بالتضمين حتى لا نقول بالتصريح ان يحسِنا القيام على تربية مَن عساهُ ان يولد لهما من الاولاد لكنهما تقاعدا او كسلا او عجزا عن تعلُّم ما من شأنهِ ان يمكّنهما من الوفاء بما ضمنا . فجهلهما بابسط قوانين التربية واصولها ذنبٌ لا يُغتفر

اذ عنهُ تنشأ اكثر اوامرهما ونواهيهما وسننهما وشرائعهما السخيفة التي تهدم يوماً فيوماً وساعةً فساعةً بنية اولادهما بل اولاد اولادهما ايضاً

هذا من قبيل تربية البدن واما تربية الذهن اسي اعانة الطبيعة على شحذهِ وارهافهِ فانت خبيرٌ بان ذلك لا يكون كيفما جرى واتفق بل بمقتضى نواميس طبيعية لا ينبغي ان يجهل الابوان مبادئها على الاقلّ لان كل والدٍ يجهلها لا يصلح لاعانة الطبيعة على اتمام فعلها بل كثيرًا ما يعاندها. وسيجيء بعد هذا ان الولد يخرج ذهنهُ اول ما يخرج بما يعيهِ شيئاً فشيئاً من تلقاء نفسهِ ويجنيه لهُ فطنتهُ عفوًا من الخواطر البسيطة والمعاني المفردة حتى اذا اجتمع لهُ طائفةٌ متجانسةٌ منها في شيءٍ بعينهِ تدرّج بها الى معرفة ذلك الشيء بمقدار ما يستطيع. فمن واجبات ابويهِ اذًا ان يسهّلا لذهنهِ تحصيل تلك الخواطر والمعاني وذلك بان يُعِدّا لهُ يوماً فيوماً من الاشياء والامور التي تقع تحت حواسهِ ما تتنبّه لهُ فطنتهُ ويفهم بعض امرهِ بسهولةٍ حتى اذا ادرك شيئاً من كنههِ بالخبرة والمعاينة والملابسة بنفسهِ انتقش معناهُ في لوح ذهنهِ. فان كان الابوان نفسهما يجهلان كيف تتولّد المعاني المفردة في ذهن ولدهما وكيف تخطر الخواطر البسيطة في جنانهِ اول ما تخطر لم يصلحا لاعانة الطبيعة على تنوير بصيرتهِ

اما جهل الابوَين بما يتعلق بتقويم سيرة الولد وتهذيب اخلاقهِ فلا ينقص عن جهلهما بما يتعلق بتربية بدنهِ وانارة ذهنهِ حتى لا نقول انهُ يزيد عليهِ. انظر الى هذين الوالدين الحديثي السنّ فان الاب منهما كان قبل اقترانهِ بالامّ يتعلّم من قواعد العلوم الفلسفيّة ما لا يكاد يفهمهُ او ما لا يجديهِ نفعاً كبيرًا ان فهمهُ لكنّهُ لم يتعلم شيئاً مما عساهُ اذا تزوّج وولد لهُ ولدٌ ان يفقهَهُ على ما يجب عليهِ فعلهُ في تقويم سيرتهِ وتهذيب اخلاقهِ. ثم لمّا خرج من المدرسة قضى

المدة التي مرّت بين خروجهِ منها وزواجهِ في اللهو والتردد على الملاعب واهمل كل شيء يقفهُ على واجبات الابوّة . وكذلك الامّ منهما فانها كانت قبل زواجها تتعلّم التطريز ولغات الاعاجم ثم قضت المدة التي مضت بين خروجها من المدرسة وزواجها في زيارة اترابها او العزف على البيانو او تطريز ما لا حاجة بها اليهِ او قرآءة القصص الملفقة بلغات الافرنج بحيث لا تتادر منها سوى القصص التي موضوعها التربية لكنّها لم تلتفت اقل التفاتٍ الى واجبات الامومة التي هي صائرةٌ اليها ولم تُهيِّئ لذلك نفسها ولم يهيّئها لهُ احدٌ فلمّا اقترنت ببعلها ورزقهما الله اولادًا وشعرا بما أُلقي على كاهليهما من عبء تربيتهم

عيّا بأمرهم كما عيّتْ ببيضتها النعامه

لحارا في ذلك وطاش لبّهما منهُ لقلّة استعدادهما لهُ وأقبلا يتعرّضان لامورٍ لا يليق ان يتعرّض لها سوى الماهر الخبير ويأمران وينهيان بما ليس من فنهما حتى يُكسِبا الولد بذلك من العُرام والشكاسة ما لا يلبث آخر الامر ان يجعلهما مثلهُ في التبرّم وسوء الخُلق الى حدٍّ يذهب بما كان لهما في قلب الولد من المحبة . ثم انهما كثيرًا ما يجرّانهِ على افعالٍ يزيّنها لهما الهوى او الجهل حتى يزعما انها حسنةٌ من غير ان يعنّيا انفسهما بالبحث عن الاسباب التي حدتهما الى هذا الزعم وانما يكفيهما ان يكون الفعل مطابقًا في الظاهر لما يعتقدان انهُ حسنٌ سوآء كان في الواقع كذلك ام لم يكن . وهكذا يولّدانِ في قلب ولدهما الريآء او الخسّة او الأَثرة مكان الخلوص والانفة وظلف النفس . وربما امراهُ بالصدق في اقواله ثم يعدانهِ ولا يُنجزان او يوعدانهِ ولا يفعلان فيجرّانهِ بذلك على الاخلاف والنكث والكذب ويصيران لهُ فيها قدوةً . ويأمرانهِ بطول الاناة والحلم والتمالك ثم يسخطان عليهِ لاجل هَناتٍ وتُرّهاتٍ لعلها مما لا يستوجب

السخط فيدرّبانهِ بذلك على الغضب وشراسة الاخلاق

ولو لا أنّ في جبلة الاولاد ما يردّهم في الغالب الى النشوء على ما فيهم من السجايا الحسنة الموروثة لكانت تربية والديهم اياهم آفةً على اخلاقهم واي آفة

ستأتي البقية

الزجاج

الزُجاج جوهرٌ صُلبٌ شفّافٌ قَصِمٍ اي سهل الانكسار يرنُّ اذا نُقِرَ عليه ويُصهَر بالحرارة القوية القطعة منهُ زُجاجة وقد تُطلق على الكأس قال عنترة

ولقد شربتُ من المدامة بعد ما   ركدَ الهواجرُ بالمَشُوف المُعلَمِ

بزُجاجةٍ صفرآء ذات أسرَّةٍ   قُرِنَت بأزهرِ في الشمال مُفدَّمِ

وفي سورة النور « مَثَلُ نورهِ كمشكاةٍ فيها مصباحٌ المصباح في زجاجة » اي في قنديل من الزجاج . ويقال لصانعهِ زَجّاج وهي صيغة يُقصَد بها النسبة لا المبالغة بمنزلة العطّار والخزّاف ونحوهما . والزُجاج مركبٌ من الرمل والقلي والكلس او المَرتك (وهو اكسيد الرصاص) فاذا مزجت هذه المواد وصهرت تكونت كتلةً ليس لها شكلٌ خصوصي من خصائصها ان لا تذوب بالمآء ولا بالحوامض الاّ الحامض الفلور هيدريك[1] . ومنافع الزجاج وخواصهُ تختلف باختلاف المواد التي يُصنع منها فزجاج القوارير يصنع من الرمل الحديدي والرماد او من القلي والصلصال وكِسَر القوارير نفسها . وزجاج النوافذ يصنع من الرمل

---

(١) هو غاز خانق قوي الرائحة سام جداً يستعمل في الصناعة لحفر الزجاج وذلك بان تكسى الزجاجة التي يراد حفرها شمعاً ثم ينقش عليها الرسم المطلوب وتعرض لبخار هذا الحامض فيظهر الرسم . وهو انما يحفظ في انية من رصاص او كوتابرخا

الابيض وملح الصودا وقراضة الزجاج الابيض وشيء من الطباشير او الجير واكسيد المنغنيس . والبلور وهو اجود اصنافهِ واشدّها صلابةً واجتماعاً واكثرها بياضاً وصفاء يصنع العاديُّ منهُ من الرمل الابيض النقي والبوتاسا والمرتك ومنهُ صنفٌ يُعرَف بالبوهيمي لانهُ يصنع في بوهيميا ويركَّب من المواد نفسها وانما يشترَط فيها ان تكون على غايةٍ من النقاوة ويمتاز بخفتهِ وصفائهِ وصلابتهِ . وهناك اصناف اخر هي غايةٌ في صفاء اللون واجتماع الجوهر وجودة التركيب تستعمل في الآلات البصرية لتكبير الاشباح واستجلاء صورها

ويتوقف شفوف الزجاج وصفاء لونهِ على نقاوة المواد التي يُصنَع منها ومهارة الزجّاجين في مزجها وتركيب اجزائها وطريقة صهرها . وهم يسحقون هذه المواد سحقاً دقيقاً ثم يمزجونها ويجعلونها في بواتق من الخزف لا تتصدع بالحرارة العالية تُصَفّ صفاً متآزياً في تنور مضطرم حتى يُصهَر المزيج ثم تؤخذ منهُ كتلةٌ بطرف انبوبة من حديد مثقوبة يُنفَخ فيها فتتمدد الكتلة تمدداً كروياً ثم تعالج وهي لينة كالعجين على الشكل الذي يؤثرهُ الزجّاج من قوارير وكؤوس وصفائح وغيرها وقد رأيناهم يحوّلون الكتلة الزجاجية خيوطاً دقيقة تحاك وتُنسَج مُلاء واثواباً في لحظة من الزمان . وهم يقطعون الزجاج ويصقلونهُ وينقشونهُ ويعملون منهُ ما شاءوا بما استنبطوا من الآلات والحيل التي يضيق عن استيفاء شرحها المقام

والزجاج كان معروفاً عند القدماء فقد ورد ذكرهُ في مواضع كثيرةٍ من التوراة وقال بلينيوس ان اكتشافهُ يرد الى الفينيقيين وكانت مصانعهُ في صور وصيداء كثيرة وعنهم اخذ اليونان ثم برع الرومان في هذه الصناعة على ما تشهد بهِ آثارهم المعروضة في المتاحف وكان المصريون من اشهر من نبغوا فيها قديماً حتى بلغوا منها درجة من الاتقان والاحكام لم يبلغها المتأخرون الا من

عهد قريب وقد وُجد الزجاج في انقاض بمباي وهركولانوم . ولا مشاحّة في أن العرب اتقنوا هذه الصناعة في دمشق وبغداد والاندلس وعنهم اخذ البندقيون بدليل تحدّيهم في صنع القناديل المرسوم عليها بالميناء مما كانوا يستعملونهُ في الجوامع . اما مهارة الاوربيين فيها في عصرنا فحدّث عنها ولا حرج وأشهر مصانعهم في بوهيميا فانكلترا ففرنسا ولا غرو فان علم الكيمياء قد مهد لهم سبيل النجاح بما استنبطوا من ضروب التراكيب والامزجة ومعرفة المقادير والاوزان مع ما هم عليهِ من الاجتهاد والدأب في مزاولة الاعمال والمنافسة في الاتقان والمسابقة في التفضيل

وحسبُنا في بيان فضل العرب وبراعتهم في اتقان صناعة الزجاج وتلوينهِ التنبيه الى ما بقي من آثارهم في هذه الصناعة مما يشهد لهم بالحذق وبلوغ غاية الاتقان فان من رأى جامع قبة الصخرة بالقدس الشريف ادهشهُ ما يشاهد فيهِ من القطع الزجاجية البديعة المحكمة الصنع الملونة بالالوان المتناهية في الحسن المزينة بها نوافذهُ منذ ايام عبد الملك بن مروان سنة ٦٦ للهجرة وذلك حين منع اهل الشأم من الحج الى مكة واضطرهم الى حج الحرم الاقصى سبع سنين خوفًا من ان يأخذ منهم ابن الزبير البيعة لهُ . ويقرب منها في البهاء والرونق الزجاج الملون الباقي لهذا العهد اثرًا من آثار دولة المماليك في مصر فان نوافذ مساجد هؤلاء الملوك القائمة على ربوة في سفح الجبل الجيوشي مزينة بابدع القطع الزجاجية الملونة التي لم تَخلَق جدّتها على توالي السنين والسيّاح يزورونها ويعجبون من هذا الاثر العربي الذي يحق للمصريين ان ينافسوا بهِ الصناعة الحديثة

وليس من غرضنا الآن ان نباهي الامم ونفاخرهم بمصنوعات قدماء العرب على كونها جديرةً بالمباهاة خليقةً بالمنافسة وانما قصدنا تنبيه الخواطر في

اعقابهم من ابناء هذا العصر لينشطوا من عقال الخمول وينفضوا عنهم غبار الغفلة والذهول فما من احدٍ يجهل ان الاوربيين جاسوا خلال ديارنا فدينًا لهم صاغرين ثم اقبلوا علينا ببضائعهم ومصنوعات بلادهم فاستنزفوا اموالنا وغنموا حاصلات اراضينا ونحن غافلون وانما بلغوا ذلك منا بفضل ما اتقنوهُ من الصنائع وبلوغهم الغاية فيها مع تخلفنا عن الاشتغال بها فضلاً عن مباراتهم فيها فاصبحوا وهم الاغنياء ونحن المعسرون واصبحت بلادنا واقفة على شفا جرف الخراب ذليلة محكومة مغلوبة على امرها مسلوبة الخيرات من ارضها بل أحرِ بمثلها من البلاد التي نبذت الصناعة ظهريًا ان تكون هي البلاد التي يبيعها اهلها اضطرارًا بيع الغبن والغرر ثم ينقلبون عبيدًا يتحكم فيهم الغالبون وهم لا يشعرون . ونحن نرى ان البلاد المحكومة لا تستقيم امورها ولا تصلح شؤونها ولا تخلع عنها ربقة الرقّ اذا لم تستقلّ بنفسها وتستغنِ عن غيرها ولا استقلال لها الآن بان يدأب كل فردٍ من اهلها في التحصيل والكسب لا في المماحكة في السياسات والمشاحّات في العقائد وان يحثّ على الوئام والتضامّ لا ان يسعى في التعصب والتفريق . ولا ينكر ان الصنائع هي بعد الزراعة مصدر الثروة بل هي عنوان المدنية والعمران واعتبر ذلك بما نحن فيهِ من صناعة الزجاج فانك لو اتخذتها وحدها مثالاً في ذلك تبينت انهم يبيعوننا بها من تراب بلادهم ورملها بضاعةً نشتريها بالاثمان الفادحة فينتفع بها منهم الصانع والكيماوي وصاحب المعمل والمهندس والحاسب والكاتب والعميل والتاجر ونحن نتكلف عليها المرابحات والمكوس واُجر النقل ونحمل عليها الكسر وخطر الغرق وغير ذلك مما كنا نستغني عنهُ جملةً لو كانت تُصنع في معامل بلادنا وما نؤديهِ منها كان في جملة ارباح البلاد يخرج من ايدينا اليوم ليعود اليها غدًا

الطاعون

(تابع لما قبل)

ومما يدلُّ على ان مصر لم تكن دائماً مقرّ هذا الوباء ومصدر انتشاره نشوءه وافداته في غيرها بعد زواله منها بالكلية فقد ظهر سنة ١٨٥٦ في طرابلس الغرب وانتشر بين العرب قرب بنغازي وانتاب عسير منذ سنة ١٨٣٥ الى سنة ١٨٨٩ ولم يحمله البدو الى مكة على ما تشآءم به القوم حينئذٍ. وهو يكاد يكون متوطناً في العراق العربي بين دجلة والفرات فقد حدث في بغداد من سنة ١٨٥٦ الى سنة ١٨٦١ وتفشى سنة ١٨٦٧ بين العرب النازلين بعبر الفرات على طريق كربلاء ونجد واعاد الكرّة على بغداد سنة ١٨٧٣ وبقي الى سنة ١٨٨٠ . وحل في اذربيجان من بلاد العجم منذ سنة ١٨٦٣ حتى سنة ١٨٧٥ وامتدَّ الى كردستان وانتشر في خراسان وغيرها. وسنة ١٨٧٨ ظهر في بعض قرى استراخان فخافت الدول الاوربية من انتشاره الاّ ان التدابير الصحية حصرتهُ في مكانهِ ومنعت امتدادهُ

ومن المقرر ان الطاعون كان سنة ١٨١٥ شديد الوطأة في ولاية كُتْش وقطيوَر من اعمال بمباي وبقي الى سنة ١٨١٩ يفتك في الشتاء ويخف في الصيف ثم ظهر سنة ١٨٣٦ في مقاطعة مَرْوَر فهلك بهِ ٢١,٠٠٠ من اهلها واجتاح مدينة بالي وعدد اهاليها ١٥,٠٠٠ فأودى بحياة ٤,٠٠٠ منهم ووُجد منذ سنة ١٨٢٣ في مقاطعة غُرْهل الواقعة في حضيض جبل حملايا وبقي ينتابها الى سنة ١٨٧٧

وقد ثبت ان هذا الوباء متوطن في ولاية انّام من الصين منذ سنة ١٨٧١ ويكون وافدًا على حدود تُنكين كل ثلاث سنين او اربع. وقد اودت وافدة

سنة ١٨٩٤ التي تفشت في كنتون بحياة ١٨٠,٠٠٠ من اهلها وفي هنغ كنغ هلك بها ١٢٠,٠٠٠ وهي الوافدة التي تذكر بما وُفّقَ اليهِ الطبيبان يرسن الفرنساوي وكيتازاتو الياباني من كشف جرثومة الطاعون المخصوصية. وهي تُرى بالمجهر (ش١) على شكل انابيب بيضية بعضها اكبر من بعض قليلاً تتلون بالانيلين فتظهر اطرافها منفصلة واذا استُفرخت على مادة صلبة بقيت على الشكل الذي كانت عليهِ في الدُمَّل الَّا انهُ يظهر فيها هنات مستديرة وانبوبيات مستطيلة الى جانب

ش١ ش٢

الانابيب البيضية المذكورة آنفاً. اما اذا استُفرخت في مادة سائلة فتكون على شكل سبحة كل حبة منها توازي الاخرى (ش٢) ويرى غالباً في طرف السبحة او في وسطها حبة ممتازة بلونها وقدها واكثر ما يرى ذلك في دم الجُرَذ بعد تلقيحه. ومقرُّ الجراثيم الوبيلة الدمَّل والدم وسائر الاعضاء وهي شديدة الوبال على الفأر فالجُرَذ فالارنب فالخنزير الهندي. وقد ثبت ان الفأر اكثر قبولاً للوباء ولم يكن ذلك معروفاً من قبل فاذا حدث الطاعون في مكانٍ تصاب بهِ اولاً والهنود اذا رأوها تزأم استدلوا على حلول الوباء فيتركون قراهم ويولون الادبار

وبعد ان كُشِفت جرثومة الطاعون في الهند كما ذُكر آنفاً عاد الاستاذ يرسن الى باريز يدأب فيها مع بعض رصفائهِ تحت ملاحظة الاستاذ روكس في استنباط اللقاح الشافي من هذه العلة فنجح بتخفيف سمية المرض وتلطيف فعلها في الارانب والفأر وخنازير الهند وذلك بان استفرخ جرثومة الوباء بموجب الطرق المألوفة ثم وضعها في ابزن درجة حرارتهِ ٥٨ س مدة ساعة لتموت وبعد ذلك اخذ من هذه المادة شيئاً حقن بهِ في وريد الارنب فظهرت اعراض

العلة فيها ولكنها لم تمت كما لو حقن بالمادة الاصلية لان سميَّة المادة المحقون بها لم تكن كافية لهلاكها ثم استفرغ من مصل الارنب المحقونة على ١٠ ذكر وحقن منهُ بكمية ٣ سنتيمترات مكعبة ارنباً اخرى فقويت على احتمال سمية الجرثومة الفعالة فاستنتج من ذلك ان الجرثومة المخففة تعارض فعل الجرثومة الشديدة السمية في بناء الحيوان وكأنهُ سلط على العدو عدوًّا من نفسهِ كما قيل

ولكل شيءٍ آفةٌ من جنسهِ   حتى الحديد سطا عليهِ المبردُ

واعاد التجربة بان لقح الحيوان بالمادة الشديدة السميَّة وبعد ١٢ ساعة حقنهُ بالمادة المخففة فسلم من الموت وعوفي وعلى هذا النحو اجرى تجاربهُ على الخيل فشفاها والفرس المعافى على هذا الوجه يُفصَد بعد ثلاثة اسابيع من حين شفائهِ من العلة المسببة عن اللقاح ويؤخذ مصلهُ ويحفظ في قوارير ليكون معدًّا للاستعمال عند اللزوم

وبعد ان اسفرت تباشير النجح بهذه الطريقة عاد العلامة يرسن الى حيث مقر الوباء وجرب التلقيح بالمصل في فتى صيني مصاب بالطاعون الدملي فأبلّ منهُ وشفي في وقت قصير ثم لقح اثنين في كنتون فشفيا كذلك وقد ثبت انهُ شفى ٢١ مريضاً من ٢٣ في مدة ١٠ ايام بطريقة اللقاح ما عدا الثلاثة المذكورين آنفاً[1] وكان الثقه سريعاً ولم يمت الّا اثنان تأخر علاجهما الى اليوم الخامس من بداءة العلة وكان آيساً من نجاحهما لضعف القلب وفقد القوى من جراء شدة العلة وتقدمها

اما العدوى فقد انكرها كثير من نُطُس الاطباء منهم كلوت بك وحجته ان المصريين لم يكونوا يتجنبون مخالطة بعضهم لبعض في زمن الطاعون فلو كانت

---

١ يستفاد من الاخبار الاخيرة ان اللقاح بمصل الفرس المعافى يستعمل الان فى بمباى وقد نجح العلاج به فى الوقايه من هذه العلة كما نجح فى شفائها

العدوى واقية لما سلم احد منهم وان الوباء كان يتفشى في احياء كثيرة من تلقاء نفسهِ والامر ليس كذلك لانهُ قد ثبت ان هذا المرض الوبيل معدٍ ومن الادلة على عدواه اولاً انهُ ينتقل من مقر وبيء الى مكان سليم اما بحمل جراثيمه بالمربوء نفسه او بالاشياء الملوثة. ثانياً أن الذين يخالطون الموبوئين قلما يسلمون من العدوى وخطرها على الاطباء والممرضين كان عظيماً في جميع الوافدات التي حدثت حتى الآن. ثالثاً أن الذين اعتزلوا المرضى وتجنبوا المخالطة سلموا مع انهم كانوا في مكانٍ وبيء. رابعاً أن الحجر الصحي يحصره ويدرأ خطرهُ عن الاماكن المحجور دونها وذلك ثابتٌ فعلاً بدليل حصره في نوجا سنة ١٨١٥ على ما تقدم. خامساً أن التدابير الصحية تعارض انتشاره وامتداده وللمحجرات فضل في ذلك لا ينكر فانهُ لما ظهر في استراخان سنة ١٨٧٨ لم يتجاوز بلدة وتليئكا وكثيراً ما حملته السفن الى الموانئ فاحتُجر عليها واصيب اطباء المحجرات وخدمها فوقف عند هذا الحدّ وسلمت المدن من شرّهِ. سادساً لان التلقيح به يُحدِث العلة في الصحيح

وقد ثبت ان الهواء يحمل جراثيم العلة وينقلها من مكان الى آخر وان هذه الجراثيم تطرق الى البنية بالاستنشاق وان الذباب ينقلها الى الصحيح وقد وجدها يرسن في امعائهِ كما انهُ وجدها متخللةً في التراب على عمق ٥ سنتيمترات ومن تجاربهِ انهُ اخذ ذبابة وُجدت ميتة في مكانٍ وبيءٍ فسحقها ثم اخذ منها شيئاً نقعهُ في الماء المجرَّد[1] ولقح الجرذ بمقدارٍ منهُ فطُعن للحال. ولا يكون الماء في الحالة الطبيعية حاملاً لهذه الجراثيم لانها لم توجد فيهِ. وقد ثبت بالمراقبة ان

---

١ المراد بالماء المجرد الذي قد جرد من الجراثيم النباتية والحيوانية باغلائه حتى تهلك تلك الجراثيم

مجاري المياه الكبيرة تعترض انتشار الوبآء فلا يتعداها في الوافدة التي حدثت في لندن سنة ١٦٦٥ التجأ ١٠,٠٠٠ شخص الى السفن والمراكب الراسية في نهر التاميز فلم يُطعَن احد منهم واسطول مدينة مالطا سلم من وبآئها سنة ١٨١٣ فلم يُطعَن من ملاّحيهِ الاّ ثلاثة جالوا في اسواق المدينة. وفرّ سنة ١٨٩٤ من اهالي كنتون ٨٠,٠٠٠ نفس الى السفن والمراكب فسلموا كلهم من فتك الوبآء [1]

اما طرق الوقاية من العدوى فتؤخذ من المبادئ المقررة آنفاً مما لا نطيل في الكلام عليهِ الآن وعسى ان لا نعود اليهِ فيما بعد لكن حسبنا ان نستلفت الانظار الى ما في هذه العاصمة خصوصاً وسائر مدن القطر عموماً من الاسباب الباعثة على تفشي الامراض الوبيلة وتباب السكان اذا تفشت واخصُّ هذه الاسباب الاقذار المتراكمة والاسراب غير النافذة فهي مجتمع جراثيم الامراض المعدية ومقر كل وبالة . وانّا لنعجب من تغاضي الحكومة المصرية حتى الآن عن تدارك هذا الامر الخطير وهي قادرة عليهِ ولا يفوتها ادراك اهميتهِ. ومعلوم ان الانسان لايسعهُ اجتناب مضار الحرارة والرطوبة ومنع استنشاق الهوآء لان ذلك فوق استطاعتهِ ولكنهُ غير قاصر عن مضادة المواد المتعفنة بازالة القاذورات فمتى تخلصت مصر منها تسلم من كل وبآء باذن الله

ولم ارَ في عيوب الناس عيباً كنقص القادرين على التمامِ

١ في هذه الاثناء سأل مدير مصلحة الصحة في باريز الاستاذ روكس الشهير هل تهلك جراثيم الطاعون على درجة معلومة من الحرارة وهل بين المواد تفاوت في حملها الى البلاد البعيدة فاجاب على السوال الاول انها تهلك في بيئة رطبة متى بلغت درجة الحرارة ٥٨ س وذلك في اقل من ساعة فيجب ان تكون درجة الحرارة ١٠٠ لتهلك بسرعة وعلى السوال الثاني ان المواد تتفاوت في نقل هذه الجراثيم فالخرق والثياب الملبوسة اشدها خطرا اما الحبوب والخشب فلا يخشى من نقل العدوى بواسطتها اذا لم يوجد فيها جرذ او فار مطعون اه ملخصا

اخبار الوبآء الاخيرة

آخر ما ورد من بمباي ان الوبآء لم يزل يفتك فيها فتكاً ذريعاً والمهاجرة لم تزل على ازدياد ويقدّرون ان عدد الذين يخرجون منها في كل يوم ٨٠٠ شخص وقد بلغت الوفيات على ما في تقرير الحكومة الرسمي في الاسبوع الذي آخرهُ ٢٣ فبراير ١,٦٩٠ منهم ٧٨٠ بالطاعون وهو غير صحيح لان وفيات الاسبوع المذكور بهذه العلة تزيد على ١,٢٠٠ ولا غرابة في ذلك لان حكومة الهند الانكليزية لم تجرِ الاحكام التي تقررت اخيرًا في اتخاذ التدابير الملائمة لصحة العموم واجبار السكان على العمل بها

لطيفة

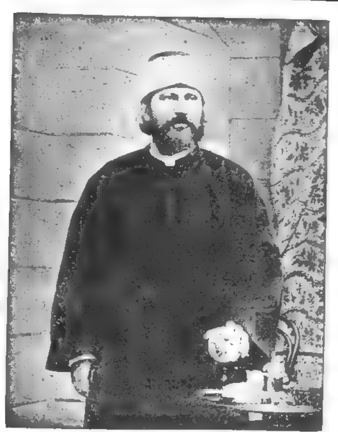
كانت حضرة سيف الدولة بن حمدان كعبةً لوفود اهل العلم والادب وكان للمتنبي عندهُ المكانة الاولى على ما هو مشهور حتى حسدهُ مَن ببابهِ من الشعرآء · ومن لطيف ما يُروَى ان الخالديّين — وهما شاعران أخَوان كان اكثر شعرهما مُشتَرَكاً بينهما — قالا يوماً لسيف الدولة انك لتغالي في شعر المتنبي فلو اقترحتَ علينا ما شئت من قصائدهِ حتى نعمل اجود منها · فداقهما في ذلك زماناً ثم كرَّرا عليهِ فاعطاهما القصيدة التي مطلعها

لعينيكِ ما يلقى الفؤاد وما لقي ‏ ‏ ‏ ‏ وللحبِّ ما لم يبقَ مني وما بقي

فأخذاها وأقبلا يتصفحانها فعجبا من اختيار سيف الدولة لها اذ لم تكن من فائق شعر المتنبي ثم عادا ينظران فيها حتى انتهيا منها الى قولهِ

اذا شآء ان يلهو بلحية احمقٍ ‏ ‏ ‏ ‏ أراهُ غباري ثم قال لهُ ٱلحقِ · · ·

فطنا لمراد سيف الدولة ولم يعاوداه



السيد جمال الدين الحسيني الافغاني

هــذا جمال الدين أمسى نازلاً　　جدثاً تضمن منه أسيئ دفين
قَدَرٌ بهِ عمَّ البكآء على امرئٍ　　فقدت بهِ الدنيا جمال الدين

نعت الينا أنبآء الآستانة انسان عين الفضل والكمال　　ومجمع أشعة الحكمة بل قطب دائرة العلوم على الاجمال　　رُحلة البلغآء وقدوة العارفين

وقاضي علوم الدنيا والدين السيّد جمال الدين الحُسَيني الأفغاني المشهور فرع الأرومة الزكيّة وسليل الحسب القائم من منصب السؤدد في الذروة العليّة فكان لمنعاهُ يومٌ اشتدّ وقعهُ على القلوب والمحاجر وطال سيف وصفه انين الأقلام فأمدّتها بالدمع عيون المحابر وكيف لا وهو خطيب الشرق الذي رنّ في الخافقَين صدى خطابهِ وإمامهُ الذي انبثقت انوار اليقين من سماء محرابهِ وأُستاذ علومهِ الذي ما فتئت الحكمة تتدفق بين فؤادهِ ولسانه وتطلع شموس البلاغة من بين خاطرهِ وبيانهِ وتجري مناهل العرفان بين أقلامهِ وبنانهِ

قضى رحمهُ الله في التاسع من الشهر الغابر بعلّة السرطان وقد تشبث منهُ بين الفكّ والنحر ودبّ في مجرى الفصاحة منهُ ولا عجب أن يدبّ السرطان في البحر فقبض ذلك اللسان عن تدفّق عُبابهِ وحبس تلك الدُرَر فما يبرز مكنونها من حجابهِ الى ان نقلهُ الله الى جوارهِ فذهب حميد الاثر ودُفن في قرافة المشايخ مذكورًا بالرحمة ما غاب قمر وناح طائرٌ على شجر

وهذه ترجمتهُ نلخصها عن فصلٍ لحضرة العلاّمة الفاضل الشيخ محمد عبده الشهير صدّر بهِ تعريب رسالتهِ التي كتبها في ابطال مذهب الدهريين على ما سيجيء ذكرهُ في الترجمة قال حفظهُ الله

هو السيّد محمد جمال الدين ابن السيّد صفتر من بيتٍ عظيم في بلاد الافغان تُنمى نسبهُ الى السيّد عليّ الترمذيّ المحدّث المشهور ويرتقي الى سيدنا الحسين بن عليّ بن ابي طالب كرّم الله وجههُ . وآل هذا البيت عشيرةٌ وافرة العدد تقيم في خطة كُنَر من اعمال كابُل ولها منزلةٌ عليّة في قلوب الافغانيين يجلّونها رعايةً لحرمة نسبها الشريف وكانت لها سيادةٌ على جزء من الاراضي الافغانية تستقلُّ بالحكم فيهِ وانما سلب الامارة من ايديها دوست محمد خان جدّ

الامير الحالي وامر بنقل ابي السيد جمال الدين و بعض اعمامهِ الى مدينة كابل

وكان مولد السيد جمال الدين في قرية اسعد آباد من قُرَى كَنَر سنة ١٢٥٤ وانتقل بانتقال ابيهِ الى مدينـة كابل و بها نشأ وتلقى علوماً جمة برع في جيمها منها علوم العربية بأطرافها والتأريخ العام والخاص وعلوم الشريعة بفروعها والمنطق والحكمة العملية والنظرية والعلوم الرياضية ونظريات الطب والتشريح . اخذ جميع تلك الفنون عن أساتذة ماهرين على الطريقة المعروفة في تلك البلاد وعلى ما في الكتب الاسلامية المشهورة واستكمل الغاية من دروسهِ في الثامنة عشرة من سنهِ . ثم عرض لهُ سفرٌ الى البلاد الهندية فأقام بها سـنةً و بضعة اشهر ينظر في بعض العلوم الرياضية على الطريقة الاوربيـة الجديدة . وأتى بعد ذلك الى الاقطار الحجازية لأداء فريضة الحجّ فاقام نحو سنةٍ ينتقل من بلدٍ الى بلد حتى وافى مكة المكرّمة سنة ١٢٧٣ فوقف على كثير من عادات الامم التي مرّ بها واخلاقها واصاب من ذلك فوائد غزيرة . ثم رجع بعد اداء الفريضة الى بلادهِ فدخل في بطانة الامير دوست محمد خان وصحبهُ في غزوة هراة وبعد وفاة الامير دوست اتصل بالامير محمد اعظم خان ولما أفضت الامارة اليهِ بعد اخيهِ محمد افضل خان رفع منزلتهُ واحلهُ محلّ الوزير الاول . ثم نشبت الحرب بين محمد اعظم خان وشير علي بن دوست وكانت العاقبة فيها لشير علي فانهزم محمد اعظم خان الى بلاد ايران وبقي السيد جمال الدين في كابُل مرعيّ الحرمة الى أن شعر بما اوجب تحذُّرهُ على نفسهِ فاستأذن شير علي في الخروج الى الحج وارتحل عن طريق الهند فأقام بها مدة شهر ثم نهض فركب الى السويس ودخل مصر فاقام بها أياماً يخالط اهل العلم . وفي اثناء ذلك عرض لهُ مأربٌ في السفر الى الآستانة فارتحل اليها ولم يطل مُقامهُ بها حتى تقرب من قلوب

الامرآء والوزرآء وعلا ذكرهُ بينهم وتناقلوا الثنآء على علمهِ ودينـهِ وأدبهِ . ثم سُمي عضوًا في مجلس المعارف فكان منهُ في هذه الخطة ما احفظ عليـهِ قلب شيخ الاسلام فجعل وكده السعي في اقصآئهِ حتى تمكن من ذلك في خبر ليس هذا موضعهُ واستخرج امرًا من جانب الصدارة بنفيهِ من الآستانة ففارقها متوجهًا الى مصر ووصلها في أول المحرَّم من سنة ١٢٨٨ . ولما القى بها عصاهُ أجرت عليهِ الحكومة رزقًا شهريًّا فاتخذ لهُ بها منزلاً وجعلت طلبة العلم تتوافد عليهِ فصادفوا منهُ بحرًا عذب الموارد زاخرًا بالفوائد. ثم رغبوا اليهِ في القرآءة فقرأ عدةً من الكتب العالية في فنون الكلام والحكمة النظرية والهيئة والتصوف واصول الفقه فعظم امرهُ في نفوسهم وانتشر صيتهُ في الديار المصرية . ثم وجه عنايتهُ لتنوير البصـائر واماطة حُجُبْ الاوهام وحمل تلامذتهُ على العمل في الكتابة وانشآء الفصول الادبية والحكمية والدينية فاشتغلوا على نظرهِ وبرعوا وتقدم فن الكتابة في مصر بسعيهِ وكان ارباب القلم في الديار المصرية القادرون على الاجادة في الاغراض المختلفة محصرين في عددٍ قليل

ولم يزل شأنهُ في ارتفاع والقلوب عليهِ في اجتماع الى ان تولى خديوية مصر المغفور لهُ توفيق باشا فسعى بهِ بعض ذوي المآرب عندهُ حتى غيروا قلبهُ عليهِ فامر باخراجهِ من القطر المصري ففارق مصر الى البلاد الهندية سنة ١٢٩٦ واقام بحيدر آباد وفيها كتب رسالتهُ (التي اشرنا اليها في صدر هذه الترجمة) في نفي مذهب الدهريين . ثم لما كانت الفتنة الاخيرة بمصر دعتهُ حكومة الهند الى كلكتا فألزمتهُ الاقامة بها الى ان انقضى امر مصر . وبعد ذلك خرج الى اوربا ووصل الى لندرا فأقام بها اياماً ثم انتقل الى باريز فلبث بها ما يزيد على ثلاث سنوات وهناك كلفتهُ جمعية العروة الوُثقى ان ينشئ جريدةً تدعو المسلمين

الى الوحدة تحت لوآء الخلافة الاسلامية فنشر منها ثمانية عشر عددًا هي آيةٌ في قوّة البلاغة وحسن البيان ثم كان من الحوادث ما اوجب الامساك عن نشرها فبقي بعد ذلك مقيماً باوربا اشهرًا في باريز واخرى في لندرا الى اوائل شهر جمادى الاولى سنة ١٣٠٣ وفيهِ رجع الى البلاد الايرانية

أما منزلتهُ من العلم وغزارة المعارف فليس يحدّها قلمي الاّ بنوعٍ من الاشارة اليها . ان لهذا الرجل سلطةً على دقائق المعاني وتحديدها وابرازها في صورها اللائقة بها كأنَّ كل معنى قد خُلق لهُ . وكل موضوعٍ يُلقى اليهِ يدخل للبحث فيهِ كانهُ صنع يديهِ فيأتي على اطرافهِ ويحيط بجميع اكنافهِ ويكشف ستر الغموض عنهُ فيظهر المستور منهُ واذا تكلم في الفنون حكم فيها حكم الواضعين لها . ثم لهُ في باب الشعريات قدرةٌ على الاختراع كأنَّ ذهنهُ عالَم الصنع والابداع ولهُ لَسَنٌ في الجَدَل وحذقٌ في صناعة الحجة لا يلحقهُ فيهما احد الآن يكون في الناس من لا نعرفهُ وقد اعترف لهُ الاوربيون بذلك بعد ما اقرَّ لهُ الشرقيون . وبالجملة فاني لو قلت ان ما آتاهُ الله من قوّة الذهن وسعة العقل ونفوذ البصيرة هو اقصى ما قُدِّر لغير الانبياء لكنت غير مبالغ . ذلك فضل الله يؤتيهِ من يشآء والله ذو الفضل العظيم

أمّا اخلاقهُ فسلامة القلب سائدة في صفاتهِ ولهُ حلمٌ عظيم يسع ما شآء الله ان يسع الى ان يدنو منهُ احدٌ ليمسّ شرفهُ اودينهُ فينقلب الحلم الى غضب تنقضّ منهُ الشهب . وهو كريمٌ يبذل ما بيدهِ قويّ الاعتماد على الله عظيم الأمانة سهلٌ لمن لاينهُ صعبٌ على من خاشنهُ قليل الحرص على الدنيا ولوعٌ بعظائم الامور عزوفٌ عن صغارها شجاعٌ مقدامٌ لا يهاب الموت . انتهى المنقول من كلام الشيخ

ووقفنا له على ترجمةٍ اخرى باللغة الفرنسوية فيها انهُ بعد ما فاوق اوربا سار يريد نجد فوافتهُ رسالةٌ برقية من الشاه ناصر الدين سلطان العجم يدعوهُ اليهِ فتحوّل قاصدًا بلادهُ ولما بلغ طهران احتفل بهِ الشاه احتفالاً بالغًا وادناهُ منهُ ورفع منزلتهُ وسماهُ وزير حربهِ وكان ينوي ان يرقيهُ الى مقام الصدارة

وبعد ان اقام مدة ببلاد فارس شاع ذكرهُ وتناقلت الألسنة فضائلهُ وغزارة علمهِ وادبهِ فتواردت عليهِ الخاصة من وجوه البلاد وامرآئها وعلمآئها ورأوا من كمال فضلهِ وسعة معرفتهِ باحوال السياسة والتأريخ وسائر العلوم قديمها وحديثها وتبحرهِ في معرفة الاديان مع ما رُزِقهُ من توقد الذهن وبلّة المنطق وقوّة الخطاب ما بهرهم وعظَّم بهِ وقعهُ في نفوسهم فانصرفت اليهِ الوجوه وملّكتهُ القلوب اعنّة اهوآئها . ورأى الشاه ان تسلّطهُ على النفوس يزداد كل يومٍ وحرمتهُ تعلو عند الامّة فاستشعر خشيةً من امرهِ واضمر الحذر من ناحيتهِ وتبين السيد جمال الدين ذلك من قِبَل الشاه فاستأذنهُ في الانصراف وخرج من البلاد الايرانية فصار الى موسكو ثم تحوّل الى باريز لشهود معرضها الذي كان سنة ١٨٨٩ وفيما هو مارٌّ في مونيخ من بلاد الألمان وافق الشاه بها فاجمل ملتقاهُ ودعاهُ للمصير الى بلادهِ وألحّ عليهِ في ذلك فسار في صحبتهِ وما كادت تستقرّ قدمهُ في بلاد ايران حتى تألب القوم حولهُ بما أربى على ما كان منهم في المرّة الأُولى ثم رغب اليهِ المتفقهون منهم ان يرسم لهم قوانين دستورية تجري بها الاحكام في نصابها من النَّصَفة والعدل وتُلزَم الحكام العمل بمقتضاها فأسرّ جمال الدين ذلك في نفسهِ ثم تلطف في عرضهِ على الشاه فاستصوبهُ ومال الى موافقتهِ عليهِ لكنهُ لم يلبث ان نكل عن قبولهِ بمشورة الصدر الأعظم فانهُ حذّرهُ عواقبهُ بحجة ان الأمّة غير متأهبةٍ لهُ فضلاً عن انهُ

يؤدّي الى تقييد سلطة الشاه وربما كان سبباً في تقويض عرشهِ

فلما رأى جمال الدين ذلك خرج الى المشهد المعروف بشاه عبد العظيم وهو مقامٌ مبنيٌّ على نحو اثني عشر ميلاً من طهران يُفضَى اليهِ بسكة حديدية فاستمرّ القوم يختلفون اليهِ في مقامهِ ذاك يفاوضونهُ فيما أُشربتهُ قلوبهم من امر القوانين والاحكام الى ان اتى على ذلك نحوٌ من ثمانية اشهر وامرهُ لا يزداد الاّ انتشارًا حتى ثارت الخواطر في جميع اطراف البلاد

وتخوّف الشاه عاقبة ذلك على سلطانهِ فوجّه الى شاه عبد العظيم خمس مئة فارس مدججين بالسلاح فقبضوا عليهِ وهو مريض في فراشهِ وقادهُ خمسون منهم الى الحدود العثمانية فكان عن ذلك هرجٌ شديد في البلاد الايرانية وانتشرت المشاغب وكثرت الرسائل والمنشورات وتواردت على الشاه كتب التهديد بان يجري على مقترحهم او يخلع نفسهُ من الملك حتى بلغ منهم ان حاصروهُ يوماً في قصرهِ

وسار جمال الدين بعد ذلك الى البصرة لتفاقم العلة عليهِ بسبب اشتداد البرد في تلك الديار فلبث بها سبعة اشهر الى ان تماثل من مرضهِ ثم نهض متوجهاً الى لندرا فأنشأ بها جريدةً سماها ضياء الخافقين اكثر فيها من الطعن في سياسة الشاه وتهييج خواطر الأمة من رعيتهِ عليهِ وكان يكثر التردد الى المحافل السياسية يخطب فيها في أمر الشاه وحضّ رجال الدولة الانكليزية على خلعهِ واقام على ذلك مدة ثمانية اشهر . وفي اعقاب ذلك بعث السلطان عبد الحميد يستدعيهِ اليهِ على يد رستم باشا سفيرهِ في لندرا فأجاب بعد ما امتنع على أن يؤذَن لهُ في العودة الى اوربا متى شاء وقدم الاستانة سنة ١٨٩٢ فتلقاهُ السلطان بتعطفاتهِ واحسانهِ واجرى عليهِ رزقاً واسعاً وكان كثيرًا ما يدعوهُ ويخلو بهِ في

أغراض سياسية ليس من شأن هذه المجلة التعرّض لها ولا لغيرها مما اتفق لهُ من الحوادث مدة اقامتهِ بالآستانة حتى ظهر فيهِ الداء فألزمهُ الفراش أشهرًا قاسى في اثنائها عذابًا واصبًا الى ان اختار لهُ الله ما عندهُ فذهب مأسوفًا عليهِ تغمدهُ الله برضوانهِ وافرغ عليهِ سحائب رحمتهِ وغفرانهِ

∴

هذا ما وقع الينا من ترجمة هذا الرجل الشهير وهي كما تراها أدنى ان تكون ترجمة رجلٍ سياسيٍّ قد جعل نُصبَ ناظرهِ غرضًا بعيدًا لا تبلغ اليهِ ذراعهُ ولا تصبر عنهُ همتهُ وأطماعهُ فهو ابدًا تمثال يقظتهِ وطيف منامهِ وحديث خواطره في رحلته ومُقامهِ

وكنتَ اذا ارسلتَ طرفك رائدًا   لقلبك يومًا اتعبتك المناظرُ
رأيتَ الذي لا كلهُ انت قادرٌ   عليهِ ولا عن بعضهِ انت صابرُ

فأقبل يضرب اليهِ آباط المسالك ويُكثِر في التماسهِ من الحركة في البلاد والتنقل في الممالك لا تستقرّ لهُ قَدَمٌ ولا يقف على ساق ولا ينزل رحلهُ في افقٍ من الآفاق ولسان حالهِ ينشد قول المتنبي

يقولون لي ما انت في كل بلدةٍ   وما تبتغي ما ابتغي جلّ ان يُسمى

وانما تُدرَك الآمال بمضافرة الرجال وتُبلَغ الاوطار بموازرة الاقدار ولا نصيرَ اذا لم يَنصُر القَدَر ولا رفيقَ اذا توعرت شُقّة السفر وكانت محفوفةً بالخطر فلا عجب اذا قصَّر مشايعوهُ عن مجاراتهِ وتخاذل مريدوهُ عن موالاتهِ فكان كما قال المتنبي ايضًا

وحيدٌ من الخلّان في كل بلدةٍ   اذا عَظُم المطلوب قلّ المساعدُ

وانما هي نفسهُ الكبيرة اقدمت بهِ على ركوب العظائم ومنّتهُ ان يبلغ منفردًا ما لا يُبلَغ الا بالجيوش الخضارم فلا مأربًا نال ولا نفسهُ أقال ولكنهُ اضاع

ايامهُ في الطلب ولم يجنِ من امانيّهِ سوى النَصَب وما احسن ما قال المتنبي ايضاً

واذا كانت النفوس كباراً تعبت في مرادها الاجسامُ

وانما انتزع المتنبي هذه المعاني من صحيفة أيّامهِ وما قرأ فيها من تخلُّف جدّهِ وتقدُّم إقدامهِ كما قال

ابدًا اقطع البلادَ ونجمي في هبوطٍ وهمتي في صعودِ

فقد طُبع الرجلان على غرارٍ واحد وان تفاوت الحدثان ونشأا في منشإ واحد وان تباين البلدان فدرَج كلٌّ منهما بين صليل السيوف وصهيل الجياد وترعرع بين مزاحف الصفوف ومواقع الجلاد في بلادٍ لا حكم فيها الّا للغالب ولا شرع الّا ما حكمت بهِ شفار القواضب وحقيقٌ بمن ربي على مثل تلك الحال ان يخرج صُلبَ النفس رغيب الآمال ولا سيما اذا كان لهُ قديمٌ يرجع اليهِ بصرهِ او فائتٌ يستحثهُ للكرّ على أثرهِ

وعجيبٌ من مثل السيّد على استضاءَة بصيرتهِ بنور اليقين وضمهِ بين حاشيتي علوم المتقدمين والمتأخرين ووقوفهِ على يفاعٍ من الحكمة يجمع الدنيا منهُ بنظرة ويستقصي اطرافها بلمحة وقد تجردت لهُ عن زينتها وزخارفها واماطت لهُ اللثام عن اباطيلها وسفاسفها أن يبقى في نفسهِ مكانٌ لشيءٍ منها يقال لهُ الرئاسة وتنزع همتهُ الى حالٍ من احوالها تسمى بالسياسة بل ما كان أجدرهُ وقد رُزق من توقد الذهن وسعة المحفوظ ما كان فيهِ آيةً من آيات الله وأُوتي من قوّة الحكم وسرعة الخاطر ما انفرد فيهِ عن النظرآء والأشباه ووعى في صدرهِ من اصناف العلوم العقلية والنقلية ما كان فيهِ نسيج وحدهِ ومن سياسات الممالك وتواريخ الأمم ما عزّ على غيرهِ من بعدهِ أن يُنزل نفسهُ من دُنياهُ حيث أنزلتهُ الفطرة ولا يتعدى ما قسم لهُ القَدَر ووجد من نفسهِ عليهِ القدرة

فيصل أيامهُ وقفاً على الاشتغال والنفع واستزادة ما شآء الله من العلوم مما هو متأهبٌ لهُ بالطبع وتسطير ما يُفتح بهِ عليهِ مما غفل السلف عن تدوينهِ او فاتهم الوصول اليهِ من علوم هذا العصر وفنونهِ ولو فعل لكان إمام الدنيا بلا مدافع وكانت حياتهُ طافحةً بالفوائد والمنافع ولتجاوبت الآفاق من صدى ذكرهِ بما لا يأتي عليهِ كرور الليالي ولا ينقرض الاَّ بانقراض القرون والاجيال فسبحان من لا يَشغلهُ شأنٌ عن شأنٍ وهو الكبير المتعال

أسئلة وأجوبتها

القاهرة — قد استفاضت الجرائد في هذه الايام بذكر ما يسمَّى بالدوطة فمن الكتَّاب من نقلها بلفظها الاعجمي ومنهم من عرَّبها تارةً بالمَهر وتارةً بالصَداق وهما خلاف المقصود لان المراد بهما ما يؤدّيهِ الزوج الى الزوجة عند عقد القران والدوطة بالعكس كما هو معلوم فهل كان عند العرب شيءٌ يقابل الدوطة وايُّ لفظٍ يصحُّ ان يعبَّر بهِ عن هذا المعنى لبيبة ماضي

الجواب — لا شك ان العرب لم يكن عندهم شيءٌ في معنى الدوطة اذ لم يكن ذلك معروفاً عندهم كما لم يكن معروفاً عند اهل المشرق عامةً ولذلك لم يكن في لسانهم لفظٌ يعبَّر بهِ عن هذا المعنى: على ان الظاهر من استعمال لفظة الدوطة عند الافرنج انها غير مخصوصة بالمال الذي تؤدّيهِ الزوجة الى الزوج وانما هو قيدٌ اتفاقيٌّ غلب بغلبة العادة فانهم يستعملونها ايضاً بمعنى المال الذي

يؤدّيهِ طالب الرهبانية الى الدير وهي في هذا المعنى تتناول الذكر والانثى على السوآء . وقد تُطلَق ايضاً على المال الذي يُفرِدهُ الوالد لولدهِ على وجه التخصيص والتمليك ذكرهُ غير واحدٍ من مشاهير علمآء اللغة عندهم وما احرى هذا المعنى الاخير ان يكون هو المعنى الاصليّ في هذه اللفظة . وهذا ولا شك مما كانت تفعلهُ العرب شأن غيرها من كل أمّة يقولون نَحَل الرجل ولدهُ مالاً وأنحلهُ اذا خصّهُ بشيءٍ منهُ ويسمّى ذلك المال النُحل والنُحلان بالضمّ فيهما . وجآءَت ايضاً البائنة بالمعنى نفسهِ الاّ انها اخصّ من النُحل يقال أبان الرجل ولدهُ ابانةً اذا أفردهُ بمالٍ يكون لهُ على حِدَة وقد بان الولدُ بذلك يبين بيونًا ولا تكون البائنة الاّ من الابوين او من احدهما . على ان النُحل قد يجيء بمعنى الصداق ايضاً ومثلهُ النِحلة بالكسر فهو من اللفظ المشترك واذا استُعمل في المعنى الذي نحن فيهِ كان من الأضداد اي الالفاظ التي تُستعمَل في الشيء وضدّهِ ولذلك يُختار هنا العدول الى الإبانة دفعاً للالتباس والله اعلم

بيروت — كثيرًا ما يجيء في كتب النحو والمنطق عند تعريف اللفظ ذكر الدوالّ الاربع وهي التي يخرجونها من التعريف ويضمرونها بالخط والاشارة والعقد والنصب . فاما الخط والاشارة فمعلومان واما العقد والنصب فلم اجد من فسرهما على اني رأيت من يضبطهما بضم الاول وفتح الثاني وهو مما يزيد الامر اشكالاً فهل لكم ان تفيدونا ما المراد بهما وكيف حقيقة ضبطهما ج . م

الجواب — اما ضبطهما فكل من سمعناهُ يرويهما من اهل المصطلَح ينطق بهما بضمّ ففتح كما ذكرتم ولا وجه لهُ الاّ ان يكونا جمع عُقدة ونُصبة بالضم

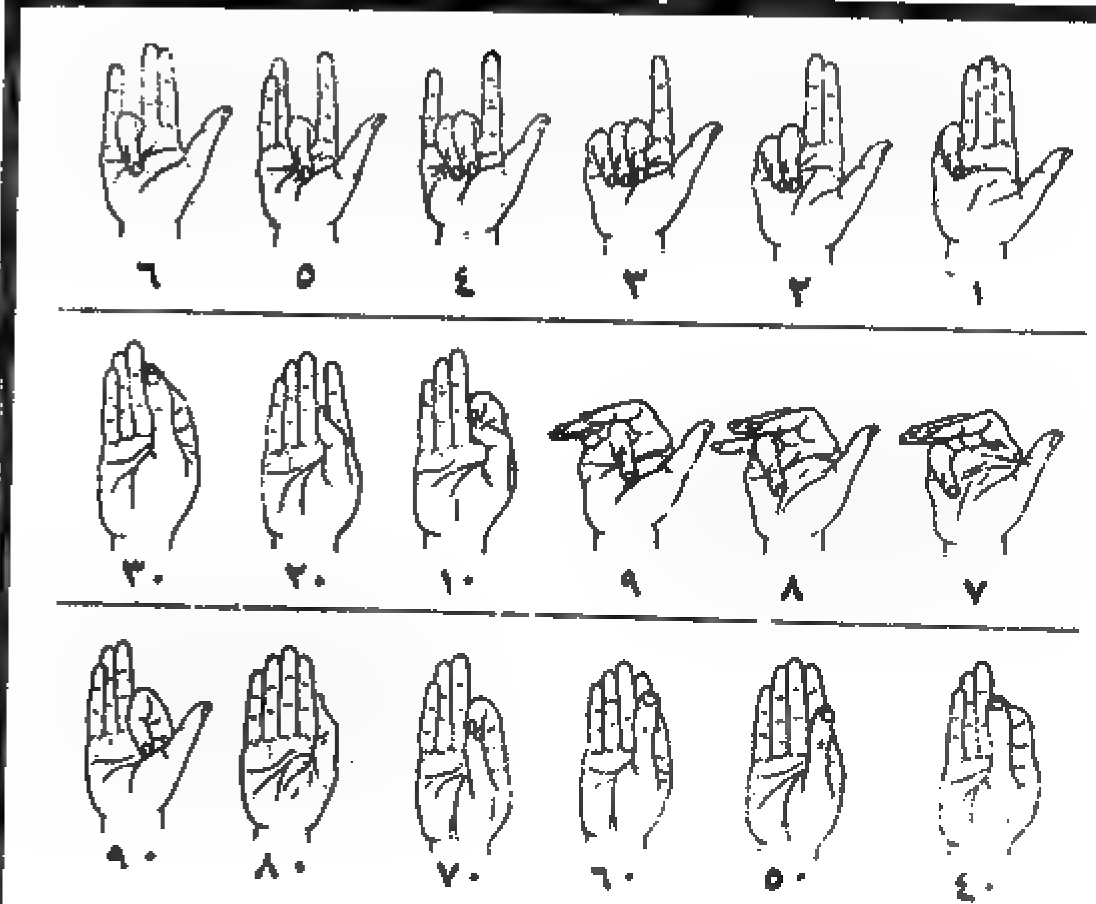
فيهما بل جآء في بعض الكتب في مكان النصب النصبة مصرَّحاً فيهِ بالتآء .
وحينئذٍ فأقرب ما تفسَّر بهِ العُقدة في هذا الموضع انها اسمٌ لموضع العَقد أُخذت
من عقدة الحبل ونحوهِ كما أُخذ الفعل مما سيجيءُ وان لم يصرّح اللغويون باستعمالها
في هذا المعنى . واما النُصبة فلم ترد في كتب اللغة الاّ بمعنى السارية وهي العمود
فلا تنطبق على المقصود الا بتكلف . وقد سألنا بعض اكابر اهل العلم عن ضبط
هذين اللفظين ومعناهما فلم يكن عندهم في ذلك غنآء ولم يزيدوا على قولهم هذا
امرٌ قد انتهى الينا على هذا الوجه وغابت عنا اصولهُ . ولعلّ الاشبه في ضبطهما
ان يكونا بفتح فسكون على انهما مصدران بمنزلة الخط والاشارة . واما معناهما
فالاظهر أن المراد بالنصب اقامة ما يُستدَلّ بهِ من المنار والحدود واشباه ذلك
مما يجري في هذا السبيل . واما العقد فلا شك انهُ الحساب بالاصابع بان يشار
بعقدها الى العدد على جهة التواطؤ على هيئات معلومة وقد اضرب المصنفون
والشرّاح عن بيان ذلك في كتبهم كما سكت علمآء اللغة باجمعهم عن الكلام فيهِ
مع ورود كثيرٍ منهُ في مصنفات اهل الادب وبنآء بعض المتداول من كلام
العرب عليهِ وهو من العجب بمكان . ولقد تفقدنا كتب اللغة في هذا الموضع فلم
نجد الاّ قول صاحب القاموس وعَقَد الحاسب حَسَب لم يزد عليهِ ولا تعرَّض
الشارح لشيءٍ فيهِ واغفل صاحب الصحاح وصاحب لسان العرب هذا المعنى
من اصلهِ . على انهم كانوا يستعملون فنوناً من الحساب يبنونها على عقد الاصابع
اشهرها ما يُعرَف عندهم بالمخارجة وهذه ايضاً لم ينقلوا في تفسيرها ما فيهِ غنآء
قال في القاموس المخارجة ان يُخرِج هذا من اصابعهِ ما شآء والآخر مثل ذلك
وهو كلامٌ لا يكاد يُفهَم لهُ معنى . وقال الشارح المخارجة المناهدة بالاصابع وهي
عبارة الصحاح لم يزد عليها . وقال صاحب القاموس في (ن ه د) النِهد بالكسر

ما تُخرجهُ الرفقة من النفقة بالسويّة في السفر وقيّدهُ الشارح عن ابن الاثير بما يخرجهُ الرفقة عند المناهدة الى العدوّ وهو ان يقسموا نفقتهم بينهم بالسويّة · وقال في القاموس بعد ذلك والمناهدة المساهمة بالاصابع وهي عبارة الصحاح ايضاً وفسّر الشارح المناهدة هنا بالمخارجة وذكر فيها صاحب اللسان قريباً من ذلك الّا انهُ لم يذكر في ترجمة (خ ر ج) الا قولهُ وتخارج السَفْر أخرجوا نفقاتهم · وأمّا المساهمة فلم يزد صاحب اللسان وصاحب التاج على تفسيرها بالمقارعة وفسر صاحب اللسان المقارعة بالمساهمة والقاموس لم يذكر المساهمة ولا المقارعة · والحاصل ان البحث في هذه الكتب من العنآء الناصب لو أفاد بعد ذلك فتيلاً فانهُ بعد مراجعة هذه الموادّ كلها في كلّ واحدٍ منها لم يرجع البحث عنها بطائل ولا امكن ان يحقّق شيءٌ من معنى العقد ولا كيفية المخارجة واخواتها · لكن جآء في هامش تاج العروس بازآء ذكر المخارجة ما نصّهُ قد ذكر عاصم كيفية المخارجة فمن اراد معرفتها فليرجع الى الاوقيانوس · اه والحمد لله وهذا تعريب عبارة عاصم مع بعض تصرفٍ وايضاح وتصحيح ما فرط فيهِ من السهو قال

« المخارجة المساهمة بالاصابع ومثلها المناهدة وذلك ان العرب الأولين لم يكونوا يعرفون الكتابة فكانوا اذا ارادوا قسمة شيء بينهم قسموهُ بحساب الاصابع وكذلك كانوا يفعلون في الضرب فيدلون بأصابع اليد اليمنى على الآحاد والعشرات وباصابع اليسرى على المئات والألوف · وقد ورد ذكر ذلك في كتب النحاة عند تعداد الدوالّ الاربع التي احداها العقود وقد سألت كثيرين من مشايخهم عن ذلك فلم اظفر منهم ببيانهِ الى ان وقعت اليّ الرسالة المخصوصة بهذا الشأن فاحببت تلخيص ما فيها افادةً للواقف على كتابي هذا وبالله المستعان · ومحصّل ما

هنالك ان الخنصر والبنصر والوُسطى من اليد اليمنى تُستعمل لعقد الآحاد والسبّابة والابهام لعقد العشرات . فاذا أُريد الدلالة على الواحد تُبسط جميع اصابع اليد اليمنى ويُضمّ طرف الخنصر الى الداخل. واذا أُريد الاثنان ضُمّ طرف البنصر ايضاً . او الثلاثة فطرف الوسطى كذلك . واذا أُريد الاربعة بُسِطت الخنصر وتُركت البنصر والوُسطى مضمومتين . او الخمسة بُسطت الخنصر والبنصر وتُركت الوسطى مضمومة . او الستة ضُمّت البنصر فقط والخنصر والوسطى مبسوطتان . او السبعة رُفِعت البنصر والوسطى وضمت العقدة الاولى من اصل الخنصر ومُدّت اطراف الثلاث الى الداخل وبهذا يُفرّق بين السبعة والواحد . او الثانية فُعِل كذلك مع جعل البنصر مكان الخنصر . او التسعة فالوسطى

واذا أُريد العشرة ضُمّ رأس ظفر السبابة الى باطن طرف الابهام حتى تكونا على شكل حلقة . او العشرون أُدخِل طرف الابهام بين السبابة والوسطى . او الثلاثون ضُمّ باطن طرف السبابة الى باطن طرف الابهام كهيئة من يتناول ابرةً من الارض . او الاربعون رُفِعت الابهام على السبابة قليلاً بحيث يكون طرف السبابة الى يسار طرف الابهام . او الخمسون جُعِل باطن الابهام الى باطن السبابة . او الستون بسطت الابهام والسبابة وضُمّ باطن احداهما الى باطن الاخرى كهيئة من يمسك الوتر بعد ان يرسل عنه السهم . او السبعون جُعل رأس ظفر الابهام على باطن المفصل الاوسط من السبابة وضُمّ عليه رأس السبابة . او الثمانون أُلصِقت الابهام بالسبابة بحيث يكون باطن رأس الابهام على ظاهر المفصل الاسفل من السبابة . او التسعون ضمّ رأس السبابة الى اصلها ضمّاً محكماً . وهذه صورة كلٍّ من هذه العقود رسمناها على الولاء لزيادة الايضاح



أمّا الاعداد المركبة فيُدَلّ عليها بتركيب ما سبق من العقود فاذا أُريد الدلالة على ٣٣ مثلاً يُضمّ باطن طرف السبابة الى باطن طرف الابهام كهيئة من يتناول ابرةً من الارض على ما تقدم بيانهُ وهو عقد الثلاثين وتضمّ الاصابع الثلاث الأُخر دلالةً على عدد الثلاثة وقس على ذلك

أمّا عقد المئين فيكون باليد اليسرى بالسبابة والابهام فما دلّ باليمنى على عشرة دلّ باليسرى على مئة وذلك بأن يضمّ رأس ظفر السبابة الى باطن طرف الابهام على شكل حلقة . وكذلك عقد العشرين باليمنى يكون مئتين باليسرى وهلمَّ جرًّا على هذا النحو الى ٩٠٠

واما عقد الالوف فيكون باليسرى بالخنصر والبنصر والوسطى على نحو ما تُعقَد الآحاد باليمنى فالواحد باليمنى ألف باليسرى والاثنان ألفان وهكذا الى ٩٠٠٠ . اه

وبالوقوف على هذا يتأتى لك ان تفهم معنى ما أومأ اليهِ الثعالبيّ في فقه اللغة (باب ١٩ فصل ٨) وهو قولهُ اذا ضمّ اصابعهُ وجعل ابهامهُ على السبابة وأدخل رؤوس الاصابع في جوف الكفّ كما يعقد حسابهُ على ٤٣ فهو القبضة — فاذا أخذ ٣٠ فهو البزمة — فاذا اخذ ٤٠ وضمّ كفّهُ على الشيء فهو الحفنة — فاذا اخرج الإبهام من بين السبابة والوسطى ورفع اصابعهُ على أصل الابهام كما يأخذ ٢٩ واضجع سبابتهُ على الابهام فهو القصع — فاذا رفع أصابعهُ ووضعها على أصل الابهام عاقدًا على ٩٩ فهو الضفّ — فاذا جعل الابهام تحت السبابة كانهُ يأخذ ٦٣ فهو الضبث . اه

واذا تفقدت منقول كلامهم وجدت كثيرًا من هذه العبارات وامثالها مما يقف الذهن من دونهِ حاسرًا لانهُ من المواضعات التي لا يتأتى فهمها الاّ بعد الوقوف على شرحها بنصّ اربابها وارشاد المتلقّين لها عن ذويها . وهناك اشياء اخر من هذا الباب تدخل في باب المجاز وتستعمل في المعاني الخطابية بحيث لا يُستغنَى عن معرفة اصلها ليقع التعبير بها سديدًا . وذلك نحو قولهم فلانٌ تُعقَد عليهِ الخناصر فانها من العبارات الجارية مجرى المثل وقد ذاع استعمالها في النظم والنثر وكثر تداولها في الكلام حتى بلغت الى حدّ الابتذال ومع ذلك لا تكاد ترى من يعرف حقيقة معناها سوى انهم يفهمون انهُ يراد بها الإطراء والتعظيم على الجملة . بل قد نصّ عليها بعض المصنفين بما كاد يخرجها الى غير حيّزها استعمالاً وتفسيرًا فزعم انهُ يقال هذا الامر مما تُعقَد عليهِ الخناصر اي مما يُعتبَر ويُحتفَظ بهِ وانما هو كلام من اخذ بالقرينة المبهمة والاشارة البعيدة لعدم المامهِ بأصل هذا الاستعمال لان هذه العبارة ليست مما يوصف بهِ الامر ولا معنى فيها للاحتفاظ واذا رجعتَ الى مدلول عقد الخنصر الذي

هو عدد الواحد تبين لك الغرض من هذا التعبير وأن المقصود بهِ وصف من عُدّ عليهِ بانهُ واحدٌ في نوعهِ أو أن لهُ التقدم على سائر أمثالهِ فاذا ذُكروا عُدّ في أولهم . وقد ألمّ في تاج العروس بشيء من هذا الّا انهُ لم يوفِهِ حقّ بيانهِ قال يقال بفلان تُثنى الخناصر أي يبتدأ به اذا ذُكر اشكالهُ وأنشدنا شيخنا عن الامام محمد بن المسناوي

وإذا الفوارس عُدّدت أبطالها   عدُّوهُ في أبطالهم بالخنصرِ

قال أي أوّل شيء يعدونهُ . اه . فقد كشف عن حقيقة المعنى لكنهُ لم يبين وجههُ بما يرشد المطالع الى أصلهِ الذي تقدم شرحهُ وفي هذا القدر من هذا الباب كفايةٌ والله أعلم

القاهرة — وجدنا بيتين في ديوان المتنبي يُرويان لغيرهِ ايضًا احدهما قولهُ

جرى حبها مجرى دمي في مفاصلي   فأصبح لي عن كل شغلٍ بها شغلُ

فانهُ واردٌ في ديوان ابن الفارض في القصيدة التي مطلعها هو الحبّ فاسلم بالحشا ما الهوى سهلُ . والآخر قولهُ

يهون علينا أن تصاب جسومنا   وتسلم أعراضٌ لنا وعقولُ

وهو مرويٌّ في قصيدة السموأل المشهورة . فلمن يُنسَب كلٌّ من البيتين على الصحيح

الياس هنا

الجواب — لا شك ان البيتين كليهما للمتنبي . اما الاول فلأنهُ مرويٌّ في جميع ما وقفنا عليهِ من نسخ ديوانهِ مما نُسخ وشُرِح قبل ابن الفارض بزمان طويل فلا يحتمل ان يكون منحولاً ولكنهُ مقحمٌ في قصيدة ابن الفارض دسّهُ النسّاخ هناك لمكان استحسانهِ وما فيهِ من الرقة والمشابهة لديباجة شعرهِ وهم كثيرًا ما يفعلون ذلك جهلاً بمقام العلم وآداب الرواية اذ العلم امانةٌ لا يجوز

التفريط بادآئها ونسبتها الى غير اربابهـا . ويجوز ان يكون ابن الفارض نفسهُ ازلهُ في شعرهِ على طريق الاستعانة المعروفة عند اهل البديع ويقوّـي ذلك ورود هذا البيت في ديوانهِ المشروح بقلم الشيخ حسن البوريني والشيخ عبد الغني النابلسي فان مثل هذين الامامين لا يخفى عليهما انهُ دخيلٌ فيهِ وان لم ينبهـا عليهِ . واما البيت الثاني فلم نجدهُ في قصيدة السموأل في روايةٍ يوثق بها وفي تحميسها للصفيّ الحليّ الشاهد المقنَع فراجعوهُ في محلّهِ ان احببتم والله اعلم

متفرقات

نور عطارد — راقب بعضهم نور عطارد في أثناء شهر سبتمبر الغابر وهو آخذٌ في تباينهِ شرقاً وبحيالهِ السنبلة وقلب الاسد وكان مُعظَم نورهِ نحو العشرين من اوغسطس وذلك قبل بلوغهِ مُعظَم تباينه بمدة ١٤ يوماً وبعد اقترانهِ الاعلى بمدة ٢٩ يوماً فكان أنوَر من قلب الاسد . اما لونهُ فالأصفر النارنجي وهو نفس لون قلب الاسد الّا انهُ اشدّ اشباعاً

تسطُّح المرّيخ — قاس بعضهم هذا السيّار في ٢ و ١١ و ١٦ و ١٧ دسمبر الاخير فوجد قطرَيهِ على ما يأتي

القطر الاستوآئي	٥٣ ' ٩"
القطر القطبي	٣٢ ' ٩"
فيكون مبلغ التسطُّح	$\frac{١}{٤٢}$

آثار أدبية

يتيمة الزمان — هو اسم روايةٍ فكاهية ملخَّصة عن الفرنسوية بقلم حضرة الاديب المهذَّب محمد افندي كرد علي بدمشق ابرزها في ثوبٍ عربيٍّ قد نسجهُ على أحسن منوالٍ من البيان وقلدها من فواصل سجعهِ ما أزرى بعقود الجمان في نحور الحسان فنثني على اجتهادهِ في خدمة العلم بما هو اهلهُ ونتمنى بلوغهُ في ذُرَى الفضل الى المكان الذي تؤهلهُ لهُ نجابتهُ ونبلهُ

كتاب فلسفة الزواج — اهدت الينا ادارة جريدة لبنان نسخةً من هذا الكتاب من تأليف حضرة الاديب الياس افندي التويني تكلم فيه عما يتعلق بأمر الزواج وتربية البنين وحال المعيشة البيتية ومكان اهميتها من المجتمع المدني وبيان الشرائط التي تجب مراعاتها بين الزوجين الى غير ذلك مما يتعلق بهذا الشأن فجآء كتاباً وافياً غزير الفوائد حريًّا بالمطالعة والتأمل فنثني على مؤلفهِ ونحث من يهمهم ذلك على اقتنآئهِ

ثنآء — نرفع جيل شكرنا الى حضرات السادة النجبآء والاخوان الادبآء لما تفضلوا بهِ علينا من كتب التهنئة بصدور هذه المجلة وما تكرموا بهِ علينا من التقريظ سائلين كرمهم المعذرة لضيقها عن نشر تقاريظهم الحسان كما نشكر حضرات رصفآئنا الكرام ارباب الجرائد العربية الغرّآء لما تفضلوا بهِ من ذكرها بالجميل راجين من جميعهم ان يلحظوها بعين الرضى والصفح عما لعلهم يرون فيها من العيوب وذلك حسبنا

البيان

السنة الاولى —————— الجزء الثالث

اول مايو سنة ١٨٩٧

الى حضرات المشتركين الكرام

لا يجهل قرّآؤنا الأُدباء أن لكل مطالعٍ لذةً ولكل باحثٍ مطلباً وأن الرغبات تتنوّع بتنوّع الأذواق وتفاوُت الأفهام وتبايُن مراتب العلم واختلاف مذاهب التحصيل ويعلمون ان المجلة غير مخصوصةٍ بطبقةٍ من القرّآء ولا يسعها الاقتصار على صنفٍ من اصناف البحث والاّ انحصرت فائدتها في فريقٍ منهم وقد يكون اقلهم عدداً. ولذلك فاذا مرّ بالمطالع ما لا يوافق مشربهُ لا ينبغي لهُ ان يتبرّم بهِ ويستهُ تقصيراً في جانب مرضاتهِ لانهُ اذا وجد في الجزء كلهِ ولو مبحثاً واحداً ينطبق على رغبتهِ فقد استوفى حقهُ من ذلك الجزء وقامت المجلة بما يجب عليها لهُ وهي غايةٌ ان بلغناها عند كل مشترك فهي منتهى ما في الأُمنية

وهنا محلٌّ لأن نجهر بالثنآء الطيب على حضرات مشتركينا الكرام لما آنسنا عندهم من الاقبال على هذه المجلة مع حداثة عهدها ونَعِدُهم في مقابلة ذلك أنّا عن قريب سنصدرها مرّتين في الشهر اجابةً لمقترَح الكثيرين منهم مع زيادةٍ في عدد صفحاتها الشهرية وابقآء قيمة الاشتراك بحالها والله المسؤول ان يسدّدنا الى ما بهِ عموم النفع واخلاص الخدمة بفضله عزّ وجلّ وحسن توفيقهِ

الصابئة

هم فرقةٌ من اهل الاديان اختلف العلمآء والمؤرخون في امرهم فقال قومٌ هم من عبّاد الكواكب وقال آخرون هم فرقةٌ بين النصارى والمجوس وهو احد اقوال البيضاوي وقال الزمخشري هم قومٌ عدلوا عن دين النصارى واليهود وعبدوا الملائكة وقيل غير ذلك مما يطول بيانهُ وكلّهُ من باب الظنّ لانهم يكتمون دينهم اشدّ الكتمان ولا يرون دخول الناس فيهِ وانما هم على مذهب من قال جرى القلم وأُغلق الباب . وقد اتى على هذا السرّ قرونٌ عديدة لم يُهتَك لهُ سترٌ ولا استشفّ احدٌ ما ورآءهُ والناس فيهِ واقفون عند حد التكهُّن والظنونُ تُتطلع الى مكنون امرهم وتتطـالّ الى ما ورآء ذلك الحجاب وهم لا يحصلون على طائل الى ان وُفّق الى كشفهِ احد مواطنينا الاعزّآء وهو السيّد نقولا السيوفي من جلّة اهل دمشق حين كان وكيلاً لدولة فرنسا بالموصل وقد اقام هناك عدة سنين متوالية تسنّى لهُ في خلالها الوقوف على دِخلة امرهم وتفاصيل مذهبهم وتأريخ نشأتهم فدوّن جميع ذلك في سفرٍ فرنسويّ العبارة يبلغ نحوًا من ٢٠٠ صفحة طُبع في مدينة باريز سنة ١٨٨٠ . ولما كان كشف مثل هذا السرّ البعيد مما يهمّ المطالع الوقوف عليهِ آثرنا ان نلخّص شيئاً من السفر المشار اليهِ ننشرهُ بين ايدي قرّآئنا الكرام فنقول

تعتقد الصابئة وجود عالمين في الارض احدهمـا العالم السرّيّ ويسمّونهُ « مشوني كوشتو » وهو قُطرٌ فسيح اكبر من القُطر الذي نسكنهُ نحن الآن مكانهُ مستورٌ عنا وهو اشرف من عالمنا المنظور بحيث يُعَدّ منهُ بمنزلة اليمين من اليسار . وسكان هذا العالم جميعهم من الصابئة وهم بشرٌ مثلنا الّا انهم منزهون عن كل وصمة ولذلك ينتقلون بعد موتهم الى عالم الأنوار الذي يسمّونهُ « عولمي

دونهورو » وهو مقام النعيم من غير أن يمرّوا بموضع من مواضع العذاب . والعالم الثاني هو عالمنا هذا ويسمونهُ « اوردو تيويل » اسي الارض المشتراة وهو في موضعٍ دون العالم الاول

ولكلٍّ من هذين العالمين آدم مخصوص ويقال لآدم العالم السرّيّ « آدم كاسيا » اي آدم غير المنظور وتسمّى زوجهُ « كانونا » اي تامّة الجمال . وآدم الآخر الذي هو ابو سُلالتنا يقال لهُ « آدم جاورو قدمويو » اسي آدم الرجل الاول وزوجهُ تسمى « حوّآء »

وكان لكلٍّ من هذين الآدميين بنتٌ تجمع بينهما « هيول زيوو » في العالم المنظور وأزوج كلاًّ منهما من ابنة الآخر ثم ردّ آدم غير المنظور الى العالم السرّيّ حيث كان قبل ذلك . والصابئة يزعمون تبعاً لما في كتبهم انهم من ابناء آدم غير المنظور وابنة آدم المنظور الا ان علمآءهم يخالفونهم في ذلك لانهم يستبعدون الخروج من العالم السرّيّ الى العالم المنظور ومع ان هذه المسئلة غير قائمة عندهم في مقام القطع فهم اليوم يقولون بقول علمآئهم اي انهم من سلالة آدم المنظور

اما تسميتهم بالصابئة[1] فيقولون انهُ اسمٌ سمّاهم بهِ من يجاورهم من النصارى والمسلمين وهم يسمون انفسهم « المندايا » اي الاقدمين

اما دين الصابئة فيزعمون انهم على دين نبيّهم يحيي وهو يوحنا المعمدان

---

١ ان كانت هذه التسمية عربية فاشتقاقها من صبأ اذا خرج من دين الى اخر قيل سموا بذلك لانهم عدلوا عن دين النصارى واليهود على ما تقدم قريبا . وزعم ليتراى انهم سموا كذلك نسبة الى سبأ وهي مدينة مأرب باليمن وانما اختلط عليه لفظ الصابئين بالسبئيين وهم الوارد ذكرهم في نبوة اشعياء (٤٥ : ١٤) ومواضع اخر من التاريخ القديم وشتان بين اللفظين

وهو عندهم فوق عيسى منزلةً ومولده غير طبيعي . وعندهم عدة كتب مُنَزَّلة منها ما أُنزِل عليهم من عالم الانوار (عولي دونهورو) واشرف هذه الكتب كتابٌ يسمى « دَرَوشاديجيا » اي اقوال يحيى وهو يتضمن سيرة حياة يحيى وبعض السنن الدينية من نحو المعمودية وخُطَباً تعليمية فيما يتعلق بخلاص النفس والسعادة الاخروية

اما مولد يحيى فهو قريبٌ مما ورد حديثهُ في الانجيل قالوا وكانت الصابئة عند مولده قد انقرضت من العالم بتةً لان اساقفهم وكهنتهم كانوا قد ماتوا كلهم فبقوا من غير هادٍ ثم اختلطوا ببعض طوائف اليهود من غير اهل الختان فأُشربوا عقائدهم ومذ ذاك انقطع الوفد عن عالم الانوار وهو دار النعيم فاستوحش اهلهُ ورفعوا امرهم بالتشكي الى « مورودَّربوتو » فاستحضر لوقته « مندودايي » احد الثلاث مئة والستين شخصاً السماويين وامرهُ بتدارُك هذه الثلمة فجآء باناء فيهِ مآء وتلا عليه كلماتٍ سرية ودفعهُ الى واحدٍ من الملائكة وامرهُ ان ينطلق الى « اينوشوي » وهي أُمّ يحيى ويتلطف في الاحتيال بحيث تشرب منهُ دون ان تعلم ما فيه فارتسم المَلَك امرهُ وهبط الى اينوشوي وجعل الانآء بين يديها وادركتها عطشةٌ فاغترفت من ذلك المآء في حفنتها وشربت منهُ فحملت لوقتها . ولما كانت الليلة التالية رأى احد اليهود في حلمهِ ان اينوشوي قد حملت وان الولد الذي ستضعهُ سيكون زعيماً على الأُمة ويدين اليهود لامرهِ وانهُ سيعمدهم ويسقيهم مآء « الممبوها » وهو المآء الذي يسقيهِ كاهن الصابئة لكل معتمد . فلما اصبح اليهودي صار الى العازار رئيس ملّتهِ وقصّ عليهِ حلمهُ فانطلق العازار حتى لقي ابوصادا وهو زوج اينوشوي وأعلمهُ ان زوجهُ حامل فانكر ابوصادا ذلك وقال كيف يكون هذا وزوجي عجوزٌ كبيرة ولم تحمل قطّ مذ كنا معاً . فخشد

العازار اعيان اليهود وقصَّ عليهم الامر فاخذوا قَصَص الحلم وانفذوا بهِ الى معبّر للأحلام مشهورٍ بالحذق والاصابة فكان تعبيره مطابقاً لتعبيرهم فعزموا على ان يتربصوا باينوشوي ان تَضَع جنينهـا فيقتلوهُ عند ولادهِ . ولما جنَّ الظلام قدم ابوصادا على العازار ليفاوضهُ في الامر فرأى العازار ابوصادا داخلاً وبين يديهِ قبَسان من نورٍ ساطع ووراءهُ مثلهما فقال العازار ما هذه المصابيح الاربعة التي حولك فقال لادري انما هي المرّة الاولى التي ارى فيها ذلك وأجهل من أين جاءتني هذه الانوار وكانت مصاحبةً لهُ طول التسعة الاشهر التي كانت امرأتهُ فيها حبلى

وبعد أن اتى على اينوشوي تسعة اشهر وتسعة ايام وتسع ساعات وتسع دقائق من حين الحبل اخذتها اوجاع الطلق[1] فاجتمعت حولها نساء اليهود بالأمر السرّيّ الذي تلقّينهُ من قِبل الرؤساء ليقتلنَ الطفل عند مولدهِ . الا انهُ لم يتمّ لهنّ ذلك لان « زهرئيل لالاتو » وهو روحٌ موكَّل بالمواليد وهو الذي يدير رأس الجنين من فوق الى اسفل قبل الولادة اخذ الولد بأن اخرجهُ من فم أمّهِ وجعلهُ بين ايدي الملائكة فاخذوهُ الى عالم النور الذي هو الفردوس وهناك شجرةٌ تسمى « مخزيون » على اغصانها ثُدِيٌّ كثيرةٌ حافلة باللبن اذا مات احد الصابئة طفلاً بعد المعمودية وقبل ان يستوفي رضاعهُ جُعِل عليها فرضع من تلك الثديّ . فنشأ هذا الغلام الذي هو يحيي في الفردوس واعتمد هناك باسم « إلاها ومورو دُربوتو ومندودايي » وهذا الاخير هو ابوهُ الذي تلا الكلمات السرّية على الماء الذي سُقيتهُ امهُ على ما تقدم حديث ذلك ولذا كان يحيي

[1] وكذلك يقولون فى حبل مريم بعيسى زعموا ان الله اراد ان يميز يحيي وعيسى عن سائر البشر فجعل مدتهما فى البطن زيادة على تسعة اشهر

في زعمهم يعمد باسم هؤلآء الثلاثة

ولمّا حان انفاذهُ لإمضآء الرسالة في العالم السُفليّ وسنّ الشريعة الصابئية تلا عليهِ اهل العالم السعيد كلمات سريّة صار بها ممتنعاً على النار والمآء والسلاح وسائر انواع الآفات وعلّموهُ كلماتٍ أُخر اذا نطق بها ادرك ما شآء وفعل كل ما اراد ثم سلموهُ الى عهدة واحدٍ من الثلاث مئة والستين يقال لهُ « انوش اوثرو » وأمروهُ ان يصحبهُ الى العالم السفليّ فركبا زورقاً من الذهب وهبطا الفرات قاصدَين اورشليم حيث كانت عشيرة يحيى والصابئة تزعم ان الفرات كان في الزمن الاول يجري الى اورشليم وانهُ ينبط من تحت عرش « أواثار » وهو مالك يوم الدين وعرشهُ تحت نجم القطب

وفيما كان يحيى راكباً الفرات صادف خادمة بيت ابيهِ على احدى ضفّتيهِ وقد جآءت تستقي فعرفها وجعلت هي تتأملهُ لانها وجدت فيهِ ملامح من عشيرتهِ فعرف يحيى ما يتخالج في صدرها فقال لها هلمّي الى المدينة واخبري عن عِترةٍ اضاعت طفلاً فعَدَت الجارية لساعتها وأخبرت مولاتها بما كان فقالت اني رأيت فتًى اجمل من البدر ليلة تِمّهِ واعادت عليها قولهُ ووصفت لها ما بينهُ وبين مواليها من المشابه فوقع هذا النبأ من اينوشوي موقعاً ادهشها فرحاً فنهضت لساعتها وبادرت عَدْوًا الملتقاهُ وقد ذهلت عن ان تتقنّع على ما جرت بهِ العادة عندهم فلما رآها بعلها خارجة كذلك استشاط من الغضب وهمّ بطلاقها فلم يشعر الّا بصحيفةٍ قد سقطت بين يديهِ فتناولها فاذا فيها هذه الكلمات ايّاك وان تسوء امرأتك بأمرٍ ولكن هلمّ في اثرها فانها ذاهبةٌ للقآء يحيى فنهض وتبعها ولبثت اينوشوي سائرةً حتى ابصرت ولدها في الزورق فألقت بنفسها على عنقهِ واحتضنتهُ فقبّل رأسها

وبعد ان وصل به انوش اوثرو الى اورشليم وكّل بحفظهِ الشمس والقمر على انهما مسؤولان عن كل اذًى يلحقهُ وانقلب عائدًا الى عالم الانوار . واقام يحيي باورشليم يعمّد ويصنع الآيات فشفى ذوي الزمانات وأبرأ العميان وأقام المقعدين وكان يضرب الواحد منهم بصولجانهِ فينهض قائمًا وشفى كل ذي مرضٍ بنضح الماء فلم يؤمن اليهود بهِ وأحرقوا عليهِ منزلهُ الّا أن النار كانت عليهِ بردًا وسلامًا فضربوهُ بأسلحتهم فلم تعمل فيهِ فلما رأوا ذلك آمنوا برسالتهِ ما خلا العازار وأشياعهُ واعترفوا به زعيماً عليهم وهم لا يبرحون في طاعة خلفائهِ من الاساقف والكهنة الى يومنا هذا

وبعد أن قرّر شرائع دعوتهِ بينهم خرج الى عُدوة الأُردنّ فعمّد هناك « ايشومشيحو » اي عيسى المسيح ابن خالتهِ وغاص بعد ذلك في الصلوات يَصِل فيها ليلهُ بنهارهِ وكان اول مسئلةٍ ابتهل بها الى الله ان يصونهُ من حبائل النساء لعلمهِ بما كان عليهِ من محاسن الخلق وجمال الصورة فكان على الدوام يخاف فتنتهنّ وقضى حياتهُ متبتلاً واقتدى بهِ سائر اتباعهِ من الصابئة فكان اكثرهم يقضون دهرهم أعزابًا

ولبث الصابئة على ذلك زمنًا مديدًا يمتنعون من الزواج فقلّ بسبب ذلك عديد الانفس الواردة منهم الى الفردوس فساء ذلك سكانَ الفردوس فجاؤوا برسالةٍ الى يحيي يذكرون لهُ ما نشأ عن الاقتداء بسيرتهِ من العواقب السيئة في امر التبتل وقالوا لهُ انك بتبتلك ستفضي بالصابئة الى الفناء والاضمحلال وبُعَامِنا الى الوحشة والخلاء فخفّف عليك من صلواتك وارفق بنفسك واتخذ لك امرأةً تقضي معها بعضًا من ساعاتك ففعل ومذ ذاك عادت الصابئة الى الزواج واخذ كهنتهم ايضًا يتزوجون

ولما قضى يحيى رسالتهُ وكانت مدّتها ارمًا واربعين سنةً احسّ بدنوّ اجلهِ فدعا زوجهُ وجرى بينهما الحديث الآتي

قال يحيى اذا انا متّ فما انتِ صانعةٌ من بعدي

قالت انقطع عن الطعام والشراب تعجيلاً لأجلي حتى اذهب وأنضمّ اليك

فقال يحيى بل ستأكلين وتشربين ثم لا تخطرني ببالك

قالت سأعتزل الغُسل ولا اضفر شعري ما بقيت حتى اذهب وأنضمّ اليك

فقال يحيى انكِ لن تُقضِي ما تقولين بل ستغتسلين وتضفرين شعركِ وأصير عندكِ نسيًا منسيًّا

قالت سأنقطع في خبآئي لا أرى انسيا الى ان اموت وانضمّ اليك

فقال يحيى بل ستنقادين لإلحاح ذوي القرابة والاصدقآء فيخرجونكِ من خبآئكِ وتسلينني

فقالت وماذا عساني ان ازيد على ذلك

قال كلّ ما تكلمتِ بهِ انما هو خفّةٌ ورعونة واياي لا يجديني فتيلاً لكن اذا متُّ فخير ما تصنعين ان تبتهلي في راحة نفسي وتذبحي الغنم وتدعي الاساقف والكهنة فيصلوا عليّ وانت رافقي على بشاشتكِ واطلقي صوتكِ عليّ بالفرح لا بالويل ولا تنسيني . اه

ولذا كان الصابئة الى اليوم يكونون في يوم المأتم أفرح من يوم الزفاف والتحزّن محرَّمٌ عليهم ويقولون ان كل دمعةٍ على الميت تصير نهرًا كبيرًا في طريق نفسهِ تكاد تعجز عن قطعهِ . على انهم كثيرًا ما يتسامحون في هذه السنّة الآ اذا كان المتوفّى اسقفًا او كاهنًا فلا يجوز لنسآئهِ ان يجرينَ عليهِ دمعةً البتّة

ولما اتمّ يحيى كلامهُ مع امرأته حضرهُ مندودايي ابوهُ الالهي فتمثل لهُ

بصورة فتى يسأله المعمودية فواعده يحيى الى الغد . ولما كان من الليل عاوده الفتى وهو يصلي فظنّ انه يريد ان يتعلم منه الصلاة فمضى على صلاته فتناول الفتى النعاس بيديهِ وقذف بهِ على يحيى فنام قبل ان يتمّ صلاته ثم تضرّع الى الله ان يجعل ذلك الليل ثُلثًا اي ان لا يزيد على اربع ساعات فاستجاب الله دعاءه وبعد اربع ساعات من مغيب الشمس عادت فاشرقت فهبّ يحيى على عادتهِ وانطلق ناحية النهر فاغتسل ثم قام يصلي . ولمّا فرغ من صلاتهِ حضره الفتى وسأله ان يعمّده فنزل يحيى في النهر وأمره باتّباعهِ فلما صارا في المآء ارتفع المآء فوق عادتهِ حتى غمر منكبي يحيى فتراجع الى البرّ فأسرَّ الفتى الى المياه ان تتراجع فرجعت وبقي يحيى على اليبس فعاد الى المآء وأمر الفتى باتباعهِ فلما دنَوا من المآء عاد فارتفع فتراجع يحيى الى الورآء وتكرر ذلك ثلاث مرّات وفي الرابعة لم يرتفع المآء لان مندودابي امره سرًّا بالوقوف . وبينا هما في المآء اذا السمك كله قد ظهر بلونٍ ابيض ناصع واجتمع حولهما وهتف بصوتٍ واحد تبارك اسمك يا مندودابي وللحال اجتمع طير السمآء عند رأس الفتى وهتف بالكلام نفسهِ وكان يحيى قد أُوتي ان يفهم لسان الاسماك والطيور ففهم ما قلنَ ولساعتهِ اخذ بطرف النصيف الذي كان على مندودابي وقبّله قائلاً انت مندودابي . وعند ذلك خلع الفتى جثمانه البشريّ وظهر ليحيى بمظهرهِ السماويّ محفوفًا بالجلال والبهآء فاخذ يحيى يدهِ فزجره وقال لا تمسّ يدي فانك حالما تمسّها يفارق روحك جسدك فقال يحيى هذا ما اتمنّاه فاني اودّ ان اموت لأفضي الى عالم الأنوار في صحبتك ولا انطلق اليهِ في صحبة سورئيل وهو ملَك الموت عندهم

فعند ذلك خرجا كلاهما من النهر ولما صارا على الضفّة اعطى مندودابي يده ليحيى فسقط جسده للحال ميتًا ورجلاه في المآء وسائر جسدهِ خارجه

ولحقت نفسهُ بمندودابي ۰ وبينا هما منطلقان في العنان التفت روح يحيى الى الارض فعاين جثتهُ يأكلها السمك من جانب والطير من جانب آخر فلما رأى ذلك تنهّد فقال لهُ مندودابي ما بالك تتنهد ألعلك آسفٌ على الحياة التي فارقتها فقال يحيى تقدّس اسمك اني اتنهد لاني خلفت ورآئي صغارًا لم أُتمّ كفالتهم وانما قال ذلك لانهُ كره ان يبوح لهُ بباطن بثّهِ فقال ليس هذا ما يحزنك انما حزنت لما رأيت من حال جثتك فلتكن مطمئنًّا اني ساجعلها في حرزٍ مما ساءك ثم تناول قبضتين من التراب فحثاهما فوق الجثة فكانتا قبرًا لها ومذ ذاك صار الصابئة يدفنون موتاهم وكانوا منذ عهد آدم الى ذلك اليوم لا يعرفون الدفن ومضيا في طريقهما حتى انتهيا الى « نهرو دكشوشو » وهو النهر الحائل بين « متَرْوثوس » وعالم الانوار لا تصِل نفسٌ الى مقيل سعادتها الاّ باجتيازهِ فجاءهما زورقٌ فركباهُ وعبرا النهر ودخلا من هناك عالم النور حيث استقرّ يحيى في مقامٍ كريم في قصر مندودابي ابيهِ السماوي ۰ اه

هذا مُجمَل ما جآء في امر هذه الطائفة اقتصرنا فيهِ على بيان نشأتها وأصل معتقدها وبقي القول في تفاصيل مذهبها وقواعد دينها وهو امرٌ يطول شرحهُ ولا يتسع لهُ هذا المقام ولذلك تجاوزناهُ الى موعدٍ آخر ان شآء الله

من كلام الشاطبيّ اشتغالك بوقتٍ لم يأتِ تضييعٌ للوقت الذي انت فيهِ

قيل لبشرٍ الحافي بأيّ شيء تأكل الخبز قال أذكر العافية فأجعلها اداماً

(في الحديث) انصر اخاك ظالمًا او مظلومًا ۰ قيل كيف ينصرهُ ظالمًا فقال صلى الله عليهِ وسلم يمنعهُ من الظلم (الكشكول)

مقالة في التربية

لحضرة الكاتب الفاضل عبد الله افندي المراش نزيل مرسيليا

(تابع لما قبل)

فصلٌ

في المعلم

ان القدماء والمحدثين من اهل البلاد التي توفر حظها من المدنية كانوا ولا يزالون يقدرون المعلم اي المربّي أو المؤدّب حقّ قدرهِ ويجلّونهُ وينزلونهُ فوق منزلة الطبيب بل فوق منزلة الحاكم لأنّ الطبيب ان داوى اسقام البدن وشفاها وهيهات فلا يقدر ان يداوي اسقام النفس ويشفيها بل هذا من ولاية المعلم. ولأنّ الحاكم انما يعاقب الجاني اذا جنى ولكن ليس من ولايتهِ ان يجعلهُ خيّرًا عزوفًا عن اقتراف الجرائم بل هذا منوطٌ بالمعلم. والحاكم يقيم الحدّ على الشرّير اذا اذنب وقد يقصيهِ او يقتلهُ ليؤدّبهُ ويريح الناس من شرّهِ حينًا ما فمثلهُ في ذلك مثل الجرّاح الذي يقطع من اعضاء الجسم ما كان مؤوفًا ليسلم سائرها الّا أنّ المعلم يحاول استئصال الشرّ من جرثومتهِ وكثيرًا ما ينجح في ما يحاولهُ. لا جَرَمَ ان من كان من ولايتهِ ان يتعهد نفس الولد فضلًا عن جسمهِ ويهتم بلعبهِ ودرسهِ بل فرحهِ وترحهِ لجديرٌ بان يكون عالي المنزلة ولذا كان اليونان يدعون سقراط وافلاطون وارسطوطاليس وغيرهم من الفلاسفة معلّمين وآباء ولا بدع لان المعلم في الحقيقة ابٌ ثانٍ للولد وان شئت دعوتهُ اباهُ الروحاني كما ان الوالد ابوهُ الجسماني. ولما لم يكن احدٌ في الدنيا أولى من الأبوين بأن يبجلهما الولد ويحترمهما وكان المعلم نائبًا عنهما في تربيتهِ اذا غابا وشريكًا لهما فيها اذا حضرا كان بحكم الضرورة مستحقًّا لشيء من ذلك التبجيل

عينه . وانما استنابةُ الأبوان عنهما في تربية ولدهما لانهُ قد يتفق ان لا يكون لهما قِبَلٌ بها او كفاءةٌ لها اذا حان دورها الثاني او لا يستطيعانها وحدهما لان اهتمامهما بامر المعاش وتدبير المنزل او غير ذلك من الشؤون يصدّهما عن التفرّغ لها . وانتَ قد عرفتَ انها اهمٌ واكثر تنوّعاً من ان تكفيها ساعةٌ او ساعتان من النهار بل تقتضي ممن يتولّاها ان يوفر اوقاتهُ كلّها عليها وان لا يكون لهُ شغلٌ غيرها وهذا لا يستطيعهُ الابوان دائماً لما تقدّم من شواغلهما وهب انهما يستطيعانهِ فقد يتفق ان يكونا قليلي الخبرة بتأديب الاولاد في هذا الدور وان كانا هما من احسن الناس تأدُّباً لان فنّ التربية ولا سيما التربية الذهنية في هذا الدور اوسع من ان يحيط بجميع تفاصيلهِ سائر الناس ولذا مسّت الحاجة الى مربٍّ ذي كفاءةٍ وخبرةٍ يتفرّغ لهُ ودعت الضرورة ايضاً ان يستنيبهُ الابوان عن انفسهما في ذلك ليُعينهما وبين الطبيعة نفسها عليهِ . وهذا سبب قولنا في الفصل المتقدّم انهُ يحسن ان يكون للابوين اطلاعٌ على تربية ولدهما وهو في الكتّاب اي اذا حان دورها الثاني وذلك لانها لا تكون في هذا الدور كاملةً متقنةً بقدر الاستطاعة الّا اذا عاون الابوان المعلمَ عليها لانهما اعلم الناس بما يلائم ولدهما واكثرهم معرفةً بسجاياهُ واخلاقهِ وشوائبهِ ومعايبهِ واولاهم باطلاع المعلم عليها تسهيلاً لما يتجشمهُ من تهذيبها وتثقيف منآدها بالتربية

فصحّ اذًا ان المعلم ابٌ ثانٍ للولد ولذا قال الاسكندر يوماً انهُ وان كان ابن فيلبس المكدوني جسماً فهو ابن ارسطوطاليس نفساً لانهُ ان كان فيلبس سبباً لحياتهِ فارسطوطاليس هو الذي علمهُ كيف يعيش مكرَّماً وما احسن ما قال الشاعر

اقدّم أُستاذي على فضل والدي ... وان كان لي من والدي المجد والشرفْ
فذاك مربّي الروح والروح جوهرٌ ... وذاك مربّي الجسم والجسم من صدَفْ

ولا يكفي ان يكون المعلم ذا كفاءة للتربية وخبرة بهـا بل ينبغي ايضاً ان يكون ذا محبة للولد تدفعهُ الى ان يعنى بهِ عناية الوالد بابنهِ لانهُ ان لم يكن كذلك لم يستحقَّ ان يُدعى ابًا ثانيًا لهُ . وانما يستحقُّ هذا اللقب من المعلمين من يبذل وسعهُ في اقتفاء آثار اولئك الافاضل الذين سبقت اليهم الاشارة وينسج على منوالهم ما استطـاع . نعم ان ادراك شأوهم امرٌ عسيرٌ لا يستطيعهُ كل احد بل لا يكاد يُرام ولكن لا يكلف الله نفساً الاّ وسعها . فعلى الانسان الذي ينصب نفسهُ للتعليم ان يسعى في ان يحذو حذوهم على قدر طاقتهِ لان من يفعل كل ما يقدر عليهِ فقد فعل كل ما يجب عليهِ والاّ فليدع امر التعليم والتربية لغيرهِ لانهُ ان تصدّى لما لا قِبَل لهُ بهِ ولما ليس من اهلهِ كان هو والذين ينصب نفسهُ لتعليمهم كقائدٍ ذي عمىً يقتاد عميانا

المطلب الثالث

في تربية البدن

قال احد المتأخرين لو عُني بعض الوالدين بتربية اولادهم عنايتهم بتربية أنعامهم لم تجد في الناس من القصيرين والمترهّلين واصحاب العاهات الاّ عدداً قليلاً بالنسبة الى ما تراهُ فيهم وانما كثر فيهم مشوَّهو الخلق لقلة التفات الوالدين الى الاعتناء بتربية ابدان الاولاد كما ينبغي في الوقت الذي ينبغي . ومما هو جديرٌ بالتأمل فيهِ أنك ترى فيهم من يخوض بلا مبالاةٍ في حديث تربية المواشي او تضمير خيل السباق او تضرية كلاب الصيد حتى لتخالهُ من فصاحتهِ وانطلاق لسانهِ قسّ بن ساعدة فاذا جرى الحديث في امر تربية الاولاد خلتهُ من فهاهتهِ وعيّهِ باقلاً . وترى غيرهُ وقد أُنعم عليهِ بثروةٍ وافرةٍ من صامتٍ وناطقٍ ومنتقلٍ وعقار فصار من أحرص الناس على تعهّد اسطبلهِ وعلف خيلهِ واستغلال ضيعتهِ

لكنهُ بقي من اغفلهم عن تعهّد حجرة اولادهِ وعن تفقد غذآئهم وانتظام اوقاته · وترى الآخر وقد احترف الزراعة او تربية السائمة فصار من ادرى الناس بالسماد الاصلح لانمآء الزرع واعلمهم بوجوب اعفآء ثورهِ من الحرث وكرب الارض على اثر تناولهِ العلف واعرفهم بتسمين العجول والحملان لكنهُ بقي من اجهلهم بوجوب اعفآء ولدهِ من الدرس وسائر الاعمال العقلية على اثر تناولهِ الطعام واقلهم معرفةً بالغذآء الاصلح لهُ

فان لمت احد هؤلآء الرجال على اهمالهِ من امر اولادهِ ما لا يهملهُ من أمر أنعامهِ لم يعجز ان يقول لك ان تعهُّد اسطبل الخيل ومذود البقر وحظيرة الغنم يعنيهِ لانهُ ان احسن القيام على الفرس احرز بهِ قصبات السبق في الميدان وان سمن العجول والحملان باعها باغلى الاثمان اما تربية ولدهِ فلا تعنيهِ بل هي من ولاية الأمّ او الخادمة · ولعلّ هذهِ الامّ لا تدري من امور الدنيا سوى التطريز او العزف على البيانو او التكلم بالافرنجية ولعلّ هذهِ الخادمة لا تعرف من امر تربية الاولاد سوى مزاعم واوهام تلقنتها من اهل طبقتها او من جارةٍ جاهلةٍ مثلها او اجهل منها الّا ان هاتين المرأتين هما في نظر الاب اكثر كفآءةً منهُ واصلح لتربية ولدهِ

ستأتي البقية

البربر

اذا كان كلُّ علمٍ انما يشرُف بشرف موضوعهِ فالعلم الذي يُبحَث فيهِ عن طبيعة الانسان من حيث هو مفردٌ في حالتيهِ الطبيعية والادبية او مجتمعٌ تتألف من افرادهِ الشعوب في حالتي الهمجية والمدنية لا شك في انهُ اشرف العلوم · ولما كان هذا العلم كثير الثنايا والشعاب متوعر المسالك على الطلاب

لشدة غوض مسائله وصعوبة حلّ مشاكله وكان المتأدبون من اهل هذا اللسان يحومون بافكارهم عليهِ فلا يجدون اليه سبيلا وربما حثَّ بعضهم اليهِ ركاب الطلب فاعتسف طريقهُ لانهُ لم يتخذ لهُ دليلا آثرنا الافاضة في ما ينفسح لهُ مجال البحث في هذا الموضوع المفيد وتوخينا اثبات الحقائق مجرّدةً عن الاهوآء ليكون كلامنا اوقع في نفس المستفيد فبدأنا ببيان اصل المصريين ونسبتهم الى غيرهم من السلائل البشرية واتينا على ذكر طرف من طباعهم واخلاقهم وعقائدهم وعوائدهم وأبنّا انهم يشتركون مع البربر في منشئهم من الفصيلة الساميّة فصار من اللائق بنا ان نستوفي البحث عن هذه الفصيلة ببيان طبائع هذا الجيل وما يُعرَفون بهِ ويتميزون بحسبهِ من سائر الاجيال البشرية فنقول

البربر جيلٌ مقرُّهُ في شماليّ افريقيا او المغرب يشتمل على امم كثيرة ترجع الى اصلٍ واحد وان اختلفت في لغاتها ومعايشها وهذا الاسم استعملهُ الرومان واليونان قبلهم كما استعملهُ العرب للدلالة على الرطانة في الكلام واطلقوهُ على القبائل التي استقرّت من قديم الزمان في الاقطار الافريقية الواقعة بين بحر القلزم والاوقيانوس الاتلنتيك وبين البحر المتوسط الى نحو ١٠° من شمالي خط الاستوآء ومنهم برابر نوبيا وصومال· ولعل هذه اللفظة مأخوذة من وَرْوَرَا في لغة قدمآء الهند المعروفة بالسنسكريت وكانوا يطلقونها على ما ليس من لغتهم كما يطلق العرب العجمة على ما ليس بعربيّ· وزعم مؤرخو العرب ان اصل اللفظة عربيّ قال ابن خلدون ان افريقش بن قيس بن صيفيّ من الملوك التبابعة لما غزا المغرب سمع رطانة هذا الجيل من الاعاجم ورأى اختلافها وتنوعها فتعجب من ذلك وقال ما اكثر بربرتكم فسمُّوا بالبربر· اما اسمهم القديم فهو مازيغ ومعناهُ السيد الحرّ او الشريف· قال شهاب الدين الفاسيّ ان

رسل البرابرة لما مثلوا امام الخليفة عمر بن الخطاب بعد فتح مصر قالوا لهُ انهم من ابناء مازيغ الذين كانوا اصحاب البلاد الواقعة بين خليج العرب والبحر المتوسط وقالوا انهم ينتسبون الى مازيغ بن كنعان بن حام · واختلفت رواية ابن خلدون في هذا الاسم فذكرهُ تارةً بلفظ مازغيس وطورًا بلفظ مازيغ وكان اليونان والرومان يطلقونهُ على المغاربة بتحريف قليل ويسمَّى بهِ الآن الطوارئ والمراكشيون سكان جبل اطلس

وقد اختلف النسابون في اصل البربر فمنهم من قال انهم من ابناء كنعان ابن حام رحلوا عن فلسطين بعد اجتياح العبرانيين لها في عهد داود عم وقال بعضهم ان النعمان بن حِمْيَر بن سبأ بعث قومًا من رجالهِ ليعمروا المغرب منهم يمانون ومُضَريّون وحِمْيَريّون · واهل زناتة وصنهاجة ينتسبون الى حمير · وقال آخرون البربر قبائل شتى من حِمْيَر ومُضَر والقبط والعمالقة وكنعان وقيل انهُ كان لمضر ولدان الياس وعيلان فولد عيلان قيسًا ودهمان وولد قيس اربعة بنين منهم برّ الذي رحل عن قومهِ وكانوا بالشام فجاء الى فلسطين ثم ارتحل الى المغرب ووُلِد له مازيغ او مازغيس وكان يلقب بالابتر ومن ولدهِ زناتة وفيهِ تقول اختهُ تماص

وشطَّت ببرّ دارهُ عن بلادنا ... وطوَّح برٌّ نفسهُ حيث يمَّما
وأزرت ببرّ لُكنةٌ اعجميةٌ ... وما كان برٌّ في الحجاز بأعجما
كأنَّا وبرًّا لم نقف بجيادنا ... بنجدٍ ولم نقسم نهابًا ومغنما

وانكر ابن خلدون ذلك وقال البربر معروفون في بلادهم واقاليمهم متميزون بشعارهم من الامم منذ الاحتقاب المتطاولة قبل الاسلام وانهم من ولد كنعان ابن حام بن نوح وان اسم ابيهم مازيغ · والدليل على ان البربر لم ينشأوا في

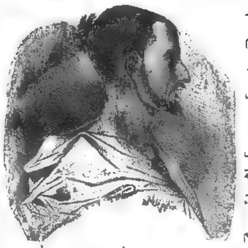
افريقيا وانما رحلوا اليها من اواسط آسيا قبل الاسلام بعهدٍ عهيد ان لغتهم قريبةٌ من لغة الحبشة والقبط والغلاّس وهذه اللغات ذات اصلٍ واحد وان في الهند أُمةً من البربر وفي بلاد فارس الاولى اقليماً كان يقال لهُ بربرستان فضلاً عن وجود البرابرة في جهات البحر الاحمر وفي وادي النيل مما يؤيد القول بانهم حطوا رحالهم حيث توجد بقايا نسلهم الآن · وفي بعض الروايات ان المصريين طردوهم حينئذٍ فارتحلوا الى المغرب وبقي منهم من بقي في اطراف وادي النيل والنُوبة وان البربر انفسهم ما زالوا ينتسبون الى كنعان بن حام كما قال رسلهم للامام عمر بن الخطاب وكما اثبت القديس اوغسطينس · ونقل بروكوبيوس كتابةً قديمة يتبين منها ان الفلسطيين اجتاحوا شمالي افريقيا في العصور الخوالي

وقد اجتاح البربر اممٌ كثيرة في احقابٍ متوالية فامتزجوا بها ودانوا لها وتخلقوا باخلاقها والفوا عوائدها الا الذين اعتصموا بالجبال منهم فاستمروا مستقلين في تلك المعاقل الطبيعية الحصينة كغيرهم من المردة · وهذه الامم هي الفينيقيون واليونان والوندال والرومان والعرب والترك · ومن الثابت ان العرب كانوا اكثر تأثيرًا في تغيير اخلاق البربر من جميع الامم الذين اجتاحوا بلادهم فقد امتزجوا بهم ونشروا بينهم عقائد الدين المحمدي فتمسكوا بهِ منذ بداءة القرن الاول للهجرة وتمكنت اللغة العربية من السنتهم حتى صاروا لهذا العهد امةً يتوهمها كثيرون من العرب الخُلَّص فيقولون عرب الجزائر وعرب مراكش وعرب طرابلس وعرب تونس · وقد ثبت الآن أن العنصر الاصلي انما هو البربر لا العرب وان هؤلاء انما كانوا دخلاء على اولئك في افريقيا فلم يؤثروا الا في سكان السهول والمدن منهم وانما كان هذا التأثير مقصورًا على الدين واللغة على انهم كانوا اسرع

الى الارتداد ولذلك هجاهم احد المغاربة بقوله

رأيت آدم في نومي فقلت لهُ   أبا البرية ان الناس قد حكموا
أنّ البرابر نسلٌ منك قال اذًا   حوّآء طالقةٌ ان كان ما زعموا

وقالوا ان في هضاب جبل اطلس الى الجهة الجنوبية سُلالةً من البربر لم تمتزج اصلاً بغيرها من الامم التي اجتاحت افريقيا من قديم الزمان حتى الآن الا انها اختلطت بالزنج واهل سَنّغال فتغيرت سحناتها وغلب السواد على لونها. ومن الغريب أن في البربر قوماً يمتازون بلونهم الابيض المُشرِق المترقرق بمآء الجمال وبشعرهم الاشقر الحريري الطويل وعيونهم الزرق الفتانة وهم ليسوا من ابنآء هذه الايام ولكنهم



وُجدوا ثمة كذلك منذ الاحقاب المتقادمة فقد وُجد مثالهم في الصُوَر المصرية المرسومة على الهياكل من القرن الخامس عشر الى الثالث عشر ق م. واثبت بعض المحققين ان امةً خرجت من اوربا في القرن العشرين ق م ومرت باسبانيا وجبل طارق حتى انتهت الى الجزائر وتونس فاجتاحتهما واقامت هناك زماناً لم تزل باقية الى الآن. والتّهو عند قدمآء المصريين يمثلون هذه السلالة الآرية (انظر صفحة ٨ من الجزء الاول ش ١)

والحاصل أن البربر الآن مؤلفون من عناصر مختلفة غلب عليها العنصر السامي فهم يمتازون بهِ في سحناتهم وملامحهم وتقاطيعهم وعوائدهم وأخلاقهم على ان لونهم اصفى من لون العرب واجسادهم اكبر ووجوههم اقلّ بيضية وانوفهم اعرض واضخم وذقونهم اشدّ شخوصاً وجباههم اقل تسطحًا واستوآء فهم لذلك اشبه بفلاحي اوربا من الساميين · والطوارق منهم اكثر شبهاً بالاوربيين مع انهم من البادية خلافاً للقبائل فهم حضر · وفي طباعهم الاكباب على العمل والاجتهاد والاقتصاد والنظر في العواقب فلا ترى في بلادهم ارضاً بورًا بل كثيرًا ما تراهم يفرشون الصخور بالتراب ليزرعوها ولذلك كانت بلادهم عامرة كثيرة الدساكر والقرى ومعدل السكان ٨٠ في الكيلومتر المربع خلافاً للبلاد التي تغلب فيها الدم العربي فهي على الجملة غامرة لان العرب اكثر ميلاً الى البداوة والغزو · والعرب لا يهتمّون بما للغد ويقنعون بالكفاف اما البربر فيذخرون على الغالب مؤونتهم بما يكفيهم سنةً وسنتين والاكثار من الزوجات غير شائع عندهم فلا يتزوج الواحد منهم باكثر من امرأة الا فيما ندر ولذلك كانت النسآء عندهم مكرّمات غير ممتهَنات ولا ذليلات يشاركنَ ازواجهنَّ في السرّآء والضرّآء ويضارعنَ الاوربيات في الأَنَفة والحرّية

ومن الغريب ان هذه السلالة المنتشرة في ارض فسيحة الارجآء ليس لها من المفاخر ما تُذكَر بهِ فأهلها موصوفون بالبسالة والاقدام وهم مغلوبون على امرهم من قديم الزمان حتى الآن ومعروفون بالحذق والاجتهاد والدأب في العمل وليس لهم تجارةٌ ولا صناعة ولا فنون يضاهون بها الامم الراقية في سلم المدنية وذلك لتشتتهم واختلاف منازعهم واستقلال كل قبيلة بامرها واستحكام العصبية بينهم وتوفر اسباب الخصام والعدآء بين العشائر على نزق طباعهم وجفآء

اخلاقهم وطيش احلامهم فربما تخاصم اثنان منهم على انتجاع قطعةٍ من الكلإِ فثارت ثائرة الفتنة وعم البلآء الاحزاب ولذلك كان كل فريق منهم يتحين الفرصة للايقاع بالآخر ولو كان لهم جامعة وطنية ونظر في احكام صلات الاخآء على ما تقتضيهِ مصلحة بلادهم لكانوا اول الامم في ارتقآء معارج المدنية واسبقهم الى الحضارة والعمران

اما عددهم فلا سبيل الى تقريرهِ بالتدقيق وأقرب ما جآء فيهِ ان البربر في الجزائر وحدها يبلغون نحو مليونين منهم ٩٠٠٠٠٠ يتكلمون باللغة البربرية والمراكشيون يبلغون ستة ملايين منهم خمسة ملايين من البربر. وسكان تونس وطرابلس الغرب والصحرآء يبلغون مليونًا على الاقلّ. فجملة البربر على التقريب ٩ ملايين منهم زُهآء ثلاثة ملايين مستعربون والله اعلم

التلقيح في السل الرئوي

لقد ذاع في هذه الايام خبر استنباط الاستاذ كوخ الشهير العلاج الشافي من السلّ الرئوي وهو الخبر الذي نشترك في نشرهِ مع غيرنا من اصحاب الجرائد والمجلات مستبشرين بتحقيق امانيّ الاستاذ المشار اليهِ بعد ان كاد ينقطع الامل من نجاحهِ في هذا الامر الخطير الا انهُ لما كان شأننا في تقرير مثل هذه الامور غير شأن الأخباريين وكان قرّآء مجلتنا يتوقعون منا ان نوافيهم ببيان الحقائق العلمية والعملية مجردةً عن المبالغة خاليةً من الخطل في النقل تحرينا مقالة الاستاذ كوخ نفسهِ التي نُشرت في ١ ابريل الحالي في المجلة الطبية الالمانية[1] وهي المجلة التي نشر فيها تقاريرهُ السابقة فلخصنا منهـا ما تهمّ

[1] Deutsche medicinische Wochenschrift

معرفتهُ وما يجلي بهِ وجه الحقيقة ليكون المطالعون على بيّنة منها فلا يغرّون بالاخبار المبالغ فيها كما وقع بالامس في المسئلة نفسها

ومعلوم أن الأُستاذ كوخ هو الذي كشف انبوبيات السلّ واثبت انها سبب الفعل الوبيل في هذه العلة على انهُ لم يقصر جهدهُ على ذلك ولكنهُ عني باستفراخ هذه الأُنبوبيات واجراء التجارب في الحيوانات حتى تسنى لهُ ان يعافيها بالتلقيح وفي ٤ اوغسطوس سنة ١٨٩٠ انعقد مجمع الاطباء العام في مدينة برلين فرفع اليهِ تقريرًا افاض فيهِ ببيان طرق استفراخ هذه الأُنبوبيات وكيفية معافاة الحيوانات الملقّحة بالمادة المستفرَخة بعد تخفيفها فشاعت الاخبار منذ ذلك الحين عن استنباطهِ ثم نشر بعد قليل تقريرًا آخر خلاصتهُ ان التلقيح افاد ايضًا بمعافاة الانسان من هذا الداء العقام وانهُ اذا أُخذ بالفم لا يؤثر شيئًا واذا حُقن بهِ تحت الجلد ظهر تأثيرهُ ولا سيما في المسلولين او المستعدين للسلّ واثبت انهُ لا يخطئ الاعتماد عليهِ في تشخيص هذه العلة قبل ظهور اعراضها الّا انهُ لم يُبح بسرّ تركيبهِ فكثر المعترضون عليهِ والطاعنون فيهِ حتى منعت بعض الحكومات استعمالهُ ولا سيما بعد ان عُلم من تقريرهِ الثالث ان مادة اللقاح انما هي مُستفرَخ انبوبيات التدرن محلولاً بالغليسرين من ٤٠ الى ٥٠ في المئة. وفي ٢٢ اكتوبر سنة ١٨٩١ نشر تقريرًا رابعًا في المجلة المتقدم ذكرها أشبع الكلام فيهِ على تركيب هذا اللقاح الكيماوي وفعلهِ في المصابين بالتدرن الّا ان الاطباء لم يحفلوا بهِ لما تبينوهُ من ضرر التلقيح بهِ في المرضى . أما هو فلم يبرح مثابرًا على الامتحان ولم يقنط من النجاح حتى توصل في هذه الايام الى استنباط الطريقة التي نرويها ملخصةً عن تقريرهِ المشار اليهِ آنفًا قال

ان القصد من التلقيح سواءٌ استُعمل للوقاية ام للشفاء انما هو المعافاة

بادخال جرثومة العلة مخففةً الى البدن وليس ذلك بالامر السهل في الامراض الوبيلة حيث تقتضي المعافاة مقاومة فاعلين هما جرثومة العلة نفسها والسمّ المرضي الذي تفرزهُ الجراثيم فربما افاد التلقيح بتخفيف السم المرضي ولم يؤثر في الجراثيم كما في الكزاز (التتنوس) فقد اثبت بهرنغ وكيتازاتو أن التلقيح بمادةٍ تشتمل على جراثيم هذه العلة عقيب استفراغها تُعافى بهِ الحيوانات من سميّة المرض ولكن الجراثيم تبقى على حالة نمائها فيتجدد السم المرضي الذي تفرزهُ ولذلك يهلك الحيوان الملقح بعد انقضاء بضعة اسابيع من تلقيحهِ مهما كانت المادة الملقح بها قوية. والامر على خلاف ذلك في الهيضة الوبائية والحمى التيفوئيدية لان التلقيح بمادة تشتمل على جرثومة هاتين العلتين يؤدي الى هلاك الجراثيم بسرعة ولا يؤثر شيئًا في مفرزها السامّ فلا تحصل المعافاة المقصودة. والحاصل ان سلامة الحيوان الملقح تتوقف على استيفاء شروط المعافاة من جميع الاوجه وليس من بعضها فقط وهذا ما يجب اعتبارهُ في المعافاة من التدرُّن وهو الخطة الشاقة التي يُظنّ لاجلها ان التدرن غير قابل للمعافاة لان المصاب بهِ قد يعيش سنين عديدة وربما شُفي بعض المصابين الاَّ أن القابلية لا تزول فينتكس العليل من جرَّاء اسبابٍ طفيفة. على انهُ قد ثبت بالامتحان ان المعافاة من هذه العلة ممكنة في بعض الاحوال كأن يكون التدرن حادًّا تكثر في الطور الاول منهُ الانبوبيات المميزة ثم تقلُّ كثيرًا حتى تكاد لا ترى وحينئذٍ يترجح حصول المعافاة ولكن بعد ان تكون العلة بلغت غايتها فلا يبقى للمعافاة نفع. قال وهذا ما حملني على تحرّي طريقةٍ يتسنى بها الحصول على هذه المعافاة في طورٍ يمكن الانتفاع منها فيهِ فاجريت تجارب كثيرة توصلت بها الى تقوية البنية على هضم الجراثيم المرضيّة وامتصاصها متذرعًا الى ذلك

بوسائط كياوية من مثل مزج انبوبيّات التدرن بالحوامض المعدنية المخفّفة او القلويات الحُرّة المحماة الى درجة الغليان

اما الطريقة التي استعملها بالقلويات فهي انهُ اخذ كمية من محلول الصودا الكاوية على نسبة ١٠ الى مئة ومزج بها مقدارًا من انبوبيات السلّ المستفرَخة بحسب الطريقة المألوفة وحرك المزيج جيدًا وابقاهُ ثلاثة ايام في محلٍ حرارتهُ معتدلة وكان يحركهُ مرارًا كثيرة كلَّ يوم ثم رشّحهُ فاذا هو سائل مسمرٌ قليلاً يرى فيهِ بالمجهر قليل من الانبوبيات الميتة ثم جرب التلقيح بهذا السائل فحدث حرارة ولذلك عدل عنهُ الى الطريقة الآتية وهي أنهُ استفرخ انبوبيات التدرن على مادة جافة ثم سحق هذه المادة بهاونٍ عقيقي سحقًا دقيقًا جدًّا مارسهُ مدةً طويلة حتى تبيّن بالمجهر ان الانبوبيات الملونة لم يبقَ منها الا القليل ثم مزج المسحوق بمآءٍ مقطر وجعلهُ بحيث يتحرك بآلةٍ في منتهى السرعة تدور من المركز الى المحيط ٤٠٠٠ دورة في الدقيقة وبقي التحريك مدة ٣٠ الى ٤٥ دقيقة فانفصل المزيج الى طبقتين العليا هي سائل ابيض ليس فيهِ شيءٌ من الانبوبيات والسفلى راسبٌ عكِر شديد الالتصاق بجدران الانآء اعاد عليهِ العمل الاول وكررهُ حتى لم يبقَ راسب. وقد ثبت عندهُ أن سائل الطبقة العليا اذا مُزج بمقدارٍ من الغليسرين على نسبة ٥٠ في المئة لا يحدث فيهِ تغيرٌ بخلاف سائل الطبقة السفلى فانهُ يتولد فيهِ حينئذٍ راسبٌ ذو ندفٍ يعوم في سائلٍ صافٍ كالمآء القراح وهو دليلٌ على حُتات الانبوبيات السلّية لانها لا تذوب في الغليسرين. والحاصل ان التلقيح بسائل الطبقة الاولى يؤثر كالتلقيح بالمادة التي وصفها في تقريرهِ الثالث كما تقدم ولكنهُ لا يُحدِث نفيحًا في المحل الملقَّح والمعافاة التي يُحدِثها لا تكون واضحة الا في بعض الاحوال بخلاف التلقيح بسائل الطبقة السفلى اذا أُحكم مزجهُ

وأتقن صنعهُ فهو المعوَّل عليهِ في احداث المعافاة بدليــل ان الملقَّح بهِ يسلم من تأثير التلقيح بالخلاصة التدرنية اذا حُقِن بها تحت الجلد بعدئذٍ على ما ثبت بالامتحان

ولما كان استحضار هذه المادة صعباً جدًّا يستفرغ الجهد في التدقيق واحكام المزج والسحق ومع ذلك لا يحصل منهُ بعمل اليد الا كميةٌ صغيرة اشار بوجوب استحضارهِ في معمل خصوصي

اما طريقة التلقيح فبسيطة وهي ان يُحقَن تحت الجلد في جهة الظهر بحقنةٍ مطهَّرةٍ تَسَع مقدارًا من السائل المذكور لا يتجاوز الجزء الفعال فيهِ خُمس جزء من الف من الغرام لئلا يعقب الحقن حرارةٌ ويُكرَّر الحقن كل يومين مرةً وتزاد الكمية المحقون بهــا بالتدريج حتى تبلغ ٢٠ ميلغراماً فيوقف عند هذا الحدّ واذا حدثت حرارة يُترَك الحقن ثم يُعاد متى زالت · وقد استعمل هذا العلاج في الجُذام فنجح ولا يخفى ان انبوبيات هذا الدآء كانبوبيات السل

هذه هي خلاصة ما ورد في تقرير الاستاذ كوخ والمطالع الليب يحكم اذا نظر فيها بعين الاعتبار أن القواعد التي بنى عليها تجــاربهُ محكمة الوضع وان ما علل بهِ حبوط المعافاة من قبل معقول وأنَّ نجح هذه الطريقة غير مستبعد على أن الاستاذ يزعم ان لا ريب في كونها انجع طريقة لشفآء هذا الدآء العقام فيجب ان لا يُهمَل استعمالها في بدآءتهِ ولكنها لا تفيد اذا اختلط السلّ بعلةٍ اخرى رئوية يُستدلّ عليهــا بارتفاع حرارة المريض فوق ٣٨° س او اذا بلغت شدة المرض الحدّ الذي يقرب بهِ المصدور من أجَلهِ والله اعلم



فيلون الفيلسوف اليهودي

اجابةً لاقتراح بعض مشتركينا الكرام نذكر محصَّل ما وقع الينا من ترجمة هذا الرجل ومذهبهِ وان لم تقف من ذلك على القدر الشافي ولكنّ ما لا يُدرَك كلُّهُ لا يُترَك جُلُّهُ

أما ترجمتهُ فهو من سلالة الكهنة اليهود وُلِد بالاسكندرية سنة ٣٠ وقيل سنة ٢٠ قبل الميلاد وتلق حكمة اليونان على مذهب افلاطون فبلغ منها مبلغاً عزيزاً وكان يحاول تطبيق الدين اليهودي على قواعد الفلسفة الافلاطونية ولذلك كان يُلقَّب بأفلاطون اليهود. ولما كانت سنة ٤٠ للميلاد انفذهُ يهود الاسكندرية الى رومة ليستمنح لهم من الامبراطور كاليغولا الحاق الاسكندريين بمزية الرومان وذلك من نحو اعفآئهم من الضرائب واسقاط الرق عنهم وتقليدهم خطط الاحكام الى ما يتصل بذلك فاخفق سعيهُ ولهُ في هذه الرحلة رسالةٌ مخصوصة. اما تأريخ وفاتهِ فغير معلوم وقد ترك مصنفاتٍ عديدة في اللاهوت العبريّ والتأريخ والفلسفة واشهرها اربعة احدها في الخلق على النصّ الموسوي والثاني في حياة موسى والثالث في الحياة التأملية والرابع في العالم.

ولهُ تفسيرٌ للتوراة على مذهب اهل الباطن نحا فيهِ الى ان كلام التوراة التي هي مصدر جميع العقائد الدينية والمذاهب الفلسفية لهُ مفهومان احدهما المفهوم الظاهر او الحرفي وهو ما تتناولهُ مدارك العامّة والآخر المفهوم الباطن او المجازيّ وهو ما يستشَفّ تحت ثوب التورية والرمز من الفلسفة الدينية والحقائق المكنونة مما لا يتفطن لهُ الّا الذين رسخوا في العلم واخلصتهم الفضيلة ورفعهم التأمل الى الطَور الربّانيّ والعالم العقليّ. وكان يرى انهُ ممن ادركوا هذا الطور ويزعم انهُ

قد كوشف بأسرار موسى وارمياء ولكنهُ انما يشرح منها القدر الذي يمكن ان يباح بهِ وهو يوجب على المكاشَفين بتلك الاسرار ان يكتموها في صدورهم ويصونوها عن مسامع العوامّ ممن تميدوا بالصُوَر الحرفية ولم يفقهوا للعبادة الحقيقية معنىً وانما جرى في هذا الاخير على مثال افلاطون كما يرى ذلك من تتبع مذهبهُ

وكلامهُ في تقرير العقائد في نهاية الغموض والالتباس لانهُ كثيرًا ما يمزج في اقوالهِ بين الباطن والظاهر يموّه بذلك اغراضهُ على العامّة ولذلك يصعب التوفيق بين انحاء مذاهبهِ وشعاب آرآئهِ وتصويرها على وجهٍ واضح ورسمٍ بيّن . لكن الذي يُتناول من مجمل اقوالهِ أن للوجود مبدأين ازليين هما الله والمادّة فالله هو روح الوجود وصورة هذا الروح هي الكلمة ولله كلمتان احداهما العقل الالهي الممثلة فيهِ صور الخلائق منذ الازل وهي اسي هذه الصور الكون العقلي او الوهمي . والكلمة الثانية هي مجتمع الصفات الالهية العاملة في ابداع الكون الطبيعي او الحسي وبها كُوّنت المخلوقات على مثال تلك الصور . وعلى ذلك فالكون العقلي هو ابن الله البكر اذ هو اوّل نتاجٍ للقوّة الالهية وقد اتخذت المادّة صورتهُ العقلية فظهر بها متجسدًا . فهو اذن النائب الاعلى عن الله والوسيط بينهُ و بين البشر والعقلُ الالهي الذي يرشد بني الانسان

وبقي عدا الخلائق المنظورة خلائق أُخر كثيرة غير منظورة تملأ الهوآء لا يعروها مرضٌ ولا تموت وهي طبقات فمنها ملائكةٌ ومنها جانٌّ ومنها ابالسة ومنها ما يكون في الاجسام او تقوم بهِ نفوس الكواكب . ونفس الانسان من بينها مركبة من جزء عاقل وآخر غير عاقل وا لاول مصدر الادراك العقلي والشعور الحسي والنطق وا لآخر مصدر الشهوات الطبيعية

وهناك منقولات أُخر ليس فيها كبير امرٍ فأضربنا عن ذكرها حبّ الايجاز على ان الكثير منها منقوض بالبداهة ولعل سببهُ ما ذكرناهُ من ايثارهِ التستُّر والمغالطة في معتقداتهِ على ما تقدم من مذهبهِ والله اعلم

صحة العين

ليس في اعضاَء الانسان عضوٌ لطيف الحس سريع التأثر كثير الانفعال بما يعرض عليهِ من اسباب العلل كالعين وليس في اقطار المسكونة على ما نعلم مثل القطر المصري في توفر اسباب هذه العلل وما ينتج عنها من حوادث العمى الذي هو اكبر المصائب والبلايا على الافراد واعظم الكوارث والرزايا على العباد. واذا كانت هذه الاسباب مما يمكن اتقاؤُهُ فلا احقَّ من النظر فيها ولا اهمَّ من معرفة حقائقها توصلاً الى منع ما يحدث عنها من العلل بالتدبير الملائم لان التدبير افضل طرق العلاج كما لا يخفى على البصير الحازم

ومعلوم ان الرمد هو اكثر امراض العين حدوثًا في هذا القطر وشرُّ انواعهِ الرمد الصديدي ويسميهِ اطباَء الافرنج بالرمد المصري لانهم يزعمون انهُ مستوطن في مصر وسُمّي ايضًا بالرمد الجندي لانهُ ظهر في اوربا وافدًا بعد رجوع الجند الفرنسوي من مصر. وهو علة وبيلة معدية شديدة الخطر على العين تحدث غالبًا في الصيف على انهُ قد يكون خفيفًا سليم العاقبة لا يحدث المًا الا قليلاً ويزول في بضعة ايام. وليس من غرضنا الآن البحث في ماهية هذا الداَء ووصف انواعهِ وبيان اعراضهِ وعلاماتهِ وما يؤول اليهِ امرهُ من الخطر الى غير ذلك مما يُبحث عنهُ في كتب الطب ولكننا نجتزئُ بالاشارة الى اخصّ الاسباب

التي تُضرّ بصحة العين عموماً وتهيئ السبيل لحدوث هذه العلة خصوصاً قصد تعميم النفع وتلافي الضرر وهي

اولاً انعكاس اشعة النور عن سطوح لا تمتص من حرارتها الاّ قليلاً فيحدث الوجع الذي ينبّه شبكية العين تنبيهاً قوياً فتنقبض الحدقة ويتقلص الجفنان وتظهر على الوجه علائم الانقباض والاشمئزاز ولذلك يضطر المريض للنور القوي ان يطرف بجفنيهِ كثيرًا وبتكرار الفعل والانفعال يعتريهِ الحوَص . وكان يُظَنّ من قبل ان شدة حرارة الصيف يلازمها في مصر الرمد الصديديّ لانعكاس اشعة الشمس عن ارضها المستوية رملية كانت او بيضآء التربة وليس الامر كذلك لان الصعيد اشدّ حرارةً من القاهرة ولكن الرمد الصديديّ قليل الحدوث فيهِ بالقياس اليها وهو قلّما يحدث في الصحرآء على شدة الحر فيها

ثانياً الغبار الدقيق الذي تثيره الرياح ولا سيما ريح السموم المعروفة بالخماسين فهو يهيج ملتحمة العين بما يتضمنهُ من المادة المحية فتحدث فيها التهاباتٌ كثيرًا ما تكون ذات خطر على البصر وزعم بعضهم أن هذا الغبار بما تضمنهُ من المادّة المحية المنتشرة فيهِ هو علة الرمد الصديدي المصريّ وليس الامر كذلك لانهُ قد ثبت ان هذه العلة الخصوصية تحدثها جُسَيمات آلية خصوصية كما سيجيء وان الالتهابات الحادثة في ملتحمة العين من تأثير الغبار تبرأ بشيافٍ بسيط كقطرة من محلول ملح الزنك وغيرهِ

ثالثاً تغيُّر مهابّ الريح واختلاف كيفياتها بين باردٍ وحارّ وجافٍ ورطب وذلك كثير الحدوث في مصر فربما تغيَّر الهوآء في اليوم الواحد خمس دفعات ولا سيما عند الانتقال من فصل الشتآء الى فصل الصيف فتحدث النوازل على ضروبها ومنها انواعٌ من الرمد يهيئ حدوثهـا الاستعداد الخصوصي في الذين

يتعرضون للتغيرات الجوية فضلاً عما يحمله ُ الهوآء من الجسيمات الآلية والمواد المهيّجة والعفونات الكثيرة الوبالة الشديدة الضرر

رابعاً الوسخ وهو سبب حدوث كثير من امراض العين واشتدادها اذا حدثت . وتفشّي هذه الامراض في مصر مترتب عليهِ غالباً لانهُ يهيء السبيل لتكاثر الجسيمات الآلية ونمآئها وانتقالها من شخص الى آخر . وقد يكون الذباب واسطة انتشار هذه الجسيمات بنقلها من المصاب الى السليم ولا سيما في الرمد الصديدي . ومن الغريب ان كثيرين من اهل هذا القطر لا يعتنون بالنظافة مع انها من الفروض الدينية ومن اهمّ الشروط الصحية ومن اكبر الواجبات الادبية . وربما اكتفى بعضهم بغسل الوجه ولم يهتم بازالة الرَّمَص المتجمع في المآقي وعند اصول الاهداب فيتأتى عن ذلك احتقان الملتحمة وقد يؤدي الى علل في القرنية يخشى منها فقد البصر

اما سبب الرمد الصديدي فقد مرَّ انهُ جُسَيمات آلية خصوصية وهي كثيرة الانتشار سريعة العدوى لذلك كثيرًا ما تكون هذه العلة وافدة وقد ثبت ان اكثر ما تحدث في الاطفال بعد بضعة ايام من الولادة لانهم يُعرَّضون لدخول شيء من السائل الابيض في عيونهم حين الولادة وقد كشف « نيسر » الجسيمات الآلية المذكورة في السائل الابيض ثم تحقق وجودها في الرمد الصديدي فاثبت انها سبب العلة الاصلي وتبعهُ غيرهُ من المحققين فلم يبقَ محلٌّ للريب في ان هذه الجسيمات تعلق باهداب الطفل حال النفاس وتبقى في حالة الحضانة من ٣ الى ٥ ايام حتى يظهر المرض

ومن الاسباب التي تضرُّ بصحة العين الهوآء المحصور في المدارس والسجون والمعامل. ودخان التبغ في مكان محصور الهوآء. وفرك العين باليد. وضغط المناظير

على الاهداب وأشفار الجفون لان ذلك قد يؤدي الى تني الاهداب والتهاب الملتحمة وغير ذلك . وحرارة النار التي تؤثر كحرارة اشعة الشمس فتحدث التهابات في ملتحمة العين والقُزَحية والشبكية كما يقع للزجّاجين والطباخين والصاغة والحدادين . وكثرة التحديق في الاشيآء الدقيقة ولا سيما في الليل. وكثيرٌ من الاحوال التي تؤدي الى احتقان الدماغ وبالتالي الى احتقان العين كالصراخ والغنآء والرياضة العنيفة والمشدّ الكثير الضغط الى غير ذلك

اذا علمت ذلك كلهُ فما عليك الاّ ان تستخلص من هذه القواعد الكلية ما يجدر بك اعتبارهُ في الوقاية اذا كانت عينك عزيزة عليك ولا بأس ان نعزّز ما ذُكر بما قالهُ الشيخ الرئيس في ارجوزتهِ المشهورة

واحفظ على عينيك من غبارِ   ومن دواخنٍ ومن بخارِ
ومن شعاع الشمس والسمومِ   ومن لقآء الوهج من حميمِ
ولا تُطل قرآءة الدقيقِ   نقشٍ وخطٍّ مُدمَج التعليقِ

منافع التمنيز

يراد بالتمنيز في الطب جسّ اقسام الجسد العضلية وذلك الاوصال لتلين وتُنبَّه حيوية الجلد والانسجة تحتهُ واشتقاقهُ من الغمز بمعنى الجسّ والعصر ومنهُ غمز المثقِف القناة قال زيادٌ الاعجم

وكنت اذا غمزتُ قناة قومٍ   كسرت كعوبها او تستقيما

وهو من مواضعات المولدين لم يأتِ في كلامٍ قديم والاظهر ان العرب لم تكن تعرفهُ وقد استعملهُ الشيخ الرئيس في ارجوزتهِ قال

وداوِ من اصيب بالاعياء · بالدهن واللطيف من غذاء
والدلك والتمييز في الحمّامِ · وليسترحْ من بعدُ في ايامِ

وجاء في خطط المقريزي (مجلد ١ ص٣١٧) ان خارويه شكا الى طبيبهِ كثرة السهر فاشار عليهِ بالتمييز فأنف من ذلك وقال لا أقدر على وضع يد احدٍ عليَّ الى آخر ما ورد هناك . ومن الناس من يسميهِ بالتكييس والتمسيد وهما من الالفاظ العامية

أمّا فوائدهُ فان المولَّدين من العرب كانوا يستعملونهُ لمقاصد صحيّة في الحمّام وخارجهُ وهو شائع عند الشرقيين يستعملونهُ الى اليوم ولا يبعد ان يكون الافرنج قد اخذوهُ عن العرب في جملة ما اخذوهُ من معارفهم وعلومهم فاينما سرت في مدنهم وجدت حمّاماتٍ على الاصطلاح الشرقي يجرون فيها على الطريقة المتعارفة عندنا ويؤثرونها على ما سواها

اما الطرق التي يجرون عليها في استعمال التمييز علاجاً فكثيرة من عصر وجسّ ودلك ودعك وتمليس وغير ذلك مما يستعملهُ المغمِّزون على اصول متعارفة عندهم يُستغنَى عن وصفها وتعريفها بالممارسة والمشاهدة فلا نطيل في بيانها هنا ولا نتعرض لتفصيل الطرق العلاجية الموضعية بالدهون والمروخ وغير ذلك مما يكون معظم التأثير فيهِ عائدًا الى الدواء الذي هو المقصود في العلاج لان ذلك خارجٌ عن الصدد الذي نحن فيهِ. ولكننا نقتصر الآن على ذكر العلل التي يفيد استعمال التمييز فيها علاجاً على الخصوص وهو مهما تنوعت طرقهُ فالفائدة منهُ واحدة مرجعها على الاكثر ما يحدث عنهُ عقيب التليين ببخار الماء الحارّ من شعور المغمَّز بالراحة والانشراح ونشاط العضلات من عُقلة التعب فتسهل الحركة ويزيد مجرى الدم في العروق وتنبه القوى الحيوية

ولذلك كان التغميز كثير النفع في البلاد الحارة لاستعاضة الجسم بهِ ما يفقدهُ بفعل الحرارة ولكن الافراط فيهِ مضرٌّ جدًّا لانهُ يؤدّي الى الضعف بما ينشأ عنهُ من التنبُّه والتأثر وكثرة التحليل فلا يعود الجسد يقوى على تحمُّل الاتعاب

وقد بالغ بعض الاطبَّاء في منافع التغميز فعزا اليهِ شفآء كثير من الآلام والاسقام وما هو في الحقيقة الا واسطة يقتصر نفعها في الطب على بعض العلل العصبية مما يخضع لسلطة الوهم وفيما عدا ذلك فالفضل فيهِ راجع الى الحمَّام لانهُ يحلل الفضول ويبرزها بالتعريق ويزيل الاوساخ عن البدن فتنفتح المسامُّ ويسهل التنفس الجلدي

اما العلل التي ينفع فيها التغميز فهي الوثآة والخدر الدموي والتقلصات العضلية وعلل المفاصل والاوتار وكثيرٌ من العلل العصبية والامراض المزمنة والقبض المستعصي لتليين الامعآء وشلل الاطراف الحادث بعد السكتة عقيب امتصاص الخثرة الدموية لاعادة التقلص العضلي . وقد يكون كثير النفع في ازالة الاعتقالات التي تحدث في النقه من الهيضة الوبآئية واشاروا باستعمالهِ ايضاً في بعض امراض القلب والنزلة الرئوية على طريقة المروخ وفي الامراض البلغمية والخنازير والاستسقآء وغيرها

قصيدة عصرية

لحضرة الشاعر المجيد نجيب افندي الحداد احد منشئي جريدة لسان العرب الغرَّآء

مَن بدورٌ تسير في المركباتِ ومن القبَّمات في هالاتِ
كللتها ازاهر الصنع من نبـ ـت الايادي لا من ايادي النباتِ

الخوانُ يفاخر الثغر في الحسـ ن وورد يفاخر الوَجَنـاتِ
زَهَراتٌ ما حاكها ابنُ سحابٍ في رُبى الروض بل بنان البناتِ
قد عداها طيبُ الازاهر لكن قد عدا الزهرَ ما بها من ثباتِ
ان يكن فاتها الاريجُ فقد عوّ ضن عنه روائح الغانيـاتِ
او يكن فاتهـا رياض جنانٍ فهي فوق الرؤوس في جنّاتِ
او عدتها الغصونُ فهيَ على مثـ ل غصون الربى من القاماتِ
كل هيفاء تفضح البدرَ في الحسـ ن وظبي الفلاة في الفتـاتِ
سائراتٌ جوالسٌ فهيَ لم تعـ جل ولكنها على عجلاتِ
مفردات الجمال تنطلق الخيـ لُ فُرادَى بها ومزدوجاتِ
وكأنَّ الجيـاد تشعر بالحسـ نِ فتجري بهنَّ مفتخراتِ
قد درت انهـا تجرّ بدورًا فتبـارت كالانجم السائراتِ
مسرعاتٌ ترى الدواليبَ من سر عتها في مرورها ثابتـاتِ
ويدور النسيمُ في الريش فوق الـ روس حتى تخالها طائراتِ
وقلوبُ العشـاق تتبع الغيـ دَ تباري أفراسها الجاريات
وتحوم الابصارُ تنتهب الحسـ ن انتهاباً من اعينٍ ناهباتِ
وتضلّ العيونُ بين جمـالٍ وجمـالٍ فتنثني حائراتِ
صاحِ هذه هوادجُ الحَضَر اليو مَ تخلّ الهوادجَ الباديات
ودَعِ النوق والفـلاة فلا نو قًا باحيـائنـا ولا فلواتِ
ودعِ العيسَ والحداء لقومٍ ألِفوا عيسهم وزجرَ الحداةِ
تلك حالٌ مرّت قديمًا وذي حا لٌ وسبحان مبدل الحـالاتِ
انمـا عيسنـا سوابقُ خيـلٍ ولدينـا هوادج المركبـاتِ

فهناك الجمالُ تأخذهُ العيـ ـنُ جليًّا ويأخذ المُهجاتِ
وهناك الدُمى تباح لحظِ الـ ـطرفِ لكنها من المحصناتِ
حسناتُ العصر الذي كلهُ نو رٌ يجلي غياهبَ الظلماتِ
ان يسؤنا الماضي فقد سرَّ آتٍ فاغتفرْ ما مضى بما هو آتِ

﴿ مأثرة مصرية ﴾

دار العاديّات الجديدة — في اليوم الاول من الشهر الغابر احتُفل بوضع الحجر الاول من دار العاديّات المصرية وقد اختُطّت بجوار قصر النيل غربيّ الاسماعيلية فسعى الى هناك جماعةٌ كبيرة من اعيان رجال الحكومة ووجهاء السكان حتى اذا تكامل الحشد وفد سمو الخديوي المعظّم في موكبهِ ولما استقرّ بهِ المجلس وقف صاحب السعادة حسين فخري باشا ناظر المعارف والاشغال العمومية ففاه بخطابٍ فرنسويّ العبارة نعرّبهُ محصّلاً قال —

« مولاي

« في هذا اليوم تضع يداك الكريمتان الحجر الاول من الدار المعدّة لإيداع العاديّات المصرية وذلك ولا ريب اصدق أمارةٍ على ما صار اليه هذا القطر في عهدك الميمون من السعادة والفلاح وبتأسيس سموّك هذا المقام الفرعونيّ فلا جرَم انهُ سيكون أليق مقامٍ تُؤوَى فيهِ تلك الآثار الثمينة من بقايا القرون الخوالي . أجَل ان من كان ينظر الى بقايا اولئك الملوك قبل اليوم كان ولا شكّ يتمثل لهُ انهم لم يُنصَفوا اذ أُخرجوا من مضاجعهم الصوّانيّة فأُلقي بهم على ضفاف النيل ثم نُقلوا الى قصرٍ قد لا يأمنون فيهِ ألسنة النيران .

اما اليوم فانهم عمّا قليلٍ سيصبحون من هذا البنآء الجديد في مأمنٍ يضمن لهم الصيانة والبقآء ما بقي الدهر. فلسموك الشكر العميم اذ شملت اياديك الاحيآء ثم لم ترضَ حتى عمّت الاموات اعلى الله عرشك وزادك مجدًا على كل من تقدّمك على سرير هذا القطر بفضل الله تعالى وسابغ احسانهِ »

فأجاب سموّهُ بما تمثيلهُ

« أيها الوزير المكرّم

« اشكرك لما اجملت بهِ في خطابك الأنيق ثم أُثني عليك لمشاطرتك اياي الاهتمام باقامة هذا البنآء الجليل الكافل بحفظ آثار الغابرين ممن تقدّمونا في هذه البلاد كما أُثني على الذين وفدوا لشهود هذا الاحتفال بوضع الحجر الاول من هذا المقام الذي سيكون مُستودعًا لأنفس الآثار آثار من عُرِفوا في الارض قاطبةً بأنهم جرثومة التمدُّن ومُنبثَق انوار الحضارة والعرفان . ولقد سرَّني ما آنستُ من شدّة حرص المصريين على آثار المتقدمين منهم مما دلّ على توثُّق الصلة بين زمنهم الحاضر وتأريخهم السالف ولذلك فكل من شهد هذا الاحتفال منهم حقيقٌ بأن يفتخر بهِ لانهُ عائدٌ الى فخر الأُمّة باجمعها

« وهنا اعترف بفضل سلفآئي اذ تركوا لي هذه الثلمة ليكون سدُّها في عهدي وعلى يدي ايثارًا لي بجميل الذكر والثنآء الخالد على صيانتي لهذه الآثار التي هي رسمٌ لمجد الاولين ومثالٌ لما كانوا عليهِ من الهمم العالية والمنازع الشريفة التي ينبغي ان تكون قدوةً للأُمّة تهتدي بمنارها وتخطو على آثارها »

ولما فرغ سموّهُ من كلامهِ رُفِع اليهِ رَقّ غزالٍ قد كُتب عليهِ محضر هذا الاحتفال فوقّع عليهِ بقلمٍ مخصوص قد اتُّخِذ لهُ من قُضُب الوردِ ثم تلاهُ

في ذلك رئيس مجلس النظار وناظر الاشغال العمومية وقيّم دار العاديّات ومهندسها ثم خُتِم بالشمع الاحمر وجُعِل في صندوق من الابنوس مغشًّى بالفضة وجُعِل معهُ قطعةٌ من الانواط التي ضُربت لهذا الاحتفال وقد رُسِم عليها من الصفحة الواحدة رسم الحضرة الخديوية ومن الصفحة الاخرى تاريخ الاحتفال واسمآء الذين جرى لهدم من مراجع هذا الشأن وهم الحضرة الخديوية ومن يليها من المشار اليهم قُبيل هذا وضُمّ الى ذلك عدّة قطع من النقود المصرية وبعض جرائد القطر المشهورة من عربية وغيرها ثم أُقفل الصندوق وختم عليهِ بالشمع الاحمر وجُعِل في ضمن صندوق حجريّ من الصناديق العاديّة وأُنزل في مكانهِ من اساس ركن البناء. وبعد ذلك ارفضّ الجمع وكلهم ألسنةٌ تثني على سمو الخديوي المعظّم لما يُعنى بهِ من مصلحة الأُمّة والبلاد ادام الله عزّهُ وجعل مساعيهُ كلها مصدرًا للخير والهناء وموردًا للحمد والدعاء بفضلهِ عزّ وجلّ وحسن تسديدهِ

آثار أدبية

الدُرّة اليتيمة — اهدى الينا حضرة الاديب خليل افندي الخوري صاحب المكتبة الجامعة في بيروت نسخةً من هذه الرسالة الأنيقة وهي من تأليف الكاتب البليغ المشهور عبد الله بن المقفَّع أودعها فنونًا من الحكمة وآداب المخالقة والمعاشرة وما ينبغي للانسان ان يتزيّا بهِ من الأخلاق في مصاحبة الحكّام ومخالّة الاصدقآء ومداراة الشانئين والحسّاد وما يسلكهُ من الطُرُق لاتّقاء الاعدآء وأصحاب الطوائل والتسبب الى النيل منهم وردّ كيدهم

اليهم وكل ذلك مما لقنته التجربة واعانته عليهِ الحنكة وارشدهُ اليهِ ذكاء قلبهِ وتوصل اليهِ بعين النقد والاعتبار وتتبع الامور بالنظر الصادق والقلب الحافظ بحيث كان لا تمرّ بهِ واقعة ولا يجري امامهُ امرٌ الا تمثل فيهِ عبرةً وانتزع منهُ حكمةً واستفاد بهِ بصيرةً فاق في عامّة الكتاب بما لم يُسبَق اليهِ ولم يجمعهُ من قبلهِ جامع . ولا غرو ان يصدر مثل ذلك عن هذا الرجل الكبير على ما اشتهر بهِ من سعة عقلهِ وبُعد نظرهِ وغزارة علمهِ وقوّة عارضتهِ وما عُرِف بهِ من بلاغة الكلام وسحر البيـان والحكمة الرائعة وكيف لا وهو معرّب كتاب كليلة ودمنة المشهور الذي لو لم يكن لهُ فيهِ الّا انهُ كساهُ من ديباجة لفظهِ ووشي بيانهِ ما كان بهِ نسيج وحدهِ في التصانيف العربية فضلاً عن المعرَّبة وما لا يزال بهِ على الدهر جديداً لا تبليهِ الليـالي ولا تغيّرهُ الايام لكفاهُ دليلاً على غزارة فضلهِ ورئاستهِ بين ارباب البلاغة وامرآء الانشآء

ولا بأس ان نورد هنـا لمعةً يسيرة في المقابلة بين كلامهِ في هذه الرسالة وعبارتهِ في تعريب كليلة ودمنة لا نقصد بذلك غير فائدة النقد وما يترتب عليهِ من استخراج الحقائق وارشاد البصائر فان من تتبع الكتابين بالنظر النقّاد وتصفح اسلوبهما بالذهن الشفّاف واعتبر بعضهما ببعض فلا جَرَم انهُ يرى كلامهُ في كليلة ودمنة اخلص الفاظًا وأنقى ديبـاجةً وأنصع ألوانًا وأشدّ انسجامًا حتى تُرَى عبارتهُ هناك جوهرًا صافيًا ونَسَقًا مطّردًا لا يتوقف دونها الفهم ولا تُجهَد عندها الرويّة ولا يعترض بيانهُ فيها لَبسٌ ولا اشكال . واذا اعتبر كلامهُ في الدُرّة وجد كثيرًا منهُ غير خالصٍ من التعقيد والاضطراب قَلِق الاسلوب صعب الاستخراج غير نضيجٍ على الجملة ولا منقّح العبارة . بلى ان النسج في كلا الكتابين واحد وطبقة الكلام لا تختلف ولكن هناك من الاندماج والسلاسة

وانقياد الاغراض واطراد السبك ما لا تجدهُ هنــا . ولعلّ ذلك اذا تتبعت اسبابهُ واردٌ من كثرة تداول الايدي لذاك دون هذا فكان مثلهُ مثل الدينار الذي كثر التعامل بهِ وطال تنقّلهُ من يدٍ الى يد حتى ازالت الايدي خُرشتهُ وعاد أملس ناعمــاً . وذلك ان كتاب كليلة ودمنة قد رُزِق من الشهرة والاستحسان واجماع العقول على ايثارهِ ما لم يُرزَقهُ كتابٌ في بابهِ وهو الى اليوم اشهر من نارٍ على علمٍ ولا تكاد ترى متأدباً الا وقد اطلع عليهِ وشُغِف بهِ وطالما كان موضع ارتياحٍ للملوك والرؤساء والعلماء والادباء وقد كثرت عنايتهم بهِ وخدموهُ خدمةً لم يُخدَمها كتابٌ فما منهم الاّ من انتسخهُ او استنسخهُ فضلاً عن نظمهُ من شعرآئهم فكان الناسخ من أهل الذوق والبصر بالانشـآء اذا رأى فيهِ منقفاً ازالهُ او أودًا أقامهُ فلم يغادروا فيهِ عبــارةً نافرة ولا لفظةً قلقة ولا تركيباً ثقيلاً بحيث انهُ على تمادي الزمن وتكرر النسخ تمّ تهذيبهُ وتنقيحهُ. والذي يدلّك على صحة ما نقول انك لا تكاد تجد نسختين منــهُ تتواطآن على لفظٍ واحد حتى ان دساسي فيما روينا عنهُ في الطبيب[١] كان بين يديهِ سبع نُسَخٍ منهُ كل واحدةٍ مباينةٌ للاخرى . وهذا مما يدل على فضل هذا الكتاب ولا يغضّ من قدر معرّبهِ شيئاً اذ الكلام لا يزال كلامهُ والاسلوب اسلوبهُ وبمقابلتهِ بالدُرّة التي نحن في الكلام عليها يظهر لك مصداقــ ذلك وترى أن ديباجتهُ مع ما تبدّل عليها من النقوش والزخارف لم يتبدل متنها ولا تنكر لونها ولكنها ما زالت تُعرَف لأول لحةٍ لا تغيب عن معرفة الناقد وتمييز العارف

على أنّا لا ننكر ان اكثر ما في عبارة الدرّة من السقم والاضطراب انما ورد عليها من قِبَل النسّاخ وشتّان ما بين صنيعهم هنا وصنيعهم هناك ولكن

١ الجزء الثاني عشر صفحة ٢٣٨

كل ناسخٍ انما فعل بمقدار علمهِ فان الذين نسخوا هذه الرسالة لم يَعْدُوا في الاكثر حال سائر الناسخين ممن لا علم لهم بما ينسخون والذين تولوا نسخ كليلة ودمنة كان الكثيرون منهم من فحول اهل الانشآء والمعرفة بأسرار اللغة وأساليب الكلام فلا عجب ان جاءَ كلٌّ من نُسَخ الكتابين على ما وصفنا والله أعلم

واثباتاً لما ذُكِر وتنزيهاً لعهد المؤلف عن كثيرٍ مما جآء في هذه الرسالة ننقل هنا بعض المواضع التي اشرنا اليها مما افسدهُ تحريف النساخ وما لعلهُ اجتمع اليهِ من اغلاط الطبع التي هي فاشية في كتبنا العربية لا يكاد يسلم منها كتاب والتي هي ولا جرم اعظم ضربةٍ على المصنفين والكتّاب . فمن ذلك ما جآء في صفحة ٩ وهي الصفحة الاولى من الرسالة «غير ان الذي نجد في كتبهم هو المتقل في آرآئهم والمنتقى من احاديثهم» فان قولهُ «المتقل في آرآئهم» غريبٌ في هذا الموضع لا يستقيم لهُ معنًى ولا هو مما يحتملهُ سياق الكلام وصوابهُ «المتخَّل» بالخآء المعجمة وهو بمعنى المنتقى الوارد بعد مع تبديل لفظ «في» بلفظ «من» وهو الوجه السديد الذي لا غبار عليهِ كما ترى

ومن ذلك في صفحة ١٠ «في تحرير صنوف العلم وتقسيم اقسامهِ وتجزئة اجزآئها وتوضيح سبلها وتبيين مآخذهم» فان هذه المخالفة في صيغ الضمائر لا وجه لها بل منها ما يفسد المعنى كما ترى والوجه ايرادها جميعاً بلفظ التذكير والافراد عودًا على العلم

وفي صفحة ١١ «واعلم ان من العجب ان يُبتلَى الرجل بها (اي بالامارة) فيريد ان ينتقص من ساعات نَصَبهِ وعملهِ فيزيدها في ساعات دعتهِ وشهوتهِ» فقولهُ «من العجب» لا معنى لهُ في هذا المقام كما ترى ولا ما ذكرهُ بعدهُ مما فيهِ عجب اذ اكثر الناس على هذا السبيل من ايثار الدعة واللذة . بل الأظهر

ان الاصل « من العجز » فأبدلهُ الناسخ سهوًا او عمدًا لانهُ لم يفهم معنى العجز هنا وهو نقيض الحزم فانثلم بذلك المعنى وتشوهت صورتهُ كما ترى

وفي صفحة ١٣ « لئلا ينتشر من ذلك ما يجترئُ بهِ سفيهٌ او يستخفُّ لهُ شأنٌ » ولا معنى للشأن هنا كما ترى والصواب « شانئٌ »

وفي الصفحة نفسها « واعلم انك ما شُغلت من رأيك بغير المهمّ أزرى بالمهمّ » شُكلت الشين من « شغلت » بالضمّ فتنكر المعنى واضطربت سلسلة الكلام لان « ما » صارت على هذا شرطية زمانية والمقصود ان تكون اسمًا موصولاً يرجع اليهِ ضميرٌ محذوف بعد شغلت وذلك على حد قولهِ بعدُ « وما صرفتَ من مالك بالباطل فقدتهُ حين تريدهُ للحق وما عدلتَ بهِ عن كرامتك الى اهل النقص اضرَّ بك في العجز عن اهل الفضل»

وفي صفحة ١٦ « لا يلومنَّ الوالي على الزلة من ليس بمتّهم على الحرص على رضاهُ » والصواب في « الحرص »

وفي صفحة ١٨ «لا يعرفنَّك الولاة بالهوى في بلدةٍ من البلدان ولا قبيلةٍ من القبائل فيوشك ان تحتاج فيها الى حكاية او مشاهدة فتُتَّهم في ذلك » وفيهِ خطأٌ يعلم الله مكانهُ والاَّ فهذا الكلام لا يمكن ان يصدر عن قلم المؤلف . ثم ان قولهُ « في بلدة من البلدان » فيهِ تحريفٌ بزيادة التاء على بلدة لأن فَعلة لا تُجمع على فُعلان وانما البُلدان جمع بَلَد مثل حَمَل وحُملان وجمع البَلدة بِلاد

وفي صفحة ٢١ «لا تُحضِرنَّ عند الوالي كلامًا لا يعني ولا يؤْمر بحضورهِ الاَّ لعنايةٍ بهِ او يكون جوابًا بالشيء سُئلت عنهُ » وفي هذا الكلام من الاضطراب والابهام ما لا يخفى ولا تُعين حروفهُ على معرفة اصلهِ بيد أن قولهُ « جوابًا بالشيء » فيهِ تكرار حرفين وصوابهُ « جوابًا لشيءٍ »

ومثلهُ في صفحة ٢٢ « اذا قال لك السائل ما اباكَ سألتُ او قال لك المسؤول عند المسئلة يعاد لهُ بها دونك »

وفي صفحة ٢٤ « فليست عليهِ مؤونةٌ في تبذُّلٍ يتبذل لهُ عندهُ » وفيهِ زيادة لام والصواب « يتبذّلهُ عندهُ »

وفي الصفحة نفسها بعد ما ذُكر « او رأي يسترلّهُ منهُ » والصواب « يستنزلهُ »

وامثال ذلك كثيرةٌ في الكتاب ذاهبةٌ كل مذهب ما بين نقصٍ وتبديل واحالةٍ لبعض الكلم عن مواضعهِ مما تنكرت بهِ صُوَر التراكيب والتبست وجوه المعاني وذهب ما فيهِ من الفصاحة والسبك. وانت خبيرٌ بأن ما يوصف من الكتب بالسقم والغثاثة او بالتكلف والتعقيد لا يستلزم ان تكون كل عبارةٍ فيهِ كذلك ولكن الجملة الواحدة بل اللفظة الواحدة في الصفحة اذا نزلت في غير منزلها فقد تكون كافية لأن تخدش رونقها وتشوّه سائر ما فيها من المحاسن كالوجه الجميل اذا كان على احدى عينيهِ كوكب او في احدى وجنتيهِ قرحة فقد تنبو العين عن النظر اليهِ وان كان سائرهُ سليماً لا عيب فيهِ

لا جَرَم ان ذلك لمّا يشعر لهُ بالأسف كل من عانى هذا الشأن اي شأن الكتابة والتأليف وتمثَّل ما بذل المؤلف رحمهُ الله من الاغراق في النظر وتحرّي من الصحة والإحكام في وضع هذا الكتاب الذي هو نتيجة تجاربهِ وثمرة عقلهِ ومعرض بيانهِ. وكم مثلهُ من السلف ممن لو عادوا اليوم وعاينوا ما صارت اليهِ مصنفاتهم وما مُنيت بهِ من صنوف الجدع والصلم لتمنّوا انهم لم يُجروا فيها قلماً ولم يُعملوا فيها فكرًا

على ان النسّاخ من قبل عصرنا هذا كانوا ادنى الى العذر من اهل الطباعة اليوم اذ لا يتسنى لكل ناسخٍ ان يكون عارفًا بما ينسخ ولا ان يتخذ لهُ

مصححاً ينبهه الى مواضع الخطاء ويرشده الى وجوه تصحيحها ثم هو ان أخطأ أخطأ في نسخة مثلاً وصحح غيره في غيرها فلا يعمّ من ضرره ما يعمّ من ضرر الطابع الذي اقلّ ما يطبع من الكتاب في المرة الواحدة الف نسخة او فوقها فاذا فرط فيه شيء من الاغلاط تكرر في تلك النسخ كلها وخرجت باسرها صيغة واحدة فلم يبقَ فيها مجالٌ للمقابلة ولا مطمعٌ في التصحيح . بل كثيرًا ما رأينا من المطابع ما يكون مَفسَدةً للكتب وان كان اصلها الذي تُنقَل عنه صحيحاً لأن منضّد الحروف اليوم ليس بأبصر من الناسخ بالأمس بل ربما كان من النساخ مَن هو من اهل العلم ولا تجد في المنضدين من يكون على شيء من ذلك بل العارف منهم من يقدر على قرآءة الخط الواضح . . ثم الأمر على قدر ما يكون من اولئك فان اتفق أن جآءوا بصُوَر ما ينقلون صحيحة فذاك والاّ بقي ما وضعوه على وضعه الاّ فيما ندر في بعض المطابع الكبرى التي قد أُرصد لها مصححون من اهل العلم بل قد رأينا كتاباً في فنونٍ من دقيق اللغة وغريبها قد طُبع في احدى تلك المطابع عينها فكانت عدّة ما فيه من الأغلاط ٩٠٠ غلطة (لا غير) والكتاب كله لا يتجاوز ٣٠٠ صفحة . . . . .

فالله ايها الناس في أمانات أولئك الأقوام انكم كنتم عليها انتم المؤتمنين وانهم ليسوا بشاهدي امركم فارحموهم انهم كانوا للرحمة اهلاً وكانوا من المحسنين واعلموا ان ما وقع اليكم من تلك الاوراق ليس مما أنبته التراب وسقاه السحاب وأنضجه الشمس والضباب ولكنه مما أُضنيت فيه الأجساد وأُفنيت العيون بالسهاد وصُدّعت لأجله الرؤوس وأذيبت الأدمغة على صفحات الطروس وانه لمّا يعمت به الاعمار فلا تبيعوه بيع الرخيص وبُذلت لأجله الدنيا وهي أحقّ ما ضنّ به حريص وانما فعل أربابه ذلك بغية الذكر

حتى اذا فنيت اعيانهم عاشوا بالأَثَر ولكي يُعرَفوا بصُوَر عقولهم اذا ذهبت الاجساد فكيف بلغت الينا تلك الصُوَر تالله ما الأَرَضة التي تأكل الكتاب فتمزِّقهُ بَداد ولا النار التي تحرقهُ فتصيِّرهُ الى الرماد ولا المآء الذي يُغرِقهُ فيضرب بينهُ وبين الوجود بالأسداد بأضرَّ عليهِ ممن يحرّف عباراتهِ ويبدّل حَسَناتهِ وينسخ محاسن آياتهِ وان ذهاب الكتاب جملةً بداهيةٍ من نوازل القَدَر وضياع فضل مؤلفهِ وما يرجو ان يُبقي بهِ من جميل الأَثَر لأهونُ على قلبهِ من ان يُنشَر بعدهُ بين ايدي الناقدين وقد حُمِل عليهِ من العيوب ما يجعلهُ عُرضةً للمنتّدين وغرضاً لسهام المندّدين عصمنا الله مما تزلّ بهِ اقلامنا انها الزلة الباقية على كرور الليال وكفانا شرّ من يُفسِد آثارنا من بعدنا انهُ كفى العبد ما يتوقع من فساد كيانهِ ومصيرهِ الى الانحلال وحسبنا الله وكيلاً ولا حول ولا قوة الا بالله

البصر في الظلام

وجد طبيب اسمهُ بَرْند من مدينة هالّ فتاةً ترى اشعة رنتجن واضحةً بعينها اليسرى ولا تراها بعينها اليمنى وسبب ذلك ان جليدية[١] العين اليسرى اظلمت فنُزِعَت بعملية كما يحدث كثيرًا في مثل هذه الحالة . ولا يخفى ان الانسان لا يستطيع ان يرى هذه الاشعة بالنظر المجرد فاستنتج الطبيب المذكور ان اشعة رنتجن تؤثر في الشبكية كما يؤثر النور ولكن الجليدية تمنع من نفوذها الى الشبكية . وفي ذلك نظر لان الاشعة المذكورة لا تؤثر على الشبكيــة راساً ولكنها تُنقَل اليها من خلال طبقات العين ورطوباتها فتُدرَك على شكل

---

١ هي ما عربه المتاخرون بلفظة « البلورية » وسماها اطبــاء العرب بالجليدية لانها كما قالوا تشبه الجليد في الصفاء والجمود

وميض. وعليهِ فاذا وُضع رأس الفتاة في وسط علبة[١] مظلمة وأُطلق على هذه العلبة شعاع من اشعة رنتجن اخترق الشعاع العين ولو كانت مغمضةً فأَدركتهُ على شكل وميض في الظلام وانما اصاب الشعاع ظاهر العلبة فالبصر اذًا وقع من خلال جسم مظلم. والحاصل ان اشعة رنتجن تخترق الاجفان والقرنية ورطوبات العين فاذا كانت الجليدية منزوعة تفعل على الشبكية كأنها تموّجات النور المألوفة فتحدث وميضاً هو على الارجح النور الذي تدركهُ الشبكية

ولعل هذه الملاحظة تهيّء السبيل لاستنباط طريقة علاجية جديدة في طب العيون لان اشعة رنتجن اقوى فعلاً من اشعة النور المألوفة بدليل ما تحدثهُ في الجلد على ما ابان الدكتور فوش من المانيا الذي جرّب فعلها بنفسهِ بان وضع احدى يديهِ في جهازٍ قويّ الفعل مدة ساعة فشعر بألمٍ واخزٍ في مفاصل اليد الموضوعة في الجهاز اشتدَّ الى حدٍّ لا يطاق فَوقف التجربة وقد تورّم الجلد وازرقَّ وشوهد في مواضع منهُ تفطُّرٌ دقيقٌ اشبه بما يحدث في تجلد الاطراف وبعد ربع ساعة ظهر على الجلد مجلٌ يتضمن سائلاً يشبه نفاط الحَرق. ومن هذا القبيل ما حدث لمكاتب مجلة «النايتشر» في انكلترا وكان عاملاً منذ اشهر

---

١ اصل العلبة عند العرب الوعاء الذي يحلب فيه وهو قطعة من خشب مستديرة يحيط بها طوق وتعرف اليوم عند اكثر العامة بالكولك فنقلها المتاخرون الى هذا الوعاء المعروف تحفظ فيه الاشياء واهملوا قيد الشكل فهي تكون مستديرة او مربعة او غير ذلك ولا تكون على الغالب الا ذات طبق . ومن الغريب ان العرب لم يكونوا يعرفون هذه الاصونة من الخشب التي نسمي منها العلبة والصندوق والسفط فان الصندوق عندهم الجوالق وهو المعروف اليوم بالشوال والسفط قريب منه فنقل المتاخرون الصندوق الى هذا الوعاء الخشبي المربع والسفط يفسره اكثرهم بالصندوق من جلد كبعض صناديق السفر مثلا وكلاهما من غريب التصرف

في معمل يجهز فيهِ الصور المرسومة باشعة رنتجن فاثرت فيهِ الاشعة بان ظهر في جلد اصابعهِ مجلٌ كثير مسودٌ ثم احمرّ الجلد وتورم وازداد الالتهاب حتى اضطرَّ العامل ان يضع يدهُ في المآء البارد ما استطاع ولكن ذلك لم يجدهِ نفعاً حتى استعمل مرهماً فخف الالتهاب وجفّ الجلد وصلب ثم انسلخ وتولد مكانهُ جلدٌ آخر اصابهُ ما اصاب الاول ولم ينجع فيهِ علاج مدة اشتغالهِ بتجهيز الصور . وقد انسلخ جلد يدهِ اليمنى ثلاث مرات وجلد يدهِ اليسرى مرة ونصلت اظفارهُ الا واحدًا في يدهِ اليمنى . وقيل ان اشعة رنتجن تزيل الشعر واثبت بعضهم كونها تُنبتهُ وتنميهِ على ان ذلك يتوقف في كلا الحالين على مقدار القوة المستعملة في ذلك فيجب تعيينها والفضل كل الفضل لمن يثبت بالامتحان المقدار الذي يتعين بهِ الفعل المقصود

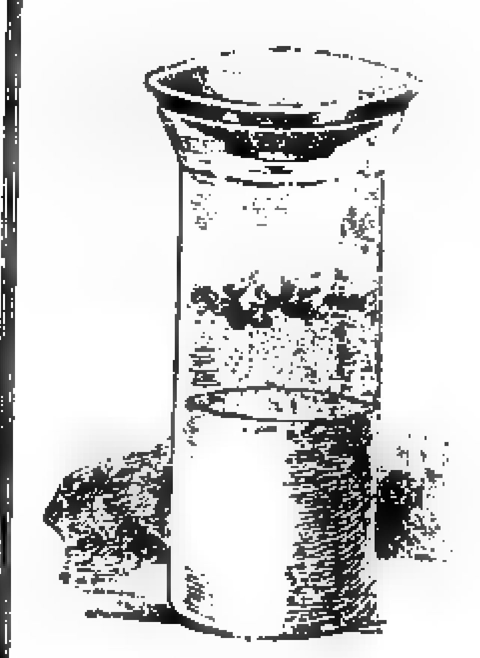
فبنآء على ما تقدم ايرادهُ لا يبعد ان تُستعمَل اشعة رنتجن علاجاً فعّالاً في كثير من العلل لما يحدث عنها من الانفعال الكيماوي في الانسجة وقد فتحت الآن الطريق لاجرآء التجارب من هذا القبيل ومن يعش يره

المطر الصناعي

عثرنا على امتحانٍ سهل اجراهُ احد اساتذة العلم الطبيعي في مدرسة بروكسل الجامعة وهو الآتي

يؤخذ بوقال من زجاج علوّهُ نحو ٢٠ سنتيمترًا في قطر ١٠ ويملأُ الى نصفهِ من الكحل اي روح الخمر على ٩٠° ويُغطّى بقصعة من الصيني ثم يجعل فيما يسمّى بحمّام ماريّا الى ان يصير كلٌّ من الزجاج والكحل والصيني على درجة واحدة من الحرارة لكن بحيث لا يبلغ الغليان وبعد ذلك يُرفَع من الحمّام ويوضع على

مائدة فاذا مضت عليهِ بضع دقائق تبرد القصعة فتتكاثف ابخرة الكحل مما



يليها وتظهر غيوم لا تلبث ان تحلّ الى مطرٍ دقيق ثم يأخذ القسم الاعلى من البوقال في البرد شيئاً فشيئاً فترى فوق الغيوم فسحةً خالية تامة الصفآء. وكل ذلك انما هو تمثيل للطبيعة فان الكحل يكون بمنزلة البحر الذي لا يزال مآؤهُ يتبخر على الدوام والقصعة بمنزلة الجوّ الاعلى الذي هو ابدًا بارد وما فوق الغيوم بمنزلة السمآء النقية

قال ويمكن ان يثار هناك عواصف وأعاصير وذلك بان يبرّد موضع من البوقال فجآءةً كأن يُجعل عليهِ خرقةٌ مبلولة مثلاً فيتقاص ما يلي ذلك الموضع من البخار وحينئذٍ تندفع الابخرة من الجهة المجاورة لتملأ ما حدث هنالك من الفراغ ويتبعها ما يليها فتتخذ حركةً مستديرة

مؤتمر البندقية الصحي الدولي

خُتمت اعمال هذا المؤتمر في ١٩ مارس الفائت بعد ان اتفق اعضآؤهُ على وثيقةٍ وقّع عليها معتمدو الدول الآن بعضهم وقّعوا عليها على شرط قبول دولهم (وهم معتمدو اسبانيا واليونان والعجم والبرتوغال وسربيـا وتركيا ونوّاب الدنمرك واسوج ونروج والولايات المتحدة) والباقين وقّعوا بدون شرط (وهم نوّاب المانيا والنمسا وفرنسا وانكلترا وايطاليا ولكسمبرج والجبل الاسود وهولندا ورومانيا وروسيا وسويسرا) وصرّحوا بأن دُوَلهم تعمل بالاحتياطات المقرّرة

في الوثيقة حتى قبل انقضاء المهلة المعينة للتصديق عليها ان دعت الحال الى ذلك

واتفقوا على ان يبسطوا لدولهم وللادارات ذوات المصلحة ان من رغائب المؤتمر ابلاغ المجلس الصحي في طنجر وجوب حمل حكومة مراكش على اتخاذ التدابير الموافقة لأحكام الوثيقة ولا سيما في ما يختص بمنع الحج موقتاً وتعيين حدودٍ لهُ. وتوحيد طرُق الوقاية في مالطة وجبل طارق وفاقاً لقواعد الوثيقة المذكورة. واجراء النظامات التي تقررت في المؤتمرات السابقة سنة ١٨٩٢و٩٣و٩٤

وقد ذيّلوا الوثيقة بدستور صحي يشتمل على خمسة فصولٍ مبنية على اعتبار مدة الحضانة في الطاعون عشرة ايام . قرّروا في الفصل الاول القواعد التي يُعمَل بها عند ظهور الطاعون وما ينبغي ان يجرى عليهِ في معاملة المرافئ الملوثة والسفن التي ترد من موانئ البلاد الموبوءة ولا سيما التي تنقل الحجاج وعينوا على ربابين السفن الذين يخالفون النظام غرامات مالية . وكذلك احكام ما يرد من البلاد الموبوءة بطريق البر او البحر ولا سيما طريق البحر الاحمر (عيون موسى والسويس) مع التشديد في مراقبة الحجاج واصلاح محطاتهم في كرمان وابي سعد ووستا وابي عليّ وجبل الطور وفي طريقهم من جهة خليج العجم

وقرروا في الفصل الثاني القواعد التي يجرَى عليها في اوربا ولا سيما فيما يتعلق بتفاوض الدول فيما بينها بخصوص ظهور الوباء والتدابير التي يجري العمل بها لمنع تفشيهِ وتعيين المقاطعات التي تحسب ملوثة او سليمة لاجراء الحجر على الملوثة وبيان انواع البضائع والاشياء التي يمكن نقل العدوى بها والتدابير التي يجب اتخاذها في الحدود والثغور وعلى ضفاف الانهر

وذكروا في الفصل الثالث الطرق المتعلقة بالتطهير

وفي الرابع الاحكام التي تجري على السفن اذا اقلعت من مرفأ وبيء

حتى تبلغ جهة القصد

وفي الخامس طريقة اجرآء المراقبة والتدابير التي عرضهـا مجلس الصحة بالآستانة فيما يتعلق بالبحر الاحمر والخليج العجمي والحدود العثمانية العجمية والعثمانية الروسية ومجلس الصحة البحري والمحجرات في مصر . اه تحصيلاً

الوبآء في الهند الانكليزية

يستفاد من الاخبار الواردة اخيرًا من بمباي ان الطاعون فيها قد خفت وطأتهُ منذ اواخر شهر مارس واخذت العلة تميل الى الشفآء في كثير من الحوادث وذلك من علامات طور الانحطاط في الامراض الوبآئية الاّ انها تفشّت في بعض امصار الداخلية فظهرت في بمالا قصبة مدراس وفي كوتاق قصبة بنغال ولم تزل في بونا تفتك فتكاً ذريعاً فقد بلغت الاصابات فيها حتى ١٨ مارس ٨١٠ منها ٦٢١ وفاة وبلغت في الاسبوع الذي آخرهُ ٢٥ منهُ ٢٩٤ منها ١٨٤ وفاة وهي على مثل ذلك في قوراشي

اما طريقة المعالجة بالمصل فلم تعرف حتى الآن نتائجها بالتدقيق وجلُّ ما عُرِف عنها على ما ذكرت المجلة الطبية المعروفة « باللانست » ان معدل الوفيات في الذين لُقِحوا ٦٠ في المئة اما الذين لقحوا في اليومين الاولين من بدآءة العلة فمعدل الوفيات فيهم ٥٠ في المئة وحتى الآن لم يقرَّ جمهور الاطبـآء على الثقة بهذه الطريقة على انهُ كثيرًا ما حدث الموت بالاغمآء من جرآء شلل القلب على اثر التلقيح

وقد ثبت ان العدوى تنتقل مع المهاجرين من الاماكن الموبوءة ولو لم يصابوا فعسى الله ان يدفع شرّها عن الحجاج لطفاً بالعباد انهُ رؤوفٌ رحيم

البيان

السنة الاولى —— الجزء الرابع

اول يونيو سنة ١٨٩٧

اللغة والعصر

لم يبقَ في ارباب الأقلام ومنتحلي صناعة الانشآء من هذه الأُمّة من لم يشعر بما صارت اليهِ اللغة لعهدنا الحاضر من التقصير بخدمة اهلها والعُقم بحاجات ذويها حتى لقد ضاقت مُعجماتها بمطالب الكتّاب والمعرّبين واصبحت الكتابة في كثيرٍ من الاغراض ضرباً من شاقّ التكليف وباباً من ابواب العنت واللغة لا تزداد الّا ضيقاً باتّساع مذاهب الحضارة وتشعّب طرق التفنن في المخترعات والمستحدَثات الى ان كادت تُنبَذ في زوايا الإهمال وتلحق بما سبقها من لغات القرون الخوالي ومسّت الضرورة الى تدارك ما طرأ عليها من الثُلَم قبل تمام العفآء وقبل ان ينادي عليها مؤذّن العصر سبحان من تفرّد بالبقآء ويُختم على مُعجماتها بقصائد التأبين والرثآء

تلك هي اللغة التي طالما وصفها الواصفون بأنها اغزر الألسنة مادّةً وأوسعها تعبيرًا وأبعدها للأغراض مُتناوَلاً وأطوعها للمعاني تصويرًا قد أفضت اليوم الى حالٍ لو رام الكاتب فيها ان يصف حجرة منامهِ لم يكد يجد فيها ما يكفيهِ هذه المؤونة اليسيرة فضلاً عما ورآء ذلك من وصف قصور الملوك

والكبرآء ومنازل المترفين والأغنيآء وشوارع المدن الغنّآء وما ثمَّ من آنية وأثاث وملبوس ومفروش وغير ذلك من اصناف الماعون وأدوات الزينة مما لا يجد لشيء منهُ اسماً في هذه اللغة ولا يكون حظ العربيّ من وصفهِ الا العِيّ والحَصَر وطيّ لسانهِ على معانٍ في قلبهِ لا يتسنى لهُ ابرازها بالنطق ولا يجد سبيلاً الى تمثيلها باللفظ كأنّ المقاطع التي يعبّر بها عن هذه المشخّصات لم يُخلق لها موضعٌ بين فكّيهِ وليست مما يجري بين لهاتهِ وشفتيهِ فعاد كالأبكم يرى الأشيآء ويميّزها ولا يستطيع ان يعبّر عنها الّا بالإشارة ولا يصفها الّا بالإيمآء

ويا ليت شعري ما يصنع احدنا لو دخل احد المعارض الطبيعية او الصناعية ورأى ما ثمّة من المسميات العُضوية وغير العُضوية من انواع الحيوان وضروب النبات وصنوف المعادن وعاين ما هناك من الآلات والأدوات وسائر اجناس المصنوعات وما تتألف منهُ من القِطَع والأجزآء بما لها من الهيئات المختلفة والمنافع المتباينة وأراد العبارة عن شيء من هذه المذكورات

ثم ما هو فاعلٌ لو أراد الكلام فيما يحدث كل يومٍ من المخترعات العلمية والصناعية والمكتشفات الطبيعية والكيماوية والفنون العقلية واليدويّة وما لكل ذلك من الأوضاع والحدود والمصطلحات التي لا تغادر جليلاً ولا دقيقاً الاّ تدلّ عليهِ بلفظهِ المخصوص

لا ريب أنّ الكثير من ذلك لا يتحرك لهُ بهِ لسان ولا يعهد لهُ بين ألواح معجمات اللغة ألفاظاً يعبّر بها عنهُ ولا يغنيهِ في هذا الموقف ما عندهُ من ثمانين اسماً للعسل ومئتي اسمٍ للخمر وخمس مئةٍ للأسد وألف لفظةٍ للسيف ومثلها للبعير وأربعة آلافٍ للداهية وما يفوت الحصر لشيء آخر حرص مؤلف القاموس على استقصآء ألفاظهِ حتى لم يكد يذكر مادةً الاّ وفيها شيء يشير

اليهِ ويدلُّ عليهِ

على أن اللغة مرآة احوال الأُمّة وصورة تمدّنها ورسم مجتمعها وتمثال اخلاقها وملكاتها ومجلّ ما لها مِن علوم وصنائع وآداب وانما تضع منها على قدر ما تقتضيهِ حاجاتها في الخطاب وما يتمثّل في خواطرها او يقع تحت حسّها من المعاني . ومعلومٌ أن العرب واضعي هذه اللغة كانوا قوماً اهل بادية بيوتهم الشعر والأديم ومفرشهم الباريّ والبلاس ولباسهم الكساء والرداء وأثاثهم الرحى والقِدْر وآنيتهم القعب والجفنة الى ما شاكل ذلك مما لا يكادون يعدُونهُ في حِلٍّ ولا ترحال فأين هم وما نحن فيهِ لهذا العهد من اتساع مذاهب الحضارة والاستبحار في الترَف واليسار وكثرة ما بين ايدينا من صنوف المرافق وانواع الاثاث والزخارف وما نحن فيهِ من التفنن في احوال المجتمع والمعاش فضلاً عما بلغ اليهِ اهل هذا العصر من التبسُّط في مناحي العلم والصناعة مما كان اولئك بمعزلٍ عن جميعهِ الاّ ما حدث بعد ذلك في عهد استفحال الاسلام مما ذهب عنا اكثرهُ وما كان فيهِ لو بلغ الينا الا غناء قليل

ومهما يكن من حال اولئك القوم وضيق مُضطرَب الحضارة عندهم وما نجد في ألفاظهم من الفاقة والتقصير عن حاجات هذا الزمن فلا يتوهمنَّ متوهمٌ أن ذلك واردٌ على اللغة من هرمٍ ادركها فقعد بها عن مجاراة الاحوال العصرية واناخ بها في ساقة الالسنة الحاليّة فان معنى الهرم في اللغة ان يحدث عند المتكلمين بها معانٍ قد خلت الفاظها عنها ثم تضيق اوضاعها عن احداث الفاظٍ تؤدّى بها تلك المعاني فيطرأ على اللغة النقص حيناً بعد حين الى ان تعجز عن أداء اغراض اهلها ولا تبقى صالحةً للاستعمال وحينئذٍ فلا يبقى الاّ أن يُلقى حبلها على غاربها او يستعان بغيرها على سدّ ما عرض فيها من الخلل بما

يغيّر من ديباجتها وينكّر اسلوب وضعها حتى تتبدل هيئاتها على الزمن وتصير على الجملة لغةً اخرى

وليس بمنكَرٍ أن ما وصفناهُ من هذه الحال يشبه في بادي الرأي ما نشاهدهُ من حال لغتنا اليوم وما لم نزل ننعاهُ عليها منذ حين من قصيرها عن الوفآء بمطالبنـــا العصرية الاّ أن ذلك اذا استقريت اوجههُ واسبابهُ وسبرت غور اللغة في نفسهـــا وقست مبلغ استعدادها علمت انهُ ليس منها في شيء وايقنت انها لا تزال في ريعان شبابها وطور ترعرعها وأن فيها بقيةً صالحة لأن تجاري اوسع اللغات واكثرها مادةً ولكن ما ادركها من ذلك واردٌ من قِبَل الأمّة وتخلّفها في حلبة الحضارة والمدنية اذ اللغة بأهلها تشبّ بشبابهم وتهرم بهرمهم وانما هي عبارةٌ عمّا يتداولونهُ بينهم لا تعدُو ألسِنتهم ما في خواطرهم ولا تمثّل ألفاظهم الاّ صُوَر ما في اذهانهم . وبديهيٌّ أن اللغة لم توضع دفعةً واحدة وانما كان يوضع منها الشيء بعد الشيء على قدر ما تدعو اليهِ حاجة المتكلمين بها وقد اختصّت هذه اللغة بمزيّةٍ عزّ أن توجد في غيرها وهي أن اكثر ألفاظها مأخوذٌ بالاشتقاق اللفظيّ او المعنويّ بحيث صارت الى ما صارت اليهِ من الاتساع الذي لا تكاد تضاهيها فيهِ لغةٌ على كونها من اقلّ اللغات اوضاعاً الا انها من اكثرهنّ صيغًا وأبنية وهو السرّ في قبولها هذا الاتّساع العجيب فضلاً عما فيها من تشعّب طرق المجاز على ما سنعود الى بيانهِ بالتفصيل

واعتبر ما ذكرناهُ من ذلك بالرجوع الى ما كانت عليهِ اللغة زمن الجاهلية وفي صدر الاسلام ومقابلتها بما بلغت اليهِ على عهد الخلفآء من بني العبّاس بعد سكون الغارات واستتباب الفتوح وتنبُّه الأمّة لطلب العلوم وتبسّطها في فنون الحضارة بحيث خرجوا بها من حال الخشونة البدوية الى ابعد مذاهب المدنية الشائعة

لهدم ذلك لم يكادوا يُدخلون فيها لفظاً اعجمياً[1] ولا اضطرّوا فيها الى وضعٍ جديد ولكنها خدمتهم بنفس اوضاعها التي وضعتها العرب فاشتقّوا منها ما لا عهد بهِ للعرب على وجهٍ الذي تقلوهُ اليهِ ولم تكلم بهِ اصلاً حتى احاطوا بصناعة الفرس وعلوم اليونان وادخلوا كثيرًا من مصطلحات الامم التي اجتاحوها شرقاً وغرباً وزادوا على ذلك كلهِ ما استنبطوهُ بأنفسهم واللغة مشايعةٌ لهم في كل ما اخذوا فيهِ لم تنضب مواردها دونهم ولا رأينا من شكا منها عجزًا ولا تقصيرًا الى ان ادركهم من تبدُّل الأطوار وغارات الأقدار ما وقف بهم عند ذلك الحدّ فوقفت اللغة عند ما نراهُ فيما وصل الينا من كتبهم وتوالى الاجتياح بعد ذلك على الأمّة وتتابعت دواعي الدمار حتى اندرست أعلام حضارتها وذهبت علومها أدراج الرياح فزال اكثر اللغة من ألسنتها بزوال معانيها حتى صار الموجود منها اليوم لا يقوم بخدمة أمّةٍ متمدنة ولا هو اهلٌ لأن يُبلَغ بهِ ما منزلتهُ تلك . ولذلك فان كان ثمة هرمٌ فانما هو في الأمّة لا في اللغة لان ما عرض لها من الهجر والاهمال غير لاحقٍ بها ولا لحقي بها وهناً ولا عجزًا وانما هو عجزٌ في ألسنة الأمّة ومداركها وتأخرٌ في احوالها واستعدادها ولو صادفت من اهلها البقآء على عهد اسلافهم من السعي في سُبُل الحضارة وتوسيع نطاق العلم لم تقصر عن مشايعتهم في كل ما فاتهم من الأطوار حتى تبلغ بهم الى مجاراة العصر الحاضر

ولقد أتى على اللغة مئاتٌ من السنين بعد ذلك لم يُزَد فيها حرفٌ بل لم

١ يستثنى من ذلك كتب الطب فانهم تسامحوا فيها بنقل كثير من اسماء العقاقير والمواد الطبية واسماء الامراض وغيرها بلفظها الاعجمي لان بعضها لم يهتدوا الى مرادفه بالعربية وبعضها لا مرادف له عند العرب فلم يضعوا لها لفظاً لما سيأتي في موضعه من ان اسماء الجواهر واشباهها لا تنقل على الغالب الا من طريق التعريب

يكد يُحفَظ منها ما يزيد على الحوائج البيتية والسوقية على تناقص هذه الحوائج وتراجع عددها يوماً بعد يوم بما طرأ على اهلهـا من الضغط والفاقة وما اتصل بذلك من استيلآء الجهل وتقلص العمران وذهاب الحضارة من بينهم حتى عادت حوائج كثيرٍ من اهل المدن الحافلة لا تكاد تتعدى حوائج البدويّ والأكّار وما دامت المعاني التي يعبَّر عنها باللغة معدومة فلا سبيل الى بقـآء الألفاظ الدالة عليها اذ اللفظ انما يُتَّخَذ للعبارة عن الخواطر التي في النفس فلا يكون الاّ على قدرهـا بالضرورة . وزاد على ذلك كلهِ ذهاب ما كتب المتقدمون بعضهِ بالاحراق كما تمّ في مكتبة قُرطُبة وكأنّ هذا في مقابلة ما وقع من مثلهِ بالاسكندرية وفارس ... وبعضهِ بالاجتياح والنهب فلا بقي في مكانهِ فينتفع بهِ المتأخر ولا احتفظ بهِ الذي نهبهُ لجهلهِ قيمتهُ وبقي الشيء اليسير نجدهُ اليوم في مكاتب الاعاجم واكثرهُ مما اشتري من ايدينـا بالذهب ... فلا غرو ان نشأ عن تلك الاحوال كلها ذهاب هذه اللغة من ألسنة الأعقاب حتى لو رام احدنا اثارة دفائنها وتعهّدها بالتجديد والاحيآء لما وجد منها في البلاد الا الشيء النزر لا يعدو في الغالب علوم الدين وما يتصل بها مما لم يكد اهل بلادنا يحافظون على سواهُ

ستأتي البقية

السوريون

سوريا التي لعبت بها يد الغِيَر وفجعتها طوارق الحدثان بعد العين بالاثر هي القطر الذي كستهُ الطبيعة حلة الجمال فزقتها يد الانسان وخصّتهُ بمزايا تفرّد بها عن المثال فعادت عليهِ بالخسران وتباب السكان جوٌّ صافي الاديم لا يكفهرُّ الا ليجود السحاب بالقطر ويترقرق مآء العيون على حصبآء كالدرّ

فتبسم الرياض فيهِ عن ثغور الزهر وهوآء لا يهبّ الاّ عبقت اردانهُ بشذا العطر فيبعث الحياة هبوبهُ ويمازج الارواح طيبهُ وسهولٌ فسيحة الاطراف خصيبة الاكناف تتدفق في جوانبها الجداول والانهار وتنمي في مناكبها الحدائق الملتفة الاشجار الطيبة الثمار وجبالٌ احتبكت شعابها وتناوحت هضابها وتشزرت صخورها وآكامها وكُلّلت بالثلج هامها واخضرّت سفوحها واخضلّت آجامها فكانت معقلاً للشريد ومعتصماً للطريد

هذه هي سوريا التي سبقت الى المدنية والحضارة واكتظت بالسكان والعمارة وانما بلغت هذا الشأن العظيم بالزراعة والصناعة والتجارة وهي تمتد من البحر المتوسط غربًا الى الفرات والبادية شرقًا ومن آسيا الصغرى شمالاً الى حدود مصر جنوبًا فتشتمل على القطر المعروف من قديم الزمان بارض الموعد والارض المقدسة . وقاعدتها دمشق العريقة في الحضارة المتقادمة العهد في المدنية جنة الارض المنقطعة النظير في جمال غوطتها وحسن موقعها وصفآء مآئها واعتدال هوآئها وطيب ثمارها وكثرة حدائقها ومع انها انحطت عن حالة مدنيتها القديمة فقد لبثت غير متغيرةٍ الا قليلاً في خططها وترتيب مساكنها وعوائد اهلها واخلاقهم ومعايشهم وملابسهم لانهم لا يميلون الى الاحداث . وما عداها من مدن سوريا القديمة قد عفاها تقلُّب الاحوال فلم يبقَ منها الا رسوم واطلال وقامت على انقاضها الآن قُرًى حقيرة منتشرة في هاتيك الربوع الداثرة يأوي اليها شراذم من بقايا الامم الغابرة كأنها لم تبقَ الا لتشهد بما تجنيهِ الحروب من الدمار وما يُحدِثهُ تمزيق الكلمة والشقاق من التباب والبوار او تستوفي ما أُرصد لها من الذلة وانحطاط المقدار بل لتكون عبرةً لذوي الابصار

ألا وهي البلاد التي ليس لها مثيل في العالم كله في تباين سكانها واختلاف نحلهم وعقائدهم على قلة عددهم فهم لا يزيدون الآن عن ٢،٤٠٠،٠٠٠ نفس منشتين في بقاع تبلغ مساحتها نحو ٣٧٥ ميلاً طولاً من الجنوب الى الشمال في نحو ١٧٥ ميلاً عرضاً من الشرق الى الغرب . وهم اخلاطٌ من الاراميين وكثير من الاجيال التي اجتاحتهم من قديم الزمان حتى الآن وكانوا يؤلفون مملكةً عظيمة قاعدتها دمشق التي ذكرت في التوراة باسم ارام وكانت في زمن ابرهيم الخليل عريقةً في الحضارة على حين لم يكن غيرها شيئاً مذكورًا . ومما ذُكر فيها ان الاسرائيليين قتلوا من عسكر ملكها بنهدد الثاني ١٠٠،٠٠٠ رجل في يومٍ واحد وذلك دليل على كثرة سكانها حينئذٍ على انهم لا يزيدون الآن على ١٥٠،٠٠٠ . ولا يخفى ان اليهود امتزجوا بالاراميين في حروبهم معهم منذ عهد داود الملك ثم سقطت المملكتان الارامية واليهودية بتغلب الاشوريين والبابليين والفرس شمالاً والمصريين جنوباً فاستبدَّ الاشوريون والفرس بالاراميين وأجلوهم عن بلادهم وشتتوهم في الامصار والمدائن واسترقوهم واغتصبوا املاكهم ففقدت سوريا استقلالها منذ ذلك العهد ثم غلب الاسكندرُ الفرس وثل عرشهم وتملك اليونان سوريا حيناً من الدهر فتخلق اهلها باخلاقهم وكثرت عمارتها في ايام تملك السلوقيين فصارت مملكة عظيمة كانت قاعدتها انطاكية ثم قامت عليها ملوك الطوائف من جهة الشمال والبطالسة ملوك مصر من جهة الجنوب واستقلت اليهودية في ايام المكابيين وانقسمت دولة السلوقيين على نفسها فتهيأ للرومان الاستيلاء على هذه المملكة سنة ٦٤ ق م وقد عظم شأنها حينئذٍ حتى نازعت رومة سلطتها فتبوأ ملوكها كرسيَّ القياصرة من سنة ١٩٣ الى سنة ٢٤٩ ب م ونشروا عوائد السوريين ومبادئ دينهم في اوربا وكانت سوريا اول

قطرٍ انتشرت فيهِ النصرانية بعد ظهورها في اليهودية فازهر فيهِ نبراسها حتى عصفت ريح الشقاق والمماحكات الدينية بين ابنآئها في دولة الروم وتقوّى الفرس عليهم وكان عرب الحيرة يشنُّون الغارة على اطراف المملكة السورية فغنموا في غزوهم لضواحي انطاكية غنائم بعثت فيهم النخوة العربية على اعادة الكرة والسوريون لاهون بالمماحكات على العقائد كارهون ظلم حكامهم والروم متشاغلون بملذاتهم واستبدادهم حتى قويت شوكة العرب ثم ظهر الدين الاسلامي فجمع كلمتهم وكانوا أشتاتاً فاندفعوا على سوريا كالسيل الجارف فملكوها وطردوا الروم منها الا الذين أسلموا او الذين استأمنوا ودفعوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون واعتصم بعضهم بالجبال فحافظوا على استقلالهم في الاحكام والعقائد . وكانت دمشق كرسيّ الخلافة في الدولة الاموية حتى نقلها العباسيون الى بغداد . وبعد انقراض الدولة العباسية ملك الطولونيون سوريا ثم خلفهم الفاطميون ثم السلجوقيون واستولى على بعض انحآئها الصليبيون ثم اجلاهم عنها الايوبيون واجتاحها تيمورلنك سنة ١٤٠١ ثم افتتحها السلطان سليم الاول سنة ١٥١٧ وكانت تابعة لمصر منذ الدولة الطولونية . وما زالت الحروب تنتاب ديارها والفتن الاهلية تثور فيها فتعجل دمارها حتى صارت رسوماً داثرة وبقاعاً بائرة خاوية على عروشها خالية من سكانها وانيسها

وليس القصد مما سبق ايرادهُ بيان تاريخ سوريا فانهُ مما يطول الكلام فيهِ ولاتفي ببيانهِ المجلدات الضخمة وانما قصدنا التوطئة لأوجُه تباين سكانها في الاخلاق واختلافهم في السحنات والعوائد والمنازع والعقائد بما طرأ عليهم من الاختلاط ليمكن رد كل فرع منهم الى اصلهِ على ما هو مقتضى البحث في الطبائع اذ تُنتزَع من التاريخ والجغرافية والسياسة وعلم اللغات والتشريح ومنافع الاعضآء القواعد

التي يُرجَع اليها في انساب الشعوب.وما تميز بهِ الامم من الخصائص الحسية والمنوية . وقد علمت ان السوريين اخلاط من اجيال مختلفة وامم كثيرة تغلبت على سوريا منذ الازمنة القديمة ولذلك لم يبقَ من السوريين الخُلَّص الا بقيةٌ يمثلها السريان في دمشق وقراها واليعاقبة في الموصل وديار بكر والنساطرة في الموصل والعجم وبعض جهات الهند والموارنة في جبل لبنان وهم الذين اعتصموا بالجبال وامتنعوا على الفاتحين او الذين استأمنوا وسكنوا المدن مغلوبين على امرهم اذلآء في اوطانهم وباقي السوريين اخلاطٌ من الروم والفرس والعرب والكرد والفرنجة والترك وغيرهم من الامم التي احتلت سوريا فتركت كلُّ امةٍ منها بقيةً اخصُّ ما تمتاز بهِ نحلتها الدينية

واذا نظرت الى السوريين من حيث النحل والملل تبيَّنت من المذاهب في القطر الذي انتشروا فيهِ ما لا وجود لهُ في قطر آخر وعرفت من العقائد ما لا يُتصوَّر ان العقل البشري ينحطّ الى التسليم بهِ فترى ثمت فِرَقًا تمزج حقائق التوحيد باضاليل الشرك كالصابئة واليزيدية والنصيرية وترى اليهود والنصارى والمسلمين منقسمين الى طوائف كلٌّ منها تدعي العصمة وصحة العقيدة وتنسب الى غيرها الغواية والضلال . فمن طوائف اليهود السامريون وهم في جبل نابلس لا يوجد منهم في غيرهِ ولا يزيدون عن ثلاث مئة نفس . ومن طوائف النصارى النساطرة المعروفون الآن بنصارى مارتوما وهم مشتتون في الموصل وديار بكر والعجم وبعض انحاء الهند وقد نبغ فيهم الحكمآء والمترجمون الذين نقلوا حكمة اليونان وعلم الطب الى اللغة العربية في الدولة العباسية ومنهم السريان والكلدان والارمن وكلهم يعاقبة يعتقدون كالقبط بطبيعة واحدة في المسيح وقد اتحد بعض ابنآء هذه الطوائف بالكنيسة الرومانية وسلموا بالقضايا

المختلف عليها مع المحافظة على عوائدهم وتقاليدهم القديمة. ومنهم الموارنة وهم من السريان تمسكوا من زمن قديم بالمعتقد الروماني ولبثوا حتى الآن محافظين على استقلالهم الديني في جبل لبنان. والروم وهم بقية الامة التي دحرتها العرب عن سوريا في القرن الاول من الهجرة ومنهم الروم الكاثوليك الذين اتحدوا بالكنيسة الرومانية. ومن الطوائف النصرانية في سوريا اللاتين والبروتستنت على اختلاف مذاهبهم وغيرهم. ومن طوائف الاسلام الاسماعيلية والشيعية والمتاولة والدروز في جبل لبنان وغيرهم وكلهم يذودون عن حوض مذاهبهم ويتعصبون بها ويتهالكون في الخصام بعضهم مع بعض لاجلها وهم اخوان في الوطنية وجيران في المسكن وشركاء في المصلحة العامة. ومن الغريب ان ترى في البلدة الواحدة فرقًا تجمعها قواعد الدين الكلية ولا تختلف الا في بعض مسائل فرعية وكل فريق يدعي العصمة لنفسهِ ويشاقُّ غيرهُ فينفر منهُ ويجتنب مخالطتهُ وربما انقسمت العشيرة الواحدة او الأُسرة الواحدة على نفسها فثارت ثائرة التعصب بين افرادها واشتدَّ الخصام والنزاع وليس ثمت اسباب تدعو الى ذلك الا تُرَّهات وسفاسف يعتدُّون بها ويماحكون عليها عنادًا. ولذلك فان هذه البلاد لا يمكن ان تقوم فيها جامعة وطنية لما يحول دونها من اختلاف المذاهب وتباين الآراء فلا ترتقي الى رتبة المدنية ولو توفرت لها اسباب الارتقاء

على ان اختلاط السوريين بغيرهم من الاجيال والامم منذ الازمنة القديمة حتى الآن لم يؤثر في سحناتهم وبناء اجسادهم تأثيرهُ في تفريق كلمتهم وفصم عرى رابطتهم لان الذين اختلطوا بهم كانوا في الغالب من اطيب العناصر محتدًا ومن ارقى الشعوب نسبًا وسؤددًا فضلًا عن تأثير اقليمهم النقي الهواء الخصيب التربة في اعتدال امزجتهم وصفاء الوانهم وحسن تقويمهم وجمال

هيآتهم وتناسب ملامحهم وثقوب اذهانهم وغنآء قوام العقلية واستكمال خصائصهم الادبية فهم من حيث الاستعداد الطبيعي للارتقآء في مقدمة السلائل البشرية لا يفوتهم الا الاتحاد في الكلمة والثبات في التحصيل . وسنعود الى تمام الكلام فيهم في الجزء التالي ان شآء الله

شفآء السرطان الجلدي

لا يخفى ان السرطان لم يزل حتى الآن معدودًا من العلل الغير القابلة للشفآء والطرق المعوَّل عليها في علاجهِ هي العمليات الجراحية على قلة نجاحها مع بلوغ الجراحة في هذه الايام الاخيرة غاية الاتقان . على اننا قد وقفنا على مقالة لطبيبين من مدينة براغ اسم احدهما سِرْني واسم الآخر ترونيك نُشرت في ٥ مايو الماضي مع صُوَر بعض المصابين بهذه العلة قبل العلاج وبعد الشفآء في مجلة الطب الاسبوعية الفرنسوية التي تطبع في باريز اوضحا فيها طريقة خصوصية جرَّباها فنجحت في شفآء هذه العلة فآثرنا تلخيصها بما يأتي

اذا نُظر الى الطرق المستعملة الآن في علاج السرطان يُرى ان مبدأها واحد وهو استئصال النسيج السرطاني واكثر الجراحين يعتبر ان هذا العلاج غير كافٍ فالاولى ابدالهُ بواسطة تعمل على الخصوص توًّا في النسيج المرضي ولا سيما لان نزع الورم يشوّه الخلقة لما يستلزمهُ من قطع الاجزآء الصحيحة المحيطة بالمولّد المرضي فضلاً عن نكسهِ واذا كانت الآفة كبيرة لا يبقى الاّ ترك المريض يتعذب وينتظر الموت . ولهذه الاسباب تحرّى الاطبآء البحث عن دوآء يهلك بهِ النسيج السرطاني ولا تؤذى بهِ الانسجة الصحيحة فأجريت

تجارب كثيرة من هذا القبيل منها كيّ النسيج المرضي بموادّ لها الفة كيماوية مع الانسجة كالحوامض القوية والقلويات فلم تنجع لانها تؤثر في الانسجة الصحيحة ايضاً . ومنها استعمال المواد التي لها الفة خصوصية مع النسيج المرضي كمركبات الانيلين فلم تؤثر التأثير المطلوب . ومنها حقن الورم بالكحل وصبغة اليود والارجوتين والحامض الخلّي ونترات الفضة والزرنيخ والتربنتينا والحامض الأسيك والفصفور . والحاصل ان جميع العقاقير والمركبات الدوآئية والمياه المعدنية استُعملت في علاج هذه العلة ومنها الحقن بمصل الحمرة وغيرهِ وكلها لم تفد شيئاً . ومن الادوية التي استُعملت في علاج هذه العلة من قديم الزمان الزرنيخ وقد اثبت بلروث ان استعمالهُ من الداخل لم يشفِ عليلاً ولو ظهر منهُ تحسين في صحة المريض العمومية الاّ ان لسّار زعم انهُ شفى منذ عهد قريب كثيرًا من القروح السرطانية في الجلد بواسطة الزرنيخ

وبما ان الزرنيخ كان مستعملاً من قبل ذُرُورًا في القروح المزمنة فقد عنَّ للطبيبين المذكورين ان يجرباهُ في السرطان الا انهما اختارا استعمالهُ محلولاً على هذا النحو

يؤخذ من الحامض الزرنيخي مسحوقاً	غرام واحد
ومن الكحل الاتيلي	٧٥ غراماً
ومن الماء المقطر	٧٥ غراماً

تمزج ويستعمل هذا المزيج من الخارج بان تُمَسَّ بهِ القروح السرطانية او السراطين السطحية مسًّا لطيفاً بعد ان يزال ما يعلوها من العفونات وتنظَّف ولا بأس ان يسيح حينئذٍ شيءٌ من الدم واذا نزف منهُ كية كبيرة تُمسح قبل استعمال الدوآء وبعد المسّ يترك المزيج قليلاً ليتبخر ثم يُلفّ القرح بعصابة اذا

لزم والاّ فالافضل تركهُ مكشوفاً

وبعد استعمال هذا المزيج كما ذكر يشعر المريض بألم محتمل يبقى عدة ساعات وفي الغد يتغطّى المولد المرضي بامخار او جلبة تُمَسّ بالمزيج على ما تقدم ويواظب على ذلك اياماً حتى تسودّ الجلبـة فيصير المسّ بالدوآء غير مؤلم ثم ترشح من محيط القرحة مادة مصلية مبيضة ويداوم استعمال هذا العلاج حتى تنفصل الجلبة فلا يبقى ما يربطها بالانسجة تحتها الا خُيَيطات تزال بمقص وبعد ازالتها يُمَسّ قعر القرحة بالمزيج فاذا ظهر في اليوم التالي جُلَيبة رقيقة مسمرّة سهلة الانفصال اطمأن البال من جهة شفآء القرحة لانهُ لم يبقَ من النسيج السرطاني الاّ القليل ولكن اذا تكونت جلبة لونها أدكن وكانت شديدة الالتصاق بالانسجة تحتها استُدلّ على ان النسيج السرطاني لا يزال ثخيناً فيجب والحالة هذه المثابرة على العلاج حتى يزول بل يجب ان تزاد قوة المزيج بمقدار غلظ الجلبة حتى تبلغ كمية الزرنيخ ١ في المئة او في الثمانين بدلاً من ١ في ١٥٠ كما تقدم

ومتى زال اثر النسيج السرطاني تتحول القرحة الخبيثة الى قرحة بسيطة تندمل بواسطة الحُبيبات اللحمية واذا خيف من تقاص الندبة يوضع على محيط القرحة مرهم مركب من ١ من الحامض البورقي و ١٠ من الفازلين

ويجب منع استعمال المسكرات لان مدة المعالجة في السكارى أطول مما هي في غيرهم ومدة العلاج لا يمكن تعيينها على ان القروح الصغيرة تشفى غالباً اذا لم يُجرَ عليها عملية جراحية في مدة ٣ الى ٤ أسابيع بينما يقتضي شفآء السراطين المنسعة الغور او المتكسة من شهرين الى ٣ اشهر يواظب فيها على العلاج بكل اعتنآء

وبعد ان أتيا على وصف حالة المرضى الذين عالجاهم على نحو ما تقدم

استنتجا ان العلاج المذكور ينجع في سرطان الجلد اذا لم تكن الغدد متصلبة ولاسيا اذا كان مقرُّ المولّد المرضي بعضَ اجزآء الجسد المكشوفة كالوجه . وقد أشارا بتجربة هذا العلاج في سرطان اللسان وقالا انهما لم يفوزا بشفآء سرطان الثدي شفآء تامًّا وان القروح السرطانية الكبيرة المساحة يكون فيها هذا العلاج مسكّنًا ويمنع الرائحة الكريهة ولو لم يشفِ العلة شفآء حقيقيًّا . ولا خوف من التسمم بالزرنيخ اذا استُعمل بموجب الطريقة المذكورة ولو في تجويف الفم مدة اشهر

وقد علّلا كيفية تأثير المزيج المذكور بأن الزرنيخ يتحد مع العناصر السرطانية فتكوّن مادة آحيّة (زلالية) تجمد فتفقد مواد الاخلية السيالة فتصير كالموميا صلبة ولا يكون ذلك الا في الانسجة السرطانية لاسباب لم تزل غير مدركة

هذا خلاصة ما ورد في مقالة الطبيبين المذكورين أثبتناهُ حرصًا على فوائدهِ في صناعة العلاج ورغبةً في أن يجربهُ أطباؤنا ممن يطلعون على هذه الجملة فيفيدونا عن نتيجة تجاربهم وفوق كل ذي علم عليم

مقالة في التربية

لحضرة الكاتب الفاضل عبد الله افندي المراش نزيل مرسيليا

(تابع لما قبل)

في تربية البدن

ولا تعجب من مقايستنا تربية الانسان بتربية الحيوان فانّا لم نفعل ذلك عن مجازفةٍ بل استنادًا الى نواميس الطبيعة العامة التي تجري احكامها على انواع الحيوان كافةً سوآء فيها الفرس والانسان لان الانسان في الحقيقة واحدٌ

من تلك الانواع ولاشيءَ يميّزهُ عن سائرها سوى النطق لا النطق الخارج اللفظيّ بل الباطن العقلي الذي بهِ يُعَدُّ الاخرس ناطقًا وان كان لا يستطيع أن يفوه بلفظةٍ . فان كان لا بد للولد من تربية ذهنهِ ليتقوّى فيهِ هذا النطق ويصير بهِ انسانًا فكذلك لابدّ من تربية بدنهِ كما سنّت الطبيعة ليكون من هذه الجهة ايضًا رجلًا على الحقيقة . وذلك فرضٌ واجبٌ على الابوين والمربّي لا يسعهم اغفالهُ اذ ان نجـاح كلّ امةٍ وفلاحها بل استقلالها موقوف على شدّة بأس رجالها وجلَدهم وضلاعتهم لان من كان ضعيف البنية واهيَ القوى لايستطيع ان يقوم باعباء مهماتهِ ولا ان يُقدِم على امرٍ مما يحتاج فيهِ الى النشاط وصحة البدن كاستخراج المعادن والاسفار وركوب البحار وحرث الارض وغير ذلك من الاعمال الشاقة التي كثيرًا ما تدعو اليها الصناعة او التجارة او الزراعة . وزد على ذلك انهُ اذا اضطرَّت الأُمّة الى الدفع عن نفسها في ميدان الحرب صيانةً لاستقلالها او ذودًا عن حوزتها او حمايةً لذمارها فان لم يكن رجالهـا ذوي بأسٍ ونجدةٍ خارت قواهم في القتال وفشلوا وتغلّب عليهم عدوّهم وان كانوا يفوقونهُ عَدَدًا وعُدَدًا

فصـلٌ

وقد رسخ في اذهان كثيرٍ من الناس ان ما يشعر بهِ الاولاد بل الكبار ايضًا من مسّ الجوع والعطش والبرد والحرّ والتعب وغير ذلك لا يجب الالتفات اليهِ ولا الاعتداد بهِ . وهذا زعمٌ يترتب عليهِ ان ضروب الحسّ انما خُلِقَت في البشر لتضلهم لا لتهديهم فتأمل

وحقيقة الامر في هذا الزعم ان الذين يزعمونهُ انما ينظرون الى المعلولات ويذهلون عن عللها ولو انهم احدهم نظرهُ في القضية لوجد ان البشر لا يمرّضون

انفسهم لاسوآء وادوآء متعـددة لانهم يطيعون ما يأمرهم بهِ حسّهم بل لانهم يعصون امرهُ . فهم لا يمرضون لانهم اذا جاعوا اكلوا واذا عطشوا شربوا بل لانهم يتمرّون على الاكل والشرب بعد الشبع والريّ . ولا يسقمون لانهم يستنشقون هذا النسيم الذي يستطيبهُ كل الاصحّاء بل لانهم يتنفسون ذلك الهوآء الفاسد مع شعورهم بأنهُ مؤذٍ للصـدر مضرٌّ بالرئتين . ولا يعتلّون لانهم يطيعون ما تأمرهم بهِ وتدفعهم اليهِ الطبيعة من رياضة الجسم بل لانهم يعصون امرها في ذلك كسلاً او لعلةٍ أخرى . ولا تعتريهم العاهات لانهم يكدّون اجسامهم في عملٍ ما بل لانهم يثابرون على كدّها في الاعمال الشاقة مدةً مديدةً من غير ضرورةٍ ومن بعد شعورهم بانهم قد نُهكوا وبأن الطبيعة تأمرهم بالراحة حيناً . ولا يضرّهم اعمال فكرهم في ما يلذُّ لهم البحث عنهُ بل يضرّهم مثابرتهم على اعمال فكرهم واجهاد قريحتهم بعد ما يشعرون بهِ من الصداع وحرارة الوجه والاذنين وغير ذلك من الامارات التي تدلهم ان الطبيعة تتقاضى منهم ان يمسكوا عن ذلك الى حين

نعم ان دلالة الحسّ قد تكون بالنظر الى بعض الناس غير صادقةٍ دائماً الّا ان هذا من الشذوذ الذي لا تنتقض بهِ القاعدة المتقدمة . فان الذي يقضي سحابة يومهِ منقطعاً في حجرةٍ مغلقة النوافذ لا يخرج منها ولا يكاد يبرح مكانهُ والذي يُكثر من اعمال فكرهِ ويقلّ من رياضة بدنهِ والذي يأكل مجاراةً لصديقهِ اذا ألحّ عليهِ او طاعةً لما يأمرهُ بهِ أذان المؤذّن او عقرب الساعة لا لما تأمرهُ بهِ معدتهُ كلّ هؤلآء جائزٌ ان تكون ضروب حسّهم قد فسدت حتى صارت تضلّهم في كثيرٍ من الاحوال . الّا أن ذلك لا يُخلّ بالقاعدة التي قرّرناها لانهُ ليس في الحقيقة سوى عاقبة ماجنوهُ على انفسهم بعصيانهم نواميس

الطبيعة فلولا انهم جعلوا دأبهم منذ صباهم ان يخالفوا تلك النواميس لما فسد حسّهم بل لبث وهو في ملء صحتهِ دليلاً صادقاً يقودهم الى ما ينفعهم وينكّب بهم عما يضرهم

فصــل
في الغذاء

وثمَّ اربعة اشيآء ينبغي ان يُعتَنَى بها في تربية البدن اعتنـآء خصوصياً وهي الغذآء والكسوة والسكنى والرياضة

فالغذآء ينبغي ان تُراعى في كميتهِ وكيفيتهِ قوانين الصحة ويُحكَّم دليل الصواب لا المزاعم والاوهام . فمن جملة هذه المزاعم والاوهام ما جرت بهِ عادة اكثرنا من كفّ الاولاد عن الطعام كلما قضينا تحكماً انهم قد نالوا منهُ حاجتهم مع انهم يستزيدون منهُ. وانما نكفهم لاننا نزعم انهم يشطّون في الأكل الى حدّ البشم ان اطلقنا لهم العنـان وبئست الحجة هذه اذ ليس لنا فيها من دليلٍ يدلّنا على الفرق بين حدّ الشبع وحدّ البشم سوى وهمنا وأولى بنا ان نستدلّ على شبع الاولاد بالدليل الطبيعي وهو زوال شهوتهم للطعام كلما قضوا منهُ وطرًا لانهُ دليلٌ صادقٌ في امرهم كما هو صادقٌ في امر الرضيع والمريض بل الحيوان ايضاً . فالرضيع اذا شبع كفّ عن الرضاع من تلقآء نفسهِ والمريض اذا نال حاجتهُ من الغذآء كفّ عن الاكل وكذلك الحيوان اذا اكتفى من العلف . الآن الذين يكفّون الولد عن الطعام مع انهُ يستزيد منهُ لا دليل لهم على انهُ نال منهُ كفايتهُ سوى مجرّد زعمهم او وهمهم كما قلنا فمن أين يعرفون يا ليت شعري انهُ نال حاجتهُ من الغذآء وشبع وهو يطلب المزيد فهل لهم في جوفهِ جاسوس يبلّغهم ذلك . أما كان اجدر بهم ان يعلموا انهُ على صغر جثتهِ أحوجُ

منهم الى الغذآء الوافي وذلك لا تعويضاً لما يفنى كل يوم بل كل ساعة من اعضآئه فقط بل انمآء لبدنهِ ايضاً . وانما يفنى شيء من اعضآئهِ واعضآئنا ايضاً لقيامها بما نيط بها من الاعمال من لدن الولادة الى ساعة الموت فالغذآء هو الذي يُخلف عليها ما يفنى منها

وليس مرادنا ههنا ان ننكر أن الاكثار من الاكل مضرٌّ بل هذا مسلَّمٌ ولكن مرادنا ان نقول ان للإقلال منهُ ايضاً آفاتٍ متعددةً هي اشدّ ضررًا من الإكثار لان الامراض التي يسبّبها الجوع اعسر شفآء من التي يسبّبها البشم . وبعدُ فان الاولاد قلّما يتمادون في الاكل الى حدّ الكِظَّة كما يفعل اهل الشَّرَه وارباب البِطنة من البالغين

وهنا مجالٌ متّسعٌ لحكمة الابوين والمعلّم في التمييز بين الشبع الطبيعيّ اي نيل الحاجة من الطعام بدليل ذهاب الشهوة وبين النهم المؤدّي الى البشم المضرّ فان تيقّنوا بحكمتهم ان ثَمَّ نهماً حذَّروا الولد من سوء عواقبهِ وكفّوهُ عن التمادي بالملاطفة والنصح والاقناع لا بالفظاظة والعنف . ولا يجب ان يعزب عنهم في هذا الموطن ان اكثر ما يكون النَّهم ثمرة الحرمان .ونتيجة المنع وذلك بمقتضى الناموس الطبيعي المعروف بردّ الفعل وهذا على حدّ ما جآء في امثال العامّة ان كثرة الشدّ ترخي وان الممنوع محبوبٌ ومتبوع وهذا يفسّر لك نهم مَن كان صائماً فأفطر فهو أشرَه على الطعام ممن لم يكن صائماً

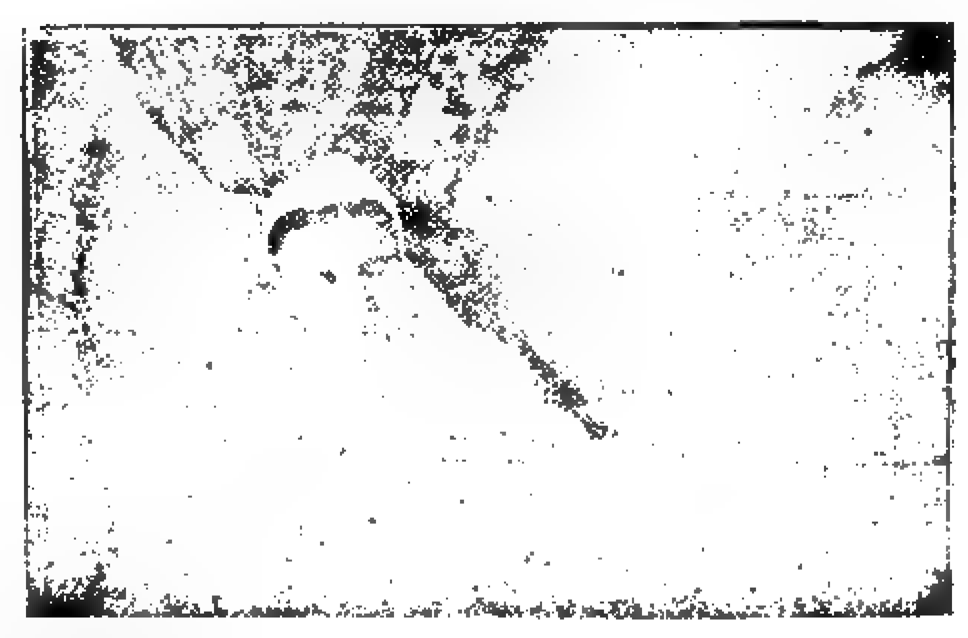
ستأتي البقية

هيئة الاموات في الاحيآء

روت احدى المجلات العلمية ان فتاةً اسمها مرغريتا بوينغال هي الآن في سن الثانية والثلاثين نامت منذ سنة ١٨٨٣ نوماً عجيباً على اثر نوبة عصبية

مسبية عن الخوف وقد اتى على نومتها هذه ثلاث عشرة سنة وستة اشهر وهي في حالة الدنف لا تعي شيئاً وقد عادها كثير من نُطُس اطبآء فرنسا وبعضهم يعودها كل يوم ويُظنّ انها تقضي اجلها وهي على هذه الحالة

وكان عمر هذه الفتاة لما نامت تسع عشرة سنة وكانت جميلة الوجه وضاحة المحيا صحيحة الجسم وقد امتقع لونها الآن وذوت نضارة وجهها فترى في فراشها منطاةً بملآءة الا رأسها المحني على مخدة وهي الى هيئة الاموات اقرب منها الى هيئة النائمين كما ترى في رسمها



وكانت تُعطَى الغذآء في أوّل الامر بملعقةٍ تُدخل بين اسنانها فتبتلعهُ من غير ان تشعر الا انهُ منذ ثماني سنوات امتنعت تغذيتها بالفم فعدلوا الى اعطآئها الغذآء بالحقن وهم يدفّئون اطرافها وسائر اعضآئها بالحرارة الصناعية. أما تنفسها فيكاد لا يدرك ولهثها لا تندى بهِ المرآة الا قليلاً ومع ذلك فهي لم تزل حية ولو قضي عليها بالموت

لا جرَم ان هذه الحادثة من حيث طول مدة النوم من اغرب حوادث

السبات التي عُرفت حتى الآن ومعرفتها مفيدة من وجهين الاول ظهور السبات في فتاة صحتها بحسب الظاهر جيدة والثاني الاعتبار بما وقع في مثل هذه الحادثة من دفن كثيرين احياء

ولا يخفى ان حوادث النوم كثيرة وقد قسمها بعض المدققين الى ثلاثة اصناف احدها ما يكون النوم فيهِ بسيطاً والثاني ما يكون النوم فيهِ على شكل السبات وهو ما يشتبه فيهِ النوم بالموت والثالث ما يكون السبات فيهِ مختلطاً بالتقلصات والحالة الصرعية

اما النوم البسيط فامثلتهُ كثيرة ومدتهُ تختلف فتكون يوماً او يومين او ثلاثة ايام وقد تطول من خمسة ايام الى ستة اسابيع وذكر بعضهم حادثة بقي النوم فيها عشرة اشهر وروى غيرهُ ان فتاةً نامت عدة سنين . وذلك كلهُ مما عُرف قديماً فقد ذُكر ان اسقلوبيوس وابو لونيوس شاهد كلٌّ منهما جنازة امرأةٍ كانوا على عزم ان يواروها التراب فاستبان انها كانت في حالة السبات . ورُوي عن آخر انهُ دُعي ليشرّح جثة امرأة ظُنَّ انها ماتت اختناقاً فلما شرط الجلد تحركت وظهر بدلائل اخرى انها لم تزل حيَّة . ومثل ذلك ما يُروَى من ان قائدًا انكليزيًّا أُصيبت امرأتهُ بالسبات فلم يشكُّوا في موتها وهموا بدفنها الا ان زوجها لم يسلّم بذلك وبعد ثمانية ايام افاقت . ومن هذا القبيل ما حكي عن امرأة دُفنت وقد طمع الحفَّار فيما عليها من الملابس والحلي فعاد وفتح لحدها ليلاً فاستيقظت . على ان هذه العلة اكثر ما يصاب بها النساء المصبيات المزاج الكثيرات التأثر ولا يصعب فيهنَّ تشخيص السبات وتمييز الموت الظاهر من الموت الحقيقي

ولا يُنكر ان لا شيء يؤثر في مخيّلة الانسان تأثيرًا مخيفاً كيقظة الميت

في قبرهِ وما يُسمع من الصراخ الخارج من التابوت شاهداً على ان الميت الذي فيهِ لا يزال حيًّا يشعر بالاختناق والشدة الهائلة التي لا يعبَّر عنها وهو تحت التراب . فمن ذلك ما حدث سنة ١٨٩٥ وهو ان قنصل ايطاليا في اليونان دُفن بآبّهة عظيمة وفي ليلة اليوم الذي دُفن فيهِ سمع الحفار انيناً من جهة ضريحهِ فهرع اليهِ وفتح المدفن فوجد ان القنصل انما دُفن حيًّا وقد استيقظ فاستغاث وليس من مغيث فقطّع شعرهُ وعضّ بنانهُ الى غير ذلك من علامات العذاب الفظيع الذي قاساهُ . وكذا ما حدث في السنة نفسها في سافوا العليا حيث دُفنت امرأة كانت في حالة السبات فكان منها مثل ذلك . والحوادث من هذا النوع كثيرة فلا نطيل باستقصآئها

ومعلوم ان دفن الميت في الممالك المتمدنة لا يؤذَن فيهِ الا بموجب شهادة الطبيب المتعيّن عليهِ تحقيق الموت وبيان سببهِ وقد تقدم ان التمييز بين الموت الظاهر والموت الحقيقي غير صعب ولا سيما مع تقدم العلم في هذه الايام على ان وقوع مثل هذه الحوادث قد نبّه الافكار في بعض انحاء اوربا واميركا فاقيمت في ايطاليا والمانيا وسويسرا والولايات المتحدة بيوتٌ يودَع فيها الموتى الذين يشتبه موتهم لمراقبة احوالهم . وطريقتهم في ذلك ان يمدَّد الميت على فراش في غرفةٍ فسيحة وتوضَع في يدهِ كرةٌ فارغة من كاوتشوك متصلة بجرس يصوّت بأدنى ضغط متى تحركت الاصابع وتوضع كرةٌ مثلها تحت القفا فلدى اقل اختلاج يصدر منهُ يرنّ الجرس فيسمع الحراس فيتراكضون واذا كان الموت حقيقيًّا تظهر علامات التحليل في الجثة بعد بضعة ايام فيزول الشك وترتفع الشبهة

على ظهر النيل

نقتضب الكلام الآتي من كتاب رحلةٍ بهذا العنوان للفاضل الالمعيّ والكاتب المتفنن اللوذعيّ احمد زكي بك الشهير صاحب كتاب السفر الى المؤتمر وقد خرج للسياحة وترويح النفس على ظهر النيل فكتب في ذلك ما لقّنهُ خاطرهُ الواسع من وصف ما شاهد في تلك الرحلة وما عنّ لعين بصيرتهِ من لطيف المعاني . قال حفظهُ الله من كلام

... ثم هو النيل الذي لم يبقَ لي ولا لغيري مجالٌ للاخبار عنهُ والتعريف بهِ فقد سبق السابقون من بني مصر وهم السابقون في مضمار الفضل والنبل والمجلّون في حلبة الاختراع والابداع فقدّسوهُ حتى جعلوهُ الهًا يخصّونهُ بأجلّ العبادات ويتحفونهُ بالضحايا ويتقربون اليهِ بالقربان والقُرُبات فلم يتركوا من غرضٍ يتوخاهُ الوصّافون او مغزًى يكشف عنهُ المعبّرون اذ ليس بعد التأليه من تشبيه ثم جآءت العرب من بعدهم فجزموا بانهُ مَلِكٌ قد بسط ذراعيهِ على البلاد بل مَلَكٌ وافٍ من الفردوس يحمل رَوح الجنّة الى العباد وليس ورآء ذلك لواصفٍ مقال ولا لمادحٍ مجال

يتقاطر الناس من اقصى الجوانب ويتوافدون من المشارق والمغارب ويبذلون في سبيل الوصول الى هذا الوادي البهيج كل مرتخصٍ وغالٍ ليقفوا على شيءٍ من محاسن بلادنا ويحوزوا اثرًا من ءاثار أجدادنا فيرسلون اشعّة ابصارهم فيما لم يبرح بين ايدينا واعيننا اعصارًا طوالاً وهم في وادٍ ونحن في وادٍ هم في وادي النيل ونحن في وادي الاضاليل ثم يعودون الى اوطانهم وقد استفاد المؤرّخ والعالم وانتفع الصانع والتاجر ونحن جاهلون بما استنبطوهُ من

جليل الآثار والعِبَر ذاهلون عما استفادوهُ من بديع الصناعة ونفيس الحِكَم لا نعلم لما تركهُ اسلافنا الاولون قيمةً ولا نفعاً حتى يتفضل اولئك الاجانب بارشادنا اليهِ ويأخذوا اجرهم اضعافاً مضاعفةً من ثناء ينهال عليهم انهيالا وفخرٍ يعتزّون بهِ تيهاً ويتيهون بهِ اختيالا مع اننا نحن اصحاب الدار غير اننا قد تعاهدنا على تكذيب المثل السيّار وبتنا ونحن اجهل الناس بما لدينا من تلك الآثار

ألسنا نرى فتيان مصر كلما اصابتهم من التمدن الحديث نفحة او اصابوا من العرفان العصريّ مسحة اشرأبّت اعناقهم الى اوربا فاصبحوا واياها كصاحب الحاجة الارعن لا يرى سواها ولا يطلب الاّ قضاها ولا يحلم الا بها ولا يستيقظ الا بذكراها فاذا ساعدهم المقدور وتيسرت لهم الامور هُرعوا اليها سراعا وتقاطروا اليها تباعا وربما كان اكثرهم لم يرَ الاهرام وهي اليهِ اقرب من حبل الوريد بل اذا أُتيح لهُ رؤيتها اكتفى بارسال النظر اليها من بعيد ولم يقف عند قاعدتها يتأمل تلك الجبال القائمة من حجر الصوّان حيث لا جبال الاّ جبال الرمال ولم يصعد الى قمتها يرسل بصرهُ فيما تحت قدميهِ من المنظر البديع المثال . وترى الواحد منهم اذا رجع من اوربا عاد وهو يحدّث نفسهُ ويحدث جيرانهُ بما رآهُ من عجائب الامور وغرائب المسموع والمنظور وهو لا يكاد يعرف شيئاً من كنوز بلادهِ التي هي اشرف شيء في المعمور بل لا يشعر بوجود ما حولهُ من الذخائر الاسلامية الباهرة والعمائر العربية الفاخرة التي ازدانت بها مدينة القاهرة

اقول هذا الكلام وانا اعترف امام الله وامام الانام باني احقّ ابناء بلادي بهذا الملام ولكن الحسنات يُذهِبنَ السيّئات فعسى ان يتنبه لقولي

من يصل اليهِ ندآئي وعندي انهُ ليس افضل ممن لم يكن لهُ الاّ حسنات يتلوها حسنات . ولقد نبهني ضميري ودعاني وجداني الى خوض عباب هذا الموضوع بينا كانت الباخرة تخوض عباب النيل وقد حوت تسعة وخمسين سيّاحاً وسيّاحةً غالبهم من الانكليز والاميركان ولم يكن بينهم من المصريين سوى طربوشين خلاف طربوشي ...

مشينا في النيل ونحن لا نكاد نجد الوقت الكافي للتمتع بالمناظر الشائقة التي كانت تتجلى امام اعيننا ذات اليمين وذات الشمال فلله هذا السحر الحلال بل لله درّ هذا الوادي الذي لا يفي بوصفهِ قلم البليغ وانما يجوز على مخيّلة الشعرآء ان تصورهُ بكل ما هو آيةٌ في الجمال فانهم في كل وادٍ يهيمون فكيف لا يهيمون في وادي النيل الذي قد اجتمع فيهِ النقيضان واصطلح عندهُ المتخاصمان فبينا ترى ضفتهُ الشرقية يشرف عليها الجبل المقطم ويرسل اليها النظرات متتابعات وهو عليها غيورٌ شفيق وبها كلفٌ مغرم وقد جعل نفسهُ ترساً يقي مزارعها البديعة واراضيها المريعة من هجمات الطبيعة اذا بالضفة الغربية وهي متوشحة برياضها وادغالها ولكن الرمال غارت من جمالها فاغارت عليها بجبالها فاشبهت الظلام حينما يهجم فيمحو الضيآء او الحِمام اذا انقضّ فقوّض اركان البقآء لذلك تنبّه الاول من آل مصر لصدّ هجمات هذا العدوّ المبين والمغير المستديم فأقاموا على حافة صحرآء لوبية (الصحرآء الغربية) نواطير وارصاداً من الاهرام المتوالية المتقاطرة وكلها كخطّ دفاعٍ اقامهُ امهر القوّاد من الجنود البواسل فاصبحت حرزاً حصيناً لوقاية هذا السهل الخصيب من انهيال الرمال بحيث اذا فاجأ احدها الخطر تنبّه اليهِ ونبّه اقرب الاهرام عليهِ فيتصل الصريخ ويتوالى النفير وبهذه المثابة بقيت الرمال واقفة على قدم المهابة والاحترام تدفعها الرياح

فقصدها الاعرام فلذلك تراها لا تزال متأهبة للوثوب في كل آن مترقبةً فرصةً للهجوم وهيهات ان يقع ذلك منها في الامكان

الحرب

الحرب مناجزة المتخاصمين بالسلاح طمعاً في جرّ مغنم او دفعاً لمغرم فهي هجوم ودفاع وسطوة وامتناع فُطِر عليها الانسان لما في طبعهِ من الاثرة والعدوان ونزعت اليها القبائل والممالك في كل زمان ومكان على ما يصحبها من نهب الاعمار وهدر الدمآء واستباحة الذمار وجوائح البلآء وما تجرُّ ورآءها من البوار والدمار وتخريب الديار والجوع والوبآء وجميع ضروب الشقآء فهي اعظم الخطوب الملمّة بالسلائل البشرية واشد المصائب على الحالة المدنية بل هي اكبر جنايةٍ اقترفها الانسان ضدّ نفسهِ وتعمدها لهلاك ابنآء جنسهِ على ان قوماً لا يرون فيها الا العدالة يصان بها الذمار والعزّة تُحمَى بها الممالك والامصار والأَنفة من احتمال مذلة الضيم والعار والقوة التي يمتنع بها الجار على الجار وقد كُتِبت على الناس مكرهين وربما جُعِلت فرضاً من فروض الدين ولم تزل الامم تعظم شأن الابطال وتقيم الانصاب للذين غلبوا في ساحة القتال تخليدًا لذكرهم واجلالاً لقدرهم قال ابو الطيب

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى   حتى يراق على جوانبهِ الدمُ

وقال

أعلى الممالك ما يُبنى على الاسلِ   والطعن عند محبيهنَّ كالقُبَلِ

وما تقرُّ سيوفٌ في ممالكها   حتى تُقلقَل دهرًا قبلُ في القُلَلِ

ولا مرآء في ان الانسان نشأ على محبة الخصام والرغبة في الانتقام اذ لم يكن لمطامعهِ رادع ولا لشهواتهِ وازع بدليل ما حدث في القدم من مقتل احد الاخوين ولم تكن ارض الله ضيقة على اثنين . ونرى في الآثار البشرية الباقية منذ الازمنة العريقة في القدم قبل عهد التاريخ ظرّانًا استعملها الاولون سلاحًا للصيد والحرب قبل ان عرفوا المعادن واستنبطوا الشَّبَه والحديد وكانوا في عهد همجيتهم يصطادون بعضهم كما كانوا يصطادون البهائم و يَقرَمون الى اكل اللحم البشري كما تفعل بعض القبائل الوحشية لهذا العهد فكان شأنهم في اثارة الحرب شأن الضواري يفترس القويُّ الضعيف ثم استنبطوا السلاح من المعادن فاستعملوا القِسيّ والرماح والسيوف والدروع والخُوَذ وغيرها وقد ضربوا في اكناف الارض ينتجعون موارد الكلإِ لسوائمهم ويحيون مواتها بالحرث والغرس لمعاشهم فصارت الحرب غيرةً ومنافسةً كما بين القبائل المتجاورة والعشائر المتناظرة وفي هذه الحالة صار الانتفاع بالاسرى وسيلةً لاستحيآئهم حيث كانوا يسترقُّونهم لحرث الارض ورعاية المواشي . ثم صارت عدوانًا وغزوًا كما بين الامم الوحشية الذين يجعلون ارزاقهم في رماحهم ومعاشهم مما بايدي غيرهم ومن دافعهم عن متاعهِ آذنوهُ الحرب . ولما قويت اسباب الحضارة واتسع العمران ولي الاحكام ملوكٌ توسلوا بالسلطة الدينية الى ما طمحت اليهِ نفوسهم من الاستبداد فجمعوا الجيوش الجرارة يزحفون بها بعضهم على بعض و بالغوا في احكام المعاقل والحصون والاكثار من العُدَد وآلات الهجوم والدفاع وما زالوا على ذلك من قديم الزمان ينكّلون بعضهم ببعض و يريقون الدمآء ظلمًا وبغيًا حتى اندرست معالم العمران وتقوّض بنآء المدنية بتباب السكان

ومن نظر الى ما حدث في الحروب الدينية من الفظائع والموبقات وما

افضت اليهِ من خراب الممالك وارتكاب المنكرات تبيّن ثم الاسباب التي حملت انصار المدنية من ساسة الممالك على انكارها والقيام ضدها فلم يبقَ لها ذكر الاّ في مخيلة بعض الاغرار ممن طمس الجهل على عقولهم والفضل في ذلك لفئة من رجال الدين قامت بتدبير بعض ممالك اوربا على اثر الحروب الدينية بين البابويين والبروتستنت وقد تنبهت هذه الممالك من سنة الغفلة وشعرت بما كان يمزّقها من الدسائس الداخلية فعهدت بتدبير شؤونها الى رجال ذوي حنكةٍ وحزم اجمعوا على تقرير السلام بين الدول الاوربية فسُلخت الصفات السياسية عن الجيوش وقوادها وتميّدت كل مملكةٍ منها بنظام تُعرَف منهُ حقوق الحكام والمحكومين واستقلّت وزارة الحرب وسُنّت القوانين التي تُعرَف بها حقوق الدول فيما بينها وجرت المعاهدات على حفظ السلام العام . على ان الحروب لم تبطل ولكنها تحولت من الحالة الدينية الى الحالة المدنية على ما هو جارٍ الآن بين الدول

ولا ينكر ان سياسة هذا العصر جارية على المكر والدهآء لا على القوة والبطش وغايتها حفظ الموازنة بين الدول الاوربية الكبيرة والمحافظة على ما لكل دولة من الحقوق والاملاك ومبدأها حفظ السلام تذرُّعاً الى نمآء العمران وانتشار الامان واتساع نطاق التجارة في كل مكان . على ان كلّ دولة تناظر الاخرى وتكاثرها فيما لديها وتوجس منها خيفة الغدر والفتك وتحذر من ضعفها بازآء قوة جارتها وتتحيّن فرصةً لتتقوّى اما بالاستعمار او باختراع آلات الهلاك او بالمال او بمحالفة غيرها مما تشدُّ بهِ ازرها او بغير ذلك وكل دولة واقفة للاخرى بالمرصاد تراقب كل اعمالها الداخلية والخارجية ما استطاعت الى ذلك سبيلاً . واذا كانت الامة راتعةً في بحبوحة الرفاهية سابقة القدم في حلبة المدنية

راقيةً في معارج النجاح وكانت هي المتصرفة في تدبير شؤونها لا يصدر ساستها الاعن رأيها فما ابعدها ميلاً عن الحروب وما اقربها الى حفظ السلام ولذلك لا يخشى وقوع حرب بين الدول الاوربية اذا لم تختلّ الموازنة بينها

وقد تقرر عندهم اليوم ان الموازنة بين الدول الاوربية لا تثبت اركانها ولا يقوم بنيانها الا بالمحافظة على السلم مع الدولة العثمانية ولذلك حين هبّت الدولة اليونانية لمناشبتها الحرب في هذه الايام رأينا الدول الاوربية ولا سيا الروسية ممالئة للدولة العثمانية ضد اليونان على حين كانوا يستغيثون بها فلم تحفل بهم ولم تحركها العوامل الدينية الى قطع العلائق المدنية فثبت ان لفظة الحرب الدينية قد الغيت من معجَم السياسة

على ان ثمت حرباً اشدّ نكالاً بالشرقيين من الحروب الدينيـة وغيرها وهي الحرب التي يشنُّها علينا الاوربيون واساطيلهم لاتمخر البحار وقنابلهم لا تقذف النار وجيوشهم لا تثير الغبار اعني بها الحرب الادبية التي ينازعونـا بها مصادر الحياة فانهم بحجة المعاهدات التجارية قد جاسوا خلال الديار فدنّا لهم صاغرين ثم تبوأوا منصة السيـادة فاقبلنا عليهم مستعبَدين وانّى يُتاح لنا ان نناظرهم وهم السابقون في حلبة الابداع والاختراع الدائبون على توفية العلم حقهُ من التدقيق والتحقيق القائلون القول يصدّقهُ الفعل لا يدالـون فيهِ ولا يؤالسون الفاعلون بما تقتضيهِ الحرية لا يخافون ولا يتكتمون ونحن بالترهات لاهون وعن الحقائق متشاغلون

واذ قد فصل السيف الآن بين الدولتين وحسم ما كان يُخشَى ان تجرّهُ هذه الحرب من العواقب الهائلة ساغ لنا ان نعقد الامل بعود السلم الى مجراهُ ودلنا ما آنسناهُ من صنيع الدول في هذه النازلة وتصرفهم في سياستهـا

ان الحرب قد اصبحت في هذا العصر من ابعد الامور حدوثًا فلا يُخشى ان تقف في طريق نجاح الامم وتقدمهم في سبل الحضارة والعمران وان ما تنشئهُ يد العلم والتمدن اليوم لا تسطو عليهِ يد الجهل والخشونة غدًا فتردُّهُ اثرًا بعد عين وهذا لا شك من افضل ثمرات المدنية في هذا العصر وان راى بعض الناس خلافًا في الامر بما تصوّرهُ لهم اهوآؤهم . ومن تمثل حالة البلاد التي كانت معتركًا لهذين الجيشين وما آلت اليهِ من الخراب والدمار وما سُفِك فيها من الدمآء الزكية المملوءة حياةً وشبابًا وذوى بجانبها من الآمال التي كانت تبسم بهجةً واستبشارًا وما طرأ بسبب ذلك من اقفار المنازل وخلوّ المدن الاواهل وهلاك الزرع والضرع وتعطّل التجارات والصناعات وما نزل بالقوم من دواهي الثكل وتشتت شمل الاحبآء والاهل وانغماس العيال في الفاقة المدقعة والشدائد المتنوعة الى غير ذلك من ضروب البلآء والوان الشقآء كفاهُ ذلك عبرةً تقشعرّ لها الابدان واستعاذ بالله من شرّ الانسان وما احسن ما قالهُ علامة العصر المرحوم الشيخ ناصيف اليازجي طيّب الله ثراه وجعل الجنة مأواه

ولقد رأيت الأُسد احسن خلةً من جنس هذا الناطق المتردّدِ
النـاس تقتل كل يومٍ بعضها والأُسد تقتل غيرها اذ تعتدي

لغز

لأحد الادبآء

ما اسمٌ خماسيّ البنا هُوَ واحدٌ ان شئتَ او جمعٌ بغير تكسيرِ
واذا عمدتَ لجمعهِ نافى الذي جمعوا كما قد شذّ في التصغيرِ

متماثلِ الطرفين قد ضُمّا الى وَسَطٍ بهِ فُصِلا لدى التصويرِ
فاذا ابتدأتَ بأوّلٍ طردًا الى أن تلتقي بالأوسط المذكورِ
ثمّ ابتدأتَ بآخِرٍ عكساً الى وَسَطٍ كفعلك قبلُ بالتحريرِ
خرجت هنالك صورتان هما لهُ ردفانِ مستويانِ في التعبيرِ
فرأيتَ ثمّ ثلاثةً في واحدٍ لم تحتمل شكاً لدى التحريرِ
واذا طرحتَ الغايتَينِ فما بقي شطرٌ لجملة نوعهِ المشطورِ
فآمُنُنْ بحلّهِ وانت أجلُّ من يعزى لهُ في سائر المعمورِ

عجائب التصوير الشمسي

قد بلغت صناعة التصوير الشمسي في هذه العشرين سنة الاخيرة مبلغاً من الدقّة لم يكن يخطر في وهم انسان أن يُتوصّل الى مثلهِ فانهم قد بلغوا في تقوية حِسّ صفائحهِ الى حدٍّ فات البصر بمسافاتٍ حتى اصبحت على الحقيقة عيناً لعين الانسان تبصر بها ما غاب عنها دقّةً او سرعةً فتوصّل بها علماءُ الهيئة الى تصوير كثيرٍ من الاجرام لم يكن يُدرَك ولا بأقوى المعظّمات ما بين مذنَّبات وسُدُم وسيّارات من الكواكب الصغرى السابحة بين فلكي المرّيخ والمشتري وتوصّل غيرهم الى تصوير الاشباح في أثناء حركاتها بحيث بلغت من السرعة ان تتناول رسم الشبح في $\frac{1}{100}$ و $\frac{1}{1000}$ الى $\frac{1}{25000}$ من الثانية

اما كيفية تصوير الاجرام فان الآلة المعدّة لذلك لها حركةٌ على نفسها تخالف حركة الارض الا انها بمقدارها في السرعة بحيث انها اذا نُصبت أمام نجم من الثوابت تبقى الصفيحة الحسّاسة ثابتةً أمام ذلك النجم لا ينتقل موقع شبحهِ

عليها مهما طالت مدّة التعريض . وحينئذٍ فان كان بين النجوم جرمٌ يتحرك غير الحركة العمومية الناشئة عن حركة الارض اليومية يرسم على الصفيحة خطًّا طولهُ بمقدار مكث الآلة موجهةً اليهِ والاَّ رسم نقطةً لا غير واذا كان ثمت شبحٌ خفيٌّ من مذنَّبٍ بعيد او سديم لطيف ارتسم ايضاً لقوّة احساس الصفيحة على ما قدَّمناهُ وبهذه الطريقة اكتشفوا كثيرًا من هذه الاجرام مما لم يكن معروفاً من قبل



صورة ناحية من منطقة البروج وفيها رسم سيار صغير هو المرسومة الدائرة حوله والسهم دليل على اتجاه حركته في فلكه

واما تصوير الاشباح المتحركة فأول ما خطر للمسيو جانسن قيم مرصد ميدون فانهُ اخذ رسم الزُهَرة وهي عابرة على وجه الشمس صُورًا متتابعة ليس بينها الا مسافاتٌ من اقصر ما يُتوهم بقصد اظهار طريق الزهرة على وجه الشمس وتمثيل مرورها عليهِ . ثم صنع الموسيو ماراي احد اعضاءِ المجمع العلمي بباريز

آلةً سماها بالمكحلة الفوتغرافية درس بها حركة الطير في طيرانهِ ومن هنا اخذ مَن بعدهما يتوسعون في هذا الاختراع حتى اخذوا صورة الشيء في اسرع حركاتهِ ورسموا من ذلك ما لا يمكن ان تتناولهُ العين. فرسموا اطوار حركة المشي والعَدْو والوثب والطيران والسباحة وأخذوا صورة الهرّ وهو ساقط من علوٍ وظهرهُ الى الاسفل حتى وصل الى الارض وقوائمهُ الى الاسفل وهي مسئلةٌ مشهورة استغرقت بحثًا طويلاً في هذه الايام الاخيرة في المحافل والمجلات العلمية. ثم صوروا حركة شفاه المتكلم فكانت في اتمّ ما يكون حتى عُرضت على الصُمّ في المدرسة التي يعلمونهم فيها فهم اللفظ بحركة الشفاه ففسروا ما قالهُ الرسم بحركة شفتيهِ



صورة رجل يثب وقد اخذ رسمه في ثمانية اطوار

فمن المخترعات في ذلك الآلة المسماة بالفوتسكوب للأستاذ داماني وقد بنى هذا الاختراع على خاصة من خواصّ الشبكية في علم منافع الاعضاء وهي أن الاشباح تبقى مرتسمةً عليها بعد ادراكها نحو $\frac{1}{10}$ الثانية فكان لهُ من ذلك انهُ اذا صُوِّر الشبح المتحرك عشر صُوَرٍ متوالية في ثانيةٍ واحدة وأُمرّت هذه الصُوَر على العين في المدة نفسها ظهر لها الشبح عينهُ واحدًا ذا حركةٍ

متصلة لانها اذا ادركت اول صورةٍ منهُ وجآءتها التالية بعد عُشر ثانية اتصل اول المنظر الجديد بآخر المنظر السابق وهكذا فيما يلي الى آخر الصُوَر من غير أن تشعر الشبكية بتبدُّل الشبح

وطريقتهُ في ذلك انهُ بعد ان يصوّر الشبح او المحضر رسوماً متتابعة على الوجه المذكور يوزع هذه الرسوم على محيط دائرة من زجاج ويجعل هذه الدائرة في محترق آلةٍ فوتغرافية وينير خلف الصُوَر بنورٍ ساطع ثم يجعل امام هذه الدائرة دائرةً اخرى مظلمة قد فُتحت فيها كوَّةٌ بمقدار ما يسع احدى الصور ثم يدير الدائرة الزجاجية بسرعة فتمرُّ تلك الرسوم امام الكوَّة واحدٌ بعد آخر وتوضع العين امام الزجاجة العينية من الآلة فترى الشبح متحركاً الحركة التي كان عليها وقت اخذ الرسم

متفرقات

انقاذ بلبل — من المعلوم ان تغريد البلبل لا يدوم الّا اياماً قلائل من السنة لا تكاد تجاوز شهرين ولا يُسمَع لهُ بعد ذلك الّا صداحٌ متقطع لا يرسلهُ ولا يتمهُ وربما سُمع من صغارهِ اصواتٌ شاذّة لا تجري على نغمةٍ مطّردة . وقد بذل المولعون بتربية هذا الطائر كل ما في احتيالهم لاغتنام تغريدهِ في سائر السنة فلم يكن الى ذلك من سبيل . فاخذوا من صغارهِ وهي في اوكارها وجعلوها بين سائر الطيور التي لا تقطع تغريدها كالكناري واشباههِ فمنها ما بقي على سكوتهِ ومنها ما غرّد ولكن تغريداً غير مستملح أو حكى ما يسمعهُ من اصوات سائر الطير فخلط بينها على غير انتظام . ثم امتحنوا الامر في كبارهِ

فأخذوها صيدًا بالأشراك واحتبسوها فلم يفوزوا منها بطائل بل كثيرًا ما كان ينتهي امرها بالانتحار بأن تعاف الطعام والشراب حتى تموت جوعًا

ومن اغرب ما حدث في ذلك ان رجلاً من المغرمين بصوادح الطير كان في جملة ما عندهُ منها بلبلٌ قد اخذهُ بشَرَك في اثناء فصل الخريف من العام الماضي فاستمرّ عندهُ الى آخر الشتاء وهو غير مبالٍ بحبسهِ لكنهُ منذ دخول الربيع اخذت تظهر عليهِ علائم الوحشة والكآبة فهجر الطعام والشراب واهمل تعهد نفسهِ بالاستحمام والزينة مما طالما كان حريصاً عليهِ فافرغوا جهدهم في ردّهِ الى ما كان عليهِ من الانس فلم يستطيعوا اليهِ سبيلاً

ثم انهُ لما كان في احدى الليالي سمعوا لهُ تغريدًا شجيًا فجعلوا يدنون منهُ شيئًا فشيئًا يستمعون لذلك النغم فاذا هو شاخصٌ ببصرهِ لا يؤثر فيهِ شيء مما يمرّ حواليهِ لكن قد شردت افكارهُ في مهامه الخيال وهامت نفسهُ في اودية التصورات وكان يطبق عينيهِ ثم يفتحهما وكأنهُ يتأوه بصوتٍ شجيٍ من اعذب ما يُتصوَّر ينبئ عما يحرّك نفسهُ من العواطف الرقيقة والتخيلات النائية التي كان ينتفض لها كل عضوٍ من اعضائهِ

وفيما هو كذلك اذ سُمع لهُ صوتٌ منكر محا صورة ذلك المشهد التمثيلي واسفر عن الحقيقة المحزنة فانهُ لما بلغ منهُ اليأس وانقطع كل ما كان عندهُ من حبال الامل في التخلص من ذلك السجن فتح عينيهِ السوداوين الكبيرتين وانتصب ريش رأسهِ وعنقهِ وانتفض جناحاهُ واخذت سائر جسمهِ رعدةٌ اضطربت لها كل ريشةٍ منهُ ثم صاح صيحة يأسٍ وحنق من اشدّ ما يكون وسقط مكانهُ فنظروا فاذا بهِ قد انشقّ صدرهُ من عظم تلك الصيحة ومات

آثار ادبية

اكتفاء القنوع بما هو مطبوع — هو اسم كتابٍ وضعهُ الاستاذ الفاضل المستر ادورد فنديك نجل المرحوم الدكتور كرنيليوس فنديك المشهور جمع فيهِ اسماء الكتب العربية التي طُبعت في البلاد الشرقية والغربية منذ ابتداء عهد الطباعة الى يومنا هذا فكان فهرساً عامًّا اشتمل على اسماء نحو ١٨٠٠ مؤلَّف في فنونٍ مختلفة رتّبها على ازمنة تأليفها وانواع العلوم التي وُضعت فيها وضمّ الى ذلك ملخص تاريخ الآداب والعلوم العربية وبيان مشتملاتها وما تقلّب عليها من الاطوار مع تراجم كثيرٍ من العلماء والشعراء فجاء كتاباً جامعاً غزير الفوائد والمطالب حريًّا بأن تزيَّن بهِ صدور المكاتب

غير انهُ مع ما حوى هذا السفر من الفوائد الجليلة وما بُذِل من العناية والتنقيب في جمعهِ وترتيبهِ لم يُوفَّ حقَّهُ في بعض المواضع من صدق النظر والتثبت في ردّ الحقائق الى نصابها بحيث جاء فيهِ من الروايات المدخولة والوهم في نسبة بعض المؤلفات الى اربابها ما كدّر منهلهُ على الورّاد وغلط عليهم وجوه السداد . ولذلك فنحن نستأذن حضرة مؤلفهِ الفاضل ان نشفع تقريظنا لهُ ببيان ما عنّ لنا فيهِ من مطارح الانتقاد لا نقصد بذلك غضًّا منهُ ولا تفنيدًا ولكن حرصاً على الحقائق العلمية ورجاء ان يعيد فيهِ نظرهُ فيلحقهُ بتصحيح يتدارك بهِ ما فرط فيهِ من السهو ان احبّ والاّ فلا اقلّ من ان يُنبَّه لذلك فيما سيُطبَع منهُ في المستقبل والله الموفق الى قصد السبيل

فمن تلك الاوهام ما جاء في صفحة ١٨ عند ذكر الكتاب المسمى بمجاني الادب حيث قال « ضبطهُ الشيخ ابرهيم ابن الشيخ ناصيف اليازجي » وليس

ذلك من الواقع في شيء ولا اشارة اليهِ في الكتاب اصلاً فكان من حقهِ ان يتثبت فيهِ قبل اثباتهِ ولا يسترسل الى مجرَّد ظنّ خطر لهُ او خبرٍ سمعهُ ولا سيما وان الكتاب شائعٌ بين ايدي الناس يمكنهُ الوقوف عليهِ أيان شآء وتحقُّق ذلك منهُ بالعيان

ومن ذلك ما حكاهُ في صفحة ٢٧١ حيث ذكر رسائل ابي العلآء المعرّي ثم عقّب عليها بما نصّهُ « وجد شاهين عطية اللبناني نسخةً منها في مكتبة باريس فاستنسخها» وهي من عجيب الروايات فان الرجل لم يرحل الى باريس قطّ ولم يخرج من حدود سوريا بل لم يفارق بيروت ولبنان منذ وُجد . وانما النسخة التي طبعت عنها هذه الرسائل منقولةٌ على ما نعلمهُ عين اليقين عن نسخةٍ وُجدت في احدى مكاتب دمشق استنسخها خليل افندي الخوري صاحب المكتبة الجامعة في بيروت وطبعت بعنايتهِ لا « باعتنآء شاهين عطية » كما رواهُ بعد ذلك في صفحة ٣٤١ ولكن المشار اليهِ كان الشارح لها كما يُرى ذلك صريحاً في عنوان الكتاب ثم في مقدّمة الطابع

ومن هذا القبيل ما جآء في صفحة ٢٨٩ حيث ذكر ترجمة عنترة بن شداد ثم قال « اما سيرتهُ فقد جمعها الاصمعي . . . » وما ابعدها روايةً يترفع عنها الاصمعيّ ترفعاً عظيماً لما شُحنت بهِ هذه السيرة الغريبة من الاقاصيص المختلقة والاسمآء الموضوعة والخرافات المنكرة حتى جُعلت في باب البطش والاقدام اشبه بسيرة جُحَى في باب الرقاعة والمضحكات فضلاً عما في سياقتها من الركاكة واللحن وما يتخللها من فاسد الشعر ومنحولهِ الى غير ذلك مما يعلمهُ اهل هذا الشأن . والصحيح أن الذي جمع الكتاب رجلٌ يقال لهُ الشيخ يوسف بن اسمعيل ذكروا انهُ كان يتصل بباب العزيز في القاهرة فاتفق أن حدثت ريبةٌ في دار

العزيز ولهجت الناس بها في المنازل والأسواق فسآء العزيز ذلك واشار الى الشيخ يوسف المذكور ان يُطرِف الناس بما عساهُ ان يشغلهم عن هذا الحديث وكان الشيخ يوسف واسع الرواية في اخبار العرب كثير النوادر والاحاديث فأخذ يكتب قصةً لعنترة ويوزعها على الناس فأُعجبوا بها واشتغلوا عما سواها

وقد ذكر في هذا الموضع ان امّ عنترة «جاريةٌ سودآء اسمها زبيدة» وقد تحرف عليهِ هذا الاسم وصوابهُ «زبيبة» . ثم ذكر ان المسمى بشيبوب كان خادم عنترة والذي في القصّة انهُ اخوهُ على انّ هذا من جملة ما اشرنا اليهِ من الاسمآء الموضوعة كمقري الوحش وغيرهِ من الاشخاص الذين لم يكن لهم وجودٌ بين العرب ولم يُخلقوا الا بين محابر القصّاصين واقلامهم

ومن ذلك ما رواهُ في صفحة ٣١٧ حيث ذكر الالفاظ الكتابية وهي المصنَّف المشهور لعبد الرحمن الهمذاني ثم قال «طبعت في بيروت تحت اسم كتاب الكلام» وهذه ايضاً من الروايات المستغربة فان الكتاب طبع تحت اسم «الالفاظ الكتابية» ولم يسمع اسم «كتابُ الكلام» الاّ في هذا الموضع

ومنهُ ما ورد في صفحة ٤٠٤ عند ذكر كتاب مجمع البحرين حيث جعل عدد المقامات التي فيهِ ٥٩ مقامة فنقص منها واحدةً مع انهُ عدّها قبل ذلك في صفحة ٢٨٤ ستين مقامة وهو الصحيح

وجآء في صفحة ٤٠٥ ما نصهُ «ابرهيم بن ناصيف اليازجي ... لهُ مصنفات مدققة مضبوطة يُعتمَد عليها . منها (١) نفح الازهار في منتخبات الاشعار ... (٢) شرح الطراز المعلم المذهب لأبيهِ في البيان ...» ونسبة كلٍّ من الكتابين اليهِ غير صحيحة فان نفح الازهار مما جمعهُ المرحوم شاكر البتلوني كما رواهُ بعد ذلك في صفحة ٤٧١ و ٤٨٠ ولكنهُ طُبع بتصحيح المشار اليهِ

على ما هو مذكورٌ صريحاً في عنوان الكتاب . وكذلك ما نسبهُ اليهِ من شرح الطراز المعلم فانهُ لأبيهِ لا لهُ . وبقي في هذا الموضع اشياء لا يتسع المقام لذكرها ولا هي من غرضنا في هذا الفصل فنضرب عنها صفحاً

ومثل ذلك ما رواهُ في صفحة ٤١١ حيث ذكر ترجمة المرحوم المعلم بطرس البستاني فجعل في جملة مؤلفاتهِ «تاريخ نابليون» وهو غير صحيح ايضاً وانما التاريخ لولدهِ المرحوم سليم البستاني كان ينشرهُ في مجلة الجنان تحت اسمهِ

وهناك اشياء أُخَر هي دون ما ذُكر في الاهمية ولكنها غير موافقة للصحة كما جاء في صفحة ٢٨٢ و ٣٤٠ عند ذكرهِ رسائل البديع قال «طبعت في بولاق سنة ١٢٩١ وفي مصر سنة ١٣٠٤ وبهامشها في هاتين الطبعتين خزانة الادب لابن حجة الحموي» وهو عكس الواقع بل عكس المحتمل فان خزانة الادب اضخم من رسائل البديع باضعاف كثيرة والصحيح ان الرسائل هي التي طبعت بالهامش كما ذكر ذلك في صفحة ٣٤٩ و ٣٦٠ و ٣٩٣

وكما جاء في صفحة ٢٨٤ من ان المرحوم ناصيف اليازجي توفي سنة ١٨٧٠ والصواب سنة ١٨٧١ كما ذكرهُ بعد ذلك في صفحة ٤٠٣

وكتلقيبهِ ابا فِراس في صفحتي ٢٦٩ و ٢٧٠ «بالحمدوني» وصوابهُ «الحمداني»

وكقولهِ في صفحة ٣٥٧ في الكلام على مفتاح العلوم للسكاكي «وهو موسوعة في علوم اللغة والبلاغة» ولا معنى للموسوعة في هذا الموضع ولكن استعمالها من سوء التناول وذلك على حدّ ما جاء لهُ في صفحة ١٧٦ من هذا الكتاب حيث قال «ومذ اعتنى العرب بالفلسفة ساروا سير المصنفات (كذا) الحاوية الجامعة التي سماها بعض اهل عصرنا بالموسوعات» اه. ولم يسبق لأحدٍ

من اهل عصرنا ولا من غيرهم تسمية هـذه المصنفات بالموسوعات ولكن هذه اللفظة اول ما ورد ذكرها في هذا العصر في مجلة الطبيب[1] ايام تسليم عهدتها الينا وقد اتفق لنا ذكر كتابٍ من هذا الجنس فسميناهُ « موسوعات العلوم » ثم ذكرنا في الهامش ما نصهُ « هو العنوان الذي اطلقهُ الملّا احمد بن مصطفى على هذا الجنس من التأليف في كتابهِ مفتاح السعادة ومصبـاح السيادة والمراد بموسوعات العلوم مشتملاتها وما وَسِع كلٌّ منها ويقال في جمعهِ كتب موسوعات العلوم » انتهى . والى ذلك الاشارة بقولهِ « سماها بعض اهل عصرنا » مما كان يجب ان يصرّح فيهِ بذكر المنقول عنهُ اذ لم يسبقنا احدٌ في هذا العصر الى ذكر هذا اللفظ . على ان هذه التسمية ليست من وضعنا كما عرفتَ وكما صرّحنا بهِ هناك ولا هي على الوجه الذي ذكرهُ ولكنهُ تصرّف في هذه اللفظـة بما رايت حتى خرجت عن وضعها لفظًا ومعنى وانعكس وجه الاستعمال فيها فصـارت اسماً للظرف بعد ان كانت اسماً للمظروف

بقي هنا امران لا نجد بدًّا من التنبيه عليهما احدهما تعرُّضهُ للموازنة بين كتب المصنّفين وتفضيلهُ بعضها على بعض مجـازفةً وتحكمًا وذلك كما فعل عند ذكرهِ الكتاب المسمى باقرب الموارد (صفحة ٣٣٠) حيث قال « وهو اصح واكمل من محيط المحيط للبستاني بل من اصح المعجمات واحسنها ترتيباً . . . » وكقولهِ عند الكلام على شعر المتنبي (صفحة ٢٦٩) « واحسن تفسير لديوانهِ هو كتاب التبيان لابي البقآء عبد الله العكبري » وانما الاول نسخةٌ عن محيط المحيط والثاني نسخةٌ عن شرح الواحديّ وفي كليهما ما يعلمهُ البصير عند مقابلة الفرعين بالاصلين مما لا نتعرض فيهِ للمزيد وليس هذا موضع الكلام عليهِ

---

١ الطبيب لسنة ١٨٨٤ — ٨٥ صفحة ٣٣٠

والامر الثاني انهُ لا يكاد يسمي واحدًا من الافرنج الوارد ذكرهم في هذا الكتاب الاَّ ينعتهُ بالعلاَّمة وقد يكون كتبيًّا او طبَّاعًا ولا يكاد يذكر اسم عربيٍّ او شرقيٍّ الاَّ مجرَّدًا من النعوت ولو كان من اعظم العلماء واهل الفضل وفي ذلك ما فيهِ مما يأباهُ الادب ولا يجيزهُ الظرف بل مما يتعين على الحازم الامساك عن مثلهِ حذر ما يكون لهُ من الاثر السيء في النفوس

ونمسك عنان القلم عند هذا القدر من النقد على هذا الكتاب ونحن نبرأ الى حضرة مؤلفهِ الفاضل من سوء القصد فيما ذكرناهُ فانَّا خلا ما نتوخاهُ بذلك من الغرض العلمي لسنا ممن يرى في مجرَّد الاطراء شيئًا من صادق المدح ولا من دلائل الاخلاص ما لم يكن مشفوعًا ببيان ما يقارن المحاسن من اضدادها لأن من يذكر السيئة مع الحسنة لا يكون الاَّ صادقًا فضلاً عن ان ذلك لا يكون الا بعد الفحص والاستبطان بحيث تكون الشهادة عن بيّنة والاَّ كان المقرّظ لا يخلو من احدى خلتين امَّا المجازفة واما المداهنة ونحن لا نرضى لنا ولا لمن نقرّظهُ بشيء من الامرين

وفي هذا المقام نعترف لحضرتهِ بالفضل لما بذلهُ من العناية في جمع هذا الكتاب وتمثيلهِ ونثني عليهِ الثناء الطيّب لما توفر عليهِ من الاهتمام بخدمة وطننا العربيّ ولا بدع فقد تعودنا مثل ذلك من هذا البيت الكريم الذي لهُ عندنا من جميل الايادي ما لا يفنى تذكارهُ ولا تُمحَى آثارهُ والله المسؤول ان يسدّدنا جميعًا الى ما بهِ منفعة الانسانية وتعزيز شأن الوطنيــة بتوفيقهِ تعالى وحسن الهامهِ

التمدن الحديث وتأثيرهُ في الشرق — أُهديت الينا نسخةٌ من خطابٍ بهذا العنوان لحضرة الاديبة الفاضلة السيدة هنا كوراني المندوبة السورية في

مؤتمر شيكاغو العلمي لسنة ١٨٩٤ القته في احد محافل بيروت بعد عودتها اليها في شهر مايو سنة ١٨٩٦ . وقد طبع هذا الكتاب حديثاً فيما يزيد على ٢٠ صفحة كبيرة بحثت فيها في حقيقة التمدن الحديث وتاريخهِ وما يقوم بهِ من الامور المعنوية والمقوّمات الادبية دون ما اغترّ بهِ معاشر الشرقيين من زخرفة الظواهر والاخذ بنتائج الامور قبل مقدّماتها واسبابها مما رمى آمالهم بالخيبة ومساعيهم بالاخفاق وافضى بهم الى التأخر والخراب اوردت ذلك كلهُ بعبارةٍ سهلة بسطتها بسطاً مقبولاً فاجادت وافادت ولذلك فانّا نحث جمهور المتأدبين على مطالعة هذا الخطاب ونثني على ناصحة بردهِ ثناء جيلاً

رواية مظالم الآباء — اطرفنا حضرة الاديب المتفنن خليل افندي كامل بنسخةٍ من هذه الرواية الأنيقة وهي تمثيلية ذات خمسة فصول اجاد فيها في احكام سرد الحوادث والابداع في تصوير الوقائع بحيث حازت من اقبال الجمهور عليها ما دلّ على حسن وقعها في النفوس فنثني على مؤلفها الاديب بما هو اهلهُ ونتوقع لهُ زيادة التقدم في هذا الفن اللطيف

المعارف — ورد علينا العدد الاول من مجلة معنونة بهذا الاسم لصاحبها ومحررها الفاضل منلا عثمان افندي الموصلي وهي علمية سياسية تاريخية ادبية اخبارية . وفيها نهد في حضرة محررها المشار اليهِ من غزارة الادب والبراعة في صناعة الانشاء ما يضمن لها التقدم بين الصحف العربية فنحث المتأدبين من ابناء هذه اللغة على الاشتراك فيها ونتمنى لها ما هي اهلٌ لهُ من الرواج والانتشار

اسئلة واجوبتها

وردنا هذا السؤال فننشرناه بحروفه

القاهرة في ١٧ مايو سنة ١٨٩٧

قرأنا في احدى المجلات العربية التي تطبع في القاهرة كلاماً منسوباً الى الدكتور بتر مفادهُ ان مدة الحاضنة في الطاعون هي ستة ايام فلا يخشى من اتصال عدواهُ بمصر وان عدواهُ لاتنتقل الاَّ بالملامسة من المصاب الى السليم لا كما تنتقل عدوى الكوليرا بين الثياب ونحوها (كذا) ولما كان الدكتور بتر ثقةً في مثل هذه الحوادث وقد اعتمدتهُ الحكومة المصرية للبحث في عباي عن سبب الوباء والنظر في ما يجب اتخاذهُ من التدابير دفعاً لهجومهِ على القطر المصري فكلامهُ المذكور ان صحَّ لا بد ان يكون مبنيَّاً على اساس علمي يلزمنا ان نسلم بهِ خلافاً لما قررهُ غيرهُ من الاطباء. وبما ان المسئلة مهمة لما يترتب عليها من صحة العموم نترجى نشر هذا السؤال الذي نلتمس بهِ من حضرة الدكتور بتر ان يفيدنا على اي اساس علمي او عملي بنى رأيهُ المذكور ايضاحاً للحقيقة وزيادة في طمأنينة البال

الدكتور ن . ف .

الاسكندرية — قد اختلف الناس في لفظ الجيم فمنهم من يلفظها شبيهةً بالكاف الضخمة كأهل القاهرة مثلاً . ومنهم من يأتي بها مما يلي مقطع الشين اي مما بين الشين والدال كاهل الاسكندرية وعليهِ اهل سكان سوريا وفلسطين وتلك الناحية . ومنهم من ينطق بها والحالة هذه مركبةً مع الدال فيقول في عَجَب مثلاً « عَدْجَب » وعليهِ اكثر من بقي من سكان هذا القطر وعامَّة اهل البادية وما يجاورها من العراق العربي وهو اللفظ الذي يصوّرها بهِ كتّاب الافرنج فيما ينقلونهُ من الالفاظ العربية فايّ هذه الاوجه هو الاصح

احد قرَّاء البيان

الجواب — اما الوجهان الأوّلان فيهما بحثٌ سنفيض فيهِ بقدر ما يحضرنا منهُ لأنّا لم نجد من نبّه على ذلك ولا تكلم فيهِ . واما الثالث فلا يجوز ان يكون صحيحاً في لغتنا البتة . اما اولاً فلأنهُ ليس عندنا حروفٌ مركبة اي يتركب لفظها من مقطعين كما هو الحال في بعض الحروف اليونانية مثلاً . واما ثانياً فلأن لفظها كذلك يفضي تارةً الى الابتداء بالساكن كما في جلَس فانها تُلفَظ « دْجلَس » وتارةً الى الجمع بين الساكنين وذلك اذا وقعت الجيم ساكنةً او بعد ساكن كما في يَجْلِس وسَجب فانهُ يقال فيهما «يَدْجلِس» و « يَدْجَب » وربما افضى الى جمع ثلاثة سواكن وذلك اذا سكنت الجيم مع ساكنٍ آخر في الوقف كما اذا وُقف على ثلج ومجد فانهُ يُلفَظ بهما « ثَلْدْج » و « مَدْجد » . وربما اجتمع هنالك اربعة سواكن كما اذا وُقِف على لفظ حاجّ ونحوهِ وكل ذلك ممتنعٌ فضلاً عما فيهِ من الثقل . وزد على ذلك ما يلزم عن زيادة هذا الساكن من اختلال وزن الشعر في كل جزء يقع فيهِ هذا الحرف اذ الشعر عندنا مبنيٌّ على حركاتٍ وسكناتٍ لا يتعداها ولا يستقيم الا مع التزامها

وأما القول في أيّ اللفظين الاولين هو الاصحّ فان اعتبرتَ ان الاصحّ هو الأعرَف والأشيَع على ألسنة العرب أزمان نقل اللغة وتحريرها فالثاني اي لفظ اهل الاسكندرية هو الاصحّ لا محالة لانهُ هو اللفظ الذي كان عليهِ جمهور العرب في اواخر عهد الجاهلية وصدر الاسلام وعليهِ نصوص النحاة وعلماء اللغة فانهم عند تعيينهم مقاطع الحروف يجعلون مخرج الجيم من الشَجْر وهو مفرج الفم ويضمونها مع الشين والياء في حيّزٍ واحد . وان ذهبتَ الى ان الاصحّ هو الأقدم والأسبق فلا كلام في أن الوجه الأوّل الذي عليهِ سكان القاهرة هو الاصحّ لانهُ هو اللفظ القديم الذي كانت عليهِ العرب لأوّل عهدها

بشهادة الاستدلال من تأريخها ولغتها نفسها

وذلك اولاً ان العربية احدى لغاتٍ أخَواتٍ تُعرَف باللغات الساميَّة كانت ولا شكَّ لغة طائفةٍ واحدة ثم افترق اهلها فتباينت ألسنتهم طبيعةً وبقي في كلٍّ منها الفاظٌ شائعةٌ تشهد بوحدة ذلك الاصل على ما بسطناهُ في غير هذا الموضع بالتفصيل [١] . فاذا تفقدت مخرج هذا الحرف فيما بقي من تلك اللغات كالعبرانية والسريانية لم تجدهُ في شيء منها يُلفَظ من الشَّجْر ولا يعرف اهلها ذلك في عصرٍ من الاعصار فهو ولا ريب مما طرأ على لغة العرب فيما احدثتهُ من التصرف في الفاظها كما يدلّ على ذلك بقاء قومٍ منهم باليمن الى عهدٍ غير بعيد ينطقون بهذا الحرف على اللفظ القديم كما صرّح بهِ ابن دُرَيد ونقلهُ ابن يعيش في شرح المفصَّل والرضيّ في شرح الشافية وغيرهما من ائمة العربية . على أن العرب لم يحدث عندها هذا التبديل الاّ في زمنٍ متأخرٍ كثيرًا ولم يقع لها الاّ بعد بلوغ اللغة غاية كمالها واستيفائها تمام اوضاعها على ما يتضح لك دليلهُ مما سيجيء

ثانيًا أنك تجد طائفةً من فصيح ألفاظ اللغة ومأنوسها اذا لُفظ فيها هذا الحرف من الشَّجر جاءت شاذَّةً عن قانون الوضع عندهم وحدث فيها من التنافر والثقل ما يخرجها عن الفصاحة . وذلك أنك اذا استقريت ألفاظ العرب لم تكد تجد في اوضاعها حرفين متقاربي المخرج بدون فاصلٍ بينهما فلا تجد العين مع الحاء او الخاء مثلاً ولا الغين مع القاف او الكاف ولا السين مع الصاد ولا اللام مع الراء الاّ فيما ندر وذلك لصعوبة الانتقال من مقطعٍ الى مقطعٍ يقاربهُ كثيرًا ولذا اذا اتفق تداني المخرجين من طريق التصريف عدلوا بهما الى الادغام كما

---

١ مقتطف السنة السادسة صفحة ٣٢٤ و ٣٩٠

في ادّعى وامّحى واشباههما . ولكنك كثيرًا ما تجد الجيم في ألفاظهم مقارنةً للشين كما في قولهم شَجُع الرجل وجَشَر الصبح وهذا طعامٌ جَشِب ووَشَجت أعراق الشجرة ونَجَش في البيع ونحو ذلك . ولا يخفى ما في هذه الكلمات واشباهها من الثقل اذا لُفظت الجيم فيها من الشَجْر لقرب مخرجها حينئذٍ من مخرج الشين . وكذلك ما جاءَت الجيم فيهِ مجاورةً للزاي او السين او الذال او التاء ولا سيما من كل ذلك ما جاءَ فيهِ الحرف الثاني بعد سكون الاول كما في قولك زيدٌ اشجع من عمرٍو وجئتهُ عند مجشر الصبح ودخلت المسجد وهو لا يجسر ان يفعل كذا ونحو مزجر الكلاب ومجزر الغنم ومجثم الطائر وهلمّ جرًّا فان هذه الالفاظ كلها في منتهى الثقل حتى ان بعضها لا يمكن الخروج فيهِ الى المقطع الثاني ما لم يحرَّك الاول ولو بقدر ما يعتمد عليهِ الصوت للانتقال الى ما بعدهُ والاّ وقع الادغام اضطرارًا . ومن الغريب أن علماءَ البيان ما زالوا ينعون على امرئ القيس لفظ المستشزرات في قولهِ غدائرهُ مستشزَراتٌ الى العلى مع انك اذا تأملتهُ لم تجدهُ اثقل من لفظ المجزر مثلاً لاستواءِ اللفظين في موجب الثقل وهو الخروج من الشين او الجيم الساكنة الى الزاي . واين قول امرئ القيس هذا من قول الشنفرى في لاميتهِ المشهورة

وان مُدّت الأيدي الى الزاد لم أكن بأعجلهم اذا أجشع القوم أعجلُ

فان قولهُ اجشع من اثقل ما سُمع حتى انهُ لا يستقيم لك وزن البيت ما لم تدغم الجيم في الشين على ما قدّمناهُ قريبًا والاّ اضطُررت الى تحريكها فانكسر الوزن . ومع كل ما ذُكر فانك ترى هذه الالفاظ كثيرةً عندهم شائعةً في كلامهم من الشعر والنثر وهو ادلّ الدليل على انهُ لو كان لفظ هذا الحرف عندهم من الشجر لتحاشوها وضعًا واستعمالاً وبخلاف ذلك ما لو عدلتَ بهِ الى مخرجهِ

الآخر فانك تجد هذه الكلمات كلها قد زال ما فيها من التنافر وعادت باسرها من فصيح اللفظ ومنتقاهُ

ثالثاً أن علمآء الصرف اجمعوا على جعل هذا الحرف من الحروف القمرية اي التي تظهر معها لام التعريف مع اجماعهم على جعل مخرجهِ من الشَجْر وهو ايضاً شذوذٌ آخر فيهِ وخروجٌ عن قياس امثالهِ لأن الحروف الأَسَلِيَّة اي التي تُلفَظ من طرف اللسان كلها شمسية كما تعلمهُ بالامتحان وذلك للسبب الذي قدّمناهُ من صعوبة الانتقال من مقطعٍ الى مقطعٍ يقاربهُ اذ اللام من الأَسَلِيَّة ايضاً ولذلك التزموا ادغامها تخلصاً من الثقل. وعليهِ فقد كان حق الجيم ان تُدغَم فيها اللام كما تفعلهُ العامّة بارشاد السليقة وكما تُدغَم في الشين التي هي من مخرجها ولكن اظهارها من اوضح الأدلّة على انها كانت تُلفَظ من مخرجٍ قريٍ وهو المخرج القديم الذي قرّرناهُ فكانت تظهر معها اللام كما تظهر مع الكاف مثلاً لوحدة المخرج فيهما ثم أُزيلت الى الشجر وبقيت اللام معها على ما أُلف فيها والله اعلم

مطالعات

وصيّة لارباب العلم — اوصى السيّد نوبال مستنبط الديناميت المشهور بمبلغ ٥٠ مليونًا من الفرنكات تُجعَل وقفًا على مكافأة ارباب العلم وهذا المبلغ هو جميع ثروتهِ على التقريب. وهذه صورة وصيّتهِ نعرّبها تحصيلاً

« تُحرَّر قيمة هذا المبلغ بتقويم العارفين ويُعقَد بهِ مستغلّات يوزَّع ريعها السنويّ على من يكونون انفع أقرانهم خدمةً للانسانية في تلك السنة. وهذا

الربع يُقسم على خمس جوائز متساوية تُعطى لأربابها على الوجه الآتي

« الأولى لمن توصّل الى افضل اكتشافٍ او اختراعٍ في العلم الطبيعي

« والثانية لمن توفّق الى اهمّ اكتشافٍ او تحسين في علم الكيمياء

« والثالثة لمن اهتدى الى انفع اكتشافٍ في علم منافع الاعضاء او الطبّ

« والرابعة لمن ألف اجود كتابٍ ادبي على الاسلوب التخيّلي

« والخامسة لمن تمكّن من توثيق اسباب المسالمة والاخاء بين الأُمم

« اما توزيع هذه الجوائز فالأُولى والثانية توزّعان على يد المجمع العلمي بأسوج . والثالثة يفوّض امرها الى المجمع الطبيّ باستكهلم . والرابعة تؤدّى بانتخاب المجمع الادبي بأسوج . والخامسة يحكم فيها لجنةٌ تؤلّف من خمسة اعضاء يتخيرهم ديوان التنظيمات بنروج

« وانا ارغب اليهم في امرِ هذا التوزيع ان لا يميّز فيهِ بين أُمّةٍ واخرى حتى لا ينال الجائزة الاّ مستحقها » . انتهى

اما ريع هذا المبلغ فلا يكون اقلّ من ٣٠٠,٠٠٠ فرنك كل سنة وهو اعظم مبلغٍ أُرصِد لمكافأة رجال العلم والادب

بقي ان نسأل هل يكون لهذه البلاد حظٌّ من هذه الجوائز . ولعل الجواب ان احقّ جائزة ترسل الى هذه البلاد هي الجائزة الخامسة يقتسمها اصحاب الجرائد والخطباء . . . . .

وردتنا مقالةٌ مسهبة من جناب الحسيب النسيب الامير شكيب ارسلان يردّ بها على بعض ما نشرناهُ في الجزء الثالث من النقد على الدرة اليتيمة ولما كان ورود المقالة بعد تمام ترتيب هذا الجزء أرجأنا نشرها الى الجزء التالي

البيان

السنة الاولى —— الجزء الخامس

اول يوليو سنة ١٨٩٧

اللغة والعصر

(تابع لما في الجزء السابق)

على أنك لو طفت اليوم في جميع أنحاء البلاد التي كانت مباءة للعرب ومعرضاً لحضارتهم وفنونهم لم تكد تجد موضعاً تتوسم فيهِ آثار ذلك القديم سوى الديار المصرية التي هي مستودع ذخائر السلف ومجمع شمل علومهم في شمل بقاياهم والتي ان كان قد كُتب لهذه اللغة ان تستأنف البقاء مدة اخرى فان مبعثها انما يكون من ناحيتها وعلى ايدي رجالها وان سبقهم الى احياء رسومها بعض المجاورين لهم ممن اصطبغوا صبغة العرب وليسوا منهم في شيء وشتان بين من يُعنَى بالامر لضرورةٍ أحوجتهُ اليهِ ومن تكون فائدتهُ لهُ وخسرانهُ عليهِ

وقد كان عُقِد في هذه العاصمة اعني مدينة القاهرة مُجتمعٌ لُغويٌّ تطالت اليه أعناق الناطقين بالضاد من جميع الآفاق العربية وتوقع المتأدبون منهُ فوائد جمّة مما لم تبرح النفوس متطلعةً اليهِ والاماني معقودةً عليهِ فاعترض دون تلك الثمرات ما عُهِد في اهل الشرق عامةً والمصريين خاصةً من وِناء الهمم وتخلّف

الثبات على حين لم يجروا في هذا الشوط الاّ خطوات يسيرة ابانوا فيها عن رأيٍ فطير وبضاعةٍ مُزجاة وصدرت الآمال عنهم كما وردت لم تظفر منهم ببلة بل تجرّعت من اليأس ما زادها على غلّتها غلّة

ولا بأس ان نُلمّ في هذا المقام بطرف من تاريخ هذا المجتمع والكشف عن شيءٍ من أعماله بياناً للغاية التي جعلوها نُصب ابصارهم واستنهضوا لها هممهم ثم المبلغ الذي ادركوهُ من ذلك والأمد الذي استولوا عليهِ منهُ لا نريد بذلك تسويةً لهم ولا غضاً منهم ولكن الاشارة الى اوجه التقصير فيما هموا بهِ من هذا الامر الخطير والبحث في الخطة التي ينبغي سلوكها للوصول الى المقصد الذي تمثل لهم بعد ما اوضحنا من الحاجة الماسّة اليهِ وما يترتب عليهِ من الفوائد التي أيسرها تدارُك اللغة من السقوط ولحاقها بلغات الغابرين

لا جرم ان الامور انما تستتبّ بالرأي قبل العمل والحازم مَن اذا همّ بمعمولٍ نظر في غاياتهِ قبل مبادئهِ حتى يكون مدخلهُ فيهِ سديداً ومخرجهُ منهُ حميداً. فأوّل ما يؤخذ عليهم في امر هذا المجتمع انهم حصروا انتخاب المشتغلين بهِ في عداد رجال مصر وحظروا ان يشاركهم فيهِ غيرهم من سائر الناطقين بهذا اللسان وهو امرٌ قد خفي علينا وجه الحكمة فيهِ بل لم نجد لهم عذراً يخرجهم من المؤاخذة عليهِ. فانهُ ان كان ذلك عن مزيد اعتدادٍ بانفسهم في كفاية هذا الامر حتى أداهم الى ترك الاعتداد بغيرهم فهي السوءة التي لا يسترها احسانٌ ولا يشفع فيها فضلٌ ولا مزية بل هي السقطة التي تقضي وحدها على عملهم بالحبوط ومساعيهم بالإخفاق. وذلك أن ما عقدوا العزم على إحداثهِ في هذا المجتمع من الزيادة والتبديل في الفاظ اللغة امرٌ لا يستتبّ نفعهُ ولا تُحقق ثمرتهُ الاّ بأن يعمّ استعمالهُ بين المتكلمين بها وتتداولهُ ألسنتهم واقلامهم حتى

يلحقوهُ بأصل اللغة ويعتبروهُ في جملة اوضاعها. وعلى ذلك فمن لم يدعوهُ من اولئك الى مشاركتهم في الرأي ومشاطرتهم وجه الحكم فقد دعوهُ بلسان حالهم الى متابعتهم فيما يرون والنزول على ما يحكمون وذلك امرٌ ولا سلطة تعضدهُ لا يتسنى الاَّ برضى من يدعونهُ اليهِ وارتياحهِ الى موافقتهم عليهِ وهيهات ان يرضى بذلك منهم وهم قد جعلوا بريدهم اليهِ ما علمت من الاستخفاف والازدهآء. وان كان ذلك طلباً للأَثرة والانفراد بالمزيَّة على غيرهم فهو امرٌ في غير محلهِ ايضاً وليس من النَّصَفة ولا السداد في شيء. وذلك أمَّا أوَّلاً فلأنهُ لو كان الامر الذي اجتمعوا لهُ من شؤون مصر الخاصة لم يكن في ذلك لأحدٍ حُجةٌ عليهم ولا حقّ المطالبة بالدخول معهم فيهِ ولكنهُ من الامور الشائعة بين جميع الأمّة على السوآء ليس بعضها احقّ بهِ من بعض فانفرادهم بهِ دون سائرها استبدادٌ لا وجه لهُ وداعٍ الى المنافسة والتخاذل ونقض عروة الوئام. وأمَّا ثانياً فلأن مدار العمل على سدّ ما طرأ على اللغة من النقص ووضع ألفاظٍ بازآء المعاني التي حدثت في الأعصر المتأخرة وهناك من الاوضاع والمصطلحات ما لو جُمعت مفرداتهُ في كل فنّ لبلغت ان تكون مجلّداتٍ كثيرة. ولا يخفى ان هذا من الاعمال التي لا يضطلع بها الا العدد العديد في الزمن المديد مما يدعو الى تضافر الأيدي والاستكثار من العاملين مع مواصلة الجد وادمان الاشتغال ثم هو مع ذلك ربما اتى علينا قرنٌ بتمامهِ ولم نبلغ آخرهُ بل كيف نبلغهُ ونحن لا نفضي الى ذلك الزمن حتى يكون قد حدث من تلك الاوضاع اضعاف الموجود الآن. وبعدُ فانَّ نقل هذه الاوضاع الى لغتنا لا يكفي فيهِ العلم بقوانين العربية والاحاطة بألفاظٍ منها نستظهرها من بطون الدفاتر بل من مقتضاهُ ان يكون اكثر المشتغلين بهِ من العارفين باللغات المنقول عنها

والمطلّعين على علوم اربابها وصنائعهم وسائر فنونهم ليكونوا على بيّنةٍ من مواضع النقص المشار اليها وتحقيق المعاني التي ينبغي وضع الفاظٍ لها بما يؤدّي به المقصود على وجههِ. وليس في مصر وحدها من هذه الطبقة الاّ رجالٌ معدودون لا نحسبهم ان كانوا قد جعلوا لهم مكاناً من هذا العمل كافين للاضطلاع بهِ على طولهِ واتساعهِ وعلى ما يقتضيهِ من التفرغ وادمان النظر. فقد كانوا والحالة هذه في اشدّ الحاجة الى ان يكون لهم في كل قطرٍ أُناسٌ من امثال اولئك يؤازرونهم في العمل ويكونون اعواناً لهم على النجح وكان يبقى لهم من المزيّة التي حرصوا عليها انهم هم الشارعون في تأسيس هذا المجتمع والداعون اليهِ وان اوضعهم مُلتقى اشعتهِ ومُنبثق انوارهِ وهذا كافٍ في باب الأَثَرة وهو مما لا يَنفَسهُ عليهم منافس. وبالتالي فانهم لو نظروا نظرةً في التأريخ لأَرتهم مثال ما هم فيهِ بما يسفر لهم عن وجه الرأي وينهج لهم سبيل العمل اذ ليست هذه أوّل مرةٍ عبر فيها على الأمّة مثل ذلك ودعت الحال الى الإحداث في اللغة وادخال شيء جديد بين اهلها. فكلٌّ يعلم ما فعل المأمون حين عرّب كتب اليونان والفُرس والسريان في الطب والحكمة والعلوم الطبيعية والرياضية وغيرها فانهُ لما لم يجد في الأمّة من يضطلع باستخراج هذه الكتب الى العربية لم يتوقف عن استدعاء قومٍ من نساطرة العجم ليتولوا لهُ نقلها لم يستنكف من ذلك ولا أنِف من يابهِ من العلماء الذين حشدهم اليهِ من اطراف البلاد وناهيك بهم من كانوا ان يشاركوهم في العمل. وقد افرد لهم مكاناً في بلاطهِ ووزّع تلك الاعمال بينهم على ما يحسنهُ كل فريقٍ منهم ثم جعل لهم يوماً في الاسبوع يجتمعون فيهِ وتُعرض اعمال المعرّبين على علماء اللغة فيقرّون منها ما وجدوهُ سديدًا وينظرون في غيرهِ مما لم يقع المعرّبون على وجههِ فيصححونهُ

اما ما كان من ثمرات هذا المجتمع فزبدة ما اتصل بنا انهم عقدوا ستّ او سبع جلساتٍ استحدثوا فيها عشرين لفظةً بازآء عشرين كلمةً من الالفاظ الاعجمية ولا بأس ان نذكر بعض هذه الالفاظ في هذا الموضع تتمةً لسياقة البحث

فنهـا قولهم مَرْحَى وأَيْحَى في مكان « برافو » وبَرْحَى في مكان « في » وهي كلماتٌ تقال الأوليان منها لمن اصاب المرمى والثالثة لمن اخطأهُ فنقلوها الى مطلق معنى الاستحسان او الاستهجان . وقد تكلفوا في هذه الالفاظ على ما نرى « وابعدوا المرمى » بما لا حاجة اليهِ لوجودِ كثيرٍ في كلام العرب من مشهور اللفظ ومأنوسهِ يغني عن اجتلاب هذه الكلمات ونقلها عن مواضعها . فمن قولهم في الاستحسان أحسنتَ وأجدتَ وأبدعتَ ولله دَرُّك ولله انت ولله ابوك وماشآءالله كان وكذاوالآ فلا وما اشبه ذلك . ومن هذا القبيل قولهم بَخٍ بَخٍ وبَهٍ بَهٍ وزِهْ بكسر فسكون وهذه الاخيرة من مستدركات الزبيدي على القاموس نقلاً عن الاغاني . ويقولون في التقبيح سَوْءَةً لفلان وقبحًا لهُ وخِزْيًا لهُ وتبًّا لهُ وأُفًّا لهُ ولاأبالهُ وخَيبَ الأبعد وخَزِي ولادَرّدرُّهُ ونحو ذلك وكلها من الالفاظ الوافية بالمراد على خلوّها مما في تلك من الغرابة وما في بعضها من الاستهجان في السمع

ومنها قولهم عِمْ صباحًا وعِمْ مسآءً في مقابلة « بونجور » و « بونسوار » وهما مما لا داعي اليهِ ايضًا اذ لا اكثر من ألفاظ التحية عندنا فضلاً عن انهما من قديم اللفظ الذي قد أُميت استعمالهُ منذ ازمانٍ مديدة فلا تُقبلان في هذا العصر. وبعدُ فلا نزيدهم علمًا ان الذين يقولون بونجور وبونسوار ليس ذلك منهم عن افتقارٍ الى لفظٍ يرادفهما بالعربية فان اجهل العوامّ يقول في تحيّة الصباح نهارك سعيد او صبّحك الله بالخير مثلاً وفي تحية المسآء ليلتك سعيدة او اسعد الله مسآءك

ونحو ذلك . ولكن الداء الذي ارادوا علاجهُ بهاتين العبارتين ليس من الادواء التي تعالج من هذا الكتاب ولا التي ينجع فيها هذا الضرب من العقاقير انما علاجهُ تلقين فتياننا حبَّ الوطن وتنشئتهم على عزّة النفس والاعتداد بحرمة الذات حتى لا تتسفل اهوآؤهم الى التشبُّه بغيرهم ممن ليسوا بخيرٍ منهم احساباً ولا اشرف خلالاً وقد بقي من أعراض هذا الداء ما تجد استعمال هذه الالفاظ في جنبهِ سهلاً نسأل الله ان يلهمنا رشد انفسنا وهو وليّ الهداية

ومنها قولهم نمرة في موضع «نومرو» وهذه لا تخلو من غرابة فان كان القصد منها تعريب اللفظة اي تحويلها الى صيغةٍ توافق الابنية العربية فهو مما سبقتهم اليهِ العامة يقولون كم نمرة هذا الثوب مثلاً. وان كان مرادهم ان النمرة لفظةٌ عربية بهذا المعنى فلا صحة لهُ لان النمرة في اللغة النكتة في الشيء تخالف لونهُ كما يُرى في جلد النمِر مثلاً فكان الأَولى ان يبحثوا عن لفظةٍ عربيةٍ توافق المعنى والاّ فهذه كغيرها من الكلم التي كانوا يضعونها اتفاقاً من غير ان يطالبهم بها مطالبٌ فلم يكن عليهم بأسٌ من تركها وارجائها الى فتحٍ جديد

ومنها الحرّاقة في تعريب «التوربيد» قالوا وهي في الاصل الحرّاقة سفينةٌ فيها مرامٍ للنيران يُرمى بها العدوّ في البحر ولا يخفى ان هذه ليست في شيء من التوربيد اذ هو عبارةٌ عن صندوقٍ ونحوهِ من رقيق صفائح المعدن يُحشى بالبارود ويُرسَل في قعر البحر حتى يصير تحت سفينة العدوّ ثم يُفجَّر بنابضٍ (زنبرك) اوسلكٍ كهربائي فتتقذف السفينة صعدًا . والتوربيد في الاصل اسمٌ لسمكٍ كهربائي من لمسهُ خدرت يدهُ وتسميهِ العرب بالرعّاد وهو اللفظ الذي استعملهُ بعضهم في تعريب هذه الكلمة ولعلهُ أولى

ومنها الوشاح اختاروهُ للتعبير عن «الكوردون» الذي يُتخذ للسيف بجامع الهيئة على انهُ ليس تعريباً للفظة الاعجمية اذ هي في الاصل عندهم بمعنى القوّة من قُوَى الحبل ثم نقلوها وان لم يظهر وجه النقل الى هذا السفيف من منسوج الحرير ونحوهِ تشدّهُ النساء على اوساطهنّ ويزيّنّ بهِ رؤوسهنّ وتُجمع بهِ اطراف السجوف وكِلَل الأسرّة ويتخذ منهُ نجاد السيف وغير ذلك والوشاح لا يصلح لشيء من هذه المذكورات الّا للمعنى الاخير فهو اخصّ من اللفظة المعرَّبة ومع ذلك فلا بأس باستعمالهِ لهذا الموضع

ومنها الطنف لما يسمى «بالبلكون» الا انهم فسّروهُ بالسقيفة التي تُشرَع فوق باب الدار وهي غير البلكون على ان اللفظة أوسع مما ذكروا ويرادفها ايضاً الجناح وهو أحسن لفظاً وأدلّ على المراد

ومنها المِشجب لما يقال لهُ عند العامّة «شمّاعة» وهو بالافرنجية «بورت ماتو». وحصب الطريق بالحصباء مكان قولهم «وضع فيها المكدام». والمِطاف والمِعطف لما يسمّى «البالطو» و«الباردسو» كذا من غير تعيين والأظهر أن ما اختاروهُ يوافق الاول واما الثاني فأليق ما يسمّى بهِ الدِثار فان كان يُتّقى بهِ ماء المطر فهو المِمطر والمِمطَرة

ومنها البهو بمعنى «الصالون» والقُفّاز بمعنى «الجوانتي» والبطاقة بمعنى «الكارت» والشرطي والجواز بمعنى «البوليس» وهذه كلها مما سُبقوا اليهِ

وبقيت ألفاظٌ أُخر أُرسلت من عفو الذاكرة ولم ينضجها الفكر فلا نطيل باستقصائها والكلام عليها. على انهُ مهما يكن من امر هذه الكلمات فلم يكن من المتعين ان يكون كل ما يضعونهُ وارداً مورد الاصابة ولا ينبغي ان يُتوقع مثل ذلك من ايّ قومٍ تعاطوا مثل هذا الامر الدقيق على ما يقتضيهِ

من الاحاطة وبُعد النظر وكثرة التنقيب في اعطاف الحافظة وبين تضاعيف السطور ولا سيما ان تلك الألفاظ كانت تصدر من وضع الواحد ثم تُنشَر بلا بحثٍ ولا تنقيح فلا عجب ان جآء بعضها مرمًى للنقد . على أنهم لو مضوا على ما بدأوا بهِ من ذلك وأدمنوا الاشتغال بالبحث والتقييد لجآء فيما يضعونهُ فوائد لا تُحصَى ولخدموا اللغة خدمةً سنيةً كانت تردّها عليهم شكرًا جزيلاً وذكرًا على الايام جميلاً ولكنهم لم يلبثوا بعد وضع هذه الكلمات ان تشاغلوا بانشاد القصائد والقآء الخُطَب ثم خُتِم المجتمع على هذا القدر ستأتي البقية

الصابئة

(عود الى ما فى الجزء الثالث)

بناء على تقاضي بعض مشتركينا الكرام لما وعدنا بهِ في آخر الفصل الذي سبق لنا ايرادهُ في تعريف الصابئة نعود الى بيان بعض عقائدهم وشعائر دينهم على شرطنا من الايجاز والتحصيل فنقول

تعتقد الصابئة وجود الهٍ واحد كائن بنفسهِ هو علة الكائنات باسرها حيٍّ أزليٍّ أبديٍّ منزّهٍ عن الهيولى لا تنالهُ الحواسّ ولا يُفضِي اليهِ مخلوق . ويليهِ في المنزلة ثلاث مئة وستّون شخصًا قد أُوتوا ان يفعلوا افعال الآلهة الّا أنهم ليسوا بآلهةٍ ولا هم في عداد القدّيسين لانهم لم يكونوا بشرًا قطّ ولا يُعدُّون في الملائكة وان كانوا صنفًا منهم لان منهم من يباشر أعمال الخلق كوروودّربوتو وهيويل زيوو . وهم يعلمون كل شيءٍ ويعرفون الغيب من المستقبلات ولكلٍّ منهم في عالم النور مملكةٌ يتولى امرها . أمّا أصل وجودهم فانهم ليسوا مخلوقين كغيرهم من الكائنات ولكن الله ناداهم باسمائهم فوُجد كلٌّ منهم من تلقآء

نفسهِ حال ما جهر باسمهِ واجاب نداءهُ . وهم متزوجون بنساء من نوعهم ولهم اولاد غير أن اولادهم ليسوا ثمرة هذا الزواج ولكن الواحد منهم يلفظ كلمةً فتحمل امرأتهُ

وهؤلاء الثلاث مئةً والستون متفاوتون في المنزلة والقدرة وكلهم يعبدون الله ويوحّدونهُ وجميعهم تحت إمرة موروودّربوتو الذي هو اول زعمائهم واعلاهم مقاماً

وفيما ترويـ الصابئة أنّ موروودّربوتو أراد يوماً ان يبعث بهديةٍ الى أوثار وفتاحيل — وهداياهُ انما تكون ضرباً من الرفعة في القدر او البسطة في القدرة — فندب لذلك شيشلوم رَبّو وهو ثُنيانهُ اي الذي يليهِ في المنزلة فامتنع من اجابتهِ فغضب موروودّربوتو وعاقبهُ على تمرُّدهِ بأن ايبس كل ما في مملكتهِ من شجرٍ وبقلٍ وغيَّض ما فيها من المياه وأهلك جميع أُسرتهِ . فلما رأى شيشلوم ربّو ما حلّ بهِ توجّه الى الملأ الأعلى من رصفائهِ ورغب اليهم ان يشفعوا لهُ عند موروودّربوتو في الصفح عن خطيئتهِ فأجابوا وانطلقوا اليهِ وكلموهُ في الامر وعذلوهُ على ما كان منهُ فقصّ عليهم ما كان من معصيتهِ في امر الهدايا وقال اني حين دعوتهُ لذلك لم اكن انوي ان اكلفهُ حملها بنفسهِ ولكني اردت ان اعهد اليهِ في انفاذها على يد واحدٍ من حَشَمهِ فأعرض عن ندآئي انفةً واستكباراً فعاقبتهُ . فأخذوا يسكّنون من غيظهِ الى ان أذن لهم في ادخالهِ الى ما بين يديهِ فلما أُدخل عليهِ وقع على قدميهِ وتضرّع اليهِ في العفو عن جرمهِ فعفا عنهُ بعد أن اخذ عليهِ مواثيق الطاعة ثم انهُ بكلمةٍ واحدة احيا زوجهُ وبنيهِ وأعاد نباتهُ الى خضرتهِ واجرى ما نضب من مياه مملكتهِ

فمن اولئك الثلاث مئةً والستين « موروودّربوتو » هذا وهو زعيمهم كما سبق ذكرهُ و« شيشلوم ربو » المشار اليهِ وهو ثُنيانهُ . ومنهم « مندودايي » ابو يحيى

و « هيويل زيوو » وقد مرَّ ذكرها فيما سلف . ومنهم « سام زيوو دَخيو » وهو احد حَفَظَة الشمس و « حوشايو » وهو صاحب يوم الاحد وباسمهِ يسمى اليوم المذكور عندهم . و « سيموث حايي » وهي انثى ومنزلتها بين الإناث منزلة موروودريوتو بين الذكران . ومنهم « تحزيون مالولو » وهو اسم الشجرة التي تُرضِع الاطفال في الفردوس وقد سبق الكلام عليها هناك وانما جعلوها في عداد هؤلآء لانهم نزّلوها منزلة الحيّ لاعطآئها اللبن وهم يبتهلون اليها في ادعيتهم . ومنهم « أوثار رامو » وهو ديّان مَتَرُوثوس اسمٍ الجحيم وحارس الفردوس معاً . و « فتاحيل بَرْ زهريئيل » اي ابن زهريئيل وهو الثاني بعد أوثار في المَتَرُوثوس وهو موكَّل بالسيطرة على انفاذ العقوبات . ومنهم « يحيو يوحونو » اي يحيي يوحنا وانما احصوهُ في جملة هؤلآء لانهُ ابن مندودايي . ومنهم « بهرام ربّو » وهو موكَّل بحراسة الانهار ولذلك فان الصابئة تبتهل اليهِ ابدًا في صلواتها عند الوضوء

وهم يعتقدون بالارواح الخبيثة ويسمونها « مولوخون » وهي مختلفة الانواع والاديان فمنها نصارى ويهود ومسلمون وصابئة وغير ذلك . فمن هذه الارواح ما هو موكَّل بعذاب النفوس في المَتَرُوثوس ومنها ما هو مُغْرٍى بتجربة البشر واستدراجهم الى الاثم ومنها ما دأبهُ ايذآء الناس وهؤلآء لا يسكنون الآ الظلمات والمجاهل واماكن الخراب وما من شرّ يحدث بين الناس كالجنون والموت الفجآئي والانتحار والهلاك بالسقوط او تحت الردم الآ وهو مسببٌ عنهم وعلى الجملة فهم عندهم بمنزلة الجن عند غيرهم

اما حديث الخلق عندهم فمن الأسرار التي يحرصون على كتمانها اشدّ الحرص حتى لا يبوح بهِ احدهم ولو بضرب عنقهِ ولا بأس ان نسوقهُ هنا لغرابتهِ وان كان فيهِ بعض الطول على أنّا سنوجز فيهِ ما امكن والله المستعان

فأوّل كائنٍ في مذهبهم برز بأمر الله الى حيّز الوجود هو مورودّربوتو ثم تلاهُ أتباعهُ الثلاث مئة والستون المالكون تحت إمرتهِ على عالم الانوار على ما تقدم قريباً

وان هؤلآء الاشخاص اجتمعوا يوماً وصاروا الى مورودّربوتو زعيمهم وسيّدهم وقالوا لهُ هل هذا الذي نراهُ هو الخلق كلهُ ام نتوقع حدوث خلقٍ آخر فقال هذا ما ليس لي ان ابتّ فيهِ قولاً اذ هو من الامور التي اختصّ الله علمها لنفسهِ لكنّ من رأيي ان نذهب بأجمعنا اليهِ نستنزل علم ذلك من لدُنهُ . فقاموا الى العمل بقولهِ الّا انهم استصعبوا تلك الرحلة لبُعد المسافة بين عالمهم والمقام الربّاني حتى انهم مع ما أُوتوا من القوّة الروحانية بحيث يقطعون في ساعةٍ ما يقطعهُ غيرهم في عشرة ايام خافوا ان يدركهم الاعيآء وهم في أثنآء الطريق. فتضرّع مورودّربوتو الى الله ان يؤتيهم زيادةً في القوّة يقدرون بها على قطع تلك المسافة الشاسعة ثم شرعوا في طريقهم فساروا سيرًا متواصلاً لا يلوون على شيء ولا يبتغون لانفسهم راحةً ولا دعةً وقد طالت عليهم الرحلة وامتدّت شقّة السفر وهم كلما قطعوا ارضاً رُفعت لهم اخرى حتى بلغ منهم الجهد والاعيآء ومع ما ازدادوهُ من القوّة الجديدة سقطوا وسقط مورودّربوتو معهم في كلالٍ تامٍ حتى عجزوا ان ينقلوا خطوةً واحدة

ولما رأوا ما أحاق بهم من القنوط رفعوا اصواتهم بالابتهال الى الله ان يتداركهم بعونهِ وينتاشهم من تلك الحال وفيما هم على ذلك اذ لمع نورٌ عظيم اضآء كل ما حولهم وغشيهم برقٌ سماويٌّ فسقطوا لوجوههم على الارض . فعاد الله وبثّ فيهم قوةَ الحية ومدّ يدهُ الى مورودّربوتو ورفعهُ فنهض ونهضوا كلهم معهُ الّا ان ابصارهم كانت مبهورةً فكانوا لا يرون حولهم الّا نورًا يسطع من

كل ناحيةٍ فكشف الله عنهم تلك الدهشة ثم أجلسهم

حينئذٍ شرعوا في حديثهم وموروددّربوتو في مقدّمتهم فذكروا لهُ السبب الذي قدموا لأجلهِ وسألوهُ هل ينوي ان يُحدِث عالمًا آخر غير العالم الذي هم فيه . فأجابهم وقد وجّه كلامهُ الى موروددّربوتو ثم اليهم ان في نفسهِ ابداع عالم جديد لكنهُ سيعهد في ابداعهِ الى موروددّربوتو أي انهُ سيُفرِغ عليهِ من قوتهِ حتى يتولى بنفسهِ خلق هذا العالم الجديد . ثم رسم لهُ ما ينبغي ان يصنعهُ في ذلك فقال

« ترسل هيويل زيوو الى عولمي دلحشوخو فيصادف ثمَّ امرأةً تسمى روحايا قد زُوّجت من ابن عمٍّ لها يقال لهُ كارافيون وتكون تلك المرأة حاملاً فيجيء بها اليك فتضع ولدًا يسمَّى أُور وهذا الولد يكون مُرصدًا عندك لحمل العالم الجديد على رأسهِ فاذا بلغ السنّ التي يقوى فيها على ذلك تشرع في عمل الخلق . فاول ما تفعل أنك تبعث الى اوردو دنحوشو[1] فتؤتَى من ثمَّ بسبع حفنات من الغبار[2] فتأخذ الحفنة الاولى منها وهي من الحديد فتدوفها بالماء فتصير ارضًا حديدية فتجعلها مقرًّا لقدمَي أُور . ثم تأخذ الستّ الحفنات الباقية فتخلق منها ستّ أَرَضين أُخر تضعهنَّ على رأسهِ وكل واحدة من هذه الأَرَضين تكون بجملتها مركبةً من المعدن الذي أُخذت منهُ و بعد ذلك تخلق السماوات » .

ولما فرغ الله من رسم اوامرهِ لموروددّربوتو صرف القوم فانقلبوا عائدين الى عالم الانوار

---

١ هو اسم موضع من عالم الانوار ٢ هذه الحفنات من معادن مختلفة وهي الحديد والنحاس والزئبق والرصاص والفضة والذهب والتراب وهو اخر حفنة ومنه ارضنا

ولما استقرّ بهم المقام اجتمعوا للشُورَى تحت امرة موروددّربوتو ثم توجهوا الى هيويل زيوو فأنهوا اليهِ الرسالة التي أُمر بها من قِبَل الله ان يذهب للبحث عن أمّ أُور. فاجاب هيويل زيوو الى ذلك وخرج بعد ان دعا لهُ موروددَربوتو ان يُؤتَى قوّةً تبلغهُ هذه الوجهة البعيدة وشيّعتهُ الجماعة كلها ما خلا موروددّربوتو فخرجوا في صحبتهِ بعضهم برًّا وبعضهم بحرًا على الزوارق وبعد ما قطعوا معهُ مسافةً طويلة حتى أعيوا عن المزيد عزم عليهم هيويل زيوو فودّعوهُ ورجعوا الى موروددّربوتو وقد خلّفوا معهُ اثنين منهم يتوليان حراستهُ يقال لأحدهما زَهير وللآخر زارون فبقيا في صحبتهِ وقد اخفاهما موروددّربوتو عن بصرهِ بحيث كانا يخاطبانهِ ويسمعان كلامهُ دون ان يراهما

وبعد ان سافروا سنين وقرونًا بلغوا الى حدود عولمي دلحشوخو فانطلق هيويل زيوو حتى لقي ملك تلك البلاد واسمهُ « اشدوم » وقص عليهِ الامر الذي جآء من اجلهِ وسألهُ عن مكان المرأة فقال الملك هذا امرٌ لا علم لي بشيء منهُ ولكني مرسلك الى ملكٍ آخر في ارضٍ تبعد من هنا فلعلهُ يبلغ مرضاتك فيما تسأل عنهُ قال فاني صائرٌ اليهِ لكن لي اليك مسئلة وهي ان تعطيني خاتمك ليكون شاهدًا لي عند هذا الملك اني مُنفَذٌ اليهِ من لدنك. فنزع اشدوم خاتمهُ ودفعهُ اليهِ فاخذهُ وعاد في طريقهِ وبعد سفرٍ مديد وصل الى البلاد التي اشار لهُ اليها وعليها ملكٌ يقال لهُ « انوثون » فدخل عليهِ وابرز لهُ خاتم الملك اشدوم وأعاد عليهِ قصتهُ فأجابهُ بمثل ما اجابهُ بهِ الملك اشدوم وارسلهُ الى ملك آخر واعطاهُ خاتمهُ فانطلق ايضًا يقصد الملك الآخر وبعد ان قضى سفرًا طويلاً وصل الى عاصمة الملك فألفاهُ غائبًا في قصرٍ لهُ بظاهر المدينة فوافاهُ حيث هو فلما دخل عليهِ اذا امامهُ جبّارٌ عظيم الجثة لا تدرك العين

اطرافهُ طولاً ولا عرضاً واسم ذلك الملك «اكرون» ويُلقّب «طُوروذَبَسْرُو» اي جبل الحم فسلم عليهِ بقولهِ «شلومو لك اكرون طورو دبسرو» فغضب اكرون من هذا السلام وأغلظ لهُ في الجواب وقال لهُ لولا أنك عندي وفي قصري لعاقبتك بما تستحقهُ على جرأتك. فلما رأى هيويل زيوو ذلك منهُ خرج من القصر وابتهل الى الله فقال اللهمّ انك ارسلتني الى هذا الرجل لقضاء الامر الذي انا صادرٌ فيهِ عن مشيئتك وترى انهُ بغير أن يكون مني اليهِ ادنى سوء قد واجهني بهذه الخشونة فدلّ على انهُ غير جارٍ في طريق ارادتك فألقِ في قلبهِ الانقياد لك لأتمكن من قضاء رسالتي. فلما فرغ من ابتهالهِ سمع صوتاً من السماء يأمرهُ بالرجوع الى الملك فعاد اليهِ فاذا هو في وجوم واختلاط شديد وقد ندم على ما فرط منهُ فأقبل عليهِ ببشاشةٍ واحتفاء وسألهُ عن حاجتهِ فقصّ عليهِ الامر الذي جاء فيهِ فقال لهُ الملك هذا خاتمي فدونكهُ وهذا مفتاح بابٍ من ابواب عاصمتي هو الباب المخصوص بي لا يدخل منهُ احدٌ غيري فاذا دخلت المدينة فأقفلهُ ثم هو لا يُفتح بعد ذلك لأحدٍ ولا لي ايضاً لانك اذ كنت رسولاً من عند الله فالباب الذي تدخل منهُ يبقى مغلقاً الى الابد[١]. فاخذ هيويل زيوو الخاتم والمفتاح وخرج من عندهِ فوافى المدينة ودخل من ذلك الباب وبحث عن أُسرة روحايا حتى افضى اليهم فأنزلوهُ وأكرموا مثواهُ واحتفوا بهِ احتفاء عظيماً. وبعد ان اقام بهم حيناً من الدهر عرضوا عليهِ ان يزوجوهُ ابنةً لهم تسمى «زهريئيل» فاظهر الرضى بذلك وضرب

١ هي عادة قديمة ومن جرى عليها سلاطين ال عثمان فان الباب الذي يدخل منه السلطان احدى المدن يغلق ثم لا يفتح الى الابد ولا يزال احد ابواب بغداد مغلقا الى يومنا هذا وهو الباب الذي دخل منه السلطان مراد الرابع عند فتحه هذه المدينة سنة ١٦٣٨

لهُ موعدًا بعد اربعين يومًا . ولما دنا موعد الزواج عزم هيويل زيوو على مزايلة المدينة قبل حلول الموعد فتشكل بهيئة اخٍ لروحايا سيف بلدٍ آخر وانهُ جآء ليزورها فلم تشكّ انهُ اخوها ولبث عندها يومًا او يومين ثم جآء ليودّعها فقال لها لقد اتى عليكِ زمنٌ طويل ولم تزوري أسرتي في بلدي فهل لكِ ان تصحبيني في عودتي اليهم فاجابتهُ الى ذلك فخرج بها من المدينة من الباب الذي دخل منهُ وعاد قاصدًا طريق عالم الانوار

وطالت سفرتهما بعد ذلك وكانت روحايا قد أقربت وقدّر هيويل زيوو ان وضعها لا بدّ أن يكون قبل بلوغهما موطئ القَدَم فكان ذلك مما اهمهُ واقلقهُ فابتهل الى الله وقال اللهمَّ انك قد اخذت بيدي في اخراج هذه المرأة من بين ذويها وقد قضيتُ سنين كثيرة حتى بلغتُ هذا البلد فاذا قضينا مثل تلك المدة في رجوعنا فما انا صانعٌ بالولد الذي ستضعهُ روحايا . فأوحى الله اليهِ بما سكّن جأشهُ وحقق لهُ انهما سيصلان قبل اوان وضعها ثم وهب كلاًّ منهما قوّةً خارقة فجازا في وقتٍ قصير مسيرة سنين متوالية ولم يلبثا أن وصلا الى عالم الانوار فكان لذلك اليوم ابتهاجٌ عظيم عند اهل ذلك العالم باسرهِ وخرج رصفآؤهُ باجمعهم لملاقاتهِ والسلام عليه

ولما التقى عصاهُ شرع في بنآء قصرٍ عظيمٍ من الحديد طولهُ ثمانية آلاف فرسخ فجعل فيهِ روحايا ثم انطلق وفي صحبتهِ سائر رصفآئه فدخل على موروذّ ربوتو وأنهى اليهِ ما فعلهُ وقال لهُ ان المرأة عندي وقد جعلتها في قصرٍ من الحديد فاذا وُلِد أُور فماذا اصنع . فقال تُشعرني بذلك وحينئذٍ اعرّفك ما الذي ينبغي لك صنعهُ

وكان وصول هيويل زيوو الى عالم الانوار في اليوم الثامن عشر

من الشهر الاول من فصل الربيع وهذا اليوم عيدٌ عند الصابئة يسمونهُ دهوو هنينو اسيے العيد الاصغر . ولما كان بعد ذلك باثني عشر يوماً اي في اليوم الاول من الشهر التالي وضعت روحايا الطفل المنتظر الذي هو أُور وفي وقتٍ قريب نشأ هذا الطفل نشوءًا عظيماً حتى اصبح جبّارًا هائلاً. ولما بلغ ثلاثين شهرًا سأل امهُ اين ابي فقالت ابوك في عالمٍ آخر وقد أُخِذتُ انا قبل مولدك بايام قلائل فجيء بي الى هذا المكان حيث لا اهل لك غيري . قال فمن الذي اخذكِ من بين أُسرتكِ وحرمني عرفان ذويَّ لأنتصف منهُ. فقالت لا يا ولدي لا تفعل ذلك فاننا انما نُقِلنا الى هنا بأمر الله وبعدُ فان كنت تودّ الانتصاف من الذي جآء بنا الى هذا الموضع فانك لا تقدر عليهِ لانهُ اشدّ منك

ولما بلغ أُور العمر المذكور اي ثلاثين شهرًا انطلق هيويل زيوو الى موروددّربوتو وأعلمهُ بمولده فقال لهُ سِر الى اوردو دَنحُوشو وخذ السبع الحفنات من الغبار التي امر الله بها وخذ أُور معك وابدأْ بالحفنة الاولى فاصنع منها ارض الحديد وأقم أُور عليها ثم اصنع الأَرَضِين الستّ الأُخر وضعها فوق رأسهِ. فانطلق هيويل زيوو كما امرهُ وأخذ الحفنات السبع ثم جآء الى قصر الحديد فما كادت تقع عين أُور عليهِ حتى عرفهُ انهُ هو الذي سبى امهُ فوثب ليبطش بهِ فألقى عليهِ هيويل زيوو ضيآء سماويًا بهر عينيهِ ثم احتملهُ مع امهِ الى المكان المعدّ لخلق الارض وكان ذلك المكان قطعةً من المآءِ فتناول حفنة الحديد وألقاها في المآء وتلا عليها كلاماً فاستحالت لوقتها ارضاً من حديد فأخذ أُور وأقامهُ عليها ثم فعل كذلك بالحفنات الأُخر ووضع الأَرَضِين الواحدة بعد الاخرى على رأس أُور وترك روحايا الى جانبهِ

ستأتي البقية

السوريون

(تابع لما في الجزء السابق)

الموازنة — قد اجملنا الكلام في الجزء السابق على السوريين وأشرنا الى اوجه اختلاطهم بالاجيال التي تغلبت عليهم وافتراقهم فِرَقاً اخصّ ما تميز بهِ كلُّ فرقةٍ منها منزعها الديني فوجب الآن ان نوفي هذا البحث المهمّ حقهُ بتفصيل ما اجملناهُ وبسط ما اوجزناهُ فنصفهم فرقةً فرقةً على نحو ما آثرناهُ مما لا يخرج عن دائرة علم الطبائع والاخلاق لا نتعرض في شيءٍ من ذلك للمسائل الخلافية في العقائد الدينية مما يبعث على تفريق الكلمة والشقاق على اننا لا نقول الا الصدق في وصف الخصائص الادبية رجآء ان يتقوم منآدها ولا نصدع الا بالحق حثًّا على الالفة وتوثيق الجامعة الوطنية عسى ان تورق بعد الجفاف اعوادها ونحن احوج الامم اليها وسيلةً الى الاصلاح وذريعةً الى الارتقآء في معارج الفلاح

ومعلومٌ ان الطائفة المارونية لهذا العهد في مقدمة الطوائف القريبة المنشإ من الجرثومة الأرامية وأثبتها على حفظ خصائصها الاصلية لانها اعتصمت منذ الازمنة القديمة في جبل لبنان وامتنعت فيهِ مستقلةً بالمحافظة على آدابها وعقائدها ومنازعها وعوائدها يطرّس الخَلَف على آثار السَلَف وينشأُ الابنآء على آسال الآبآء فلبثت غير متغيرةٍ الا في اشيآء اقتضاها تغيُّر احوال المعاش وتقلب الذوق العصري مجاراةً للاوربيين في ازيآئهم وعوائدهم لذلك قدّمنا ذكرها على سائر الطوائف السورية محافظةً على الترتيب الذي جرينا عليهِ

ولا مرآء في ان البيئة التي تخيرها الموارنة منذ القدم قد أثرت تأثيرًا قويًّا

في ثبوت صفاتهم الطبيعية وتهيئة امزجتهم للاعتدال لما توفر فيها من الاسباب الكافلة بتقوية الاجسام . ومن تأمل في موقع لبنان البهيج وما قام في سفوحهِ من المدن والقرى والدساكر والمزارع من حضيضهِ الى علو خمسة آلاف قدم بين روابٍ وهضاب قد كستها الطبيعة حلة الجمال السندسية وقد رقَّ هوآؤها وعذب مآؤها فلا يخشى ثمَّ من فح الهجير في الصيف ولا من زمهرير البرد في الشتآء لقرب المواقع الساحلية من الجبلية عرف بداهةً ان سكان هذا الجبل أقويآء البنية صحاح الابدان ميَّالون الى الحرث والزراعة ذوو نشاطٍ وجلدٍ على مزاولة الاعمال الشاقة

وهذه الروابي والهضاب القائمة عليها القرى الآهلة بالسكان متوعرة المسالك لا تُطرَق الا بجهدٍ وعنآء وما فوقها قللٌ شامخة لا يفارقها الثلج فهي غير مأهولة لشدة البرد وغير مطروقة لكثرة الثلج وقد اشار الى ذلك ابو الطيب المتنبي حيث قال

وعقاب لبنانٍ وكيف بقطعها   وهو الشتآء وصيفهنَّ شتآء

لذلك كان هذا الجبل حصناً منيعاً لجأ اليهِ السوريون منذ الازمنة القديمة هرباً من جيوش الفاتحين الذين اجتاحوا سوريا في اطوار متعددة . ولا يخفى ان مدن سوريا القديمة كدمشق وانطاكية وحماة وغيرها كانت آهلة من قبل بالسريان فلما ظهرت النصرانيـة وانتشرت بينهم قام فيهم رجالٌ أُشربت قلوبهم حبّ الرئاسة فتوسلوا بالمشاحّات على العقائد الى بلوغ ما طمحت اليهِ نفوسهم فحدث الخصام والشقاق بين رؤسآء الاحزاب وتبعهم كثيرٌ من الســذَّج منقادين الى اهوآئهم وكان القياصرة يتداخلون في امور الدين وقد عظم استبدادهم واشتدّ عسفهم فثقلت وطأتهم على الذين توهموا فيهم مخـالفة آرآئهم ومبادئهم ولم

يكن لهؤلاء المضطهدين ما يمنع عنهم الظلم ويعصمهم من الاستبداد الا الهرب الى الجبال. ولما دحر العرب الروم عن مدن سوريا في صدر الاسلام لجأ النصارى واكثرهم من السريان الى جبل لبنان فاعتصموا فيهِ وقويت شوكتهم حتى صدّوا جيوش معاوية مرارًا عن المسير لنجدة المسلمين الذين تقدموا لفتح القسطنطينية حينئذٍ وقد حاصروها وضيّقوا عليها مدة سبع سنين متوالية. ثم لما حوّل عبد الملك بن مروان الحج الى بيت المقدس حذرًا من فتنة ابن الزُبير في مكة خاف على الحجاج من نصارى الجبل فتواطأ مع يستنيان بن قسطنطين ملك الروم على اخراجهم منهُ فكتب يستنيان الى اميرهم يوحنا ينهاهُ عن مناوأة المسلمين ويأمرهُ بالشخوص اليهِ فامتنع من اجابتهِ فاغتاظ الملك ونسب اللبنانيين الى العصيان والتمرد فلذلك سموا بالمَرَدة ثم سيَّر اليهم جيشاً كثيفاً وتظاهر بانهُ انما سيَّرهُ لقتال العرب فبلغ غايتهُ من التنكيل بهم. ويدلُّ على ان الجبال كانت ملجأً بعد ذلك للنصارى قول ابي الطيب

وما الجبالُ لنصرانٍ بحاميةٍ ولو تنصر فيها الأعصمُ الصَّدَعُ

وقد استعان الصليبيون بنصارى جبل لبنان في حروبهم الدينية لتملك بيت المقدس ولم يكن الموارنة طائفةً مستقلةً عن السريان قبل ان تعين البار يوحنا مارون بطريركاً عليهم بدليل ما ذكرهُ جبرائيل بن القلاعي على ما اثبتهُ البطريرك اسطفان الدويهي في تاريخهِ المطبوع حديثاً. واذا اعتبرت بما كان عليهِ اهل الجبل من العصبية وما كان بين رؤساء قبائلهم من الغيرة والمنافسة فضلاً عما كان بينهم وبين اهل المدن من العداوة لاختلاف المنازع وتباين الاهواء مع سهولة حدوث الفتن وكثرة الاحن تبيّنت ان الموارنة قومٌ اشدّاء ذوو بأسٍ ونجدة وأنفة

واذا نظرت الى خصائص التكوين في هذه الطائفة تبينت اختلافاً في هيئة القحف والوجه يُستدَلّ بهِ على مرتبتها بين الاجيال البشرية ونسبتها الى غيرها من الطوائف. فالقحف اقرب الى الشكل المستدير الذي هو من خصائص الفصيلة السامّية ولا سيما جيل العرب فهو ليس بيضيّاً كقحوف الاوربيين ولا مفلطحاً كقحوف المغول على انهُ اكثر تحدباً في جهة الجداريين. والجبهة عريضة مائلة الى الامام الا انها غير بارزة كثيرًا كجباه الاوربيين ولا مسطحة مائلة الى الوراء كجباه المغول والزنج. والبروز الوجهيّ غير شاخص كثيرًا فالزاوية الوجهية يمكن تعيينها بين ٧٠° و٧٥° فهي فيهم اقرب الى الاوربيين وذلك دليلٌ على كبر حجم الدماغ وقبوله للنشوء والنماء لدى توفر اسباب العلم والتهذيب. والوقبان كبيران متآزيا الوضع والوجنتان غير شاخصتين وعظم الانف مستقيم الوضع كلّ ذلك دليل على تناسب الهيئة وحسن التكوين. واذا نظرت الى سحنات ابناء هذه الطائفة وجدت ثم من المحاسن ما يميزهم عن كثيرٍ من الاجيال فهم في الغالب حسان الوجوه تبدو على ملامحهم امائر الذكاء والنجابة وشعرهم سبط فاحم طويل وعيونهم نُجلٌ سود او شهلٌ طويلة الهدب وسنى الاجفان لا خَوَص فيها ولا خَزَر وانوفهم مستقيمة الارنبة لا فَطَس فيها ولا خَنَس وشفاههم رقيقة غير غليظة ولا هدلاء واسنانهم صلبة متناسقة ناصعة البياض وقدودهم في الغالب ربعة وابدانهم عضلية قوية البنية والغالب على لونهم البياض المشوب بالحمرة على انهُ قد يسمرُّ من طول التعرض لاشعة الشمس. وكلما تقدمت الى الشمال وجدت لونهم اكثر اشراقاً وسمات الجمال اكثر وضوحاً ورأيت النساء أبعد عن الحضريات واقرب الى البدويات من حيث شظف المعيشة وبساطة الزي وعدم التبرج وقد اصاب ابو الطيب حيث قال

حسن الحضارة مجلوبٌ بتطريةٍ ... وفي البداوة حسنٌ غير مجلوبِ

وقد تحدى سكان المدن من الموارنة عوائد الافرنج وازياءهم اما القرويون فلم يزالوا على ما كان آباؤهم يألفون من المسكن والمطعم والملبس وما درجوا عليهِ في مجالسهم وافراحهم وولائمهم ومآتمهم الاّ ما كان منها مخالفاً للتهذيب او بعيدًا



عن الذوق السليم لان رؤساءهم الروحيين اجتهدوا كثيرًا بتهذيب عوائدهم وحثهم على ترك ما يمجهُ الذوق منها كالتزين بالطرطور وكانت النساء يتنافسن بهِ فحرّم الكهنة لبسهُ بعد حادثة ١٨٤١ و ١٨٤٥ . وقد بالغ الباحثون من الافرنج في استغرابهِ واستهجانهِ وزعم اكثرهم ان استعمالهُ كان مألوفاً عند العبرانيين منذ خروجهم من مصر وانهُ هو القرن الذي ورد ذكرهُ في التوراة والزبور على انهُ ليس بأكثر غرابةً من القبعات التي صُنعت في هذه الايام رياضاً تنبت فيها الازهار وتتغنى على افنانها الاطيار وما هو الا اداة من ادوات الزينة كانت توضع على الرأس لابعاد النقاب عن الوجه وكان في بدء

امرو قصيرًا بسيطًا يصنع من الآنك الآن التنافس في الزيّ جعلهنَّ يتأنقن فيهِ فابدلنهُ باسطوانة من الفضة منقوشةٍ او من الذهب قد يبلغ طولها ١٨ قيراطًا يوضع النقاب عليها كما ترى في الشكل

ومما امتاز بهِ الموارنة في هذه الايام انصبابهم على طلب العلم واجتهادهم في تحصيلهِ فلا تكاد ترى فيهم الآن من لا يحسن القرآءة والكتابة وكانوا قبل منتصف هذا القرن أُميين الآ نفرًا قليلاً من رجال الدين . وقد أنشأ بعض بطاركتهم مدرسة عين ورقة لتهذيب الكهنة وتعليمهم العلوم الدينية فنبغ فيها رجالٌ اشتهروا بالفضل ثم كثر بناءَ المدارس في جبل لبنان وبيروت وازداد عدد الطلبة وازهر نبراس العلوم بينهم ونبغ فيهم من العلماء والادباء والخطباء والمؤلفين والكتبة رجال يُستغنَى عن ذكرهم بما لهم من الشهرة

والموارنة اشدُّ الطوائف الكاثوليكية استمساكًا بتعليم الكنيسة الرومانية واكثر الطوائف النصرانية حرصاً على حفظ العقائد الدينية من حيث الايمان والتسليم المطلق بصحة ما يعتقد بهِ احبارهم وكهنتهم ورهبانهم والاذعان لما يأمرون بهِ وينهون عنهُ وهم ليسوا بالعدد القليل وتبلغ اوقاف اديارهم نحو ثُلُث املاك العوامّ. ولبطريركهم سلطة ادبية ماعدا السلطة الروحية ويلقب بالبطريرك الانطاكي وكرسيُّهُ دير قنوبين وهو ديرٌ قديم بناهُ القيصر ثاودوسيوس الكبير منذ اكثر من الف وخمس مئة سنة على نشزٍ في سفح جبل يشرف على وادٍ جميل تتفجر في مناكبهِ عيون الماء فتجري في عقيقهِ كاللُجين الذائب وتنبت في جوانبهِ الرياض الناضرة والرياحين العطرة . اما موقع الدير فمتوسط بين عقيق الوادي وقة الجبل اسفلهُ غارٌ واسعٌ بُنيت عليهِ الكنيسة والصوامع والمناسك التي كان الرهبان يتوحدون فيها . وارز لبنان الشهير لا يبعد كثيرًا عن دير

قنوبين وهو غابةٌ غيآء يقصدها السيّاح من اقاصي الارض لمشاهدة اشجارها الباقية على رغم الدهر اثرًا حيًّا ذُكر في اقدم الكتب المنزلة . وقد وُجدت قطعة منهُ في انقاض نينوى حُفظت في دار التحف البريطانية وثبت بالتحليل المجهري انها من ارز لبنان وهي تُرَدُّ الى ثلاثة آلاف سنة فما فوق . ومن نظر فيما كُتب في التوراة عن الارز لم يسعهُ ان ينكر امتداد غاباتهِ في هذا الجبل وما بقي منهُ الآن ليس الاّ اثرًا بعد عين للدلالة على عظمة لبنان ومجدهِ

مقالة في التربية

لحضرة الكاتب الفاضل عبد الله افندي المراش نزيل مرسيليا

(تابع لما قبل)

ومن جملة تلك المزاعم ايضًا اعتقاد كثيرٍ من الناس انهُ يجب كفّ الولد عن ان يتناول من الاطعمة الحلوة شيئًا زائدًا على المقدار الذي قضت أُمُّهُ او حاضنتهُ بانهُ كافٍ لهُ وهذا سببهُ توهم بعض الناس ان ميل الاولاد الى الاشيآء الحلوة محض نَهَمٍ وشرهٍ وقد رسخ هذا الوهم في الاذهان من قديم الزمان والحقيقة خلافهُ . وذلك ان طبيعة الصغار وهي في هذه القضية ايضًا صادقة الدلالة على ما يلائمهم تدفعهم الى تطلب الحلاوات لان الموادّ الحلوة افضل الاشيآء بعد اللحم والمآكل الدسمة توليدًا للحرارة الغريزية في الابدان وذلك لانها تستحيل بعمل الكبد الى عنصرٍ مولّدٍ للحرارة يخلف على الجسم ما يتلف من حرارتهِ بالتشعع فهي اذًا ضرورية للصحة مثل اللحم الاّ ان الاولاد لاسباب يطول شرحها لا يحبون اللحم كثيرًا فلم يبقَ لتوليد الحرارة في ابدانهم شيء اصلح من الاطعمة

التي يدخل في تركيبها السكّر او غيرهُ من المواد الحلوة كالعسل والدبس والصقر ولهذه العلة صارت طبيعتهم تستدعيها وصاروا هم يحبّونها حبًّا غريزيًّا فمنعهم عنها متى ارادوها ظلمٌ فاحش لانهُ بمنزلة حرمانهم ما هو ضروري لصحتهم ونموّهم

وما قيل عن الحلاوات يُقال ايضاً عن الفواكه فانهم يحبونها لا لما فيها من عنصر الحلاوة فقط بل لما فيها ايضاً من عنصر الحموضة مختلطاً بتلك الحلاوة والاطباء كلهم يقولون لك ان الحامض يقوّي الجسم ولذا تستدعيهِ الطبيعة فيجب اذًا ان نطعم الاولاد مع الطعام شيئاً من يانع الثمار والاّ اكلوا كل ما تقع عليهِ ايديهم منها فجًّا كان او يانعاً وفي غير اوقات الطعام

وكذلك يجب ان نجتنب شدّة التنوّق في مآكلهم والشطط في ابازيرها وتوابلها ونحرص على ان يكون طعامهم وافي الكمّيّة يملأ جوفهم دون حدّ الكِظّة وان يكون مركبًا من مواد جيدة التغذية وسهلة الانهضام كاللحم الغريض والسمك والبيض واللبن وبعض البقول والقطاني لان ذلك اعوَن لابدانهم على النموّ وان نخالف لهم بين الوانهِ كل يوم بل في كل وجبةٍ منهُ ليكون امرأ في ذوقهم وادعى لهم الى تناولهِ بشهوةٍ فيصير لهذه العلة اسهل انهضاماً

ويحسن ان تكون اوقات طعامهم معيَّنةً ليُحفظ بذلك حسن النظام في البيت والكتّاب والمدرسة ولكن من غير تشدّدٍ في هذا الامر الى حدّ منعهم عن تناول شيء يسير من الطعام اذا جاعوا وطلبوهُ في غير تلك الاوقات كما انهُ لا ينبغي ان نُكرِههم على الاكل اذا لم يكن بهم جوعٌ ولا على اكل ما لا يحبّونهُ من الالوان . اما الولد الذي لم يتكامل طلوع اسنانهِ لمضغ اللحم ولم تقوَ معدتهُ بعدُ على هضم اجزائهِ الصلبة فيجب ان يكون ما نغذوهُ بهِ منهُ قليلاً ومطبوخاً طبخًا مستوفي الشروط حتى يغتذي بجوهرهِ اي بعصارتهِ او مرقهِ

دون الثُقل

هذا ما كان من امر الاطعمة اما الاشربة فأسوغها وخيرها للاولاد الماء القراح الزلال يُسقَونهُ كلما عطشوا وطلبوا الشرب اللهمَّ الّا اذا كان عطشهم على اثر اللغوب اي التعب المفرط لانهُ يكون حينئذٍ عطشاً كاذباً واذا صبروا عليهِ هنيهةً زال

فصـــل

في الكسوة

وخطأ بعض الوالدين في امر كسوة الاولاد كخطأهم في امر غذآئهم وذلك انهم يجعلونها في كثيرٍ من الاحوال غير كافية لوقاية ابدانهم من مسّ الحرّ والبرد

وخير الثياب لهم ما كان من صوفٍ صفيق النسج قاتم اللون لان الثياب التي هذه صفتها احفظ لحرارة البدن الغريزية وابقى على الدعك والتمزّ واقلّ تعرّضاً للتمزّق وغير ذلك من الآفات التي تعرض لثياب الاولاد على اثر لعبهم ورياضتهم . ويجب ايضاً ان لا تكون واسعة جدًّا بحيث يتعثرون باذيالهم ويرتبكون باكامهم ولا ضيّقةً كالقُمُط بحيث تعوقهم عن الحركة واللعب كما يهوون . ولا بأس ان يكون الشعار حريرًا والدثار وحدهُ من الصوف لان الحرير كالصوف في حفظ حرارة البدن لكنهُ ألين منهُ مسًّا وانعم فهو لذلك اكثر ملاءَمةً لجلودهم البضّة

ومن جملة العادات السمجة حرص الامهات على ان تكون ثياب اولادهنَّ رقيقة النسج صافية اللون مفصّلةً بحسب الزيّ الذي يتفق ان يكون عند تفصيلها هو الزيّ الدارج وان كان رديًّا وذلك لزعمهنَّ ان الثياب التي هذه صفتها

تروق النظر وتزيد الولد حسناً وان كانت مضرّةً بصحتهِ . فمن ايسر مضارّها ان الولد اذا دفعت بهِ طبيعتهُ الى المرح واللعب والقفز بل التمرّغ في التراب ايضاً صاحت بهِ امهُ او ظئرهُ او خادمتهُ أن كفَّ حتى لا يتّسخ جوربهُ او يتخرّق قفطانهُ وهكذا تصدّهُ عن رياضةٍ ضروريةٍ لنموّهِ وتعرّضهُ للقمع وغيرهِ من الآفات استبقاءً على ثيابهِ. وثمَّ في بلاد الافرنج عادةٌ اخرى سمجة وقد سرت الى بلادنا واحتذاها نفرٌ من الذين يحبّون محاكاة الافرنج في كل عاداتهم وهي تعرية ساقي الولد وذراعيهِ وعضديهِ احياناً بحجة ان تعريض هذه الاعضاء للهواء يقوّيها وهذه حجةٌ واهيةٌ باقرار علمائهم انفسهم ومن ايسر مضارّها ان الولد اذا سقط اثناء لعبهِ او رياضتهِ على موضعٍ خشنٍ من الارض انسجت بشرتهُ لتعرّيها مما يقيها

امّا الاحذية فأحسنها للاولاد ما كانت نعالها من السختيان الثخين ودروزها محكمة الالصاق حتى لا تنفذها الرطوبة ويجب ان لا تكون من السعة بحيث تقلق فيها اقدامهم ولا من الضيق بحيث تضغط الاقدام وتعصرها من شدة الحزق وفي كلا الامرين تعويق لهم عن الجري واللعب . ويجب في الجملة ان نراعي قوانين الصحة في امر كسوتهم كما نراعيها في امر كسوتنا لانهم مثلنا في الشعور بلفح الحرّ وقرس البرد وان نحرص على صدّهم عن الانتقال فجأةً من موضعٍ حارٍّ الى موضعٍ باردٍ وهم عراةٌ او يكادون وعن المشي حفاةً كما جرت بهِ عادتهم لان اكثر امراضهم سببها تعريض مسامّهم للبرد وهم عراةٌ واقدامهم للرطوبة وهم حفاةٌ

فصل
في السكنى

قال واحدٌ من مشاهير الاطباء اول شروط العافية الهواء الجيّد النقي

وقال آخر اعطني ماءً زلالاً وهواءً جيدًا نقيًا فانهما يغنياني عن سائر الأدوية في معالجة الاسقام

نعم ليس بالهواء وحدهُ يحيا الانسان لكن الهواء الجيد النقي اعظم معين له على الحياة لانهُ يولد فيهِ دمًا جيدًا يسهل هضم الطعام ويقوت اعضاء الجسم ويقوّيها . فينبغي ان يحرص الوالدون والمربّون على تعهد الحجرة التي ينام فيها الاولاد ويربّون وان يفتحوا كواها مرةً كل يوم على الاقل ليتجدد هواؤها الساكن وتنفذها اشعة الشمس وان يُعنَوا ايضًا بتنظيفها وتعديل درجة الحرارة فيها وتقدير اتساعها على نسبة عدد الاولاد المقيمين بها

اما الكتاتيب والمدارس فيحسن ان تكون في ضواحي المدن لا في وسطها وأحسن من ذلك ان تكون في الارياف والاماكن النزيهة البعيدة عن غَمَق المياه وابخرة المستنقعات وما يترتب على ذلك من فساد الهواء وان يكون لها ساحات واقنيةٌ رحبة او جنائن متسعة ليسهل على الاولاد ان يلعبوا فيها عدوًا وقفزًا وهلمَّ جرًّا ستأتي البقية

الدرة اليتيمة

حضرة الافاضل أصحاب مجلة البيان

اطلعت على الجزء الثالث من مجلتكم الغرآء فاذا فيهِ بحث عن الرسالة المسماة بالدرة اليتيمة تأليف عبد الله بن المقفع المطبوعة حديثًا في بيروت مصححةً بقلم هذا العاجز فتتبعت هذا البحث لعلّي اجد فيهِ شيئًا يتعلق بعنآئي في طبع هذه الرسالة وتصحيحها كما رأيت في سائر الجرائد العربية وكما يحب الانسان ان يرى صنيعهُ مقدورًا قدرُه وتعبهُ موفيًا أجرُه فلم اسقط هناك الا على انتقادِ

طويل عريض اكتفى فيهِ من تقريظي بمجرد السكوت عني ووجد اعظم مساعدة لي عدم التعرّض لذكري كانما قضت بهذا الاغضاء حقوق الصداقة وان كانت هذه الحقوق لم تبلغ حد التجاوز التام عن كشف الحقائق العلمية اذ لم يكن لعالم ان يتخذ على العلم صديقًا وما كنت وايم الله لاجهل مقدار هاتيك النعمة واغمط ذلك الجميل لو كان اغفال اسمي مما يغنيني شيئًا عند القرآء او يعمّي على الناس كوني انا مصحح تلك الرسالة وناشرها على عهدتي ولكن حيث كانت مصححة بهذا القلم القاصر كما هو مبين في صدرها كان الانتقاد على ما قيل انهُ فرط فيها من السقطات موجهًا اليَّ واصبحت تبعة هذه الاحوال السيئة في الرسالة مع مرورها عليَّ اثناء التصحيح عائدة عليَّ وقد حدَّقت في هذا الانتقاد لعلي اقف على عذرٍ تحبون ان تؤَوّلوا بهِ وقوع هاتيك الفرطات على يدي كأن يقال انني احببت المحافظة على الاصل مثلاً او اخترت الوقوف عند حدي دون التصرّف بكلام مثل هذا الكاتب النبيه فوجدت العذر كلهُ عبارة عن عدم التصريح باسمي وهو مفهوم ولو لم يصرّح بهِ البيان فاصبحت انا المسؤول وحدي عن تلك الغلطات وحقَّ عليَّ هذا الجهل المفرط في اللغة

وكنت اخضع لحكم البيان لأني والحمد لله ممن لا يدعون العصمة وممن يتباهون بمعرفة قصورهم وممن يعتقدون انهُ لا يوجد كتاب سالم من الخطأ ولا يتنزّه كاتب ولا مؤلف عن السقوط وممن يقولون

ومن ظنَّ ممن يلاقي الحروب ان لا يصاب فقد ظنَّ عجزا

لولا ان آرآء البيان لم تجئ موافقةً لوجهة آرآئي فلم أرَ موجبًا لقبول ذلك الحكم بدون اعتراض ولا استئناف ولا اعادة محاكمة فاحببت ان ابين لحضرتكم وجهي واشرح لكم برأيي معتقدًا انهُ لما كان جلّ قصدكم فائدة النقد واستخراج بريق الحقائق من احتكاك الآرآء لم يكن الاخذ والرد في هذا المقام مما يكدر صفآء الودّ الذي بيننا فاقول

قابلتم في الاول بين كتاب كليلة ودمنة ورسالة الدرة اليتيمة فذهبتم الى ان عبارة ابن المقفع في كليلة ودمنة اخلص الفاظاً وأنق ديباجةً وانصع ألواناً وأشدّ انسجاماً مما هي في الدرّة التي كثير من كلامهِ فيها غير خالص من التعقيد صعب الاستخراج غير نضيج الخ. وان السبب في هذا التباين مع كون النسج في الكتابين واحدًا هو تداول الايدي لكليلة ودمنة دون الدرة فكان مثلهُ برأيكم مثل الدينار الذي كثر التعامل بهِ حتى ازالت الايدي خُرشتهُ وعاد املس ناعماً قلتم وذلك ان كليلة ودمنة رُزق من الشهرة ما لم يرزقهُ كتاب في بابهِ وكثرت بهِ عناية العلماء والادباء فما منهم الاّ من انتسخهُ او استنسخهُ فكان الناسخ من اهل الذوق والبصر بالانشاء اذا رأى فيهِ منقداً ازالهُ او أَوَدًا اقامهُ فلم يغادروا فيهِ عبارة نافرة ولا لفظة قلقة ولا تركيباً ثقيلاً بحيث انهُ على تمادي الزمن تمَّ تهذيبهُ وتنقيحهُ قلتم والذي يدلك على صحة هذا القول انك تكاد لا تجد نسختين تتواطآن منهُ على لفظ واحد حتى ان دساسي كان بين يديهِ سبع نسخ كل واحدة مباينة للأخرى وان هذا مما يدلّ على فضل الكتاب ولا ينقص من قدر معرّبهِ شيئاً اذ الكلام لا يزال كلامهُ والاسلوب اسلوبهُ

فهنا اجد في رأيي بعض الاختلاف عن رأيكم اما من جهة شهرة كليلة ودمنة وارتياح العلماء والعظماء اليهِ فما لا يختلف فيهِ اثنان واما اتمام تنقيحهِ وتهذيبهِ بكثرة انتساخهِ واستنساخهِ على ايدي اهل البصر بهذه الصناعة حتى ازالوا منهُ كل المناقض وان دليل ذلك عدم تواطؤ نسختين منهُ على لفظ واحد ولا نخالف فيهِ ايضاً ولكن كون ذلك لا ينقص من قدر المعرّب اذ الكلام لا يزال كلامهُ ففيهِ نظر لأن الكتاب الذي تتداورهُ الاقلام بالتبديل والتنقيح الى حد ان لا تتفق منهُ نسختان على لفظٍ لجدير بان لا يبقى نسج صاحبهِ وان لا تصحّ نسبتهُ اليهِ ولا ندري كيف يعرف مقدار علم المؤلف ان كان العلماء لا يتركون لهُ غلطةً حتى يصلحوها ولا موضع ركاكةٍ حتى يسدّدوهُ ثم ان

الكتاب في حدّ ذاته يكتسب رونقاً ونقآء لكن يصحّ ان يقال فيه حينئذٍ انهُ قد شورك في تأليفهِ واجتمعت القرائح على تنقيحهِ فيفقد من خلوص نسبتهِ لصاحبهِ وتجهل حقيقة امرهِ وربما بقيت المسحة العامة ظاهرة عليهِ وكان الاسلوب غير متنكّر لكن لا يعرف في الحقيقة مبلغ تدقيق المؤلف والامانة تقضي بابقآء الشيء على اصلهِ والاكتفآء من التصحيح بالضروري المخالف للقواعد المردود بالبداهة ضنًّا بمقام المصنفين دون التلاعب بتصانيفهم والتداول بالحذف والتبديل وتحريف الكلم عن مواضعهِ واختيار جملةٍ على اخرى ونسخ عبارة للاتيان باحسن منها فكل ذلك مخالف للامانة بارز عن غلل المدالة لأنهُ كما لا يجوز ان يُبخس احد حقهُ فلا يجب ان يُنحَل احد فضل سواهُ ولا ينبغي ان يفهم من هذا وجوب ابقآء الغلط في كتب السلف مزلّةً لمن اقتدى بهم كلّا بل هنالك فرق عظيم بين تصحيح غلطٍ فاضح وتقويم أوَدٍ واضح و بين العدول في كل مكان عما هو حسن الى ما هو احسن وما هو فصيح الى ما هو افصح واجازة التصرف بثمرات عقول القوم واوضاع قرائحهم كيف عنَّ للبال وخطر في الذهن بل قد رأينا الكثيرين من اهل العلم ونقاد البصر تمحضاً في الامانة ينسخون الكتب القديمة او يطبعونها غير متعرّضين لتبديل ولا لتعديل بل ربما مروا بالمفوة او محل النظر فاشاروا اليهِ بانهُ ورد (كذا) وهم غير عاجزين عن اصلاحهِ وكثيرًا ما يرد في الكتب بياض في الاصل فيبقونهُ على كيانهِ مع امكان اللحمة احياناً بين الجملتين وما السبب فيهِ الا توقيرهم لآثار الاولين وتنزيهها عن مد الايدي اليها بما يخطر للحاضرين وقد اطلعنا على جملة من الكتب المطبوعة في اوربا ومصر تذكر الروايات المختلفة وتدقق في ايرادها جميعاً على وجوهها مع ان الفرق الذي يكون بينها يسيرٌ ذلك محافظةً على الوارد كما ورد وهم في هذا اشبه بمن يعثر على اثرٍ عاديٍّ قديم ولو كان فيه بعض التهشيم فيبقيهِ على حالهِ محافظةً على قدمتهِ وضنًّا بتاريخهِ عن الشبهة والكتب القديمة مثل الآثار

القديمة ان اعتورتها الانامل بالتغيير والتزيين فقدت قيمتها التاريخية وربما ادخلت لغة محدثة في لغة قديمة بواسطة هذا التصرّف فضلاً عنا ما كنا نريد تحقيقهُ ولم تكن في ذلك خدمة لتاريخ الادب ثم ان تشبيه البيان تداول الايدي لكتاب كليلة ودمنة وخروجهُ بعد ذلك تام التهذيب بالدينار الذي صيرتهُ كثرة التعامل بهِ املس ناعماً لا نظنهُ ينطبق على المقصود لان المراد ان الكتاب انما ازداد بذلك جمالاً وغلا قيمةً والدينار الاملس الناعم ينقص من قيمتهِ بقدر نعومتهِ وترفضهُ جهابذة الصيارف وفي العربيّ والبيان سيد العارفين يقولون دراهم حُرْش اي جياد خُشْن فالاحسن بالدينار ان يكون احرش من ان يكون املس

واما كون ما جآء في الدرّة من السقم والاضطراب انما ورد من قبل النساخ فلا ادافع عن ذلك لأن التحريف للنسخ نسيب وخليل ولكن لما كان لا يدرى بالتمام ما هو الصادر عن النسّاخ مما هو عن المؤلف الذي هو نفسهُ ايضاً ليس بمعصوم كان لا يجوز للانسان التسرُّع في الحكم وبناءً على هذا اكتفيت من اصلاح الخطأ بالقدر الذي ظهرت الرسالة فيهِ والله وحدهُ يعلم مكان الاصل على انني اعتقد ان كلام ابن المقفع في الدرّة لا يمكن ان يكون نظير كلامهِ في كليلة ودمنة سهولةً وانسجاماً اذ شتان بين المقامين والكلام في القصص والحكايات والامثال غير الكلام في مثل موضوع الدرة من الانشآء المحض

ثم انتقلتم الى ذكر الغلطات التي جوزتم امكان صدور بعضها عن الطبع فقلتم ان «المتقل في آرآئهم» من قولهِ «ان الذي تجد في كتبهم هو المتخل في آرآئهم والمنتقى من احاديثهم» يجب ان يكون المتخل بالخآء المعجمة وكنا نظن ان مثل هذا مما لا ينبغي التنبيه على كونهِ غلط طبع فانهُ مهما كان المصحح من الجهل باللغة فلا يغيب عنهُ كون تلك اللفظة بالخآء المعجمة لا بالحآء المهملة خصوصاً مع وجود المنتقى بازآئها واما تبديل لفظ «في» بلفظ «من» فلا نراهُ

ضروريًا ما لم يقم دليل على ضرورته

ثم اعترضتم على قولهِ « في تحرير صنوف العلم وتقسيم اقسامهِ وتجزئة اجزآئها وتوضيح سبلها وتبيين مآخذهم » من ان هذه المخالفة في صيغ الضمائر لا وجه لها بل منها ما يفسد المعنى والوجه ايرادها جميعاً بلفظ التذكير والافراد عودًا على العلم فهنا ايضاً لنا جواب وفي طيّ الجواب اعتراض وذلك اننا كما قلنا لم نلتزم اعلاء طبقة انشآء ابن المقفع وهو كما قال رئيس البلاغة وامير الكلام ولكننا اجتهدنا ان لا يقع في كلامهِ ما هو خلاف القواعد العربية وليس في هذه الجملة شيء مخالف للقواعد لأن لكل ضمير مرجعاً يعود اليهِ معروفاً بالقرينة وحيث لم يكن ثمة خطأ لم تبقَ حاجة الى ابدال (مآخذهم) بمآخذها وابدالها كذلك ليس بعجز ولا هو من الاسرار التي لا يدركها الا الخاصة نعم لو قيل مآخذها لكان اولى واحسن في النسق ولكن كما قلت تقلت كما رأيت ولم اذهب في التصحيح ورآء اصلاح الخطأ الصريح اما اعتراضي على الاعتراض فيما يقتضيهِ قولكم من وجوب التزام المفرد والمذكر في الضمائر المذكورة من ان تصبح العبارة « وتقسيم اقسامهِ وتجزئة اجزآئهِ » فلا نفهم حينئذٍ ما هو وجه التكرار بالمعنى الواحد دال كوننا نظن ان مقصد المؤلف قسمة العلم الى اقسام وكل من اقسامهِ الى اجزآء فعاد ضمير اقسام الى العلم وضمير اجزآء الى اقسام ليكون في كلامهِ شيء من التنويع والله اعلم

ثم ذكرتم عند قولهِ « من العجب ان يبتلى الرجل بالامارة فيريد ان ينتقص من ساعات نصبهِ وعملهِ فيزيدها في ساعات دعتهِ وشهوتهِ » ان قولهُ من العجب لا معنى لهُ ولا مما فيهِ عجب لان اكثر الناس على هذا السبيل وان الاظهر ان تكون من العجز بمعنى ضد الحزم الخ والذي يلوح لنا خلاف ما رأيتموهُ فالمؤلف يتعجب من كون بعض الناس يبتلى بالامارة فيحاول ان يتلهى عن عملها وينتقص من ساعات نصبها ليزيدها في ساعات دعتهِ حال كون الامارة

ظرفًا لا يسع غيرها هذا بدليل ما جآء بعدُ من قولهِ «وانما الرأي لهُ والحق عليهِ ان يأخذ لعملهِ من جميع شغلهِ فيأخذ من طعامهِ وشرابهِ ونومهِ وحديثهِ ولهوهِ» وكلهُ يفيد ان عليهِ تقديم عملهِ ان ابتُلي بالامارة على كل عمل والاخذ لها من كل شغل فكيف لا يكون الاخذ منها لغيرها داعياً للتعجب ولم يظهر لنا الى الآن لماذا لا يوجد محل للتعجب في هذه الجملة

ثم ورد في صفحة ١٣ «لئلا ينتشر من ذلك ما يجترئ بهِ سفيه او يستخف لهُ شأن» فقلتم لا معنى للشأن هنا والصواب «شانئ» فهب ان الشانئ هنا اسدّ من الشأن فهل يكون الشأن غلطاً و «يستخف» مبنيٌّ للمجهول خصوصاً اذا تمعّن القارئ فيما يريدهُ القائل من عدم تسهيل العذل الا لاهل السن والعقل حفظاً للهيبة والوقار

اما اعتراض «شُغلت» المتعلق كلهُ بتلك الضمة فما كان اولى البيان بتركهِ حملاً لهذه الضمة على سقطة طبع من مرتب الحروف وقياساً لها على هفوات أُخر وقعت بالطبع ايضاً والنسخة الاصلية هي عندنا تشير الى حقيقة ما نقول

واما تصحيح قولهِ «لا يلومنَّ الوالي على الزلة من ليس بمتهم على الحرص على رضاه» بان الصواب استبدال لفظ «على» بلفظ «في» فلا نظنهُ بهذه الدرجة من اللزوم ومع قلة بضاعتي في اللغة اظن هذا الاستعمال واردًا وفي لسان العرب يقول «وأوهمهُ ادخل عليهِ التهمة اي ما يتهم عليهِ» وكان يمكنهُ ان يقول ما يتهم فيهِ

كذلك اصلاح «لا يعرفنّك الولاة بالهوى في بلدة من البلدان» بكون الاولى ان يقال بلد من البلدان فكان الاولى ان يظن انهُ سهو من الناسخ الاصليّ لم يجد المصحح ضرورةً داعيةً لتغييرهِ لعدم اخلالهِ بالمعنى لا سيما وانهُ يقول في صفحة ٢٥ من الرسالة «اما عن بلد من البلدان او ضرب من ضروب العلم» فانت ترى ان الخطب يسير فضلاً عن ان معرفة كون بلدة تجمع على

بلاد لا على بلدان ليست من صحاب المسائل وبعد ذلك فيا ترى لو قلنا في مدينةٍ من البلدان فضلاً عن بلدة حال كون الجمع من غير لفظ المفرد فهل يكون ذلك غلطاً

واما ما ورد عند قولهِ «لا تحضرن عند الوالي كلاماً لا يعني ولا يؤمن بحضورهِ الا لعنايةٍ بهِ او يكون جواباً بالشيء سئلت عنهُ» من ان الكلام فيهِ اضطراب الخ فلم نعلم كيف اصلهُ كما قلتم ولذلك ابقيناهُ على حالهِ اجتناباً للتصرّف بكتاب الرجل بما ربما لم يكن هو المطابق للاصل واما عدم جواز «جواباً بالشيء» فلم نفهم سببهُ والذي يبقى في ذهني مما تعلمتهُ في المدرسة وان كان طال العهد بهِ وحالت الاشغال دون هذه المطالعات ان الباء تقع موقع عن فان قيل جواباً عن الشيء (كذا) لم يكن عليهِ غبار كما قيل فسَلْ بهِ خبيرًا

ولا تسألوني بالنسآء فانني خبيرٌ باحوال النسآء طبيبُ

اما اعتراضكم على قولهِ «اذا قال لك السائل ما اياك سألت او قال لك المسؤول عند المسألة يعاد لهُ بها دونك» فسبحان من جل عن السهو نظن انكم سهوتم عن تتمة الجملة فاشكل عليكم وهي قولهُ «فأجب» ورآء كلمة «دونك» فهي مقول القول الثاني ومع الانتباه اليها لا يبقى محل للاعتراض

واما «يستزله» في النسخة عندنا «يستنزلهُ» كما ظننتم ولو لم تكن سقطة طبع لما تحملنا لها جواباً اذ يعلم الله اننا لا نقصد المغالطة وانما جل قصدنا اننا لم ندع في الرسالة ما يقال لهُ في العربية غلط فاما تركنا بعض الجمل التي كان يمكن تميقها على الوجه الفلاني فلسنا باوصيآء على ابن المقفع لنصلح لهُ كتبهُ من هذه الجهة خصوصاً وانهُ لا يوجد مؤلف مهما علا كعبهُ الا وتجد في عباراتهِ ما يمكن تبديلهُ باسدّ منهُ فهل نغير على كتب السلف ونمحو ونثبت ونبدّل كما شئنا بدعوى ان هذا لا يليق بمقام المؤلف وهذا لا يُتصوَّر صدورهُ عن قلم الكاتب ولا نكتم العجب من كونكم من جهةٍ تقولون ان كثرة التبديل في كتاب كليلة

ودمنة صيرتهُ الى ان النسخة الواحدة منهُ لا تطابق الاخرى وان ذلك لا يغض من قدر معربهِ ومن جهة اخرى تقولون انهُ لو عاد السلف وعاينوا ما صارت اليهِ مصنفاتهم من صنوف الجدع والصلم لتمنوا انهم لم يجروا فيها قلماً فالتغيير سوآء كان الى اعلى او الى ادنى لا نحسبهُ جائزًا في كتب السلف واما كون « ذهاب الكتاب جملةً بداهيةٍ من نوازل القدر وضياع فضل مؤلفهِ وما يرجو ان يُبقي به من جميل الاثر لاهون على قلبهِ من ان يُنشر بعدهُ بين ايدي الناقدين » فنخال فيهِ مبالغة أفلا ترون ذهاب فائدة كتاب بجملتهِ بجريرة ضمة او كسرة مخالف للنسبة بين النفع والضرر وان النفع المترتب على كتاب برمتهِ اعظم من الضرر المتاتي من بعض هفوات يمكن للقارئ البصير اصلاحها بسهولة وانهُ ان كان كل عمل وقع فيهِ اقل نقص فالعدم اولى بهِ من الوجود لزم ابطال الاعمال باسرها اذ ليس منها ما يطمع طامع في كمالهِ نعم ان وجود ٩٠٠ غلطة في كتاب لا يتجاوز ٣٠٠ صفحة مما يوجب التحذُّر من مطالعتهِ ويدعو الى الاسف على حالتهِ لكن لا نعتقد ان طبعة درّتنا هي التي استحقت تلك المناحة المعقودة في آخر الانتقاد

شكيب ارسلان

قلنا انّا ليعزّ علينا ان نرى ما نشرناهُ من النقد على هذه الرسالة قد سآء أكرم صديق علينا واعظمهم حرمةً عندنا على حين لم يكن ما اوردناهُ من المآخذ موجهاً اليهِ ولا في اعتقادنا انهُ هو المطالَب بتبِعة تلك الأغلاط وان ألزَمها نفسَهُ وحَسْبُنا لإزالة عتبهِ أن نخرجهُ من تلك التبعة ثم نعود الى الكلام فيما استظهر بهِ للخروج منها من طريق الحُجّة لا نتوخى في ذلك الا ما اشار اليهِ من « استخراج بريق الحقائق من احتكاك الآرآء » وفي مأمولنا ان لا يتمثل لهُ قولنا صادرًا من جانب القلب ولا يبرز لهُ في غير لونهِ من الاخلاص ومعاذ الله ان يكون مثل هذا مما يصل الى مكان الذمة فيفسدها بل الذي نتيقنهُ أنّا واياهُ اعوانٌ في نصرة الحقيقة حيث كانت.شركآء في الذود عن حياض العلم

ولو بالأخذ لهُ من انفسنا لا تعترضنا في ذلك أَثرةٌ ولا يجذب أعنتنا الميل مع الهوى

أمّا ما عرّض بهِ من امر تقريظهِ قياساً على ما رأى «في سائر الجرائد العربية» فنعيذهُ ان يكون ممن يعتدّ بما رأى من ذلك ويعتقد انهُ بمثلهِ» يرى صنيعهُ مقدورًا قدرهُ وتعبهُ موفيًا أجرهُ» حالة كونهِ يعلم ما ألِفتهُ تلك الجرائد من هذه العادة في كل ما يُهدَى اليها حتى صار ذلك سُنَّةً لها معروفة وسبيلاً مطروقًا وصار كل من اهدى اليها كتابًا او قصيدةً لا يتوقع بعد ذلك الاّ أن يرى فيها عبارات الثنآء والاطرآء مما هو حريٌّ بأن لا يُستدَلّ منهُ على حقيقة مدحٍ ولا فضيلة احسان بل اذا اعتبرت هذا الصنيع حقّ اعتبارهِ وجدتهُ لا يخلو من اجحافٍ بحقوق العلم والعلمآء واضاعةٍ لكثيرٍ من اتعاب المجتهدين وفضائل المحققين اذ تستوي عندهُ الحسنة والسيئة ولا يظهر للراجح فضلٌ على المرجوح ولنا في هذا المعنى كلامٌ سنعود اليهِ في غير هذا الموضع

وبعدُ فلو كان هذا الكتاب من تأليف الامير أو من تأليف واحدٍ من ابنآء العصر استعان بديباجة الامير واسلوبهِ حتى خرج الكتاب على هذه الصيغة لكان في ذلك ما لا يجوز اغفالهُ بل كنا ولا ريب من اول المغالين بهِ ومن اسبق الناس الى تقريظهِ والإشادة بمحاسنهِ وقد رأى كل من وقف على كلامنا في هذا الكتاب أنّا لم نقصّر في تقريظ ابن المقفّع بما لم يبلغ اليهِ غيرنا ولا عرّف الكتاب وقدر مؤلفهِ تعريفنا ولكن قُصارَى ما ذكر الامير عن نفسهِ فيهِ انهُ صححهُ بقلمهِ وانت خبيرٌ بان التصحيح في مثل هذا لا يكاد يُفهَم منهُ الا تصحيح الطبع وتطبيقهُ على نسخة الاصل وليس هذا بالامر الذي ينبغي ان يُحرَص على ذكرهِ والتنويه بهِ ولا مما يُعدّ اغفال اسم الامير فيهِ نقصاً في جنب ما لهُ من الفضل والشهرة في عالم الادب ولا سيا وإنّا شفعنا الكلام على هذا الكتاب بما علمت من المآخذ فخشينا ان صرّحنا باسم المصحح ان يتوهم من لا علم لهُ

بمجامل النقد ان كل تلك الأغلاط منسوبةٌ اليهِ وحينئذٍ نُضطرّ الى ان نلتمس لهُ الأعذار على نحو ما اشار اليهِ فتكون الاساءة في التصريح باسمهِ اعظم من الاحسان في الاعتذار عنهُ

على ان من راجع كلامنا هناك واطّلع على ما ذكرناهُ في المقابلة بين هذه الرسالة وكتاب كليلة ودمنة يرى صريحاً اننا نسبنا كل ما وقع فيهما من التبديل الى النسّاخ وما ذكرنا ذلك افتئاتاً على النساخ ولا ميلاً الى جانب الامير ولكنهُ الواقع الذي لا لَبْس فيهِ ولذلك لم يجرِ في خاطرنا قطّ ان يكون الامير هو المسؤول عن كل ما وقع من ذلك في نسخة الكتاب والمكلَّف ان يردّ كل عبارةٍ طرأ عليها تبديلٌ او تحريف او نقص الى ما كانت عليهِ وكيف لنا ان نفعل ذلك وما علمنا ان الامير أُوتي علم الغيب حتى يتكهن على هذه المواضع كما انهُ لم يخطر في وهمنا قط ان على مصحح الطبع ان يسدد عبارة المؤلف ويقيم ما فيها من الأَوَد والّا كان ذلك من جملة ما انكرناهُ ونددنا بهِ من التصرف في آثار المتقدمين اذ من فرض المتأخر ان يدع القديم على قِدَمهِ ولو كان ظاهر الزيغ وليس لهُ ان يتحكم فيهِ برأيهِ لجواز ان يبعد بالكلام عن اصلهِ ويطمس على الدليل الذي ربما يقود غيرهُ الى اصحّ مما ذهب اليهِ. وعليهِ فما توهمهُ الامير من ان «الانتقاد على ما فرط في هذه الرسالة من السقطات موجَّهٌ اليهِ وأن تبعة هذه الاحوال السيئة فيها عائدةٌ عليهِ» ليس في محلّهِ ولا في كلامنا ما يشير اليهِ الّا ان يقول ان تلك الاغلاط كلها من اغلاط الطبع التي هو مسؤولٌ عنها وان النسخة التي اخذ عنها بريئةٌ منها وهو خلاف ما صرّح بهِ في غير هذا الموضع وما دلّ عليهِ صنيعهُ في هذا الردّ مما سيتضح باجلى بيان

اذا فرغنا من ذلك فلننظر فيما اشار اليهِ الامير من «الاعتراض» على أحكام البيان «واعادة المحاكمة» فيما اخذناهُ على هذه الرسالة من مواضع

النقد . فأول ما اورده من ذلك انكارهُ لما ذهبنا اليهِ من أن ما طرأ على كتاب كليلة ودمنة من التبديل لا يغضّ من قدر معرّبهِ . وهذا كما تراهُ خارجٌ عن الدعوى التي يريد « اعادة المحاكمة » فيها ولكن لا بأس من مجاراتهِ عليهِ ايضاحاً عن الحقيقة . فانهُ يقول ان الكتاب الذي تتداورهُ الأقلام بالتبديل والتنقيح الى حدّ ان لا تتفق نسختان منهُ على لفظ لجديرٌ بان لا يبقى نسج صاحبهِ الى آخر ما ذكرهُ . ومقتضى هذا الاعتراض انهُ يفرض ان التبديل الذي اشرنا اليهِ قد عمّ كل عبارةٍ في الكتاب حتى صارت كل نسخةٍ منهُ غير الاخرى وهو من المحال كما لا يخفى والاّ لم تبقَ تلك النُسخ نُسَخ كتابٍ واحد . وبعدُ فلا يذهب على الامير أن الكلام هنا في عبارة ابن المقفع وهو سيّد من كتب وأنشأ فلا يحتمل ان يكون في كلامهِ من موجبات التبديل والتنقيح ما اذا صُحّح يعدل بالكتاب عن صورتهِ حتى تتنكر ديباجتهُ جملةً ويصبح غير ما كان . أوَلا يرى الامير ان تبديل كلماتٍ أو عباراتٍ معدودة بين نسختين من كتابٍ واحد كافٍ لأن تصير بهِ النسختان غير متفقتين على لفظٍ واحد وان اتفقتا فيما بقي وهل يكون مثل ذلك قاضياً بان « لا يبقى الكتاب نسج صاحبهِ ولا تصح نسبتهُ اليهِ » والاّ فكيف « تبقى المسحة العامّة ظاهرةً عليهِ والاسلوب غير متنكر » كما قالهُ بعد ذلك

أما قولهُ « ولا ندري كيف يُعرَف مقدار علم المؤلف ان كان العلماء لا يتركون لهُ غلطةً (كذا) حتى يصلحوها ولا موضع ركاكةٍ حتى يسدّدوهُ » الى آخر الحجة فهذا لا يمنع ان يكون ما ذكرناهُ عن هذا الكتاب واقعياً كما وصفناهُ والامير غير منكرٍ لهُ « ويصحّ ايضاً ان يقال حينئذٍ ان المؤلف قد شُورِك في تأليفهِ واجتمعت القرائح على تنقيحهِ » فان كل ما ذكرهُ في هذا المعنى لا يمتنع شيءٌ منهُ ولا جاءَ في كلامنا ما يخالفهُ ولكن الظاهر ان الامير اورد هذا كلهُ حتى ينتهي منهُ الى قولهِ « والامانة تقضي بابقاءِ الشيء على اصلهِ

والاكتفاء من التصحيح بالضروري » الى آخر ما قالهُ واطنب فيهِ وحاصلهُ انهُ ينكر صنيع الذين تعمدوا التبديل في عبارة كليلة ودمنة وانهُ لا يجيز لنفسهِ ان يفعل مثل ذلك في عبارة الدرة وهو ما لم يخالفهُ فيهِ احدٌ ولم يرد في كلامنا الماعٌ الى استحسان ما فعلوهُ وان ازداد الكتاب بذلك حسناً « واكتسب رونقاً ونقاء » ولم نتهم الامير بانهُ فعل فعلهم ولا لمناهُ لانهُ لم يفعل ولا أجزنا التبديل في شيء من كتب السلف كما ترى كل عبارتنا ناطقة بهِ وهو المعنى الذي يرجع اليهِ كلامنا هناك باسرهِ والذي جرَّ الى هذا البحث من اصلهِ فما ندري بعد ذلك ما المراد بهذا التطويل المكرر على غير حاجةٍ ولا فائدة

ثم انتقل هنا الى امرٍ آخر وهو تشبيهنا كتاب كليلة ودمنة بالدينار الذي كثر تداول الايدي لهُ حتى صار املس ناعماً فذهب الى انهُ لا ينطبق على المقصود لان المراد ان الكتاب انما ازداد بذلك جمالاً وغلا قيمةً والدينار الاملس ينقص من قيمتهِ الى آخرهِ . فبقي ان نعلم من اين استفاد ان مرادنا هناك الجمال والقيمة وهما ما لا ذكر لهُ في العبارة ولا مما يقتضيهِ سياق البحث لان الكلام انما كان في مجرَّد وصف عبارة الكتاب والمقابلة بين ما كانت عليهِ في اصل التأليف وما صارت اليهِ بعد تداول ايدي النساخ ولم نكن في شيء مما يترتب على ذلك من اللوازم الخارجية . وترى لو جعلنا مكان الدينار في التشبيه مفتاحاً من الحديد قد كثر استعمالهُ حتى اخذت الايدي خشنتهُ هل كان التشبيه في غير محلّهِ

وهنا تفرَّغ للدفاع عما انتقدناهُ من ألفاظ الدرَّة وهو الامر الذي كنا نودُّ لو وقف دونهُ ضناً بمنزلتهِ في الادب واعفاء لهُ من عنتٍ لم يكن يلزمهُ لما اشرنا اليهِ هناك من ان غالب تلك الغلطات مسبب عن النساخ فليس هو المطالب بهِ واذا قدَّرنا ان بعضها من غلط الطبع وانهُ سها عن تسديدهِ فليس ذلك بالمغمز الذي يعاب بهِ انسانٌ ولا يصعب التسليم بهِ على احد لان العصمة لله .

ولكن اذ قد فضل فلم يبقَ لنا مندوحةٌ عن الجواب لا نخرج فيهِ عن بيان الحقيقة ولا نعطي الكلام من المدى الاّ بمقدار ما ينجلي بهِ وجه الصواب

فمن ذلك مسئلة تبديل لفظ المتخّل بالمتقل وقد كان من جوابهِ عليها ان مثل هذا لا ينبغي التنبيه على كونهِ غلط طبعٍ وان المصحح مهما كان من الجهل باللغة لا يغيب عنهُ مثل ذلك . قلنا وهو امرٌ لا ندافعهُ فيهِ ولسنا نقول الخلاف ولكن مع تسليمنا بان المصحح يعلم ان هذه غلطة ويعلم وجه صحتها وهي مُثبَتةٌ في الكتاب على الغلط هل يكون ذلك وجهاً لترك التنبيه عليها وهل يقدَّر ان كل من طالع هذا الكتاب تكون منزلتهُ من اللغة منزلة المصحح حتى يعلم صحة ما فيهِ من الغلط فيردّهُ الى وجههِ . والاّ فبأيّ سبيلٍ يتأتى للمبتدئ فهم ما وقع فيهِ مثل ذلك من العبارات وأيّ معجمٍ اذا طلب فيهِ لفظ « انتخل » فلم يجد المعنى الذي يوافق المقام يردّهُ الى « انتقل » حتى يبحث عن المعنى هناك

واما تبديل لفظ « في » بلفظ « من » ومطالبتهُ لنا باقامة الدليل على ضرورتهِ فمرجعهُ أن الامير يكتفي في مثل هذا بصحة التخريج في العبارة بحيث يكون للكلام وجهٌ يخرجهُ عن الغلط في القواعد ولو اختلّ المعنى واضطربت سلسلة النظم ونحن نعلم ان كلامنا في عبارة ابن المقفع كما ذكرناهُ آنفاً فلا نرضى منهُ الاّ بالفصيح المنقّح الذي لا غبار عليهِ فالإعراض عن امثال هذه التخريجات في كلامهِ حتى نتسامح لهُ بها بعد ان تُلزمهُ اياها أبرُّ بهِ وأنفى للفطنة عنا

ومن هذا القبيل مسئلة الضمائر في قولهِ « في تجريد صنوف العلم وتقسيم اقسامهِ وتجزئة اجزآئها » وذهابهُ الى ان تأنيث الضمير في قولهِ « اجزآئها » هو الوجه ليعود على الاقسام . وجوابهُ انهُ اذا كان ينبغي ردّ كل ضميرٍ في هذه العبارة الى صاحبهِ فقد كان الوجه ان يؤنث في قولهِ « اقسامهِ » ايضاً ليعود الضمير على الصنوف كما هو مرادهُ . وذلك أنهُ بعد ان قسّم العلم الى صنوف لم يبقَ معنًى لتقسيمهِ الى اقسام لان اقسام العلم وصنوفهُ شيءٌ واحد ولكنهُ

يريد ان تكون الاقسام للصنوف لانهُ جعل العلم صنوفاً ثم جعل تحت الصنوف اقساماً وتحت الاقسام اجزآء . وانما اضاف الاقسام الى ضمير العلم لدخولها تحت صنوفهِ ودخول هذه تحتهُ اذ كلها من متضمَّناتهِ وراجعةٌ اليهِ . وعليهِ فان صحَّ ان تضاف الاقسام الى ضمير العلم صحَّ ان يضاف ما بعدها اليهِ ايضاً على الوجه الذي اوضحناهُ والآزم ان يؤنث في الكل ليطّرد الكلام على نظمٍ واحد

واما مسئلة تحريف العجز بالعجب فقد ذكرنا من وجهها في محلها ما يغني عن التكرار في هذا الموضع ولكن لا بأس ان نعزّز لهُ المعنى بان العجب انما يكون من الامر المستغرب الذي يُعدَل بهِ عن مقتضى الطبع او العادة وما ذكرهُ المؤلف هنا من طلب الدعة واللذة امرٌ يميل اليهِ الانسان بطبعهِ لا ينفكّ عنهُ في حال والقيام بمهمّات الاعمال وأعباء الخُطَط تكليفٌ خارجيٌّ وفيهِ من الاهتمام والنَّصَب ما يستثقلهُ الطبع ويطلب التفادي منهُ ما امكن . على ان هذه المسئلة ليست مما نصّ عليهِ سيبويه ولا مما نقلهُ الفيروزابادي ولكنها من الامور المشاهدة كل يوم فلينظر الامير ان شآء فيمن حواليهِ من ارباب الخطط هل يجد فيهم من « يأخذ لعملهِ من طعامهِ وشرابهِ ونومهِ ولهوهِ » ... بل لو وجد فيهم واحداً يفعل مثل ذلك لكان هو « العجب » ولسمع من طنطنة الجرائد في تقريظ ذلك الواحد ما لا يسمع مثلهُ في تقريظ ما يهدَى اليها من الكتب والقصائد

واما ما وقع من تبديل الشائن بالشأن في قولهِ « او يستخفّ لهُ شائنٌ » وتصحيحهُ الشأن ببنآء يستخفّ للمجهول فلو نظر نظرةً في احد كتب اللغة لأغنتهُ عن ان يتكلف نفي هذه التبِعة عن الناسخ او الطابع ليُلحقها بنفسهِ وذلك ان الاستخفاف . . . بمعنى الاستهانة وهو بهذا المعنى لا يُعدَّى الا بالبآء فيقال استخفّ بهِ ولا يقال استخفّهُ . وما ندري ما كان الموجب لهذا التمحل في هذه اللفظة وما كان يضرّ الامير لو ردّها الى « مرتب الحروف » كما فعل في التي بعدها

«وقياساً لها على هفواتٍ أُخر وقعت بالطبع ايضاً» كما يقول

ومثل هذا ما أوردهُ في الدفاع عن قولهِ «ليس بمتَّهمٍ على الحرص على رضاهُ» وقد استظهر في ذلك بما جآء في لسان العرب من قولهِ «أدخل عليهِ التُهمة اي ما يُتهم عليهِ» حيث جرّ ما بعد يُتّهم بعلى ولم يجرّهُ بفي . قلنا لكن لو جرَّهُ بفي وقال «ما يُتَّهم فيهِ» كما يقول الامير لم يستقم للكلام معنى لأن هذه الجملة تفسيرٌ للتهمة وهي ليست مما يُتهم فيهِ . وبيانهُ أنك تقول فلانٌ متهمٌ في حديثهِ مثلاً تعني انهُ متهمٌ فيهِ بالكذب فتحذف بالكذب اكتفاءً بدلالة المقام عليهِ ويكون قولك في حديثهِ ظرفاً للاتهام وهو الدليل على المحذوف. ومثلهُ قولك فلانٌ متَّهمٌ في أمانتهِ اي متهمٌ فيها بالخيانة ومتهمٌ في دينهِ اي متَّهمٌ فيهِ بالزندقة وهو استعمالٌ شائع ومنهُ قول المتنبي

وفي اليمين على ما انت واعدهُ ما دلَّ أنك في الميعاد متَّهمُ

اي متهمٌ فيهِ بالاخلاف . وقولهُ ايضاً

اعاذك الله من زمانهمِ فانهُ في الكرام متَّهمُ

اي متهمٌ فيهم بالغدر وقس على ذلك . وعليهِ فلو قال في لسان العرب «ادخل عليهِ التهمة اي ما يتهم فيهِ» بقيت التهمة ظرفاً لتهمةٍ اخرى مقدّرة وهو مما لا يتأتى تأويلهُ ولا تعقُّلهُ فتأمّله . وبخلافهِ قول ابن المقفع «ليس بمتهم في الحرص على رضاهُ» فان التقدير ليس بمتَّهمٍ بالتفريط في الحرص على رضاهُ وهو الوجه الصحيح الذي لا تعسُّف فيهِ وهو مراد المؤلف كما يُستدرَك بادنى لمحة

ويتمشى على ذلك ما اعتذر بهِ عن قولهِ «جواباً بالشيء» حيث ذهب الى ان الباء تقع موقع عن وأورد عليهِ قولهُ ولا تسألوني بالنسآء (البيت) فجعل ذلك قياساً وهو من المحفوظات التي لا تتعدى المسموع عن العرب والأ صحّ ان تقول ذهبتُ بزيدٍ اي ذهبت عنهُ وشتّان ما بين المعنيين . وكذا خلوتُ بهِ وانفردتُ بهِ وكلّمتهُ بلسان فلان وقُتِل زيدٌ بعمرٍو وفلانٌ مستغنٍ بما عندهُ

واشباه ذلك مما ياتي فيهِ المعنى بعكس المقصود فيبطل التفاهم . ويا ليت شعري ما الداعي الى هذا التمحل البعيد على ما فيهِ من الخروج عن مقتضى اللغة ولِمَ لا تقول ان الناسخ او المنضد كرر اليآء والالف من « جوابًا » فجآءت العبارة على هذه الصورة وهل أقرب من هذا الى الاحتمال

ثم انتقل الى الاحتجاج عن قولهِ « او قال لك المسؤول عند المسئلة يُعاد لهُ بها دونك » فقال « نظن انكم سهوتم عن تتمة الجملة وهي قولهُ « فأجب » فهي مقول القول ومع الانتباه اليها لا يبقى محلٌّ للاعتراض » . قلنا ليس محلّ الاعتراض ما ذكرهُ بل الذي نراهُ ان مفعول القول هو قولهُ « دونك » ولذلك اكتفينا بهِ عما بعدهُ ولو جعلناهُ « فأجب » اشكل علينا موقع هذه الفآء في مفتتح الجواب وأحوَج تسديدهُ الى تقدير وتصوير مما يزيد في طينة الاعتراض بِلة . انما الذي انكرناهُ في العبارة هو ما فيها من اضطراب التأليف واختلال السبك مما قدّرنا ان فيهِ شيئًا من الناسخ فهي من قبيل العبارة التي سبقتها ولذلك اوردناها بلا تنبيه

وبقي ما اخذناهُ على قولهِ « او رأيٍ يستنزلهُ منهُ » وهذه سلّم لنا بأن الاصل فيها « يستنزلهُ » قال « ولو لم تكن غلطة طبع لما تمحلنا لها جوابًا » وهذه العبارة الاخيرة لم نفهمها والظاهر انهُ يريد ان يقول « لتمحلنا » مكان « لما تمحلنا » لانهُ لم يتمحل لها شيئًا والاّ فقد اثبت ان كل ما تمحل لهُ الجواب مما سبق كان من غلط الطبع وهو ما انكرهُ في تلك الاغلاط كلها واثبت فيهِ العكس اي انهُ من اصل النسخة التي اخذ عنها

وهنا نمسك عن استتمام الجواب على بقية ما جآء من كلامهِ في هذا الموضع مخافة ان تندر من القلم رشاشةٌ يقع سوادها في بياض ما بيننا من الذمّة وهو ما حرصنا على تحاميهِ في هذا الجواب . وفي تصفح ما تقدم لنا في هذا الردّ ومراجعة ما ذكرناهُ في اواخر النقد ما يكفل لنا بالانصاف وان لم ينصفنا

الامير والله المسؤول ان يجعل لنا من الحقّ موقفاً لا نتعدَّاهُ ومن عرفان اقدارنا حدًّا لا نتجاوز مداهُ والسلام على من اتبع الهدى

حل اللغز الوارد في الجزء الرابع

لحضرة الشاعر المطبوع عبد الله افندي فريج

يا مُلغزًا في اسمِ جنسٍ انتَ افضلُهُ أهديتَ اهلَ النهى درًّا ومَرجانا
لا زِلتَ بدرًا منيرًا في ذوي ادبٍ ولا بَرِحتَ لعينِ المجدِ (١٦٣)

وقد وردنا حلهُ ايضاً من حضرة الاديب امين افندي ابرهيم الخوجه بالغابة (الشرقية) فاجتزأنا بذكر الاول

لغز

الا يا اهل فضلٍ اخبروني عن آسمٍ جلَّ ذي قدرٍ وشانِ
فلولاهُ لما عرت بلادٌ ولا فيها رقي ذو صولجانِ
تعظمهُ ملوكُ الارضِ طرًّا ويخشى بأسهُ ربُّ اليماني
خماسيُّ الحروفِ شبيهُ شمسٍ علت في اوجها اسمى مكانِ
فان انجمت اولهُ تجدهُ مع الثاني اشار الى الغواني
وباقيهِ بتصحيفٍ وقلبٍ تراهُ زان اجيادَ الحسانِ
لهُ طرفانِ قد نُظما عقودًا ويُغذَى منهما قاصٍ ودانِ
فمن رام ازدياد الشرح فيهِ ليبدو للمحاجي بالعيانِ
هو الدنيا اذا التشويش فيهِ بدا بالحذف والتحريف ثانِ
فهاك اللغز من عبدٍ شكورٍ وجد بالحلّ يا ربَّ المعاني

عبد الله فريج

الاحصآء الجديد

تقدم لنا في الجزء الثاني من هذه المجلة ان الحكومة المصرية قد شرعت في احصآء جديد لسكان القطر وقد تمّ الآن هذا الاحصآء فكان مجموع الانفس المحصاة في القطر كله ٩,٦٥٤,٣٢٣ نفساً وقد كان في الاحصآء الاخير الذي أُجري سنة ١٨٨٢ اي منذ ١٥ سنة ٦,٧٧٩,٠٤٠ نفساً فتكون الزيادة في الاحصآء الحالي ٢,٨٧٥,٢٨٣ نفساً وهي نحو ٤٢ في المئة وهذا بيان كلٍ من الاحصآءين مفصلاً

المحافظات

سنة	القاهرة	الاسكندرية	دمياط	بورسعيد	السويس	العريش	المجموع
١٨٨٢	٣٨٠٣٢٣	٢٣٥٧٤٦	٤٣٦١٧	٢١٠٧٠	١١١٦٧	٣٩٢٣	٦٩٥٨٤٦
١٨٩٧	٥٧٦٤٠٠	٣١٩٧٦٧	٤٣٤٧٧	٤٣٠٣٧	١٨٠٦٨	١٦٩٩٢	١٠١٧٧٤١
الزيادة	١٩٦٠٧٧	٨٤٠٢١	-١٤٠	٢١٩٦٧	٦٩٠١	١٣٠٦٩	٣٢١٨٩٥

مديريات الوجه البحري

سنة	البحيرة	الشرقية	الدقهلية	الغربية	القليوبية	المنوفية	المجموع
١٨٨٢	٤١٣٨٨٢	٤٦٤٨٨٩	٥٨٦٠٣٤	٩٢٩٤٨٨	٢٧٠٤٨٦	٦٤٦٠١٣	٣٣١٠٧٩٢
١٨٩٧	٦٢٣٠٨٠	٧٤٧٣١٥	٧٣٧١٩٨	١٢٩٧٨٥٣	٣٧١٦١٠	٨٦٤١٤١	٤٦٤١١٩٧
الزيادة	٢٠٩١٩٨	٢٨٢٤٢٦	١٥١١٦٤	٣٦٨٣٦٥	١٠١١٢٤	٢١٨١٢٨	١٣٣٠٤٠٥

مديريات الوجه القبلي

سنة	اسيوط	بني سويف	الفيوم	الجيزة
١٨٨٢	٥٦٢١٣٧	٢١٩٥٧٣	٢٢٨٧٠٩	٢٧٨٥٠٣
١٨٩٧	٧٥٦٠٣١	٣١٣٧٨٠	٣٧٠٦٧٦	٣٩٨٨٨٨
الزيادة	١٩٣٨٩٤	٩٤٢٠٧	١٤١٩٦٧	١٢٠٣٨٥

المنيا	جرجا	قنا	النوبة	المجموع
٣١٤٨١٨	٥٢١٤١٣	٤٨٨٧٢٠	١٥٨٥٢٩	٢٧٧٢٤٠٢
٥٤٢٨٥٩	٦٨٧٨٩٠	٧٠٥٠٨١	٢٢٠١٨٠	٣٩٩٥٣٨٥
٢٢٨٠٤١	١٦٦٤٧٧	٢١٦٣٦١	٦١٦٥١	١٢٢٢٩٨٣

الطاعون في جدة

وردت الانباء الى ادارة الصحة عندنا في ٧ يونيو بوقوع اصابات في جُدَّة بين قوم من الحمالين القادمين من حضرموت تشتبه باعراض الطاعون توفي بها في اليوم المذكور اربعة انفس وكان المصابون ١١ وتوفي في اليوم التالي اربعة آخرون وفي ٩ منهُ ثبت ان تلك الحوادث من الوباء وقد بلغ عدد الوفيات منذ ١١ الى ٢٧ من الشهر الماضي ٣٧ وفاة وما عُرف من عدد الاصابات ١٣

وقد وجهت الحكومة العثمانية بعثًا طبيًّا لتداركُ امتدادهِ في تلك الناحية واحتاطت الحكومة المصرية باقامة الحجر في طورسينا مدة اثني عشر يومًا على القادمين من الحجاج مع المراقبة على خطّ الخليج بطولهِ وأُنفذت الاوامر من ادارة الصحة العمومية بالقاهرة الى مفتشي الصحة في جميع انحاء القطر ان يضعوا كل قادمٍ من الحجاج تحت المراقبة الصحية ويراقبوا كل ما يقع بينهم او فيما حولهم من حوادث مشتبهة الاعراض ويُشيروا بها مصلحة الصحة تلغرافيًّا وصدرت اوامر أُخر الى العُمَد بانهُ اذا توفي احدٌ من الحجاج لا يُدفَن الآ بعد ان يكشف عنهُ مفتش الصحة الذي يكون في تلك الناحية والامل معقود باهتمام الحكومتين في صدّ غارة هذا الداء وتشديد الحجر على القادمين بما يُؤْمِن انتقالهُ الى الاماكن السليمة مع بذل اقصى العناية في امر النظافة الذي هو رأسٌ في الوقاية منهُ ولا سيما في هذا القطر مع ما فيهِ من توفر اسباب الوبالة وقلة اهتمام السكان بازالتها والله الواقي .

اسئلة واجوبتها

جاءنا من حضرة الدكتور بتر ما مفادهُ أنهُ اطّلع على السؤال المنشور

في الجزء الاخير من البيان عمَّا نسبتهُ اليهِ احدى المجلات العربية من القول في مسئلة الطاعون وان ذلك مختلقٌ عن لسانهِ لانهُ الى الآن لم يتمّ تقريرهُ في هذا الخصوص ولكنهُ سيتمّ عما قليل ويُنشَر مطبوعاً فيقف عليهِ الخاصّ والعامّ

بورت سعيد — قد دفعني حب الوقوف على الحقائق ان اسألكم عما يفعلهُ بعض المشعوذين مما لو صحّ لعُدّ ضرباً من الكرامات وذلك كمن يُظهِر رأساً ناطقاً يبدي حركاتٍ باللسان والشفتين ولكنهُ بلا جثة وهو موضوع في صينية على مائدة والمائدة مكشوف ما تحتها بحيث لا يُرَى الاَّ الأرض فكيف ذلك

ميخائيل فارس

الجواب — هذا ما يسمى عند الافرنج بالسحر الابيض او السحر الطبيعي ويصحّ ان يسمى عندنا بالسحر الحلال وهو ضربٌ من التمويه على الحواسّ بذرائع طبيعية او كيماوية او غيرها ولهذا الفن كتب مخصوصة في لغات الافرنج فيها شرح ما يفعلونهُ من ذلك لمن احبّ تعلمهُ او الوقوف عليهِ . اما ما رأيتموهُ من الرأس الناطق وهو بغير جثة فصناعتهم فيهِ انهم يتخذون مائدةً مربعة الشكل يجعلونها في صدر المحلّ الذي يكون فيهِ المشهد ويضعونها وضعاً منحرفاً بحيث يستقبل الداخل احدى قوائمها ويركّبون على الجانبين اللذين يكتنفان تلك القائمة مرآتين كلّ واحدةٍ منهما تملأ الجانب الذي هي فيهِ ويفرشون ارض المكان بتبنٍ ونحوهِ ليخفى طرف المرآتين الذي يلي الارض . وحينئذٍ يكون سطح المرآتين بالنسبة الى ارض المحلّ قائماً فيُرَى ما يليهما من منظر الارض ممتدًّا الى ما تحت المائدة ويكون بالنسبة الى الجدارين اللذين عن يمين المحلّ ويسارهِ على زاوية ٤٥° فيُرَى ما يقابلهما من منظر الجدارين ممتدًّا الى ما وراء المائدة فلا يشك الناظر أن هناك فراغاً لانهُ يرى الارض متصلة تحت المائدة والجدار متصلاً وراءها . وتتمة الخدعة يجعلون امام كلٍّ من المرآتين مصباحاً على بعدٍ يخيّلهُ تحت وسط المائدة بحيث انهُ كيفما تحوّل الناظر يميناً او شمالاً يرى ذلك المصباح في

مكانهِ . ثم ان سطح المائدة يكون مقوَّرًا بمقدار ما يدخل منهُ رأس انسان فيضعون تحت المائدة كرسيًّا يُجلسون عليهِ رجلًا فيختفي جسمهُ تحت المائدة ويبقى رأسهُ بارزًا فوقها ثم تؤخذ صينية مقوَّرة الوسط مقسومة الى قسمين فيُضَمّ القسمان حول عنقهِ فيخيَّل للناظر أن الرأس موضوع على الصينية فيتكلم ويلتفت ويدور ذات اليمين وذات الشمال على قدر ما تمكن القاعد من الحركة

آثار ادبية

الاجيال — هو اسم مجلةٍ مصوَّرة علمية ادبية صناعية ذات ثماني صفحاتٍ كبيرة تصدر يوم السبت من كل اسبوع بادارة حضرة الفاضل الاديب ميخائيل افندي الصقّال . وقد صدر العدد الاول منها بتاريخ ١٩ يونيو مصدّرًا بصورة مجلس النظار برأسهُ الجناب العالي ويليها صورة حضرة صاحب الدولة حسين باشا كامل عمّ الجناب الخديوي ورسم معرض باريز لسنة ١٩٠٠ ورسم الجامع الازهر وغير ذلك من الصور الفنية والصناعية . وقد اشتمل هذا الجزء على عدة مقالات وتراجم وفصول ادبية واخبار علمية وغيرها مما يرتاح اليهِ المطالع . وقيمة الاشتراك السنوي فيها ٨٠ قرشًا اميريًّا في القطر المصري وليرة عثمانية في ممالك السلطنة و٢٥ فرنكًا في الممالك الاجنبية

ولما كانت هذه اول مجلة مصوَّرة في لغتنا وكنا في احتياج الى مجلةٍ من هذا النوع مما لا تجهل فوائدهُ فرجاؤنا في جمهور المتكلمين بهذه اللغة الاقبال عليها بما يضمن لها الثبات والنجاح

الايام — وردنا اعلان من حضرة الاديب يوسف افندي نعمان المعلوف بواشنطن يذكر فيهِ عزمهُ على نشر جريدة عربية سياسية معتدلة المنهج تسمى باسم « الايام » وقد جعل قيمة الاشتراك فيها ثلاثة ريالات اميركانية في السنة فنتمنى لهُ النجاح والتوفيق الى ما بهِ منفعة الامة والوطن

البيان

السنة الاولى — الجزء السادس

اول اوغسطس سنة ١٨٩٧

الصابئة

(تابع لما في الجزء السابق)

ولما فرغ هيويل زيوو من خلق الأرَضين عاد الى موردَربوتو فأنهى اليهِ ما فعل فقال « هلمَّ الآن فاشرع في خلق السماوات السبع ولتكن الاولى منهنَّ على اثني عشر الف فرسخ عن الارض . ومتى فرغت من خلقهنَّ تأخذ شيئاً من مآء الحياة وتسقيهِ لروحايا ثم تتلو ثلاث كلماتٍ سرية وهي شَمْشَميال ودُمْدُميال وإجدَحيال فتحمل لساعتها وتلد سبعة بنين آخرين يكونون سبعة سيّارة فتُفيض على هذه السيّارة النور وتحملها على عجل

« وبعد ذلك تصير الى النهر المسمى « دكشوشو » فتأخذ جميع الملائكة الذين تجدهم هناك[1] وتكلفهم حفر اربعة انهار تسميها « فرلش زيوو » اي الفرات النيّر و « دجلة زيوو » و « هشترخان » اي هشتر الاكبر و « شاران زيوو »[2]

---

١ هم صنف من الملائكة خلقوا ليكونوا في الارض ايديهم وارجلهم في هيئة المعاول ٢ تزعم الصابئة ان جميع المياه كانت من قبل مرة ولكن هذه الانهار الاربعة عذبت لان هيويل زيوو ترك فيها شيئاً من ماء الحياة

« ثم تتخذ اربعة مجابس الرياح تجعلها في اربع جهات الأُفق وتوكل بها اربعة من الملائكة

« ثم تقيم سبعة « مَتَرُوثات ١ » لعذاب المجرمين وتترك هناك طائفةً من الملائكة الذين يكونون معك ليتولّوا عقاب الأئمة وتفوّض تدبير كل واحدٍ من هذه المَتَرُوثات الى واحدٍ من السيّارة السبعة يتسلط عليهِ. ولأُولئك السيّارة ايضاً اعمالٌ اخر تسخَّر بها فالشمس لحكم النهار والقمر لحكم الليل والبواقي للأحداث الجوّيّة من نحو البرق والرعد وغيرهما

« وعلى عَقِب ذلك تخلق « مشوني كوشتو » وهو العالم السرّيّ وتأخذ من سكان « عولمي فتاحيل ٢ » رجلين وامرأتين فتجعلهم في مشوني كوشتو وتزوج الرجلين بالمرأتين فيكون سكان هذا العالم من ذُرّيتهم

« ثم تخلق آدم الارض وهو «آدم جاورو قدموبو» من التراب ومتى وُلد لهُ اولاد تزوّج بناته لرجالٍ من سكان مشوني كوشتو وتتخذ من بناتهم ازواجاً لبنيه. ومتى فرغت من جميع ذلك تذهب فتقيم على حدود المَتَرُوثات ومن هناك تتولى تدبير العوالم التي خلقتها ». فعمل هيويل زيوو بكلّ ما رسم لهُ موروددّ ربوتو ثم انطلق فأقام حيث امرهُ

ولما حفلت تلك العوالم بالسكان ارسل هيويل زيور فدعا اليهِ « فتاحيل » وهو احد الثلاث مئة والستين شخصاً السماويين فولّاهُ السيطرة على المتروثات ورأى فتاحيل ان اهل الارض قد كثروا جدًّا فبعث اليهم احد بنيهِ (وهم الاوبئة) لينقص من عددهم فازداد بذلك سواد الانفس الواردة منهم

---

١ هذه الاماكن هي جحيم الصابئة ومحلها في اقاصي الارض حيث تشرف اطرافها على رأس اور. وقد وردت تسميتها في صفحة ١٠٦ و٢٠٢ بلفظ متروموس والصواب كما هنا ٢ ناحية عند حدود عالم الانوار

الى الجحيم . وكان هيويل زيوو قد سدّ المنفذ الذي يفضي من هناك الى عالم الأنوار فاشتدّ الزحام بكثرة الوافدين يوماً بعد يوم حتى ضاق بهم المكان وتضايق فتاحيل من تلك الحال فانطلق الى هيويل زيوو وشكا اليهِ ما هم فيهِ من ذلك وسألهُ اطلاق الانفس التي استوفت عذابها الى الفردوس فأبى هيويل زيوو وقال ما كنت لأُدخل الفردوس نفساً قد تدنست بالاثم ولكن أرسِل المَلَك سوريئيل ¹ الى مشوني كوشتو وهناك رجلٌ من الصلاّح يقال لهُ شيثيل بر آدم فيقبض نفسهُ ويأتيك بها فتجعلها معياراً تزن بهِ تلك النفوس بأن تضعها في احدى كِفّتي ميزان القضآء وتجعل في الكفّة الاخرى النفس التي قد تطهرت من آثامها فان وازنتها في الطهارة ترسلها الى مقام السعدآء والاّ لبثت عندك حتى تستتمّ طهارتها . فأرسل فتاحيل فجيء بنفس شيثيل وجعلها في كفّة ميزانهِ فكانت زنتها ستّ مئة وستّين مثقالاً ثم أُخِذت الانفس التي استوفت عقابها ووُضعت في الكفة الاخرى واحدةٌ بعد واحدة فلم يكن فيها نفسٌ توازن نفس شيثيل فأعيدت الى العذاب

وان سكّان عالم الانوار كانوا يتوقعون ان تمتلئ الارض الجديدة بالخلائق من البشر وان تتوارد عليهم الوفود منهم فلما طال امد الانتظار ولم يطرقهم احدٌ استآءوا لذلك وعلموا انهُ كان مسبباً عن تشدُّد هيويل زيوو فانطلقوا الى مورودّربوتو وعرضوا عليهِ الامر وسألوهُ التسامح في امر اولئك الوافدين والاّ لم يصل الى عالم الانوار منهم احد . فبعث مورودّربوتو الى هيويل زيوو يستقدمهُ اليهِ فلما دخل عليهِ سألهُ عن الامر فأعلمهُ بما كان ورأى مورودّربوتو انهُ بتصلّبهِ غير اهلٍ للخطة التي اختارهُ لها فقال لهُ ارى ان هذا الامر لا يخلو

(١) هو عزرائيل الصابئة

من مشقّةٍ عليك فعُد الى تدبير مملكتك في عالم الانوار وانا اجعل مكانك أواثار . فرضي هيويل زيوو بذلك وعاد الى مملكتهِ واستوى أواثار في مكانهِ ومذ ذاك فُتح منفذ المتروثات فخرج منها خلقٌ كثير ولحقوا بعالم الانوار

اما الدينونة عندهم فاذا خرجت النفس من جسم الصابئ مهما كانت حالهُ فلا بدَّ ان تذهب الى المَترُوثات وهذه يصار اليها من عالمنا في طريقين احدهما للانفس الطاهرة والثاني لغير الطاهرة والنفس تقطع كلاًّ من هذين الطريقين في سبعين يوماً فان كانت غير مُثقَلةٍ بالذنوب قطعت وحدها بغير مساعد والا فيقودها اثنان من جلاوزة الجحيم . فاذا بلغت المتروثات اجتازتها حتى تقف امام أواثار فيدينها فان وجدها بريئة من كل وصمة خطاءٍ ارسلها مصحوبةً بامرٍ منهُ الى شاطئ « نهرو دكشوشو » فيُعبَر بها من ثمَّ الى مقام السعداء الذي هو عالم الانوار فتتمتع هناك بالنعيم الخالد وان كانت مدنّسةً بالمعاصي ارسلها الى فتاحيل وعيَّن لهُ نوع عذابها ومدّتهُ فيُدخِلها الى الموضع الذي ينالها فيهِ ذلك العذاب

امّا انواع العذاب عندهم فتختلف باختلاف انواع الجرائم فمنها ان توضع نفس المجرم في كَظَم أور أي في مجرى نَفَسهِ فيتعاقب عليها نسمتان احداهما كأحرّ ما يكون من السَّموم وذلك عند اخراج النَّفَس من صدرهِ والأُخرى كأبرد ما يكون من الزمهرير وذلك عند اجتذابهِ من الخارج واصحاب هذا الصنف من العذاب هم الزناة

ومنها صنفٌ يقال لهُ « نورودياكو » أي نار الجحيم وهو تنورٌ بالغٌ من الحرارة ما تكون نارنا عندهُ بردًا وسلامًا فتُعلَّق انفس المعذَّبين على جدران هذا التنور حيناً ثم تُخرَج منهُ ثم تُرَدّ اليهِ وهلمَّ جرًّا وهو عذاب السارقين

ومنها أن يُوضَع المُعاقَب بين صخرين عظيمين فيضغطان عليهِ ضغطاً شديداً حتى يتفلطح جسمهُ ويكاد يختنق ثم ينفرجان عنهُ فيعود الى ما كان عليهِ وبعد ذلك يعودان فيضغطان عليهِ ويكون ذلك ثلاث مراتٍ كل يوم وهو عذاب من يخون شريكهُ

ومنها سلسلةٌ تتدلى من سقف المكان فتُشَدّ بها عنق المذنب فيبقى منتصباً على قدميهِ لا يستطيع ان يثني ركبتيهِ ولا يتحول عن موقفهِ وهو عقاب اهل الضغائن

ومنها ان يُلبَس المجرم لباساً من الثلج وهو جزآء المتجسسين والنامين والذين يرمون الابريآء بالرِيَب ويلقونهم بين ايدي الحكّام

ومنها سلكٌ من الحديد يُحمَى بالنار الى ان يحمرّ ثم يُدخَل في احدى أُذني المذنّب ويُخرَج من الاخرى على الدوام وهو عقاب من يسترق السمع

ومنها ان تُملأ راحتا المعذَّب ناراً ويؤمر أن ينفخها بشفتيهِ حتى لا يخمد اشتعالها فتصير بذلك كفّاهُ جمراً ولكنهما لا تحترقان وهو عذاب الكذابين

ولهم ضروبٌ اخرى من العذاب لا نطيل باستقصآئها تطول مدّتها وتقصر تبعاً لعِظَم الجرم وكميّتهِ الّا انهُ ليس شيء منها بخالد على المجرم الّا من قتل نفساً او كان سبباً في قتل احدٍ ولو كان قاتلاً ومن كان علّةً في خروج احد الصابئة الى دينٍ آخر بأيّ جهةٍ كانت ومن زنى ببكر فان هؤلآء يكون عذابهم مؤبداً

وهذا كلّهُ فيما يختصّ بالصابئة واما سائر الامم فمن عاش منهم عيشةً صالحة ذهبت نفسهُ الى مكانٍ يقال لهُ « شخينوتون » وهو موضعٌ من عولمي دَاَحشُوخو حيث لا يقاسي شيئاً من العذاب ولكن لا يكون لهُ شيء من السعادة واما من كان منهم شريراً فانهُ يهلك لا محالة ويكون طعاماً لأور

وعولمي دلحشوخو هذا عالمٌ سماويٌّ محلهُ الى شمال أواثار وهو مقام اشرار الصابئة ومن ذُكر من صُلّاح سائر الامم كما أن عولمي دنهورو اسي عالم الأنوار هو مقام مختاري الصابئة ومحلهُ الى يمين أواثار وهو بجملتهِ مؤلفٌ من البلور النقي

أمّا شعائر دينهم فمنها المعمودية وهي ما لا بدّ منهُ لأطفالهم اذا بلغوا سنةً فما فوق واما الأجنبيّ فلا ينالها البتة لانهُ لا يمكن ان يُقبَل في دينهم غريب وما خلا ذلك فانهم يتعمدون كثيرًا كلما راموا الطهارة من جنابةٍ او اثم . وهي تُستعمَل عندهم في كل يوم احد او يوم عيد وعند الرجوع من سفر في بلدٍ اجنبي وبعد الخروج من السجن وبعد الاكل من ذبيحة غريب او من لحمٍ محرَّمٍ وهو لحم كل ذي ذَنَب او اكل شيء من الفاكهة او البقول المشتراة من السوق قبل غسلها بالمآء وفي احوال أُخر كثيرة غير هذه يطول تعدادها

اما كيفية تعميد الطفل عندهم فان امهُ تحملهُ في يوم احدٍ او عيد الى القسّيس فيمضي بها الى النهر مصحوبًا باثنين من الشمامسة فاذا بلغ الشاطئ وقف فصلّى ثم حمل احد الشمّاسين الطفل وجعل القسيس في احدى اصابعهِ خاتمًا من خشب الآس ثم ينزل القسيس في النهر ويليهِ الشماس ويغترف القسيس المآء بيديهِ ويرسلهُ على الطفل بكثرة على ثلاث دفعات ويقول «اعمّدك باسم الثلاثة الله ومندودابي ويحيى يوحنا . اعمّدك معمودية بهرام العظيم ابن رورب . لتكن معموديتك حارسةً لك ورافعةً اياك الى العلآء» . ثم يخرجان من المآء وينزع القسيس الخاتم من يد الطفل ويضعهُ على رأسهِ ثم يبخرهُ ويدهن جبهتهُ بدهن السمسم المقدَّس ويقول «لتُوسَم بسِمَة الحيّ» ثم يدهن عنقهُ ويقول «اسم الحيّ واسم مندودابي يذكَران عليك» ثم يدهن معدتهُ واخيرًا يمسح يديهِ

يدي الطفل . ومتى فرغ من ذلك ينحني الى الارض فيهمس اليها بكلامٍ سرّي ثم يأخذ قلنسوتهُ عن رأسهِ ويقبّلها ستين مرّة وبعد ذلك يتناول الشماس الخاتم عن رأس الطفل ويضمهُ على شفتي الطفل ثم على جبهتهِ ثم يطرحهُ في النهر

وعند الصابئة ايضاً الوضوء وهو كالمعمودية لا يكون الاّ من مآء نهرٍ او معينٍ جارٍ الاّ أن وضوءهم يعمّ البدن كلهُ فيذهب احدهم الى النهر ويخلع ثيابهُ ثم يجلس على الشاطئ فيغسل اولاً شعر رأسهِ ثم ينزل في المآء الى سرّتهِ ووجههُ دائماً مستقبلٌ للمجرى ثم ينغمس ثلاثاً وفي كل انغماسةٍ وبين كل انغماستين له كلامٌ يقولهُ. وفي خروجهِ من النهر يغسل وجههُ ويفرك جبهتهُ ثلاثاً ويُدخِل اصابعهُ وهي مبلولةٌ ثلاث مرات في اذنيهِ ومنخريهِ ويمضمض فمهُ ثلاثاً وبعد ان يقذف المآء ثلاثاً على ركبتيهِ وساقيهِ يغمس قدميهِ ثلاثاً في مجرى المآء واخيراً يدفع المآء بيديهِ ثلاث دفعاتٍ كأنهُ يطرد النجاسة عن نفسهِ ويخرج. اما اوقات الوضوء عندهم فهي كل يوم احدٍ او عيـد اذا لم يجبْ ان يتعمد واذا لمس لحماً من ذبيحة اجنبيّ او اصابهُ رُعافٌ وهو سيلان الدم من الانف او استخرج دماً من جسمهِ او جُرح بحيث يبدو منهُ الدم وبعد الجنابة والمرض او تناوُل شيء من الدوآء الى غير ذلك

وعند الصابئة الاعتراف وهو قريبٌ منهُ عند النصارى ولا يكون الاّ سرّاً . وعندهم نوعٌ مما يسمى بالافخارستيا يتخذونهُ من البرّ يعجنونهُ بلا ملحٍ ولا خميرٍ ويجعلونهُ رُقاقاً في أرقّ ما يستطاع ويختبزونهُ في تنورٍ جديد ثم يقطعونهُ قِطَعاً مستديرة فاذا قدّس عليهِ كهنتهم صار خبزاً سماويّاً من مثل ما يقتات منهُ سكان عالم الأنوار ويناولونهُ للشعب في ايام الاعياد وهم يتعمدون قبـل

تناوله ولا يستحقهُ الا من كان حسن السمة مشهورًا بالصلاح . وفائدتهُ عندهم تجديد قوة الايمان وتجديد تطهير النفس واذا كان متناولهُ من اهل الورع وتأمل في سعادة عالم الانوار امكنهُ ان يراهُ بعيني رأسهِ منبسطًا امامهُ فيتمتع بنظرهِ ما دام في ذلك التأمل . واذا أثم المتناول بعد اخذهِ كان عقابهُ عشرة اضعاف مما لو أثم بدونهِ

وهم يعظّمون يوم الاحد وينقطعون فيهِ عن الاشغال لانهُ في هذا اليوم من كل اسبوع ينزل «خوشبو»[1] احد الثلاث مئة والستين شخصًا السماويين من عالم الانوار فيعمّد اهل مشوني كوشتو ولذلك يسمون هذا اليوم باسمهِ كما سبق الكلام عليهِ . ولهم عدا الأحد ستة اعياد منها يوم رأس السنة ويسمونهُ « نوروز ربّو » اي النوروز الكبير ويقع في اول يوم من الشهر الاول من الشتآء وهو ستة ايام . وفي الليلة التي يكون العيد في غدها تصنع كل أسرةٍ آنيةً من الخزف بعدد اهل البيت ويملأونها فاكهةً رطبةً ويابسةً كالتفاح والجوز واللوز واشباهها وتُحفَظ لتؤكل بعد انقضآء العيد وتدخر كل أسرةٍ ما تحتاج اليهِ من المآء لتشربهُ في ايام العيد لانهُ يحرُم عليهم الخروج الى النهر في تلك الايام . وفي ليلة العيد يتعمد الصابئة بأسرهم ولئلا يصابوا بجنابةٍ في تلك الليلة يحيونها سهرًا الى الصباح ولا يخرجون في ذلك النهار مخافة ان يتدنسوا بشيء يلمسونهُ ولو ساق شجرةٍ او طاقة بقل واذا وقع لهم ذلك اضطرّوا الى الاغتسال في النهر والبقآء اربعًا وعشرين ساعةً دون غذآء . وفي ذلك اليوم ينظر القسّيسون والعلمآء منهم في كتب التنجيم ليعلموا ما يكون في تلك السنة من خصبٍ او جدبٍ . ومن كان عندهُ شيء من الحيوان لم يجز لهُ الاهتمام بهِ ايام العيد ولا الاغتذآء

---

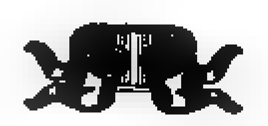
١ روى هذا الاسم فى صفحه ٢٠٢ خوشابو والصواب ما هنا

بلبنهِ ولذلك يهدون في مواشيهم قبل العيد الى جيرانهم من النصارى او المسلمين فيهتمّون بها ويغتذون بألبانها ولا يجوز لهم في مدة العيد ذبح شيء من الحيوان ولذلك يُعِدّون ما ياكلونهُ من اللحم قبل العيد

ومن اعيادهم عيدٌ يقال لهُ «الفانشو» او «الطانشو» وهو خمسة ايام هي التي يكبسون بها سنتهم لان جميع الاشهر عندهم ثلاثون يوماً على السوآء والسنة ثلاث مئة وخمسة وستون يوماً. وموقع هذه الايام بين الشهر الثامن والتاسع وكلٌّ منها مخصوصٌ بواحدٍ من الاشخاص الثلاث مئة والستين السماويين فالأول لأنوش اوثرو والثاني لشيشلوم ربّو والثالث ليوخاشاركنّو والرابع لنابوت زيوو والخامس لبهرام ربّو. وفي هذا العيد يتعمد الصابئة بأسرهم ويلبسون البياض ثم على كل واحدٍ منهم رجلاً كان او امرأةً ان يغتسل في النهر ثلاث مرّاتٍ كل يوم اي قبل كل وجبةٍ من الطعام. وهذا العيد مخصوصٌ بأن لا يجوز تقديس الكنائس المُحدثة الاّ فيهِ ولذلك اذا ارادوا بناَء كنيسةٍ شرعوا فيها قُبَيل حلولهِ حتى تكون في اول يومٍ منهُ مُعَدّةً للتقديس. والكنائس عندهم انما تُبنَى من القصب ولا تكون الاّ بجانب نهرٍ فياخذون القصب حُزَماً مشدودةً ويخطّون بقرب النهر الخط الذي ينبغي ان تُرفَع الجدران عليهِ ثم ينصبون تلك الحزم ويشدّون بينها بالحبال ويسقفون عليها بمثل ذلك ثم يقرمدون الجدران والسقف بالطين. ولا يكون للكنيسة الاّ نافذتان وباب والباب لا يكون الاّ من جهة الجنوب ليستقبل الداخل نجم القطب القائم تحتهُ عرش أواثار على ما تقدم ذكر ذلك وهو قِبلتهم ابدًا. ومساحة الكنيسة لا تكون اكثر من سبع اذرع طولاً في ستٍّ عرضاً. واذا تم بنـآؤها جعلوا بجانبها حوضاً يجرون اليهِ شيئاً من مآء النهر في قناةٍ يحفرونها بحيث يكون الحوض دائماً مملوءًا

واما التقديس فيتمّ على ايدي اربعة قسوس في الاقلّ وشمّاس فيعمّد القسوس بعضهم بعضاً في النهر ويعمّدون الشماس معهم ثم يدخلون الكنيسة ومعهم رَحًى وحمامة وشيءٌ من الفحم والحنطة المغسولة والسمسم المنقّى . فيشرع الشماس في طحن الحنطة ويوقد القسوس الفحم ويستخرجون دهن السمسم ويجعلونهُ في قارورة . ومتى تمّ طحن الحنطة يأخذون طائفةً من الدقيق ويعجنونها بالمآء ويصنعون منها ستين قرصاً صغيرًا وينضجونها على النار ثم يذبحون الحمامة ويُصَفّون دمها في قدح — والحمامة عندهم رمزٌ الى موروذّر بوتو يزعمون انهُ امرهم بذبحها في مثل ذلك الوقت واخذ دمها ليكون لهم بهِ نوعٌ من الاشتراك السرّي تذكارًا لهُ — . فاذا بردت الاقراص صلى القسوس عليها وقطروا في اثنآء صلواتهم على كل واحدٍ منها اربع قطراتٍ من زيت السمسم ومثلها من دم الحمامة يُسقِطونها على هيئة صليب وبعد ذلك يصافح القسوس والشماس بعضهم بعضاً بالأيدي مصافحة سلام ثم يخرجون ويغلقون باب الكنيسة. وهذا الاحتفال يستمرّ من لدن الصباح الى الظهر . وفي اليوم الثاني يعودون فيصنعون ما صنعوهُ بالامس ما خلا امر الدقيق والزيت والدم وكذا فيما يلي من الايام الى الخامس وهو آخر ايام العيد وحينئذٍ يتم تقديس المكان فيأخذون الحمامة ويدفنونها في ارض الكنيسة ويجمعون الثلاث مئة قرص المقدسة وهي التي صنعوها في الايام الخمسة فيجعلونها في انآء يسدّونهُ سدًّا محكماً ويحفظونها في الكنيسة الى حين الاستعمال

ستأتي البقية



اللغة والعصر

(تابع لما في الجزء السابق)

ومهما يكن من امر هذا المجتمع فقد مضى على وجههِ ودرجت بعدهُ الايام ودبّت الليالي والحاجة في مكانها والرغبات متطالّة والخواطر هائمة والاقلام جافّة واللغة على ما كان من عهدها لم تستغنِ بتلك الكلمات العشرين ولا وُجِد بعد ذلك من أجرَى لها ذكرًا ولا أخطرَ للنظر في امرها فكرًا فكأن ذلك المجتمع انما عُقِد لتثبيط العزائم عن نهضتها وقطع آخر عرقٍ من الامل وكأن اربابهُ نفرٌ من الاطبّاء اجتمعوا للائتمار على عليل فكان قُصارَى ما في طبهم أن قضوا باليأس منهُ ثم خرجوا وهم يقولون عظّم الله اجركم في الفقيد

فبقي الآن إمّا ان نُسجِل بموت اللغة وموت الآمال معها واليأس إحدَى النتيجتين وامّا ان نستأنف العزم ونجدّد السعي في احياء ما اندثر منها وتداركُ ما طرأ عليها من الثُلَم وهو ما لا تزال الآمال فيهِ منوطةً بهمم رجال هذا القُطر ان نَشِطوا لهُ وتفرغوا للاشتغال بهِ وتنبهوا لمكان اللغة من الأمّة وأنها هي عنوانها والفصل الذي تتميّز بهِ من سائر الأُمم بل اللغة هي الأُمّة بعينها فكما تشخص تاريخها وعلومها وعاداتها وعباداتها فانها تشخص الأُمة بنفسها وبها يشار اليها ويُدَلّ عليها وذلك فضلاً عن أنها هي مجمع أُلفتها والوُصلة الحسيّة بين آحادها وجماعاتها فهي علّة الضمّ الحقيقية بينها والجامعة الطبيعية التي بها يستتبّ معنى المدنيّة واذا تفطنتَ للمراد من قولهم الانسان مدنيٌّ بالطبع شفّ لك عن حقيقة هذا القول وتبيّنتَ موضع اللغة من الحالة الاجتماعية . واعتبر ذلك في الأُمم الاوربية لهذا العهد فانها على اتحاد اكثرها في النِحلة الدينية وما

يصل بينها من لحمة النسب انما تتميز الجنسية عندها باللغة وهي الفصل الفارق بين أمّةٍ وأمّة وعليها مدار الوحدة الوطنية وصيانة المصلحة الأمّية وما لم تتحد الأمّتان منها في اللغة لا يُؤمَن انتقاض احداها على الاخرى ولو اتحدت بينهما المصلحة الوطنية والجامعة السياسية . بل انظر الى الناطقين بلساننا العربيّ فانهم على تباينهم في الأنساب والأديان والعوائد الى ما لا تجد لهُ مثيلاً في العالم كلهِ وعلى ما بينهم من اختلاف الحال السياسية وتفاوت المصالح الذاتية وتضافر دواعي الشقاق والافتراق لم تثبت لهم جامعةٌ ينضمون بها ويتألفون حولها سوى اللغة حتى لقد تجد من الدخلاء فيها من هو اشدّ اعتصاماً بها ومحافظةً عليها ممن ورثها عن أوّليتهِ وانتهت اليهِ عن غير كلالة

بل عندنا اليوم ما هو ابلغ من ذلك وهو ما نراهُ من كثيرٍ من فتياننا الذين يتلقّون العلم في المدارس الاجنبية فانك تجد كل فريقٍ منهم قد أُشرِب الميل الى الأمة التي يدرس في لسانها فمن تعلم في المدارس الانكليزية مثلاً خرج ميلهُ انكليزيًّا وكذا من درس في المدارس الفرنسوية او الطليانية او غيرها حتى تراهُ يباهي برجال تلك الأمة ويتبجح باخبار ملوكها وكبرآئها وفضائل اهل العلم والشعر منها ويقتبس كثيرًا من اخلاقها وعاداتها ويتشبه بمشاهير اهلها ومن يقع في نفسهِ منها موقعاً وربما أُشرِب عقائد بعض علمآئها وفلاسفتها الى غير ذلك مما لا تكاد تفرقهُ فيهِ عن احد افرادها بل ربما بلغ من بعضهم ان ينزع الى اللحاق بجنسيّتها والانتظام في عداد آحادها فيطلب مشاركتها في الوحدة الحسيّة بعد الوحدة المعنوية وهو نهاية ما يمكن تصوُّرهُ من الشواهد في هذا الباب

وهذا الامر مما تنبهت لهُ الامم الفاتحة من قديم واتخذتهُ قاعدةً تجري عليها في تقرير فتوحها وتوثيق سلطانها واتقآء سَورة المغلوبين اذا حزبهم من

ناحيتها ظلمٌ او سامتهم شيئاً من ضروب الخسف وحسبُنا شاهدًا عليهِ ما هو جارٍ ليومنا هذا في الجزائر وتونس من البلاد العربية حيث أُهمل تعليم اللسان العربيّ في المكاتب الا بمقدار ما يتُوصّل بهِ الى تلاوة القرآن وجُعل كل ما سوى ذلك باللغة الفرنسوية حتى كادت العربية تُتناسى في تلك الاقطار ولم يبقَ منها الا ما يتداولهُ العامة من اللفظ المبذوء والكلام السوقيّ وغابت عنهم محاسنها وعلومها وتواريخها وآدابها وعلى الجملة فانها صارت عندهم امرًا تافهًا لا معنى لهُ ولا رغبة فيهِ وهي سائرةٌ في طريق الاضمحلال بما تغلّب عليها من العجمة وشيوعها على ألسنة اهل البلاد وذلك فضلاً عما يبهرهم كل يومٍ من اقتدار الفاتحين وما يرون من آثار سطوتهم ونفوذ شوكتهم وضخامة ملكهم وما لهم من ضروب التفنن في العلم والاختراع مما تتعاظمهُ نفوسهم يومًا بعد يوم وعن قليلٍ ستصبح هذه اللغة عندهم كأن لم تغنَ بالأمس ولم تكن شيئاً مذكورًا . ولذلك كان من اوجب الواجب في المحافظة على بقآء الأُمة وصيانة الجنسية بينها احيآء لغتها بين عامة اهلها وتكثير سواد اهل العلم منها والتجافي بها ما امكن عن لغات الاعاجم الّا الخاصة الذين عليهم المعوّل في نقل علومهم الينا ونشرها بلغتنا بحيث نلحق بهم في الحضارة دون الجنسية . وهذا انما يتمّ اليوم بأن تنهض الأُمة بنفسها لهذا الامر الخطير ويتجرّد لهُ عقلآء سراتها واهل العلم فيها لا يتكلون في ذلك الّا على انفسهم ولا يصدرون الّا عن عزائمهم والّا فان استنامتهم الى من سلّم اليهم قياد العلم وتهذيب الأُمة في القطر لا يُعَدّ الا ضربًا من التغرير بمصلحتهم والإعانة على اضمحلالهم وما ظنك بقومٍ بعضهم مغلوبٌ لسيطرة الاجنبيّ يعمل بما يُوعَز اليهِ لا بما يراهُ وبعضهم منقادٌ لسلطان التعصب وهو هادمٌ لأركان العلم من قواعدها ذاهبٌ برسوم الجنسية من اصلها مُفرِقٌ لهذه الشرذمة الباقية

في لجٍّ لا يُعرَف لهُ دَرَكٌ ولا ساحل و بعضهم مقيمٌ في ظلال الجهل والأُمّية لا يميز الأَلِف من الرآء ولا التآء من اليآء . . . ثم ليعلموا أن العاملَين اللذين يتنازعان الأُمة لهذا الوقت لكليهما وِجهةٌ واحدة يلتقيان عندها وان اختلف طريقهما وغرضٌ واحد يرميان اليهِ وان تباعد موقفهما ألا وهو استئصال أُرُومة الجنسية والذهاب بآثار الوطنية فان استيقظوا لما أُرصِد لهم و بادروا الامر قبل موقعهِ والّا فهذه لغتهم عن قليلٍ ستسقط من عالم الأَقلام وتُستبدَل برطانةٍ اعجميةٍ بل تصبح ألسنتهم اشبه بألسنة اصحاب الصَرْح وأَشراطُ الامر باديةٌ من الآن فليعتبروها واذا مضى على هذا زمنٌ يسير بقيت اللغة محصورةً في المساجد والمحاكم الشرعية ولم تجدها في الحادثات اليومية الّا على ألسنة اقوامٍ من الفلّاحين واهل البادية لا يُطلَق اسم العربيّ الّا على شراذم من اولئك وبئس الخَلَف

وقد اطلنا في هذا المعنى حتى كدنا نخرج عن المقصود وما نحن في شيء مما انسقنا اليهِ في هذا الموضع ولاهو من اغراض هذه المجلة وانما اوردنا ما اوردناهُ متابعةً لمقتضى البحث وايضاحاً لما توخيناهُ من بيان خطر اللغة في الأمة ومنزلتها من الجامعة الجنسيّة والحديث ذو شجون ولذلك نترك بقية هذا المطلب لزملائنا من اصحاب الجرائد السياسية يوفّونهُ حقّهُ من القول و يستنهضون الأُمة للعمل بهِ ان شآءت اذ هو من خصائصها وهمها ونعود الى ما كنا فيهِ من الكلام على اللغة واستئناف الوضع فيها سدًّا لما طرأ عليها مِن مواضع الخلل وهو ولا ريب من أخشن المباحث مركبًا وأبعدها مطلبًا وأغمضها آثارًا وأخفاها منارًا ومما لا يفي بهِ ماعندنا من المادّة التافهة والعلم النَزْر ولكنّا سنجعل البحث فيهِ ذريعةً الى ما نتوقعهُ من اقلام أئمة العلم في هذا العصر والله سبحانهُ وليّ الاعانة والتوفيق

ستأتي البقية

مقالة في التربية

لحضرة الكاتب الفاضل عبد الله افندي المراش نزيل مرسيليا

(تابع لما قبل)

فصل
في الرياضة

امّا رياضة الجسم فهي من اشدّ الاشياء ضرورةً لنموّ الولد ولا سيما اذا دخل الكتّاب وصار يقضي فيهِ بضع ساعاتٍ من النهار مكبًّا على الدرس اكبابًا لا يتأتى لهُ معهُ ان يبرح مكانهُ كلما اراد . فلذلك ينبغي ان يتخلل ساعات الدرس فترات متعددة يقضيها الاولاد بالرياضة واللعب كما يجب على المعلّم ان يُعدّ لهم او يضع بين ايديهم ما يستلفت انظارهم من فنون اللعب الذي يقتضي الحركة ومجانبة السكون حتى يلعبوا فتمرن بذلك ابدانهم في لين معاطف ويشتدّ عضلهم وتصلب اعضاؤهم من غير جسأةٍ . ولكن يجب عليهِ ايضًا ان يتفادى من اكراههم على صنفٍ من اللعب لا يحبّونهُ ومن صدّهم عن صنفٍ يحبّونهُ لان انفع اللعب لهم ما يعجبهم وما يلعبونهُ من تلقاء انفسهم ويجدون فيهِ لذةً وسرورًا . وفائدة الرياضة كلها قائمةٌ في هذا الامر وهو ان يلعب الاولاد اللعب الذي يستنبطون بهِ ويخترعونهُ او يختارونهُ هم لانفسهم لا اللعب الذي يقترح عليهم . وهذا بديهيٌّ لانهم ان أُكرهوا على صنفٍ من اللعب لا يحبونهُ ولا يعجبهم لم يجدوا فيهِ لذةً ولا لهوًا بل كان لهم بمنزلة مداومةٍ للدرس من غير انقطاع ولا فترةٍ فتفوت بذلك النكتة المرادة منهُ وهي اعفاؤهم من الدرس برهةً لراحة اذهانهم وترويح نفوسهم وشرح صدورهم . وزد على ذلك ان اللعب بمنزلة جائزةٍ لهم ينالونها على ما قاسوهُ من المضض في اكبابهم على القرآءة

والكتابة والدرس فكلما كانت تلك الجائزة احبَّ اليهم كانوا على اكتسابها احرص

ومن صنوف الرياضة التي تحسن آثارها فيهم لا في صباهم فقط بل في شبيبتهم ايضاً الرقص والسباحة والتمشي الى الارياف والمتازه في الايام المصحية وكذلك ركوب الخيل والتزاوف وهو شيءٌ مما يفعلهُ البلهوان

ثم انهُ من البغي ان يزجرهم عريفهم او معلمهم عن الضجيج والضوضاء والطقطقة والقهقهة اثناء اللعب بحجة انهُ يشمئز من ذلك فان هذه افعالٌ طبيعية لهم وتترتب على لعبهم فلا اظلم ممن يردعهم عنها فرارًا من احتمال مشقةٍ يسيرةٍ بسببها

وكذلك يحسن ان يشركهم عريفهم في اللعب ترغيباً لهم فيهِ وتجرئةً لهم عليهِ لانهُ ان اعتزل اللعب معهم شعروا بانهُ رقيب عليهم لاغير فمقتوهُ لان كل رقيبٍ ممقوت بغيض

ويحسن ايضاً ان يكون لعبهم على رهنٍ او جائزةٍ زهيدةٍ من نحو كتابٍ او غيرهِ ينالها في ختام السنة من كان ابرعهم في فنون اللعب لان ذلك يرغّبهم في هذا الضرب من الرياضة ويحملهم على المغايرة وينشطهم على المباراة فتحسن آثار ذلك فيهم اذا شبّوا لانهم يعتادون بهِ المغالبة التي لا بدَّ منها في هذه الدنيا لدفع المضارّ واجتلاب المنافع

المطلب الرابع
في التربية الذهنية

الفرق بين التعليم والتربية ان ذاك قائمٌ بتلقينك الولد شيئاً من المعارف بمقدار ما يتسع لهُ ذهنهُ بالنظر الى سنّهِ ومزاجهِ وتلك قائمةٌ بارهافك ذهنهُ شيئاً فشيئاً ليتهيأ ويتّسع لقبول ما ستُلقيهِ اليهِ من تلك المعارف. والتعليم خاصٌّ لانهُ مقصورٌ على امداد قريحة الولد بما يلائمها من موادّ المعارف الانسانية اما

التربية عامةٌ لانها تتناول ما فيهِ انمآء بدنهِ وتقويم سيرتهِ وتهذيب اخلاقهِ فضلاً عن ارهاف ذهنهِ . وكل مَن ربيتهُ فقد علمتهُ شيئاً او اخرجتَ من القوة الى الفعل ما كان كامناً في فطرتهِ من القوى العقلية وايقظت ما كان من ذلك راقداً في مجبّتهِ ولكن ليس كل من علمتهُ شيئاً فقد ربيتهُ . فان قلنا هذا غلامٌ حسن التربية فقد وصفناهُ ايضاً بان لهُ الماماً بشيء من المعارف ولكن ان قلنا هذا غلامٌ لهُ المامٌ بشيء من المعارف لم ينتج من ذلك بحكم الضرورة انهُ حسن التربية ايضاً فالتعليم اذًا فرعٌ من التربية وذريعةٌ من ذرائعها لا التربية كلها كما يذهب اليهِ بعض الناس

والتربية باطلاق اللفظ اي التربية العامّة التامّة هي عملٌ عظيم مهمٌّ متعدّد الاساليب متنوّع الكيفيات متفاوت السَّير والادوار مختلف الاعراض الاّ ان جوهرهُ واحدٌ كما ان غايتهُ واحدةٌ وهي اعانة الطبيعة على انمآء بدن الولد وتنوير ذهنهِ وتقويم سيرتهِ وتهذيب اخلاقهِ وكل ذلك بقدر الاستطاعة وعلى الوجه الاصلح لهُ فيما سيصير اليهِ والاصلح للجمهور ايضاً . وهذه الغاية يدركها المربي سوآء كان ابًا او امًّا او معلماً او استاذًا بذرائع متعددة قد ارتبط بعضها ببعضٍ لابراز فعلها ارتباط بعض دواليب الساعة ببعضٍ حتى اصبحت ولا غنى لاحداها عن الاخرى

فذرائع تربية البدن قد تقدم منها في موضعهِ ما يغنينا عن تكرارهِ هنا اما ذرائع تنوير الذهن فمن اهمها ما نحن بصددهِ من التعليم . الاّ ان هذا التعليم ينبغي ان يُبتدأ فيهِ بالاشيآء اي بتفهيم الولد معاني الاشيآء التي تقع تحت حواسّهِ وتفسيرها لهُ بالصوت الحيّ اي بالتلقين الشفاهي وبمجاوبة الاسئلة التي لا ينتر عن طرحها بالاشارة او باللسان لان طلب التعلم غريزيٌّ قد فُطر عليهِ

الاولاد كافةً . انظر الى هذا الطفل وهو بعدُ في مهدهِ فان تحديقهُ النظر في كل غريب يدنو منهُ وتناولهُ كل ما تقع عليهِ يدهُ ليحملهُ الى فمهِ ويعضّ عليهِ كل ذلك استفهامٌ غريزيٌّ ورغبةٌ طبيعيةٌ في الاستطلاع بها يبتدئ تنوُّر عقلهِ فيشرع في ادراك المدركات وتفهّمها بالاختبار والامتحان من تلقآء نفسهِ وعلى قدر استطاعتهِ وهذا اكثر انواع التعليم والتعلّم فائدةً . وانظر ايضاً الى هذا الصغير اذا ذهبت بهِ امهُ او ظئرهُ او حاضنتهُ الى البستان او احد المنازه فانهُ قلّما يقطف زهرةً او يصطاد فراشةً او يلتقط حصاةَ الّا جآء بها الى مَن يكون معهُ وفي بريق عينيهِ وتهلل وجههِ دليلٌ لا على اغتباطهِ بما وجد فقط بل على رغبتهِ ايضاً في معرفة شيءٍ من امرهِ يطلب ذلك تارةً بالاشارة والتلميح وتارةً بالتصريح بقولهِ لماذا وماذا وما جرى هذا المجرى من الاسئلة التي لا يكاد يفتر عن طرحها علينا ولا نكاد نحن نفتر عن زجرهِ عنها محتجّين انهُ لا يليق بمن كان في سنّهِ ان يكون فضوليًّا متطالاً حتى اننا اذا جاوبناهُ عليها فكثيرًا ما نجعل جوابنا قليل الفائدة او مخالفًا للحقيقة وذلك اما جهلاً او كسلاً او لعلةٍ اخرى . وقد مرَّ بك ان التربية غايتها ان تؤهل الانسان منذ حداثة سنهِ لان يكون رجلاً بالحق اذا شبَّ وهذا يقتضي من المربي كائنًا من كان ان يُعنى باعانة الطبيعة على انمآء ذهن الولد وتقويتهِ عناية الزارع بالزرع وعناية الكرّام بالكرمة فكما ان الزارع يتعهد الزرع ويقتلع ما ينبت في خلالهِ من شوكٍ يخنقهُ وزؤانٍ يفسدهُ وكما ان الكرّام لا يترك الكرمة لشأنها بل يتعهدها بالتقضيب والتعريش والسقي فكذلك يجب على المربي ان يحرص على تقوية ذهن الولد وارهافهِ وتهيئتهِ لما سيُلقى اليهِ من المعارف وما سيُلقّنهُ من التهذيب لان التربية انمآء وتقويةٌ لا لبدنه فقط بل لذهنهِ ايضاً الّا انها ينبغي ان تكون في امر

الذهن كما هي في امر البدن اي رويدًا رويدًا وبحسب ترتيب الطبيعة وتبعًا لمجراها لا ابتسارًا ولا قسرًا لان كل ما ابتسرتهُ او انميتهُ قسرًا او لم تقوّ ِ لابراز الثمار التي تحبّ ان يبرزها فقد انميتهُ عبثًا وعرّضتهُ لوشيك الذبول واليبس لمخالفتك فيهِ مجرى الطبيعة وكنت فيهِ كالذي يستنبت شجرةً لا في ارضٍ طيّبةٍ بل في بيتٍ من الزجاج ويغذوها سمادًا كيماويًا ويسقيها ماءَ العقاقير لا ماءَ طبيعيًّا من مطر الغمام او ندى الاسحار ويحملها على سرعة النموّ بحرارة النار او البخار لا باشعة الشمس والهواءَ الطيّب ثم يطمع في ان تثمر ثمرًا صالحًا زكيًّا لكنها قلما تثمر وان فعلت فثمرها يكون في الغالب تفهًا لا يستلذهُ احدٌ ثم انها وان سمقت اغصانها تبقى ضعيفةً قلقةً لان اصولها غير راسخةٍ في ارضٍ تلائمها فاذا زُعزعت ايسر زعزعةٍ انقلعت

وهذا الضرب من الانماءَ الابتساريّ القسريّ لاذهان الاولاد هو عين ما نراهُ في بلادنا بل في غيرها من البلاد ايضًا فما اكثر المدارس عندنا ولكن ما اقلّ نفعها وانما قلّ نفعها لان القيّمين عليها لا يلتفتون الى تربية الاولاد فيها بحسبما سنّت الطبيعة ولا يراعون في ذلك ما تقتضيهِ الحال بل بحسب زعمهم او وهمهم او بحسب ما تحدوهم اليهِ مصلحتهم او ما يحدوهم اليهِ زهوهم وزهو الوالدين ايضًا فيحشون رأس الولد قواعد علومٍ لا تلائم طبعهُ ولا توافق ميلهُ واستعدادهُ ولا تناسب سنّهُ وطبقة اهلهِ ولا يفهمها هو نفسهُ لانهم لم يرشحوهُ لها من قبل ذلك فالولد الذي يربّونهُ هكذا يصبح وهو ابن اربع عشرة سنةً اعجوبة زمانهِ ونابغة عصرهِ حفظًا لانواع البديع وابيات الالفيّة واسماءَ بحور الشعر واصناف الزحاف واصطلاحات المناطقة لكنهُ يبقى طول عمرهِ مائقًا مغفلًا بليدًا ان استكتبتهُ بضعة اسطرٍ شحنها تسجيعًا وتجنيسًا لكنهُ لحن فيها مرارًا باعتبار اللفظ واخطأ

المرمى باعتبار المعنى وان استنشدتهُ بيتاً لم يُتم وزنهُ وان غالطتهُ بقياسٍ سوف ما آني لم يدرِ من اين دخلت عليهِ المغالطة

وانما كانت هذه حالة اكثر الاولاد في بلادنا لاننا نتوهم ان تربيتهم قائمةٌ بمجرَّد تدريسهم بعض قواعد العلوم فنكرههم على تعلمها والأولى ان نقول على تحفُّظها غيباً وهم في سنٍّ لا تصلح لها وطبعٍ ينفر منها ومن قبل ان نهيئهم لادراك مغزاها بالذرائع العملية البديهية اي بتنوير اذهانهم اولاً وتقويتها شيئاً فشيئاً وذلك بالخطاب قبل الكتاب حتى يترشحوا لقبول الدروس التي ستُلقى عليهم بعد ذلك فيتفهَّمونها ويتشرَّبونها ويطبّقون احكامها الكلية على ما يجري كل يوم على مسمعٍ منهم ومرأى من الاحوال والحوادث الجزئية ويكونون الى تحقق صحة تلك الاحكام اسرع لانهم تيقنوا انطباقها على الجزئيات التي لابسوها واختبروها بانفسهم من قبل . اما القواعد التي نحملهم على تحفّظها غيباً ومن غير فهمٍ عليّ لمعانيها فتكون عندهم من قبيل الالغاز والاحاجي ويصير مثلهم فيها كمثل الحمار يحمل اسفارًا ولا تستقرّ في ذاكرتهم الاّ حيناً ثم ينسونها بتةً

وما اكثر تبجحنا اذا ختم الولد منا دروسهُ هذه ونال الشهادة او حاز الاجازة من الفاحصين وما اشدّ مباهاتنا بما يسردهُ يومئذٍ علينا وعلى اصدقائنا من جُمَلٍ مطنطنةٍ لا يدري معناها ومن قواعد عويصة لا يقدر ان يبني عليها شيئاً اذا مست الحاجة . مساكين الاولاد الذين هذه حالهم فهم ينشؤون وينمون ولكن تفوتهم التربية الحقيقية اي الذهن المخرَّج والفهم المنبَّه والعقل المستنير وغير ذلك من صفات الذكاء التي بها لا بسواها يمكنهم ان يتعلموا كل ما يصلح لهم وما يؤهلهم لان يكونوا رجالاً

ستأتي البقية

الاحلام

الحلم عبارة عما يحدث في النوم من تمثل صورة عقلية ليس بينها تناسب تتولد من تنبه بعض اجزاء الدماغ وهو ملازم لكل انسان في جميع اطوار الحياة فلا يكون نوم بدون حلم . وذلك ان الدماغ مؤلف من شطرين ايمن وايسر يشتمل كلٌّ منهما على اجزاء كل جزء منها يقابل مثلهُ في الشطر الآخر في شكلهِ وبنائهِ وعملهِ . وقد ثبت الآن ان لكل جزء من اجزاء الدماغ عملاً خاصًّا يستقلّ بهِ مع ما بينها من الاتصال لان الالياف العصبية تتقاطع في اتجاهها الى حيث تنتهي على كيفية تُعرَف من علم التشريح فيحدث اشتراك في صدور الاحداث العقلية او ورودها غايتهُ التكافل لقيام المنفعة العامة كما يتضح ذلك من علم منافع الاعضاء . ولا يخفى ان كل عضو يعمل عملاً يهلك من دقائقهِ شيء يعادل قوة العمل ومدتهُ فيحتاج الى الراحة والسكون للتعوض عما خسرهُ وهذه الراحة تتفاوت بالنظر الى الاعضاء من حيث لزومها وشدة الحاجة اليها فتكون في القلب عبارة عن الفترة بين نبضاتهِ وتقع في الدماغ على هيئة النوم والسبات . فاذا كان النوم كاملاً مستوفيًا شروط الصحة استراحت الاجزاء المؤلف منها الدماغ كلها فلا تحدث حينئذٍ الاحلام وذلك في رأي كثير من المحققين ممتنع لان اجزاء الدماغ لا تعمل كلها ولا تستريح كلها دفعةً واحدة بل لا بد ان يبقى بعضها مستيقظًا مدة النوم يتنبه بما يطرأُ عليهِ من المؤثرات سواء كانت ظاهرة او باطنة ولذلك كانت الاحلام مستمرة الحدوث ولو لم يتذكرها الانسان دائمًا لضعف الاثر الباقي عنها في المخيلة فهي سريعة الزوال واقرب الى النسيان

والاحلام من حيث منشأها على نوعين الاول ما يحدث عن تنبه في

الخارج يُنقَل بالاعصاب الى الدماغ فتحدث ثم خيالات بينها الاستعداد الخصوصي بحيث تتألف منها صورة عقلية لا تنطبق على الاثر الحادث في الخارج لان النائم لا يدرك ماهية المؤثر كما يدركهُ المستيقظ . والثاني ما يحدث عن تنبُّه في الباطن يتهيأ بهِ تجمُّع الصور الذهنية في محلها من الدماغ على كيفية يترتب عليها تخيُّل امورٍ انطبعت من قبل في الذاكرة . وبينهما رتبة متوسطة تحدث فيها الاحلام بالايهام كأن يُوهَمَ النائم امرًا فيحلم بهِ واكثر ما يكون ذلك في طور الانتقال من النوم الى اليقظة

ومن تأمل في ما يعرض للانسان اثنآء تفكرهِ وانهماكهِ بامرٍ مهمّ من انتقال الفكر فجأة الى تذكر شيءٍ ليس لهُ علاقةٌ بالحالة التي هو فيها لم يفتهُ ادراك ما يحدث في النوم من مثل ذلك حيث تبدو صور الاشيآء في اجزآء الدماغ غير الواقع عليها السكون اما فجأةً لتنبُّهٍ داخلي او منقولةً عن طريق الحواس لتنبهٍ خارجي وهو الغالب فيها. وقد تقدم آنفًا ان اثر التنبه المذكور لا ينطبق على حقيقة المؤثر ولكنهُ يختلف عما يكون عليهِ في حالة اليقظة من حيث القوة والضعف فقد يكون التأثير قويًّا ولو كان المؤثر ضعيفًا . ولما كانت اجزآء الدماغ مرتبطةً بعضها ببعض مع استقلال كل منها بعملهِ لتقاطع الالياف العصبية كما تقدم وكانت القوى العقلية المتصرفة بحقائق الامور غير عاملة في النوم ترتب على ذلك حدوث صور غريبة متنافرة مختلفة في الشدة والخفة فاذا أدنيت من جفن النائم مصباحًا يحلم بحدوث حريقة او بوميض البرق وقصف الرعد وانقضاض الصواعق واذا قربت من انفهِ قارورة طيب يحلم انهُ على وشك الاختناق وانهُ يستروح رائحة النتن والقذر او يستنشق رائحة لا مثيل لها في المشمومات واذا نضحتهُ بنضحة مآء لطيفة حلم بانهمار القطر

ومن غرائب ما يحدث في الحلم خداع الحس وهو ان يرى النائم نفسهُ في غير حالهِ الطبيعية كأن يحلم برجوعهِ فتى عاد الى المدرسة يدرس العلم ويتهيأ للفحص ثم يقف امام اساتذتهِ ليفحصوهُ فهم يطارحونهُ الاسئلة وهو يوضح المسائل ويحل المشاكل الى غير ذلك مما يُثبت لنفسهِ البراعة والفضل . ومنها تغيُّر الشخصية وهو ان يرى النائم نفسهُ غير ذلك الصانع الحقير مثلاً وانما هو ذلك الملك الخطير بعينهِ يتسلط على امتهِ ويتحكم في رعيتهِ وكان احد ضباط الالمان يُعجَب ببسالة انيبال فحلم انهُ استحال الى هذا البطل وانهُ يعبّئ الصفوف ويرتب الجيوش ويهاجم الاعداء بصفة كونهِ اياهُ

ومن الثابت ان مدة الحلم قصيرة على ان ما يقع فيها من المشاهد والمواقع التي تستغرق الزمن الطويل امرٌ يفضي الى العجب فربما حلم الانسان في بضع ثوانٍ بمواقع لا تتم في اقلّ من عدة سنين لو كانت حقيقية والامثلة على ذلك كثيرة يستطيع كل انسان ان يحققها بنفسهِ فلا نطيل الكلام عليها

ومما يستطيع كل انسان ان يحققهُ بنفسهِ الحلم بامرٍ ذي بالٍ مما كَثُرَ التفكر بهِ لبقاء اثرهِ في الدماغ فاذا فقد احد عزيزًا عليهِ لا يزال يحلم بهِ كلما عنَّ لهُ ذكرهُ ومن ذلك الحلم بما يميل اليهِ طبعهُ فالعاشق لا يسترّ بهِ الوسن الا بزّ بجفنهِ طيف حبيبهِ والشجاع يحلم بانهُ يصارع الابطال ويصرع الاقيال ويصول في حومة القتال والخطيب يرى نفسهُ وهو على منبر الخطابة يقرع الاسماع بزواجر وعظهِ ويخلب الالباب بجواهر لفظهِ وكلما تخيَّل انهم يضجون باستحسان كلامهِ ازداد عجبًا بنفسهِ فزاد في نثرهِ ونظامهِ وبعض اذكياء العقول يحلمون بما اشتغلت بهِ افكارهم في النهار واعضل عليهم حلهُ فينكشف لهم في الحلم سترهُ ويظهر سرّهُ وقد استعظم كتبة الافرنج ما نظمهُ شاعرهم ولتر من

القصائد في نومهِ ولشاعرنا الشهير الشيخ ناصيف اليازجي رحمهُ الله ابياتٌ نظمها في نومهِ حين كان في مرضهِ الاخير وقد حلم نفسهُ في سن الصبوة وانهُ كان يدرس العلم على احد مشايخ الازهر فقال يهنئهُ بعيد الفطر

هلالُ شوّال في ذا العيد حيّاكا والأفق حيّاهُ بدرٌ من محيّاكا
يا ايها الشيخ انت البحر في ادبٍ ونحن سحبٌ رواها فضل سقياكا
انا الفقير بعلمٍ جئت اطلبهُ والله في العلم بين الناس اغناكا
لا زلت تقطع اعيادًا وازمنةً تمضي بخيرٍ وعين الله ترعاكا

ومما يجدر ذكرهُ في هذا المقام الحركات التي يبديها النائم وهو يحلم بامرٍ فاذا حلم الانسان بامر مفرح ظهر على وجههِ الانبساط والابتسام وشوهدت امرأة تحرك فمها وهي نائمة حركات تشبه النفخ فلما استيقظت اخبرت انها حلمت بانها اطفأت مصباحًا . وكثيرًا ما يسمع النائم يتكلم في نومهِ فقد ذكر عن كثيرين انهم كانوا يفشون اسرارهم في نومهم . وكثيرون يجاوبون على الاسئلة التي يُسألون عنها وهم نيام . وبعض الاولاد يتكلمون مع امهاتهم وهم نيام وربما خاطبت الحليلة زوجها في النوم حتى قد يحمل النائم على اذاعة سرهِ بان يُجارَى على افكارهِ متى بدأ بالاخبار عن امرٍ عرض لهُ فيمكن التدخل في وجدانهِ . ومن هذا القبيل ما حكاهُ الدكتور مُل من برلين وهو ان امرأة حلمت بانها تتكلم مع خليل لها ذكرت اسمهُ على مسمع من زوجها فوعاهُ وتظاهر بانهُ هو ذلك الخليل الذي برّحها هواهُ واضناها جفاهُ وما زال يستكشف سرّها ويستطلع امرها حتى برح الخفاء وانكشف الغطاء على انهُ عند ما كان يخاطبها بصفة كونهِ زوجها لم تكن تردُّ عليهِ جوابًا

ومما ينبغي التنبه لهُ ما تحدثهُ الاحلام من الاثر بعد اليقظة فان الذي

يحلم بسماع طلق مدفع يبقى دويّهُ في اذنيهِ مدةً بعد ان يفيق من نومهِ والبعض يشعرون بأثر الألم الذي حدث في الحلم وربما بقيت صورة الحلم في الذهن بعد اليقظة كانها حادثة حقيقية وقد يبقى بعضهم مغموماً يومهُ لحلم مخيفٍ عرض لهُ وبعد المرض تزداد علتهم اذا حلموا بها . وذكر بعضهم ان فتاةً حلمت بان رجلاً يتتبعها وهي تهرب منهُ فبقيت تحلم بهِ عدة ليالٍ وجسمها يهزل وورد خديها يذبل حتى اصابها شلل في الرجلين . ومن المقرر عند الاطباء ان الأمراض العقلية يدلُّ عليها خللٌ يظهر في الحلم اولاً وقال بعض المحققين ان الهذيان يبتدئُ في الحلم وعن اريسطو ان كثيرًا من الاعمال البشرية مبدأها الحلم والله اعلم

بيروت وجوّها

لحضرة الدكتور نجيب افندي بدورة في بيروت
تعريباً عن كتاب للمرحوم الدكتور يويّه في الكلام على بيروت
واحوالها الصحية

لما كانت مدينة بيروت خصوصاً وقطر سوريا عموماً محطّ رحال المصريين في الصيف ومطمح انظار الاوربيين في سياحاتهم لما هو مشهور عنهما من اعتدال الحرارة ورطوبة الهوآء وعذوبة المآء رأينا ان نأتي بلمحةٍ عن احوالهما الجوّية مقتصرين في ذلك على مدينة بيروت وضواحيها تاركين سائر انحآء سوريا لعدم توفّر وسائل البحث فيها

وملاحظاتنا هذه تشمل اربع سنوات متوالية من سنة ١٨٩٠ الى ١٨٩٣ كانت في خلالها الاحوال الجوية متطابقة على غاية من الدقة والضبط ولذلك لم نرَ من الواجب متابعة المراقبة في السنين التالية . وتمهيدًا لبيان ذلك نقسم

الاحوال الجوية الى خمسة فصول . الاول في حرارة الجوّ . والثاني في الرياح . والثالث في الامطار . والرابع في الثقل الجويّ . والخامس في رطوبة الهوآء

***

فأمّا معدّل حرارة بيروت في مدة هذه السنين الاربع فهو ٢١٫١° من المقياس المئوي (السنتغراد) خلافاً لما قال بعضهم من انهُ ٢٧° وهذا المعدّل قلّما تباين في خلال السنين المذكورة فانهُ كان يختلف ما بين ٢٠٫٩° — ٢١٫٦°

وهذا الاعتدال في الحرارة ناشئٌ عن موقع بيروت الجغرافي ومركزها على شطّ البحر وكونها شبه جزيرة واسعة الارجآء متصلة بالجبال التي تكتنفها . وقد يتبادر الى الذهن ان هذا الاعتدال فيها يجعلها مفيدة لاصحاب العلل الشعبية والرئوية المزمنة كالاستهوآء الصدري والتدرّن الرئوي وما شاكل ذلك لكن الامر بالخلاف كما سنذكرهُ في الكلام عن الوبالة لان هوآء بيروت مضرٌّ جدًّا لاصحاب هذه العلل

وقد لاحظنا بغاية التدقيق ان الحرارة تتدرّج بنظامٍ تامّ حتى شهر ايار ومن ثم تثبت على ميزان واحد مدة اربعة او خمسة اشهر مع بعض اختلافات يسيرة فيبلغ معظمها حينئذٍ ٣٠ — ٣٢° ثم تأخذ في التنازل بتدريجٍ متتابعٍ وسريعٍ حتى تصل في معظم الشتآء الى ٥° فلا يُشاهد ثمَّت لا ثلجٌ ولا جليدٌ الّا ان المطر قد يكون مصحوبًا ببَرَدٍ وهذا البَرَد يدوم عدة ساعات على الحضيض . واقلُّ تجليدٍ يؤثر في المساكن تأثيرًا مضرًّا لان الجدران رطبة كثيرة المسامّ

ولما كان ميزان الحرارة لا ينزل في بيروت عن ٥° كان يُشعَر فيها ببردٍ ليس بقارسٍ ولكنهُ رطبٌ غير مقبول يستلزم وجود مستدفاٍ في المنزل واهمُّ غاية

هذا المستدفأ ان يزيل عن الثياب ومن الهوآء المحيط تلك الرطوبة التي هي على الجسم اثقل من الزئبق واحسن المستدفآت ما يشعل بالغاز فانهُ يفي بالغاية المقصودة ولا ينتج عنهُ ضررٌ يُذكر

وربيع بيروت هو على الغالب لطيفٌ مقبول واما الخريف فلا يخلو من حرارةٍ ولذلك نكون في اشد الاشتياق الى سقوط اول مطرٍ فانهُ يذهب بالحرّ الشديد ويوافق سقوطهُ غالبًا ١٤ ايلول ثمَّ يحدث حرٌّ عظيم تعقبهُ امطار الشتآء المتوالية كما ذكرنا آنفًا . اما قيظ الصيف فما لا يطاق مع ان ميزان الحرارة لا يتجاوز ٣٢° لكن هذه الدرجة تدوم مدة اربعة اشهرٍ متواليــة فتثقل وطأة الحرّ على الجسم فتذيبهُ وتضغط على الدم فتحصلهُ ويظهر على البشرة نقاطٌ يكاد يحرقها وتُنزل كثافة الجوّ على الاعصاب سباتًا فترخيها وتذهب بالنعاس عن الاجفان فتكسّرها وتُنزِلُ بسائر الاعضآء شللاً فتُحدِث في وظائفها خللاً ولهذا كان الهزال والفاقة الدموية (الأنيميا) وضعف شهوة الطعام من اهمّ نتائج الحرّ الشديد وافراز العرق الكثير . هذا في بيروت واما في الجبال التي يبلغ علوّها ٦٥٠ — ٧٠٠ متر عن سطح البحر فتتغيّر الاحوال الجوّية ويكون الليل ثمت رطبًا و باردًا والنوم مقوّيًا ومعوّضًا وشهوة الطعام جيدةً والحرُّ معتدلاً

⁂

واما الرياح فالمتسلطة منها الغربية وهي تمرّ على رمال رأس بيروت الجردآء وتحمل منها ما يزيد في الغبار فلو غُرِست تلك التلول الرملية شجرًا من الصنوبر او غيرهِ لردّت عن البيوت المجاورة الغبار والرمال وجعلت تلك البقاع محالّ نزهةٍ يؤمها السواد الاعظم من سكان بيروت واتت بمنافع مادية ايضًا

ويتلو الرياح الغربية في الهبوب الرياح الجنوبية وهي صالحة . ثم الشمالية

وهذه كثيرًا ما يعقبها النزلات المختلفة كالزكام والتهابات الحنجرة والشُعب وما شاكل ذلك . اما الرياح الشرقية فليست بنادرة الهبوب في فصل الربيع والصيف وفي الجبال تكون اشدّ وهجًا منها في السواحل ومدّتها من ثلاثة الى اربعة ايام في اثنائها يتصاعد ميزان الحرارة الى ٣٣° في فصل الصيف . وبالجملة فان الرياح كيفما هبّت لا تشتدّ كثيرًا الاّ في الشتاء فانها تتقدّم المطر بعدة ساعات ثم تهدأ عند سقوطهِ . اما الزوابع فحدوثها نادرٌ جدًّا

⁂

واما الامطار فان الفصل الذي تنزل فيهِ في بيروت بغاية الانتظام ولهذا تُقسَم السنة الى قسمين فاصلين احدهما فصل الحرّ الشديد وهو يستمرّ اربعة اشهر اي حزيران وتموز وآب وايلول . والآخر فصل الامطار وهو ما بقي من السنة . وفصل الامطار هذا يقسم الى قسمين آخرين احدهما مدة الامطار الخفيفة التي تحدث في فصل الربيع والخريف والثاني مدة الامطار السيلية وهي فصل الشتاء وهذا الفصل الاخير امطارهُ طوفانية تسقط بغتةً كالسيل وتحيل الطرق الى انهارٍ جارفةٍ جميع الاقذار التي على ممرّها الاّ ان هذه الامطار لا تلبث طويلاً حتى ترى بعدها الشمس لامعةً في كبد سماء زرقاء خالية من الغيوم

اما الضباب فلا اثر لهُ في بيروت لكنهُ كثير الحدوث في غور نهر الكلب وفي بكفيا وبالجملة في جميع الاماكن التي يبلغ علوّها ٨٥٠ مترًا عن سطح البحر وهذا الضباب يدوم ثابتًا مدة ساعات طوال وقد يشاهد ايضًا وذلك في اوائل شهر ايلول في الاماكن التي تعلو ٣٠٠ متر عن سطح البحر وما فوق هذا العلوّ يكون الجوُّ رائقًا والشمس حادّةً فلا اثر للضباب هناك ولا للغيوم

اما معدّل المطر السنوي فهو ٨٩٤،٤ مليمترًا[1] وهذا المقدار العظيم من المطر يتوزع على ايامٍ قلائل بحيث ان الجوّ يكون غالب الايام صافيًا والنور مشرقًا ومحصَّل ما استُنتج من مراقبة السنين الاربع المذكورة ان سماء بيروت تكون رائقةً مصحية مدة ١٩٨ يومًا في السنة ومتلبدة بالغيوم مدة ١١٩ يومًا وماطرة مدة ٤٨ يومًا

***

واما الثقل الجوّي في بيروت فدرجتهُ الاعتيادية في ميزان الجوّ اي البارومتر ٧٦٠ مليمترًا واما اذا هبّت الريح الشرقية فانهُ ينحطّ الى درجة ٧٤٠ — ٧٤٥ ثم يتصاعد بعد المطر

***

واما رطوبة الهواء في بيروت فمع انها اقلّ منها في الاسكندرية فان البخار يتكاثف بعد غروب الشمس على الثياب والامتعة ويبلها وهذه الرطوبة تجعل بيروت غير موافقة لاصحاب العلل الشُعبية والرئوية فان هؤلاء تتعاظم علّتهم ويتفاقم داؤهم وتعرض لهم نُوَبٌ من الربو قوية. وبعكس ذلك هواء زحلة ودمشق والقاهرة فانهُ في غاية الجفاف والصلاحية للمصابين بهذه العلل. انتهى

المقامرة

يعتري خُلُقَ الانسان كثيرٌ من العلل كما يعتري بدنهُ كثيرٌ من الامراض لفسادٍ يطرأ عليهِ فينحرف عن محجة الاستقامة كما ينحرف مزاج الانسان عن الاعتدال لفسادٍ يطرأ عليهِ ونتيجة ذلك الموت الادبي واذا كان فضل الطبيب

---

١ عن تعديل البشير من سنة ١٨٧٦ الى سنة ١٨٩٢

عظيماً لاعتنائهِ بمعالجة الامراض التي تعتري بدن الانسان قصد شفائها ففضل الذي يعتني بصلاح الاخلاق قصد تقويم ما اختلَّ منها اعظم ونفعهُ اعمّ لان اصابة الاجسام بالامراض اقل خطرًا من اصابة الآداب ولقد احسن ابو الطيّب المتنبي حيث قال

يهون علينا ان تصاب جسومنا   وتسلم اعراضٌ لنا وعقولُ

ولما كان البحث في خلل الآداب من اهمّ ما تمسّ اليهِ حاجة البلاد رأينا ان نوسع لهُ مجالاً في هذه المجلة وآثرنا الآن الكلام على المقامرة وهي علة من شر العلل الوبيلة المستحوذة على الاخلاق تفشت في بلادنا وكثرت في هذه الايام ارزآؤها وعظمت خطوبها وعمَّ بلاؤها على اننا لا نقتصر في ما نذكرهُ عنها على بيان الطرق التي تنجع في شفائها ولكننا نتحرى الاسباب التي تحمل عليها قصد ملافاتها قبل تمكنها واستحكامها شأن الطبيب الحاذق الذي لا يصف العلاج مجازفة قبل تحقق ماهية العلة واسبابها

ومعلوم ان لكل دآء دوآء الا المقامرة فانها اعيت من يداويها وذلك لان الانسان يميل بالطبع الى اللهو على شغفهِ بتحصيل المال والثروة عفوًا فاذا لاح لهُ بارق الامل من خلال البخت والتصيب وكان في يدهِ ما يسعفهُ على اجابة سؤْل النفس الامارة بالسوء ارتطم في هذه الورطة وسوآء ربح ام خسر فهو لا يزال مواظباً على اللعب آملاً تعويض الخسارة او زيادة الربح حتى تصير المقامرة فيهِ ملكة راسخة متمكنة لا تقوى عليها نصائح الناصحين ونواهي الشرائع والدين فهي كالدآء العقام لا ينجع فيهِ دوآء حتى يقضي الله امرًا كان مفعولا

ولا مرآء في ان حالة الانسان في دنياهُ اشبه بحالة المقامر من حيث الاجتهاد في دفع مغرم او الطمع في جر مغنم فهو لا يزال بين عوامل اليأس

والامل وفواعل الاتفاق والنصيب ولكن شتان بين من يعمل عملاً مفيدًا ينتفع هو بهِ ويعود بالنفع على ابنآء جنسهِ وبين من يعمل لضرر نفسهِ وضرر قريبهِ فان العامل ان نجح عملهُ سرّ بهِ وان لم يفلح كان لهُ نوع من التعزية بانهُ قام بما يجب عليهِ خلافًا للمقامر الذي يخاطر بمالهِ طامعًا في الربح واعتمادًا على البخت فان ظفر والاّ رجع يعضّ اناملهُ اسفًا ولم يجد لنفسهِ في تلك المخاطرة عذرًا

والمقامرة انواع كثيرة مرجعها الى البخت والنصيب ومنها ما يكون فيهِ البخت والنصيب مقرونين بالحذق والمهارة ومنها ما يُقتصَر فيهِ على التحيُّل والغش ومنها صناعة النصب المعروفة بالبورصة وهي عبارة عن تغرير المشتري بثمنٍ نسيئةً الى اجلٍ مسمًّى يلتزم عند حلولهِ بدفع ما نقص من قيمة الشيء وهو ما سُمّي في اصطلاحهم بالتغطية . وهذه الصناعة قد برع فيها الاوربيون وملك زمامها المتمولون منهم يتصرفون في الاسعار بين هبوط وارتفاع على نحو ما يؤثرون ولما كان اهل بلادنا دونهم حنكةً واقل منهم مالاً وقد غرَّهم منها سراب الامل اقبلوا عليها فكانت خسائرهم فادحة ادّت الى خراب كثير من البيوت العامرة . واعتبر بما حلّ ببيروت بسببها منذ امد قريب وما آلت اليهِ من الخراب وبوار التجارة وفقد الثقة المالية حتى قدّر العارفون انها لا تعود الى سالف غناها الا بعد خمسين سنة تمر عليها بالرخآء مع ان الخسارة ابتزَّها الاغنيآء من متوسطي الحال الذين اغروهم بشرآء اسهم في تجارات لا يفهمون منها شيئًا ولا يعرفون كيف يتلفظون باسمآئها

وجنون المقامرين فنون وقصصهم عجائب غرائب وهم منتشرون في كل مكان معروفون في كل زمان مقذوفون بكل لسان محكوم عليهم في كل الشرائع والاديان وهم مع ذلك لا يرعوون . فان القمار كان منتشرًا كثيرًا

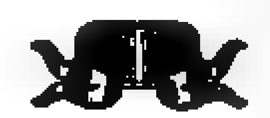
بين الرومان قبل خراب جمهوريتهم بمدة طويلة حتى اولع بهِ الرعاع مع ان شرائعهم حظرتهُ وقام حكآؤهم وخطباؤهم ينادون على المنابر بتحريمهِ وقبحهِ وذكر المؤرخون ان الجرمان اولعوا بالقمار ولعًا شديدًا كان يحملهم على الجنون ويدفعهم الى ارتكاب الجرائم حتى كان الواحد منهم يقامر على نفسهِ بعد خسارة مالهِ فيسترقُّ الغالبُ المغلوب ولا ممانعة ويتصرف فيهِ كما يشآء ولا معارضة . اما الهون فكانوا يقامرون اولاً على اموالهم فان خسروها قامروا على سلاحهم وهو أعزُّ شيء لديهم فان خسروهُ قامروا على انفسهم وكثيرًا ما كانت تنتهي مقامرتهم بالانتحار . وكان المقامرون في نابلي وغيرها من مدن ايطاليا يتراهنون على انفسهم بان يملك الغالب رقبة المغلوب حينًا من الدهر وحكي ان رجلاً من البندقية قامر على امرأتهِ وان صينيًا قامر على امرأتهِ واولادهِ وان المقامرين في موسكو وبطرسبرج يقامرون على اثاث بيوتهم وما يملكون من الارض بما تشتمل عليهِ من المزارعين فتنتقل ملكية المزرعة المُقامَر عليها مع فلاحيها وبهائمها الى عدة اشخاص في اليوم الواحد . والحكايات من هذا القبيل كثيرة يؤلف منها كتاب كبير الحجم يستشف منهُ غرائب حوادث الجنون الناتج عن هذا الدآء الوبيل المنتشر في جميع انحآء العالم حتى بين الهمج فهو على قِدَمهِ لا يزال شديد الوطأة على الآداب ذريع الفتك بالبشر كثير التفشي ولا سيما في المدن الآهلة بالسكان الحافلة بالاغنيآء ممن فسدت اخلاقهم وارتطموا في حمأة المعاصي اولئك الذين آلهتهم بطونهم وفخرهم في خزيهم

ومما يزيد في تفشي هذه العلة الوبيلة بيوت المقامرة السرية القائمة في المدن الكبيرة حيث يأمن المقامرون التمسآء عار الفضيحة فمن الواجب اذًا على كل حكومة عادلة ان تتحرى البحث عن هذه البيوت الجهنمية فتعطلها وتبالغ في

قصاص اللصوص القائمين بأمرها تأديباً لهم وارهاباً لغيرهم من البشر حتى يصيروا عبرةً لمن اعتبر

لا جرَم ان المقامرة تخلب العقول فلا يبصر المقامر الهاوية تحت اقدامهِ لان بريق الذهب يبهر نظرهُ فهو كالظمآن في الفلاة يرى الآل فيتوهمهُ ماء فيجدُّ السير اليهِ ولا يزداد الا ظمآء وكلما قرب منهُ ابتعد عنهُ حتى يعتريهُ الكلال فيهلك وعلى هذا النحو يجد الذي يحضر اللعب من نفسهِ دافعاً يحملهُ على اقتفاء اثر غيرهِ والتحدي باصحابهِ وهو يرى من خلال الامل بريق الثروة والسعادة واذا تعس جدهُ وربح في أول لعبهِ لا تعود تضبطهُ شكيمة فيستسلم للقضاء المبرم حتى يعود بصفقة الخاسر فكم من رجال حضروا مجالس المقامرة لمجرد التسلية فعادوا من أكبر المقامرين. ومن امثالهم ان احد الشاهدَين لا بدّ من ان يصير مقامرًا . ومن لعب مرةً اضطرمت فيهِ محبة اللعب حتى لا يعود يقوى على دفعها ولذلك قيل المقامرة لجة يغرق الغائص فيها لا محالة لانها لا قرار ولا ساحل لها . ومما يجمل ذكرهُ هنا ما نُقش على باب احد بيوت القمار وهو « لهذا الكهف بابان باب الامل وباب الاثم والهلاك يُدخَل اليهِ من الاول ويُخرَج من الثاني »

واذا تبينت ذلك علمت ان المقامرة داء عقام لا يرجى شفاؤهُ فلا سبيل لاجتناب ضررهِ الا بالابتعاد عن وبالهِ وافضل طرق الوقاية منها مجانبة الكسل والبطالة ومحايدة اللهو واللعب والبعد عن بيوت المقامرة ومصاحبة المقامرين والذين يفاخرون بالسحت ويُعدّون بيوتهم للقمار وكفى بما تقدم تنبيهاً للغافلين وتبصرةً للعاقلين





غريغوريوس يوسف

البطريرك الانطاكي والاسكندري والاورشليمي
على طائفة الروم الكاثوليك

في الثالث عشر من الشهر العابر رُزئت طائفة الروم الكاثوليك بفقد حبر احبارها ومشيّد صروح مجدها وفخارها السيّد الجهبذ الفاضل والعالم العلاّمة

الكامل غريغوريوس يوسف البطريرك الانطاكي والاسكندري والاورشليمي توفاهُ الله في مدينة دمشق عن اربع وسبعين سنة قضاها متزودًا من خير الاعمال ما تزلّف بهِ من مقام ربهِ حتى فاز بالسعادة في جوارهِ وقربهِ فعظم المصاب فيهِ على أُمةٍ كساها حلل الفخر والمجد واظلم بأُفولهِ الشرق الذي كان كوكبهُ ومن عجبٍ ان يأفل الكوكب في اللحد

فلئن بكتهُ أُمّي يحقّ لها او لا ففي سعةٍ من العذرِ

فلمثلهِ جرت العيون دماً ولمثلهِ جمدت فلا تجري

وكان مولدهُ رحمهُ الله في مدينة رشيد من اعمال مصر في اواخر شهر اكتوبر سنة ١٨٢٣ ونشأ في مدينة الاسكندرية الى ان بلغ السابعة عشرة من عمرهِ فدخل في رهبانية دير المخلص بجبل لبنان عاكفًا على طلب العلم مثابرًا على القنوت والنسك حتى صار القدوة المثلى في الاجتهاد والفضيلة . وفي سنة ١٨٤٧ رحل الى مدينة رومة فتخرج في مدارسها ونبغ في علم اللاهوت والفلسفة واحكم من اللغات اليونانية واللاتينية والطليانية وآب سنة ١٨٥٢ الى الاسكندرية فلم يكد يُلقي بها عصاهُ حتى انتُخب مطرانًا على عكاء فلبث فيها الى سنة ١٨٦٤ . وكان سالفهُ البطريرك اكليمنضوس بحوث شيخًا صالحًا يؤثر العزلة والنسك وقد ثقل عليهِ تدبير شؤون الطائفة على اثر ما نشأ فيها من الشقاق لدن العدول عن الحساب الشرقي الى الحساب الغربي فاستقال من منصب البطريركية وانتُخب صاحب الترجمة خلفًا لهُ وذلك في ٢٩ سبتمبر من تلك السنة فكان اول مساعيهِ استئصال شأفة الشقاق وجمع الكلمة واصلاح ذات البين

وفي السنة التالية انشأ في بيروت المدرسة المنسوبة اليهِ وهي المدرسة التي نبغ فيها من الطلبة جمٌّ غفير وكان لكثيرٍ منهم اليد الطولى في النهضة العلمية

في القطرين السوري والمصري . واول من درّس فيها العلوم العربية الطيب الذكر العلّامة اللغوي النحوي الشاعر الشيخ ناصيف اليازجي الشهير فاشتهرت بشهرتهِ واغترف من بحورهِ الذين تخرجوا عليهِ ودرسوا مصنفاتهِ التي لم يُنسج على منوالها في سهولة مأخذها وحسن ترتيبها وخلوها من الحشو والتعقيد وقد احسن في تاريخ انشآئها حيث قال

أنشا غريغوريوس المعلم مدرسةً بالبطركية ندعوها على النسبِ
تقول ارقام عامٍ ارخوهُ بها من كوكب الشرق لاحت زهرة الادبِ

سنة ١٨٦٥

على انهُ لم يذهل بتدبير شؤون الدراسة عن القيام باعباء الرئاسة ولم يشتغل بارتقاء ذروة المنابر عن ابتناء ذروة المفاخر فبينما هو يهتم بتعميم العلم ونشرهِ ويصدع بوعظهِ وزجرهِ اذا بهِ يسعى في عاصمة المملكة العثمانية لدى ساكن الجنان السلطان عبد العزيز خان بما يعود بالنفع على ابناء ملتهِ ويثبت لديهِ صدق تابعيتهِ فنال من لدنهُ الوسام المجيدي الاول والبرآءة السلطانية وكثيرًا من المِنَح التي صلحت بها احوال الرعية

وبعد ان استقرَّ في الاستانة اربعة اشهر عاد الى سوريا فافتتح المدرسة الاكليريكية في عين تراز وهي التي اشتهرت بمن نبغ فيها من الكهنة الافاضل . وفي سنة ١٨٦٧ ارتحل الى رومة لحضور احتفالٍ ديني دعاهُ اليهِ البابا بيوس التاسع ثم انتقل الى فرنسا فجال في بعض مدنها حتى اتى باريز فشهد معرضها العام وقابل الامبراطور نابليون الثالث ثم سار الى بلجكا وقابل ملكها ثم قابل الامبراطور فرنسيس يوسف في فينا وكان حيثما حلّ عزيز الجانب محفوفًا بالتجلة والاكرام وبعد ذلك قفل راجعًا الى مصر فسوريا

وفي سنة ١٨٦٨ ذهب مع ثمانية من اساقفتهِ الى رومة بدعوة من البابا بيوس التاسع لحضور المجمع الواتيكاني فالقى فيهِ خطبتين بليغتين باللغة اللاتينية دافع بهما عن حقوق الكنيسة الشرقية دفاعاً دوى صداهُ في اقطار العالم. ثم عاد الى سوريا وعكف على رفع شأن الطائفة ببناء المدارس والكنائس وكان في جملة ما انشأهُ مدرسة القديسة حنة بالقدس الشريف واربع مدارس بدمشق ومدرستان بالقاهرة ومدرسة بالاسكندرية وحذاء كل كنيسة في المدن والقرى مدرسة لتعليم الاحداث. وقد انشأ ابرشيتين جديدتين وبنى نحو عشرين كنيسة اعظمها كنيسة القديسة ويرونكا بالقدس وهي التي وُهبت لهُ ارضها بامر شاهاني

وفي سنة ١٨٨٨ زار الاستانة ونزل ضيفاً على نفقة الحضرة الشاهانية التي خصصت لهُ قصرًا فسيحًا لضيافتهِ وانالتهُ شرف المقابلة السنية عدة مرات

وفي سنة ١٨٩٤ ذهب الى رومة فقابلهُ البابا لاون الثالث عشر مقابلة احتفالية واكرم مثواهُ الى ما لا غاية فوقهُ وفي اثناء رجوعهِ مرَّ في باريز وقابل رئيس الجمهورية ووزراء الدولة الفرنسوية ثم زار الاستانة مرة اخرى فنال من لدن الذات الشاهانية ما لا مزيد عليهِ من التعطفات السنية وقفل بعد ذلك عائدًا الى سوريا

وكان رحمهُ الله حسن الهيئة معتدل المزاج قويَّ البنية ربعة القوام اسمر اللون بارز الجبهة اشهل العينين ينظر بهما عن ذكاء وثقوب رأي بديه الجواب حسن المحاضرة فصيح الخطاب ثبت الجنان حازمًا مقدامًا شديد الشكيمة لا يقف موقف القنوع على انهُ كان بعيدًا عن العجرفة والخُيَلاء سهل الاخلاق رحب الصدر طليق الوجه يقظ الفؤاد . وكان آخر مآثرهِ أن اوصى بجانب كبير من

ماله لاقامة بناء جديد لمدرسته البطريركية في بيروت رحمهُ الله عداد حسناته وأفرغ عليهِ شآبيب عفوهِ ومرضاته

غرائب المعمودية

اطلعنا في احدى المجلات الفرنسوية على مقالة لبعضهم بهذا العنوان فلخصنا منها ما يأتي تفكهةً للقرآء قال

قد الف الناس في جميع انحآء العالم ابدآء امارات الفرح والسرور عند ما يطلقون على الطفل اسماً يتعرف بهِ . ولكل امةٍ طريقة خصوصية تجري بحسبها في الاحتفال حينئذٍ وفاقاً لحكم العادة والدين فالبروتستنت في انكلترا يحتفلون الآن بالمعمودية احتفالاً شائقاً وذلك بان يأتي الابوان بولدهما الى الهيكل مع كفيليهِ (العرّاب والعرّابة) وجمهور الاصدقآء المدعوين لحضور هذا الاحتفال وكلهم متزيون بافخر الثياب والحلي اما الطفل فيُلبس ثوباً ابيض مطرزاً رمزاً الى طهارته ثم يبدأ القسيس او الاسقف الاحتفال بالصلاة على ما درجوا عليهِ . على ان بعض فرق البروتستنت لا ترى المعمودية امراً جوهرياً في الدين فلا يعبأون بها كثيراً

ويحتفل الكاثوليك بالمعمودية احتفالاً دينياً فيبدأ الكاهن بالتعزيم عليهِ ليخرج منهُ الروح الشرير . وفي اثنآء الاحتفال يكون الطفل محمولاً على ذراعي كفيلهِ فيجاوب الكاهن متعهداً بالنيابة عنهُ انهُ يكره الشيطان وجندهُ . ثم يرسم الكاهن علامة الصليب بين منكبي الطفل ويتمم الصلاة ويضع ايضاً شيئاً من الملح في فمهِ فيصرخ لذلك . وعلى هذه الطريقة تجري معمودية الكاثوليك في المانيا وايطاليا واسبانيا وفرنسا وانكلترا الاَّ في بعض امور عرضية . وقد جرى الغربيون في المعمودية على رش الطفل بالمآء اما الروم وسائر الطوائف النصرانية

الشرقية فانهم يغطسونهُ تغطيساً ثلاث مرات

واذا تجاوزنا البلاد المتمدنة نرى غرائب من هذا القبيل يُستدَلّ بها على ما بين الشعوب من التفاوت في الاخلاق والعوائد فاللابيون وهم نصارى لم تزل راسخة فيهم العقائد الوثنية يحتفلون بتسمية اطفالهم على طريقة تجمع بين المذهبين وذلك بان يوضع الطفل في علبةٍ على شكل هلال ويقدَّم الى الكاهن فيرسم عليهِ اشارة الصليب بالمآء ويسميهِ باسم احد اجدادهِ الوثنيين على ان هذا الاسم كثيرًا ما يُبدَل بغيرهِ لحالٍ من الاحوال كأن يمرض الطفل فيُستدَلّ على ان سميَّهُ لم يكن قادرًا على حمايتهِ فيلجأُون الى سميٍّ آخر وربما عمدوا الى تغيير الاسم لمجرَّد التفاؤل او التشاؤم. والكرائب وهم امةٌ من هنود اميركا لم تزل على حالة الهمجية يجرون على طريقة اغرب وهي انهم يعهدون في الاحتفال الى رجلٍ وامرأةٍ يقومان بكفالة الطفل كالعرّاب والعرّابة ولكنهما عوضاً عن تقديم الهدية لهُ يثقبان اذنيهِ وشفتهُ السفلى وخنّابتي انفهِ لتعليق الاقراط والخزَم وغيرها من ادوات الزينة . وهنود فلوريدا يسمون ابنآءهم باسم الاعدآء الذين قهرهم الاب او باسم القرى التي دمرها او باسم موقعةٍ فاز فيها بالنصر

واهل المكسيك يحملون الطفل الى الهيكل باحتفالٍ فيتلو عليهِ الكاهن موعظةً يحضّهُ فيها على التجمّل في احتمال مكاره الحياة ثم يضع في يدهِ اليمنى سيفاً وفي اليسرى ترساً يساعدهُ الكاهن على امساكهما واذا كان ابو الطفل يؤْثر ان يكون ابنهُ من اهل الصناعات يبدل السيف والترس بآلات تدلّ على حرفتهِ في المستقبل ثم يقرّب الكاهن الطفل من المذبح ويأخذ قطرة دمٍ من اذنهِ ومن مواضع أُخر من بدنهِ ثم يغطّس في مركن مآء . وبعضهم يبدلون هذه الطريقة بطريقة لا شيء فيها من الرسوم الدينية وهي ان تأتي المرضع بالطفل

الى حيث أُعدّ طست ماءٍ تغطسهُ فيهِ ثلاث مرات يهتف في اثنآئها ثلاثة اولادٍ عمر كلٍّ منهم ثلاث سنين باسم الطفل الذي تلقنوهُ

على ان بعض الامم الهمجية لا تحتفل بشيءٍ عند تسمية المولود وربما اتخذوا اسمهُ من حادثٍ يحدث عند الولادة كما اذا سمعوا عوآء ذئب فيسمونهُ باسم الذئب وهذه من عوائد اهل استراليا . على ان الزنج في بعض جهات افريقيا يجرون على طريقة جديرة بالاعتبار وهي ان يحمل كاهن العشيرة الطفل اذ يبلغ عشرة ايام من عمرهِ فيخاطبهُ وقد حفَّ بهِ الحضور خطاباً يفيض فيهِ ببيان ما يجب عليهِ عملهُ حتى يصير رجلاً يعمل الخير ويقدم على محاربة الاعدآء

ومن عوائد اليابان ان يُحمَل الطفل بعد ان يُتمّ مئة يوم من ولادتهِ الى هيكل شنتو فيسمّى باسم مركَّب من اسم عترة ابيهِ وعترة كفيلهِ وهو يُختار من اخصّ اصدقآء الاب للعناية بولدهِ فيما بعد يقصدون بذلك توثيق الرابطة بين السميّ والمسمَّى ثم يكتب الكاهن الاسم ويعطيهِ للوالد فيجعلهُ في حرزٍ . وبعد ذلك يوضع الطفل على الارض ليدبّ كما يشآء فيتكهنون على مستقبل امرهِ بالنظر الى الجهة التي يدبّ نحوها ويمسك احدهم حينئذٍ فوق رأسهِ حزمة من قصاصة الورق مشدودة بعُصافة يرمزون بذلك الى ان ارواح اجدادهِ تحضر عليهِ ثم يجعلون في يديهِ مروحتين ثم يبدلونهما بسيفين . واما الصينيون فمتى بلغ الطفل الاسبوع الرابع يسلَّم الى امرأةٍ ذات بنين فتحلق رأسهُ وحينئذٍ يقدّم لهُ الوالدان واصدقآؤهما الهدايا واكثر ما تكون الهدية صحناً من الفضة قد حُفرت عليهِ هذه الكلمات « حياةٌ طويلة وعيشةٌ راضية و بالٌ هنيءٌ » ثم يسمّى باسمٍ يبقى عليهِ حتى يبلغ طور المراهقة وهو حين دخولهِ المدرسة فيُبدَل باسم آخر اما البنات فيبقى لهنَّ اسمهنَّ حتى يتزوجنَ

ومن اغرب العوائد ما جرى عليهِ البانيان وهم فرقة من الهنود دون البراهمة فانهم اذا بلغ الطفل عندهم اليوم الرابع يجمعون جوقة من اولاد الجيران يصفّونهم حول ملآءة كبيرة يبسطونها على الارض ويجلس في وسطها احد البراهمة ثم يمسك الاولاد باطرافها ويحركونها ربع ساعة وبعد ذلك تختار اخت الطفل اسمًا لهُ واذا لم يكن لهُ اخت تقوم مقامها جاريةٌ صغيرة من بنات الجيران اما الاحتفال الديني فلا يتم الا بعد شهرين

ومن غرائب البدع ما يفعلهُ المجوس من رفع اطفالهم فوق نار تضطرم قصد تطهيرهم على ان هذه العادة في عصرنا غير مرعية كما كانت من قبل ومن الغريب ان هذه العادة بقيت زمنًا طويلًا مرعيةً في كثيرٍ من انكلترا ولا سيما في ايكوس حتى اوائل هذا القرن

حل اللغز المُورَد في الجزء الخامس لحضرة الاديب امين ابرهيم افندي الخوجه

سمير المعالي دمت للفضل جنةً بها تجتني الالبابنا اطيب الغرسِ
لقد ضُمّن الدينار لغزك فانجلى وهل يختفي وهو المشبَّه بالشمسِ

وجآء حلهُ ايضًا من حضرات الادبآء الافندية عبد المسيح مكرم ومرقص نخلة وسليمان الحداد بالاسكندرية وحاييم اديرت بالمنصورة فاجتزأنا بنشر الاول

اسئلة واجوبتها

الاسكندرية — يُستدلّ من مطالعة الكتب القديمة بعد الاسلام ان العرب كانوا يستعملون لغتين عامية للنطق وفصيحة للكتابة كما نفعل نحن الآن ولا اظن ان اللغة العامية قد نشأت في ذلك العهد الذي اشير اليهِ بل اظن انها قديمة وانها كانت اقرب الى الفصيح من لغاتنا العامية الحاضرة فزادتها عشرتنا

للاتراك والافرنج سقماً وفساداً ولا يبعد أن قد كان لعرب الجاهلية انفسهم لغة عامية او مختصرة عن اللغة الفصحى كما يشاهد الآن عند بعض الامم الافرنجية فهل لبيانكم ان يذكر لنا بيان ذلك ويعين تاريخ هذه اللغة العامية وما كان الداعي الطبيعي اليها فانني اعتقد ان اللغات العامية من ضرورات الانسان بدليل ما نشاهدهُ من الاختراع والتبديل في نفس اللغة العامية التي وصل الناس فيها الى آخر درجات السهولة من حيث اختصار الكلام واختراعهُ ا . ح

الجواب — أمّا القول بان عرب الجاهلية كانت لهم لغتان فصيحة وعاميّة فما لم يرد بهِ نقلٌ ولا دليل عليهِ بل الأدلّة متضافرة على خلافهِ لان النحويين والنحاة نقلوا كل ما سمعوهُ من كلامهم ولغاتهم ولم يتركوا شاذًّا ولا دخيلاً الاّ قيدوهُ حتى ما لهم من عجعجة وعنعنة وشنشنة وكشكشة وطُمطُمانية ولَخلخانية ووتم ووكم ووهم وقطعة[1] وغير ذلك مما يطول استيفاؤهُ وحتى ما جرى على ألسنتهم من اللفظ الوحشيّ والمتروك من نحو الشرنوغ للضفدع والفِرنِب للفأر والقَشمَذِين للسماء والكهوف للأعضاء والشفيرة للسلّة والموزن للغبار ونحو قَطَذهُ

---

[1] كانت العجعجة لقضاعة وهي ابدالهم من الياء الواقعة بعد العين جيماً كقولهم في معي معج . والعنعنة لتميم وهي ابدالهم من الهمزة المبدوء بها عيناً كقولهم في انك عنك . والشنشنة لليمن وهي جعلهم الكاف شيناً يقولون لبيش اللهم لبيش اي لبيك . والكشكشة لربيعة ومضر يزيدون بعد كاف المخاطبة شيناً يقولون رايتكش ومررت بكش . والطمطمانية لحمير وهي ابدالهم من لام التعريف ميما يقولون طاب امهواء اي طاب الهواء . واللخلخانية للشحر وعمان وهي حذفهم بعض احرف اللين يقولون في ما شاء الله مشاء الله . والوتم في لغة اليمن وهو ابدالهم السين تاء كالنات في الناس . والوكم في لغة ربيعة وهو كسرهم كاف المخاطبين حيث تكسر الهاء يقولون عليكم وبكم . والوهم في لغة كلب وهو كسرهم هاء الغيبة في كل موضع وقعت فيه مجرورة يقولون منهم وبينهم . والقطعة في لغة طيء وهي قطع اللفظ قبل تمامه يقولون يا ابا الحكا اي يا ابا الحكم . ولهم لغات اخر غير هذه اضربنا عن ذكرها خوف الاطالة

عن الشيء اي زجرهُ وطَزَع الجنديّ اي قعد ولم يغزُ وفكِع الرجل اذا أطرق من حزنٍ او غضب وزنهر بعينهِ اي حدّد النظر وشتّن الثوب اسيء نسجهُ وما شاكل ذلك. بل ربما نقلوا الفاظًا لم تفسَّر كجلنجج في قول ابي المهيسع «من طمعةٍ صبيرُها جلنجج» اوردهُ صاحب القاموس ثم قال ذكروهُ ولم يفسروهُ وقالوا كان ابو المهيسع من أعراب مَدْيَن وما كنا نكاد نفهم كلامهُ. وفي تاج العروس قال شيخنا وقد اختلفت فيهِ كلمة ائمة الصرف وادّعوا فيهِ الاسمية والفعلية الى آخر ما ذكرهُ وهذا من اغرب ما وقع لهم من الخلاف وما ندري كيف يكون نحو جلنجج فعلاً. وكما جآء في القاموس من قولهِ «الكَشْمَج كسفرجل والكَشْمَطج مولَّدان» هذا لفظهُ لم يزد عليهِ ولا وقع الشارح على تفسيرٍ لهاتين اللفظتين[1] لكنهُ صحح رواية «الكشمطج» فنصّ عليها بالظآء المعجمة... ومع هذا الحرص كلهِ والإسفاف على نقل كل ما سمعوهُ منهم لا يبقى محلٌّ لتوهمٍ أن هناك شيئًا لم ينقلوهُ بل لو صحّ ان لهم لغةً مخصوصةً بالمحادثات العاميَّة لوجب ان يكون شيء منها في امثالهم اذ هي جاريةٌ على ألسنة الجميع لا يستغني عنها احدٌ في الحديث ولا يُختصُّ بوضعها فريقٌ دون آخر بل كثيرًا ما يبدر من ألسنة العامَّة واهل الطبقة السفلى من الأُمَّة ما قد لا يخطر للنبيل منها وذَسِيء الحكمة البالغة ونحن نجد كل ما بلغ الينا من امثالهم لا يباين سائر كلامهم في شيء بل هو على الغالب من عيون الكلام ومنتقاهُ. وبعدُ فان القوم انما كانوا اهل باديةٍ ورِعآء ابلٍ وشآء فلم تكن عندهم محافل يخطبون فيها بالفصيح ولا لهم معرفةٌ بالكتابة فيدوّنوا تآليفهم بهِ على ما هو جارٍ عندنا لهذا العهد بل الذي نُقل الينا من كلامهم

---

[1] ذكر عاصم ما محصله ان هذا اللفظ يطلق على الرومي المولود بين العرب قال ويروى في بعض النسخ بالفاء والتاء (اى مكان العين والثاء) ولعله تعريب كشفت اسم لطائفة من اليهود. اه

هو ما كانوا يقولونهُ في المراعي والفلوات وبين أطناب الخيام مما كان الرجل يخاطب بهِ صاحبهُ او امرأتهُ او ناقتهُ وربما كان مما خاطب بهِ ذئبًا او ظبيًا على ما نرى كثيرًا منهُ في اشعارهم . على ان الفصاحة لم تكن عندهم مما يتكلفون لهُ ويحشدون قرائحهم لأجلهِ وانما هي ملكةٌ راسخةٌ في ألسنتهم لا يناجي احدهم نفسهُ الا بالفصيح ولا ينطلق لسانهُ الّا بهِ من الشيخ الكبير الى الجارية الصغيرة ومن سيّد القوم الى حادي الإبل وحسبك في ذلك قصة البدويّ في امر سيبويه والكسآئيّ حين جمع بينهما الامين بن هرون الرشيد وتناظرا بين يديهِ فزعم الكسآئي ان العرب تقول كنت اظنّ الزنبور أشدّ لسعًا من النحلة فاذا هو اياها فانكر سيبويه عليهِ ذلك وقال الصواب فاذا هو هي وتشاجرا طويلًا ثم اتفقا على مراجعة عربيٍّ خالص لا يشوب كلامهُ شيءٌ من الحضر وكان الامين شديد العناية بالكسآئي لانهُ كان معلمهُ فاستدعى عربيًا وسألهُ فقال كما قال سيبويه فقال لهُ نريد أن تقول كما قال الكسآئي فقال ان لساني لا يطاوعني على ذلك فانهُ ما يسبق الّا الى الصواب الى آخر القصّة . بلى قد نجد في منقولهم شيئًا يشبه لغة العامّة وهو ما يتمثل بهِ النحاة من قولهم « اكلوني البراغيث » فان فيهِ خلا الاضمار مع الفعل المسند الى الظاهر استعمال ضمير العاقلين لما لا يعقل وهو ما لم تكن العرب تعدل اليهِ الا في مواضع ليس هذا منها . على ان هذه العبارة اشبه ان تكون من لغة اليمن فانها اقرب شيءٍ الى العبرية وضمير المذكور المرفوع في هذه اللغة هو الواو مطلقًا والضمائر عندهم تُعدّ من قبيل العلامات كتآء التأنيث عندنا مثلًا فلا يمتنع الجمع بينها وبين المرفوع الظاهر . وكيفما كان الحال فهي لغةٌ قائمةٌ بنفسها لا احدى لغتين يتكلم اهلها بهما جميعًا فيقولون مرةً اكلوني البراغيث ومرةً اكلتني البراغيث

ومعلومٌ ما كان للعرب من العناية بلغتهم والمغالاة بمحاسنها والتفنن في اوضاعها واساليبها الى ما لم تلحقهم فيهِ أُمّة فلم يكن من المحتمل انهم يعمدون الى اهمال شيءٍ منها هو حليتها وجمالها اعني بهِ الاعراب الذي هو الفارق الاعظم بين العاميّ والفصيح وانما كان ذلك ولا شكّ بعد الاسلام وسببهُ كثرة اختلاط العرب بالاعاجم من اهل البلاد التي افتتحوها وتعذُّر اقامة الاعراب على ألسنة هؤلآء اذ هو عند العرب مأخوذ بالسليقة واما الاعجمي فلا يتناولهُ الاّ من طريق التعلُّم والتحفُّظ وهو محالٌ في حقّ أُمّةٍ بل أُممٍ بأسرها ممن خفقت على رؤوسهم عُقاب العرب لذلك العهد فكان ذلك ولا ريب قاضياً باهمال الحركات من اواخر الكلم وإلزام الجمع والمثنى اليآء لانها اكثر دوراناً فيهمـا وترك نون الرفع من اواخر الافعال أو الحاقها حتى بالماضي والامر على ما لا تزال مُثُلهُ في في بعض الاصقاع الى هذا اليوم لان ذلك كلهُ مما لا يتأتى ضبطهُ للدخيل لصعوبة التمييز فيهِ بين حالٍ وحال . ويتصل بذلك اشيآء أُخر من الاحوال الصرفية كالفرق بين التفعيل والتفعُّل وبين ما يهمَز كدعائم وما لا يُهمَز كشائع وما يؤنث لفظهُ كطويل وما لا يؤنث كجريح الى غير ذلك من اوزان المصادر والجموع واحكام الادغام والاعلال وسائر احوال التصريف والاشتقاق مما لا يُحكمهُ الاجنبيّ الاّ بالدرس الطويل ومعاناة الحفظ وتكرار الاستعمال وانما ذلك من اغراض الخاصة الذين انقطعوا للاشتغال باللغة ووقفوا عليها ايامهم على ما هو شأن المشتغلين بسائر العلوم

فاذا تقرر هذا عُلم منهُ ان اللغة العاميّة قد بدأت بعد الاسلام بسنين قلائل اي منذ عهد الفتوح الا انها كانت اولاً بين الاعاجم للسبب الذي قدمناهُ فهي اذن بدأت بأول اعجميٍ تكلم بالعربية ثم انتشرت بين العرب انفسهم

ممن نشأ في ذلك العهد بمخالطتهم للاعاجم وتكرُّر اللحن على اسماعهم حتى فسدت فيهم ملكة الاعراب . ومن شواهد ذلك ما يُروَى من قصة ابي الأسوَد الدُؤَلي في وضع مبادئ علم النحو وذلك أن ابنةً لهُ قالت لهُ في احدى الليالي يا أبي ما أحسنُ السمآء وضمّت النون من أحسن فقال يا بُنيّة نجومها فقالت انما اتعجب من حسنها لا أسألك عن أحسن شيء فيها فقال اذن فقولي ما أحسَنَ السمآء . واخذ من ذلك الوقت يدوّن ما حضرهُ من قواعد هذا العلم فكان اول شيء وضعهُ باب التعجب وكان ذلك قبل مُنتصَف المئة الاولى للهجرة . ومما يُحكى أن الشعبيّ دخل يوماً على الحجّاج بن يوسف الثقفيّ فقال لهُ الحجاج كم عطآءك في السنة وفتح الهمزة من عطآءك كما تقولهُ العامّة فقال ألفين فقال ويحك كم عطآؤك فقال ألفان قال وكيف لحنت اولاً قال لحن الامير فلحنت فلما أعرب أعربت وما كان يمكن ان يلحن الامير وأُعرِب انا

ومن هنا تتبين سرعة انتشار اللغة العاميّة وعمومها لآحاد الأمة حتى تناولت الخاصّة وكبرآء اهل الادب وحسبُك أن مثل الحجاج مع تقدُّمهِ في هذه الصناعة ورئاستهِ بين ارباب الفصاحة سبقهُ لسانهُ الى اللحن حتى اضطُرّ الشعبيّ الى مجاراتهِ فيهِ مما يدلّ على تمكّن اللغة العاميّة منهُ وغلبتها على لسانهِ وما يلبث ان يتكلم بها مثل الحجاج الاّ وقد عمّت الجيل كلهُ وصار التكلم بالفصيح من الغريب المستهجن على حدّ ما نشاهدهُ ليومنا هذا . ومن مُستملَح ما يُروَى في هذا المقام ما اوردهُ صاحب نفح الطيب من ان الشيخ ابا عليّ الشلوبيني على شهرتهِ في علم النحو وما لهُ من التصانيف التي غرّبت وشرّقت كان لفظهُ في منتهى الركاكة واللحن حتى لو أن شخصاً من العرب سمع كلامهُ وهو يُقرئ درسهُ لضحك بملء فيهِ من شدة التحريف الذي في لسانهِ قال والخاصّ منهم

اذا تكلم بالاعراب واخذ يجري على قوانين النحو استثقلوهُ واستبردوهُ . اه

زَجَلٌ . واول كلامٍ عاميٍّ نُقل الينا بعد ذلك العهد كان في اواخر المئة الثانية للهجرة وهو المواليّا الذي يُروَى عن لسان احدى جواري جعفر البرمكيّ بعد أن اوقع الرشيد بالبرامكة ومنع الشعرآء من رثآئهم فانها رثتهُ ببيتين من الشعر العاميّ وجعلت تنشدهمـــا وتقول يا مواليّا تعني بني برمك ومن هنا سُمّي هذا النوع من النظم بالمواليّا وهما قولها

منازلٌ كنت فيها بعد بُعدَكْ دُرْس   خرابٌ لا للعزا تصلُحْ ولا للعُرْس
فأين عينيك تنظُرْ كيف فيها الفُرْس   تحكُمْ وألسنة المُدَّاح عنها خُرْس

وقيل اول من انشد المواليّا اهل واسط وكان عبيدهم وغلمانهم يغنّون بهِ في رؤوس النخل وعلى سقي المياه ويقولون في آخر كل صوت يا مواليّا اشـارةً الى ساداتهم وعلى هذا فيكون اقدم من العهد المذكور الاّ انهُ لم يُنقَل الينا من مواليّات اولئك ما تصحّ روايتهُ

على أن ذلك كلهُ انما كان في الامصار ومواطن الحَضَر حيث وقع الاختلاط بالعجم واما في البادية فبقيت اللغة على خلوصها دهرًا طويلاً لم يكد يشوبها لحنٌ ولا تبديل كما يشهد بذلك ما ذُكر من مسئلة الكسآئي وسيبويه وكما يستفاد مما ذكرهُ صاحب الصحاح من انهُ شافهَ بها العرب العاربة في ديارها بالبادية وذلك في النصف الثاني من المئة الرابعة للهجرة . الاّ انهُ مع كرور الزمن دبّ هذا الفساد الى الباديّة ايضاً بمخالطتهم للحضر ولا سيما في الحجاز لكثرة اختلاف الحجاج اليهِ من جميع الآفاق وسرى من اولئك الى غيرهم من سائر سكان الاقطار العربية الى ان زالت الفصاحة من السنتهم جملةً وصارت لغتهم اليوم دون لغة الحضر وابعد منها عن الفصيح ودخلت في حدّ الرذل المبذوء .

على انهُ جآء في القاموس في مادّة (ع ك د) ذكر الجبل المسمى بعَكاد وهو جبلٌ باليمن قرب مدينة زبيد زعم ان اهلهُ باقون لعهدهِ على اللغة الفُصحى وذلك بين المئة الثامنة والتاسعة للهجرة . وزاد في تاج العروس قولهُ الى الآن اي الى عصر الشارح وهو اواخر المئة الثانية عشرة قال ولا يقيم الغريب عندهم أكثر من ثلاث ليالٍ خوفاً على لسانهم . اه وهو من الغرابة بمكان والله اعلم

آثار أدبية

كتاب مرآة الايام في ملخَّص التأريخ العام — أُهديت لنا نسخةٌ من الجزء الاول من هذا الكتاب مدبَّجاً بقلم حضرة الكاتب الألمعيّ خليل افندي المطران مكاتب جريدة الاهرام بمصر وهو سفرٌ لطيف واضح العبارة سهل الاسلوب حسن التبويب اخذهُ عن اشهر التصانيف الموثوق بصحتها واقتصر فيهِ على سياقة الوقائع مجرَّدةً عن الاقوال المختلفة والروايات المتعارضة بحيث يتهيأ المطالع الاحاطة بأشهر الحوادث التأريخية من أقرب سبيل

وهذا الجزء يشتمل على نحو ٤٠٠ صفحة استوفى فيها التأريخ القديم وأتى على قسمٍ كبير من تأريخ القرون المتوسطة الى نحو السنة الألف للميلاد فجآء فيهِ ذكر الفتح الاسلامي وما تلاهُ من الدول العربية الشرقية والغربية وما بين ذلك من مهمّات الحوادث ثم دولة بني عثمان الى وفاة السلطان محمد الثاني وكل ذلك بعبارة موجزة وافية بالمراد

فنحضّ جمهور المتأدبين من ابنآء وطننا العزيز على اقتنآء هذا الكتاب النفيس ونثني على مؤلّفهِ الثنآء الطيّب لما عانى في جمعهِ وترصيفهِ كما نسأل لهُ التوفيق الى سرعة اتمامهِ ونشر ما بقي منهُ افادةً للمطالعين



السنة الاولى ——— الجزء السابع

اول ستمبر سنة ١٨٩٧

الى حضرات المشتركين الكرام

وفآء بما تقدم من وعدنا في الجزء الثالث وتذرُّعاً الى التوسع في المباحث الطبية والأدبية قد عزمنا على اصدار البيان من هذا الجزء فما يليهِ مرّتين في الشهر كلّ مرّةٍ في اثنتين وثلاثين صفحةً بحيث يكون مجموع عدد الصفحات الشهرية اربعاً وستين صفحةً اي بزيادة ستّ عشرة صفحةً عما كان يصدر عليهِ اولاً وذلك مع ابقآء قيمة الاشتراك بحالها على ما وعدنا بهِ هناك

وفي هذا المقام نكرر جميل الثنآء على حضرات مشتركينا الكرام لما نرى من اقبالهم يوماً فيوماً على هذه المجلة ونَعِدُهم أنّا سنبذل الوسع في ارضآئهم بتكثير المباحث واختيار ما يكون منها اجزل فائدةً واحسن وقعاً والله المسؤول ان يأخذ بأيدينا للقيام بما ارصدنا لهُ انفسنا من هذه الخدمة الجليلة انهُ تعالى وليّ التوفيق وهو حسبنا

الصابئة

(تابع لما في الجزء السابق)

أمّا سيرة المتدينين من الصابئة فانهم اهل صلاح وزهد وحسن سمت قريبون من الخير بعيدون من الشرّ اهل تعفف وامساك متواضعون شديدو

الاحتشام حتى لا يرفع احدهم صوتهُ في التكلم ولا يشير بيدهِ ولا يتحرك وهو يتكلم ولا يغضب ولا يقابل شتيمةً بمثلها ولا لطمةً بمثلهـا بل اذا شُتم او ضُرِب فعليهِ ان يذهب الى خصمهِ ويصالحهُ مهما كانت منزلتهُ من منزلتهِ . وهم يقومون لكل من سلّم عليهم ايًا ما كانت حالهُ وسنّهُ حتى السائل واذا حضر احدهم مجتمعاً اخذ آخر مجلسٍ ولا يرتفع عنهُ ولو ألحّ عليهِ في ذلك ربّ المنزل . ومن صفاتهم الكرم والضيافة حتى يكاد يكون ذلك من الدين عندهم وهم يكثرون من الصدقات لانها فرضٌ عليهم بل على الغنيّ منهم ان يفي دَين المُعسِر ويسعى لإطلاق المسجون والصدقة عندهم يجب ان تكون سرًّا . واما زيّهم فلباسهم ابدًا البياض ولا يجوز لهم ان يلبسوا الملوَّن دينًا ولا يقصّون شعورهم ولا لحاهم وهم ملازمون للطهارة والنقاوة التامّة ولذلك يجب عليهم ان يتعمدوا في كثيرٍ من الاحوال التي يرون انهم بها يتنجسون حتى اذا لمس احدهم يد امرأةٍ غريبة او يد امرأتهِ وهي في غير حال الطهارة او قبّل ابنهُ قبل ان يعمّد او لمس جثّة ميتٍ منهم واما من غيرهم فلا يلزمهُ ان يتعمد لان الذين ليسوا منهم يُعَدّون عندهم بمنزلة الحيوانات

اما عدد الصابئة فلا يكادون يزيدون على اربعة آلاف نفس وهم يتوطنون البقعة التي تصل بين المملكة العثمانية وارض فارس من ناحية البصرة فهم متفرقون في الاراضي العثمانية ما بين سوق الشيوخ والناصرية والجزائر والقرنة والعمارة وتلك الأطراف ومن بلاد فارس في شُشتَر وشاش ولي ودسبور وما الى هذه الاماكن . واكثرهم يرتزقون من الصناعة الاّ نفرًا منهم يشتغلون بحرث الارض وغالب صناعتهم الصياغة والتجارة

بقي ان نلخص شيئًا من اقاصيصهم التأريخية وما جاء عندهم من سيرة

بعض الرجال الاولين الوارد ذكرهم في كتب سائر اصحاب الاديان . وقد مضى قولهم في آدم وابنهِ شيث وهو الذي يسمونهُ شيثيل ويصفونهُ بالتناهي سيف الصلاح حتى جعلوا نفسهُ معيارًا للانفس بعد تطهيرها سيف المَتروثات . ومن الرجال المذكورين في كتبهم نوح وحديث الطوفان عندهم قريبٌ مما يُروَى في التوراة حتى في اطلاق الغراب والحمامة لكن يقولون ان الحيوانات التي استصحبها نوح في الفُلك كانت كلها اثنين اثنين ذكرًا وأنثى من كل نوع وان الذين كانوا في الفلك من البشر ثلاثةٌ فقط وهم نوح وامرأتهُ وابنهُ سام اذ لم يكن لهُ قبل الطوفان ولدٌ غيرهُ . ثم انهُ لما نضب مآء الطوفان نزل نوح من السفينة وحدهُ يمشي في الارض وبينا هو كذلك جآءتهُ امرأةٌ من الجنّ وقد تزيّت لهُ بشكل امرأتهِ واخذت تمشي بجانبهِ فلما رآها نوح انكر عليها الخروج من السفينة دون اذنهِ وعنّفها على ذلك فقالت اني قد سئمت المُقام في الفُلك ورأيتك خرجت منهُ فقلت أخرج امشي معك . ونظر اليها نوح فرأى عينيها مكحولتين وشعرها مُرسَلًا فقال لها ألا تعلمين ان الاكتحال محرّم وأن خروجكِ وشعركِ غير مضفور لا يجوز . فقالت ان لنا زمانًا ونحن محبوسون في هذا الفُلك وحدنا فلم أُبالِ بضفر شعري واما امر الاكتحال فلست اظن ان سكان عالم الانوار بعد هذا الامتحان الطويل لنا يناقشونا على مثل هذا الامر الطفيف . ثم انها دنت منهُ واخذت تغازلهُ ويغازلها وهو يرى انها امرأتهُ حتى استدرجتهُ الى المعصية وللحال وافاهُ صوتٌ من جانب أواثار يؤنبهُ على ما فعل وقال لهُ انك قد ركبت اثمًا فظيعًا وسيكون عقابك ان تبقى مُرتهَنًا في المتروثات الى انقضآء العالم

وبعد ذلك عاد نوح الى الفُلك فاخرج كل ما كان فيهِ وحملت المرأة التي خدعتهُ ووضعت ثلاثة بنين وهم حام ويامين ويافث وكان كلٌّ منهم يتكلم

بلغةٍ تخالف لغة الآخر ومن هؤلآء الثلاثة جآءت السودان والترك والفرنجة .
ولذلك فان الصابئة لا يذكرون نوح ولا احد بنيهِ هؤلآء الثلاثة فيمن يستغيثون
بهِ من آبآئهم الاولين لأن نوح مُتقَلٌ في المتروكات وبنيهِ المذكورين انما كانوا
أبنآء غيّة فلا يذكرون من هذه الأسرة كلها الاّ ولدهُ سام ويكرمونهُ اكرام ابٍ
لم لاعتقادهم انهم من ذرّيتهِ

وممن يُذكَر في تواريخهم موسى وكان مولدهُ عندهم بعد يحيى . ومن
حديثهم انهُ بعد أن خرج يحيى من الارض خلّف لم ثلاث مئة وستة وستين
تلميذًا بين اساقف وكهنة وبثّت شيعتهُ كلها مقيمةً ببيت المقدس وابتنوا لهم كنيسة
بجانب هيكل اليهود . وكان لألعازار زعيم اليهود بنتٌ يقال لها موريو وكانت
شديدة الورع فكانت تختلف كل يوم الى الهيكل فاتفق يوماً انها سهت عن
باب الهيكل فدخلت الكنيسة وكان الصابئة يقيمون صلاتهم فلم تشعر الا وهي
في وسط الكنيسة فلبثت في مكانها حتى فرغوا من الصلاة . فأعجبها ما رأت
عندهم ومالت الى الدخول في مذهبهم ومنذ ذلك اليوم جعلت تتردد على
نسآء اساقفهم وكهنتهم تتلقن عقائدهم حتى أُشرِبت دينهم وواظبت على حضور
صلواتهم كل يوم احد ونزعت ملابسها وحليّها ولبست البياض على ما هي سُنّة
المتقين منهم . فأنكرت ذلك امها عليها فاعلمتها انها قد اتّبعت دين الصابئة
فنهتها فلم تنتهِ فأعلمت أباها بالامر فزجرها وتهددها فلم يغنِ وآخر الامر
ذهب ألعازار فجمع رؤسآء اليهود وتآمروا على قطع دابر الصابئة ثم اغروا العامّة
بذلك فوثبوا عليهم وقتلوهم ولم ينجُ منهم الاّ نفرٌ قليل تمكنوا من الفرار . حينئذٍ
هبط أنوش اوثرو بشكل بازٍ وضرب اليهود بجناحيهِ فألقاهم في النهر ثم ضرب
المآء فهاج وأزبد وغمرتهم امواجهُ فهلكوا عن آخرهم . وبعد ذلك جمع بقايا

الصابئة ودمّر بيت المقدس ثم اخرجهم الى بلدٍ آخر فأسكنهم فيهِ واختار من بينهم رجلين اخوَين يقال لاكبرهما فرّوخ ملكو وللآخر اوردون ملكو فقلدهما رئاستهم وولّاهما الدفاع عنهم ثم انقلب عائدًا الى عالم الانوار

وبعد ان أتى على ذلك ما شآء الله تكاثر عدد الصابئة واليهود جدًّا وفي ذلك الزمن ظهر موسى نبيّ اليهود فعزم على ان ينتقم لمن هلك منهم على يد انوش اوثرو وكان في نفس فرّوخ ملكو ايضاً مثل ذلك من طلب ثأر الصابئة الذين قتلهم ألعازار لكن جآءتهُ رسالةٌ من أَواثار ينهاهُ عن قتال موسى ويأمرهُ ان يهاجر الى بلدٍ آخر يقيم فيهِ بجماعتهِ فأعرض عن طاعتهِ واصرّ على طلب الحرب . ولما تصافّ الجيشان خرج موسى وفرّوخ ملكو فتبارزا وطال بينهما الكرّ والفرّ واخيرًا اسفر الامر عن هزيمة موسى وكان البحر قريباً منهم فاقتحمهُ موسى فانشقّ امامهُ فعبر الى وسط البحر ووقف هناك حتى عبر جيشهُ كلهُ وعبر هو آخرهم . وتبعهم فرّوخ ملكو بجماعتهِ فاطبق البحر عليهم فهلكوا باجمعهم ولم ينجُ الّا فرّوخ ملكو واخوهُ وثلاثون نفساً من الصابئة من رجالٍ ونسآء كانوا قد ادركوا البرّ في وقت خروج موسى فانثنى موسى اليهم ليأتي عليهم فانهزموا من وجههِ وما زالوا في هزيمتهم تلك حتى لحقوا بشُشتَر من ارض فارس

ستأتي البقية

آلهة السوريين

نقتضب ما يأتي عن رسالة مطوّلة بقلم حضرة صديقنا السريّ الفاضل جرجي افندي ديمتري سرسق في بيروت عرّبها عن كتابٍ جُمعت فيهِ رسائل لوسيان احد متأخري فلاسفة اليونان وقد افتتحها بترجمة هذا الفيلسوف فقال

وُلِدَ لوسيان في مدينة سموسطة[١] نحو سنة ١٢٠ للميلاد وكان ابوهُ فقيرًا فاعتنى خالهُ بتعليمهِ صناعة النحت ثم عدل عنها الى وكالة الدعاوي في محكمة انطاكية وبعد حين تركها وتجول في آسيا واليونان وغاليا وايطاليا وكان يلقي خطبًا في تلك الامصار ولما بلغ الاربعين من عمرهِ عكف على العلوم الفلسفية واشتغل بانتقاد مساوئ معاصريهِ وفي سنة ١٨٠ فوّض اليهِ مرقس اوريلوس ولاية قسمٍ من مصر وتوفي سنة ٢٠٠ وقد بلغ الثمانين وترك كتاباتٍ عديدة لم يزل اكثرها محفوظًا حتى الان وقد احببت ان اتحف قرَّاء العربية ببعض فوائدها فابتدئ بتلخيص رسالةٍ لهُ سماها آلهة السوريين وهي عبارة عن قصة رحلةٍ لهُ في سوريا قال

من مدن سوريا بلدةٌ ليست بعيدة عن الفرات تدعى هيارابوليس اي المدينة المقدسة لانها مخصصة بعبادة الإلاهة يونون الاشورية وانا اصف هذه المدينة وما كانت عليهِ من الفخامة والعظمة وابسط الكلام في العبادات والاحتفالات الدينية وتقديم الذبائح نقلًا عما تلقنتهُ من الكهنة مع ما شاهدتهُ عيانًا

نحن نعلم ان المصريين هم اول من شاد الهياكل للآلهة وبنى حولها الاسوار وعُني بالاحتفالات الدينية وفرَض الصلاة وعنهم اخذ الاشوريون . والى الآن لم يزل في سوريا هياكل تضاهي هياكل المصريين في قدمها وقد شاهدت اكثرها منها هيكل هِرَقل في صور وهو غير هِرَقل الاغريقي فهو اقدم منهُ ويسمى هرقل الصوري . ومنها هيكل عظيم لصيداويين قيل انهُ مخصص بعبادة عشتروت[٢] واخبرني احد كهنة هذا الهيكل انهُ مخصص بعبادة اوربا[٣] اخت

---

١ هي المسماة الان سميساط قرية على ضفة الفرات من نواحي قضاء حصن منصور في متصرفية ملطية من ولاية معمورة العزيز سكانها ٨٠٠ نفس

٢ الاهة الفينيقيين والسوريين وهي رمز الى السماء والكواكب وقد ذكرت في التوراة وهي عند اليونان الزهرة ٣ ورد في الميثولوجية (خرافات اليونان)

قدموس[1] ابنة الملك اجنور[2] قال انها كانت بارعة في الجمال فهام بها جوبيتير فاختطفها بعد ان استحال الى ثور وذهب بها الى اكريت ولذلك كان الصيداويون ينقشون على دراهمهم صورة اوربا ممتطية ثورًا هو جوبيتير . وقد رأيت في بيلوس[3] هيكلاً عظيماً على اسم فينوس الجُبيلية يحتفلون فيهِ باعياد يكثر فيها شرب الخمر والانهماك بالملذات اكراماً لأدونيس او تموز ويزعم اهل جُبيل ان ادونيس انما جرحهُ الخنزير البرّيّ في بلادهم لذلك يحتفلون كل سنة باعياد يقرعون فيها صدورهم ويذرفون الدموع ويحلقون رؤوسهم كما يفعل المصريون يوم موت ابيس[4] ويتجولون من مكان الى آخر لابسين الحداد ثم يقدمون هدايا المأتم الى معبودهم كأنهُ ميت وفي اليوم التالي يزعمون انهُ قام من الموت وصعد الى السماء.

ويخرج من جبل لبنان نهر اسمهُ ادونيس يصب في البحر يستحيل ماؤهُ في كل سنة دماً يصبغ قسماً عظيماً من مياه البحر وحينئذٍ يلبس اهالي جبيل اثواب الحداد لاعتقادهم ان ادونيس جُرح في لبنان في مثل هذا اليوم ولذلك سمي النهر باسمهِ. هذا هو الاعتقاد الشائع عندهم الآن احد الاهالي ذكر لي تعليلاً آخر لهذه الحادثة الغريبة اقرب الى الصواب قال ان نهر ادونيس ينبع من سفح لبنان المشرف على البقاع ويخترق هضابهُ بين صخورٍ وتربةٍ زنجفرية تنسفها الريح التي تعصف في ايام معلومة وتلقيها في الماء فيتغيّر لونهُ وعليهِ لا يكون

انها ابنة ملك الفينيقيين احبها جوبيتير فاختطفها وذهب بها الى البلاد التي دعيت باسمها «اوربا» [1] قيل انه ابن ملك فينيقيا ارسله ابوه لينشد اخته اوربا فلم يجدها فبقي في بلاد اليونان وبنى مدينة ثيبة نحو سنة ١٥٨٠ ق م ويظن انه هو الذي ادخل الحروف الفينيقية الى اليونان [2] ملك فينيقيا نحو سنة ١٥٦٠ ق م

[3] جبيل [4] من اكبر الهة المصريين كانوا يعبدونه على شكل ثور سموه ابيس

الدم سبب هذه المعجزة كما يزعمون بل التراب واذا صحَّ قولهُ فلا بدَّ ان يكون سبب هبوب الريح في ايام معلومة من فعل الآلهة . وعلى بعد يوم من جبيل هيكل قديم العهد موقعهُ عند منبع ادونيس شيدهُ سينيراس[1] للزهرة

واعظم هياكل سوريا واضخمها بنـآءٍ واجلها شكلاً هيكل هيارابوليس المقدم ذكرها وفيهِ من المصنوعات النفيسة والهدايا القديمة العهد والتماثيل البديعة الصنع ما لا يفي الكلام بوصفهِ منها تماثيل الآلهة التي ترشح ابدانها بالعرق وتتحرك وتتنبأ بالغيب ويسمع لها في الغالب صوت والهيكل مغلَق . وهذا الهيكل اغنى جميع الهياكل التي شاهدتها لان النذور ترد اليهِ دائماً من بلاد العرب وفينيقيا وبابل وكبادوكيا وكيليكيا واشور . والذي اتصل بي من اخبار هذا الهيكل وقدمهِ اقوال متناقضة اشهرها ان مؤسس هذا الهيكل هو دكاليون السكيثي الذي حدث الطوفان المعظم على عهدهِ . ويروي الاغريق عنهُ ما خلاصتهُ ان نوع الانسان الاول افسد في الارض وكثرت شرورهُ فاقتصَّت الآلهة منهُ بالطوفان ولم يسلم الاَّ دكاليون وعنهُ نشأ نوع الانسان الحالي وكان دكاليون صالحاً صنع فلكاً عظيماً وادخل اليهِ امرأتهُ واولادهُ ووضع فيهِ من الحيوانات اثنين اثنين وكفَتها القدرة الالهية عن ان يضرَّ بعضها ببعض . وسكان هيارابوليس يوافقون على ذلك ويزيدون عليهِ ان المآء نضب بان انفتحت في بلادهم هوَّةٌ عظيمة غاضت فيها المياه التي غمرت وجه الارض فخرج دكاليون من الفلك وبنى فوق هذه الهوّة هيكلاً على اسم الإلاهة يونون وقد شاهدتُ تلك الهوّة فاذا هي صغيرة ولست ادري لعلها كانت من قبل كبيرة . واهالي هيارابوليس لا يزالون الى الآن يحتفلون بتذكار هذه الحادثة مرتين في السنة فيذهب

---

[1] ورد في الميثولوجية انهُ كان ملكاً على قبرس تزوج بابنته وهو لا يعرف انها ابنته فحملت منه وولدت ولداً هو ادونيس

الكهنة والسوريون والعرب حتى الشعوب الساكنة في عبر الفرات الى الشطوط البحرية فيأخذون من ماء البحر ما استطاعوا حملهُ ويأتون بهِ الى الهيكل ثم يصبّونهُ فيهِ فيجري الى الهوّة

على ان الهيكل الاصلي قد تهدم بكرور الزمان والهيكل القائم الآن هو من بناء استراتونيكا ملكة الاشوريين وهو مبنيٌّ على اكةٍ في وسط البلد يحيط بها سوران احدهما قديم والثاني حديث والى شمالي الهيكل اروقة مسقوفة فيها التماثيل التي نصبها الاله باخوس علوها ٤٨ مترًا و٦٠ سنتيمترًا يصعد الى قمة احدها رجلٌ مرتين في السنة فيبقى ٧ ايام عاكفًا على الابتهال الى الآلهة لتفيض بركاتها على بلاد سوريا ويزعم بعضهم ان ذلك يجري تذكارًا لهرب الناس من الطوفان الى قمم الجبال وعبادةً لدكاليون . وداخل الهيكل سور يُصعد اليهِ على سلّم والدخول اليهِ غير محظور على احد اما المقدس فلا يدخل اليهِ الا الكهنة المقرّبون المنوطة بهم الخدمة المقدسة وهناك تمثالا يونون وجوبيتير وهما من الذهب مُثلت في احدهما يونون جالسة على الاسود وفي احدى يديها صولجان وفي الثانية مغزل ورأسها محاط باشعة وعليهِ تاج فيهِ حجر ثمين يسمونهُ النبراس لانهُ يضيء في الظلام حتى يُخيَّل ان الهيكل منارٌ بالمشاعل ولا يُرى من ذلك في النهار الا تألقٌ ضعيف . ومما في هذا التمثال من العجائب انك تراهُ ينظر اليك أنّى تحولت فاذا وليت عنهُ تبعك بنظرهِ واذا نظر اليهِ شخصان رأى كلٌّ منهما ما يراهُ الآخر . اما تمثال جوبيتير فيمثلهُ جالسًا على الثيران وهو لا يختلف عن تماثيلهِ في غير هذا الهيكل . وبين هذين التمثالين تمثالٌ آخر من الذهب قيل انهُ تمثال سميراميس بدليل ان على رأسهِ تمثال حمامة من ذهب وهذا التمثال كانوا يأخذونهُ مرتين في السنة عند ذهابهم لاغتراف الماء من البحر كما تقدم

واجتزئ عن الكلام على سائر التماثيل المصنوعة بوصف ما هو اغرب واعجب اي الوحي فهو في اليونان ومصر وليبيا وآسيا لا يقع الا للكهنة والعرّافين واذا بدأ ابولون السوري بالوحي اضطرب على عرشهِ وتحرك من تلقآء نفسهِ فاذا لم ترفعهُ الكهنة حالاً تندّى بالعرق وزاد اضطرابهُ فيحملونهُ على اكتافهم ويطوفون بهِ حتى يحضر الكاهن الاعظم فيلقي عليهِ مسائل مختلفة فان لم يستحسنها الاله ارتد الكاهن على اعقابهِ وان استحسنها أذِن للكهنة حامليهِ ان يتقدموا بهِ وبذلك يحصلون على الوحي بما يترتب عليهم عملهُ في عباداتهم ومعاملاتهم وسائر احوالهم الشخصية والدينية وما يكون في مستقبل سنتهم من الحوادث

وكهنة الهيكل كثيرون بعضهم يذبحون الذبائح وآخرون يسكبون الخمر وآخرون يحملون المشاعل وقد رأيت نحوًا من ٣٠٠ كاهن آتين للذبيحة بثياب بيض وعلى رؤوسهم اللبود ورئيسهم يُنتخَب منهم في كل سنة وهم يسمونهُ حبر الاحبار وهو وحدهُ يلبس الارجوان ويضع على رأسهِ تاجاً من الذهب . ويوجد كثيرون من العازفين بالقيثارة والمزمرين والخصيان والنسآء العابدات وربما احتفلوا بالذبيحة مرتين في اليوم . اما الذبيحة التي تقدم لجوبيتير فلا يصحبها غنآء ولا عزف خلافاً للذبيحة التي تقدم ليونون فانها تكثر فيها الجلبة والضوضآء وترتفع اصوات الغنآء والمزمار وغير ذلك من آلات السماع ولم اقف على علة هذا الاختلاف

ويترتب على الرجال الذين يذهبون الى هيارابوليس لحضور الاحتفالات ان يحلقوا شعر رؤوسهم وحواجبهم وان يذبح كلٌّ منهم نعجةً يأكل لحمها ثم يأخذ جلدها ويبسطهُ على الارض ويجثو عليهِ بعد ان يضع على رأسهِ رأس الذبيحة وقوائمها ويصلي وبعد ذلك يضع على رأسهِ اكليلاً ويخرج من بيتهِ ويسير في

طريقهِ لا يشرب الا ماء بارداً ولا ينام الا على التراب حتى يؤدي فريضة الحج

ومن عوائدهم انهم يكللون الضحايا بالزهور ويلقونها حيةً من اعالي الرواق الى الارض فتموت وربما القى بعضهم اولادهم على هذه الطريقة ضحية للآلهة . ومنها انهم يستعملون الوشم على ايديهم واعناقهم فرضاً دينياً. ومنها ان الشبان ينذرون شعر لحام للآلهة وكذلك ينذر الوالدان شعر اولادهما فمتى طال يحملانهم الى الهيكل حيث يجزّانهِ ويضعانهِ في آنية فضية او ذهبية يكتبون عليها اسم صاحب الشعر ويعلقونها في مكان من الهيكل ولا يزال اسمي مكتوباً على اناء وضعت فيهِ من شعري وعلقتهُ في الهيكل . انتهى

مقابلة

بين الشعر العربي والشعر الافرنجي

من قلم الكاتب اللوذعي نجيب افندي الحداد احد منشئ جريدة لسان العرب الغراء

الشعر هو الفنّ الذي ينقل الفكر من عالم الحسّ الى عالم الخيال والكلام الذي يصوّر ادقّ شعائر القلوب على ابدع مثال والحقيقة التي تلبس احياناً اثواب المجاز والمعنى الكبير الذي تبرزهُ الافكار في احسن قوالب الايجاز واخفى وجدانات النفس تمثّل للمرء فيحسبها سهلةً وهي منتهى الابداع والاعجاز بل هو الأنّة التي تخرج من قلب الثكلان والنغمة التي يترنم لترديدها الطَرُوب النشوان والشكوى التي تخفف لوعة الشاكي ويأنس بها المحبّ الولهان بل هو الحكمة يجدها الحكيم فيبرزها بما يليق بها من محاسن اللفظ ويوازن بين اجزائها موازنةً تحبب ورودها على الأُذُن وتقرّب منالها من الحفظ والجمال تراهُ

العين فتصعب ان تحفظ ذكراهُ فتبقيه صورةً ماثلةً يراهُ بها من لم يكن قد رآهُ .
ومن نظر في تاريخ الشعوب وسيرة الامم لم يجد شعباً ولا امةً بلغت غايةً من المدنية او تأخرت درجاتٍ في الهمجية الاّ كان للشعر منها نصيبٌ وللنظم بين افرادها سجية يدلّ ذلك على أن الانسان شاعرٌ كما هو ناطقٌ بالطبع وأن الطبيعة تقتضي التوازُن والانتظام في عناصرها وسائر كائناتها واحوالها وما احسب الشحرور يغني والقمريّ ينوح الا ولهما من انتظام تغاريدهما طَرَب ومن وزن ألحانهما سرورٌ هو مسرّة الشعر في النفس وطيب اوزانهِ على الأُذن وخفّة تقطيعهِ على الحواس وما الغناء لولا توازن نَبَراتهِ وتشابه إيقاعهِ الاصوتٌ مملٌّ لا معنى لهُ ولا تأثير فيهِ

ولقد أُولعتُ بهذا الفنّ منذ الصبى وصرفت لهُ من اوقات الفراغ برهةً طويلة قرأت فيها دواوين العرب ونظمِ المجيدين من شعرآئهم ثم قرأت كثيرًا من شعر الفرنسيس وشعر غيرهم منقولاً الى لغتهم كشعر اليونان والرومان والانكليز والالمان والطليان وكلهم من شعرآء الدنيا المعدودين الذين لم تُترجَم اقوالهم الى اللغة الفرنسوية الا لشهرتها وابداع ناظميها مثل هوميروس وفرجيل وتاس ودانتي وشكسبير وشيلر وامثالهم من ائمة الشعر الافرنجي الذين تُضرَب بهم الامثال ويُستشهَد باقوالهم في كل مقال . وقد سألني من لا تسَعُني مخالفتهُ أن أستعين بما توصلت اليهِ من قرآءة الشعرين العربيّ والافرنجيّ على وضع مقالةٍ في هذه المجلّة الغرآء ابيّن فيها المقابلة بينهما واتكلم عن الفرق بيننا وبين اهل الغرب في معاني الشعر وانواع ايرادهِ واذواق ناظميهِ وطرائق البيان في مآخذهِ وابراز المقاصد منهُ الى ما يتصل بذلك من قواعد نظمهِ اللفظية والمعنوية عند كلٍّ من الفريقين . وهو ولا شك مطلبٌ عسير ونيّةٌ بعيدة تقف دون غايتها

سوابق الاقلام وتحسر دون ادراكها بصائر الافهام اذ ينبغي للكاتب ان يعلم لغة كل شاعرٍ من هؤلآء الشعرآء ويعرف منزلتهُ الشعرية في اهل لسانهِ ويكون قادرًا على الحكم في شعرهم وبيان الفرق بينهُ وبين الشعر عندنا مما يستلزم علمًا كبيرًا وخبرة واسعة بجميع هذه اللغات

ولكنني لست في شيء من ذلك ولا انا في هذا البحث من حيث الفصاحة اللفظية والتراكيب اللغوية بل انا اتعرض للكلام فيهِ من حيث المعاني الشعرية التي وقفتُ عليها منقولةً الى اللغة الفرنسوية عن جميع هذه اللغات واقابل بينها وبين الشعر العربي من هذا الجانب المعنوي فقط اي من حيث ابراز المعاني العقلية التي تدلّ على مقدرة الشاعر ومنزلتهِ من النُبل والحكمة مع بيان شيء من قواعد الشعر في لغة الفرنسيس التي عنها انقل كل ما رأيتهُ من شعر الجميع ممثلاً فيها بتمام معانيهِ . وما أنكر أن نقل الشعر الى النثر وتصوير المعاني الشعرية في قوالب نثرية ولا سيما اذا كانت تلك القوالب من غير اللغة التي وُضعت فيها مما يحط قدر النظم وينزل بهِ عن رتبة البلاغة التي كان يمتاز بها في لسانهِ الاصيل ولكن الشعر الافرنجي قد يكون واحدًا تقريبًا من هذا القبيل اذ اكثر اصطلاحاتهم الكلامية وضروب تعابيرهم اللفظية قلما تتفاوت في درجات البيان ووجوه الايضاح والتعبير لانها كلها ترجع الى اصل واحد هو اللغة اللاتينية التي هي امّ لغاتهم جميعًا وعنها يشتقّ اكثر الفاظهم ومسمياتهم وطرق الانشآء عندهم بحيث انك لو نقلت كتابًا من الطليانية مثلاً الى الفرنسوية لم تكد تحتاج في نقلهِ الى الزيادة على ترجمة الالفاظ باعيانها ومواضعها دون تغيير يذكر في اسلوب العبارة او تنسيق مفرداتها على الوجه النحويّ اذ النحو في كلتا اللغتين متقارب لا يكاد يتباين الا في النادر وضروب البلاغة الانشآئية

متشابهة لا يكاد يختلف فيها الذوق عن الذوق الا اختلافاً يسيرًا في مواضع لا تذكر وبخلاف ذلك اللغة العربية وغيرها من اللغات الشرقية فان النقل عنها مثل النقل اليها يستلزم تبديل العبارة كلها بجميع وضعها تقريباً وتقديم كثيرٍ من الفاظها أو تأخيرهُ وربما ادّى الامر بالناقل الى تغيير الاصل بجملتهِ الى معنى يقاربهُ لعدم اتفاق المعاني بين اللغتين وتباين اذواق اهلهما في وجوه التعبير واساليب المجاز وطرق الاستعارة مما يرجع الى مألوف كلٍّ من الفريقين في حال الحضارة وهيئة الاجتماع . ولذلك كان اكثر الاشعار الافرنجية المنقولة الى اللغة الفرنسوية لا يفقد من جمال معانيهِ الشعرية شيئًا سوى ما كان عليهِ من طلاوة النظم ورونق القالب الشعري وكان من وقف على تلك الاشعار منقولة الى هذه اللغة كانهُ وقف عليها في لغتها من حيث دقة المعاني وابتكارها ودرجة ناظمها في مقام الشاعرية وذلك لما قدمناهُ من اتفاق اكثر هذه اللغات في اصولها وقرب المشابهة بينها في بيان العواطف والوجدانات ولا سيما وان اصحابها في نظمهم انما يعولون على دقة المعاني وحقائق الافكار اكثر مما يعتمدون على رشاقة اللفظ وزخرف الاساليب اذ لغاتهم اضيق من لغتنا كثيرًا وقلما تختلف انواع التعبير عندهم بالنسبة الى اختلافها واستفاضتها عندنا بحيث انهم لا يجدون لابراز المعنى صيغة او صيغتين الا وجدنا لهُ نحو عشر صيغ او اكثر نتفنن بها في ابرازهِ وتختلف درجة الشاعرية عندنا باختلاف الاجادة والتقصير فيها وهي المزية التي امتازت بها لغتنا العربية عن غيرها من سائر اللغات

ولا بأس قبل الدخول في هذه المقابلة التفصيلية بين اشعارنا واشعارهم ان أُورد للمطالع نبذة اجمالية عن اصل الشعر عندنا وعندهم ودرجات ارتقائهِ في سلم الكمال من حين نشأتهِ الى هذا العهد وما تقلب عليهِ من احوال المعاني

وشؤونها بتقلب الايام على اصحابه من الشعوب اذ هو مرآة الاخلاق وتاريخ ما كانت عليه الامم في مراقي تقدمها وحضارتها الى الآن . وابدأ من ذلك بما يقولهُ الافرنج عن اصل الشعر عندهم وكيفية تدرجه ووصوله اليهم على سلسلةٍ اول حلقاتها بدء الشعر في العالم منذ عهد آبائنا الاولين وآخرها ما صار اليه على عهد شعرائهم في هذا العصر نقلاً عن فيكتور هيكو اكبر شعراء الفرنسيس واشهرهم في هذا الفن قال

ان الهيئة الاجتماعية التي تعمر الارض اليوم لم تكن هي نفسها التي كانت تعمرها من قبل بل ان المجتمع الانساني قد نشأ ودرج وشبّ كما ينشأ الواحد من افراده فكان صبياً ثم صار رجلاً ثم نحن الآن نشهد شيخوختهُ الكبرى . ولقد كان قبل الاوان الذي يسميه المعاصرون عهد الخرافات اوانٌ اقدم منهُ يسميه السلف العهد العتيق واولى به ان يسمى عهد الاولين وبه تحصل عندنا ثلاثة عهود للمجتمع البشري من يوم نشأته الى هذا العصر . ولما كان كل مجتمع لهُ شعر بخصوصه يمتاز به عن سواهُ فقد رأينا ان نبين هنا ما كان من المزية الشعرية لكل عهد من هذه العهود الثلاثة التي هي اطوار الحياة الاجتماعية من بدء نشوئها وهي عهد الاولين وعهد الخرافات والعهد الحاضر وهو يشمل ما كان من الاعصر الوسطى الى الآن

فلقد خُلق الانسان جديدًا في العهد الاول وخُلق الشعر معهُ بالطبع اذ هو مفطورٌ عليه فكانت اشعارهُ الاناشيد والاغانيّ الروحية طبقًا لما كان يرى حولهُ من عجائب الله وآياته ثم هو قد كان قريب العهد بصنع الله لهُ فكان شعرهُ الصلاة والابتهال وكان لعود النظم عندهُ ثلاثة اوتار لا يرنّ عليه سواها وهي الخالق والخليقة والنفس . ثم ان الارض كانت قفرًا خالياً ينقسم سكانها الى

أُسَرٍ لا الى قبائل ويُسمى حكامها آباءً لا ملوكاً وكان العيش فيها على دعة وسعة ليس فيهِ اجتياز ارضٍ مخصوصة ولا شريعةٌ ولا نزاع بل هو عيشة رُعاةٍ رُحَّل هي مهد كل حضارة ومدنية ولكنها لم تكن في شيء منهما على الاطلاق وكان فكر المرء فيها لحياتهِ اشبه بسحابةٍ سارية تتغير اشكالها وتختلف مجاريها باختلاف ما يهبّ عليها من الرياح وهذا هو الانسان الاول بل الشاعر الاول ويدعى عهدهُ عهد الخليقة او عهد الاولين

ثم تدرج العالم في مراقي فطرتهِ الكمالية فاتسع نطاق العمران وامتدت حدود الاجتماع فصارت الأُسرة قبيلةً وصارت القبيلة امةً وشعباً والتفَّ كل هذا الجموع على قُطبٍ واحد جعلهُ مركز عمرانهِ فنشأت من ذلك الامارات والدول وقام المجتمع المدنيّ مقام القبائل الراحلة واختُطّ المصر الواسع مكان الحلة الصغيرة وشُيِّد القصر الرفيع مكان الخيمة المضروبة وبني الهيكل العظيم في موضع خيمة الاجتماع وبقي اولئك الرؤوس رعاةً ولكنهم صاروا رعاة شعوب بدل القطعان واستبدلوا عصا الراعي بالصولجان . ثم ضاقت الارض بسكانها وشعوبها فصدم بعضهم بعضاً فكانت من ذلك الحروب والغارات وكان الشعر مرآةً لكل تلك الامور تنعكس عنهُ وتلوح صُوَرها فيهِ فانتقل بها من حدّ بيان الافكار الى حدّ وصف الحوادث وتصويرها فانتظم في سلكهِ تاريخ العصور والشعوب والدول وتدوين المواقع والحروب والحكايات وخرج من كل ذلك هوميروس الشاعر اليوناني المشهور وفي قصائدهِ وحدها صُوِّر تلك الاعصر كلها وبيان وقائعها وحوادثها ووصف بمشاهيرها وابطالها وآلهتها طبقاً لما كان عليهِ الشعر في ذلك الحين من الجمع بين الدين والدنيا وحقيقة التأريخ واوهام الخرافات

ثم دخل العالم بعد ذلك في حالٍ جديدة هي النصرانية التي درجت

من مهد الشرق فكان الغرب مجتمع انوارها وهدمت مباني تلك الخرافات القديمة ووضعت اساس المدنية الصحيحة على آثارها واعلمت الانسان ان لهُ حياتين حياةً فانية وحياةً خالدة وانهُ مثل حياتهِ مؤلفٌ من عنصرين حيوان ونطق ونفس وجسد وفصلت بين النَسَم والاجسام فصلاً بعيدًا ووضعت بين الخالق والمخلوق فرقًا شاسعًا فارتقى بها عقل الانسان من حال الى حال وتحولت اخلاقهُ التي هي تِلو عقائدهِ من صيغة الى صيغة اخرى وانتقل الشعر عندهُ من دائرة الوهم الى حد الحقيقة ومن الخيال الخُرافيّ الكاذب الى المعنى الحسيّ الصحيح حتى بلغ ما هو عليهِ في هذا العصر (انتهى كلام الشاعر الفرنسوي ببعض تصرّف) ستأتي البقية

العين

بقلم حضرة الفاضل نجيب افندى غرغور رئيس قلم الترجمة والانشاء في مصلحة وابورات البوستة الخديوية

من الاوهام الشائعة بين عامة الناس وخاصتهم ان للعين الرديئة قوةً على الاصابة فهي نحسٌ من النحوس تصيبُ من قضى سوء الحظ عليهِ بالتعرض لنبالها الحادّة او للاشعة المنعكسة عن لهب حدقتها .

ولم يكن هذا الاعتقاد مقتصرًا على الشرقيين بل هو شائعٌ معروف عند الغربيين بل عند خاصتهم ايضًا يتطيرون منهُ ويُعرَف عندهم بالعين الرديئة او الشريرة

ولم يستطع العلماء حتى الآن تعليل الاصابة التي يعتقد الناس انها ناشئةٌ عن العين الشريرة تعليلاً علميًّا على ان اكثرهم يبحث في هذا الامر بحثًا تاريخيًّا مسندًا روايتهُ الى من سبقهُ من الكتّاب ولكنهُ يتوقف عن التسليم بصحتهِ ولا

يورد ادنى دليل حسيّ على وجود العين الشريرة او على حقيقة تأثيرها ولذا كان كل ما كتبوهُ من هذا القبيل مأخوذًا عن حديث الرواة ولا يخفى ما في الروايات من المغالاة

والذي دعاني الآن الى الخوض في هذا البحث في ما قرأتهُ في بعض صحف الغرب إثر الفاجعة الهائلة التي ضُرِبت بها باريز اخيرًا بموت نخبةٍ من سراتها واميراتها يوم كانوا مجتمعين في نادي الاحسان لاغاثة الملهوفين من اخوانهم بني الانسان ومؤدّى ذلك القول ان عينًا شريرة اصابت ذلك المكان وزائريهِ فكانت سبب البلاء وجعلتهم وقودًا للنار وقد لمح الكتّاب الى زائرٍ كريم زايل المكان قبل المصاب

والعين او الاصابة بها او النحس يسمى عند الفرنسويين **Mauvais œil** وعند الايطاليين **Jettatura** ويسميهِ اليونانيون « الكسيانا » **Αλεξιάνα** وكان الرومانيون يدعونهُ **Fascinum** . وقد كتب العالم الايطالي نيقولو فاليتا عنهُ كتابًا جمع فأوعى ادّعى فيهِ تطبيقهُ على العلم واورد على صحة ما يقول شواهد وادلةً سنأتي على ذكر بعضها وان تكن لا تُقنع غير السذّج من العوامّ

ونظم فيكتور هوغو قصيدةً شائقةً سارت بين الملأ الغربي مثلاً وجعل بعض اصحاب المدارس العُليا يعلمونها لتلامذتهم بعنوان « الشريرة » . والذي اراهُ ان الشاعر الفرنسويّ العظيم قد نظم قصيدتهُ مغاليًا في تخيُّلهِ الشعري وهو لا يعتقد مما يخطّ حرفًا

ولستُ اكثر منهُ بالعين اعتقادًا وان اكن على رواية والدتي من عداد من اصابتهم بشرٍّ وأذى فلقد اقسمت لي بأعزّ عزيزٍ لديها انها تقول الحق ولا تمين

قالت « دخلَت علينا ذات يومٍ وانت ابن سنتين امرأةٌ مشهورة بعينها الشريرة فلما نظرت اليك قالت ما احلى هاتين العينين «اذ ذاك» ولم تذكر اسم الله فأُصبتَ توًّا بألم في المقلتين وبدت عليهما نقطتان كادتا تذهبان ببصرك ولبثتا حتى بلغت العاشرة من العمر حين زالتا بفضل الله ومهارة من عالجك من الاطباء »

ثم انني اذكر ذلك الألم ولكنني لا اصدق انهُ كان نتيجة نظر تلك المرأة التي بل اعتقد ان الامر حدث اتفاقًا ساعة دخولها فنُسب اليها ولا يبعد من ان يكون نتيجة طارئٍ لا علاقة لهُ بها اصلاً

ولا يذهبنَّ القرآء الكرام الى انني اقصدُ من هذه المقالة حكاية حالي كلاَّ وانما اتيتُ بذلك دليلاً على عدم اعتقادي بما يعتقدهُ البعض بعد الذي اصابني

على ان انكاري لا ينفي حقيقةً ثابتةً وهي حصول الاصابات بمجرَّد وقوع نظر بعض الاشخاص على الاجسام المختلفة اذ لا يشترط ان يكون المصاب من ذوي الافهام بل هي تشمل الكائنات جمعآء. ولقد روى لي احد الثقات انهُ كان ذات ليلةٍ في بلدةٍ تدعى صاع الحجر على شاطئ الفرع الغربي من النيل الاعظم مع نخبةٍ من الادبآء والاعيان يقضون سهرتهم تحت القبة الزرقآء هربًا من الحرّ فابصروا على الضفة الاخرى من النهر نورًا يضيء ومن حولهِ جماعةٌ يتحدثون. قال وكان احد صحبهِ مشهورًا بشدّة تأثير عينهِ يصيب الاشيآء عن عمدٍ اذا شآء فعرض عليهم ان يكسر المصباح المضيء على الشاطئ المقابل لم بدون ان يتحرك من مكانهِ وما عتم ان اتبع القول بالفعل وارسل سهام نظرهِ الجائر الى المصباح فانقلب وذهب شذر مذر. وهي مبالغةٌ عظيمة ولكني لا ارى مندوحةً عن تصديقها لان راوي الخبر ثقةٌ لا يقول الاّ ما يراهُ بعينهِ فعلاً

واعرف كثيرًا من امثال ذلك يطول بي ايرادهُ وهو لا يخرج عن حد المعروف عموماً فلا أُضايق القرّاء بسردهِ واقتصرُ على اقتطاف نبذةٍ من كتاب العلاّمة نيقولو فاليتا الموماً اليـهِ دلالةً على ما توهّم إثباتهُ بعد المراقبة ودقة الملاحظة قال

«ان من كان النحس نصيبهُ ومن نظر الى شيء فيصيبهُ لا يأتي على الغالب ذلك عمدًا وانما تتأتى المصائب عن حضورهِ وهو على يقين من انهُ لو لم يكن موجودًا لما حدث شيء مما جرى . فاذا تأمل دارًا تأملاً دقيقاً فما تلبث النار ان تشبّ في جوانبها واذا نظر الى فاعل يشتغل على مرتفعٍ يهوي ذلك المسكين على عجلٍ . واذا حضر مجلسك فلا بد من ان تكسر شيئاً ثميناً او سار بجانبك فلا تنجو من ان تقع بين انياب كلبٍ نابحٍ او تسقط عن درج منزلك بل يكفي ان تراهُ في الغداة ليكون يومك شؤماً فتخسر ما كنت على ثقةٍ من ربحهِ وتنفق آخر فلسٍ احرزتهُ ويراك الشرطي يحسبك مجرماً فيسوقك الى السجن واذا ضُرب لك موعدٌ لا تجد ما كنت ترجو

« ذا فعلهُ اما وصفهُ فصاحب العين الصائبة يكون عادةً اصفر اللون ذا أنفٍ دقيق الطرَف وعينين واسعتين مستديرتين كعيني الضفدع السامّة[١] »

هذا ما قالهُ العالم الايطاليّ وهو يكاد يأخذ باطراف الخرافة لان تلك الاوصاف تنطبق على غير صاحب العين الرديئة من العالمين وهم براء من تلك الوصمة

والذي أراهُ ان صحّ ما يروونهُ ان للعين الصائبة قوّةً مغنطيسية تفعل

١ في عرف علماء الحيوان ان الضفدع نوعان منها غير سام ويدعى بالفرنسوية Grénouille ومنها سام ويسمى Crapaud

ذلك الفعل والشبه بين صاحبها وبين المُنوّم الذي يُنفذ ارادتهُ في المنوَّم عظيمٌ لان التأثير يكاد يكون واحدًا لولا ما يتخذهُ عالم التنويم من التدبير لاجراء المغنطيسية بلطفٍ تدريجاً حتى لا يكون فعل نظراتهِ ساحقاً للشخص الذي يجري الامتحان عليهِ وهذا هو اقرب تعليلٍ يمكن ان يقتنع العقل بهِ والله اعلم

مراسلات

جاءتنا رسالةٌ من حضرة الفاضل « الاخ انستاس ماري المنتمي الى القديس ايليا الكرملي الحافي » في بغداد اخذ فيها على البيان اشياء اشتبه عليهِ وجه الصحة فيها ولما كانت الرسالة مطوَّلةً تستغرق لا اقلّ من سبع صفحات من هذه المجلة لم يكن لنا بدٌّ من الاعتذار اليهِ عن عدم نشرها برمّتها والاجتزاء منها باقتضاب تلك المآخذ مع التعقيب عليها بما يتجلي معهُ وجه الصواب

فما اخذهُ علينا ما ورد لنا في تصدير مقالة الصابئة حيث ذكرنا ان سرّ هذه الطائفة لم يزل مكنونًا « حتى وُفق الى كشفهِ احد مواطنينا الاعزاء وهو السيّد نقولا السيوفي » .. قال « واني لأعلم بأن اول من هتك ستر هذا السرّ هو احد رجال رهبانيتنا في القرن السابع عشر واسمهُ الاب اغناطيوس دي يسوع .. وقد كتب في هذا الموضوع ايضاً احد آباء رهبانيتنا في بغداد وهو الاب دميانوس يوسف وكان ذلك قبل مجيء السيد نقولا السيوفي الى بغداد بسبع سنين .. وقد جاء ايضاً ذكر هذه الشيعة في كثير من الكتب الفها آباء رهبانيتنا ولم اتعرض لذكرها خوف الملل » . قال « ثم ان السيد نقولا السيوفي لم يفعل ذلك في الموصل لأن لا وجود للصابئة هناك وانما بحث هذا البحث في بغداد كما يقولهُ في مقدمة كتابهِ » . انتهى تحصيلاً

قلنا انّا لا ندافعهُ في كون وطنيّنا المشار اليهِ قد سُبق الى كشف شيءٍ من معتقد هذه الطائفة بل الذين ذكرهم ايضاً قد سُبقوا الى مثل ذلك اذ النفوس متطلعةٌ ابدًا الى كشف الخبايا والتطالّ الى المكنونات غير أنّا لم نكن في شيءٍ من تاريخ الذين ألّفوا في هذا المعنى ولاّ نظنّ ان احدًا قبلهُ امعن في هذا البحث الى الحدّ الذي بلغ اليهِ ولا وُفّق الى مثل ما ادركهُ من حقائق هذا السرّ بما وفر عليهِ من المثابرة والجهد والمبالغة في التحقيق حتى توصل الى مشافهة واحدٍ منهم ودرس لغتهم وتناول نصوص ائمتهم من نفس مصاحفهم ونقلها في كتابهِ بلسانهم وحرفهم على ما سنبينهُ في ختام مقالتنا مما لم يبقِ ادنى شبهةٍ في صحة ما رواهُ عنهم. وحسبُنا من البرهان على تقصير الذين كتبوا قبلهُ في هذا الغرض ووقوفهم دون حدّ الاحاطة ومبلغ اليقين ما اوردهُ في مقدّمة كتابهِ مما نعرّب المقصود منهُ بمعناهُ قال حفظهُ الله

« اني منذ القيت عصايَ في مدينة بغداد لم يزل من همي التنقير عن معتقد الصابئة وكنت لم اكد اسمع بذكر هذه الفئة من قبل فلم احصل بعد البحث الطويل على طائل » . الى ان قال « فلم يبقَ لي من الذرائع في بلوغ هذا الغرض الا ان اتوخى الاتصال بواحدٍ من كهنتهم او مرشَّحٍ منهم يكون على بيّنةٍ من السرّ الذي اتطلبهُ فأستدرجهُ الى كشفهِ بما استطيع اليهِ السبيل . وقد يممتُ في ذلك جماعةً من جلتهم الاب ماري جوزف مدبر مرسلي الكرمليين الحفاة وكان كثيرًا ما يخالط الصابئة رجآء ان يتنادم الى الكثلكة وسألتهُ ان يفضي اليَّ بواحدٍ منهم عند اول فرصةٍ يتهيأ لهُ فيها ذلك . وبعد انتظار ما ينيف على خمسة عشر شهرًا امكن الامر فوافاني في احد الايام وفي صحبتهِ بدويٌّ لهُ من السنّ نحوٌ من خمس وعشرين سنة وهو ابن كاهنٍ منهم كان مرشحًا للكهنوت

ثم صبأ الى الدين الكاثوليكي » الى آخر ما ذكرهُ

فقد رأيت ان المؤلف قد استعان في هذا المطلب بواحدٍ من الآبآء الكرمليين انفسهم وهو الذي جآءهُ بالفتى الذي لقنهُ اسرار الصابئة واطلعهُ على قواعد مذهبهم فلو كان في الكتب التي وضعها رجال هذه الرهبانية الذين ذكرهم ما فيهِ غنآء لأطلعهُ عليها وكفاهُ هذه المؤونة الشاقة ولم يشاركهُ في الاهتمام مدة خمسة عشر شهرًا حتى اتفق لهُ العثور على من يكفل لهُ بتحقيق هذه الأمنية

واما كون المؤلف اتمّ هذا البحث في بغداد او في الموصل فهذا مما لم نتعرض لهُ وانما ذكرنا انهُ تولى ذلك ايام كان وكيلاً لدولة فرنسا بالموصل على ما عرّف بهِ المؤلف نفسهُ في عنوان الكتاب ومهما يكن من تحقيق هذه المسئلة فالخطب فيها ان شآء الله سهل

ثم اعترض على ما جآء لنا في مقالة البربر (صفحة ١١١) حيث ذكرنا ان البربر جيلٌ مقرّهُ شمالي افريقيا ثم قلنا « وهذا الاسم استعملهُ الرومان واليونان قبلهم كما استعملهُ العرب للدلالة على الرطانة في الكلام » اه . فقال « ان ما يظهر لي بان ما استعملهُ الرومان واليونان للدلالة على الرطانة هي كلمة مشتقة من برابرة الشمال **Les Barbares** لا من بربر المغرب **Les Berbères**» اه بحرفهِ. قلنا اننا في الكلام على هذه اللفظة لم نخصص برابرة المغرب ولا غيرهم وانما كان بحثنا في اشتقاق الكلمة من حيث هي واتفاق العرب وغيرهم على اصل مأخذها فكون معنى الرطانة عند اليونان والرومان أُخذ من برابرة الشمال وعند العرب أُخذ من برابرة المغرب لا يمنع وحدة الاشتقاق فيها كما لا يمنعها اختلاف الواضع بل هو النكتة المقصودة في الكلام كما لا يخفى . واختلاف الحركة في

المجآء الافرنجي بين ان تكون فخماً صريحاً كما في Barbares او فخماً ممالاً كما في Berbères لا يقدح في وحدة اللفظتين اذ العبرة انما هي بالحروف الصحيحة وانما خالفوا بينهما في الحركة للفرق بين بربر وبربر ولذلك اذا امتنع الالتباس استغنوا عن الفارق اللفظيّ وذلك كما في لفظ Barbarie فانهُ يكون مصدرًا بمعنى الهمجية واسماً لبلاد برابرة المغرب والاول مأخوذ من لفظ Barbares والثاني من لفظ Berbères كما هو ظاهر ومجازهُ على كلا المعنيين واحد

وهناك اعتراضاتٌ أُخر منها في تحرير الكلام على بعض فِرَق النصرانية مما يطول الكلام فيهِ ولعلنا نعود اليهِ فيما سيرد في تضاعيف البحث عن سائر الاجيال البشرية. ومنها ما صدر عن سهوٍ من المعترض كما جآء في اعتراض لهُ على سؤال السائل (صفحة ١٨٧) محصلهُ ان ما ذُكر في السؤال من ان اهل العراق العربيّ يلفظون الجيم دجيماً « هو غير صحيح ابدًا بل انما يلفظونهُ كما يلفظ الايطاليون الحرف g في كلمة giorno» كذا بحرفهِ... فضربنا صفحاً عن ايراد هذه الاعتراضات والجواب عليها تفاديًا من التطويل على غير طائل

النظر من ورآء حجاب

حكى الفخر الرازي في كتابهِ السرّ المكتوم قال قال ثابت بن قُرّة ذكر بعض الحكمآء كحلاً يقوّي البصر الى حيث يرى ما بَعُدَ عنهُ كأنهُ بين يديهِ قال وفعلهُ بعض اهل بابل فكان ينفذ بصرهُ في الاجسام الكثيفة ويرى ما

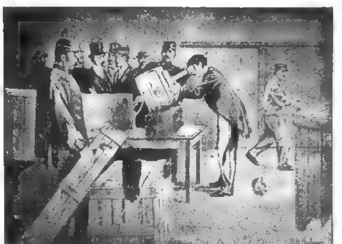
ورآءها فامتحنهُ انا (اي ثابت بن قرّة) وقسطا بن لوقا ودخلنا بيتاً وكتبنا كتاباً فكان يقرأهُ علينا ويعرّفنا اول كل سطر وآخرهُ كانهُ معنا وكنا نأخذ القرطاس ونكتب وبيننا جدارٌ وثيق فأخذ هو قرطاساً ونسخ ما كنا نكتبهُ كانهُ ينظر فيما نكتبهُ . انتهى

وانما بنى ثابت بن قرة هذا الخبر على ما كان يزعمهُ المتقدمون من أن البصر هو الفاعل في المُبصَر وان اشعتهُ تنفذ اليهِ فتدركهُ ولكن الامر على الخلاف لان الادراك في الحواس انفعالٌ لا فعلٌ والبصر انما ينفعل بالنور فيقع الإبصار ولذلك فتقوية الحاسّة لا تفيد شيئاً في ادراك الاشباح المحجوبة ما دامت الاشعة المنعكسة عنها لا تنفذ الحجاب المعترض بينها وبين العين . بلى لو امكن تلطيف حسّها لأمكن ان تبصر من الاشباح ما لا تدركهُ العين عادةً لبعدهِ او دقّتهِ كما قال اولاً وكما تُوُصِّل الى ادراك مثل ذلك بصفائح التصوير الشمسي على ما تقدم لنا بيانهُ في النبذة المعنونة بعجائب التصوير الشمسي (صفحة ١٧٥ وما يليها)

غير ان ما ذكرهُ قد تحقق اليوم بالفعل وذلك باستخدام اشعة رنتجن لما فيها من القوة على نفوذ الاجسام الكثيفة على ما سبق لنا الكلام فيهِ غير مرة حتى صارت تُستخدَم في مواضع المكس (الكمرك) للكشف عما في صناديق البضائع وغيرها وهي مُقفَلة على ما تناقلتهُ الجرائد من امدٍ قريب وهي احدى المنافع العامّة التي نشأت عن هذا الاكتشاف العجيب

اما كيفية ذلك فلا يخفى ان اشعة رنتجن لا تُدرَك بالعين الباصرة رأساً ولكنها انما تُدرَك بها في الظلام اذا اصابت بعض الاجسام المتألقة لان هذه الاجسام تمتصّها فتظهرها بعد ان تغيّر كيفيتها . وعلى هذا المبدإ استُعملت

انابيب كروكس على ما اسلفنا بيانهُ في الجزء الاول من هذه المجلة وعليهِ بُني استنباط الآلة التي يستعان بها على ابصار المخبيات ومستنبطها رجلٌ من باريز يقال لهُ روبرت هودِن والطريقة فيها ان يؤخذ منظارٌ من النوع الذي تجسم



بهِ الصور (ستيريسكوب) وتُرفع منهُ البلورات الموشورية وتُبدَل الزجاجة الخشنة التي في قاعدتهِ بحجابٍ متألق اي بقطعةٍ من الورق الغليظ مدهونة بالصمغ العربيّ يُذرُّ عليها مسحوق دقيق من تنجستات الكالسيوم[١] فيكون هناك جهازٌ يقوم مقام انبوبة كروكس تمرُّ فيهِ الشرارة الكهربائية فتسطع اشعتها على الحجاب المتألق . فاذا حال بين مصدر الشرارة والحجاب المتألق جسمٌ سواء

١ التنجستن معدن ابيض صلب قصم اذا احمى الى درجة الاحرار يشتعل فيتولد حامض تنجستيك وهذا الحامض يتحد مع القواعد فتتولد املاح منها المادة المذكورة وهى توجد فى الطبيعية صرفة على شكل حجر ابيض او مصفر ذى لمعان وبريق يتكسر صفائح براقة

كان انساناً او صندوقاً او رزمةً اخترقتهُ هذه الاشعة فارتسم خالهُ على الحجاب فبدا ما أُخفي فيهِ . وانت تعلم ان الشرارة الكهربائية يولدها جهازٌ تجتمع فيهِ القوّة الكهربائية المغنطيسية وتحول الى مجرًى كهربائي تتوقف قوتهُ على مقدار الحلقات المؤلفة منها البطّارية فيتأتى عن ذلك اختلاف في طول الشرارة المتولدة حينئذٍ . ولذلك وجب ان يكون الجهاز المولّد للمجرى الكهربائي في الآلة التي نحن بصددها قويّ الفعل يمكن ان تصدر عنهُ شرارة طولها ١٥ سنتيمترًا

وترى في الشكل امامك طريقة الفحص بهذه الآلة وهي مضمنةٌ بما اشتملت عليهِ من الاجهزة في علبةٍ من خشب عليها زرٌّ متى لُمس علت الآلة ضمن العلبة وهنالك نفّاخةٌ تتوهج حينئذٍ والشيء الذي يراد فحصهُ يوضع بينها وبين الحجاب المتألق . وقد صنع مستنبط هذا الجهاز انواعاً منهُ مختلفة الحجم واول تجربةٍ زاولها في غرفة مدير المكس في باريز بحضور جمهور من كبراء موظفي نظارة المالية الفرنسوية ثم تكررت التجارب من هذا القبيل فادهشت الحضور بما اظهرت من الخبآت

ومعلوم ان مدينة كباريز يتجمع في مكسها كل يوم من الرزم البريدية وغيرها ما تضيق موائدهُ الكبيرة عن ان تسعها فلا يتهيأ لمستخدميهِ فحص كلها ولذلك كانوا يقتصرون على فحص بعضها مما تقع لهم فيهِ شبهةٌ على ما في ذلك من المشقة بفضّ الختوم وقطع الخيوط وكشف الموادّ المرزومة واعادتها الى مثل ما كانت عليهِ من قبل وكثيرًا ما اخطأوا الغرض فلم يفوزوا بطائل فصاروا بعد استنباط هذه الآلة في غنىً عن تكلف هذه المشقّات واعنات المسافرين واصحاب البضائع بطول الانتظار . فترى هنالك هذه الآلة مصوّبةً لفحص كل ما يرد الى المكس لا يفوت الفاحص شيءٌ منها في الوقت القصير على ايسر

سبيل فلا تُحَلّ الرِزَم ولا تُبعثَر البضائع بل يبقى كل شيء في مكانهِ وانما يظهر المخبأُ على ما هو بكل وضوح

اسئلة واجوبتها

بيروت — س ١ . للبرغش فضلاً عن لسعهِ الأليم هذا الصوت المزعج الذي ليس فعلهُ في الأُذُن باقلّ نكايةً من فعل حُمّتهِ في الجلد فهل لكم ان تفيدونا كيف يتأتى هذا الصوت الشديد من هذا الجسم الصغير

س ٢ . نرى الذباب احياناً يمشي على السقف الاملس وقوائمهُ الى الاعلى ولا يسقط فكيف ذلك ن . د

الجواب — اما صوت البرغش ومثلهُ صوت الذُباب والنحل واشباههما فهو من اهتزاز اجنحتهِ في الهوآء على حدّ ما يكون من اجنحة الحمام مثلاً اذا صفّق بها في طيرانهِ فيكون الصوت اشدّ كلما كانت حركتهُ اسرع ولذلك اذا كان واقعاً لا يكون لهُ صوت . وقد غلط عنترة في قولهِ من معلقتهِ المشهورة يصف روضةً

وخلا الذُباب بها فليس ببارحٍ غَرِدًا كفعل الشارب المترنمِ
هَزِجاً يحكّ ذراعهُ بذراعهِ قَدْحَ المُكِبِّ على الزناد الأجذمِ

قال الزوزني في شرحهِ اي ان الذباب يصوّت حال حكهِ احدى ذراعيهِ بالاخرى مثل قدح رجلٍ ناقص اليد قد اقبل على قدح الزناد . اه . وهو تناقضٌ ظاهر لانهُ لا يمكن ان يحك احدى ذراعيهِ بالاخرى الاّ وهو واقع ومتى كان واقعاً تكون اجنحتهُ ساكنةً فلا يمكن ان يصوّت ولكن عنترة توهم ان صوتهُ من حنجرتهِ فلم يمتنع عندهُ الجمع بين هاتين الحالتين

واما مسئلة مشي الذباب على السقف فزعم بعضهم ان ما على قوائمهِ من الزَغَب يفرز مادةً لزجة يلتصق بها فيتعلق . وبحث غيرهُ في هذه المسئلة بحثًا مدققًا استعان فيهِ بالآلات المعظّمة فكان من محصَّل بحثهِ أن في طرف كل واحدةٍ من قوائم الذباب ما يشبه النعل وعليهِ صفٌّ من الشعر في طارف كل شعرةٍ هَنَةٌ لها قوّةٌ على الجذب بما يقرب من مثال المحجمة فاذا وقع على سطحٍ من السطوح كيفما كان التصقت قوائمهُ بهِ باجتذاب ما بينها وبينهُ من الهوآء فثبت عليهِ وهذه الشعرات تُعَدّ بالمئات ولا تُرَى الا بعد تعظيمها ٥٠٠ قُطرٍ على الأقلّ

القاهرة — سألني متضلع عن لفظٍ يتعاقب فيهِ الحرف الواحد خمس دفعاتٍ متتابعة وقد أبى عليّ ايرادهُ فما هو ذلك اللفظ   محمد فاضل

كاتب مخزن عموم الاوقاف

الجواب — لا يكون ذلك في خمسة اصول من كلمةٍ واحدة ولكن يمكن ان يتفق بعد التركيب كما في نحو لا تُمَنَّنَّ مضارع مَنَّن عليهِ بمعنى امتنَّ مركبًا مع نون التوكيد الثقيلة . وأمَّا فيما فوق الكلمة الواحدة فيمكن ان يأتي اكثر من ذلك فقد جآء ثماني ميمات متوالية في قولهِ يا نوح اهبط بسلامٍ منّا وبركاتٍ عليك وعلى أُمَمٍ ممَّنْ معك وذلك باعتبار ادغام كل واحدةٍ من نون التنوين ونون مِن ومَنْ في الميم التي بعدها

القاهرة — جآء في ضمن كلامكم عن اللغة في الجزء السادس ان الامين لما استدعى الأعرابي وأراد ان يحملهُ على اللحن اجاب بان لسانهُ لا يطاوعهُ على ذلك وقد رأينا كثيرًا من امثال هذه القصّة فيما يُروَى عنهم فهل ما ذُكر

من عدم مطاوعة اللسان على اللحن ناشئ عن أنفة العربيّ وشدّة تمسكهِ بلسانهِ ام عن طبيعةٍ فيهِ لا تمكنهُ من اللحن ولو اراد هو من لسانهِ ذلك

مصطفى لطفي

المنفلوطي

الجواب — الأظهر الأوّل والاّ فان لسان المرء تحت تسلطهِ يستطيع ان يجريهُ كيف شاء ألا ترى الى قول ابي نُوَاس

وشادنٍ سأَلتُ عن إسمهِ　　فقالــ لي إسمي مرداثُ
باتَ يعاطيني صريفيّــةً　　وقال لي قد هجع النــاثُ
أما ترى حُثْنَ اكاليلنا　　ذَيّنها الثربنــ والآثُ
فصدتُ من لثغتهِ ألثغا　　فقلتُ اين الكاثُ والطاثُ

متفرقات

تعديل الاعمار — أُحصي اخيرًا عدد المواليد والوفيات في جمهورية فرنسا فكان معدل المواليد السنوي بين ٨٥٠،٠٠٠ و ٩٠٠،٠٠٠ نفس تنقضي مُدَدها في آجالٍ متفاوتة على نحو التعديل الآتي

من الميلاد الى السنة ١			١٤٦،٠٠٠	—	٢٥	—	٣٠	٠٢٤،٠٠٠
من السنة ١	الى	٥	٠٧٥،٠٠٠	—	٣٠	—	٣٥	٠٢٤،٠٠٠
—	٥ —	١٠	٠٢٠،٠٠٠	—	٣٥	—	٤٠	٠٢٤،٠٠٠
—	١٠ —	١٥	٠١٣،٠٠٠	—	٤٠	—	٤٥	٠٢٧،٠٠٠
—	١٥ —	٢٠	٠٢٠،٠٠٠	—	٤٥	—	٥٠	٠٢٩،٠٠٠
—	٢٠ —	٢٥	٠٢٦،٠٠٠	—	٥٠	—	٥٥	٠٣٤،٠٠٠

—	٥٥ — ٦٠	٠٤٠٫٠٠٠	—	٨٠ — ٨٥	٠٤٧٫٠٠٠
—	٦٠ — ٦٥	٠٥٤٫٠٠٠	—	٨٥ — ٩٠	٠٢١٫٠٠٠
—	٦٥ — ٧٠	٠٦٣٫٠٠٠	—	٩٠ — ٩٥	٠٠٦٫٠٠٠
—	٧٠ — ٧٥	٠٧٦٫٠٠٠	—	٩٥ — ١٠٠	٠٠١٫٠٠٠
—	٧٥ — ٨٠	٠٦٧٫٠٠٠		مما فوق ذلك	٦٠

اما الفرق في ذلك بين الذكور والإناث فقد نشر الدكتور براندِث سيموندس احد اطبآء الاستهاد (السيكورتاه) الاميركاني احصآء ادرجهُ في المجلة الطبية الاميركانية ثبت بموجبهِ صحة ما اشتهر بين الجمهور من ان المرأة اطول بقآء من الرجل بدلالة عدد الارامل من الفريقين وان كانت اضعف بنيةً منهُ في الظاهر

وقد تبين من احصآء الطبيب المشار اليهِ ان الوفيات في الإناث من لدن الولادة الى السنة الخامسة اقلّ منها في الذكور على تفاوتٍ قليل ثم يزداد الفرق حتى يبلغ معظمهُ في نحو السنة الثانية عشرة فيكون عدد الوفيات في الالف منهنَّ ٣٫٥٦ وفي الالف منهم ٤٫٢٨ . ومن الثانية عشرة الى السادسة عشرة وهو زمان الحلم تزداد الوفيات في الاناث فيهلك في الالف منهنَّ ١٫٦٨ وفي الالف منهم ١٫١٨ . لكن من السادسة عشرة الى العشرين تزداد الوفيات في الذكور فتكون فيهم ٢٫٢١ وفيهنَّ ١٫٧٠ . وبعد ذلك يتدانى العدد بين الجانبين شيئاً بعد شيء الى السادسة والاربعين فيتساوى فيهما ويكون في كلٍ منهما ١١ في الالف وذلك لانهنَّ يكنَّ الى تلك السنّ معرَّضاتٍ للحمل والولادة فاذا جاوزنها انحطَّ عدد الوفيات فيهنَّ وازداد في الرجال حتى يصير منهنَّ ٣٫٤٧ ومنهم ٦٫٣٢ في الالف وذلك الى السادسة والخمسين ثم يزداد فيهنَّ الى سن الستين وبعد ذلك يرجع الى العكس فتزداد الوفيات فيهم وتتناقص فيهنَّ

آثار ادبية

الكتاب — أُهديت لنا نسخةٌ من مؤلَّفٍ بهذا الاسم لحضرة الاب الفاضل القس جرجس الرزّي الراهب الحلبي اللبنانيّ وضعهُ في صرف اللغة السريانية ونحوها وذيّلهُ بنبذةٍ في شعر هذه اللغة وما وجدهُ فيها من الجناسات والانواع البديعية ناسجاً في ترتيب هذه الفنون ومصطلحاتها على منوال التصانيف العربية فجآء سفرًا لطيفاً يغني عن سواهُ من المصنفات في هذة اللغة فنثني على مؤلفهِ الفاضل بما هو اهلهُ ونحضّ الطلاّب على مقتناهُ

الاستقامة — هو اسم جريدةٍ سياسية لحضرة منشئها الحسيب النسيب محمد وليّ الدين بك يكَن تظهر مرةً في الاسبوع رافلةً من وشي اقلامهِ في احسن حُلل البيان مقلدةً من جواهر الفاظهِ بأبهى من قلائد الجمان فنحثّ جمهور الأدبآء وطلاّب صادق الأنبآء ان يُقبلوا على هذه الذخيرة التي لا يعادلها ثمن ونسأل لهُ التوفيق الى ما بهِ منفعة الأمّة والوطن

البُنانة — اطلعنا على العدد الاول من جريدة سياسية علمية تجارية ادبية تصدر باسم البُنانة (الروضة) لحضرة منمّق ازهارها وغارس آسها وعرارها وطنيّنا الوجيه الفاضل يوسف افندي سعد . وقد تصفحنا هذا العدد منها فوجدناهُ مشتملاً على عدة فصول ومقالات مفيدة في الاغراض المشار اليها وهي معتدلة اللهجة حسنة الاسلوب تظهر يوم الاثنين من كل اسبوع وقيمة الاشتراك فيها مئة قرش في القطر المصري وثلاثون فرنكاً في غيرهِ فنحثّ مواطنينا الاعزآء على اغتنام فوائدها ونرجو لها مزيد الانتشار والنجاح



السنة الاولى —— الجزء الثامن

١٦ ستمبر سنة ١٨٩٧

اللغة والعصر

(تابع لما في الجزء السادس)

وقد تقدَّم لنا أن اللغة لم توضع دفعةً واحدة ولكنها كانت تابعةً لأحوال المجتمع ومبلغ الامّة من الحضارة وما هي عليهِ من التبسّط في العمران والتفنن في مذاهب الترف والتوسع في المدارك العلمية والصناعية وما يختلف عليها من الأحوال السياسية والدينية الى ما يتصل بهذه الأطراف ويتشعب عنها فهناك سلسلةٌ من المعاني لا تنقطع ولا تنتهي الى حدٍّ تقف عندهُ ولذلك كان من المحال أن لغة قومٍ مهما بلغت من الكمال وتناهت في الاتساع تصل الى حدٍّ تصلح فيهِ لأن تُستعمَل في كل عصرٍ لأن ذلك الكمال انما يكون بالقياس الى زمنٍ مخصوص ومبلغٍ من الحضارة لا يتعدّاهُ ولكن حقيقة الكمال في اللغة ان تكون بحيث يمكن ان يُستنبَط من نفس اوضاعها الفاظٌ لما يحدث من المعاني لا أن تكون بحيث تستغني عن المزيد اذ المعاني ابدًا تتجدد وليس من المحتمل أن قومًا يضعون الفاظًا لمعانٍ لا توجَد . وأنت اذا تتبعت اوضاع اللغة لم تكد تعدّ منها ستة آلاف تركيب حالة كون المواد المؤلفة منها والجارية على ألسنة

اهلها تبلغ فيما ذكروا ثمانين الف مادّة وهي عدّة ما اشتمل عليهِ لسان العرب .
وهذا ولا شكّ لم يكن كلهُ من الوضع القديم ولكنهُ ما انتهى الى الصورة التي نُقلت الينا والتي نراها مدوَّنةً في كتب اللغة الّا بعد أن قُلّب كلّ مقلّب ودخل عليهِ من التبديل والزيادة ما اقتضاهُ كلّ عصرٍ من اعصارها حتى بلغت الصورة المتعارَفة آخرًا وانما هي لغة عصرٍ بعينهِ هو عصر اواخر الجاهلية وما يتصل بها من صدر الاسلام مما لا يكاد يجاوز مئة سنة . واما ما قبل ذلك من اللغة فقد غمض عنا علمهُ لفقد النقل عن اهل تلك الازمنة ولعلّ الكثير منهُ كان على غير الصورة التي انتهت الينا بل ذلك مما لا ريب فيهِ لما قدّمناهُ من ان تبدُّل الأحوال من لوازم المجتمع بل من لوازم كل حادثٍ سُنَّة الله في خلقهِ وما من تبديلٍ يحدث في حال الأُمَّة الا وصورتهُ في لغتها ضرورةً ولو لبثت العرب على عهدها الاول ولم يعترض اللغة من امر مخالطة الاعاجم ما وقف في طريق الوضع وألزمها الحدّ الذي وصلت اليهِ لذلك العهد لطرأ عليها من الإحداث والتبديل ما انسخ بهِ كثيرٌ من الفاظها المدوَّنة ونشأ كثيرٌ من اللفظ الذي لم يكن للعرب بهِ عهد

على أن المولَّدين لم يعفوا عن الإحداث في الفاظ اللغة ولم يمكنهم الاستغناء باوضاع البادية على الحدّ الذي كانت عليهِ ولا سيما مع شدة تفاوت الحال بين عهدهم وعهد الجاهلية وانتقالهم فجأةً من حال البداوة الى الحضارة والمُلك وانتشار العلم بينهم في زمنٍ قصير الّا أن مصنفي اللغة لم يكادوا يدوّنون من اوضاعهم الّا النزر اليسير مما يسمّونهُ بالمولّد واغفلوا اكثر المُحدَث حتى لا تكاد تجد لهُ اثرًا الّا في كتب اربابهِ من اهل الفنون التي طرأ فيها ذلك الاحداث وكثيرًا ما تمرّ باللفظة منهُ ولا تفهم المراد بها لقصور القرينة عن الدلالة عليهِ

او لاحتمالها معنىً غير المقصود. وهو تفريطٌ من مدوّني كتب اللغة يؤاخذهم عليهِ المتأخر وقصورٌ منهم أدّى اليهِ سوء تقديرهم للمنفعة المقصودة من معجمات اللغة حتى كان كل ما وُضع بعد زمن الجاهلية منحطًّا في اعتبارهم عن منزلة ما وضعتهُ العرب خلا ما تناولهُ من الفاظ الشرع وما يتصل بهِ مما وُضع على عهد الاسلام وهو ما يطلقون عليهِ الالفاظ الاسلامية. وفي ذلك ما يدلك على ان اشتغالهم بتدوين اللغة لم يكن على الجهة التي نتوخاها اليوم والتي يتوخاها اهل كلّ لغةٍ من تقييد الفاظها وتيسير استعمالها للخلف وانما كان جلّ غرضهم منها الاستعانة على فهم الفاظ التنزيل والسُّنّة مما لا دخل لالفاظ المولدين فيهِ وهو عين ما قصدوهُ من تدوين سائر علوم اللسان من النحو والبيان وغيرهما على ما تنطق بهِ خُطَبهم في فواتح كتبهم وهو المعنى الذي لأجلهِ تُطلَب هذه العلوم لعهدنا الحاضر حتى اصبحت على الغالب لا تتعدّى فرض الكفاية .. وهذا احد اسباب ما نجدهُ اليوم من النقص الفاحش في اللغة وتقصير اوضاعها عن اداء كثيرٍ من المعاني المَدَنيّة والعلمية مما كان ولا ريب متداولاً على ألسنة السَّلَف واقلامهم حتى لو رجعنا الى مثل عصرهم وتوخينا الكلام فيما تكلموا فيهِ لم نجد فيما بين ايدينا من اللغة ما نُغني بهِ غناءهم ولاضطُررنا الى مثل ما نحن فيهِ اليوم من مزاولة الوضع واستئناف ما قد فرغوا منهُ من عهدٍ بعيد

على انا لا ننكر أن ليس كلّ ما جرى على لسان المولَّد ولا سيما من جاء بعد الصدر الاول للاسلام يصلح لاستعمال الفصحاء وارباب الاقلام ويجوز ان يُلحَق بالفاظ المتقدمين ويُحصَى في جملة اوضاعهم لِما أن ألسنة الأعقاب قد فسدت بما طرأ عليها من مخالطة العجم وفارقت سُنّة العرب في وضع الألفاظ واشتقاقها وتقليبها على صِيَغها المألوفة عندهم الّا أن الأمّة لم تخلُ مع ذلك من

قوم قد توفروا على البحث في اوضاع اللغة وتتبُّع احكامها والنظر في اوجه صوغها وتصريفها حتى استبطنوا سرها وقبضوا على قيادها فتهيأ لهم ان يضعوا عن كسبٍ ودرسٍ ما كانت تضعهُ العرب عن سليقةٍ وتلقين طبع . ومتى كان الواضع على بيِّنةٍ مما يضع جاريًا فيهِ على طريقة العرب واسلوبها وكان الموضوع مُقتبسًا من نفس الفاظها حتى يكون كأن العرب وضعتهُ بانفسها فلا وجه لردّهِ بحجّة أن الواضع ليس منها واعتدادهِ نازلاً عن رتبة كلامها بل أحرِ بهِ ان يُلحق باوضاعها وينزَّل من عدم الاستغناء عنهُ منزلة الفاظها اذ لم يوضع الّا عن حاجةٍ داعية وضرورةٍ ماسّة والّا فالقضاء باهمالهِ وتجافي الألسنة عن استعمالهِ قضاء باهمال علوم السلف بل التجافي عن الحضارة جملةً ورجوع الامة الى عهد البداوة

ستأتي البقية

الصابئة

(تتمة ما في الاجزاء السابقة)

ومن اولئك الرجال سليمان بن داود ولهُ عندهم احاديث اكثرها مشهور من نحو الخاتم والبساط وغير ذلك فلا نطيل بذكرها

واشهر من يُذكَر في كتبهم من هذه الطبقة « ايشو » او عيسى وهو ابن خالة يحيي وكان معاصرًا لهُ وهم يقولون انهُ كما تحتاج اليد اليمنى الى اليسرى في خدمة الانسان كان يحيي محتاجًا الى عيسى في قضاء ما نُدِب اليهِ ولذلك وجب ان يكونا في زمنٍ واحد . وقصة مولدهِ عندهم اشبه بقصّة مولد يحيي وذلك أن موروددَّربوتو دعا واحدًا من الثلاث مئة والستين شخصًا السماويين يقال لهُ « شيشلوم زيوو » وهو من طبقة مندودايي ابي يحيي واصحبهُ باثنين من

الملائكةَ وامرهُ ان يذهب الى « روحودَخْشايو » وهو ملك « عولمي دحشوخو » ويأمرهُ بالمصير اليهِ فانطلق شيشلوم زيوو الى روحودَخْشايو وابلغهُ ما أمر بهِ موروودّربوتو فنهض لساعتهِ وسار اليهِ فلما مثل بحضرتهِ قال لهُ اني منبّئك بولدٍ يُولَد لك على الارض يسمّى ايشو . فقال وكيف ذلك وانا مقيمٌ بعالمٍ غير الارض . قال انك تلدهُ كما ولد مندودابي يحيي وذلك اني القنك كلماتٍ سرّية تتلوها على ماء تسقيهِ لفتاةٍ عذراء يقال لها مريم مقيمةٍ بأورشليم وهي اخت اينوشوي امّ يحيي فاذا شربت من هذا الماء حملت وتلد ايشو فيكون ابنًا لك . ففعل روحودخشايو كما رسم لهُ موروودّربوتو وهبط الى اورشليم فوجد مريم على ضِفّة النهر تستقي فتلا على الماء الكلمات التي تلقنها من موروودّربوتو وشربت مريم من الماء فحملت وبعد تسعة اشهر وتسعة ايام وتسع ساعات وتسع دقائق ولدت عيسى وكانت ولادتهُ من فيها بأن اخرجهُ منهُ زهريئيل لالاتو على نحو ما ذُكر في مولد يحيي . ولما وُلد عيسى اخذ يتكلم كرجلٍ كامل وعلم اليهود في حلمٍ بمولدهِ وما سيكون من امرهِ بينهم فانطلقوا اليهِ وسألوهُ مسائل فأجابهم عن كل ما سألوا وكان في جملة ما سألوهُ ماذا ينبغي ان يصنع الانسان حتى يكون كاملاً فقال يجب ان يمتنع من الزواج . ولما اتى على عيسى سنتان من مولدهِ نُقِل الى عالم الانوار ووُضع على شجرة الحزيون فرضع منها حينًا من الدهر وبعد ذلك لُقّن ما يلزمهُ من العلوم وبعد ما قضى عشر سنواتٍ في الفردوس احتملهُ ابوهُ وردّهُ الى الارض ودفعهُ الى يحيي وقال لهُ هذا سابع بنيّ فقدّسهُ بالمعمودية ولما قال هذا توارى عن البصر

وتقدم عيسى الى يحيي ليعمدهُ فامتنع وقال لست أُفرغ عليك معموديتي لانك قد أثمت بتعطلك النسل اذ أمرت الرجال ان يمتنعوا من الزواج . فقال

وما أهمَّك من حال اولئك الأعزاب دعهم يحترقوا بنار جهنم وعمّدني . فأصرّ يحيى على إبائهِ وقال لهُ ان الخرس يتكلمون والعمي يبصرون والصمّ يسمعون والثيّب تعود بكرًا قبل أن تُعمد انت . فقال عيسى ان كنت ترى أني مستحقّ للمعمودية والاّ فليس لك الاّ ان تمحو اسمي من سفر القَدَر الذي انا مُحصًى فيهِ في جملة المتعمدين . وعند قولهِ هذا سقط على يحيى صحيفةٌ من جانب أواثار فتناولها فاذا فيها هاتان الكلمتان «كاديرو سوبي» اي عبد الوَقُور فلم يسعهُ بعد ذلك الاّ الامتثال فعمّدهُ في مآء الأُردُنّ وعند ذلك هبط عليهِ روحودَخشايو بشكل حامة ثم استحال الى شكل صليب ليدلهُ على الميتة التي سيموتها

اما امر الصلب فيقولون ان اليهود انما صلبوهُ ميتًا لانهُ قبل ان يرفعوهُ على الصليب فارقت نفسهُ جسدهُ وهو يقول لا ينتقمنّ احدٌ لي من الذين صلبوني فاني سوف اعود الى الارض وانتقم لنفسي

اما نزولهُ الى الارض فسيكون عند منتهى العصور ومتى جآء يُبطِل جميع الأديان فلا يبقى الاّ دينهُ في الارض كلها خلا ان الصابئة وحدهم يبقون على معتقدهم ولا يتبعونهُ . فيأتيهم على سفينةٍ في موضعٍ على الفرات يقال لهُ الصارة فيخرج الصابئة باسرهم لملتقاهُ ويبالغون في تعظيمهِ ويقبّلون يديهِ ورجليهِ ويبايعونهُ على الطاعة لانهُ يكون ملك الارض باجمعها وذلك الاّ في امر دينهِ فانهم لا يجيبونهُ الى اتباعهِ . فيشدّد عليهم في ذلك حتى يضايقهم فيستعطفونهُ بالمعمودية التي تلقاها من يد يحيى ان يقول لهم الحقّ فيما هم سائلوهُ عنهُ قبل ان ينال منهم الجواب فيُقسِم لهم على ذلك . فيسألونهُ اذا تبعوا دينهُ هل يعمّدهم في النهر كما يفعلون هم ام في خارجهِ كما تفعل اتباعهُ . فيصرّح لهم بانهُ سيعمّدهم على طريقة أتباعهِ اي خارج النهر . فعند سماعهم ذلك يصرّون

على امتناعهم فيتهدّدهم ان لم يطيعوهُ انهُ يقتلهم عن بكرة ابيهم . حينئذٍ يبرزون له كتبهم ويطلعونهُ على موضعٍ منها يقال فيهِ ان كل صابئٍ يكشف عن رأسهِ ليقتلهُ عيسى تذهب نفسهُ توًّا الى عالم الانوار من غير أن تتوقف في المَترَثات وللحال يكشفون كلهم عن رؤوسهم ويمدّون اليهِ اعناقهم ليضربها فحين يرى عيسى ذلك منهم يكفّ عنهم ويلبثون على دينهم

ثم انهُ بعد ان يأتي على ذلك حينٌ من الدهر يموت الصابئة باجمعهم حتى لا يبقى منهم باقٍ على الارض وعلى عقب ذلك تستحيل المياه العذبة في الارض كلها وتتبدل ألوانها فيكون لها كل لونٍ ويشرب اهل الارض من تلك المياه فتذهب منهم قوّة التوليد وينقطع النسل . وعند ذلك يهبط « ياوار زيوو » الى الأهواز وفي صحبتهِ جميع الذين ماتوا أعزابًا من الصابئة ممن كانوا في عالم الانوار وفي المتروثات وفي جملتهم شيثيل فيزوّجهم ياوار زيوو كلهم بنسآء يأتي بهنّ من مشوني كوشتو وتعود المياه الى ما كان من لونها وطبيعتها فيصير الصابئة في زمنٍ قصيرٍ في عددٍ كثيرٍ جدًّا ثم تعود المياه فتفسد وينقطع النسل من الصابئة ايضًا فيشتدّ تدلّههم لذلك حتى يجعلوا نسآءهم فوضى بينهم وحتى تصير النسآء اذا سمعنَ بمولودٍ ولو في اقصى الارض طرنَ اليهِ زرافاتٍ وتنازعنهُ بينهنّ حتى يصير في ايديهنّ قِطَعًا . حينئذٍ يأمر موروددزيوتو أواثار وفتاحيل ان يغادرا مكانهما ويرجعا الى ممالكهما في عالم الانوار فيستصحبان معهما جميع الانفس الباقية في المتروثات ومن ذلك الوقت يبطل الجحيم . ثم يوعز فتاحيل الى هيويل زيوو بان يأمر الملائكة القائمين على محابس الرياح ان يُطلِقوا الرياح الاربع فتندفع عاصفةً عصفًا هائلًا وتدمّر كل ما تمرّ بهِ في مهبّها فيتطاير الناس في الجوّ وتخرج ارواحهم من اجسادهم وتلتحق كلها بعالم الانوار

اما الشمس والقمر وبقية السيّارة الذين هم اولاد روحايا فيذهبون الى عولمي دلحشوخو وسائر النجوم التي لا حياة لها تتساقط كلها من اماكنها وترجع الى العدم والسماوات السبع تُطوَى طيّ السِجلّ الواحدة بعد الاخرى وتدخل في حلق أُور . حينئذٍ يهتف هيويل زيوو بأعلى صوتهِ ويقول لأُور انتفض فينتفض وعند انتفاضهِ ينقدُّ الى شطرين وتسقط الأَرَضون السبع عن رأسهِ وترجع قطعةً من المآء كما كانت قبل الخلق

هذه خلاصة ما انطوى عليهِ هذا الكتاب اوردناها محصلةً مع تقديمٍ وتأخيرٍ في ترتيب بعض مشتملاتهِ وتداخلٍ في بعضها تبعاً لمقتضَى النسق الذي جرينا عليهِ في هذا الملخَّص وبقيت هناك تفاصيل أُخر اضربنا عن نقلها ميلاً الى الاختصار واكتفآء بالقدر الذي يمثّل مجمَل ما عليهِ هذه الطائفة مما اشتبهت مذاهبهُ على اهل التحقيق وتباينت فيهِ اقوال الباحثين فاصابوا مرةً واخطأوا اخرى عن غير يقين . ولا ريب ان ما جآء في هذا الكتاب هو اصحّ ما كُتب عن اولئك القوم لانهُ بجملتهِ مرويٌّ عن واحدٍ من ابنآء كهنتهم المترشحين للكهنوت بعد ما صبأ الى دين النصرانية وغالب ما فيهِ مؤيَّدٌ بالنصوص من كتبهم نفسها منقولةً بلسانهم وحرفهم مما عُني المؤلف بدرسهِ لاقتباس الحقيقة من معدنها وكفى بذلك دليلاً على ما عاناهُ في تأليف هذا الكتاب من النَصَب وما وفّر عليهِ من الاهتمام والجهد مما يقضي لهُ بالثنآء الجميل ويُكسِبهُ الذكر الباقي ومما هو جديرٌ بأن يتخذهُ اخواننا من اهل الوطن قدوةً لهم في التحرّي والثبات والاجتهاد في استخراج الحقائق ونشرها توسيعاً لنطاق العلم واغتناماً للمحمدة والفخر



مقالة في التربية

لحضرة الكاتب الفاضل عبد الله افندي المراش نزيل مرسيليا
(تابع لما في الجزء السادس)

المطلب الخامس

في ابتداء تنوير الذهن

اكثر الناس يعتقدون ان تنوير ذهن الولد قائم بمجرد تدريسهِ بالكتب كما تقدم وهذا خطأ اوّل يترتب عليهِ خطأ ثانٍ وهو انهم يسرعون بوضع الولد في الكتّاب وهو ابن اربع سنين على الكثير[١] ويحملونهُ بادئ بدء على تعلم التهجي حتى اذا حفظ اسماء حروف الهجاء اخذوا في تعليمهِ القرآءة بالكتب وهو بعدُ في سنٍّ لا تصلح لذلك. ولو كانت الكتب التي يحملونهُ على تعلم القرآءة بها قريبة المأخذ سهلة العبارة تشتمل على قصصٍ يستلذها ويرتاح لمعرفتها او على فوائد بسيطة تشفي ما في صدرهِ من غليل الاستطلاع والاستعلام لكان الخطب اهون لكنهم يحملونهُ على قرآءة كتبٍ لا يكاد يفهم اكثر معانيها فيتبرّم الولد بتلك الكتب وبقرآءتها تبرّم الزنجي اذا حملتهُ على سرد الفاظٍ بلغة اليونان او بلغة اهل الصين ويُفضي بهِ ذلك الى كراهة القرآءة والكتب والعلوم باسرها

وكل من عانى امر تعليم الاولاد في البلاد المتمدنة يعلم انهُ لا ينبغي وضع الولد في الكتّاب وهو صغيرٌ جدًّا وانهُ اذا حان وقت وضعهِ فيهِ اسيے اذا بلغ السنة السادسة من عمرهِ على الاقل فلا ينبغي ان نحملهُ بادئ بدء على التعلم

١ كما يفعل اكثر الناس في بلادنا وذلك تخلصاً من عرام الولد اثناء بضع ساعات من النهار والقاء لهذا العبء على كاهل المعلم

بالكتب بل ينبغي ان نداوم ثمَّ على ما كنا نفعلهُ بهِ وهو بعد في البيت اسيء على تعليمهِ بالاشياء والمراد بذلك الاشياء التي تقع تحت حواسّهِ او تخطر ببالهِ او تستلفت نظرهُ فيسأل عنها سوآء كانت في البيت او في السوق او في البستان او في الكتّاب او كانت من اعضآء جسمهِ او ثيابهِ او من قماش البيت او من انواع الطير والحيوان او من افعالهِ او افعالها وهلمَّ جرًّا . ولا نفتح الكتب الا اذا نفدت هذه الاشياء لان ما يتعلمهُ هكذا يكون احبَّ اليهِ واشدَّ رسوخاً وتأصلاً في ذهنهِ اذ يكون هو الذي تنبّه لهُ وسعى في تحصيلهِ وانتقل اليهِ فكرهُ وصار لهذه العلة صاحبهُ فكان اولى ان يحتفظ بهِ ويغار عليهِ مما لو تلقّنهُ من الكتب او اخذهُ عنها حفظًا عن ظهر القلب من غير فهمٍ لمعناهُ ولا عناء بهِ ولا رغبةٍ فيهِ لان ما يحصلهُ هكذا لا يلبث ان ينساهُ سريعاً

ومَن أخذ البلاد بغير حربٍ   يهون عليهِ تسليم البلادِ

وفضلاً عن هذا فانَّ التعلّم بالاشياء انما يكون بالمباشرة والملابسة والامتحان والاختبار بالنفس لا عن يدٍ فهو لذلك افضل من التعلم بالكتب لان ذاك تيقّنٌ بالخبرة الشخصية وهذا في اول الامر تسليمٌ بما يقولهُ الغير وشتان ما بينهما . واضف الى ذلك ان العبارات والالفاظ التي في الكتب مهما كانت قريبة المأخذ سهلة الاشارة مألوفةً لا تولّد في ذهن الولد شيئًا من الخواطر الاّ على قدر ما تمتدّ اليهِ معرفتهُ بالاشياء والافعال والمعاني التي وُضِعت تلك الالفاظ للدلالة عليها . ثم ان تعليمهُ بالكتب وبما فيها من القواعد العامّة العويصة التي تُتعب البالغين انفسهم يجري على خلاف مجرى الطبيعة في تنوير الذهن اول ما يتنور وبذلك يقع التعاند بين فعل المعلم وفعلها . لان التعليم بالكتب يُبدَأ فيهِ بالكليّات قبل الجزئيات التي تؤلفها وسير الطبيعة يقتضي العكس اي الابتداء

بالجزئيات ثم الانتقال منها رويدًا رويدًا الى الكليات لان من حقّ البسائط ان تتقدم على المركبات تقدم العلل على معلولاتها والمقدّمات على نتائجها. والعلماء الذين وضعوا قواعد العلوم كلها لم يتوصّلوا الى وضعها الا بعد استقرآئهم المفردات الداخلة في حكمها. فارسطوطاليس لم يتوصل الى وضع قواعد المنطق الّا بعد استقرآئهِ طرق الناس في التعليل والبرهان والاستدلال وضرب الاقيسة واستنتاج النتائج. وابو الاسود الدُؤلي (او سيبويه) لم يضع قواعد النحو الّا استنادًا الى ما استقراهُ من اساليب العرب في التعبير عما في انفسها وتغييرها احوال الكلم تبعًا للمعنى الذي تريدهُ لاعن علمٍ منها بالتصريف والجارّ والمجرور والفاعل والمفعول. والخليل لم يضع قواعد العروض الا استنادًا الى ما استقراهُ من الاشعار التي كانت العرب تنظمها موزونة مطردة الرويّ والقافية على غير معرفةٍ منها بالاسباب والاوتاد والعلل والزحاف وهلمّ جرًّا. فالقواعد اذًا نتيجة استقرآء الاحوال المفردة وتلخيصٌ لها ولذا كان من الغلط البيّن ان نشرع في تعليم الولد قواعد العلوم كعلم النحو مثلاً من قبل ان يعرف شيئًا من الجُمَل المتنوّعة التي يتركب منها الكلام في اصطلاح النحاة بل من قبل ان يعرف معاني الالفاظ المفردة التي تتألف منها تلك الجمل اذا انهُ لا يعرف بعدُ سوى لغة العامّة التي تخاطبهُ بها امّهُ او ظئرهُ او خادمتهُ وهي لغةٌ تكاد تكون مالطية لكثرة ما دخل فيها من اللغات الاخرى ولكثرة فسادها من وجوهٍ متعددة على ما هو معلوم. اما عبارة الكتب فهي غالبًا بلغةٍ تكاد تكون للبالغين انفسهم بمنزلة اللغة اللاتينية او اليونانية القديمة للافرنج المحدثين. ومهما يكن من هذا فان الولد لا يفهم عبارة كتب العلوم لانها بلغةٍ غير لغتهِ العامّية التي لا يعرف بعدُ سواها. وقد اسلفنا ان تعليمَ القواعد بالكتب يبتدئ عندنا قبل ابّانهِ اي حينما

يكون الولد بعدُ في سنٍّ لا يستطيع معها ان يدرك الامور العامّة التي نحمله على تعلمها لعدم علمهِ بالامور الخاصّة التي تتألف تلك الامور منها فكأننا نحملهُ على تعلّم الرموز قبل ان يعرف الاشياء المرموز اليها والدلالات قبل الاشياء المدلول عليها ويكون مثلهُ في ذلك كمثل البنّاء الذي يحاول ان يعقد سقف البيت من قبل ان يقيم الجدران التي تُقلّهُ . وهذه الطريقة من التعليم تجعل ذاكرتهُ كمعجمٍ تُقيَّد فيهِ الفاظ بعض اللغات المماتة او كدفترٍ تُجمعُ فيهِ خواطر الآخرين وما حصّلهُ غيرهُ من الباحثين وكان الاحرى ان يكون هو نفسهُ الباحث عن الخواطر والمحصّل لها

فلا بدع والحالة هذه ان كثيرًا من الاولاد اذا خرجوا من الكتّاب او المدرسة ينسون كل القواعد التي اتعبنام في تحفّظها وان لم ينسوها كلها فالتي يذكرونها منها لا تفيدهم شيئًا لانهم لم يتشربوها كما ينبغي ولا اختبروا صحتها بانفسهم ولا انطبقت احكامها عندهم على معلوماتٍ بسيطة تعلموها صغارًا وسبق رسوخها في اذهانهم بحيث اذا انضافت اليها تلك القواعد امتزجت بها وارتبطت ولذا تبقى في اذهانهم متقلقلةً لانهُ لا شيء ثَمَّ يُقِلّها ومنفردةً غريبةً لانهُ لا شيء ثَمَّ من جنسها تألفهُ وتنضمّ اليهِ وهم انفسهم لا يقدرون ان يستعملوها في مواضعها اذا مسّت الى ذلك الحاجة لانهم في الغالب لم يفهموها وهب انهم توصلوا بعد العناء الطويل واجهاد القريحة الى ادراك معناها وهم بعد في المدرسة فكثيرًا ما يتفق انهم اذا خرجوا تركوا استعمالها لمقتهم اياها وترك العادة يورث البلادة

ستأتي البقية



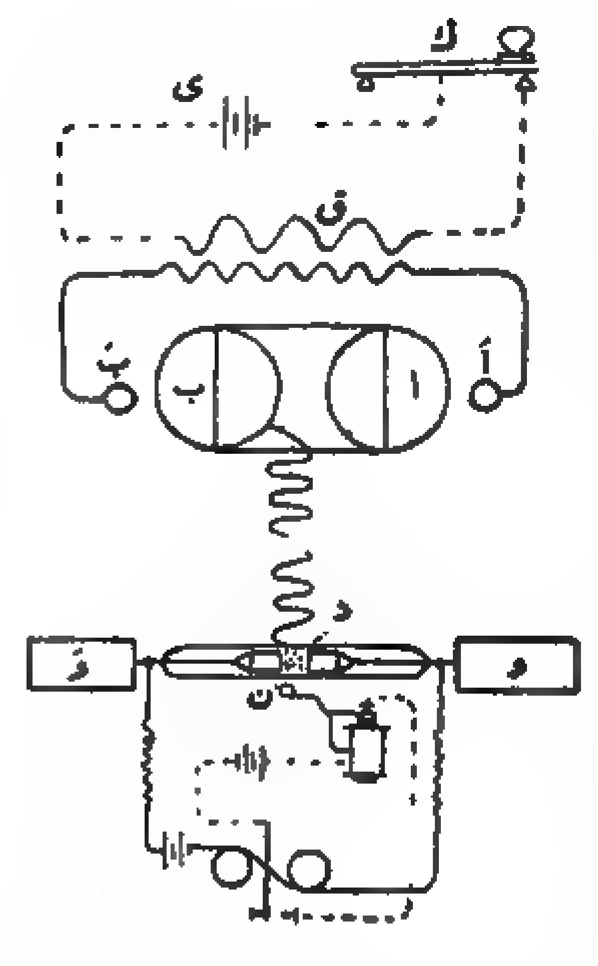
نقل العلامات

بالاشعة الكهربائية

كان الناس قديماً يستخدمون اشعة النور لنقل العلامات بين الابعاد ولما كان كلٌّ من تموجات النور والكهربائية من الظواهر الطبيعية التي مصدرها اضطراب الاثير على ما اثبتهُ هرتز منذ عهدٍ قريب اخذ جماعةٌ من علماء الطبيعة في امتحان ذلك حتى تمكن بعضهم سنة ١٨٩٢ من نقل رسائل بواسطة التموجات الكهربائية المغنطيسية من جهةٍ في خليج برستول الى جهةٍ اخرى منهُ. وفي سنة ١٨٩٥ انقطع السلك الكهربائي الممتدّ بين أبان وجزيرة مول فاستعاضوا عنهُ الى حين اصلاحهِ بالاشعة المذكورة

وقد كانت الاجهزة التي استعملوها لذلك في بدء الامر بسيطة ثم اخذوا في اتقانها بعد ان توسعوا في البحث عن الاهتزازات التي ابان هرتز المذكور حقيقتها واحسن هذه الاجهزة الآن جهاز مركوني وهو مؤلف من مصدرٍ تصدر عنهُ الاشعة وقابلٍ ترد اليهِ فينقل الاثر الحادث عنها الى جهاز يرقمها

اما المصدر فهو آلة تتألف من كرتين مصمتتين من الصُفر (ا ب) قطر كلٍّ منهما ٤ قراريط تُثبَّتان في علبة منعزلة يوضع فيها زيت يغمر نصف كلٍّ من الكرتين ويبقى النصف الآخر سائباً وذلك لان الزيت يجعل التموجات الواصلة الى الكرتين مستمرة على وتيرة واحدة ويمنع استطالة الموجة الكهربائية والى جانبي الكرتين الكبيرتين كرتان صغيرتان (اَ بَ) كلٌّ منهما متصلة بطرف الدائرة الثانوية التي تقوم بلفافة من لفائف آلة كهربائية مغنطيسية (ق) لتهيج



دائرتها الاولى ببطارية (ي) يدور فيها المجرى الكهربآئي دورتهُ المألوفة او يحول بان تنفصل الدائرة الاولى بآلة مورس المحوّلة (ك). فاذا حُرّكت الآلة المحوّلة تبدو شرارات بين الكرات واهتزازات تتوالى بسرعة عظيمة تزداد في اتجاهها نحو القابل وسرعة هذه الاهتزازات تبلغ في الثانية نحوًا من ٢٥٠ مليونًا ويتوقف المدى الذي تُنقل اليهِ على قوة اطلاق المجرى الكهربآئي فالمفافة التي يبلغ طول شراراتها ٦ قراريط تنتقل اهتزازاتها الى ثلاثة اميال او اربعة

والقابل في جهاز مركوني مؤلف من انبوبة زجاجية صغيرة طولها ٤ سنتيمترات ذات قطبين من الفضة يفصلهما فراغٌ قليل السعة (نحو نصف مليمتر) يوضع فيهِ مزيج من برادة النِكل والفضة مع قليل من الزئبق (د) وتفرّغ الانبوبة الى ضغط ٤ مليمترات وتُختم وهي جزءٌ من دائرة مؤلفة من بطارية وراقم تلغرافي شديد الحسّ فاذا لم يكن ثمَّ عمل ترى دقائق البرادة مختلطةً بعضها ببعض فاصلةً بين القطبين ولكنها تتقاطب اذا اخترقتها موجة كهربآئية مغنطيسية فتصير موصلة فاذا أُريد اعادتها الى حالتها الاولى حُوّل المجرى الى مطرقة صغيرة (ن) تقرع على الانبوبة . وهذا المجرى نفسهُ يرقم العلامة الواردة على ورقة في مِلَفّ كما في آلة التلغراف . والى جانبي الجهاز جناحان (و وَ) يساعدان على

قبول الموجات ويمكن نقلهما عند الحاجة ووضع احدهما على الارض والآخر في راس سارية او طيارة

هذه هي الطريقة التي استعملت في نقل العلامات بين ضفتي خليج بريستول على بعد ٩ اميال

ويظهر ان اعتراض الروابي القليلة الارتفاع بين موقعين لا يؤثر في نقل العلامات فيرجح ان التموجات المخترقة بطبقات الهواء المختلفة تمرّ من فوق الروابي وتنحدر الى الجهة الاخرى

ويمكن نقل رسائل كثيرة في وقت واحد الى جهة واحدة انما يجب التوفيق بين الآلات المصدرة والقابلة من حيث السرعة نفسها

على ان هذه الطريقة لم تزل محتاجة الى بعض الاتقان ليعتمد عليها في الامور المهمّة ولكنها صارت منذ الآن عظيمة النفع في المواصلات بين السفن في البحر والجزر والمنائر

مقابلة

بين الشعر العربي والشعر الافرنجي

من قلم الكاتب اللوذعي نجيب افندي الحداد احد منشئي جريدة لسان العرب الغراء

(تابع لما قبل)

اما الشعر العربي فلم يكن في شيء من تأريخ الشعر الافرنجي في تباعد اطوارهِ وشدّة التباين في تنقلهِ من حال الى حال على ما بيّنهُ الكاتب الفرنسوي فيما نقلناهُ من كلامهِ وانما هو شعرٌ منفردٌ في نفسهِ نشأ في بلاد العرب بخصوصها

واجراهُ الله على ألسنة العرب وحدهم دون سواهم لم يأخذوهُ عن احدٍ متسلسلاً كما اخذ الافرنج شعرهم عن اليونان والرومان ومَن قبلهما ولم يأخذ احدٌ عنهم كما أخذ عن غيرهم بل بقي مخصرًا فيهم تناولوهُ ارثًا عن الطبيعة في بداوتهم ولم يورّثوهُ احدًا من غير قبائلهم والناطقين بلسانهم وجلّ ما كان من تقلب اطوارهِ عندهم انهُ لما انتقل الى الحضر او لما انتقلت بداوة العرب الى الحضارة المدنية لم يطرأ عليهِ سوى تغيير بزّتهِ بتنقيح بعض الفاظهِ وتخيّر السهل المأنوس منها واطّراح الكلم الوحشيّ الذي تأباهُ رقة الحضارة وآداب اجتماعها واما ما سوى ذلك من نسق نظمهِ وديباجة معانيهِ وطرائق انشائهِ وبيان المقاصد منهُ فانهُ لم يكد يتغير في شيء منها الا ما دعت اليهِ حالات الحضارة في بعض مصطلحاتها ومُستحدَث عاداتها بل هم لا يزالون على المجرى العربي القديم في وصف الديار والبكاء على الاطلال والتشبيب بالمحبوب وتقديم الغزل والنسيب بين ايدي ما يقصدونهُ من الاغراض ونظم الحِكَم والامثال في اثناء ما يعرض لهم من صنوف الكلام وربما خرجوا عن ذلك الى ما احدثتهُ عندهم الحالة الحضرية من وصف الرياض والقصور ومجالس الشراب وامثالها مما لم يكُ معروفًا في الجاهلية او كان مخصوصاً بالمترفين منهم ممن اتفقت لهم مثل تلك الحالات.

وبالجملة فهم قوم جرى الشعر على السنتهم كاملاً فيما نرويهِ عنهم الا اذا كان قبل ذلك شيء لم يبلغنا مما لم ينقلهُ لنا التاريخ ولعل اول ما نطقوا بهِ منهُ هذا النوع المعروف بالرجز وهو منزلةٌ بين الشعر والنثر يلتزمون في كل بيتٍ منهُ قافيتين فقط على نحو ما نراهُ في الشعر الافرنجي ليومنا هذا ثم تطرقوا منهُ الى سائر الاوزان يلتزمون فيها القافية الواحدة في جميع ابياتها. وكان شعرهم في اول امرهِ مقصورًا على حوادث انفسهم والابانة عما يكنّهُ الشاعر من

شكوى او وجدان او حكاية واقعة غرامية او حماسية يبرزون المعاني الشعرية في ذلك كلهِ كما تصور لهم نفوسهم مجرّدة عن الاختلاق ودعوى غير الحقيقة وحكاية حوادث وهمية مما درج عليهِ المولدون بعد ذلك واذا خرجوا الى المدح لم يمدحوا الرجل الا بما فيهِ ولم يذكروا من حسناتهِ الا ما صدر عنهُ فعلاً كما انهم اذا رثوا مفقودًا لم يرثوهُ الا بما تفجع بهِ قلوبهم من الحزن عليهِ وبيان اخلاقهِ وصفاتهِ كما نرى ذلك في قصائدهم الجاهلية والمخضرمة كقصائد زهير في هَرِم بن سنان وقصيدة كعب في مدح الرسول واستعطافهِ وامثال ذلك فانك لا تجد هناك اختلاقاً في المدح ولا تطرفاً في الاطراء ولا افراطاً في الثناء الا ما جرى على طريق الاعتدال ولم يخرج عن حدّ المقبول السائغ في الافهام على غير ما صار اليهِ المدح بعد ذلك من الغلوّ الزائد وكثرة التشعب في ابراز المعاني الخيالية والصور الوهمية والخروج تارةً الى المحال حيث يجعل المادح ممدوحهُ حاكمًا على الدهر ويضع في يديهِ ازمّة الاقدار ويقرّب عليهِ تناول النجوم لو ارادها ويوصل حد حكمهِ الى الشمس والبدر توسعاً في المعاني وتفنناً في ايرادها وتصويرها كأنهم لما انتقلوا من حالة البداوة الجاهلية التي هي البساطة والفطرة الى حالة الحضارة التي هي سلم الارتقاء ومدرجة التأنق في سعة العيش وترف النعمة ورأوا غير ما كانوا يألفونهُ من ابهة المُلك وزينة الحضارة انتقلت معانيهم الشعرية ايضاً على هذا النسق تدرّجاً معهم في مراقي المدنية وجعل الشاعر يزخرف معاني شعرهِ كما يزخرف منزلهُ ويتفنن في ابراز مقاصدهِ كما يتفنن في طعامهِ ولباسهِ ويرتقي بها في سلم الخيال الذي هو تلو الحقيقة كما ارتقى في سلم الحضارة التي هي رديف البداوة والفطرة الى ان بلغ الشعر عندنا مبلغهُ المعروف لهذا العهد لم يتحوّل عن حقيقة اصلهِ ونسق نظمهِ الّا هذا التحوّل النسبيّ

اما الفرق الفاصل بين الشعر عندنا وعندهم فعلى نوعين لفظي ومعنوي اما اللفظي فهو ما تعلق بالوزن والقافية فان وزن الشعر عندهم يتألف من الاهجية اللفظية وهي كل نبرة صوتية تعتمد على حرف من حروف المدّ سوآء كان ذلك الحرف وحدهُ او مقترنًا بحرف صحيح ويسمّون هذه الاهجية في اصطلاحهم الشعريّ « أقدامًا » وبها تنقسم ابحر الشعر عندهم على حسب اعدادها في البيت فيكون اطولها ما تركب من اثني عشر هجآء وهو ما يسمونهُ الوزن الاسكندري نسبةً الى الاسكندر واقصرها ما تركب من هجآء واحد فقط بحيث يسوغ للشاعر عندهم ان ينظم القطعة يكون اوّل اباتها اثني عشر هجآء ثم ينزل فيها بالتدريج الى ان يختمها بهجآء واحد على ما يشبه بعض التواشيح الغنآئية عندنا تقريبًا. ولكن اكثر الاوزان شيوعًا بينهم هو الوزن الاسكندري ومنهُ اكثر قصائدهم ورواياتهم ولكن يُشترط في البيت الذي يكون من هذا الوزن ان ينتهي كل شطرٍ منهُ عند الهجآء السادس بحيث لا تنقطع الكلمة في وسطهِ الى شطرين بخلاف الشعر العربي الذي يجوز وصل الشطرين منهُ بكلمة واحدة وهو المعروف عندنا بالمدوَّر . ولكنهم يخالفون العرب في هذا القيد بانهم يصلون بين البيت الاول والثاني في المعنى واللفظ جميعًا بان يجعلوا الفاعل قافيةً للبيت ويضعوا مفعولهُ في اول البيت التالي بحيث يضطر القارئ لهُ ان لا يقف عند القافية بل يصلها بما بعدها في الالقآء وهو المذهب الذي انشأهُ فيكتور هيكو اخيرًا وعليهِ اكثر شعرآئهم اليوم وبخلاف ذلك العرب فان هذا يُعدّ عندهم من العيوب ولا يتسامحون بوقوع شيء منهُ في اشعارهم ولو وقع في كلام الفحل شعرآئهم كالنابغة الذبياني حيث يقول

وهم وردوا الجفار على تميمٍ وهم اصحاب يوم عكاظ اني

شهدت لهم مواقف صادقاتٍ　　　شهدنَ لهم بصدق الود مني

ولا يخفى ان اقامة الوزن في الشعر الافرنجي على عدد الاهجية مما يسهّل نظمهُ كثيرًا ويبيح للشاعر ان يقدّم ويؤخر في الفاظ البيت ما شآء ويضع في اثنآئهِ اللفظة التي يريدها ولا يختل معهُ الوزن عكس الشعر العربي الذي يعتمد وزنهُ على التفاعيل من الاسباب والاوتاد فان تقديم الحرف الواحد او تأخيرهُ فيهِ قد يؤدي الى اختلال الوزن بجملتهِ او ينقل البيت من بحرٍ الى بحرٍ آخر كما هو معروف عند ارباب هذا الفن

ومما يخالف الافرنج فيهِ مخالفةً لفظية مسألة القافية فانها عندهم لا تلزم الشاعر في اكثر من بيتين ولذلك كان شعرهم اشبه بالاراجيز عندنا على ما قدمناهُ قريبًا ولكن لهم فيها قيدًا آخر لا وجود لهُ عندنا وهو انهم يقسمون القوافي الى مؤنثة ومذكرة ويقتضون ان تكون كل قوافي القصيدة مؤنثة فمذكرة على التوالي بحيث لا يتوالى بيتان على قافية مذكرة او مؤنثة ويريدون بالقافية المؤنثة ما كانت مختومة بحرف علة وبالمذكرة ما كانت مختومة بحرف صحيح فهم ابدًا يعاقبون بين هذه القوافي الى ختام القصيدة　　　ستأتي البقية

جائزة شعرية

هل يعرف شعرآؤنا بيتين مشهورين في احدهما اربعة افعال ماضية اذا حُوّلت الى صيغة المضارع لم يتغير وزن البيت وفي الثاني لفظتان اذا جُعلت كل واحدةٍ منهما مكان الاخرى مع ابدال لفظةٍ ثالثة بمرادفها انقلب وزن البيت من الطويل الى الكامل

جائزة الصواب نسخةٌ من شرح ديوان المتنبي



الاب كنيب

ورد في الجرائد الاوربية نعي الاب كنيب المشهور بطريقتهِ في معالجة الامراض بالمآء في السادس عشر من شهر يونيو الفائت وكانت الجرائد السياسية قد نعتهُ قبل ذلك باسابيع ونشرت ترجمة حياتهِ فاستآء انصارهُ وأسف مشايعوهُ وكأنها عنت بذلك امرًا يقصر عنهُ طبهُ ولا تفيد فيهِ حيلهُ

واذا المنية اعلقت اظفارها   ألفيت كل تميمةٍ لا تنفعُ

ونحن نورد هنا ملخص ترجمتهِ لما لهُ من الشهرة في بلادنا

وُلد الاب كنيب في ١٧ مايو سنة ١٨٢١ في بافاريا ونشأ في فينا حيث آثر الرهبانية ودخل احدى مدارسها الاكليريكية يتعلم فيها فاعتلت صحتهُ على أثر الجهد والتعب في التحصيل حتى اضطرَّ الى ترك اشغاله طلبًا للراحة وقد خطر لهُ حينئذٍ ان يتداوى بالمآء فكان يستحمُّ كل يومٍ في مآء نهر الدانوب البارد صيفًا وشتآء لا يمنعهُ زمهرير البرد وجمد المآء لاعتقادهِ منفعة الاستحمام ولزومهُ وقد ثبت ذلك لهُ بما رآهُ من رجوع عافيتهِ وتقوية جسمهِ حتى تم لهُ الشفآء فطفق يبثُّ عن معجزات العلاج بالمآء اخبارًا ويبني على مستقبل امرهِ آمالًا واوطارًا والناس يتألبون عليهِ فيلدهم بحسن بيانهِ ويخلبهم بفصاحة لسانهِ فلا ينقلبون عنهُ الا وقد تمكن الاعتقاد فيهم بان في المآء قوةً لشفآء جميع الادوآء ثم عكف على تأليف الكتب ونشرها فلم يكن حظها من القبول عند العامة اقلّ من حظ المؤلفات الخطيرة فتُرجمت الى اكثر لغات اوربا وانتشرت في جميع الامصار والاقطار

ولا يخفى ان طريقة المداواة بالمآء قد وُجدت منذ عهدٍ عهيدٍ يُردُّ اصلها الى ما قبل التاريخ ولا يزال البدو لعصرنا هذا يتداوون بهِ في الامراض ولا سيما الحميات. والطب البقراطي يشير كثيرًا باستعمالهِ في الالتهابات والحميات والعلل العصبية وغيرها وفي الحديث المأثور «الحمَّى من فيح جهنم فأطفئوها بالمآء». فهذه الطريقة لم يستنبطها الاب كنيب ولكنهُ عمم استعمالها وحوَّل اليها الانظار فثبت انها قد تنجح في بعض الاحوال التي لا ينجع فيها دوآء اذا اقتضت الادلة العلاجية استعمالها كما في الاعيآء والانحطاط والامراض العصبية وضعف البنية اذا لم يكن ثمَّ مرضٌ عضوي الّا ان العامة لم يقفوا عند هذا الحدّ ولكنهم افرطوا باستعمالها حتى افضت الى الضرر كما حدث لبعض المسلولين في معلم

الاب كنيب نفسهِ اذ اصيبوا بنوازل رئوية اودت بحياتهم

ولا ننكر ما اثبتهُ المحققون من شفآء بعض الامراض المضالة التي عالجها الاب كنيب ولكننا لا نرى وجهاً لتعليل شفآئها الغريب بمجرد فعل المآء اذا لم يكن مقروناً بتأثير الوهم وفاعلية الايمان وقد كان للاب المشار اليهِ سلطةٌ ادبية وقوة ايهامية لا يباريهِ غيرهُ فيهما لما نال من الشهرة كما هو شأن كثير من الاطبآء ....

وقد استعمل الاب كنيب في بدء امرهِ العلاج بالمآء على الطريقة المألوفة ولما رأى اقبال الناس عليهِ اخذ يتفنن فيها على طرق كثيرة زادت بها شهرتهُ واخص هذه الطرق مشي الانسان حافياً على العشب المبلل بالندى او في المآء على غور قليل وعدم تنشيف الجسم بعد الاستحمام واستعمال الرياضة على اثرهِ الى غير ذلك مما فصلهُ في مؤلفاتهِ

ايام الشعرى

اجابةً لاقتراح بعض مشتركينا الادبآء نورد هذه العُجالة في بيان الايام المذكورة وأصل تسميتها وهي الايام التي مرّت بنا قريباً تصهر الادمغة وتستقطر الجلود ويسعى الانسان منها بين نارين احداهما فوق رأسهِ تصبّها اشعّة الظهيرة والأُخرى تحت قدميهِ يعكسها اديم الارض وهو بينهما كانهُ يقلَّب في سفُّود

وهذه الايام مشهورةٌ عند اكثر الامم وهي اربعون يوماً او تزيد قليلاً تُحسَب من ١٢ يوليو الى ٢٣ اوغسطس وعند بعضهم من ٣ يوليو الى ١١ اوغسطس وانما أُطلِق عليها ايام الشِعرَى لموافقة طلوع الشعرى فيها او لاعتقادهم ان الشعرى من النجوم الحارّة فاذا طلعت مع الشمس اشتدّت وقدة الحرّ

قال ابو الطيّب

وشُزَّبٌ أحمت الشِعرَى شكائمها ووسّمتها على آنافها الحَكَمُ

يذكر خيلاً قد اشتدّ عليها الحرّ حتى حمي حديد لجمها فترك على آنافها اثرًا كأثر الكيّ. والمراد بالشِعرَى هنا الشعرى العَبور وهي من الكواكب الجنوبية من نجوم الكلب الاكبر تطلع بعد الجبار وهي أنوَر الثوابت في السماء كلها حتى ان بعض الناس قد لا يفرق بينها وبين الزُهَرة وربما اغترّ بها بعض المسافرين اذا طلعت بعد منتصف الليل فحسبها الزُهَرة فسافر في تلك الساعة لظنهِ انهُ قد قرب من الصباح ولذلك يسميها عامّة الشأم بالغرّار. وهما شِعرَيان احداهما هذه والاخرى الشعرى الغُمَيصاء وهي من الكواكب الشمالية تطلع على اثر التوأمين ويقال للصورة التي هي فيها الكلب الاصغر والعرب تزعم ان الشِعرَيين أُختا سُهَيل وانهُ كان معهما الى شمال المجرّة ثم فارقهما الى الجنوب وتبعتهُ الأُولى

منهما فعبرت المجرّة فسُمّيت العَبُور وعجزت الأُخرى عن العبور فلبثت تبكي حتى غَمِصت عينها فسُمّيت الغُمَيصآء . ويسمّون الاولى ايضاً اليانية لانها تغرب لهم في شِقّ اليمن والثانية الشامية لانها تغرب في شِقّ الشأم

وحساب ايام الشعرى قديم العهد جدًّا وممن ذكرهُ هزيود الشاعر اليوناني وهو اقدم من هوميروس واول ما نشأ عند المصريين الأَوّلين وذلك انهم وجدوا بالمراقبة ان زمان طلوع الشِعرَى يوافق ابتدآء فيضان النيل فاتخذوها دليلاً عليهِ ورمزوا اليها بكلبٍ يحرس النيل وينبّه على اوان فيضانهِ ومن هنا سُمّيت الصورة التي هي فيها بالكلب وتخيُّـل معنى الكلب فيها عامٌّ عند الامم كلها حتى ان الرومان واليونان كانوا يذبحون لها كل سنةٍ كلباً اشقر . واما تسمية الصورة التي فيها الشعرى الشامية بالكلب ايضاً فلأن طلوعها يتقدم على طلوع الشعرى اليانية فكان دليلاً ينبهم على قرب طلوعها ولذلك يسمونها بالكلب المتقدم ايضاً . ثم وجدوا ان مُعظَم القيظ يبتدئ في ذلك الوقت ايضاً فنسبوا تلك الايام اليها وابتدآؤهم اياها من ١٢ يوليو يدلّ على انها كانت تطلع لذلك العهد في اليوم المذكور وهو متقدمٌ كثيرًا على مطلعها في هذه الايام لانها تطلع اليوم في آخر شهر اوغسطس اسي بعد ميعادها المشار اليهِ بنحو خمسين يوماً وبعد انقضآء الايام المنسوبة اليها بثمانية ايام . وسبب هذا التأخر تراجُع الارض في فلكها سنةً بعد سنة بما يسميهِ اهل الهيئة بمبادرة الاعتدالين مما سنفيض في الكلام عليهِ في غير هذا الموضع وبمُوجَب حساب هذه المبادرة يكون طلوعها في الميقات المذكور متقدماً على زماننا بنحو ٣٦٠٠ سنة واذا فرضنا انها كانت تطلع في ٣ يوليو على ما في القول الآخر كان ذلك من نحو ٤٣٠٠ سنة الّا ان هذه الايام لا تزال تُحسَب اليوم على ما كانت عليهِ قديماً كما أن اسمآء البروج باقيةٌ

على ما كانت عليهِ بالقياس الى فصول السنة وان كانت صُوَرها قد انتقلت عن مواضعها بالسبب المذكور على ما سنبينهُ في محلهِ ان شآء الله

فوائد طبية

نزع ابرة بالكهربائية الممغنطة — بينما كانت احدى الغسالات في بطرسبرج تعرس بيديها ثياباً تغسلها انكسرت ابرةٌ ونفذ قسم منها في يدها فبقيت شهرين حتى تورمت اليد والتهبت واشتد الالم فاستشارت الطبيب فخطر لهُ ان يحاول نزع الابرة بواسطة الآلة الكهربائية فاوصل احد قطبي الآلة المعيَّن وضعهُ تجاه مغرز الابرة بمغنطيس تجذب بهِ الابرة بمجرى كهربائي خفيف وكان يكرر العمل كل يوم مدة ساعة فاكثر و بعد عشرة ايام انشقَّ الجلد عن الابرة وعلقت بالمغنطيس من غير ان تحوج الى سفك قطرةٍ من الدم ولم يحدث عن تهييج المجرى الكهربائي شيء من الالم . ولا يخفى ان هذه الطريقة افضل الطرق لاستخراج المواد المعدنية من العين

الحقن تحت الجلد بمحلول الحديد — قرأنا في مجلة الطب الفرنسوية التي تُطبَع في باريز الصادرة في ١٠ مارس الماضي مقالةً للدكتور البارع شكري افندي نعمة طبيب المستشفى البلدي بالقدس اوضح فيها انهُ عالج خمسة من اصحاب المزاج الغيلي بحقن محلول شترات الحديد تحت الجلد على نسبة ١ — ١٠ فنجح في ذلك بعد ان خابت الوسائط الاخر من مثل استعمال الكينا والزرنيخ وجوز القيء والحديد من الباطن . واعتمادهُ في العلاج بهذه الطريقة على انها تقاوم نقص الكريات الدموية وهو العَرَض المتوقف عليهِ الضعف والاوذيما لا على انها تضاد فعل المتصعدات العَفَنية في البنية . وقد ذكر ان المرضى الذين عالجهم بالحقن

على ما تقدم لم ينزعجوا الا قليلاً من آلام خفيفة وتهيج لطيف مدلول عليه بالنبضان والصداع وحاسة الامتلاء في الشرسوف وبالتالي فهو يوصي بتجربة هذه الطريقة في مثل هذه الاحوال التي لا يُرجى فيها الشفاء . اه ملخصاً

مزيج يستعمل من الخارج في علاج حُمرة الوجه — عثرنا مؤخرًا على صفة مزيج يستعمل من الظاهر في علاج حمرة الوجه وهو هذا

حامض كربوليك (فينيك)	غرام	٢
صبغة اليود	—	٢
الكحل (روح النبيذ)	—	٢
زيت التربنتينا	—	٤
غليسرين	—	٦

تمزج هذه الاجزاء ويُدهن بها الموضع الملتهب كلهُ وما حواليهِ من الجلد السليم الى بعد سنتيمترين ثم يُغطى بنسيج رقيق محضر بمضادات الفساد

متفرقات

طعام سنة — عدّل بعضهم مقدار ما ينفقهُ الانسان في مدة سنة فكان كما يأتي اخذًا عن احدث التقاويم

النفقة السنوية	من اللحم بالكيلو	من الخبز بالكيلو	اجمال النفقة بالفرنك
للانكليزي	٤٩،٥٠	١٧٢	٢٤٠
وللفرنسوي	٣٩،٥٠	٢٤٥	٢٣٥
وللالماني	٢٩،٠٠	٢٥٤	٢١٠

وللاسبانيولي	١٩'٠٠	٢٧٨	١٦٥
وللطلياني	١٤'٥٠	٢٨١	١٢٠
وللروسي	٢١'٠٠	٢٨٨	١١٥

فيُرَى من هذا التعديل ان الكيلو من اللحم يعادل ٣ الى ٣'٥٠ من الخبز وان اكثر الناس اكلاً للحم الانكليز وعكسهم الطليان

المشروبات الروحية في اوربا واميركا

بعث وزير مالية بلجكا الى مفوّض المستقطرات الروحية بجدول يُعلَم منهُ مقدار ما يُنفَق من المشروبات الروحية في اوربا واميركا وخلاصة ما ورد فيهِ ان ما أُنفق من هذه المشروبات سنة ١٨٩٠ يتوزع على هذا النحو

	هكتولتر على عيار ٥٠	معدل ما ينفقهُ الشخص الواحد
المانيا	٥,٤٤٤,٨٠٠	١١'٠٠
انكلترا	٢,٥١٨,٤٦٢	٥'٢٢
النمسا والمجر	٢,٦٤٠,٧٢٤	٦'٣٩
بلجكا	٠,٥٣٧,٩٦٥	٨'٨٦
الولايات المتحدة	٣,١٤٩,٠٥٠	٥'٠٠
فرنسا	٣,٠٨٥,٠٠٠	٥'٠٧
ايطاليا	٠,٥٩٤,٠٩٢	١'٩٧
هولندا	٠,٤١٠,٧٠٦	٩'٠٠
روسيا	٦,٥٠٩,٧٤٤	٦'٣٠
سويسرا	٠,١٥٧,٠٠٠	٦'٠٠

ومن امعن النظر في هذا الجدول تبيّن خطأُ القول الشائع ان الانكليز اعظم امم الارض معاقرةً للشراب فانهم بالنسبة الى غيرهم من هذا القبيل في الرتبة الثامنة كما ترى

صفةٌ لمنع الصدأ — يذاب مقدارٌ من الراتينج في ٦ او ٨ مقادير من شحم الخنزير ثم يُترك ليبرد مع التحريك المتواصل فهو افضل طلاءٍ تُحفَظ بهِ الادوات المعدنية من الصدأ . فاذا اريد تنظيفها بعد ذلك يُنزَع عنها بالبنزين

غرآء الرز — يُصنَع كما يُصنَع غرآء الحنطة بأن يؤْخذ دقيق الرزّ ويداف في المآء البارد ثم يُطبَخ على نارٍ ليّنة حتى يصير في القوام المطلوب . وقد فضّل بعضهم هذا الغرآء على غرآء الحنطة بانهُ اشدّ بياضاً وشفوفاً عند الجفاف

لحام ادوات الكهربآء — يكفي لذلك ان تُدهَن سطوح الكسر بمحلول البوتاس الكاوي ثم تُضَمّ القِطَع المكسورة على نحو ما كانت ويُضغَط عليها بشدّة وتُسخَّن تسخيناً خفيفاً فتلتحم التحاماً تامًّا ولا يبقى في الاكثر اثرٌ للكسر

تقرير الدكتور روجرس باشا فيما يتعلق بالهوآء الاصفر

بعثت الينا مصلحة الصحة في القاهرة بترجمة التقرير الذي رفعهُ حضرة الدكتور روجرس باشا مدير عموم مصلحة الصحة في القطر المصري الى حضرة صاحب العطوفة ناظر الداخلية وهو يشتمل على بيان طرق تفشي الهوآء الاصفر في مصر سنة ١٨٩٥ وسنة ١٨٩٦ وعلى التقارير الرسمية التي رفعها الاطبآء الموظفون الى مصلحة الصحة المشار اليها واكثرهم من الانكليز وكل ذلك موضح بجداول ورسوم وصور تدلُّ

على ما عُني بهِ واضع هذا التقرير من الاجتهاد في ضبطهِ وتحريرهِ وتشهد لهُ بالفضل لما بذلهُ من الهمة عند تفشي الوبآء لتخفيف وطأتهِ ومنع انتشارهِ واستئصال شأفتهِ

وقد تبين من مطالعة هذا التقرير ان مصلحة الصحة اعلنت بوجود الوبآء رسميًّا في دمياط منذ ١١ نوفمبر سنة ١٨٩٥ ويرجح ان احد الحجاج حملهُ من مكة وقد انتاب المدن واكثر القرى ولم يتقلص ظلهُ الآ بعد فيضان النيل سنة ١٨٩٦ وكان شديد الفتك الآ ان الاصابات والوفيات لم تبلغ المقدار الذي بلغتهُ في الاوبئة السابقة لما اتُّخذ من التدابير المانعة من انتشارهِ وتفشيهِ واخصها العناية بمنع تلوث المآء اذ ثبت انهُ من اقوى الاسباب الفعالة في انتقال المرض ولذلك كانت الوفيات بهذا الوبآء في عامَّة القطر ١٨١٠٥ مع انها في وبآء سنة ١٨٨٣ بلغت ٥٨٣٦٩

ومما هو حريٌّ بالاعتبار ما ذكرهُ في مقدمة التقرير المذكور حيث قال « ان القطر المصري عرضةٌ لخطر انتشار الوبآء فيهِ لما هو ثابت من ان جراثيمهُ تنتقل بالمآء وليس في جميع القطر المصري موردٌ يُستقى منهُ الآ النيل المبارك ولما كان هذا النهر وما يتفرَّع منهُ واسطةً للمواصلات ومصرفًا للاقذار في القطر كان هو وفروعهُ عرضةً للتلوث في كل آن » قال « وقد اعتاد اهل البلاد تلويث المياه التي يستقون منها على ضفاف النيل والترع التي هي في كل مدينةٍ او قرية عبارةٌ عن مراحيض عمومية للاهالي ولهذا كانت المياه القريبة من الشواطئ في درجة من الفساد تفوق الوصف » اه . وهو القول الذي لا مرية فيهِ ولا خلاف في صدقهِ ليس على الهوآء الاصفر فقط بل على جميع الامراض الوبيلة المتوطنة في مصر واذا كان الامر على ما ذُكر معلومًا لدى مصلحة الصحة

وهي المطالبة بتبعتهِ والمترتب عليها دَرَكهُ افما يجب عليها الاهتمام بدرء الاخطار ومنع المضار المسببة عن ذلك بأن تنشئ مصرفاً يحمل الاقذار والفضلات الى البحر الملح كما في سائر البلاد المتمدنة . فان قيل ان ذلك امنية يحول دون تحقيقها موانع مالية على ما اشار اليهِ صاحب هذا التقرير في ختامهِ قلنا ان دخل بلدية القاهرة يبلغ نصف مليون جنيه في السنة وليس من المتمين ان يتمّ مثل هذا العمل الكبير في سنة واحدة ولكنهُ يمكن ان يتمّ شيئاً فشيئاً على التوالي فاذا وُفّر جانب من هذا الدخل في كل سنة لم تمضِ بضع سنين حتى يجتمع ما يفي بالمقصود . ولو نظر اصحاب الشؤُون في حارات القاهرة وما ينبعث ثمَّ من الروائح الكريهة الصادرة عن العفونات والاقذار التي هي سبب فساد الهوآء ومقر الجراثيم الوبيلة وعلة زيادة معدل الوفيات عما هو عليهِ في سائر مدن العالم لما تقاعدوا حتى الآن عن تحقيق هذه الامنية

فرجاؤُنا في مصلحة الصحة ان توجّه عنايتها الى هذا الامر الخطير قياماً بالواجب وتحقيقاً لاماني مديرها الفاضل الذي عودنا ان نرى من همتهِ ما يجدر بالثناء ويخلد لهُ بيننا الذكر الجميل

آثار ادبية

البصير — جريدة يومية سياسية تجارية تُطبع بالاسكندرية لحضرة صاحب امتيازها ومدير سياستها الفاضل الالمعي رشيد بك شميّل وقد صدر العدد الاول منها في ١ ستمبر مفتتحاً بمقالةٍ بليغة العبارة فصيحة السبك تكلم الكاتب فيها على فضل الصحافة وشرف اغراضها ومنزلتها في المجتمع الانساني والغاية التي ينبغي ان تجري اليها لحصول المنافع المقصودة منها ثم انتقل الى بيان خطة

الجريدة في سياستها وما تنويه من اعتدال المنهج واعتزال الهوى والتزام الصدق في الرواية والنزاهة في الرأي وقد تتابعت اعدادها بعد ذلك فوجدناها لا تحط عما بُدئت به ولا تتخلف عما رسمت لنفسها من الخطة التي أشارت اليها مشتملةً خلا ذلك على كثير من الفصول الادبية والفوائد العلمية والتجارية . وقد جعل قيمة اشتراكها ١٣٠ قرشاً اميريًّا في القطر المصري و ٤٠ فرنكاً في غيرهِ فنحث مواطنينا الاعزآء على تلقيها بما هي اهلٌ لهُ من الاقبال والايثار ونتمنى لها غاية النجاح والانتشار

الغزالة — أُهدي لنا مجلد السنة الأُولى من هذة الجريدة اللطيفة المشتملة على كل ما راق وحلا من طيّب الفكاهات والاحاديث المضحكة مسبوكةً في احسن قالب من اللغة العاميّة المصرية يستبطنها كثيرٌ من الآداب والنصائح والتنبيه على بعض العوائد السيئة مما يتعلق بآداب المجلس والمعاشرة واحوال العيشة البيتية وقواعد الاقتصاد في الملبس والمطعم والمشرب وغير ذلك وكلهُ في عبارةٍ لطيفة المرور على السمع خفيفة الورود على الطبع يُغتنَم نصحها ويُكتفَى جرحها

والجريدة المذكورة تصدر مرّتين في الشهر في اربع صفحاتٍ كبيرة لصاحب امتيازها جوانّي افندي الزنانيري وهي مع ما تظهر فيهِ من ثوبها العاميّ ولهجتها الهزلية خيرٌ من كثيرٍ من هذه الجرائد السياسية التي يخطّ بعضها قلم التعصب ويملي على بعضها لسان المداهنة تارةً والتشفي أُخرى وتُستشَفّ من اكثرها صُوَر المآرب الشخصية والمطامع الدنيّة فلا تخلو من مَفسَدةٍ لأخلاق الجاهل وأذًى لفؤاد العاقل ولذلك فنحن نثني على كاتب هذه الجريدة ثناءً طيباً ونرجو لها زيادة الاقبال والنجاح

رواية آخر بني سراج — أهديت لنا نسخةٌ من هذه الرواية معرّبةً عن الفرنسوية بقلم حضرة الكاتب الالمعي المتفنن الامير شكيب ارسلان تتضمن وقائع واحدٍ من بقايا بني سراج الغرناطيين من نزالة تونس وقد قدم غرناطة سائحاً متذكّراً وطنهُ القديم فبينا هو يتفقد ما فيها من الابنية والآثار ويتذكر سابق ايامهم في تلك الديار اذ اعترضهُ من اشراك الهوى ما شغلهُ بفؤادهِ عن جمال بلادهِ ومجد آبائهِ واجدادهِ الى ان خرج منها وفي نفسهِ من صورة تلك المشاهد ومن حب غزالهِ الشارد ما لو كان لهُ قلبان لما عاد منهما بواحد

وفي الرواية وصف كثيرٍ من آثار الدولة العربية في تلك البلاد وما لها من الابنية والزخارف والساحات والملاعب الى غير ذلك من آثار الابهة والفخامة ودلائل الترف والنعيم وقد الحقها بذيلٍ مطوّل يزيد على ٢٠٠ صفحة كبيرة يتناول منهُ شرح كثيرٍ من الوقائع التي أشير اليها في متن القصة ويتنزل منزلة تاريخ لأواخر دولة العرب بالاندلس وما كان اذ ذاك من الوقائع الى حين جلائهم عنها اخذ اكثرهُ عن كتب مؤرخي الافرنج مما خلت عنهُ تصانيف العرب فجاءت الرواية مع الذيل كتاباً نفيساً جامعاً بين الفكاهة والفائدة حقيقاً بان يُنظَم بين اجلّ مصنّفات هذا الفن وان يُثنَى على مؤلفهِ الفاضل جميل الثناء لما بذل في جمعهِ من العناية خدمةً للعلم وافادةً للقرّاء

لدينا اسئلة واقتراحات ضاق دون استيعابها هذا الجزء فوعدنا بها الجزء التالي ان شاء الله



السنة الاولى —— الجزء التاسع

١ اكتوبر سنة ١٨٩٧

اللغة والعصر

(تابع لما قبل)

ولا يؤخذ مما تقدَّم ان مرادنا الإزرآء على علمآء السَّلف رحمهم الله تعالى وغمط احسانهم فيما نقلوا الينا من اوضاع اللغة واحكامها وانما الغرض التنبيه على مزيَّة الالفاظ المُحدَثة وبيان مكان المولَّدين من اللغة بعد معرفة مكان اللغة من المجتمع وأنهُ لا يستقيم ان يُمنَع المتأخر مما أُبيح للمتقدم لان لكل عصرٍ لُغتهُ كما أنَّ لكل عصرٍ اهلهُ وانما اللغة لمن أفضت اليهِ وكانت في عهدهِ وربُّها هو المتأخر الذي بهِ حياتها والذي انما يتخذها للعبارة عن احوالهِ واغراضهِ لا للمتقدّم الذي قد دَرَج ودَرَجت احوالهُ معهُ. فنحن الآن منزلون منها منزلة المتقدمين بعينها ونحن وهم في امر الوضع فيها سوآءٌ نصرّف اعنَّتها كيف شئنا وشآءت حالة العصر لكن مع التزام ما اشرنا اليهِ من متابعة سَنَنهم والضرب على قوالبهم بحيث تتساوق اوضاعنا واوضاعهم على طريقٍ واحد ويتَّفق صداها على نَغَمٍ لا يختلف

أمَّا طُرُق الوضع فيمكن حصرها في ثلاث احداها الارتجال وهو وضع

اللفظ ابتداءً اي صوغهُ من المقاطع الصوتية من غير توسط وضعٍ سابق . والثانية الاشتقاق وهو صوغ اللفظ من لفظٍ موضوع لاشتراكهما في اصل المعنى . والثالثة المجاز وهو نقل اللفظ المرتجل او المشتق الى غير معناهُ الاصليّ لعلاقةٍ بين المعنيين . وفي كلٍّ من هذه الثلاثة كلامٌ نذكر منهُ ما يتعلق بغرضنا في هذه العُجالة فنقول

أمّا الارتجال على كونهِ اختراعاً في بادي الرأي فالمحض منهُ اي الصادر عن مجرَّد وحي الفكرة قليلٌ في الغاية بل هو عندنا مما لا يكاد يوجد ضرورةَ أن الالفاظ المرتجَلة هي اول شيءٍ بُدِئَ بهِ الوضع وانما وضعها الانسان حين كان عارياً من الملكة اللسانية فكان من المستبعَد ان يجري لسانهُ بلفظٍ يجعلهُ دليلاً على شيءٍ من الاشياءَ وصورةً لمعنىً من المعاني من غير ان يكون في ذلك الشيء نسبةٌ تَصِل بين الدالّ والمدلول وهيئةٌ يصلح اللفظ بها ان يكون صورةَ للمعنى . وحينئذٍ فلا شكَّ انهُ تحدَّى في ذلك مثال الطبيعة كشأنهِ في سائر مخترعاتهِ ومصنوعاتهِ فكان اول ما وضعهُ من اللفظ محكيًّا عن الاصوات المسموعة من الحيوان او الجماد فمثَّلها بما يقاربها من الصوت المنطقيّ ولذلك كان الموضوع من هذا النوع لا يتعدَّى في الغالب الهجاءَ الواحد وهو المؤلَّف من مقطعين ولا يكاد يدلّ الأعلى الأحداث دون الذوات . وذلك نحو قولهم صرَّ الجُندَب وفحّت الافعى وأنَّ المريض وخرَّ المآء وصلَّ الحديد ونحو صكَّ الحجر وشقَّ الثوب ورضَّ العود ومصَّ الشراب وشمَّ الطيب واشباه ذلك . ثم اضطرُّوا الى الوضع فيما لا صوت فيهِ فعمدوا الى وجهٍ آخر مما تُتوهم مقارنة الصوت لهُ لتستقيم لهم الحكاية فيهِ وهو حركة الشيء وذلك لِما بين الصوت والحركة من التلازم في الغالب فمثّلوا تلك الحركة بحكاية الصوت المتوهَّم عنها كما في قولهم بضَّ المآء وشبَّت النار وهبَّ النائم وقفَّ المقرور ونحو مطَّ الحبل وحلَّ العقدة

وحزَّ اللحم وبجَّ القرحة وما جرى هذا المجرى . ويكثر في هذا الضرب توسُّط حرف المدّ بين المقطعين لمطابقة حركة المحكيّ كما في نحو سال الماء ومار الدم وذاب الجامد وماع السائل وفاح الطيب وحام الطائر وغاص الحوت وهلمَّ جرًّا. ثم انتقلوا الى حكاية صفة الشيء بما توهموهُ في مقاطع الحروف من الصفات وما في اقترانها من الهيئات وذلك نحو قولهم رثَّ الثوب وكلَّ السيف وخفَّ الحمل وفظَّ الامر وبضَّ الجسم وجفَّ الغصن ونحو لان الحديد وراب اللبن وراق الشراب وبارت الارض ونام الرجل وضاق المكان الى ما شاكل ذلك . ولما استمرَّ لهم الجري على هذا الاسلوب وتكرَّر وضع الالفاظ بازآء المعاني نشأ في مخيّلاتهم نوعٌ من المناسبة بين اللفظ والمعنى فاتسع تصرُّفهم في الوضع وخرجوا عن الهجاء الواحد الى زيادة مقطعٍ آخر على الثنائي فخرجت السلاسل الثلاثية ثم زادوا على الثلاثيّ مقطعًا رابعًا وخامسًا فربما لزموا الحكاية في ذلك كلهِ وهو الغالب وربما فارقوها واكثر ما تكون الحكاية في الثلاثيّ فما فوقهُ للصفة ومنها استنبطوا سائر الاوضاع المرتجلة من اسماء الذوات والافعال التي لا ترجع الى السلاسل الثنائية وهي التي خبط فيها بعض المصنفين خبط عشواء وفي كل ذلك تفصيلٌ طويلٌ لا يسعنا استيفاؤهُ في هذا المقام

على أن هذا الضرب من الوضع قد استوفاهُ الواضع الأوَّل ولم يبقَ سبيلٌ للمتأخر الى الزيادة على ما وُضع منهُ لانحصارهِ في صُوَر محدودةٍ من التراكيب لا تتعدَّى ما في آلات الصوت من المقاطع ولأن اكثر ما اهملوهُ من الصُوَر التي يمكن ان تتألف من طريق الصناعة والاستقراء لا يصلح للاستعمال لثقلهِ على اللسان او لكراهتهِ في السمع ولذلك فان الواضعين انفسهم اغفلوهُ اخيرًا لوصولهم منهُ الى القدر الذي لا مذهب وراءهُ وعدلوا الى التصرف فيما بين

ايديهم من الالفاظ الموضوعة يقلّبونها على الصيَغ والوجوه التي تحتملها لفظًا ومعنًى بحيث خرجوا باللغة من طَور الحكاية والتقليد الى طور الصناعة والنظر فاصبحت تلك الالفاظ اصلاً يرجعون اليهِ عند الوضع ويستنبطون منهُ ما شآءوا من الاغراض كما ستتضح لك مُثُلهُ مماسيجيء وهو ولا جَرَم أبيَنُ مسلكًا وأدلُّ على حكمة الواضع اذ المعاني سلسلةٌ متصلٌ بعضها ببعض فجعلوا اللفظ بازآئها كذلك بين الطرفين

واما الاشتقاق فعلى ضربين احدهما قياسيٌّ وهو المنصوص عليهِ في كتب الصرفيين كبنآء المضارع والامر واسم الفاعل والمفعول وما شاكل ذلك وليس في شيء من غرضنا في هذا الموضع لانحصارهِ في صُوَر معلومةٍ تتناول جميع موادّ اللغة على السوآء فهو من قبيل الوضع الواحد لاطّراد المعنى الصيغيّ فيهِ وان اختلف ما تحتهُ من الجزئيات باعتبار المعنى المادّيّ . والضرب الثاني سماعيٌّ وهو ما صيغ صوغًا شخصيًّا يراد بهِ معنىً مخصوص للمشتقّ لا يطّرد صوغهُ من جميع الموادّ . وهو إمَّا ان لا يرجع الى قياسٍ البتّة كالخمر والعُقار والرَّيحان والسَّحاب والغَداة والضُحى والعشيّ والجُرف والعِبر والأَخمَص والخاصرة وما اشبه ذلك وهذا لا بدَّ من الوقوف عند المسموع منهُ والحاقهِ بالمرتجل لانهُ ليس لنا ان نَضَع قياسًا لم يَضَعوهُ . وإمَّا ان يكون لهُ حظٌّ من القياس وان لم يطّرد في المنقول وذلك كالقِطعة مثلاً بالكسر فانها مع كونها من الوضع الشخصيّ فقد سُمع لها نظائر جمّة من الالفاظ الدالّة على القطع كالكِسرة والقِصدة والكِسفة والفِلذة والخِرقة والقِدَّة والقِصمة والقِرفة والفِلقة وكلها تدلُّ على الجزء المقتطَع من كلهِ الّا ان هذا الوضع ليس بمطّرد في كل ما كان كذلك من الموادّ اذ لم يُسمَع منهم القِطمة مثلاً ولا البِتلة ولا الصِلمة ولا السِلخة ولا القِرضة

ولا القِصّة غير أن إغفالهم لهذه الالفاظ لا يمنع من صوغها واستعمالها لثبوت القياس فيها والاّ لزم ان لا ننطق من اسم الفاعل او اسم المكان مثلاً الاّ بما سُمع منهم وهو محالٌ اذ لم ينطقوا بجميع الصيغ والتصاريف التي تحتملها كل لفظةٍ ولكن ما ثبت في القياس لا يتوقف على السماع والاّ لم يبقَ للقياس معنى. بلى ان القياس في اسم الفاعل مثلاً يتناول جميع الافعال اذ لا فعل بدون فاعل فلا بدَّ من ان يوضع لهُ اسمٌ يدلُّ عليهِ وبخلافهِ القياس في نحو القطعة اذ ليس كل الافعال تدلُّ على القطع حتى تكون هذه الصيغة فيها قياساً مطَّرداً ولكنها انما تُقاس في الافعال الدالة على القطع وحدها وهذا هو المعنى الذي لاجلهِ اهمل الصرفيون امثال هذه الصيغ من كتبهم اذ هي قياسٌ في حيّزٍ معلومٍ فلا يكون اغفالهم لها دليلاً على تخلف القياس فيها

ستأتي البقية

مقالة في التربية

لحضرة الكاتب الفاضل عبد الله افندي المراش نزيل مرسيليا

(تابع لما قبل)

المطلب السادس

في التربية باعتبار الصناعات والحرف

يجب على المربّين اي على الابوين اولاً ثم المعلم ثانياً ان يلتفتوا في تربية الولد الى ما يراد بهِ وما عساهُ ان يصير اليهِ اذا شبَّ اي الى الصناعة او الحرفة التي عساهُ ان يعانيها او يحترفها وذلك بان يراقبوهُ في سائر تصرفاتهِ حتى يعرفوا بعد طول المراقبة ايَّة صناعةٍ او حرفةٍ يميل اليها وتلائم طبعهُ وتناسب

الطبقة التي هو او ابواهُ من اهلها فيرشحونهُ لها منذ دخولهِ في الدور الثاني من ادوار التربية وهذا ما ندعوهُ تربية الصناعات والحرَف . الاّ ان الحصول على شيء من تلك المعرفة يقتضي منهم امعان نظرٍ وطول مراقبة فاذا حصَّلوها لم يضيعوا الزمان والتعب بعدها بتعقيه الولد الذي سيكون في غالب ظنهّم تاجرًا في فنونٍ قلما يحتاج اليها سوى الذي سيكون في الغالب فلاّحًا ولا بتدريس الولد الذي يترجَّح عندهم انهُ سيكون حائكًا او نجارًا دروسًا قلما يفتقر اليها سوى الذي يترشح للهندسة

وقلنا الصناعة او الحرفة التي يميل اليها الولد وتلائم طبعهُ لاننا نرى من الخطاءِ ان يُحمَل الولد على معاناة صناعةٍ او احتراف حرفةٍ يمقتها او ليس في سجيَّتهِ استعدادٌ لها او على اتباع حرفة ابيهِ وان كان مزاجهُ لا يصلح لها فيجعلهُ نجارًا او حائكًا وفقيهًا او طبيبًا لا لعلةٍ اخرى الاّ لان اباهُ كان كذلك فان هذا اقتسارٌ للطبع وكل من يُقتسَر طبعهُ هكذا فلا يمكنهُ ان يمهر في صناعةٍ او يبرع في حرفةٍ كائنةً ما كانت . ولذا كان الاقدمون من اليونان وغيرهم كثيرًا ما يذهبون باولادهم الى المتاحف ودُور الصناعات ويطلقون لهم العنان ليتجوَّلوا فيها وينظروا الى ما تشتمل عليهِ من صنوف الفنون المختلفة وادوات الصناعات المتعددة ويراقبونهم عن بعدٍ حتى اذا عرفوا بعد طول المراقبة ايّ شيء هو اكثر استيقافًا للولد واستلفاتًا لنظرهِ اتخذوا من ذلك دليلاً يرجّح عندهم ان في طبعهِ ميلاً خصوصيًا الى ذلك الشيء واستعدادًا غريزيًا لهُ فرشَّحوهُ لتعلّم ما يتّصل بهِ او يكون منهُ بسبب

وكذلك يجب في هذهِ التربية ان يلتفت المربُّون الى الولد من حيث هو ذكرٌ او انثى والى الامَّة التي ينتمي اليها وان لا يذهلوا عن امر بلادهِ وامر

الناس الذين عساهُ ان يقيم بين ظهرانيهم حتى لا تكون تربية الغلام مثلاً كتربية الجارية في كل كيفياتها واعراضها وان كان جوهرها واحدًا ولا تربية المصري كتربية الافرنسي ولا تربية الهندي كتربية الصقلبي ولا تربية ابن القرية كتربية ابن المدينة الكبيرة

ولزيادة ايضاح مرادنا من كل ما مرَّ تقسم هذه التربية الى عاميَّة ومتوسّطة وعالية فان كان الولد من طبقة العوامّ وغلب على ظنّنا انهُ سيكون عاملاً بيدهِ لكسب معاشهِ فلا ينبغي ان يعزب عنا ان التربية العاميَّة وهي التي موضوعها بهذا الاعتبار صناعات اليد اكثر ملآءمة لهُ فنلتفت اليها وننظر الى الصناعة التي يترجَّح عندنا بعد طول المراقبة انهُ اهلٌ لان يعانيها فنرشحهُ لها وذلك بان نعلمهُ من اصولها وما يتعلق بها ما يقدرهُ على التفرُّغ بعد ذلك لتعلّمها بالممارسة وتوفير زمانهِ على التمرُّن فيها عملاً حتى اذا حان لهُ ان يعانيها لكسب معاشهِ كان في وسعهِ ان يوفّيها حقّها من الاتقان والاحكام ويصير مثلاً حدَّادًا او نجارًا او حائكًا ماهرًا في صناعتهِ ولا بأس ان يصحب التعليم العقليّ شيء من التعليم العمليّ اي الممارسة الابتدآئية لان هذا بالاضافة الى ذلك كالشرح بالاضافة الى المتن

وان كان الولد من اهل الطبقة المرتفعة عن هذه وغلب على ظنّنا انهُ سيكون من ارباب الفنون او التجارة او ما يشاكل ذلك فيجب ان نجعل هذا الامر نُصب اعيننا ونصرف شيئًا من اهتمامنا الى التربية التي دعوناها بالمتوسطة وننظر الى تلك الحرفة التي ترجح عندنا انهُ سيكون في الغالب من اهلها فنعلّمهُ مما يتّصل بها ما يقدرهُ بعد ذلك على تعلّمها بالممارسة فان غلب على ظنّنا مثلاً انهُ سيكون تاجرًا فنعلّمهُ من المعارف التجارية كالحساب ومسك الدفاتر ما

يؤهلهُ لتعاطي التجارة ويدهِ شيءٌ من ادواتها

وان كان من اهل الطبقة العالية فتربيهِ بحسب ذلك وترشح ذهنهُ لما سيقدم على درسهِ في المدارس من لغات الاعاجم والعلوم العالية او الكمالية التي بها يصير اهلاً لما عسى ان يتولاهُ يوماً ما من السفارة او الرئاسة او القضاء او ولاية الاعمال او قيادة الجند او تسيير الاساطيل او شق الانهار والترع او فتح الطرق او تعاطي الطب او البحث عن طبائع الاشياء او غير ذلك من الامور المهمة . اما الصناعات والحرف التي تلائم الاناث خاصةً فهي معروفة ولا حاجة بنا الى ذكرها هنا

المطلب السابع

في طريقة ابتداء التعليم

اذا حان وقت وضع الولد في الكتّاب او آن لهُ ان يتعلّم القراءة والكتابة في البيت فابدأ بتعليمهِ حروف الهجاء بالطريقة الجديدة المصطلح عليها الآن لا بالطريقة القديمة التي اعتادها آباؤنا واوشكت والحمد لله ان تبطل بتةً فاذا احكم معرفة صور الحروف رسماً ومخارجها نطقاً فانتقل بهِ الى الكلمات المفردة التي تتركب من حرفين او ثلاثة احرفٍ كاسم الهرّ والكلب والفرس وغير ذلك من الاسماء التي تقع مسمّياتها تحت حواسهِ ويعرفها او من الافعال المألوفة التي يفعلها هو او يراك تفعلها كقولك اكل شرب نام وهلمّ جرًّا . ثم ترقَّ بهِ الى الجمل القصيرة التي تتركَّب من امثال هذه الاسماء والافعال او ما يجري مجراها كقولك قفز الصبيُّ نبح الكلب عدا الفرس اصطادت الهرّة فأرةً . ثم تجاوز ذلك الى قصص قصيرة سهلة المأخذ مركبة من الالفاظ المأنوسة ومما يجد في قراءتهِ لذةً فذلك اعون على تعليمهِ لا مجرَّد القراءة فقط بل الالفاظ الكتابية

ايضاً اذا فسّرتها لهُ باللغة العامّية التي لم يتعلم لهذا الحدّ غيرها وهكذا تترقى بهِ درجةً فدرجةً حتى تبلّغهُ ذروةً عالية

فان رمت ان تعلمهُ شيئاً من اركان علم الحساب البسيط فلا تهجم عليهِ دفعةً ومن اول وهلةٍ بجداول فيثاغوروس بل تربَّص قليلاً وانتهز فرصة فراغهِ من اللعب بالجوز مثلاً لتعلمهُ الجمع والطرح بان تجعلهُ يعدُّ جوزاتهِ ويضيف اليها او يسقط منها شيئاً ليعرف عدد ما يجتمع لهُ منها او ما يبقى فبذلك يتوصَّل تدريجاً الى تعلّم علم الحساب كلهِ

ولا بأس ان تجعل تلك الجوزات او الكُرَات التي يلعب بها ويرمي باحداها الى جانب الاخرى ذريعةً لتمرينهِ على تقدير المسافات والابعاد ونسبة قاصي الاشيآء الى دانيها فهذا اصل علم المساحة وما يُعرَف عند اربابهِ بذرع المثلثات بل هذا اصل علم الفلك ستأتي البقية

مقابلة

(بين الشعر العربي والشعر الافرنجي)

من قلم الكاتب اللوذعي نجيب افندي الحداد احد منشئ جريدة لسان العرب الغراء

(تتمة ما سبق)

وانما جعلوا ابيات شعرهم على قوافٍ متعددة لان لغتهم ضيّقة قليلة الالفاظ لا تتسع لالتزام قافية واحدة في القصيدة الطويلة على خلاف الشعر العربي الذي لهُ من اتساع لغتهِ واستفاضة الفاظها اكبر نصير واوفى مدد على تعدد قوافيهِ والتزام الحرف الواحد فيها . ومن الغريب انهم مع توسعهم في القافية

بكثرة تغييرها وعدم التزامها وجواز تكرارها نجدهم اكثر الناس شكوى من صعوبتها وقلة الظفر بالمحكم المتين منها حتى ان فولتير نفسهُ وهو من اكبر شعرآئهم كان يتظلَّم منها ويسميها النير الثقيل والظالم الشديد وان شاعرهم بوالو لما امتدح موليير الشاعر الروآئي الشهير قال لهُ « علمني يا موليير اين تجد القافية » . وما ننكر ان شعرآء العرب يفتخرون بالقافية في شعرهم ويتباهون بالوقوع على المحكم منها ويمدحون شاعرهم بان القوافي تنقاد لهُ وانهُ يضعها في اماكنها ولكن شتان بين من يفخر بالقافية وهو يلتزمها في كل ابيات قصيدتهِ وبين من يفخر بها ويعدها نيرًا ثقيلاً وهو لا يلتزمها الاّ في كل بيتين من ابياتهِ

ثم ان عندهم خلا ذلك نوعاً من الشعر يسمونهُ « الشعر الابيض » وهو الذي لا يلتزمون فيهِ قافيةً بل يرسلونهُ ارسالاً ولا يتقيدون فيهِ بغير الوزن واكثر شيوع هذا النوع عند الانكليز وعليهِ اغلب منظومات شاعرهم شكسبير اخذًا عن الشعر اللاتيني القديم . ومن اصطلاحهم في النظم انهم يخالفون بين ابيات القصيدة في قوافيها بان يفرقوا بين كل بيتين من قافيةٍ واحدة ببيتين آخرين من قافيةٍ اخرى على ما يشبه نسق الموشحات الاندلسية عندنا الاّ انهم توسعوا في المقارنة بين الاوزان توسعاً زائدًا حتى صاروا ينظمون المقطوع الواحد من الشعر على عدة اوزان مختلفة لا ينطبق مجموعها على الذوق السماعي اذ بينما الاذن تسمع وزنًا في بيتٍ اذا بها قد انتقلت فجأةً الى وزنٍ آخر ومنهُ الى غيرهِ دون ان تستقرَّ على وزنٍ معلوم وهو مما لا يوجد عندنا الاّ في بعض الموشحات المهجورة التي لم يعد احد ينسج على منوالها في هذه الايام

هذا مجمل ما نباين الافرنج فيهِ من حيث اصطلاح الشعر اللفظيّ ومقتضيات قواعدهِ واوضاعهِ واما من الجهة المعنوية فاول ما يخالفوننا فيهِ انهم

يلتزمون الحقائق في نظمهم التزاماً شديدًا ويبعدون عن المبالغة والاطراء بعدًا شاسعاً فلا تكاد تجد لهم غلوًّا ولا اغراقاً ولا تشبيهاً بعيدًا ولا استعارةً خفيّةً ولا خروجاً عن حد الجائز المقبول من المعاني الشعرية في جميع وجوهها ومقاصدها فهم من هذا القبيل اشبه بالعرب في جاهليتهم اذا مدحوا لم يبالغوا واذا وصفوا لم يُغربوا واذا شبَّهوا لم يُبعدوا في التشبيه واذا رثوا لم يتعدَّوا صفات المرثيّ واخلاقهُ في المعاني السهلة المقبولة على خلاف ما صار اليهِ شعر العرب بعد الاسلام من الاغراق والغلوّ والمغالاة في الوصف الى ما يفوت حدَّ التصوُّر والادراك مما اشرنا اليهِ في فاتحة هذا المقال . غير اننا اذا خالفناهم في اكثر هذا الامر فنحن معهم على اتفاق في بعض اطرافهِ اي انهُ يجوز عندنا كل ما يجوز عندهم من هذا النحو ولا يجوز لديهم كل ما يجوز لدينا منهُ بحيث كنَّا جامعين شعرهم من هذا القبيل وزائدين عليهِ ما انفردنا بهِ دونهم من ذلك الاغراب وكنّا نقدر ان نقول « اعذب الشعر اكذبهُ واحسنهُ اصدقهُ » وهم لا يقدرون ان يقولوا الآن احسن الشعر اصدقهُ فقط . ومن وقف على ما في ديوان الحماسة من شعر العرب في الجاهلية وصدر الاسلام ووقف على شعر الافرنج اليوم رأى ان لا فرق بين الشعرين في بساطة المعاني وصدق التشبيه وحقائق الوصف وعجب كيف يكون كمال الشعر عند الافرنج في عزَّة مدنيَّتهم وتمام حضارتهم مشابهاً لبدء نشأتهِ عند العرب في ابّان جاهليتهم وخشونة بداوتهم . على اننا اذا شابهنا الافرنج في شعر جاهليتنا من حيث البساطة والتزام الحقائق وباينّاهم كثيرًا في شعرنا الاخير من عهد المتنبي الى اليوم من حيث الاغراب في المعاني والمغالاة في الوصف بما يُخرج الكلام عن حد الحقيقة احياناً او يُلبس الحقيقة الصغيرة منهُ الثوب الطويل الضافي من المجاز

والابهام حتى يكاد ينكرها الخاطر وتبدو لهُ على غير وجهها المعروف الاّ ان ذلك لا يرد في شعرنا الاّ من بعض الوجوه المعدودة كالغزل والمديح واشباههما مما يوافق الخيال ويجري مع وهم النفس ويقصد بهِ تصوير الوجدان الخفيّ اكثر مما يقصد بهِ تقرير الحقيقة الراهنة ولذلك تفنَّن فيهِ شعرآء العرب وتسابقوا الى الصوَر الخيالية منهُ يصوّرونها في كل قالب ويأتون بها من كل سبيل وقد آنسوا ميدان الخيال فسيحاً فجالوا ووجدوا مجال القول ذا سعةٍ فقالوا وساعدتهم اساليب اللغة واتساع تراكيبها وبلاغة تعبيرها وجزالة الفاظها ووفرة الاستعارات والكنايات فيها فارسلوا افراس قرائحهم مطلقة العِنان واجالوا بصائرهم في سمآء المعاني فاستنزلوا النجم من العَنان . واما ما سوى ذلك من تقرير الوقائع وايراد الحكم وضرب الامثال وتصوير الحقائق ووصف المشاهد فانهم لا يكادون يخرجون عن حد الطبيعة ولا يحيدون عن محجة الصدق والقصد ولا يأتون الاّ بما تلقيهِ البداهة وعليهِ الجنان على اللسان فهم من هذا القبيل يشبهون الافرنج وان لم يشبههم الافرنج من غير هذا القبيل . ثم ان من اصطلاح الافرنج ان لا يقدّموا شيئاً بين ايدي اغراضهم الشعرية بل يأتون بها اقتضاباً من غير تمهيد ولا تقدمة على خلاف ما يفعلهُ اكثر شعرآء العرب من تقديم الغزل والنسيب والحكم وامثالها امام ما يقصدون من المدح او الرثآء الى ان يخلصوا منها اليهِ الاّ ان ذلك ليس بالامر اللازم عندنا وكثيراً ما يأتي الشاعر بغرضهِ في مفتتح قصيدتهِ دون توطئة ولا تمهيد . ومما يخالفوننا فيهِ انهم يتجافون عن الفخر في قصائدهم ولا يستعملون التمدح في كلامهم بل يعدونهُ عيباً ونقصاً خلاف العرب الذين جروا على هذا الامر دهرًا طويلاً وجعلوا لهُ في اشعارهم باباً خاصاً على انهُ مع كونهِ مباحاً عند العرب فهو اليوم من المذاهب المرغوب عنها لما في

طبيعة العصر من إبائهِ الا اذا دعت اليهِ ضرورةٌ تدفع الشاعر الى مثلهِ في مقام النضال والمدافعة عن الاحساب

ومما فاق الافرنج فيهِ في مقام الشعر وانفردوا بهِ دوننا نظم الروايات التمثيلية واعتدادها من اول ابواب الشعر واسمى درجاتهِ واشدها دلالةً على براعة الشاعر وحسن اختراعهِ وهم مصيبون في هذا الاعتقاد كل الاصابة لان في نظم الرواية الشعرية من الدلالة على الفضل والابداع اكثر مما في نظم الديوان من القصائد والمقطعات اذ هي تقتضي حسن الاختراع في تأليف حكايتها وبراعة النظم في وضع اياتها ولطف التصوّر في بيان شعائر ممثليها واختلاف حالاتهم ودقة النظر في تبويب فصولها وتوثيق عقدتها ووصل بعضها ببعض مما يستلزم رويّة طويلة وعارضة شديدة وقدرة فائقة في التصوّر والنظم والتأليف على غير ما تقتضيهِ القصائد والمقاطع المستقلة التي يقصد بها الناظم غرضاً واحداً فيأتي بهِ في ابيات معدودة لا يضطر فيها الى عقد حكاية ولا الى تمثيل عواطف متعددة ولا الى اقامة نفسهِ في موقف كل شخص من اشخاص الرواية يتكلم بلسانهِ وينطق عن شعورهِ ويضع في دورهِ التمثيلي ما كان ينبغي ان يقولهُ صاحب الدور الاصيل. وقد انتقل هذا الفن الينا في هذه الايام واشتغل بهِ جماعة منّا نظموا فيهِ الروايات الشعرية واخصهم المرحوم المأسوف عليهِ الشيخ خليل اليازجي في روايتهِ المروءة والوفاء الا اننا لم نبلغ فيهِ مبلغ الافرنج بعد ولا وصلنا الى ما وصلوا اليهِ من درجة كمالهِ واتقانهِ

ومن الفرق بيننا وبينهم في نظم الشعر اننا نفوقهم في وصف الشيء وهم يفوقوننا في وصف الحالة اي اننا اذا وصفنا الاسد او الفرس او القمر او الفتى الجميل او الغادة الحسناء اتينا في ذلك باحسن مما يأتون به وتوسّعنا فيه توسعاً

لا يقدرون هم على الاتيان بمثلهِ . وانهم اذا وصفوا حالةً من قتال رجلين او معركة جيشين او مقابلة محبَّين او غرق سفينة او مصاب قوم جآءوا في ذلك باحسن مما نجيء بهِ وتوسعوا فيه بما لا نقدر ان نسبقهم اليهِ . ومثال ذلك ان المتنبي وصف الاسد بما لا يقدر افرنجي على وصفهِ بمثلهِ وهيكو وصف معركة واترلو بما لا يقدر شاعر عربي على الاتيان بنظيرهِ فهم بذلك اقدر على تصوير الوقائع ونحن اقدر على تصوير الاعيان لاننا اذا وصفنا الشيء بلغنا من بيان صفاتهِ الى ادقها واخفاها وتوصلنا من ادراك معانيهِ الى اصغرها وادناها حتى لا نبقي منهُ باقية ولا تفوتنا منه حقيقة وصف وهم اذا وصفوا حالةً او موقفاً توصلوا الى اخفى دخائلهِ وابانوا عن ادق خفاياهُ وبسطوا لعين الفكر ما لا تكاد تبصرهُ عين الحس من غوامضهِ وسرائرهِ وذلك لانهم يتبعون وجدانات النفس الى اقصاها فلا يفوتون منها جليلاً ولا دقيقاً وهي المزية التي يعتبرون الشاعر بها ونحن نشير الى تلك الشمائر اشارة إجمال ونترك الى القارئ تمام التصور والتفصيل

هذا ولو تتبعنا بيان كل فرقٍ بيننا وبين الافرنج من مثل البديع اللفظي والمعنوي مما لا وجود لهُ عندهم والتفنن في ايراد المعاني على اساليب كثيرة مما انفردنا بهِ دونهم واوردنا على كل ذلك شاهدًا من كلامنا وكلامهم لضاق بنا المجال وخرج بنا نطاق البحث الى ما يفوت حجم هذه المجلة ويستغرق كتاباً باسرهِ ولكن الذي يؤخذ من جملة ما اوردناهُ انهم قوم امتازوا عنا بشيء وامتزنا عنهم باشيآء واننا قد جمعنا من شعرهم احسنهُ ولم يجمعوا من شعرنا كذلك وهي ولا شك مزية اللغة العربية التي اختصت بما لم تختصَّ بهِ لغةٌ سواها من غزارة موادّ اللفظ ووفرة ضروب التعبير واتساع مذاهب البيان حتى لقد سماها الافرنج نفسهم «اتمّ لغة في العالم»[١] وكفى بذلك بياناً لفضلها على سائر

---

١ انظر موسوعات لاروس في كلامه عن اللغة العربية

اللغات ومن ثم بيانًا افضل شعرها على سائر الشعر وكل فتاةٍ بابيها معجبة والله اعلم

الألماس

الألماس كلمة يونانية معربة عن أذماس (ἀδάμας) ومعناها الذي لا يُقهَر فالالف واللام فيها اصليتان خلافًا لما جزم بهِ صاحب القاموس حيث قال ولا تقل ألماس اي بقطع الهمزة فانهُ من لحن العامة . قال في تاج العروس قال ابن الاثير واظن الهمزة واللام فيهِ اصليتين مثلهما في إلياس قال وليست بعربية فان كان كذلك فبابهُ الهمزة لقولهم فيهِ الألماس . اه وهو الصحيح . وقال الخفاجي في شفآء الغليل ألماس بتمامهِ كلمة غير عربية ولم يرد في كلام العرب القديم وعربيتهُ سامور . اه . قلنا ولم يذكر القاموس السامور ولكنهُ ذكر الشُّمُّور بمعناهُ بالشين المعجمة وتشديد الميم قال الشارح وفي حديث قصة عوج بن عنق مع موسى (عم) ان الهدهد جآء بالشمور فجاب الصخرة على قدر رأسهِ قال ابن الاثير قال الخطابيّ لم اسمع فيهِ شيئًا أعتمدهُ وأُراهُ الماس يعني الذي يُثقَب بهِ الجوهر وهو فُعُّول من الاشمار والانشمار المضيّ والنفوذ . انتهى

والألماس معدنٌ شفافٌ متلألئٌ بل هو فحمٌ صرف متبلورٌ ليس لهُ مثيل بين الاجسام المعروفة في صلابتهِ كثافتهُ ٣٫٥ لا ينصهر ولا تؤثر فيهِ السوائل ولا النار مهما كانت قوية اذا وضع فيها محجوبًا عن الهوآء على انهُ يحترق بسهولةٍ في غاز الاكسجين فيتحول الى حامض كربونيك واول من ذكر قابليتهُ للاحتراق اسحق نيوتن وكان يتحرى بعض التجارب البصرية قبل ان عُرِفت هذه الخاصة فيهِ بالامتحان . وهو عادم اللون غالبًا كالمآء وقد يكون ازرق كالماسة

الزرقآء الموجودة عند احد اغنيآء انكلترا قيمتها ٣٠٠٠٠ جنيه وقد يكون اصفر او اسمر . ويوجد في الطبيعة على شكل حبوب غير تامة الاستدارة او على شكل بلورات مكعبة او ذوات ثماني زوايا منتظمة او اثنتي عشرة زاوية مستطيلة وقد تكون زواياها منحرفة ذوات ٤٨ وجهاً . وكان معروفاً في الهند منذ عهد عهيد الا انهُ لم يُعرف ثمَّ لهُ معدن ثم كُشف معدنٌ منهُ في البرازيل سنة ١٧٢٧ وفي الاورال سنة ١٨٣١ وقد قلَّ وجودهُ في الاماكن المذكورة ولكنهُ ازداد كثيرًا بعد كشف معدنٍ منهُ في كمبرلي من مقاطعة غريكوالند بافريقيا الشمالية سنة ١٨٧٠ وهي الى الجنوب الغربي من ترانسفال المشهورة بمعادن الذهب

ومن الغريب ان هذا الحجر المتقوّم لم تزل تجارتهُ رائجة واثمانهُ غالية على ما كانت عليهِ منذ القديم مع انهُ لا يكاد يُنتفع بهِ في شيء لانهُ لا يصلح الاَّ للزينة التي هي خلاّبة النسآء . وقد ازداد مقدارهُ لكثرة ما يُستخرج منهُ سنويًا وعدم فقد شيء منهُ لكن الظاهر ان سبب غلآئهِ احتكارهُ في العالم كلهِ ومن شأن المحتكرين الاحتيال في تحصيل الربح والثروة فانهُ عند ما كُشف معدنهُ في البرازيل اشاعوا انهُ دون الالماس الهندي صفآء وقيمةً وكذا لما كُشف معدنهُ في كمبرلي اذاعوا انهُ ليس الماسًا حقيقيًا وبالغوا في ذمّهِ وكانوا مع ذلك يُصدِرون كلّ ما استُخرج منهُ الى بنغال وغيرها من اعمال الهند فيحملهُ التجار الى اقطار العالم ويبيعونهُ الماسًا هنديًا . واذا سألت الجوهريَّ وانت تساومهُ على مشترى الماسةِ عن مصدرها انكر عليك صدورها من جهات افريقيا الشمالية مع ان الالماس كلهُ سوآء كان نقيًا او غير نقيّ انما يرد الآن من تلك الجهات

على ان هناك اسبابًا أُخر تدعو الى غلآء ثمن الالماس وزيادة قيمتهِ منها

صعوبة استخراجهِ وما يقتضيهِ من النفقات وما يعاني مستخرجوهُ من الاخطار الى غير ذلك مما يطول شرحهُ . وقد تقدم ان معدنهُ في افريقيا الشمالية كُشف في كمبرلي فهناك قفرٌ شخصت فيهِ هضبةٌ ظهر على سطحها تضاريس كأنها كُتَل الحديد في النورج وهذه الهضبة مؤلفة من صخر سنجابي اللون يختلف كثيرًا عن الاراضي المجاورة ويتضمن الالماس فهو ركازهُ الذي يُستخرَج منهُ وهم يقطعون الصخور هناك قِطَعًا متآزية في بقعةٍ عرضها ١٥٠ مترًا وطولها ٢٠٠ مقسومة الى ١٦٠٠ قطعة على شكل الشطرنج يشتغل كل فريقٍ بما قُسِم لهُ وقد بلغوا بالحفر الى عمق ٤٠٠ متر وحتى الآن لم يصلوا الى قرار هذا الركاز . ومع ما يقتضيهِ هذا العمل من المشقّة والدقة فان ما يتلوهُ من الاعمال اعظم مشقةً لان الالماس في ركازهِ يكون على نسبة غرام واحد في كل ٣ امتار مكعبة فتُستخرَج هذه الكمية الجزئية من المواد التي تضمنتها على زيادة مقدارها بالنسبة اليها فلو كان الالماس مضمَّنًا في حجرٍ صلب كالحبَّب لما وُجد سبيل لاستخراجهِ لما يقتضيهِ من النفقة التي تربي على قيمتهِ ولكنَّ الركاز الذي يتضمنهُ مكوَّن من صخرٍ ازرق اللون مخضرٍّ قَصِم يتفتت بسهولة ويذوب في الماء . وكانوا من قبل يعالجون الركاز بعد حفرهِ باثني عشر الى خمسة عشر شهرًا بالسحق والتذويب في الماء والتحريك والتجفيف والنخل فعدلوا عن ذلك الآن الى طريقة السحق بلطفٍ وتدريج لئلا يتكسر الالماس فتنقص قيمتهُ ثم يُنخَل وتؤخذ الحُصيّات الالماسية وتُوزَن ثم تسلَّم الى موظفين يميزون بين اشكالها ومقاديرها ولونها ومآئها الى غير ذلك ثم ترفَع الى وكلاء الشركة ليرسلوها الى لندن فيشتريها ثمَّ تجار الالماس الخام ولا يبقى الا قطعها وصياغتها

ويُعلل تكوُّن الالماس بان مادتهُ الفحمية رسبت في قاع بحيرة كانت تغطي

افريقيا الشمالية في طورٍ من الاطوار الجيولوجية ثم طرأ حادث بركاني قذف كتلة من المواد المتكونة في قعر تلك البحيرة صُعُدًا وكانت في حالة السيولة فتبلور الكربون بقوة الضغط العظيم وتصلب على كرور العصور والادهار فصار الماسًا . ويؤيد ذلك ما اجراهُ العلمآء الكيماويون من التجارب قصد تحويل الكربون الى الماس حقيقي بقوة الضغط حتى يستحيل الى سائل يتبلور ولكن الالماس الذي استطاعوا تكوينهُ على هذا الوجه كان صغير الحجم جدًّا لانهم لم يبلغوا الى درجة من الضغط تعادل القوة الطبيعية . ومن الادلة على ان الالماس تكوَّن من الكربون وهو سائل بفعل الضغط الطبيعي ان بعض حُصيّاته تنشقّ عند استخراجهِ من ركازهِ وتتصدع

وتبلغ كمية ما يُستخرَج يوميًّا من الالماس في ركاز كمبرلي ١٨٠٠ غرام قيمتها ٢٦٠،٠٠٠ فرنك ومعدَّل ربح القيراط منهُ في معدنهِ ٢٠ فرنكًا لان ثمنهُ المتوسط ٣٢ فرنكًا ونفقتهُ لا تزيد عن ١٢ فرنكًا . وقد بلغت كمية ما استخرج في سنة ١٨٩٥ مليوني قيراط ونصف مليون ربحها ٥٠ مليون فرنك وفي كل سنة يستخرجون منهُ ما تبلغ قيمتهُ مئتي مليون فرنك فمن العجب ان تبقى قيمتهُ على حالها وهو ليس من الحاجات الضرورية فما اعظم غرور اللواتي يتزينَّ بهِ والذين يتنافسون بقتناهُ

تأثير اشعة الشمس في النبات

الاجسام الحيَّة مكونة من عناصر بسيطة تتركب بعضها مع بعض على ضروب مختلفة في الكم والكيف واخص هذه العناصر في النبات الكربون والهدروجين . اما الكربون فمصدرهُ الحامض الكربونيك المنتشر في الهوآء واما

المدروجين فمصدرهُ المآء متحدًا فيهِ مع الاكسجين على نسبةٍ لا تتغير . والفاعل في تحليل هذين العنصرين من المآء والهوآء وتركبهما في النبات انما هو الاشعة الشمسية وهي تقع على النبات فيمتصّ معظم حرارتها فتقوم بتكوينهِ ونمآئهِ وتُختزَن فيهِ وقد قُدّر ان الحديقة التي تبلغ مساحتها ١٠٠٠٠ متر مربع يتكون فيها كلَّ سنةٍ ١٨٠٠ غرام من الكربون في الخشب . والخشب الذي يُحرَق والغاز الذي يُشعَل انما هو حرارة اشعة الشمس التي خُزِنت في النبات . وحرارة الحيوان منشأُها الاشعة الشمسية ايضًا لان الحرارة فيهِ موقوفة على الغذآء وهو يكون من النبات او من حيوانٍ آخر مرجع غذآئهِ الى النبات ومرجع كل ذلك الى القوة الشمسية

فالاشعة الشمسية التي تخترق الفضآء الأثيري على شكل تموجات مؤلفةٌ من الوانٍ هي الاحمر والنارنجي والاصفر والاخضر والازرق والنيلي والبنفسجي وكلها تتفاوت فيما بينها من حيث تأثيرها بالنظر الى كمية اهتزازاتها وسرعتها وما تحملهُ من الحرارة وقد ثبت ان اللون الاحمر لا يدرك الاّ اذا بلغت اهتزازاتهُ على الشبكية ٣٩٥ تريليونًا في الدقيقة والاصفر ٥٠٩ والازرق ٦١٧ والبنفسجي ٧٥٦ والاحمر اشدّ هذه الالوان حرارةً . وقد سُمّيت الاشعة البنفسجية بالكيماوية لشدَّة تأثيرها على الاملاح الحسَّاسة المستعملة في التصوير الشمسي وسائرها يُعرَف بالاشعة الكهربائية او المغنطيسية

ومن الثابت المحقق بالعيان ان النبت لا ينمي ولا يخضرُّ ورقهُ وتزهو افنانهُ ويثمر اذا حجبت عنهُ اشعة الشمس . وقد علمت مما تقدّم ان هذه الاشعة مؤلفة من الوان لكلٍ منها فعلٌ خاصٌ في الإنبات والإنمآء وتلوين الاوراق والازهار وعقد الثمار وانضاجها . ولكن هذه الخواص لم تعرف حقيقتها حتى

اخذ فلاماريون احد علماء الهيئة منذ سنتين في البحث عنها واجراء التجارب الدقيقة لبيانها فاستعمل الشعاع الكهربائي لتحليل النور وتوجيه الوانهِ على النباتات التي امتحنها اشهرًا متوالية على وتيرة واحدة ينفذ بحسبها اللون الاحمر من زجاج بهذا اللون والبنفسجي من زجاجٍ ملوَّنٍ بالازرق النيلي والاصفر من زجاج اخضر فتكوَّن ثمَّ ثلاث مناطق تقابل مناطق الطيف الشمسي وهي الاحمر والازرق القريب من البنفسجي والاخضر وما عدا ذلك وضع نباتًا في مكان ينفذهُ النور من زجاج شفاف لا لون لهُ قصد المقابلة بين تأثير الشعاع المحلَّل الى الوانهِ و بين تأثيرهِ مركبًا منها على ما هو في الحالة الطبيعية

و بعد ان اعدَّ بيوت الزجاج الملونة على ما ذُكر زرع من النبت المعروف بالحساس في آنيةٍ تعهدها كلَّها بالسقي والتدبير على اسلوبٍ واحدٍ حتى طرَّت اي ظهر نبتها الاول فنقلها الى بيوت الزجاج الاربعة المذكورة فظهر ان النبات الذي وضعهُ في بيت الزجاج الازرق لم ينمِ ولكنهُ بقي ثلاثة اشهر على حالة واحدة غير متجاوز ٢٧ مليمترًا طولاً ولم تظهر فيهِ خاصة الاحساس وان الذي وضعهُ في بيت الزجاج الاخضر بلغ طولهُ ١٢٥ مليمترًا والذي وضعهُ في بيت الزجاج الاحمر زاد نماؤهُ خمسة عشر ضعفًا عن نماء النبت الذي وضعهُ في بيت الزجاج الازرق فبلغ طولهُ ٤٢٣ مليمترًا وازهر وزادت خاصة الحس فيهِ حتى كانت اوراقهُ تنطبق واغصانهُ تتدلى عند اللمس الخفيف . و بناء عليهِ تكون الاشعة الحمراء اصلح من غيرها لنمو النبات وترى في الشكل امامك تفاوت مراتب النمو على ما ذكر وترى ان النبت الذي تعرَّض للاشعة الصفراء نافذةً من الزجاج الاخضر اكثر نماء من النبت الذي تعرَّض للاشعة المركبة نافذةً من الزجاج الابيض . ولا يخفى ان هذه الاشعة قوية النور شديدة الحرّ



فلا شك انها كانت السبب في توقف نماء النبت الموضوع في بيت الزجاج الابيض مع ان مادتهُ الخشبية كانت اقوى

وقد اعاد التجربة في السنة التالية بان وضع حاجزًا تلطف بهِ الحرارة بحيث تتساوى على درجة واحدة في بيوت الزجاج الاربعة ثم تحرى الامتحان على قوة النور نفسهِ لبيان منفعتهِ في التلوين فوق بيوت الزجاج بحواجز يتساوى النور فيها على حالة واحدة من القوة في بيت الزجاج الابيض وبيت الزجاج الاحمر واستعمل لتحقيق ذلك آلاتٍ تقاس بها قوتهُ ومع ان حالة الرطوبة كانت واحدة في بيتي الزجاج المذكورين بقي النماء على نحو ما تقدم بيانهُ

فثبت ان تباين النمآء في النبت المذكور لم يكن مسبباً عن تباين الحرارة وان الاشعة الحمرآء هي الفاعلة في النمآء دون سواها

ومما ثبت بالامتحان ان النباتات يتغيّر شكلها وحجمها ولون ورقها وزهرها ورائحتهُ وطعم ثمرها بفعل الاشعة المختلفة . ولا يخفى ان لون ورق النباتات الاخضر يتوقف على تأثير النور وسائر الوان الورق والزهر من ازرق واصفر واحمر الخ تُوقف تارةً على مواد ملوّنة وطورًا على عصار الحويصلات الخصوصي الذي لم يعرف حتى الآن على ما ينبغي وفي كلا الحالين لا يقع التفاعل الاّ بواسطة النور فيجب والحالة هذه ان يُعلَم ايُّ ألوان النور يكون اشدّ فعلاً في تلوين الازهار والاثمار وغيرها . وقد قُسمت النباتات من حيث اللون الى ثلاث مراتب الاولى ما توقف فيها اللون على فعل النور وحدهُ . والثانية ما توقف فيها اللون على فعل النور مع فعل العناصر الملونة المستقرّة في الورق والزهر . والثالثة ما كان اللون فيها متوقفاً على مادة ملونة لا علاقة للنور بها . فمن الرتبة الاولى خضرة الورق فهي لا تتولد في الظلام . ومن الرتبة الثانية الزنبق الابيض فهو يتولد من الزنبق الملوَّن بان تحفظ حرارة بيتهِ في البيت الزجاجي على ١٠°. وهو في البيت الزجاجي الابيض يصير ورديًا وفي البيت الزجاجي الاحمر والاخضر والازرق يكون ابيض ناصعًا ويمكن تغيير لونهِ من الابيض الى الاحمر فالبنفسجي بوضعهِ في مكان مظلم وكل ذلك ناتج من تأثير النور مع المادة الملونة في هذا النبت . ومثال الرتبة الثالثة النباتات التي تغرس في الارض فلا يتطرق النور الى جذورها كالجزر والشمندور والفجل والبطاطة والكمء وغيرها

هذه خلاصة ما اثبتهُ العلامة فلاماريون الفلكي في مجلة جمعية علمآء الهيئة الفرنسوية وقد بقي ثمَّ مباحث جليلة تتعلق بهذا الموضوع بالنظر الى علم

النبات وغيره من العلوم الطبيعية ولما كانت ثروة القطر المصري موقوفة على الزراعة كان الاليق بمدعي الوطنية الصحيحة العدول عن المنازع السياسية التي تجرّ وراءها التعصب والشقاق الى تحرّي الحقائق العلمية التي تعود على الامة والوطن بالسعادة والفلاح

جلسة مجمع العلوم الطبية العمومي الثانية عشرة

عُقدت الجلسة الثانية عشرة لهذا المجمع في مدينة موسكو يوم الخميس الواقع في ١٩ اوغسطس الفائت برئاسة الامير سرجيوس الكسندروفيتش وكان عدد الاعضاء الحاضرين ٧٣٠٠ منهم نحو ٤٠٠٠ طبيب روسي والباقون حضروا من سائر انحاء اوربا واميركا منهم ٨٠٠ المان و ٨٠٠ نمساويون و ٤٠٠ فرنسويون و ٣٠٠ انكليز و ١٢٠ اميركان . فاعلن حاكم موسكو ان بلديتها قد وقفت مبلغ ٥٠٠٠ فرنك على مدة ثلاث سنين تعطى في كل سنةٍ جائزةً لمن يمتاز في السباق وفاقاً لما تقرره اللجان التي تُعيَّن فيما بعد . ثم سُمّي رؤساء الفِرَق التي قُسم اليها المجمع لتبحث كل فرقةٍ في فرعٍ من فروع علم الطب

وعقيب ذلك تكلم كلٌّ من الاطباء الثلاثة الذين تعيَّن على كلٍّ منهم ان يقدم تقريرًا طبيًّا في جلسة افتتاح المجمع وهم الاستاذ لودَر برنتون من لندن والاستاذ لَنِلُنج من باريز والاستاذ ويرخو من برلين . فذكر الاستاذ لودر برنتون ما محصلهُ ان كلاًّ من علم الامراض والصيدلة ومنافع الاعضاء قد ترقى في هذا العصر ترقيًا سريعًا واتسعت مباحثها حتى صارت الاحاطة بها بعيدة

المنال وهي مع ذلك متداخلة فيا بينها لان علم الامراض بعد ان كان الغرض منهُ منذ بضع سنين كشف الجُسيمات المرضية وبيان مراتبها صارت غايتهُ الآن معرفة السموم التي تولدها هذه الجسيمات فاتسع بذلك نطاق الصيدلة وبالتالي علم منافع الاعضاء لما يترتب على ذلك من اجراء التجارب على الجسم الحي قصد الوقوف على تأثير كلٍ منها وكشف ترياقه الشافي . قال ومن الغريب ان الاجسام الحية نباتية كانت او حيوانية تفرز سموماً يتولد معها ترياقها كما في لوبياء كالابار التي تشتمل على مادة تهيّج النخاع الشوكي مصحوبةً بمادة تشلّهُ ولذلك تُحقن السموم التي تفرزها الجُسيمات الحية في اوردة الحيوانات فتكون ترياقاً للسمّ الذي تولّد عن مثلها . وبناء عليهِ يكون اساس الطب العملي العلم بمنافع الاعضاء والصيدلة وماهية الامراض وكفى بتقدم علم الطب في الربع الاخير من هذا القرن شاهدًا على صحة ما تقدم اذ الفضل فيهِ راجع الى كيماويٍ هو باستور الشهير

وذكر الاستاذ لنلنج ما خلاصتهُ ان الجرّاحين الى الآن يعتمدون في معالجة التدرن العظمي المفصلي على جثّ المفاصل فكان ما افسدوا اكثر مما اصلحوا لما يتأتى عن هذه العمليات الكبيرة في الورك والركبة والمنكب والمرفق والمعصم من قصر الاطراف وتوقف نموّها وتعطيل الحركة . فالاولى ان يُقتصَر في ذلك على نزع البؤرة الاصلية حال تكوُّنها وان يُعتمد على الطرق البسيطة من مثل منع الحركة بالكلية والاستمرار على المد والحقن بالمواد المضادة للفساد ولا سيما المؤثرة في الانبوبيات الدرنية منعاً لحدوث العاهات وتلافياً للعلل الثانوية وذلك انما يتوقف على كشف طريقة تقاوَم بها سمية الانبوبيات التدرنية ولكن الكشف عن هذه الطريقة لم يزل مستحيلاً فمن الواجب ان تخفف سميتها

في علل العظام التدرنية بازالة البُؤر التي تتولد فيها

وتكلم الاستاذ ويرخو بما مخصهُ انني لأُوثر تعميم مبدإِ ان علم الطب فرع من علم الحياة على ان المذاهب الطبية تتغير وفاقاً لطرق العلم فلا يخفى ان القوة الحيوية اعتُبرت في زمن ترقي علم الحِيَل (المكانيك) والرياضيات عضليـة ولما ترقى علم الكيمياء اعتُبرت كيماوية ثم لما انتشر مبدأ العلاج بالمصل عاد الاطباء الى مذهب الاخلاط القديم ولما نشأ مذهب التولد الذاتي وفنّدهُ بستور بمباحثهِ البديعة اعتُبر علم الطب فرعاً من علم الحياة على ما هو جارٍ الآن حيث تُرَدُّ الامراض والعاهات الى سببٍ يطرأ على احدى الخلايا الحية حين نموّها فتنحرف عن الحالة الطبيعية وعليهِ تكون الحياة مستمرة ولا يَرِدُ عليهِ أن اجهزة البشر متغيرة وزائلة لان الانسان يستمر كالحيوانات والنباتات على عهد البقاء مهما حال دونهُ ودونها من اسباب الفساد والفناء

وبعد ان والى المجمع المشار اليهِ جلساتهِ مدة اسبوع خُتمت اعمالهُ في ٢٦ اوغسطس وتقرر اجتماعهُ المقبل سنة ١٩٠٠ في مدينة باريز برئاسة الاستاذ لنلنج المذكور

سمية العرق

العَرَق سائلٌ يرشح على ظاهر الجلد تفرزهُ غُديداتٌ خصوصية متوزعة في أدَمتهِ تظهر فُوّهاتهـا على البشرة وهي ما سُمّي بالمسامّ الجلدية منفعتهُ الرئيسية ابراز الفضلات التي تتكوّن في الجسد من تحليل الانسجة بالعمل الحيوي وهذه الفضلات تشتمل على مواد سامّة اخصّها البتومائين وهو مادة قلوية تتولد بتحليل الانسجة العضلية وسُميت بالبتومائين من لفظة يونانية معناها الجيفة لمماثلةٍ بينها

وبين النتن الحادث في الجيف من حيث التأثير السامّ فالعرق اذًا مفرز تتوقف عليهِ صحة الجسم لانهُ ينتق بواسطتهِ من الفضلات المضرة في حالتي الصحة والمرض ومن منافعهِ تلطيف حرارة الجسم لانهُ يتبخر عن سطح الجلد ولذلك يشعر الانسان ببرودةٍ عند ما يعرق

وقد جرّب بعض الباحثين فعل العرَق في الحيوان بان اخذ منهُ مقدارًا من صُدرة ابنهِ وقد نفضها عرقهُ في المرقص فلقح بهِ عدةً من الارانب فهلكت كلها بعد التجربة بقليل . واعاد التجربة بتلقيح هذا الحيوان بعرق فتاةٍ اخذهُ من قُفّازها فكانت النتيجة واحدةً فثبت ان فعل العرَق السامّ واحدٌ لا فرق فيهِ بين الذكور والاناث وانهُ سامٌ لخاصةٍ فيهِ غير عارضةٍ لعلةٍ اذ العرَق الذي لُقحت بهِ الارانب كما ذُكر لم يكن عرق مريض ولا عرقًا مشوبًا بشيءٍ من الجسيمات او المواد المضرة . وقد حكى برثلوت الكيماوي الشهير ان كثيرًا من من القبائل القديمة كانت تسمّ الحراب بان تغمس رؤوسها في عرق الخيل الذي ينضح تحت آباطها

ومما هو حريٌّ بالاعتبار ان سُمّية العرَق تزداد بمقدار التعب لما تتضمنهُ من الفضلات الصادرة عن زيادة التحليل فالانسان الذي يكون جالسًا في غرفتهِ لا يكون عرقهُ المسبب عن ارتفاع حرارة الصيف سامًّا كعرق الانسان الذي اعياهُ التعب جريًا وراء التحصيل والكسب واذا كان العرق سامًّا بنفسهِ فهو الوسيلة التي يخلص بها الحيوان من السموم المولدة في انسجتهِ بفعل الحياة وعلى كلٍّ فليس هو ماء الورد ولو رشح عن انائهِ خلافًا لما قال الشاعر

بدا عرَقٌ في وجههِ فسألتهُ ... بماذا تندّى قال لي وهو يمزحُ
ألا ان ماء الورد خدّي اناؤهُ ... وكل اناء بالذي فيهِ ينضحُ

لطيفة

من غريب ما وصلت اليهِ اللغة العلمية عند الافرنج انَّا عثرنا على كلمةٍ من مصطلحات اهل الكيمياء مؤلفة من ستة وخمسين حرفاً (ليس الاَّ) وهي قولهم « تيترا ماتيلدياميدوديفانيلديانترانولتيترا ماتيلدياميداسيه » ومجاوزها الافرنجي

Tétraméthyldiamidodiphényldianthranoltétraméthylédiamidé

وكفى بمثل هذا بياناً لفضل العربية وسلامة ذوق العرب فقد احصى الزبيديّ الكلمات التي يمكن ان تتألف من خمسة احرف كسفرجل وجحمرش فبلغت ٦٫٣٧٥٫٦٠٠ لفظة لكن العرب لم تستعمل من هذا العدد كلهِ الاَّ ٤٢ لفظةً فقط تفادياً من طول الخماسيّ وكلفتهِ على النطق . . واين الخماسيّ من مثل هذه السلسلة التي لو قُطّعت الفاظاً خماسية لخرج منها احدى عشرة لفظة وبقيت بقيَّة فلا يجوز القارئ من احد طرفيها الى الآخر حتى يجدّد نَفَسهُ عدة مرات ولا يتتبع النظر حروفها ما لم يستعن بالاصبع ولا تدركها العين الا اجزاء يغيب بعضها ويظهر بعض فما اشبهها بثوب الغادة العصرية التي وصفها شاعرنا بقولهِ

هل رأيتم كغادتي اذ اتت تسحب الرِدا
تدخلُ اليومَ ثمَّ تد خلُ اذيالها ... غدا

اقتراحات

(١) مَن اسعد الناس عيشاً

هذا الاقتراح اطرحهُ على صفحات المجلة لحضرات القرَّاء الاماجد وقد جعلت للمجيد منهم بعد حكم الادارة نسخةً من مقامات العلامة جار الله الزمخشري مع شرحها لُباب اللغة وأشترط ان لا يتعدى الجواب خمسة اسطر

الحارث بن همام

(٢) أقترح على حضرات شعرآئنا الافاضل نظم بيتين بمعنى البيتين الآتيين وعلى وزنهما وقافيتهما

رأت قمر السمآء فذكّرتني ليالي وصلها بالرقمتين
كلانا ناظرٌ قمرًا ولكن رأيتُ بعينها ورأت بعيني

احمد الصراف

ملاحظ بوليس دكرنس

∴

نعتذر الى حضرات مشتركينا الادبآء من توقفنا عن نشر ما يقترحون احيانًا من تشطير بعض الابيات او تخميسها جريًا على ما ألِفوا من عادة بعض المجلات الادبية فان هذا النوع على ما فيهِ من رياضة القرائح وفكاهة الخواطر قد كثر حتى ملّتهُ الاسماع وسئمتهُ الطباع والانسان مولعٌ بحبّ الجديد . ولذا فنحن نعرض عليهم ما هو خيرٌ من ذلك وأدلُّ على جودة قريحة الشاعر وقوّة عارضتهِ فضلاً عما قد يكون فيهِ من الفائدة وهو ان يقترحوا نظم واقعةٍ من الوقائع التأريخية او وصف شيء من مخترعات العصر او احوال المعاصرين او النظم على طريقٍ مخصوص من الصناعة يُحتكم فيهِ على الشاعر في الوزن والقافية او غير ذلك مما لا يخوض فيهِ الآ الشعرآء المجيدون . وفي الاقتراح الثاني من الاقتراحين المنشورين في هذا الموضع ما يأخذ بطرفٍ من ذلك فاذا وردنا جوابهُ فنحن مستعدّون لنشر غيرهِ على اسلوبٍ آخر مع تسمية الجائزة عليهِ بحيث لا تخلي شعرآءنا من اقتراح وبالله التوفيق

اسئلة واجوبتها

طرابلس الشام — نرجو الافادة عن كلمتي بارَح وبَرِح هل يقال بارَح الرجل مكانهُ ام بَرِحهُ وايّ اللفظتين اصحّ في الاستعمال

ميشال غريّب

الجواب — المنصوص عليهِ في كتب اللغة بَرِح المجرَّد ولم نجد بارَح في كلامٍ قديم وكانهُ محمولٌ عند من يستعملهُ على نحو فارَق وزايَل وغادَر كما حمل المتنبي قصَّدهُ على تمدَّدهُ في قولهِ

قصَّدهُ المقدار بين صحابهِ ... على ثقةٍ من دهرهِ وأمانِ

وفي كلام المولدين شيءٌ كثيرٌ من امثال ذلك الاّ أن اجتناب مثل هذا الاستعمال مع وجود المندوحة عنهُ اولى

المنصورة — لماذا يستعمل الناس اليد اليمنى في التناول والعمل والسلام وغير ذلك دون اليسرى وهل استعمال اليمنى طبيعيٌّ ام هو مجرَّد اصطلاح

س * ف

الجواب — الاظهر ان ذلك مجرَّد اصطلاح لعدم ظهور مقتضٍ لهُ في الطبيعة ولأن كثيرين يستعملون اليد اليسرى في مكان اليمنى او معها ولكن الناس اصطلحوا على ايثار اليمنى من زمنٍ لا يُعلَم تأريخهُ لاعتقادهم انها محلّ الخير والبركة كما تفيد ذلك تسميتها عند العرب اذ هي من اليُمن بمعنى البركة . ولذلك يسمون اليسرى بالشُؤْمَى وهي من الشؤم ضد اليُمن ويسمونها ايضاً بالعُسرَى من العسر وهو ضد اليسر وانما يطلقون عليها لفظ اليُسرَى من باب

تسمية الشيء باسم ضدّهِ كما يسمون البيداَء مفازةً والديغ سليماً . ويقال لمن يعمل بيديهِ جيعاً أضبط وأعسرُ يَسَرٌ

وأما العلة في تفضيل اليمنى على اليسرى فما لم نجد فيهِ كلاماً يصحّ القطع بهِ ولعلَّ ذلك كان باعتبار جهة مسير الشمس في الظاهر فان من استقبل مطلع الشمس في هذا النصف من الكرة اي النصف الشمالي رآها عند الهاجرة تمرّ عن يمينهِ ثم تغرب من خلفهِ وأما الشمال فلا حظّ لهُ منها ولذلك كان اشرف الجهات الشرق ويليهِ الجنوب ثم الغرب ثم الشمال

دكرنس — ارجو ان تتكرَّموا باجابتي على السؤالين الآتيين

(١) ما هو القيطون وهل هو من مساكن البدو ام من مساكن الحضر

(٢) كان عرب الجاهلية اذا شتموا احدًا قالوا لعن الله ابا سبالهِ والملعون السبال فما معنى « السبال » ولماذا في الجملة الاولى يأتون بلفظة « أب » ويضيفونها الى السبال ولماذا لا نرى ذلك في العبارة الثانية

احمد الصرّاف

ملاحظ بوليس دكرنس

الجواب — اما القيطون فقد فسّروهُ بالبيت في جوف البيت قال في شفاء الغليل والعرب تسميهِ المخدع وقع في شعر قديم انشدهُ المبرّد في الكامل لعبد الرحمن بن حسّان وقيل لدِعبل (الصواب لابي دَهبَل) الجُمَحيّ وهو

قُبَّةٌ من مَراجلٍ ضربتها عند برد الشتاء في قيطونِ

وفي تاج العروس بعد ما روى البيت لابن حسّان ما نصّهُ قلت ويُروَى لأبي دهبل قالهُ في رملة بنت معاوية وقبلهُ

طال ليلي وبتُّ كالمحزونِ　　وملَلت الثوآء بالماطرونِ

انتهى . والمراجل في البيت ضربٌ من برود اليمن والقمير في ضربتها لرملة المذكورة التي قيل الشعر فيها . وقد اختلفوا في لفظ القيطون فقيل معرَّبٌ عن الرومية وقيل هو بلغة اهل مصر وبربر ولا يبعد ان يكون قبطيّ الاصل . واما كونهُ من مساكن البدو أو الحضر فالظاهر ان كليهما محتملان

واما السؤال الثاني فالسِبال بالكسر جمع سَبَلة بالتحريك وهي شعر الشارب ويقال لمقدَّم اللحية سَبَلة ايضاً واختصاصهم اياها بالشتم لان من عادتهم ان يوقعوا المدح والذمّ وما في معناهما على اشرف شيء في الانسان وذلك كما يقولون فلان مبارك الوجه ومبارك الناصية وميمون الطلعة وانهُ لمبارك الشيبة وطاهر الشيبة وفي الاساس وسمعتهم يقولون حيّا الله سَبَلتك وحيّا الله هذه السَبَلة المباركة . ويقولون في الذمّ هو دَنِس السِبال وناقص السبال وناقص اللحية وقال المتنبي

اذا شآء ان يلهو بلحية احمقٍ　　اراهُ غباري ثم قال لهُ الحقِ

ويُروَى انهُ لما قُتل المتنبي على يد فاتكٍ الاسديّ كان من قول فاتكٍ لهُ بعد ما قُتل قبحاً لهذه اللحية يا قذّاف المُحصنات وذلك ان المتنبي كان قد ذكر اخت فاتكٍ في شعرهِ بالقبيح فكمن لهُ وهو منصرف من حضرة عضد الدولة حتى قتلهُ . واما اضافة الاب الى السبال فلم نعثر على هذا التعبير في شيءٍ من كلام الجاهلية ولا المولدين ولكن ربما سُمِع مثل ذلك من بعض عامّتنا اليوم فلعلهُ ورد امامكم في بعض القصص الشائعة من مثل قصة بني هلال وقصة الزير ومهما يكن فانهُ لا يخرج عن اللغو الذي لا معنى لهُ

متفرقات

جوائز علمية — كتب المستر ويلد رئيس جمعية العلم والفلسفة في منشستر الى المجمع العلمي في فرنسا يقول انهُ في مقابلة ما استفادهُ من العلوم الفرنسوية النظرية والعلمية يرفع الى مجمعها مبلغ ٥٥٠٠ ليرة استرلينية لتُجعل في مستثمر فرنسويّ ويُرصَد ريعها السنوي البالغ نحو ٤٠٠٠ فرنك جائزةً لأفضل مكتشف او مؤلف في علم الهيئة او الطبيعيات او الكيمياء او علم المعادن او طبقات الارض او علم الحِيَل (الميكانيك)

دوران الزُهَرة على نفسها — لا يزال الرصد متواصلاً على الزُهَرة لتحقيق دورانها على نفسها منذ نبَّه شياپارلي علماء الهيئة الى ذلك سنة ١٨٩٠ وكل ما ظهر لهم الى الآن يؤيد مقالة هذا العالم من ان الزهرة لا تدور على نفسها دورةً يومية ولكنها تدور دورةً اضافية تُتمها عند تمام دورتها حول الشمس فهي ابدًا تستقبل الشمس بأحد وجهيها على حدّ ما هو الحال بين القمر والارض . غير ان الذي جزم بهِ علماء مرصد باريز وقد تابع هذا الرصد فيهِ منذ شهر ابريل الاخير ان هذا السيار محجوبٌ وراء جوّ كثيف مشحونٍ بالغيوم وان ما يظهر عليهِ المحو اي السواد ليس من سطح السيار كالذي يُرى في القمر والمريخ ولذلك لا يصحّ القطع بشيء من جهة دورانهِ

النُجيمات — قد بلغ الى الآن عدد النُجيمات اي الاجرام الصغرى السابحة بين المشتري والمريخ ٤٢٧ نجيماً واكثر المكتشف منها في هذه الايام بواسطة التصوير الشمسي

البيان

السنة الاولى ـــــــــ الجزء العاشر

١٦ اكتوبر سنة ١٨٩٧

توحيد الساعات

لا تنتهي هم الفتى فاذا انقضى   وطرٌ تجدد غيرهُ في الخاطرِ

حكمةٌ افرغها في قالب النظم شاعر العصر الطيب الذكر العلامة المرحوم الشيخ ناصيف اليازجي الشهير تنطبق على حالة الحضارة كما تنطبق على افراد البشر فان حاجاتها لا تنتهي الى غاية تقف عندها وكلما انقضى منها وطرٌ تجدد آخر فقد كان بالامس اختلاف الاوزان والمقاييس والنقود باعثاً على صعوبة المعاملة ومانعاً من سهولة المواصلة بين الامم وقد زالت هذه الصعوبة بتوحيد الاشياء المذكورة فتسهلت اسباب العمران وبقي امرٌ جديرٌ بالاعتبار وهو توحيد قياس الوقت لما يترتب عليهِ من المنافع والدقة في المعاملات والمواصلات التي بلغت غاية الكمال بعد امتداد الاسلاك الكهربائية والسكك الحديدية منذ نصف قرن

ومعلوم ان اليوم ينقسم الى ٢٤ ساعة ولكن تعيين الساعة في مكان لا ينطبق على تعيينها في مكان آخر لانها تتأخر ٤ دقائق لكل درجة من خطوط الطول اذا توجهتَ غرباً فاذا بعثت برسالةٍ برقية من تنسي مثلاً بعد الظهر بخمس عشرة دقيقة الى برست تصل اليها الساعة ١١ والدقيقة ٣٥ قبل الظهر اي قبل

٤٠ دقيقة لان خط الطول بين المدينتين نحو عشر درجات ولذلك اختلف تعيين اوقات الخسوف والكسوف والأحداث الجوية بين بلدٍ وآخر لتباين اماكن الراصدين واذا بُعث بنبا برقيّ عن إعصار او زلزلة بقصد ان يُعلم في المكان المقصود في حينهِ اقتضي لهُ بعد وصولهِ من العناءَ في تحرير الحساب ما تفوت بهِ المنفعة المقصودة منهُ لفوات وقتهِ. وهناك امورٌ اخرى من مثل ما ذُكر وغيرهِ حدت علماءَ الهيئة في كل مملكةٍ الى اثبات ساعة واحدة يُجرى عليها في تعيين الوقت واول مملكةٍ عُنيت بذلك هي انكلترا منذ نصف قرن اذ قررت رسمياً الاعتماد على ساعة المرصد الوطني ولم تقرر فرنسا الاعتماد على ساعة باريز رسمياً الا في ١٥ مارس سنة ١٨٩١

غير أن تلافي الضرر على هذا الوجه بقي محصورًا في داخلية كل مملكة بخصوصها لعدم التوفيق بين ساعات المراصد الوطنية في الممالك المختلفة فالذي يسافر من باريز الى الآستانة مثلاً يضطرّ ان يقدّم ساعتهُ عشر مرات في اثناء هذه المسافة للتوفيق بينها وبين ساعات المدن العشر التي يجتازها وبحيرة كُنستَنس تشتمل ضفافها على خمس ولايات كان فيها الى عهد قريب خمس ساعاتٍ رسمية ولذلك كثر حدوث الارتباك في ملاحتها ومعاملاتها واكثر المصالح ارتباكاً من هذا القبيل مصلحة التلغراف الممتدة اسلاكهُ بين الممالك عموماً. وبناءً عليهِ ارتأى علماءُ الهيئة وجوب الاعتماد على ساعة واحدة يُرجَع اليها في التوفيق بين ساعات الممالك المختلفة وفي سنة ١٨٨٣ انعقدت جمعية رسم الارض في مدينة رومة فقررت وجوب الاعتماد على هاجرة غرنويش الا ان علماءَ فرنسا لم يسلموا بذلك ذهاباً الى ان الهاجرة التي ينبغي الاعتماد عليها للتوفيق بين الممالك المختلفة يجب ان لا يكون موقعها في واحدة من تلك الممالك ولكن يجب

ان يختار لها موضع يكون بمعزلٍ عنهنَّ جميعاً . وفي السنة التالية اجتمع مؤتمر دولي في واشنطون بدعوة الولايات المتحدة للنظر في توحيد خطوط الطول والساعات فاجمع نوّاب اثنتين وعشرين مدينة على اختيار هاجرة غرينويش نفسها الاّ جمهورية سان دومينيك وفرنسا والبرازيل . ثم اجتهد الاب طنديني سنة ١٨٨٩ـ٩٠ بتعيين موقع الهاجرة العامة في مدينة القدس ووافقهُ على ذلك مجمع العلوم في بولونيا بناءً على ان جميع الدول لها علائق في هذه المدينة وانها واقعة بين قارات العالم القديم الثلاث فضلاً عن كونها مقدساً عامًّا لاهل الأديان الثلاثة المنتشرة في جميع المسكونة وهي اليهودية والنصرانية والاسلامية . واخيرًا اجتمع مؤتمر التلغراف العمومي في باريز سنة ١٨٩٠ وقرر وجوب توحيد الوقت ولكن كل ذلك ذهب سُدًى اذ لو سُلِّمَ بان تُبدَل الساعة الموضعية او الساعة الوطنية بساعة عمومية في البلدان القريبة من الهاجرة الاصلية لانقلبت عوائد البلدان البعيدة ومواقيتها على الخصوص والعموم انقلاباً غير محتمل فبينما تكون في باريز الساعة التاسعة بعد الظهر مثلاً تكون الشمس في اليابان مشرقة على الافق وحين تكون الشمس في باريز على الهاجرة تكون هناك الساعة الثالثة بعد منتصف الليل وبذلك تفوت المنفعة المقصودة من توحيد الساعات اذ المهمُّ ان تُعرَف الساعة الموضعية عند وصول سفينة الى الميناء هل يكون وصولها نهارًا او ليلاً وهل يكون وصول الرسالة البرقية قبل اقفال البورصة او بعدهُ

ولقد كان للاميركان الاثر الجميل في تدارك الخلل من هذا الوجه اذ وفّقوا بين الساعة الموضعية والساعة العمومية بان قسموا سطح الكرة الارضية الى ٢٤ قسماً او ضِلَعًا[١] تمتدّ كل ضلعٍ منها من القطب الى القطب على موازاة

---

١ المراد بالضلع هنا شكل يحيط به قوسا دائرة فيكون مستدق الطرفين منتفخ

خطوط المواجر وعرض كل واحدة من هذهِ الاضلاع ١٥ درجة من درج الطول وجعلوا لكل ضلعٍ هاجرة مخصوصة هي في خط منتصفها فاذا بلغت الشمس ذلك الخطّ كان الظهر على جميع درجات الضلع وقتًا واحدًا وكان في الضلع التي تليها شرقًا الساعة الاولى بعد الظهر وفي التي تليها غربًا الساعة الحادية عشرة قبل الظهر وهكذا في سائر ما بقي من الاضلاع شرقًا او غربًا بحيث تنقص كل واحدةٍ منها او تزيد عن التي تليها ساعة كاملة . وبذلك امكن تطبيق الساعة الموضعية على ساعة الهاجرة القريبة اليها بان تقدم او توءخر نصف ساعة على الأكثر فاذا وجد مدينتان ضمن ضلع واحدة لا يكون ثم اختلاف في الساعات واذا تضمنهما ضلعان احداهما مجاورة للاخرى كان الفرق بينهما ساعة على الضبط . وقد قُسمت اوربا الى ثلاث اضلاع لكلٍّ منها ساعة اصولية احداها اوربا الغربية وساعتها توافق ساعة غرينويش والثانية اوربا الوسطى وهي تتقدم ساعةً عن الاولى والثالثة اوربا الشرقية وهي تتقدم ساعتين . وقُسمت الولايات المتحدة وكندا بالنظر الى سعتهـا العظيمة من الشرق الى الغرب الى خمس اضلاع تتأخر ساعاتها عن ساعة غرينويش ٤ ساعات و٥ و٦ و٧ و٨ على الترتيب

ومن الواضح ان هذه الطريقة ادت الى سهولة المواصلة بين مدن العالم وارتفعت بهـا مؤونة الحساب لبيان اختلاف الساعات على حدود الممالك اذ يكفي في اصلاح خطأ الساعة الموضعية ان يضاف اليها او يطرح منها عدد كامل بسيط من ١ الى ١٢ ولذلك لم يمرّ عليها عشر سنين حتى عمت العالم المتمدن الا فرنسا واسبانيا والبرتوغال مع ان اتباع فرنسا هذه القاعدة لا يكلفها الا تأخير ساعتها

الوسط وهو المعروف عند اهل الهندسة بالشكل المغزلي ماخوذ من ضلع البطيخ وهي الحزة منه

الرسمية ٩ دقائق و٢١ ثانية او ٤ دقائق فقط بالنظر الى ساعة محطات سككها الحديدية ومتى جرت على ذلك وافقتها اسبانيا والبرتوغال ولكن الفرنسويين ما زالوا يعترضون على هذه الطريقة بانها لا تنطبق على المبدأ الوطني وكأنهم لا يسلمون بقاعدة ليس لهم فيها اليد العليا والشأن الاول مع ان علمآءهم ينكرون عليهم هذه الاثرة ولعلهم يعودون قريباً الى متابعة جيرانهم فيقررون خط الهاجرة في باريز على الدقيقة ٩ والثانية ٢١ بعد الصفر

مقالة في التربية

لحضرة الكاتب الفاضل عبد الله افندي المراش نزيل مرسيليا
(تابع لما قبل)

وان رمت ان تعلمهُ مبادئ الجغرافية اي رسم الارض من حيث شكلها ووضعها في الفلك فضع بين يديهِ كرةً مجسمةً من هذه الكرات التي كثرت في ايامنا وسَهُل اقتناؤها على كل احدٍ فانها تمثل لنظرهِ وذهنهِ كرة الارض دائرةً على محورها المائل ومرسوماً فيها درجات الطول والعرض وخط الاستوآء وخط الميل وغير ذلك من اصطلاحات الجغرافيين والفلكيين ثم مواقع البحار والجزُر والبرور والجبال والاودية وتخوم الممالك ومواضع البلدان فذلك من اسهل الاشيآء رسوخاً في مخيلتهِ وانتقاشاً في لوح ذهنهِ

وان رمت ان تعلمهُ شيئاً من الاشكال الهندسية ونسبة بعضها الى بعض فليكن ذلك بقطع من الخشب وباسلاك من المعدن ونحوها تمثل لنظرهِ ما كان من الاشكال كروياً او اسطوانياً او مربعاً او مكعباً او اهليلجياً ومن الخطوط ما كان مستقيماً او منحنياً او غير ذلك فان هذه الطريقة من التعليم اقرب الى فهمهِ

من قواعد اقليدس وشروح الطوسي بل من كل وصفٍ مهما كان مدققًا بليغًا . وانما كان هكذا ابتدآء العلوم كلها وابتدآء التمدّن عند الكلدان والمصريين واليونان وغيرهم من الاقدمين بل هكذا كان ابتدآء امر هذا العالم العلاّمة الذي توصّل اليوم الى الاطّلاع على اسرار الطبيعة حتى صار يصعد بتلسكوبهِ الى السمآء فيتأمل في سعة الافلاك ويرصد ما فيها من شموس وكواكب لا تحصى ثم يعود الى هذه الكرة الصغيرة التي نحن عليها فينحدر بفكرهِ الى اعماقها ويسبر غورها ويكشف خفاياها ثم يتصفح ما على سطحها من الآثار القديمة ويستحضر ما غبر من ازمنتها ويستخبرها عمن مضى من اهلها ثم يزورك في بيتك ويرسل طرفهُ رائدًا في حجرتك ان اردت منهُ ذلك فيرى بآلتهِ الفوتغرافية ما حجبهُ خشب الصندوق من كنوزك وما اودعتهُ بطون الاوراق من اسرارك وما احرزتهُ بين دفتين من كراريسك بل ما غطّاهُ الجلد والعضل من عظام بدنك

المطلب الثامن

في تقويم سيرة الولد وتهذيب اخلاقهِ

كما يجب على المربّين ان يعنوا بانمآء بدن الولد وتنوير ذهنهِ فكذلك يجب عليهم ان يعنوا بتقويم سيرتهِ وتهذيب اخلاقهِ وانمآء ما فيهِ من المناقب واستئصال ما فيهِ من الشوائب والمعايب وذلك بان يحسّنوا لهُ الفضائل وحميد الخصال ويحملوهُ على ملازمتها ويهجّنوا لهُ الرذائل وقبيح الخلال ويحذّروهُ من عواقبها ويحضّوهُ على مجانبتها ويحرّضوهُ بالمشورة والارشاد والمثال على محبة الخير والاحسان وكراهة الشرّ والاسآءة[1] بقدر الاستطاعة لان هذا الضرب من

[1] قد عرفت ان كل فعل ينشأ عنه او يترتب عليه في الحال او الاستقبال نفع ما

التهذيب فرعٌ مهمٌّ من التربية العامّة ومرتبطٌ بها ومعدودٌ من اجلّ اغراضها ومن اولى الاشيآء بعناية المربّين الذين يتولونها فان اهملناهُ منها فكأَننا اهملنا انفع شيءٍ فيها للولد في معاشهِ ومعادهِ فضلاً عن كونهِ حليةً لهُ وزينةً . ولكن يجب ان نحرص كل الحرص على ان يكون تليينتا لعريكة الولد وازالة ما في اخلاقهِ من الشراسة الغريزية واصلاح ما هو مركوز في جبلتهِ من المعايب بالرفق والملاطفة كلما كان ذلك مستطاعاً وان لا نلجأ الى القهر والاجبار الاّ بعد ان نتيقن ان الرفق لا ينجع . وكما ان الجوهري يأخذ القطعة من الالماس الخام فيجلوها ويصقلها من دون ان يكسرها ثم يجعل لها من الخانات ما يشتدّ بهِ بريقها ولألآؤها فتنقلب بذلك جوهرةً ثمينةً تُرصَّع بها تيجان الملوك بعد ان كانت قطعة بلورٍ لا يكاد يحفل بها احدٌ فكذلك يجب على المربي ان يتلطف في ازالة خشونة الولد الغريزيّة وان يدمّث اخلاقهُ ويعين الطبيعة نفسها على انمآء ما رُكِز في جبلتهِ من الوداعة والاستقامة وغير ذلك من الخصال الحميدة واستئصال ما رُكِز فيها من جراثيم القسوة والبغي والغدر وغير ذلك من الخلال الذميمة ويقوّم في الجملة سيرتهُ ولكن بالرفق والملاينة ما امكن لا بالعنف والمخاشنة . وهذا انما يتأتى لهُ بسهولةٍ اذا تصدّى لهُ والولد بعدُ رخص البنية غضّ العود قابلٌ لان يعتاد بعاطية نفسٍ كل ما يعوّدهُ اياهُ مربّيهِ فيحبّهُ و يشبّ عليهِ حتى يصير من هذه الجهة ايضاً خليقاً بان يدعى رجلاً اي انساناً متصفا بما عرفتَ من صفات الانسانية في مخالطة غيرهِ من ابنآء جنسهِ مهما كانت طبقتهُ بينهم لان التهذّب والصلاح والاتصاف بسائر تلك الصفات فرضٌ واجبٌ على الناس كافةً لا فرق في جوهر ذلك بين الخاصّة والعامّة فان رأيت ثمّ فرقًا بين مهذّبٍ وآخر فهو في كيفيات التهذّب واعراضهِ

فهو خير واحسان وان كل فعل يترتب عليه ضرر ما فهو شر واساءة

فقط لا في جوهرهِ اذ ليست الامانة والمروءة والفتوة وسلاسة الاخلاق ورقة الحواشي مثلاً من خصائص الاكابر وحدهم ولا الاحتشام والتالك والتواضع من مواجب السوقة وحدهم . ونعني بالتواضع هنا تلك الخصلة الحميدة المندوب اليها وهي معرفة المرء مقدار غيرهِ من غير جهلٍ لمقدار نفسهِ لا ما يدعوهُ الناس بالضراعة والتصاغر وان كان يجب على ذوي المقامات العالية ان يكونوا ورعين نزهاء النفوس امناء مجاملين ذوي مروءةٍ ونخوةٍ محبّين للخير ما استطاعوا ونافرين عن الشرّ ما استطاعوا فكل ذلك واجبٌ ايضاً على غيرهم من الناس اشرافهم فيهِ كسوقتهم والاسكاف كالمهندس والفلاّح كالتاجر

وهذا الضرب من التهذّب لا يصير في الانسان ملكةً الا اذا تلقّنهُ منذ حداثة سنهِ حتى يمتزج بطبعهِ رويدًا رويدًا وترسخ عليهِ اخلاقهُ فيحبهُ ويشب عليهِ ويأتيهِ عفوًا لا تكلفاً ولا كرهاً ولا تصنّعاً . وهذا ما يميّز الولد النجيب اي الحسن التربية الكيّس المهذب حقّاً من الولد الداعر السيّء التربية . نعم ليس كل الناس في كيفيّات هذا الضرب من التهذّب سوآء والبلوغ الى ارفع درجاتهِ اسهل على اولاد الاعيان منهُ على اولاد العامّة الاّ ان جوهرهُ واجبٌ على الناس كافةً مهما كانت طبقتهم لانهُ واحدٌ كما عرفت وان اختلفت كيفياتهُ واساليبهُ باختلاف الامكنة والازمنة والاشخاص . فرُبَّ فلاحٍ ساذجٍ بسيطٍ يلقاك فيحيّك ويتلطف بك على طريقتهِ في التلطف والمجلة لانهُ قد اعتاد ذلك حتى صار فيهِ ملكةً يعرفها منهُ كل معارفهِ الاّ انهُ يُضحكك بالاسلوب الذي يحتذيهِ في الحفاوة بك حتى تكاد تخالهُ جلفاً اخرق لولا انك تعلم انهُ لا يدري شيئاً من الاساليب التي قد أَلِفتها انت واهل طبقتك وانهُ قليل المعرفة بما يُدعى عندكم بفنّ التشريفات . يريد ان يسلم عليك ويحتفي بك لكنهُ لا يدري كيف يسلم ولا كيف يتكلم باسلوبٍ يرضيك وهو

مع ذلك فتىً حرٌّ مهذَّبٌ مثل ذلك الشاب الكيس الظريف الذي يلقاك فيحتفي بك باسلوبٍ رشيق ولفظٍ رقيق بل ربما كان في وجه ذاك الفلاّح من البشاشة والبشر والتهلل بلقاك والابتهاج برؤيتك ما يشهد لاخلاصهِ وصفآء طويتهِ في حفاوتهِ بك وربما كان في عيني ذلك الغرنوق الظريف ما يثبت عندك انهُ محاذقٌ قد تحلى غير شيمتهِ ليستر ما فيهِ من الشوائب او ليراعي ما يليق بالطبقة التي ينتمي اليها او ليغرّك او يُغريك باعتقاد الامانة فيهِ حتى اذا استنمتَ اليهِ غدر بك او ائتمنتهُ خانك او ركنت اليهِ كان ادرى بمضرّتك . ومهما يكن من اخلاصهِ او محاذقتهِ فالشيم الحميدة التي تراها فيهِ ان لم تكن مما اعتادهُ منذ صغرهِ ومما امتزج بفطرتهِ ونما في سجيتهِ بنمو جسمهِ فانها لا تبدو منهُ الّا بشقّ النفس وتكلفًا وليس التكحل في العينين كالكحَل ويبقى ذلك الفلاّح الساذج خيرًا منهُ واولى بتكريمنا اياهُ لانهُ قد اكتسب تلك الشمائل وهو صغيرٌ فصارت فيهِ ملكةً وشبَّ عليها حتى اصبحت مفاعيلها تأتي عفوًا من صميم فؤادهِ وليست لجلجة لسانهِ في التعبير عما في جنانهِ مما يقدح في فتوتهِ او امانتهِ او تأدّبهِ

وان من ادّبتهُ في الصبى كالعود يُسقى المآء في غرسهِ
حتى تراهُ ناضرًا مورقًا بعد الذي عاينتَ من يبسهِ

ستأتي البقية

التصوير الشمسي الملون

هو المطلب الذي ما برح دهرًا طويلاً شغلاً شاغلاً لأرباب هذه الصناعة وغيرهم من اهل العلم الطبيعي يقضون عليهِ نهارهم ويحلمون بهِ ليلهم وقد افرغوا في امتحانهِ ما وَسِعهم من الاجتهاد والصبر ونفضوا انحآء الصناعة والعلم في التماس

اثر من معالمهِ حتى اسفرت لهم الطبيعة عن سرّهِ وكشفت لهم الستار عن مكنونهِ بعد ان كان الكثيرون قد يئسوا منهُ وعدّوهُ ضرباً من المستحيلات . وأول من وُفق الى حسر لثامهِ واحدٌ من علمآء الفرنسيس يقال لهُ المسيو ليبان وكان اول شيء اظهرهُ من صُوَرهِ الملوَّنة سنة ١٨٩٢ وهو خمس صفائح عرضها على مجمع العلوم في باريز في احداها صورة طائرٍ من الببغآء لا يختلف عن منظر الببغآء الطبيعي شكلاً ولوناً اخذ صورتهُ في النور الكهربآئي بعد ان عرضهُ امام الصفيحة الحساسة مدة ١٠ دقائق . وفي غيرها صورة أعلام فرنسوية وروسية اخذها في ضوء الشمس بعد عرضها مدة ٥ دقائق . وهناك صورٌ اخرى أُخذت في النور المستطير بعد عرضها عدة ساعات . وكل هذه الصور كانت في غاية الدقّة والوضوح الّا انها لا تظهر للناظر الّا اذا انعكست الاشعة عنها الى العين على زاويةٍ مخصوصة على ما سيأتي بيانهُ والالوان فيها شديدة اللمعان اشبه بالالوان التي تُرى في اجنحة بعض اصناف الفراش وريش بعض الطير والصَدَف الملوّن مما قد رُكّبت فيهِ على نفس الطريقة التي جرى عليها المصوّر

اما الفلسفة التي توصل بها الى اثبات هذه الالوان فنقتصر منها على تعريب خطابٍ للمكتشف نفسهِ القاهُ في هذه الاثنآء في الجمعية الفلكية الفرنسوية قال فيهِ ما ملخصهُ

ليس من يجهل ما كان للتصوير الشمسي في جنب علم الهيئة من المنافع الجمّة وما تسنى بهِ لاربابهِ من المكتشفات الجليلة بحيث لم يبقَ بين هذا الفنّ وعلم الهيئة الّا خطوةٌ واحدة ولهذا المعنى فسح لي مجتمعكم هذا المكان ودعاني للكلام فيهِ على كيفية اظهار الألوان على الصفائح الشمسية والطريقة التي بها تثبت الصورة التي تُرى على زجاجة الخزانة المظلمة فتظهر بكل ألوانها على الصفيحة

الحساسة لا يُمحى منها شيء

اما طريقة العمل في ذلك فتؤخذ الصفيحة الحساسة من الصفائح المعتادة وتجعل في محفظة الخزانة المظلمة على الوجه المألوف سوى انهُ يشترَط في هذهِ الصفيحة ان تكون شفّافة نقيّة التركيب وتهيأ المحفظة المذكورة بحيث يُترَك فيها فراغٌ وراء الصفيحة يُجعَل فيهِ شيءٌ من الزئبق يكون مماسًّا للطبقة الحساسة التي على الصفيحة حتى اذا رُفعت المحفظة بعد وضع الزجاجة فيها يظهر الزئبق من خلفها بهيئة مرآة . فتُعرَض الصفيحة مع مرآتها امام الشبح الذي يراد تصويرهُ حتى اذا استوفت مدّة العرض تؤخذ وتكشَف وتثبَّت ثم تجفَّف وفي اثناء التجفيف يبدأ ظهور الالوان حتى تتكامل عند تمام الجفاف . ولا فرق في الطبقة الحساسة بين ان تكون من الألبومين او الكلوديون او غيرهما كما ان موادّ الكشف والتثبيت لا تختلف عن الموادّ المستعملة في التصوير المعتاد فلا فرق الاّ من حيث اضافة المرآة المذكورة وهي التي يتسنى بها ظهور الالوان

وقبل الافاضة في بيان ذلك وكيفية تمامهِ لابد لنا ان نشرح ماهية كلٍّ من النور واللون ليُعلَم ما بينهما من الارتباط الذي عليهِ بُني هذا الاكتشاف . فاما النور فحقيقتهُ اهتزازٌ في دقائق الاثير اشبه باهتزاز الهوآء الذي يصدر عنهُ الصوت فتتميَّز الالوان كما تتميز الاصوات بعدد الاهتزازات في الثانية فالبنفسجي مثلاً تعدل اهتزازاتهُ مرةً ونصف مرة من اهتزازات الاحمر . وهذه الاهتزازت تجري على قاعدة لا تتخلف عنها عددًا وسرعةً وهي تنتشر على هيئة امواج تتخللها مسافاتٌ متساوية والمسافة التي بين موجةٍ واخرى تسمّى طول الموجة فكلما كان الاهتزاز اسرع كانت الامواج اشدّ تلززًا وطول الموجة اقلّ وكل لونٍ انما يتميز بطول موجتهِ فموجة الاحمر تكون ٠٠٠٠٦ من المليمتر وموجة البنفسجي ٠٠٠٠٤

اذا عُلم ذلك فاذا عُرِضت الصفيحة امام الشبح فكل شعاعٍ من اشعة النور المنعكسة عنهُ يخترق الطبقة الحساسة بالسرعة التي عرفتموها فيؤثر عليها ولكن لا يمكن ان يطبع فيها شكلهُ ولا يرتسم هناك عرض الموجة التي تتميز بها لان سرعة النور تبلغ ٣٠٠,٠٠٠ كيلومتر في الثانية والشبح الذي ينتقل بهذه السرعة لا يمكن ان يؤخذ رسمهُ ولذلك فالتصوير الشمسيّ المعتاد لا يكون لهُ لون .

اما اذا كان هناك مرآةٌ فان الامر يجري بالخلاف لان المرآة تصدّ الاشعّة عن النفوذ وتعكس كل شعاعٍ منها على نفسهِ وحينئذٍ تبقى الاهتزازات موضعية لانها لا تزايل النقطة التي وقع عليها الشعاع فتهبط كل موجةٍ وترتفع على المحل نفسهِ من الطبقة الحساسة بحيث يتسنى لمجموع الامواج الضوئية ان يطبع فيها شكلهُ وطولهُ الموجيّ الذي بهِ تتميز اللون وعلى ذلك يكون الراسب الفضيّ الناشئ بالكشف كالقالب للشعاع الملوَّن الذي احدثهُ

وحينئذٍ فاذا أُخذت الصفيحة ونُظر اليها بحيث يقع على العين منها الانعكاس الابيض اي انعكاس مجموع الالوان فان كل نقطةٍ منها تلبس من هذا المجموع اللون الذي اثر فيها بمعنى ان الموضع الذي اثر فيهِ اللون الاحمر مثلاً يُرَى فيهِ الاحمر لان الضوء الابيض يتضمن الاحمر ايضاً والاشعة الحمراء انما تنعكس عن الراسب الفوتغرافي الذي تشكل بشكل اللون الاحمر مع طول موجتهِ وهذا هو عين الوجه الذي بهِ تظهر لنا النفّاخة من الصابون مثلاً ملوَّنة باللون الأحمر او الأخضر او البنفسجي مع انها مكوّنة من مادّةٍ لا لون لها . وكذا ما يُرَى في عرق اللؤلؤ وغيرهِ من الاجسام التي اتخذتها الطبيعة ملاعب لها تُظهر فيها الألوان في غير ذوات الألوان بمجرّد هندستها على طول الامواج الملوّنة

وهذه الصفائح لا تخرج عما ذُكر من انها مصنوعةٌ من موادّ لا لون

لما اذ هي مؤلفة من رواسب من الفضة سمرآء او رمدآء ولكن النور بعمله في الخزانة المظلمة والمنطلة الزئبقية يركّب لنفسهِ فيها مجموع طبقات متراكبة متناهية الرقة هي بمنزلة قوالب يجد فيها كل شعاع ٍ ملوّن شكلهُ الخاص بهِ والهيئة التي يمكن ان تعكسهُ فيظهر بلونهِ . اه

هذا مجمل ما اوردهُ هذا العالم في بيان هذا الاستنباط البديع وهو مع ما فيهِ من الهجوم على سرّ هذه الصناعة والوصول منها الى ما طالما حامت عليهِ الامانيّ وتهافتت من دونهِ الخواطر فانهُ لا يزال في حاجةٍ الى ما يتم بهِ بحيث تمكن رؤية الالوان كيفما استُميلت الصفيحة وعلى ايّ خطٍ انعكست الاشعة عنها ثم التوصل الى طريقةٍ يمكن بها نقل هذه الصور على الورق . على ان من رجع الى تأريخ التصوير الشمسي المألوف لم ييأس من الوصول الى تتمة هذا النقص والبلوغ بهذا الفنّ الى تمام ما يفي بالرغبات ولو بعد زمنٍ فان صناعة التصوير المعتاد بقيت نحوًا من عشرين سنة بعد ما اكتشفها داغر (١٨٣٩) حتى وصلت الى الحالة الحرية بالاستعمال لان الصُوَر كانت في اول الامر تؤخذ على صفائح من الفضة وكانت تظهر بلمعانٍ شديد ولا تُرى جليّة الا وهي منحرفة الوضع على نحو ما وُصِف هنا ولم تبلغ الى طور النقل على الورق الا بعد ما تنبه نيابس دُسان وِكتور لأخذ الصور على الزجاج (١٨٤٧) ثم تتابع المجرّبون على اثرهِ فتمموا هذه الصناعة شيئًا بعد شيءٍ حتى بلغت ما هي عليهِ اليوم

العجلات الكهربآئية

تألفت شركةٌ في لندن غرضها جرّ العربات بالقوة الكهربآئية بدلاً عن الخيل وقد امتحنت هذا الاختراع العجيب منذ عدة اسابيع فأُعجب الحضور بهِ ايّ

اجاب . وهذه العربات لا تختلف من حيث شكلها عن العربات المألوفة الاّ ان المحرك لها جهاز كهربآئي بديع الصنع تُجمع فيهِ القوة الكهربائية على طريقةٍ تفي بالحاجة المطلوبة من حيث تفريغ هذه القوة على منوال بديع يكفل توزيعها على الآلات لتحرك الحركة المطلوبة ثم تجدَّد عند الحاجة في زمنٍ قصير على أُسلوب محكم التقدير

وأمّا اجزآء هذا الجهاز آلةٌ يتلطف بهـا سير العربة او يوقَف او يزاد وفاقًا لارادة الحوذيّ فتكون العربة بهذه الآلة طوع بنانهِ يديرها كما يشآء ويسود بواسطتها القهقرى . واذا شآء ان يجري ثلاثة اميال في الساعة وضعها على السنّ الاولى لدائرةٍ مسننةٍ او سبعة اميال وضعها على السن الثالثة او تسعة اميال وضعها على السن الرابعة وهي مع ذلك لا تخسر شيئًا من قوتها ويمكن ان تسير ٥٠ ميلاً فلا تحتاج الى التعويض عن تفريغ كهربآئيتها الا مرة واحدة في اليوم

وقد سبق الاميركان الى هذا الاختراع لأنهم سيّروا في نيويورك في هذه الآونة الاخيرة عجلاتٍ تجري بالقوة الكهربآئية على انهم ما زالوا يعتنون باتقان هذا الاختراع البديع ولعلهُ عما قريبٍ يعمُّ استعمالهُ فنرى هذهِ العجلات تسير بين ظهرانينا والله اعلم بما يكون من مصير الاختراعات الكهربآئية

القمر

من نظم حضرة الشاعر البليغ نجيب افندي الحداد
صاحب لسان العرب

اذا مُلئت من البدر العيونُ ... وهاجت منهُ او سكنت شجونُ
واقبل في منازلهِ انتقالاً ... يخفّ بهِ من الليل السكونُ

رأيت بدائع الافلاك تُجلى بما يجلو بهِ الهمَّ الحزينُ
وسار البدر يسبحُ في سماء عليها من كواكبها سفينُ
تمرّ بهِ السحائبُ مسرعاتٍ فيخفى تحتهن ويستبينُ
كخودٍ اقبلت في الروض تسعى فتظهر ثم تحجبها الغصونُ
تقابل وجهُ فيلوح فيهِ لصورة وجهك الرسمُ المبينُ
فتحسب منهُ ان هناك ماء ولا ماء هناك ولا عيونُ
ولا نبتٌ عليهِ ولا حياةٌ ولا نَسَمٌ ولا غيثٌ هتونُ
جنازة ميّتٍ لا نعشَ فيها ولا ايدٍ حملنَ ولا انينُ
قرينُ الارض ليس يغيبُ عنها ولكن لا يواصلها القرينُ
يدور بها ولكن حين يدنو يفرُّ فلا يجيبُ ولا يلينُ
كمعشوقٍ يداعب ذات خدرٍ فلا يعطي الوصال ولا يبينُ
فكم بسمت لمرآهُ ثغورٌ وكم سالت لمرآهُ شؤونُ
وكم ذكر المحبُّ بهِ حبيباً وكم نسيَ الخدينَ بهِ خدينُ
وكم نظر المشوق بهِ جمالاً وابصر وجهَ درهمهِ الضنينُ
وكم شكت العيون اليهِ وجدًا الى ان اصبحت شكرى العيونُ
تحدّق فيهِ لم تطرف بجفنٍ كأنّ العينَ ليس لها جفونُ
وتصفرّ النجوم اذا تبدّى كما يصفرّ من حسدٍ جبينُ
يسيرُ فتختفي من جانبيهِ نوافرَ وهو مجتازٌ رزينُ
كما طلع المليك عليهِ تاجٌ فاطرقت الوجوه لهُ تدينُ
كأنّ كواكب الافلاك درٌّ تبدّى بينها حجرٌ ثمينُ
لهُ من شمسنا جزءٌ منيرٌ وليس لنا بهِ جزءٌ معينُ

حبتهُ مع الضيا حرًّا فاعطى | ضياء نعم ما ادّى الحزونُ
فيا شبهَ الحبيبِ حويتَ منهُ | بهاءهُ وفاتنا منك الفتونُ
وقالك الله كم تُفني قرونًا | ولا تفني محيّاكَ القرونُ
وكم تحيي الظلام وانت ميتٌ | وكم تعلو النجومَ وانت دونُ
حويت عجائبًا فدعاك قومٌ | الهًا حبهُ في الناس دينُ
تخبرهم باعداد الليالي | ويلزمك السكوتُ فما تُبينُ
وتصدُقهم وفيك النقص طبعٌ | وعهدي كل ذي نقصٍ يمينُ
لنا في كل شهرٍ منك شكٌّ | ولكن ليس يمهلهُ اليقينُ
لوَ انَّ نظير شكك كل شكٍ | لما طالت بصاحبها الظنونُ
كأنك في هلالك نصل سيفٍ | اجادت صقل صفحتهِ القيونُ
تقطِّعُ منك اعناقُ الليالي | وليس سوى الأنام لها وتينُ
ترى فيك البداءة كيف كانت | قديمًا والفناء متى يكونُ
وهل يبقى الوجود بلا فناء | وهل تعفو عن الشهب المنونُ
كوائن ليس يدري السرَّ منها | سوى من امرهُ كافٌ ونونُ

الحساب الافرنكي

لحضرة الفاضل محمد راغب افندى الكاتب بقسم ادارة مديرية بني سويف

لما كان الحساب الافرنكي جارية عليهِ كافة مصالح الحكومة السنية ويهم جهور الادباء من الموظفين وغيرهم معرفتهُ وقد اهتديت الى طريقةٍ لذلك فاجابةً لطلب الكثيرين من الافاضل ابعث الى مجلتكم الغراء بالطريقة المذكورة راجيًا ادراجها في العدد المقبل وهي

لمعرفة حساب السنين والشهور الافرنكية يلزم اولاً معرفة اول السنة وهذا الاول يُجعل قاعدةً لحساب وثانياً يلزم حفظ الشهور الافرنكية بالصفة الآتية

يناير	ا = ١	يوليو	ز = ٧
فبراير	د = ٤	اغسطس	ج = ٣
مارس	د = ٤	سبتمبر	و = ٦
ابريل	ز = ٧	اكتوبر	ح = ٨
ميو	ب = ٢	نوفمبر	د = ٤
يونيه	ه = ٥	دوجنبر	و = ٦

ولمعرفة اول السنة يلزم اولاً معرفتها هل هي كبيس او بسيطة فالكبيس هي ما كان رقما آحادها وعشراتها يقبلان القسمة على ٤ مثل سنة ١٨٩٢ والبسيطة هي ما كان رقما آحادها وعشراتها غير قابلين للقسمة على ٤ مثل سنة ١٨٩٥ وسنة ١٨٩٧

فلمعرفة اليوم الاول من اية سنة كانت نأخذ رقمي الآحاد والعشرات ونضيف اليهما ربعهما (بصرف النظر عن الكسور التي تنتج من اخذ الربع) والناتج نطرح منهُ ٥ ان كانت كبيساً او ٤ ان كانت بسيطة والباقي بعد الطرح يقسم على ٧ (عدد ايام الاسبوع) فباقي القسمة يدلّ بالطبع على احد الارقام الآتية وهي . و١ و٢ و٣ و٤ و٥ و٦ (اذ ان الباقي لا يتجاوز المقسوم عليهِ) وهذه الارقام رمزٌ بالتوالي الى ايام الاسبوع بالصفة الآتية

. الاحد ١ الاثنان ٢ الثلاثاء ٣ الاربعاء

٤ الخميس ٥ الجمعة ٦ السبت

فان كان الباقي صفرًا كان اول السنة الاحد وان كان ١ كان الاثنين

وان كان ٢ كان الثلاثاء وان كان ٣ كان الاربعاء وهلمَّ جرًّا

ومتى عُلم اول السنة فيُجعل قاعدة للحساب كما سبق ويُحسب بمقتضاهُ

ولزيادة الايضاح نأتي بمثالين احدهما للسنة الكبيس والثاني للسنة البسيطة فنقول

اولاً — لمعرفة اول سنة ١٨٩٦ نضيف الى رقمي الآحاد وهما ٩٦ ربعهما وهو ٢٤ اي ٩٦ + ٢٤ فينتج ١٢٠ وبما انها كبيس فنطرح من هذا الناتج ٥ فيكون الباقي ١١٥ وبقسمته على ٧ يكون الباقي ٣ وبما ان رقم ٣ رمز الى يوم الاربعاء فيكون اول سنة ١٨٩٦ الاربعاء وهلمَّ جرًّا

ثانياً — لمعرفة اول سنة ١٨٩٧ نضيف الى رقمي الآحاد وهما ٩٧ ربعهما وهو ٢٤ (بصرف النظر عن الكسور كما سبق) فينتج ١٢١ ثم نطرح من هذا الناتج ٤ (بما انها سنة بسيطة) فيبقى ١١٧ وبقسمة هذا الباقي على ٧ يكون باقي القسمة ٥ وهو رمز الى يوم الجمعة وعليهِ فيكون اول سنة ١٨٩٧ الجمعة كما هو محقق

وبما ان اول سنة ١٨٩٧ هو يوم الجمعة فبالطبع اول يوم في السنة هو اول يناير كما رمزنا اليهِ بزيادة الالف في آخر يناير فسميناهُ يناير ا والالف يساوي واحدًا

ولمعرفة اول شهر مارس مثلاً من سنة ٩٧ ينظر الى اسمهِ الذي جعلناهُ مارسد والدال تساوي ٤ فرابع يوم لاول السنة هو اول مارس وبما ان اول السنة هو الجمعة واليوم الرابع ليوم الجمعة هو الاثنان فيكون اول مارس الاثنين وعليهِ فيكون اول ابريل هو الخميس واول اكتوبر هو الجمعة وهلمَّ جرًّا

وبهذه الطريقة يكون اول سنة ١٨٩٨ هو يوم السبت واول سبتمبر منها

مثلاً هو يوم الخميس واول دسمبر هو يوم الخميس ايضاً واول مارس هو يوم الثلاثاء واول اغسطس هو يوم الاثنين وهلمَّ جرًّا

وعلى ذلك يمكن حساب اوائل السنين بطريقتين اولاهما الطريقة السابق شرحها وثانيتهما طريقة التعاقب بمعنى انهُ متى عُلم اول دسمبر سنة ٩٨ وهو يوم الخميس امكن بكل سهولة عدّ ٣١ يوماً من ابتداء يوم الخميس المذكور واليوم التالي لليوم الواحد والثلاثين هو بالطبع اول يناير سنة ١٨٩٩ ولكن في ذلك تكلفاً وطريقة الحساب بواسطة رقمي الاحاد والعشرات اسهل من تلك

البرق

البرق شرارة كهربائية تسطع بين سحابتين او بين سحابةٍ والارض يتلوها هزيم الرعد الذي يقصف تارةً بصوت فجائي قوي وطورًا يدوي دويًّا يتردد في فترات متوالية. وذلك ان السحب الماطرة مؤلفةٌ في الغالب من قطع من الغيم تجمع وتتلبد وتتصرف بها الريح فيقترب بعضها من بعض او تتفرق وتتمزق كأنها تتجاذب وتتدافع. ومن الثابت ان هذه الغيوم مشحونة بالكهربائية فتكون في بعضها سالبة وفي بعضها موجبة فاذا تراكت سحابتان مشحونتان احداهما بالكهربائية السالبة والاخرى بالكهربائية الموجبة تجاذبتا فاقتربت احداهما من الاخرى حتى تكادا تتماسان فتتفرغ الكهربائية وحينئذٍ يومض البرق ويقصف الرعد. على ان تفريغ الكهربائية يكون في اكثر الاحوال غير كامل لعدم تمام الوصل بين السحب المتراكمة فيتأتى عن ذلك تواتر البرق وتوالي الرعد عقيب حدوث الشرارة الاولى. ويترجح مع ذلك ان الاسباب الفاعلة في انتشار الكهربائية في السحب الماطرة لا تزال متوفرةً بعد تفريغ الكهربائية فيتأتى عن ذلك استمرار تولد السائل

الكهربائي وبناءً عليهِ تطول مدة هذه الظاهرة الجوية حتى ينقطع الوصل فتزول

ومعرفة حقيقة هذه الظاهرة الجوية لبثت الى عهدٍ قريب في طي الخفاء فلم يذكر القدماءَ عنها الا خرافات تلقنوها عن الكهّان او أوهاماً خطرت لهم بمجرد الروية لاعن تجربة وامتحان لان معارفهم بمفاعيل الكهربائية لم تكن شيئاً مذكوراً وجلُّ ما توصلوا الى معرفتهِ من امرها انها كما قال سنكا الفيلسوف الروماني نتيجة احتكاك سحابتين عظيمتين وتمزُّقهما . قال القزويني في كلامهِ على البرق والرعد « ان الشمس اذا اشرقت على الارض حللت منها اجزاءً نارية تخالطها اجزاءٌ ارضية ويسمى ذلك المجموع دخاناً ثم الدخان يمازجهُ البخار و يرتفعان معاً الى الطبقة الباردة من الهواءِ فينعقد البخار سحاباً ويحتبس الدخان فيهِ فان بقي على حرارتهِ قصد الصعود وان كان بارداً قصد النزول واما ما كان يمزّق السحاب تمزيقاً عنيفاً فيحدث منهُ الرعد وربما يشتعل ناراً لشدة المحاكة فيحدث منهُ البرق ان كان لطيفاً والصاعقة ان كان غليظاً كثيفاً » وبقي هذا الرأي او ما يقرب منهُ شائعاً بين اصحاب التحقيق من العلماءَ السابقين حتى اثبت الفيلسوف فرنكلن الاميركاني سنة ١٧٤٩ — ١٧٥٢ مماثلة الشرارة الكهربائية الجوية للشرارة الحادثة من جراءِ تهييج الكهربائية في الآلات المعروفة وقد تحقق ذلك بتجارب عديدة منها انهُ صنع طيارةً من نسيج حريري طولها ٧ اقدام وعرضها ٣ وضع في قمتها سلكاً معدنياً وربطها بخيط من القنب جدلهُ بسلك حديدي علق عند طرفهِ في عروة من حرير مفتاحاً تظهر عليهِ الشرارات الكهربائية وقطع الوصل بربط الخيط في عودٍ من الخشب ثم اطلق الطيارة في الجو فلما ارتفعت الى علو ٥٥٠ قدماً ظهرت شرارات طولها ٣ قراريط وغلظها ٣ خطوط سُمعت فرقعتها عن بعد مئتي قدم

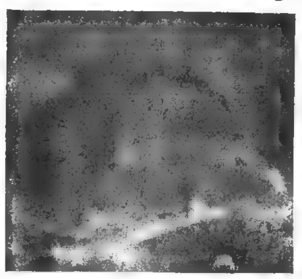
ويختلف شكل البرق على ما يظهر للناظر فيكون في الغالب متعرّجاً كشرارة الآلة الكهربائية وقد يكون لولبيًّا وربما انقسم البرق الواحد الى فرعين او ثلاثة او اربعة لتجاذب يقع بين الكهربائيتين الجوية والارضية حيث يقترب من الارض ويسمي الطليان هذا الشكل بالصائت Saette ولعلهُ مأخوذ من العربية ويعنون بهِ البرق الذي تتلوهُ الصاعقة ولونهُ يكون في الغالب ابيض يبهر الابصار وقد يكون بنفسجيًّا او ارجوانيًّا وفي النادر مخضرًّا واللون البنفسجي لا يظهر الاَّ اذا سطع البرق في الهواء اللطيف على علوٍّ بعيد . ومن اشكالهِ الخَفْوُ وهو برقٌ منتشر يعترض في نواحي الغيم لونهُ اقلُّ بهاء من لون الشكل الآنف الذكر وهو في الغالب احمر قانئ وقد يتخللهُ الازرق والبنفسجي ولعلَّ ذلك ناشئ من انعكاسهِ عن الغيوم الكثيفة التي تحجبهُ عن الناظر . ومنها العقيقة او البرق الكروي وهو نادر الحدوث يصاحب العواصف الثائرة ويمتاز بطول مدتهِ وبطء حركتهِ وقد شبه بهِ عنترة سيفهُ قال

وسيفي كالعقيقة فهو كِمعي سلاحي لا أفلَّ ولا فُطارا

ومن اشكالهِ البرق الخُلَّب ويسمى ببرق الحرّ لانهُ يكون في ليالي الصيف الحارَّة فلا يُسمع لهُ رعدٌ ولا يعقبهُ مطر على ما يظهر وانما الامر ليس كذلك اذ انهُ يحدث على مألوف عادتهِ في السحب البعيدة جدًّا حيث ينقطع وصول صوتهِ ويبقى وميضهُ مرئيًّا لانكسار نورهِ بطبقات الجوّ السافلة

ومعلوم ان البرق تُضرَب بسرعتهِ الامثال ولا غرو فان النور يقطع في الثانية ٣١٢,٠٠٠ كيلو متر ولذا يكون بين رؤيتهِ وسماع هزيم الرعد فترة يتفاوت طولها بتفاوت بُعد منشئهِ لان الصوت لا يقطع في الثانية اكثر من ٣٤٠ مترًا فسرعتهُ نحوٌ من الف الف من سرعة النور . فاذا اردت ان تعرف مطرح

الصاعقة فعدّ الثواني التي تتخلل وميض البرق وصوت الصاعقة واضربها في عدد ٣٤٠ الذي حُسِب ان الصوت يقطعهُ في الثانية يحصل لك مقدار البعد امتاراً. وقد عرف المحققون من القدمآء هذه الحقيقة الاّ انهم لم يضبطوا حسابها على ما نعلم . قال القزويني « واعلم ان البرق والرعد كلاهما يحدثان معاً لكن ترى البرق قبل ان تسمع الرعد وذلك لان الرؤية تحصل لمحاذاة النظر واما السمع فيتوقف على وصول الصوت الى الصماخ وذلك يتوقف على تموّج الهوآء وذهاب النظر اسرع من وصول الصوت الا ترى ان القصّار اذا ضرب الثوب على الحجر



فان النظر يرى ضرب الثوب على الحجر ثم السمع يسمع صوتهُ بعد ذلك بزمان »

ولم يقتصر علمآء العصر على ما توصلوا اليهِ من الحقائق المبنية على التجارب المدققة من حيث ماهية البرق ولكنهم شرعوا منذ سنة ١٨٨٨ يحرّون ما دقّ على البصر من امرهِ بتمثيلهِ للعين بالتصوير الشمسي قصد معرفة بنيتهِ وقد بلغوا

بهذه الطريقة مبلغاً يفوق طور التصور لان تصوير البرق على سرعة خفوقه من عجائب العصر على انهم قد بلغوا هذه الغاية فظهرت فروعهُ فاذا هي اكثر انتشارًا في الاجزاء السافلة منهُ وبدت تعاريج شرارات الصاعقة فثبت انها

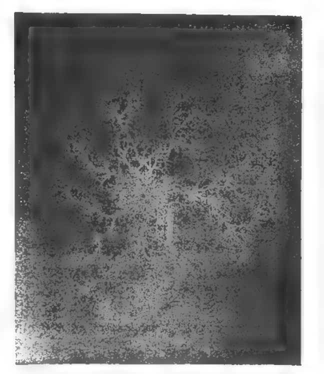


صورة الشرارة الكهربائية من القطب الايجابي

متوقفة على تغيير رطوبة الهوآء لما فيها من قوة الجذب الى غير ذلك من الحقائق التي يعتدُّ بها العلمآء

وترى في الصفحة المقابلة صورة للبرق اخذها احد حذاق المصورين ليلاً في ٢٥ يونيو الفائت في ضواحي باريز وهي تمثل تفريغ الكهربائية وقد ارتجست

فسطع البرق واندفعت الصاعقة على بيت فاحرقتهُ . والخطوط البيض في هذه الصورة ليست دليلاً على تفرع البرق ولكنها دليل على تماقبهِ وارتجاس الصاعقة والى يمين الصورة خط صاعد هو دليل على اصطدام البرق في الهوآء . اما الصورتان الاخريان فتمثلان الشرارة الكهربائية في كلٍّ من القطبين السلبي والايجابي فتراها



صورة الشرارة الكهربائية من القطب السلبي

في القطب السلبي متفرعة على شكل الريش والشكير وفي القطب الايجابي على شكل الفلافق والجذور الدقيقة وفي ذلك كلهِ ما يقضي بالعجب العجاب

اما طريقة التصوير فالعمل فيها لا يختلف عما هو في الطريقة المألوفة الآ انهُ يزاد عليها صفيحة يتكشف فيها النور . وهذه الصفيحة تكون من القصدير يغشاها طبقة من الزجاج تُوقف قوَّة احساسها على بروميد الفضة الجلاتيني فوجّه احد قطبي الآلة نحو الصفيحة الحساسة ويوضع الآخر على رق القصدير توًا ومتى ظهرت الشرارة الكهربآئية تؤثر للحال على املاح الفضة فترتسم صورتها ثم تكشف وتثبت بحسب الطريقة المألوفة

مراسلات

وردتنا هذه الرسالة فأثبتناها بحروفها

العين

﴿ وللعيون كما قالوا اصاباتُ ﴾

قرأت في العدد الأسبق من بيانكم الأغرّ رسالةً بقلم الفاضل نجيب افندي غرغور في العين ذكر فيها ما اشتهر من تأثيرات العين واضرارها واتى بشواهد على ذلك حتى في نفسهِ الا انهُ جعل تلك التأثيرات من الاوهام الشائعة وبيانًا لكون تلك التأثيرات ليست كما قال بل هي ثابتة كشهرتها التمس من حضرات القرآء الكرام وحضرة ذلك الفاضل ان يفسحوا لي في الإذن بالعود الى ذكر الموضوع بما اعلمهُ وان ضايقتهم قليلاً

وقالوا بهِ من اعين الجنّ مسةٌ ولو صدقوا قالوا بهِ اعين الإنسِ

اني وان لم اقف على تعليلٍ علمي اجعلهُ اصبعًا قبالة تلك العين الشريرة فقد يمكنني ان لا انكر خاصيات بعض الاشيآء التي وضعها الله سبحانهُ فيها كخاصية المغناطيس

مثلاً في اجتذاب الحديد وخاصية العين التي يمكن بواسطتها التسلط على بعض المحسوسات ودفع مكروباتها السمية الى الاجسام بواسطة قوة اشعتها الدافعة كانتقال الحرارة من الشمس بواسطة خيوط اشعتها المتصلة بالارض . اما كون تأثير العين ثابتاً فقد قررهُ الشرع وقال انهُ حق بمعنى انهُ ثابت في نفسهِ كالسحر حتى قال الفقهآء « وينبغي للامام حبس العائن أو أمرهُ بلزوم بيتهِ ويرزقهُ من بيت المال ما يكفيهِ ان كان فقيرًا لان ضررهُ اشدّ من ضرر المجذوم الذي منعهُ عمر من مخالطة الناس »

وفي الحديث « اعيذهُ من الهامّة والسامّة ومن كل عينٍ لامّة » واحاديث صريحة بثبوت تأثير العين كثيرة ادعها مخافة التضييق . اما وصف العائن بما ذكرهُ العالم الايطالي فقد يكون نسبياً للحقيقة وان قال الفاضل غرغور افندي انهُ يكاد يأخذ بأطراف الخرافة فاني اعرف عائنًا لم يفتهُ واحد من تلك الاوصاف وقد اجتمعتُ بهِ مرارًا وكنت اخاف شرّهُ ولعينهِ اصاباتٌ شهيرة تركت بعض المحسوسات اثرًا بعد عين . وقول الفاضل غرغور افندي « ان تلك الاوصاف تنطبق على غير صاحب العين الرديئة » يمكن ذلك ولا ينافي ان يكون صاحب تلك العين مخصوصاً بهذا الوصف بمعنى انهُ لا يكون اسمر او عظيم طرف الانف بل يكون بذلك الوصف وان شاركهُ غيرهُ فيهِ . اما الحكم الشرعي في العائن فما عليهِ شيء ان قتل بعينهِ او اتلف شيئاً كالقاتل بالدعآء وبالنيّة يغرم (والمتلف الشيء غارمه) هذا ما اعلمهُ في هذا الموضوع وليسامحني الفاضل غرغور افندي اذ كان القصد بيان الحقيقة والله المستعان وبهِ كمال التوفيق

القدس في ٥ جمادى الاولى سنة ١٣١٥ علي الريماوي

متفرقات

المقابلة بين حس الرجل وحس المرأة — هي مسئلة اختلف فيها اهل البحث واكثروا فيها من الامتحانات فلم يكادوا يقعون منها على طائل . وقد تجرَّد لها بعض المحققين من مدةٍ فامتحنها بالطريقة المعروفة بامتحان وَبَر وهي ان يؤخذ بركارٌ ويُفتح على مسافةٍ ما ثم يُضغَط بطرفيهِ على موضعٍ من الجسم فان كان الشخص لطيف الحسّ شعر هناك بوخزتين والاّ شعر بوخزة واحدة . والمسافة التي يمكن ان يُشعَر فيها بازدواج الوخز لا تكون في الغالب اقلّ من سنتيمتر واحد وقد تتجاوز في بعض الناس الى سنتيمترين او اكثر

وقد اجرى الامتحان المذكور على القفا اي مؤخر العنق بأن يحني الرأس الى الأمام ويضع البركار على الهيئة المشار اليها الاّ انهُ وجد من تفاوت الحسّ بين اشخاص الجنس الواحد ما حداهُ على ان كرر الامتحان مدة اشهر حتى اجراهُ على ٩٣٢ رجلاً و٣٧٧ امرأةً من كلّ سنّ ثم اخذ معدَّل ما كان من هذه الامتحانات فكانت اقرب مسافةٍ يُشعَر عندها بازدواج الوخز نحو ١٤ مليمترًا في الرجال و١٢ مليمترًا في النسآء

على أن الذي تحققهُ بالمقابلة ان تفاوت الحس بين الرجال يكون اعظم مما بين النسآء وذلك أن ١١٦ رجلاً (نحو ١٢،٠ ٪) لم يشعروا بالازدواج الاّ عند مسافة ١٥ مليمترًا و٢٩ لم يشعروا بهِ الاّ عند مسافة ٢٥ مليمترًا فما فوق واما الباقون فان ٢٤٨ منهم (نحو ٢٦،٥ ٪) شعروا بالازدواج من ١٠ مليمترات فما دونها و١٢٦ (نحو ١٣،٥ ٪) كانوا يشعرون بهِ بين ٢٠ مليمترًا وما فوق

واما النسآء فان ٣٢ منهنَّ شعرنَ بازدواج الوخز عند مسافة ٩ مليمترات

و٤٠ ٪ من البواقي كنَّ يشعرنَ بهِ على ١٠ مليمترات و٣٥،١٣ ٪ لا يشعرون بهِ الاعلى مسافة ٢٠ مليمترًا فما فوق

مسافة الافق المرئيّ — اشار المسيو دوفور احد اساتذة مدرسة لوزان بطريقة سهلة تُعرَف بها مسافة الخط المرئيّ من الافق لقائم على موضع فوق سطح المآء قال يكفي لذلك ان تُحسَب امتار ارتفاع العين عن سطح المآء اعشارًا ثم يضاف عليها مثل ربعها وما كان يؤخذ جذرهُ المربع فهو عدد الكيلومترات في تلك المسافة على التقريب. مثال ذلك اذا كانت العين على ارتفاع ٨ امتار او ٨٠ عُشرًا من اعشار المتر فوق سطح المآء واضيف الى هذا العدد ربعهُ وهو ٢٠ كان المجتمع ١٠٠ جذرها ١٠ فيمكن ان يمتدّ البصر الى ١٠ كيلومترات. على ان هذا الحاصل اقل من الواقع بنحو واحد من ١٠٠ فاذا اريد زيادة التدقيق يضاف هذا الفرق وهو في المثال ١٠٠ متر فتكون مسافة الافق على الارتفاع المذكور ١٠،١٠٠ متر. اه تحصيلاً

تحويل الكيلومتر الى اميال انكليزية — تضرب عدد الكيلومترات في ١٠٠٠ وتقسم الحاصل على ١٦١٠ وهو عدد الامتار في الميل فما خرج فهو اميال انكليزية. مثالهُ محيط الارض الاستوائي ٤٠،٠٠٠ كيلومتر × ١٠٠ = ٤،٠٠٠،٠٠٠ ÷ ١٦١ = ٢٤،٨٤٥ ميلاً على التقريب. واذا عُلم ذلك فلا حاجة الى التنبيه على العكس اي ضرب الاميال في ١٦١٠ وقسمتها على ١٠٠٠ لتحويلها الى كيلومترات

الحرارة في باطن الارض — امتحن بعض المحققين في الولايات المتحدة الاميركانية حرارة باطن الارض على اعماقٍ متفاوتة فصعد الى بئرٍ من آبار الفحم الحجري يبلغ عمقها ١٣٧٢ مترًا ودلّى فيها حبلًا شدّ اليهِ عدّة دِلآء من النحاس جعل بين الدلو منها والتي تليها ١٥٠ مترًا وملأها ماء وغمس في كلٍّ منها ميزانًا للحرارة وجعلها كلها ملاصقةً لأحد جدران البئر ثم تركها هناك مدة اثنتي عشرة ساعة الى ان تساوت حرارتها وحرارة الجدار الذي هي ملاصقةٌ لهُ وبعد ذلك انتشلها ونظر في الموازين فوجد ان الحرارة ترتفع في كل ٤٢ مترًا و٩٠ سنتيمترًا درجةً واحدة من درَج السنتغراد وكانت في اسفل البئر على ٢٩٫١ درجة . اه . وعليهِ فتكون الحرارة في اعالي البئر نحو ٣ درجات

دوران اقمار المشتري — اثبت بعضهم أن غانياد وكالستو وهما الثالث والرابع من اقمار المشتري يدوران على انفسهما في نفس المدة التي يدوران فيها حول السيار فتتم دورة الاول على نفسهِ في ٧ ايام و٥ ساعات ودقيقة ١ ± س ١ د ٢ . ودورة الثاني في ١٦ يومًا و١٦ ساعة و٧ دقائق ± س٢ د٧ . ودورة غانياد حول السيار تتم في ٧ ايام و٣ ساعات و٤٣ دقيقة . ودورة كالستو تتم في ١٦ يومًا و١٦ ساعة و٣٢ دقيقة . فيظهر ان الموافقة بين دوران هذين الجرمين على انفسهما وحول السيار هي في غاية القرب وانهما يوجهان الى السيار وجهًا واحدًا على حدّ ما هو حال القمر مع الارض . وقد لاحظوا في القمر الثامن من اقمار زُحَل المسمى يافث وهو ابعد اقمارهِ ما يدلّ على مثل ذلك مما يؤخذ منهُ ان الاقمار كلها تدور حول سياراتها كذلك والله اعلم

حركة اورانس على نفسهِ — ذكر ليوبرَّز احد علماء الهيئة بالنمسا انهُ راقب هذا السيَّار السنة الماضية من ابريل الى يوليو بآلةٍ معظِّمة من ٤١٠ اقطار الى ٨٣٠ وكان قطرهُ ٣'٧" الى ٣'٨" . وقد اخذ عنهُ ١٣ رسماً حسب بموجبها ان دورانهُ على نفسهِ يتمّ في مدة ٨ ساعات وربع (نحو ٨'٢٧ ساعات) وظهر لهُ ان حركة دورانهِ موافقة لخط فلك اقمارهِ الا ان فلك الاقمار مائلٌ على خطّ استواء السيار وعليهِ فالسيار الآن يوجه الينا القطب الشمالي منهُ وعرضهُ المركزي يكون نحوًا من +٦٠° او +٧٠°

فوائد شتى

صنع الزجاج المرن — يُحَلّ ٤ الى ٨ مقادير من قطن البارود في مقدار من الايثير او روح الخمر (الكحل) ويضاف اليها مقداران الى ٤ مقادير من زيت غير راتينجي و ٤ الى ١٠ مقادير من بلسم كندا ويُمَدّ هذا المزيج على صفيحة من الزجاج ويجفّف بمجرًى من الهواء يسخَّن الى ٥٠° س فيكون عنهُ كتلة صلبة شفّافة تصبر على الاملاح وضروب القلى والحوامض وهي غير ذات رائحة مرنةٌ في الغاية وغير قابلة الانكسار واذا اضيف اليها شيء من ابيض الزنك جآء لونها شبيهاً بالعاج .

تقسية الاشيآء المصنوعة من الجبس يُستعمل لذلك محلول تربورات الامونياك بان يُداف بهِ الجبس او تُطلى بهِ الآنية المصنوعة منهُ . وصفتهُ ان يُحَلّ مقدارٌ من الحامض البوريك في المآء الحارّ ويضاف عليهِ شيء من الامونياك فيحصل عن ذلك مركّب قابل الذوبان فيؤخذ من هذا المركّب

ويحلّ بالماء ويُداف بهِ الجبس المطبوخ كما يُداف عادةً بالماء او يُطلى بهِ الشيء المصنوع منهُ اذا اريد تقسية ظاهرهِ فقط فلا يأتي على ذلك يومان حتى يتصلب الجبس ولا يبقى فيهِ قبولٌ لتأثير الماء

مركّب شبيه بالفضة — يؤخذ ١٩٠ مقدارًا من القصدير النقي وتذاب في بوتقة محماة الى درجة الاحرار ثم يضاف اليها ٩٠ مقدارًا من معدن الاجراس مكسرًا قطعاً دقاقًا بحجم العدس تطرح بكيات صغيرة في القصدير وتساط بقضيب من الحديد الى ان تمزج بالقصدير تمام الامتزاج وبعد ذلك يصب في البوتقة ٣٢٠ مقدارًا من القصدير المذاب في اناء على حدة تُسكَب شيئًا فشيئًا ومتى تم هذا الملغم يفرغ في قوالب من رمل او نحاس. وهذا المعدن يمكن ان يصاغ منهُ ادوات مائدة ويركب عليهِ جواهر وغير ذلك

صفة الحام للصيني ونحوهِ — تُغلى قطعة من الزجاج الابيض في الماء ومتى سخنت جيدًا تُطرَح فجاءةً في الماء البارد فتصير سهلة التفتت فتؤخذ وتُسحق ثم تُنخل بمنخل دقيق في الغاية وتداف في آح البيض ثم يؤخذ هذا المزيج ويُسحن على الصلاية حتى يجتمع ما امكن ويشتد ثم يدهن بهِ جانبا القطعة المكسورة وتضمَّان فلا تعودان تنفصلان ولو كُسر الاناء مرةً اخرى

آثار علمية

كتاب التبر المسبوك في ذيل السلوك — أُهديت لنا نسخةٌ من هذا الكتاب تأليف الشيخ محمد بن عبد الرحمن السخاوي وهو تاريخٌ خاصٌ بالدولة

المصرية يتضمن حوادث ثلاث عشرة سنة من سنة ٨٤٥ للهجرة الى سنة ٨٥٧ تثبتها شهرًا فشهرًا ويومًا فيومًا بالتفصيل مع الكشف عن احوال ذلك العصر واحكامهِ وعوائدهِ واسعارهِ الى غير ذلك مما يرتاح المطالع الى الوقوف عليهِ وفيهِ تراجم عددٍ كبير من الاعيان وتاريخ من تُوفّي منهم سنةً فسنةً بحيث كان الكتاب مع قصر المدة التي يتضمن تأريخها متّسع المباحث جمّ الفوائد

وقد طُبع هذا الكتاب بعناية حضرة الفاضل الالمي كياردو بك صاحب مجلة مصر المشهورة بمباحثها التأريخية والجغرافية وقد نُشر اولاً اجزآء متتابعة في ذيل المجلة المشار اليها ثم جُمع سفرًا مستقلاً فيما يزيد على ٤٣٠ صفحة كبيرة فنثني على ناشرهِ ثنآء جيلاً ونحث المطالعين على مقتناهُ واغتنام ما فيهِ من الفكاهة والفائدة

كتاب الف وصفة ووصفة — وقفنا على هذا الكتاب لمؤلفهِ الفاضل اللوذعي سعادتلو نجيب بك يوسف فوجدناهُ جامعاً من الفوائد البيتية والصحية والصناعية وغير ذلك ما لا يُستغنى عنهُ في تدبير المنزل وهو مفرغ في قالب الايجاز مرتب على حروف الهجآء تسهيلاً للاحاطة بهِ والانتفاع بفوائدهِ

فنشكر لمؤلفهِ الفاضل اعتنآءهُ بجمعهِ واهتمامهُ بنشرهِ رغبةً في تعميم نفعهِ ونثني عليهِ ثنآء جيلاً

لدينا اسئلة ومراسلات سننشرها في الجزء التالي

استدراك — سقطت كلمة في الجزء السابق صفحة ٣٥٦ سطر ٦ حيث قيل « بين الطرفين » والصواب « التطابق بين الطرفين »

البيان

السنة الاولى ⸻ الجزء الحادي عشر

١ نوفمبر سنة ١٨٩٧

اللغة والعصر

(تابع لما قبل)

وهذا الموضع من الاصول المهمّة التي لا بدّ من الاحاطة بها للوقوف على سرّ الوضع وتحدّي العرب في مآخذ الفاظها وتقليبها على ما يراد بها من وجوه المعاني واليهِ يرجع اكثر ما نحن فيهِ من امر الزيادة والاستئناف في الوضع لِما أن لغة العرب لغةٌ اشتقاقية كما سبق بيانهُ غير مرّة فلا بدّ قبل التفرّغ للتصرّف في اوضاعها من استقرآء امثلة المشتقّات والتحقق من معانيها لتمييز مشتبهاتها واقرار كل مثالٍ منها في نصابهِ . وهذا مما ألمّ علمآء السَّلَف ببعضٍ منهُ يومئون اليهِ من عُرض مباحثهم ولكنّا لم نجد من توفر عليهِ وتقصّى امثلتهُ وكشف عن معنى كل واحدٍ منها لانهُ لم يبدُ لهم وجه الحاجة الى ذلك اذ كانوا لا يرون القياس في اللغة على ما تقدم لنا الالماع اليهِ . وهو ولا جَرَم مبحثٌ طويل لا يسعنا الاتيان عليهِ في هذا الموضع ولكننا نذكر اقرب تلك الامثلة من مَظِنّة الحاجة واكثرها دوراناً في الكلام على قدر ما تعين عليهِ الحافظة الضعيفة ويتسع لهُ حال هذه المجالة ونَكِلُ ما بقي منهُ لاهل العلم من جهابذة

هذا اللسان يوفّونهُ قسطهُ من البحث والنظر والله الهادي الى قصد السبيل

فمن تلك الأمثلة ايضاً وزن فُعلة بالضمّ وتأتي اسماً للطائفة المجتمعة من الشيء كالصُبرة من الطعام اي الحنطة والكُثبة من التراب والطعام وغيره ومثلها الصُوبة والكُدسة وهذه الاخيرة ذكرها في اللسان في (ص و ب) وكذلك الكُومة وهي ما جمعتهُ من ذلك وعلّيتهُ والرُكمة وهي الطين المجموع والكُتلة وهي ما جُمع من التمر والطين وغيره والجُمّة وهي مجتمع شعر الرأس وكذلك من ماء البئر والجُثوة وهي الحجارة المجموعة والحُزمة وهي ما جُمع وشُدّ من ثياب او غيرها والجُرزة وهي الحزمة من البقول ونحو ذلك . ومن هذا القبيل العُصبة من الرجال والخيل والطير وهي ما بين العشرة الى الاربعين والسُربة من الخيل وهي قريبٌ منها والرُجلة من الناس وهي الجماعة منهم والجُملة وهي الجماعة من كل شيء . ويتصل بهذا الباب قولهم الخُبزة والقُرصة والطُلمة لاستدارتها واجتماعها . وكذلك العُقدة في الحبل وغيره والعُجرة وهي العقدة في الخشبة ونحوها والأُبنة وهي العقدة في العود والبُجرة وهي العقدة في البطن والوجه والعنق والعُقصة وهي العقدة في القرن والقُرنة وهي الطرف الشاخص من الشيء الى غير ذلك

وتأتي فُعلة ايضاً للشيء القليل او للبقية من الشيء بعد ذهاب معظمهِ كالنُزفة والجُرعة للقليل من الماء والنُدفة للقليل من اللبن والنُطفة وهي الماء القليل يبقى في دلوٍ او قربة والصُبّة والكُثبة للبقية من الماء واللبن والغُمّة لبقية اللبن في الضرع والعُقبة لبقية المرق في القِدر والنُدرة وهي كل ما اغدرتهُ اي تركتهُ وابقيتهُ من شيء الى غير ذلك . وتشركها في هذا المعنى فُعالة المضمومة الفاء على ما سيجيء

وتكون بمعنى الشيء يؤخذ بمرّة ولا يخفى ان من لوازمهِ الاجتماع والقلة كاللُقمة وهي مقدار ما يوضع في الفم والأُكلة وهي بمعناها والقُضمة وهي ما يؤخذ باطراف الاسنان فيُقضَم والنُفّة وهي ما يتناوله البعير بفيهِ على عجلة والمُضغة وهي القطعة من اللحم وغيرهِ بمقدار ما يُمضَغ والسُفّة وهي مقدار ما يملأ الفم من السويق ونحوهِ ومثلها القُمحة . وكالجُرعة من الماء وهي مقدار ما يُجرَع والنُغبة وهي بمعنى الجرعة والشُربة وهي مقدار ما يُشرَب بمرّة وكذلك البُلغة من الشراب والحُسوة من المرَق والغُرفة من الماء وغيرهِ وهي مقدار ما يُغرَف منهُ والحُفنة من الشيء وهي مقدار ما تأخذهُ براحتك وقيل هي ملء الكفين والقُبضة وهي ما قبضت عليهِ بكفك والقُبصة وهي ما اخذتهُ بين اطراف الاصابع واللُطخة وهي من السمن ونحوهِ الشيء اليسير تأخذهُ باصبعك والنُتفة وهي ما تنتفهُ باصبعيك من حشيش او صوف ونحوهِ والمُدّة من الحبر وهي مقدار ما يأخذهُ القلم من الدواة الى ما جرى هذا المجرى . ومن هذا قولهم الدُفعة من المطر لما ارسلتهُ السماء بمرّة وهي ايضاً ما انصبّ من سقاء او اناء بمرّة ومثلها الدُفقة . وشذّ من هذا الباب قولهم مَرَز من العجين مِرزة بالكسر وهي ما يؤخذ بين اطراف الاصابع ذهبوا بها مذهب القطعة وكان حقها الضمّ على حدّ القُبصة مثلاً كما شذّ من باب فِعلة المكسورة الاول قولهم الرُمّة للقطعة من الحبل والخُبّة للخرقة المستطيلة من الثوب نحو العصابة والحُزّة للقطعة من اللحم ونحوهِ تُقطَع طولاً والجُلفة وهي القشرة تُقشَر من ظاهر الجلد فانهنّ جئن بالضمّ وكان حقهنّ الكسر على قياس اخواتهنّ . على انهُ جاء في الرمّة ايضاً الكسر وفي الخبّة التثليث . وجاءت الفاظٌ من البابين بالفتح ذهاباً بها الى معنى المرّة فتكون من التسمية بالمصدر

ومن معاني فُعلة ايضاً ان تكون اسماً لما توسط شيئاً كالوُصلة لما يوصل به بين الشيئين والرُقعة لما يُرقع بهِ الثوب والاديم والكُلية وهي رقعةٌ مستديرة في المزادة والرُوْبة وهي القطعة من خشب يُرأب بها الاناء اذا انصدع واللُحمة وهي ما يلحم بهِ سَدَى الثوب والحُبكة وهي السير الذي يضمّ الرأس الى الغراضيف من القَتَب والرحل . ويقال بين الرجلين شُبكة رَحِم وهي القرابة تجمع بينهما وكذلك بينهما قُربةٌ وسُهمةٌ وبينهما شُجنة رَحِم ولُحمة نسب . ومن ذلك قولهم الحُفرة والبُؤرة والنُقرة والثُغرة والثُلمة والثُقبة والخُربة وهي الثقبة تكون في الاديم والأُذن وغيرهما والخُرتة وهي ثقب نحو الفأس والابرة والفُرضة وهي من النهر ثلمةٌ يُستقى منها ونحوها التُرعة والفُرضة ايضاً محلّ النِقس من الدواة والفُرجة وهي الجوبة في الحائط والجُفرة وهي جوف الصدر . ويتصل بذلك نحوُ الخُطوة وهي مسافة ما بين القدمين والشُعبة وهي مسافة ما بين القرنين والغصنين والكُتبة وهي ما بين الفرزتين من الخياطة وكذلك الخُرزة والخُصفة . ونحوُ المُدّة وهي الوقت بين الوقتين وفي مذهبها الفُرصة والنُهزة والخُلسة وهي متقاربة المعاني والمُهلة والهُدنة والنُفسة وهي بمعنى المُهلة الى ما شاكل ذلك

وتأتي كلٌّ من فِعلة وفُعلة اسماً للافتعال كالعِبرة والفِدية والفِرية والرِيبة والرِفعة والرِعدة والرِعشة والمِزّة والرِدّة والشِدّة والعِزّة والحِشمة والعِصمة والغِيبة والغِيلة وهو بابٌ واسع . وكالفُرقة والقُدرة والحُرقة والكُربة والغُمّة والغُربة والتُهمة والعُمرة والخُدعة والشُبهة واللُبسة والخُلطة والمُرضة والحُبسة والخُلسة والحُرمة وغير ذلك . وربما جاءت الفاظٌ بالوجهين كالخِبرة والحِبوة والنِسبة وهي قليلة . ومن الغريب أن صاحب القاموس جعل الدُلجة اسماً للإدلاج الرباعيّ وهو

السير من اول الليل وكان حقها ان تكون اسماً للادّلاج بالتشديد وهو السير من آخرهِ وفي لسان العرب ما يخالفهُ فانهُ فسر الدُّلجة بسير السحر لكنهُ جعل الفعل من هذا أدلج الرباعيّ على عكس ما في القاموس وتمثل عليهِ بقول الحطيئة

آثرتُ إدلاجي على ليل حرّة هضيم الحشا حُسّانة المتجرَّدِ

البيت اخرم — ولا يخفى ان الاليق بتفسير الإدلاج هنا السير من اول الليل والاّ لم يستقم مراد الشاعر ثم لم يلبث ان روى عكسهُ ثم عاد الى قولهِ الاول فجاءَ في هذا الموضع بخلطٍ عجيب. والصحيح وهو الذي عليهِ محققو اهل اللغة ان الادلاج بالتخفيف السير من اول الليل وبالتشديد السير من آخرهِ وعليهِ اقتصر في الأساس وجعل الاسم من الاول الدَّلجة بالفتح ومن الثاني الدُّلجة بالضمّ وهو الموافق للقياس . على أن صاحب اللسان انما ينقل كلام غيرهِ وقد علمت اختلافهم في كل قضيةٍ تناولتها ابحاثهم حتى لا تكاد تخلو لهم مسئلةٌ عن خلاف ولو كانت من النقل المحض فلا حول ولا قوّة الاّ بالله

ومن ذلك مثال فعيلة ولهُ معانٍ كثيرة يرجع جلّها الى معنى المفعول نحو الذبيحة والنطيحة والفريسة والطريدة والرمية والحصيدة والجنيبة والرميّة والسبيّة وهي أسماءٌ وُضعت هذا الوضع لا صفاتٌ لان فعيلاً من الوصف اذا كان بمعنى المفعول لا تلحقهُ الهاءُ وليست منقولةً عن فعيل خلافاً لما تقولهُ النحاة لمجيء كثيرٍ منها لا فعيل لهُ كالضحيّة والغنيمة والرغيبة والوديعة والذخيرة والخليقة والبريّة وغيرها

ويكثر مجيء الفاظٍ من هذا الباب لما يُتّخذ بالمزاولة كاسماءِ المطاعم من نحو العصيدة والثريدة والنقيعة والحريقة والعصيرة والرغيدة والعبيثة والبكيلة وهي اسماءٌ كثيرة وكبعض اسماءِ المنسوجات من نحو النسيجة وهي الشُّقّة من المنسوج

ما كان والسبيبة وهي الشقة الرقيقة من الكتان والسفيفة وهي النسيجة من خوص والشريجة وهي شيء من قصب يعمل للحمام ومثلها الجديلة والشريجة ايضاً شيء من سَعَف يُحمَل فيهِ البطيخ ونحوهُ وهي التي تسميها العامة السريجة بالسين المهملة والشكيكة وهي السلة تُجعل فيها الفاكهة والوفيعة وهي مثل السلة تُتَّخذ من المراجين . ومن ذلك الشريطة وهي شبه خيوطٍ تُفتَل من الخوص او الليف والفتيلة وهي ما فُتل من الكُرسُف ونحوهِ والضفيرة وهي الخصلة المضفورة من الشعر ومثلها العقيصة والجميرة الى غير ذلك . وكالمصوغات من نحو الصفيحة وهي النصل العريض والسبيكة وهي القطعة المذوَّبة من الذهب والفضة كذا عرّفوها والصواب القطعة المُفرَغة والصليخة وهي سبيكة الفضة المصفّاة والسفيقة وهي الضريبة الدقيقة الطويلة من الذهب والفضة ونحوهما ذكرها صاحب القاموس نقلاً عن الليث ولم يذكر الضريبة في بابها ومقتضاها انها النقرة المضروبة فتكون مما نحن فيهِ

وكثيرًا ما تأتي فعيلة اسماً للمصدر نحو العزيمة والصنيمة والنصيحة والخديعة والقطيعة والشيبة والحمية والاذية والشنيعة والوقيعة وهي بمعنى الشتيمة والغميزة وهي العيب يُطعَن فيهِ والضغينة وهي الحقد والحسيكة والحسيفة وهما بمعناها والوضيعة وهي الخسارة والغفيرة وهي المغفرة وغير ذلك

ستأتي البقية

العرب

كانت البلاد العربية قد بُسطت وهادها وارتفعت انجادها وانخفضت اغوارها غيطاناً وتراكت رمالها كثباناً قبل ان انحسر الماء عن ارباض مصر

وجرف النيل اليها ترابها في سالف الدهر فنشأت الامة العربية في تلك البقعة من المتد الساميّ وقد قامت الممالك حواليها باذخة الشان راسخة البنيان بادية الحضارة والعمران تباري في تنازع البقاء وتجاري في حلبة النماء وما من مملكةٍ الاّ وقد طمحت الى العربية واهلها فعاد عنها طرفها كليلاً وردّ سيفها الى غمدهِ فليلاً والعرب على عهد جاهليتهم لا يطأطئون راساً ولا يلينون مراساً

اذا ما الملك سام الناس خسفاً أبينـا ان نقرّ الذلّ فينـا

قبائل ظُعُنٌ لا تزال بين حلّ وترحال تتبع الكلأ لمواشيها انى اصابت مرعًى حطت الرحال بيوتها من شعر وقوام معايشها السائمة ونظام مجتمعها الحرية والاستقلال ومفخرها الغزو والنزال ومقارعة الابطال ومرجعها في القضاء لحكم النصال والسمر الطوال

والعربية شبه جزيرة موقعها الى طرف الجنوب الغربي من قارة آسيا يبلغ سكانها الآن على الارجح ١٢,٠٠٠,٠٠٠ وهي على شكل مربع مساحتها ٢,٨٥٠,٠٠٠ كيلومتر يحدها من الشمال سوريا ومن الشرق الفرات حتى مصبّهِ في خليج العجم وبعض بحر الهند ومن الجنوب بحر الهند المذكور ومن الغرب بوغاز باب المندب والبحر الاحمر وبوغاز السويس تخترقها سلسلة جبال قاحلة ممتدة على موازاة البحر الاحمر وبحر الهند تتشعب منها ثلاثة اودية يفصل بينها جبال شمر وطُوَيق وفيها كثبان من الرمال يعترضها آكام صخرية تغطي اكثر من ثلث الجزيرة وما بقي منها اغوار وانجاد تجودها السماء بالغيث ثلاثة اشهر في السنة من يونيو الى سبتمبر في اليمن ومن نوفمبر الى فبراير في نجد وعُمان فتخضلّ بالنبات . وليس ثمّ بحيرات ولا انهار الاّ ينابيع قليلة في بعض الانحاء لا تكفي الورود ولكن الماء غزير في الاودية تحت الرمال فتحفر فيها الركايا

والآبار للسقيا وماؤها ملح ولكن العرب لا يعافونهُ. والحرّ في الصيف شديد الاَّ انهُ محتمل لان الهوآء لطيف

ومعلوم ان العربية لم تزل موصدة الابواب دون الاجانب لا يتاح لأحد دخولها الاَّ متنكرًا ولا يستطاع الى ارتياد كلها سبيل والقسم الجنوبي منها لم تطأهُ حتى الآن قدم اوربي والعرب فيها لم يزالوا فيها على خلق البداوة ينقسمون الى عشائر كلٌّ منها مستقلٌ برئاسة زعيمٍ هو شيخ العشيرة الذي يذود عن الذمار ويحمي الديار ويقري الضيوف ويتقدم الصفوف ولكن الحجاز واليمن وهما اشرف اقسام العربية وارقاها في المدنية والحضارة والمعارف قد استظلاَّ بظلال الدولة العثمانية. ومما يشتمل عليهِ الحجاز مكة المكرمة والمدينة المنورة وفي مكة الكعبة التي يحج اليها المسلمون من جميع اقطار العالم وكانت بيت عبادةٍ للعرب منذ العصور الخوالي استولت عليها قبيلة جرهم التي تزوج فيها اسماعيل (عم) ثم غلبت عليها قبيلة خزاعة الى ان افضت الى قريش . والمدينة وكان اسمها يثرب يوجد بالقرب منها ناحية يقال لها عَرَبة قال صاحب القاموس واقامت قريش بعربة فنسبت العرب اليها وهي باحة العرب وباحة دار ابي الفصاحة اسماعيل (عم) قال الشاعر

وعربةُ ارضٌ ما يحلّ حرامها   من الناس الاَّ اللوذعيّ الحلاحلُ

والمحققون على ان العرب ينسبون الى يعرب وهو المذكور في التوراة باسم يارح ابن يقطان وهو عند العرب قحطان بن عابر بن شالح بن ارفخشد بن سام قال حسان بن ثابت الانصاري

تعلمتمُ من منطق الشيخ يعربٍ   ابينا فصرتم معربين ذوي نفر
وكنتم قديماً ما لكم غيرَ عجمةٍ   كلامٌ وكنتم كالبهائم في القفرِ

وسائر قبائل العرب تنسب الى اجداد ذكرت في التوراة منها ألموداد جدّ قبيلة جرم التي اتصل بها اسماعيل بن ابرهيم الخليل فتزوج برعلة بنت مضاض احد ملوكها وكانت مساكنها في الحجاز . وشالف جد قبيلة سماها بطلميوس السلابنة وياقوت السلاف اقامت في اليمن . وحضرموت جد قبيلةٍ اقامت بين اليمن والشحر . وأُوزال جد قبيلةٍ اقامت في صنعآء قاعدة بلاد اليمن . ودقلة جد قبيلةٍ من الحميريين سكان اليمن . وأُوبال جد قبيلةٍ كانت مقيمة في غربي العربية شمالي مكة . وسبا جد قبيلةٍ مشهورة منها التبابعة ملوك اليمن وورد في التوراة ذكر سبا ايضاً بين ابنآء حام وذلك دليل على امتزاجهما كما قال العلامة رولنسون . وأُوفير جدّ قبيلةٍ سكنت في عمان . وحويلة جدّ قبيلةٍ اقامت في الجولان وورد هذا الاسم ايضاً بين ابنآء حام . ويوباب جدّ قبيلةٍ اقامت بين صنعآء وزبيب

ولم يُكتشف حتى الآن في العربية عن عاديَّات يُستدَلّ برسومها وخطوطها على آثار الحضارة كما كُشِف من هذه العاديات في بابل ونينوى ومصر وغيرها ما عُرِف بهِ تاريخ هذه المدن واحوال شعوبها الغابرين وجميع ما امكن الوقوف عليهِ من الخط المسند لا يفي بالحاجة المطلوبة . ولا شك في ان العرب وُجدوا قبل ان اكتظّت العمارة في المدن المذكورة الان بلادهم لم تكن تصلح لعمارة مثل هذه المدن واحوالهم المعاشية لم تؤهلهم للتدرج في الحضارة شأن الامم التي لا تزيد كمالياتها على حاجياتها لما هم عليهِ من شظف العيش وخشونة الطباع وعدم تهيوء اسباب الترف والنعيم . على انهم قد ذُكروا بما كان لهم من العلائق مع الامم المجاورة ففي الآثار المصرية المخلفة عن الدولة الرابعة ذُكرت العربية باسم بوت التي كان يرد منها الى مصر الطيب والاحجار الكريمة والعاج . وفي الآثار الاشورية ذُكرت صفات العرب في القرن الحادي عشر قبل

الميلاد . وهناك ادلةٌ كثيرة على ما كان للعرب في الازمنة الاولى من العلائق مع سكان افريقيا الشرقية فقد ثبت ان الكوشيين والبربر والزنج كانوا يرتادون سواحل العربية و يجتازون الى ما بين النهرين مارّين بالعربية . وما ذُكر عن دول التبابعة والمناذرة والغسانيين لا يردّ الى عهدٍ قديم . على انهم كانوا قبائل متفرقة متقاتلة بعضهم لبعض عدوّ مبين حتى اجتمعت كلمتهم بالاسلام فتألفوا امةً عظيمة اندفعت كالسيل الجارف على الامم حواليها فدوختها وملكت بلادها وطردت ملوكها منها واستولت على املاكهم . ومن العجب ان هذه الامة تغلبت في اقل من نصف قرن على جميع افريقيا الشمالية وانتشرت في افريقيا كلها ودخلت الى اوربا فاجتاحت اسبانيا الى اواسط فرنسا وتسلطت على اواسط آسيا حتى الصين وملقا . ومنذ ذلك العهد اتخذت الامصار مواطن ومالت الى الترف والنعيم و بلغت من بسطة الحضارة ما لم يبلغهُ سواها فامتزجت بجميع الامم التي تغلبت عليها وامتزجت بها الامم ايضاً بعد غلبها الاّ سكان العربية فان اكثرهم بقي على السليقة البدوية الموروثة منذ جاهليتهم

فقد تبين مما تقدم ان العرب قسمان البدو والحضر اما البدو فهم قبائل ظُعّنٌ في بوادي العربية ومصر وسورية لم تتغير عوائدها واخلاقها وطباعها عما كان عليهِ اسلافها عربُ الجاهلية فهم مثال هذه السلالة الممتازة بطيب محتدها المتفردة بمحاسن اخلاقها وبديع تكوينها موضوع تعجب الباحثين في الطبائع الذين اجمعوا على انهُ لا ندّ لها في جميع السلائل البشرية من حيث صفاتها الطبيعية والادبية حتى صرّح البارون لاري بانها تسمو على سائر الاجيال بالنظر الى هيئة القحف وسعة الدماغ وكثرة تلافيفهِ وبناء الاعصاب وشكل الالياف العضلية والنسيج العظمي وقوام القلب وتظام نبضانهِ فضلاً عما هي عليهِ من

ملاحة السحنات وتناسب الاعضاء وحسن التقاطيع ووضوح الملامح وفضلاً عما في طباعها من الكرم والانفة والاريحية وعزة النفس والشجاعة وحسن البيان . واكثر العرب يُعرَفون بالقد الرشيق الربعة الى الطول والاطراف المفتولة العصب



الشديدة أسر العظام القوية المفاصل والقحف البيضي المنتظم الشكل والوجه الطويل المعروف واللون الابيض الذي انما يسمرّ لتأثير الشمس والهواء والعيون النجل السود الطويلة الهدب والشعر الاسود المنسدل والجباه المستقيمة القليلة

البروز والانوف الشماء ذوات الطرف الاقنى والفم الصغير والشفاه الرقيقة والاسنان الناصعة البياض الحسنة التنضيد والاتساق والآذان الصغيرة . هذه هي صفات البدو الخلّص ولكنهُ يوجد من البدو مثال آخر تغيرت صفاتهُ لاختلاطهِ بالكوشيين في قديم الزمان لم تزل بقيتهُ في عرب الجنوب واخصّ ما يعرف بهِ ان قامتهُ اضخم وتقاطيعهُ اغلظ وفكهُ بارز وشفتيهِ غليظتان وانفهُ افطس وحاجبيهِ كثيفان الى غير ذلك من الصفات المميزة للمثال الساميّ الكوشيّ

ستأتي البقية

مقالة في التربية

لحضرة الكاتب الفاضل عبد الله افندي المراش نزيل مرسيليا

(تابع لما قبل)

المطلب التاسع

في شوائب الاولاد وعيوبهم وطريقة اصلاحهم وعقابهم عليها

لقد اشطَّ من زعم ان الولد يولَد اما خيّرًا او شريرًا والاولى ان يُقال انهُ يولد وفي فطرتهِ استعدادٌ لفعل الخير او الشرّ عن غير معرفةٍ بذلك ولا تعمّدٍ لهُ فان رأيت اكثر الاولاد يفعلون ما هو عندنا شرٌّ وان قويّهم مثلاً يبغي على ضعيفهم وان فيهم قساوةً وتوحشاً فذلك ناشئٌ عن تغلّب الغريزة الحيوانية على طباعهم لا عن علمٍ بالشرّ وارادةٍ لهُ

ثم ان شوائب البشر وعيوبهم كلّها ترجع الى اصلين كبيرين احدهما حسّيٌّ ينضاف الى البدن وهو حبّ الشهوات والآخر معنويٌّ ينضاف الى الذهن وهو الأَثَرة اي حبّ النفس . وكل واحدٍ من هذين الاصلين يتفرع عنهُ فروع

متعدّدة تضيق هذه المقالة عن استيفآئها وليس ذلك من غرضنا ولكن نقول على سبيل الاجمال ان حبّ الشهوات يتفرّع عن الكسل والنهم والدعارة وان الأثرة يتفرّع عنها الحسد والحقد والفظاظة والكذب والبخل ولكن ما من خلقٍ من هذه الخلال الذميمة الّا وبازآئها خصلةٌ حميدةٌ اذا اعتُني بانمآئها في الصغر لاشت تلك الخلة او عدَّلتها حتى تجعلها من المناقب الممدوحة كما ان الخصال الحميدة نفسها اذا خُرِج بها عن حدّ الاعتدال انقلبت معايب لان كل شيء جاوز حدَّهُ جانس ضدَّهُ . وهذا ما حدا بعض الفضلآء الى ان يقول ان الشوائب تدخل في تركيب المناقب دخول السموم في تركيب الادوية وان الحازم من الصيادلة هو الذي يحسن مزجها وتعديل مقاديرها حتى يصنع منها علاجاً نافعاً

فالصيدليّ الحازم في هذا الموطن هو المربي الحكيم لانهُ اقدر الناس على تربية جراثيم الصلاح واستئصال جراثيم الطلاح في الولد من غير اسرافٍ ولا شطط بل بالتي هي أحسن وذلك انهُ كلما اطّلع على نقيصةٍ فيهِ بيّن له ضررها وحملهُ بالرفق والملاطفة على الاقلاع عنها وملازمة الخصلة التي تضادّها بقدر الاستطاعة ولم يجنح الى معاقبتهِ عليها بالعقاب الاصطناعيّ الذي سنعرفهُ الّا بعد نفاد ذرائع التحذير من سوء عواقبها وبعد تيقّنهِ ان العقاب الطبيعي الذي سنعرفهُ ايضاً لا يؤثر او لا يكفي . وليس مرادنا ان نقول هنا انهُ يجب اطّراح العقاب الاصطناعي بتّةً وانما نريد ان نقول ان هذا العقاب لا يجب ان يوضع دائماً وفي كل النوازل موضع العقاب الطبيعي اي الحدّ الذي تتولى الطبيعة نفسها اقامتهُ على الجاني لانهُ لا يسدّ مسدّهُ في كل الاحوال كما ستعلم

واذ قد تقرّر هذا فنقول انهُ ما من شرٍّ او خطإٍ الّا وعقابهُ فيهِ اي في عاقبتهِ كما انهُ ما من خيرٍ الّا وثوابهُ فيهِ سنّة الله في الذين خلوا من قبلُ

ولن تجد لسنّة الله تبديلاً . الآن انجع انواع العقاب واعدلها ما ينشأُ طبعاً عن الخطأ الذي ارتُكِبَ وما ذلك الّا لان الطبيعة نفسها هي التي تعيّن جنسهُ ومقدارهُ وهي التي تقيمهُ على الخطئ لتعلمهُ بالخبرة انهُ ما تعدّى نواميسها احدٌ الّا وعُوقب . فالشابُّ الذي يواعد اصحابهُ الى مجلس انسٍ او لهوٍ ثم لا يأتيهم يفوتهُ ما كان يجني بهِ نفسهُ من الانس بلقائهم واللهو بمفاكهتهم . وهذا قصاصٌ لهُ يعلمهُ بالخبرة ان يكون بعدها أوفى بمواعيدهِ فان لم يتعلّم بل تكرّر منهُ اخلاف الوعد تكرّر عليهِ القصاص وأُضيف اليهِ تيقُّن اصحابهِ انهُ مخلافٌ فلا يثقون بعد ذلك بمواعيدهِ ولا يعتدّون بقولهِ البتّة ثم لا يلبث ان يسقط من اعينهم بالمرة . وربُّ العيال الذي ينال بعد الجهد الجاهد وظيفةً او عملاً لكسب معاشهِ فانهُ ان لم يتم حقّ القيام بما نيط بهِ من العمل او ان قصّر فيهِ او توانى فلا يلبث ان يُعزَل ويُطرَد مدحورًا ويُحرَم رزقهُ عقابًا لهُ على تقصيرهِ او توانيهِ فيقاسي من الفاقة والاضاقة بلاءً شديدًا . والسمسار الذي يواعد التاجر ان يأتيهُ ليتفاوضا في بيع سلعةٍ او شرائها ثم لا يأتيهِ فان السلعة تُباع او تشترى على يد غيرهِ ويحرم السمسرة عقابًا لهُ على الاخلاف . والتاجر الذي يُغلي سوم بضاعتهِ طمعًا في زيادة الربح فالناس يجتنبونهُ حتى تكسد عليهِ بضاعتهُ ثم تتلف وتكون عاقبة طمعهِ خسران الاصل والربح . والعميل الذي لا يبذل جهد الحريص في ما يُعهد اليهِ من بيعٍ او شراءٍ فالناس يراسلون غيرهُ ويحرَم هو العمالة فان تكرّر ذلك منهُ لم يبقَ لهُ من يعاملهُ واضطرّ ان يغلق حانوتهُ . والطبيب الذي يغفل عن زيارة مرضاهُ كسلاً او قلة مبالاةٍ بامرهم فانهم ينصرفون عنهُ واحدًا بعد واحدٍ حتى يصبح وهو افرغ من حجام ساباط . والفلاّح الذي لا يتعهّد زرعهُ فانهُ لا يكاد يستغلّ منهُ شيئًا يساوي العناء ولا يلبث ان يصير الى فقرٍ مدقع

فقد رأيت ان في عاقبة كل واحدةٍ من هذه النقائص جزآء وفاقًا لمن لا تردعهُ الروادع الطبيعية وقصاصًا لهُ ناشئًا بالطبع عن الخطأ الذي ارتكبهُ وان الطبيعة نفسها هي التي تتولّى اقامة الحدّ عليهِ وهي التي تحاكمهُ من غير حيفٍ ولا محاباةٍ وتقضي عليهِ بشهادة عدلٍ اي بشهادة نفسهِ وتمضي قضآءها صامتةً لانها فعّالةٌ لا قوّالة ولا تتمهّل في ذلك ولا تعجل ولا تفرّط ولا تقبل شفاعةً ولا عذرًا . فان كان هذا فعلها في حقّ من يتعدّى حدودها من البالغين فهو كذلك في حقّ الاولاد الذين يعصون نواميسها جهلًا او عمدًا فما احرانا والحالة هذه بان نُلقي عليها عبء معاقبتهم اذا اخطأوا كلما وجدنا الى ذلك سبيلًا وان لا نتولاهُ بانفسنا او نقوم فيهِ مقامها فان لم نجد الى ذلك سبيلًا ودعت الضرورة ان نتولاهُ نحن فما احرانا ايضًا بان نقتدي بها في تعيين جنس القصاص وتقديرهِ من غير حيفٍ ولا تسامحٍ وامضآئهِ من غير ريثٍ ولا عجل

ولا نعني بالولد هنا الطفل الذي لا يدرك ولا تكليف عليهِ في ما يفعلهُ من الشرّ جاهلًا بل نعني الولد الذي جاوز حدّ الطفولية حتى صار يدرك معنى الشرّ والامر والنهي ويفهم ما يُراد بعاقبة خطيئتهِ و بالعقاب الذي يترتب على عدم اصغآئهِ الى التحذير منها . فالطفل الذي يكسر داحتهُ اي لعبتهُ مثلًا لا يكون فعلهُ خطيئةً لانهُ لا يعرف ما الخطيئة ولم يكسر لعبتهُ في الغالب الّا لان الطبيعة دفعتهُ الى ذلك رغبةً منهُ في الاطلاع على ما في جوفها وطلبًا للتعلّم كما عرفت . لكن الولد الذي جاوز حدّ الطفولية ان كسر لعبة اختهِ عمدًا ليؤذيها او ليتشفّى منها او لمحض التلهّي او عن مجرّد العرام فان فعلهُ يُعتبر خطيئةً لانهُ اقدم عليهِ مع معرفتهِ انهُ شرٌّ فلذلك يجب ان يُعاقب عليهِ الّا ان عقابهُ ينبغي ان يكون مجانسًا لخطيئتهِ وناشئًا عنها نشوءًا طبيعيًا اي مقلّدًا بهِ فعل الطبيعة

سيف امثالهِ لا اصطناعيًّا او غير مجانسٍ للخطيئة او عامًّا لسائر الخطايا كائنةً ما كانت . والطريقة في ذلك ان توخذ منهُ داحتهُ او شيء آخر لهُ يساويها عندهُ معزَّةً ويُعطى لاختهِ حتى يعوَّض عليها ما اتلفهُ لها ويذوق هو ايضًا في نوبتهِ مرارة الفقدان ويذكر ان عقوبتهُ مسبَّبةٌ عن ذنبهِ وناشئةٌ عنهُ بالطبع ومجانسةٌ لهُ وخاصةٌ بهِ لا كحال التعزير او الضرب اللذين نستعملهما سوآء في معاقبتهِ على كل ذنبٍ يصدر منهُ كائنًا ما كان بحيث لا يستطيع هذا المسكين ان يدرك في اكثر الاحوال نسبة العقوبة الى الخطيئة ولو قلدنا في معاقبتهِ فعل الطبيعة لأدرك تلك النسبة وأقرَّ بعدل العقوبة وتحذر من حلولها بهِ ثانيةً . وهاك امثلةً من معاقبة الطبيعة اياهُ على تعدّيهِ ناموسها . ان حملهُ العرام حتى قبض على ملقط النار المحمى او المكواة المحماة فاصاب يدهُ ألم الحرَق او لعب بغلاة المآء حتى انكفأت وأُريق ما فيها من المآء السخن على عضوٍ من اعضآئهِ فالتذع او عدا كالمجنون حتى سقط على موضعٍ مججرٍ من الارض فانسحج جلدهُ او صدمت رجلهُ حجرًا فألمت او قرع رأسهُ جسمًا صلبًا فانشجّ فكل ما يصيبهُ من ذلك فهو عقابٌ لهُ على عرامهِ وحدٌّ تقيمهُ الطبيعة نفسها عليهِ لمخالفتهِ شرعها وعدم اصغآئهِ الى التحذير من سوء العواقب يتعلم منهُ بالخبرة المرَّة المذاق ان يجتنب سيف المستقبل تلك الافعال التي جلبت عليهِ هذه العقوبات حتى لو رغّبتهُ غاية الترغيب في معاودتها لم يفعل . فما احرانا بان نقتدي بالطبيعة كما امكن ذلك ونجعل عقوبة الولد اذا تعدَّى نواميسنا مجانسةً لخطيئتهِ وناشئةً بالطبع عنها كما فعلنا في امر اللعبة . ولزيادة ايضاح ذلك نقول للاب ان اعطيت ابنك سكينًا ليبري بهِ قلمهُ فلم يحتفظ بهِ او اسآء استعمالهُ في نجر الخشب او نحت الحجر حتى تثلَّم حدّهُ فلا تسرع بان تعوّضهُ غيرهُ بل دعهُ يذوق مرارة

فقدهِ مدةً ليشعر بان ذلك قصاص لهُ على قلّة اعتنآئهِ ناشئٌ بالطبع عن خطيئتهِ ومجانس لها حتى اذا عوّضت عليهِ سكينهُ بعد ذلك كان اكثر احتفاظًا بهِ وحرصاً عليهِ . وكذلك ان تمادى في المرام حتى لطخ ثيابهُ بالوحل او القذر او مزقها لقلّة احتراسهِ عليها فبصّرْهُ سوء فعلهِ ثم كلفهُ ان ينظفها او يرفأها بنفسهِ ان كان ذلك ممكناً والاّ فدعهُ يلبسها متسخةً او ممزّقةً ليهزأ بهِ أترابهُ و يزدروهُ لاجلها و يتعيّر هو نفسهُ منها فذلك ايضاً قصاصٌ لهُ مشاكلٌ لخطيئتهِ وناشئٌ بالطبع عنها . ولكن ان ضربتهُ من اجلها فأوجعتهُ ثم اسرعت بشرآء ثيابٍ جددٍ لهُ لم يكن القصاص من جنس الخطيئة ولا ناشئاً بالطبع عنها فلذلك لا يفهم معناهُ ولا يكاد يدرك ما بينهُ وبينها من العلاقة وهب انهُ زكن او ادرك شيئاً من ذلك فانهُ ينساهُ وشيكاً ثم يعاود الذنب بخلاف ما لو كان القصاص طبيعيًا ناشئاً عن الذنب ونابهُ من يد الطبيعة العميآء فانهُ يذكرهُ كلما همّ بمقارفة الذنب فيرتدع عنهُ حتى اذا اشتريت لهُ بعد ذلك ثياباً جددًا وجدتهُ اكثر احتراساً عليها وهب انهُ لطّخها او مزقها ثانيةً تجدَّد عليهِ ذلك القصاص عينهُ من الطبيعة كما قلنا وكنت انت بمعزلٍ عن ان ينسبك الى القساوة او يحقد عليك او يحنق بل بقيت عندهُ ابًا شفيقاً وصديقاً نصيحًا يحذّرهُ سوء العواقب لا عدوًا بغيضاً متحكماً يضربهُ و يوجعهُ بعد ان كان يدلّلهُ و يقبّلهُ

(ستأتي البقية)

تِرياق سم الافاعي

الترياق لفظ يوناني Θηριακος على صيغة النسبة الى الهوام السبعية Θηρ ويراد بهِ المضاد لسميتها وقال صاحب القاموس الترياق دوآء مركبٌ اخترعهُ

ماغنيس وتممهُ أندروماخِس القديم بزيادة لحوم الافاعي فيهِ وبها كمل الغرض وهو مُسمّيهِ بهذا لانهُ نافع من لدغ الهوامّ السبّمية وهي باليونانية تريا ونافع من الادوية المشروبة السُّمّية وهي باليونانية قاءًا ممدودة ثم خُفّف وعُرّب اه. وكان القدماءُ يعظّمون شأن الترياق وينسبون اليهِ العجائب في صناعة الشفاء وقد ألفوا فيهِ كُتُباً اجلُّها كتاب جالينوس الذي كشف فيهِ عن سرّ صناعتهِ وبيّن منافعهُ وخواصهُ وقد تُرجم هذا الكتاب الى العربية مع غيرهِ من كتب الطب في عهد الدولة العباسية

اما اندروماخس القديم فهو طبيب نيرون الامبراطور الروماني وقد نظم في الترياق قصيدةً مؤلفة من ١٧٤ بيتاً اطنب فيهـا بوصف منافع هذا الدواء الذي يُنسب اليهِ لانهُ ادخل فيهِ لحوم الافاعي فكملهُ بها قال الشاعر

واجزاءُ ترياقهم لا تتمُّ الاَّ بجزء من الافعوانِ

وسُمّي بالقديم للتمييز بينهُ وبين ابنهِ اندروماخس المعروف بالثاني وكان ايضاً طبيباً لنيرون . وقد تحدى العرب اطباءَ اليونان في تركيب الترياق وتعظيمهِ والاطناب بمنافعهِ ووصف خصائصهِ العجيبة وتحداهم الافرنج وقد احتكرهُ صيادلة البندقية زمناً طويلاً وكانوا بعد اتمام تركيبهِ كلّ سنة يتخذون موسماً للاحتفال بهِ ويرسلونهُ الى سائر انحاء اوربا وهو لم يزل معدودًا من الادوية الاصولية ولكن الاطباءَ قلما يستعملونهُ الآن

ومن الغريب ان القدماءَ أثبتوا للترياق قوةً شافيةً من لدغ الافاعي وغيرها من الحشرات السامة لما تضمنهُ من لحومها مع ان المتأخرين يبحثون الآن عن كشف ترياق كل سمّ في المادة نفسها اعتقاد ان الاجسام الحية تفرز سموماً يتولد معها ترياقها كما تقدمت الاشارة الى ذلك في الجزء التاسع من

البيان (ص ٣٧٦) . ومن هذا القبيل ان بعضهم اثبت وجود ترياق سم الافعى في مصل دمها نفسهِ وقد امتحن ذلك الاستاذان برتران وفزلكس مرارًا عديدة مدة ثلاث سنين فحقنا الحيوانات التي لدغتها الافعى بكمية من مصل دمها فعوفيت من اعراض السمّ وبعد شفآئها عُرّضت مرةً ثانيةً للدغها فلم يؤثر سمّها فيها فثبت ان دم الافعى يشتمل على مادة يتلطف بها سمها فهي ترياقهُ . وهذه المادة يمكن عزلها وتجهيزها من دم الافعى بطريقتين على ماذكر الاستاذ فزلكس المذكور في تقرير لهُ تلاهُ في القسم الطبي لمجمع الاطبآء العمومي الذي انعقد في موسكو كما ذكرنا في الجزء التاسع (ص ٣٧٥) الاولى بان يُحمى مصل الدم مدة ١٥ دقيقة على حرارة ٨٥° فتزول المادة السامة وتبقى المادة المضادة للسم والثانية بان تؤخذ كمية من مصل دم الافعى ويضاف اليها خمسة امثالها من الكحل اي روح النبيذ القوي على درجة ٩٥ وبعد المزج يُرشَّح السائل ويُجفَّف فالمادة السامة تذوب في الكحل والمادة المضادة للسم تُستخلَص بعد التجفيف بان يمزج مقدارٌ منها بسوّغ يُحقَن بهِ تحت جلد الحيوان . وقد ثبت ان الحقن بهذه المادة تحت جلد حيوانٍ لدغتهُ الافعى ولو بعد ٢٥ الى ٣٥ دقيقة يشفيهِ من اثر السم كما لو حُقن بالمصل الصناعي الذي استنبطهُ بعضهم من عهدٍ قريب . فدم الافعى يشتمل اذًا على مواد تأثيرها الفسيولوجي من حيث مضادّة السم كتأثير المصل الصناعي المشار اليهِ ومن المرجّح ان لهذه المواد في بنية الافعى شأنًا لا يختلف عن مثلهِ في بنية الحيوانات المعافاة صناعيًا . والحاصل ان المعافاة الطبيعية قلما تختلف عن المعافاة الصناعية بل الاشبه ان مصدر كليهما واحد

استدراك

عدد الطائفة القبطية — تقدم لنا في الجزءين الاولين من هذه المجلة نقلاً عن اشهر التقاويم واحدثها ان عدد القبط في ايامنا لا يتجاوز مئة وخمسين الى مئة وستين الف نفس وهو كما لا يخفى احصاءٌ تقديري لا استقرآئي اذ لم يسبق لهذه الطائفة ولا لغيرها من طوائف القطر تعدادٌ يصح الاعتماد عليهِ لان الاحصاء الذي تمَّ سنة ١٨٨٢ على عهد المغفور لهُ توفيق باشا وُجد فيهِ كثيرٌ من الخلل على ما بيّنّاهُ هناك ولذلك لم يكن لنا مندوحةٌ عن الوقوف عند ما رأيناهُ في التقاويم المذكورة الى ان تثبين صحة العدد بعد تمام الاحصاء الاخير الذي نشرنا مجملهُ في الجزء الخامس (صفحة ٢٣٧). والذي انتهى الينا في هذه الايام بعد تفصيل الاحصاء المذكور ان عدد هذه الطائفة يبلغ من ٥٠٠ الف الى ٦٠٠ الف نفس (كذا) وهو مع ما فيهِ من الكشف عن العدد التقريبي وبيان الفرق العظيم بين هذا الاحصاء والاحصاء الذي كان متداولاً من قبل فان خطأ ١٠٠,٠٠٠ (مئة الف نفس) في احصاء امةٍ لا يتجاوز عددها ٥٠٠ الى ٦٠٠ الف ليس بالشيء الذي يجوز التغاضي عنهُ ولا مما يوثق معهُ بدقة الاحصاء. . ومع ذلك فانا نهنئ هذه الطائفة بما ظهر من كثرة سوادها ونتمنى لها زيادة النماء والامتداد كما نتمنى ان يظهر لها من جليل المآثر ما يرتفع بهِ مكانها بين سائر امم البلاد

مطارحات

وردتنا عدّة اجوبة على الاقتراح الاول المُورَد في الجزء التاسع من هذه المجلة وغالب تلك الاجوبة حسن الا انا وفاقاً لمراد المقترح نختار منها الجواب الآتي

جواباً على الاقتراح المدرج في الجزء التاسع من مجلتكم الغرّاء وهو «مَن اسعد الناس عيشاً» اقول

اقيطٌ لا اهل لهُ ولا عيال موفق لكسب المال قليل الاحساس قصير الادراك لا يسرّهُ مدح مادح ولا يسوءهُ قدح قادح يعيش لياكل ويتنعم وسيّان عندهُ لا أو نعم وطنهُ ابن ثوى وخطبهُ الموت لا سوى

حلوان في ٨ اكتوبر سنة ٩٧ خليل كامل

معاون محطة حلوان

وجآءنا على الاقتراح الثاني المنظومات الآتية

أرى بدرًا يرى في الافق بدرًا وفرقٌ بين حسن المنظرينِ
أرى بدرًا حقيقيًا بعينٍ لها وترى مجازيًا بعيني

القاهرة في ٧ اكتوبر مصطفى لطفي

المنفلوطي

***

رعت بدر العلآء فشوّقتني الى اوقاتنا بالروضتينِ
وشِمتُ بوجها بدرًا كأنّا تبادلنا النواظرَ بين ذَين

طنطا في ٨ اكتوبر م ....

***

اتت والبدرُ فوق الافق بادٍ فذكّرها ليالي الرقتينِ
رأت بدرًا كما شاهدتُ بدرًا وكانت أنعمَ العينين عيني

***

تجلى وجهها والبدرُ بادٍ   فادهشني اجتماع النيّرينِ
فذا بدرٌ وذا بدرٌ ولكن   اتمهما الذي تهواهُ عيني

مكتب البيان   ا * ي

وجآءتنا منظوماتٌ أُخر ارجأناها على امل ان يعيد اصحابها النظر فيها قبل نشرها

ثم انّا كنا في الجزء الثامن قد اقترحنا على حافظة الحذّاق من مشتركينا الاذكيآء ان يذكروا لنا بيتين مشهورين في احدهما اربعة افعالٍ ماضية اذا حُوّلت الى صيغة المضارع لم يتغير وزن البيت وفي الثاني لفظتان اذا جُعلت احداهما مكان الاخرى مع تبديل لفظةٍ ثالثة برادفها انقلب وزن البيت من الطويل الى الكامل . وبما انهُ الى الآن لم يأتنا جواب عن ذلك فلا بأس ان نورد البيتين في هذا الموضع تفكهةً للقرآء وتنبيهاً للقرائح ونجعل جائزتنا على الشعرآء الاقتراح الذي سنذكرهُ على اثرهما . أما البيت الاول فهو قول ابي صخر الهُذَلي

أما والذي أبكى وأضحَكَ والذي   أماتَ وأحيا والذي امرهُ الامرُ

فان فيهِ اربعة افعالٍ ماضية وهي أبكى وأضحك وأمات وأحيا فاذا حُوّل كلٌّ منها الى صيغة المضارع جآء البيت على هذه الصورة

أما والذي يُبكي ويُضحِكُ والذي   يُميتُ ويُحيي والذي امرهُ الامرُ

والوزن على الوجهين واحد

واما البيت الثاني فهو قول ابن سنآء المُلك

سوايَ يهاب الموت او يرهب الردى   وغيريَ يهوى ان يعيش مخلّدا

فانك اذا جعلت غيري مكان سوايَ ونقلت سوايَ الى مكان غيري انتقل

البيت الى حيّز الكامل لكن تبق الرآء من يرهب في الشطر الاول وهي المقابلة لنون فعولن في الطويل زائدةً في الوزن لوقوعها عند تحويله الى الكامل بين ميم متفاعلن وتآئه بخلاف ما يقابل هذا الجزء في الشطر الثاني وهو قولهُ يعيش حيث وقعت فعولن مقبوضةً اي محذوفة النون . وحينئذٍ فلا بدّ من ابدال يرهب بلفظةٍ اخرى تنطبق على الوزن كأن نجعل مكانها يخشى مثلاً فيجيء البيت على هذه الصورة

غيري يهاب الموت او يخشى الردى وسوايَ يهوى ان يعيش مخلّدا

واما اقتراحنا على الشعرآء فهو تحويل الابيات الآتية من هذه القصيدة عينها الى بحر الكامل مع المحافظة على لفظها ما امكن وهي قولهُ

ولكنني لا ارهب الدهر ان سطا ولا احذر الموت الزؤام اذا عدا
ولو مدّ نحوي حادث الدهر كفهُ لحدّثتُ نفسي ان امدّ لهُ يدا
ويأبى اباآئي ان يراني َ قاعدًا وأني ارى كلّ البرية مقعدا
وأظمأ ان ابدى لي المآء منةً ولو كان لي نهر المجرّة موردا
ولو كان ادراك الهدى بتذللٍ رأيت الهدى ان لا اميل الى الهدى
ولو علمت زُهر النجوم مكانتي لخرّت جميعاً نحو وجهيَ سُجّدا

جائزة صرفية

ايّ لفظٍ يكون ميزان نفسهِ وبعبارةٍ اخرى ايّ لفظٍ اذا وزنتهُ جآء الميزان والموزون بلفظٍ واحد

جائزة الصواب نسخةٌ من مختصر الجمانة في شرح الخزانة مع نسخةٍ من تحفة المودود في المقصور والممدود

اسئلة واجوبتها

دمشق — عثرنا في بعض التواريخ على ذكر رجل يلقَّب باليهودي التائه مُفاد ما ذُكر عنهُ انهُ ساح في اقطار المعمور مدة قرون متتابعة وانهُ لا يزال حيًّا الى اليوم فهل لكم ان تكشفوا لنا عن حقيقة هذا الخبر وأصلهِ

ع . ن

الجواب — هو خرافةٌ من اساطير الأوّلين لا يُعلَم واضعها ولا تأريخ وضعها بل هي مما تنازعتهُ الدعاوي وكثر المنتحلون لها من كل بلاد والظاهر ان الغرض منها الرمز الى امورٍ وقعت في التاريخ او تناقلتها الألسنة ونحن نروي لكم محصّل ما وقع الينا منها وان لم يكن فيهِ كبير فائدةٍ نأخذهُ عن بعض اصحاب التواريخ القديمة قال —

زعموا أن احد اساقفة شلسويك من اعمال الدنمرك قديمًا ذهب يومًا لزيارة صديقٍ لهُ في مدينة سالان يقال لهُ فرنسيس أيسان من اهل اللاهوت فأجل ملتقاهُ وبالغ في اكرامهِ ولما كان بعد ايام اتفق تذكار يوم عيد الفطاس فدعاهُ أيسان لسماع خطبة العيد فاجابهُ الى ذلك . وبينا كان يجيل طرفهُ في الحضور وقعت عينهُ على شيخٍ كبير ذي لحيةٍ بيضآء مسترسلة كان شديد الاصغآء لقول الخطيب وكان كلما سمع في كلامهِ اسم يسوع يضرب صدرهُ ويُعول بالبكآء . فعجب الاسقف من حالهِ ودعتهُ نفسهُ الى ان يطّلع طِلعهُ فلما انقضت الخطبة وأزِف خروج الناس بعث خادمًا لهُ يدعوهُ اليهِ فأقبل وكان الاسقف في جماعةٍ كبيرة فلما صار بحضرتهِ سألهُ عن امرهِ فتردّد عن الجواب فألحّ عليهِ فاتخذ لهُ مجلسًا بين يدي الاسقف ثم شرع في قصتهِ فقال —

« اني امرؤٌ وُلِدت في سبط نفتالي سنة ٣٩٦٢ للخلق وذلك قبل ان

يقتل الملك هيرودس ولديهِ بأمر اوغسطس بثلاث سنين واسمي أحشوارُس وكان ابي نجارًا وامي كانت تعمل بالابرة وتطرّز ملابس اللاويين . وقد تعلمت القرآءة والكتابة ولما أن شببتُ ألقي اليَّ كتاب الناموس والانبيآء وكان في حوزة ابي كتابٌ ضخمٌ من الرَقّ كان قد انتهى اليهِ من سلفهِ فقرأت فيهِ امورًا غريبة لا بأس ان اتلوها عليكم وهذا مُفادها

« لما هبط ابوانا آدم وحوآء من الجنة ووُلِد لهما قايين وهابيل وقع في ظنهما ان واحدًا منهما سيكون هو المسيح الذي يكفّر عنهما جريرة المعصية التي سقطا فيها حتى اذا وثب قايين على هابيل وقتلهُ ذهبت آمالهما سُدًى وبكاهُ آدم مئة عام . وعاش آدم بعد ذلك دهرًا طويلاً ووُلِد لهُ بنون وبنـات ولما احسّ بقرب أجلهِ دعا ولدهُ شيت وقال لهُ هلمَّ الى الفردوس الارضي وسل المَلك جبرائيل القائم على مدخلهِ بسيفٍ من لهَب ان يأذن لي في دخول الفردوس مرةً واحدة قبل مماتي

« وكان شيت لا يعلم شيئًا مما وقع لأبويهِ فانطلق حتى اتى باب الفردوس ولقي المَلك جبرائيل وانهى اليهِ رسالة آدم فقال لهُ جبرائيل لا ابوك ولا انت ولا احدٌ من اعقابكما يدخل هذا الفردوس ولكنكم ستدخلون الفردوس السماويّ . ثم اخذ بيدهِ وأراهُ من بعيدٍ ذلك المكان الذي كان ابواهُ مقيمين بهِ وأخرجا منهُ بمعصيتهما فوقع ذلك المنظر من شيت موقعًا هاجهُ للبكآء . ولما اراد الانصراف دعاهُ جبرائيل ثانيةً وقال لهُ ان اباك سيموت عن قليل وهذه ثلاث نَوَيات من ثمر الشجرة المنهيّ عنها فاذا مات فضعهنَّ تحت لسانهِ وادفنهُ

« فعاد شيت وفعل كما قالـــ لهُ جبرائيل ولم تلبث تلك النوَيات أن نبتنَ في الموضع الذي دُفن فيهِ آدم ثم كنَّ ثلاث شجراتٍ لهنَّ ثمرٌ لم تَرَ

العين احسن منهُ الاَّ انهُ كان مُرَّ الطعم شديد العفوصة ولذلك لم يكن احدٌ يكترث بهذه الشجرات

واتى على ذلك ما شآء الله من الزمن الى ان بلغ آباؤنا ارض الموعد وشرعوا في ابتنآء المدن والحصون وكانت الشجرات اللآتي ذكرتهنَّ باقياتٍ في موضعهنَّ على الجبل القائمة عليهِ مدينة اورشليم وكنَّ في ظاهرِ المدينة الى ان اتسعت اسوارها على عهد الملك داود فادخلهنَّ في ضمنها وابتنى بجانبهنَّ منزلاً لنفسهِ لشدَّة ما اعجبهُ منظر ثمرهنَّ

« وانهُ قطف يوماً ثلاثاً من هذا الثمر وشقَّ واحدةً منهنَّ فاذا فيها تراب ثم شقَّ الثانية فاذا مكتوبٌ فيها « حاشيكاب » اسمي فقبَّلها بمحبة وشقَّ الثالثة فوجد فيها وصف آلام المسيح على ما تنبأ عنها في زبورهِ

« ولما خربت اورشليم بعد ذلك بقي قصر داود والشجرات الثلاث بجانبهِ على مسافة ميل من المدينة ولبثنَ كذلك الى عهد انتياطر (ارسطوبولس) ابي الملك هيرودس الاول فقطعهنَّ سنة ٣٩٣٠ وجعل الساحة التي كنَّ فيها موضعاً لعقوبة المجرمين وهو الموضع الذي سُمّي بالجلجثة فحُملت اجذاعهنَّ الى المدينة وطُرحنَ الى جانب جدارٍ ضخم اذكر اني جلستُ عندهُ مراراً ألعب مع أترابي وهذه الشجرات عينها هي التي اتُّخذ منها صليب يسوع المسيح

ثم ذكر هنا خبر مولد المسيح وما كان من سيرتهِ بعد ذلك في شرحٍ طويل بعضهُ موافقٌ لما جآء في الاناجيل وبعضهُ نقلٌ عن التقاليد الى ان بلغ الى ذكر آلامهِ فقال

« اما يهوذا الاسخريوطي الذي كان على يدهِ تسليم المسيح فان اباهُ من بني رأوبين وكان بستانياً فلما حملت امرأتهُ بيهوذا حلمت انها وضعت ولداً في

يدهِ تاج وانهُ رمى بهِ الى الارض ووطئهُ بقدميهِ ثم وثب على ابيهِ فقتلهُ وانطلق بعد ذلك الى الهيكل فحطّم ما فيهِ من الزخارف الثمينة . فاستيقظت وهي مذعورة وقصّت ما رأتهُ على بعلها فذهب يلتمس المعبّرين فقيل له انهُ سيولد لهُ ولدٌ يكون من امرهِ ان يقتل احد الملوك ويقتل اباهُ ويكون متهالكاً في حب المال حتى لا يتقي في تحصيلهِ شيئاً من الموبقات . فلما سمع ابو يهوذا ذلك اضمر منهُ خيفة عظيمة وصمم مع زوجتهِ على ان يغرّقا الطفل عند مولدهِ . وبعد ما وُلد وأتى عليهِ عشرة ايام جعلهُ ابوهُ في تابوت وحملهُ الى الأردنّ حيث يدفع في البحر الميّت فألقاهُ هناك فطفا التابوت على وجه الماءَ وساقتهُ الامواج حتى بلغ الى جزيرة كنديا وكان ملك الجزيرة قد خرج مع امرأتهِ للتنزه فبصُرَ بالتابوت فوجّه من التقطهُ وفتحهُ فاذا فيهِ طفلٌ جميل الصورة فأمر ان يُعتنى بهِ وسمّاهُ يهوذا لانهُ عرف من الثياب التي عليهِ انهُ كان يهوديًّا

« فنشأ يهوذا مع ابن الملك وكان ابن الملك اكبر منهُ بسنة ولما كبرا جعل يختلس من ابن الملك الشيء بعد الشيء فشكاهُ الى ابيهِ فامر بتفتيشهِ فاذا معهُ قطعٌ من النقود وأشياء أُخر من نحو خواتم وجواهر مما سرقهُ من الملكة وابنها فأمر بهِ فجُلد . فكان من أعقاب ذلك انهُ جعل يترصّد الفُرَص للانتقام من ابن الملك حتى خلا بهِ يوماً في بعض الغابات فضربهُ ضربةً على رأسهِ فالقاهُ قتيلاً ثم نزل البحر فنجا الى مصر ومن هناك صار الى اورشليم فدخل في خدمة احد الكبراء

« وان مولاهُ ارسلهُ في بعض الايام ليبتاع لهُ فاكهةً وقال لهُ تذهب الى منزل كذا بموضع كذا — وهو المنزل الذي يسكنهُ ابوهُ — وهناك بستان تبتاع منهُ ما امرتك فانطلق ولما بلغ المكان تسلق جدار البستان وجعل يقطف

من الفواكه واتفق اذ ذاك دخول ابيهِ البستان فرآهُ في تلك الحال فزجرهُ وتشاتما ثم تشاجرا فضربهُ يهوذا عدة ضرباتٍ فخرَّ على الارض صريعاً واخذ يهوذا ما قطفهُ وذهب

« فلما كان الغد جآءت امهُ وشكت ما فعلهُ الى مولاهُ فرُفع الى المحكمة فحكمت بانهُ اذا مات الرجل يتزوج يهوذا امرأتهُ وكان الامر كذلك فدُعي بالاسخريوطي اي القاتل وعاش مدةً طويلة مع امهِ

« واتفق يوماً انها نظرت فاذا اصبعان من رجلهِ ملتصقتان فصاحت اللهمَّ اني ارى حلمي قد تحقق فان الولد الذي نبذناه كانت اصابعهُ كذلك ثم كانت كلما اعادت النظر الى يهوذا تزداد تحققاً انهُ هو ولدها وزادها تاكيدًا انهُ كان على صدغهِ شامةٌ سمرآء وكانت تعهد هذه الشامة في الذي ولدتهُ وحينئذٍ لم يبقَ عندها فيهِ شبهةٌ

وساق الكلام بعد ذلك الى ان بلغ الى حديث الصلب فقال « بينا انا يوماً بباب منزلي اذا بجماعةٍ يتراكضون وهم يقولون ان يسوع يُقتاد للصلب فرفعت ابني بين ذراعيَّ لأُريهُ ذلك لان يسوع وصل في تلك الساعة وهو ينوءُ بصليبهِ من الكلال حتى اذا بلغ باب منزلي وقف هنيهةً ليستريح فلما رأيتهُ كذلك استشطت غيظاً لاني عددتُ ان في ذلك اهانةً لي وقلت لهُ بجفآءٍ اغرُب عن بابي فاني لا آذن لرجلٍ ساقط ان يقف عندهُ . فنظر اليَّ نظرة رجلٍ كبير وقال اني سأذهب واستريح واما انت فستذهب ولكنك لن تستريح بل تبقى مسافرًا ما دام العالم عالماً الى يوم الدين يوم تراني جالساً عن يمين ابي لأدين الاسباط الاثني عشر الذين صلبوني

« فتركت ولدي وتبعت يسوع فكان اول شخصٍ رأيتهُ ويرونيكا وهي

المرأة التي مسحت وجه يسوع بمنديل فارتسم وجههُ على ذلك المنديل . وبعد ذلك رأيت مريم ونسوةً أُخر يبكينَ واذا احد الصنّاع قد جآء وفي يدهِ المسامير والمطرقة فأخذ احد المسامير وأراهُ لمريم وقال انظري ايتها المرأة ان ابنكِ سيسمّر بهذا

« فصحبتهُ الى الجبل ولما وصلوا الى هناك صلبوهُ وركزوا صليبهُ في نفس الموضع الذي دُفن فيهِ آدم وهو الموضع الذي كانت فيهِ الشجرات الثلاث وبعد ان فاه بكلماتٍ قلائل فاضت نفسهُ وحينئذٍ اظلمت السمآء وثارت عاصفة شديدة وهبّت الاموات من قبورها ومادت الصخور وانشقّت الارض عند اسفل الصليب . ثم جآء لونجان وبيدهِ حربة فطعن بها خاصرة يسوع وكان قد مات فسال الدم الذي خرج منهُ في شقّ الارض تحت الصليب وسقى رأس آدم وحوآء المدفونين معاً هناك

« ولم يكد المسيح يموت حتى شعرتُ ان دافعاً يدفعني للرحيل عن اورشليم فارسلت طرْفي الى جهتها لأتزوّد منها آخر نظرة ثم سافرت وانا لا ادري الى اين اتوجه فقطعت جبالاً شامخة وفلواتٍ واسعة ولم ادع برًّا ولا بحرًا الاّ جزتهُ وانا حيثما وطئت قدمي لا استطيع ان اتوقف وهآءنذا الآن اراني كأني واقفٌ على جمر ملتهب ومع اني جالس فان ساقيَّ تتحركان ولا اجد لي صبراً عن المسير

« فأنا اجري شرقاً وغرباً وجنوباً وشمالاً وبعد ان طفت العالم كلهُ عدت الى اليهودية لكن لم اجد هناك اهلاً ولا اصدقآء لان لي مئة عام وانا امشي مشياً متواصلاً فعدت وخرجت من اورشليم وقد ثقُلَ عليَّ وقر هذه الحياة المديدة وفي نفسي ان اتعرض لجميع ضروب المهلكة لعلي اتخلّص من هذا

الجيش الثقيل وقد قاتلت في عدة مواقع واصابني ما ينيف على الفي ضربة فلم تُصبني واحدةٌ منها بجراحة لان جسدي صلبٌ كالصخر فلا يعمل فيهِ شيءٌ من السلاح وركبتُ البحر وغرق المركب الذي كنت فيهِ مراتٍ ولكني لبثت طافياً على الماء مثل ريشة . وانا لا اجد جوعاً ولا عطشاً ولا امرض ولا اجد الى الموت سبيلاً وقد جبت العالم اربع مرات وكل موضع انتهيتُ اليهِ وجدت انقلاباً عظيماً فمن بلادٍ خربت ومدنٍ تدمرت مما يطول سردهُ عليكم »

ولما فرغ من قصتهِ نهض لينصرف فسألهُ الأسقف ان يلبث هُنَيهةً اخرى فأبى وعرض عليهِ شيئاً من المال لنفقة طريقهِ فقال « هذا مما لا حاجة لي بهِ فاني اطوي سنواتٍ متوالية لا آكل ولا اشرب ولا احتاج الى تجديد ثوبٍ ولا حذاء لان ما معي من ذلك لا يرثّ ولا يبلى » . ثم ودّع الجماعة وعاد في طريقهِ ليباشر سفرتهُ الخامسة

هذه خلاصة ما رُوي من قصة هذا الرجل وهو فيما ترى جماعةٌ رمزٌ الى اعقاب بني اسرائيل وما عرض لهم من التفرق في الارض بعد انقضاء دُوَلهم وذهاب ملكهم وفي رأي آخرين تمثيلٌ للدهر في شخص رجلٍ قد صحب الاعصار وجاب الاقطار وعاين تقلب الاحوال وتعاقب القرون والاجيال وهو في كل ذلك شاهدٌ لا يغيب عنهُ شيءٌ ولا يعرض لهُ الزوال والله اعلم

متفرقات

ابرد مكان في المعمور وضدّهُ — ذكر المسيو ويلد قيّم المرصد الطبيعي في بطرسبرج ان ابرد معمور في الارض بُليدةٌ من سيبيريا يقال لها فَرْخنويَنْسك وهي على ١٣٠° من الطول و٦٧° و٣٤َ من العرض الشمالي وارتفاعها فوق

سطح البحر ١٠٧ أمتار ومتوسط الحرارة فيها على ما يأتي موزعاً على اشهر السنة

يناير	— ١°٥٣	مايو	— ١°٩	سبتمبر	— ٦°١
فبراير	— ٣°٤٦	يونيو	+ ٦°٩	اكتوبر	— ٣°٣٠
مارس	— ٧°٤٤	يوليو	+ ٨°١٣	نوفمبر	— ١°٤٠
ابريل	— ٨°١٥	اوغسطس	+ ٤°٦	دسمبر	— ٩°٤٩

واما احرّ مكانٍ في الارض فهو على ما ذكروا جهةٌ بالجنوب الغربي من بلاد ايران على ضفة الخليج العجمي راقبوا مقياس الحرارة فيها مدة اربعين يوماً ما بين يوليو واوغسطس من سنة ١٨٩٠ فلم يهبط عن ٣٨° س حتى في الليل وكان يتصاعد في أكثر الايام الى ٥٣° وذلك بعد الظهر

اعظم اعماق البحار — اثبت بعضهم في ذلك الجدول الآتي

اسم البحر	درجة العرض	درجة الطول	امتار
الاوقيانس الهندي	١١° ٢٢' جنوباً	١١٦° ٥٠' شرقاً	٢٦٠٥
البحر الاسود	٤٢° ٥٥' شمالاً	٣٣° ١٨' —	٢٦١٨
بحر اليابان	٣٨° ٣٠' —	١٣٥° ٠' —	٣٠٠٠
المجمد الجنوبي	٦٢° ٢٦' جنوباً	٩٥° ٤٤' —	٣٦١٢
بحر الصين	١٧° ١٥' شمالاً	١١٨° ٥٠' —	٤٢٩٨
البحر الرومي	٣٥° ٥٥' —	٢١° ٤٦' —	٤٤٠٠
المجمد الشمالي	٧٨° ٥' —	٢° ٣٠' غرباً	٤٨٤٦
بحر بنضا	٥° ٢٤' جنوباً	١٣٠° ٣٧' شرقاً	٥١٢٠
بحر فلوراس	٧° ٤٣' —	١٢٠° ٢٦' —	٥١٢٠

الاتلنتيك الجنوبي	٠° ١١′ جنوباً	١٨° ١٥′ غرباً	٧٣٧٠
بحر الظلمات الجنوبي	١٧° ٤′ —	١٧٢° ١٤′ —	٨٢٨٤
الاتلنتيك الشمالي	١٩° ٣٩′ شمالاً	٦٦° ٢٦′ —	٨٣٤١
بحر الظلمات الشمالي	٤٤° ٥٥′ —	١٥٢° ٢٦′ شرقاً	٨٥١٥

آثار ادبية

حلوان — تلقينا العدد الاول من هذه الجريدة لحضرة صاحبيها الفاضلين حمدي بك يكن ومحمود افندي طاهر وهي « جريدة مصوَّرة ادبية تهذيبية » تصدر في مدينة حلوان يوم الاحد من كل اسبوع . وهي اول جريدةٍ ظهرت في هذه المدينة الزاهرة فجآءَت بين الجرائد كسميّتها بين المدن خاليةً من اكدار السياسة منزَّهةً عن وبالة الشقاق والتعصّب مطهَّرةً من خبائث المطامع والدسائس وقيمة اشتراكها السنوي خمسون قرشاً اميريًّا فنحث ارباب المطالعة على اغتنام ما فيها من الفكاهة والفائدة ونتمنى لها الثبات والرواج

السمير الصغير — هو اسم « مجلةٍ علمية تهذيبية صناعية تصويرية للتلامذة وتلميذات المدارس المصرية تصدر من جمعية التأليف العلمية » ثلاث مراتٍ في الشهر في اربع صفحاتٍ متوسطة . وقد وقفنا على العدد الثاني منها فوجدناهُ مشتملاً على عدة فصول مفيدة في الاغراض المشار اليها وقيمة الاشتراك السنوي فيها ٦ قروش للتلامذة في القاهرة و٨ في سائر القطر ولغيرهم ١٠ قروش في القطر المصري و١٢ في غيرهِ فنتمنى لها مزيد الانتشار

البيان

السنة الاولى — الجزء الثاني عشر

١٦ نوفمبر سنة ١٨٩٧

اللغة والعصر

(تابع لما قبل)

ومن ذلك وزن فُعالة بالضمّ وتأتي اسماً للبقية من الشيء كالشُفافة وهي بقية المآء في الاناء والعُفافة وهي بقية اللبن في الضرع والصُبابة وهي البقية من المآء واللبن والنُماظة وهي بقية الطعام في الفم والخُلالة وهي بقية الطعام بين الاسنان والحُتامة وهي بقية الطعام على المائدة والقُرارة وهي ما بقي في القِدر او ما لزق باسفلها من الطعام والقُرامة وهي ما التزق من الخبز بالتنور والخُصاصة وهي ما بقي في الكرم بعد قطافهِ والجُذامة وهي ما بقي من الزرع بعد الحصد والفُضالة وهي البقية من كل شيء . او لما يُنبذ من الشيء كالحُثالة وهي ما يخرج من الطعام من زؤانٍ ونحوهِ فيُرمَى بهِ والحُسالة وهي ما تكسَّر من قشر الشعير وغيرهِ والحُسافة وهي من التمر قشورهُ واقماعهُ وكِسَرهُ واللُفاظة وهي ما يُرمَى بهِ من الفم والنُفاثة وهي ما ينفثهُ المصدور من فيه والنُخامة وهي ما تخرجهُ بالتنخّم من بلغمٍ ونحوهِ والنُخاعة وهي قريبٌ منها والنُفاية وهي كل ما نفيتَهُ مما لا خير فيهِ والخُشارة وهي الرديء من كل شيء ومثلها الحُثالة والحُسالة

والخُسالة الى غير ذلك . أو ما يتساقط من الشيء كالنُشارة والنُحاتة والبُراية والخُراطة والنُجارة والبُرادة والسُحالة وهي بمعنى البُرادة والحُكاكة وهي ما سقط من الشيء عند الحك والقُراضة وهي من الجلد ونحوهِ ما سقط بالقرض والقُوارة وهي ما قوّرتهُ من الثوب او الاديم والقُلامة وهي ما قطعتهُ من الظفر والسُقاطة وهي كل ما تساقط من شيء . او لما يُستخلَص من الشيء كالعُصارة وهي ما يُستخرَج بالعصر والمُكاكة والمُخاخة وهي امتُصَّ من مخّ العظم والخُلاصة وهي ما خلص من السمن بعد التصفية والصُهارة وهي ما أُذيب من الشحم وغيرهِ والسُلافة وهي ما سال من عصير العنب قبل العصر والنُقاية وهي ما انتُقي خيار الشيء وكذلك النُقاوة . او لما يطفو على وجه الشيء كالطُفاوة وهي الزَبَد على وجه القِدْر والطُفاحة وهي بمعناها والدُواية وهي ما يعلو اللبن ونحوهُ كغرقئ البيض وهو القشرة الرقيقة تحت القشرة الصلبة والطُهافة وهي بمعناها والرُغاوة وهي بمعنى الرغوة وكذلك الرُغاية بالياء على حدّ النُقاوة والنُقاية والاصل فيهما الواو وانما ابدلوا منها ياء لمكان الضمة في اول الاسم ولهما نظائر اخرى . ويلحق بهذا نحو الطُفافة وهي ما فوق المكيال والرُباوة وهي ما ارتفع من الارض فوق مستواها والعُلاوة وهي اعلى الشيء والزُوادة وهي بمعنى الزيادة وحقيقتها ما جاء فوق القَدْر راوحوا فيها بين ابدال الضمة كسرة لتسلم الياء وقلب الياء واوًا للمحافظة على الضمّ قبلها والقياس الأول كما فعلوا في الصِياح والهِيام والخِيار وهو خلاف الرُذال وفي نحو بِيض جمع أبيض ونِيب جمع ناب من الابل فانهُ في تقدير فُعل بالضمّ او بضمتين على حدّ أُسد وأُسد وغير ذلك

وكثيرًا ما تُحذَف الهاء من فُعالة في غير المعنى الاول كما في الحُساف والحُثال والخُشار والرُذال والفُتات والحُطام والكُسار والدُقاق والرُفات وهو بمعنى

الحُطام والرُفاض وهو ما تحطم من الشيء فتفرق والجُفآء وهو ما يقذفهُ السيل من الزَّبَد والوسخ والغُثآء وهو بمعناهُ والقُماش وهو ما على وجه الارض من فتات الاشيآء وكالمُجاج وهو الريق ترميهِ من فيك وكذلك البُصاق والبزاق واللعاب والرُضاب والرُوال وهو زَبَد افواه الخيل واللُغام وهو زَبَد افواه الابل. ويكثر هذا البنآء في معنى ما انتشر من الشيء كالغُبار والبُخار والدُخان والعُثان وهو بمعنى الدُخان والعُكاب وهو الدخان والغبار والنُباغ وهو غبار الرحى والشُعاع وهو ما انتشر من ضوء الشمس والشُواظ وهو حرّ النار والشمس والأُوار وهو بمعناه والقُتار وهو ريح الشوآء ونحوهِ والصُماح وهو ريح العرق المنتن والصُنان وهو خبث ريح الابط وغير ذلك. وشذّ القَتام والعَجاج والهبآء فانها وردت عنهم بالفتح

ومن ذلك صيغة فِعالة بالكسر قال ابو البقآء في كلياته كلّ ما كان مشتملاً على شيء فهو في كلام العرب مبنيٌّ على فِعالة بالكسر نحو غِشاوة وعِمامة وقِلادة وعِصابة اه. وهذا هو المتعارَف بين اهل اللغة لكن يرد عليهِ نحو الدِعامة والعِضادة والعِبادة والصِمامة والوِسادة والهِراوة والعِلاقة والرِفاعة وهي خيطٌ يرفع بهِ المقيَّد قيدَهُ اليهِ والرِحالة وهي الخشب الذي يُحمَل عليهِ المريض وكل ذلك لا اشتمال فيهِ فالأولى ان يقال ان هذا البنآء موضوعٌ لكل ما يُتوصّل بهِ الى فعلٍ من الافعال فهو ذاهبٌ مذهب الآلة وهو لا يختصّ بما خُتِم بالهآء بل يستوي فيهِ المختوم بها والمجرد منها كالحِزام والرِباط والعِنان والزِمام واللِثام والقِناع والحِذآء والنِجاد والرِدآء والشِراع والقِياد والثِقاف وهو كثيرٌ ومنهُ اللِجام وان ادَّعى اهل اللغة انهُ معرَّب وهي من غريب الدعاوى مع ان العرب من اخصّ الامم بالخيل وأطولها لها مراساً. وكان ينبغي ان يذكرهُ الصرفيون

في صيغ اسمآء الآلات لانهُ كثيرًا ما يرادف الأبنية الميمية منها كالعِلاقة والمعلاق والحِمالة والمِحمَل والخِياط والمِخيَط والنِطاق والمِنطقة والسِراد والمِسرَد والقِياد والمِقوَد الى غير ذلك . على ان الرضيّ قد استدرك على ابن الحاجب بنآء فِعال في الآلات فاشار اليهِ من جانب الكلام لكنهُ لم يتعرض لذكر فِعالة وهما شيءٌ واحد كما عرفت . لايقال ان فعالاً وفعالة لا يطّرد بنآؤهما في هذا الباب فان الابنية التي نصّوا عليها لا تطّرد ايضًا لانهُ لا يقال مقواد مثلاً في مقود ولا مِسبَرة في مسبار ولا مِكنس في مكنسة وانما جعلوها قياسًا على معنى ان اسم الآلة لا يخرج عن هذه الامثلة الثلاثة على الجملة لا أن كل واحدٍ منها مقيسٌ من كل مادّة كما يظهر لك ذلك بالاستقرآء

ومنها مثال فَعِيل وهو كثيرًا ما يأتي بمعنى مُفاعِل واكثر ما يكون ذلك فيما دلّ منهُ على مشاركة نحو الشريك والعديل والمثيل والنظير والشبيه والعشير والصديق والخليل والنديم والسمير والجليس والرفيق والرديف والرصيف وهو كثير . ويرادفهُ فِعْل بالكسر كالمِثل والشِبه والخِلّ والرِدف والحِلف والنِدّ والطِبق . وربما جآء ولا مفاعلة كالدقيق والدِقّ والجليل والجِلّ والطحين والطِحن والذبيح والذِبح والخفيف والخِفّ والطليح والطِلح والتبيع والتِبع وكقولهم ثوبٌ دريس ودِرس اي بالٍ وشابٌّ غرير وغِرّ اي لا تجربة لهُ . الاّ انهُ لا يطّرد اجتماع الصيغتين بل كثيرًا ما تنفرد احداهما بالسماع دون الاخرى اذ لم يُسمع مثلاً الشِرك بمعنى الشريك ولا العِشر بمعنى العشير ولا الصِدق بمعنى الصديق وهلمَّ جرًّا كما انهُ ورد كثيرٌ من فِعْل ولم يُنقَل معهُ فعيل كالصِهر والسِلف[1] وهو

---

[1] ضبط السلف في القاموس بالكسر وبفتح فكسر وهذا الثاني من غريب التصرف في اللغة لان قياس هذه الكلمة الكسر كما بيناه وهو الاصل في ضبطها

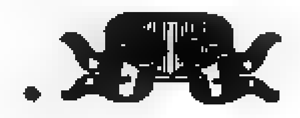
احد زوجي الأختين والصِنو وهو الاخ والتِرب وهو المساوي لك في السنّ والقِتل وهو العدوّ المقاتل وكقولهم هو حِدْث ملوك وحِدث نسآء وخِلب نسآء وطِلب نسآء وغير ذلك . ومن هذا قولهم العِبر وهو الشاطئ المقابل لك من الوادي واللِفق وهو احد جانبي الملآءة والعِطف وهو الجانب مطلقاً والفِلق وهو احد شِقَّي العود ونحوهِ . وربما جآء كلٌّ من الصيغتين لمعنىً كالشَقيق للأخ والشِقّ لأحد قسمي الشيء والقسيم لأحد المتقاسمين والقِسم لأحد اجزآء المقسوم والجنين للذي في البطن والجِنّ للخلائق المعهودة والصريف للفضة الخالصة والصِرف للخالص من كل شيء فميزوا بينهما بالتقييد والاطلاق . وشذّ من هذا الباب قولهم الخَصْم بالفتح بمعنى الخصيم اي المخاصم الا أن الخصم قد يكون لغير الواحد والمؤنث فظاهرهُ انهُ مصدرٌ في الاصل بل هو ما صرّح به صاحب لسان العرب لكن لم يجئ من الثلاثيّ بهذا المعنى الّا قولهم خَصَمَهُ بمعنى غلبهُ في الخصومة وتأولهُ في اللسان بانهُ على معنى ذو خَصْم اي ذو غلبةٍ في الخصومة وهو بعيدٌ كما تراهُ

ويتصل بما تقدم مجيء ألفاظٍ من فعيل مجموعةً على أفعال كشريف وأشراف ومجيد وأمجاد وبريء وأبرآء ويتيم وايتام وهي مما صرّح شرّاح الالفية فيهِ بالشذوذ وتبعهم صاحب تاج العروس وغيرهُ . والتحقيق أن ما جآء كذلك انما

والمتعارف في كلام العرب ان ماكان على فعل بفتح فكسر يجوز نقله الى فعل بكسر فسكون وذلك في الالفاظ الجامدة نحو كبد وكبد ومعدة ومعدة وقطران وقطران والاول لغة الحجاز والثاني لغة تميم واما العكس فلم يسمع الا في هذه اللفظة وكأنه على تناسي الوضع كما قالوا في جمع مسيل امسلة ومسلان على حد ارغفة ورغفان وفي اللغة من امثال هذا شيء كثير مما لا محل للافاضة فيه في هذا الموضع

هو جمعٌ لفِعل بالكسر الذي هو مرادفٌ لفعيل على حدّ قولهم في جمع شبيه ومثيل أشباه وامثال وانما هما جمع شِبْه ومِثْل كما لا يخفى ولو ارادوا جمع شبيه ومثيل لقالوا شُبَهآء ومُثَلآء على ما هو القياس . الاّ ان لفظ فِعْل في هذين المثالين محقق لوروده في استعمالهم وفي الامثلة السابقة متوهَّم لانهُ لم يجئ في شريف شِرْف ولا في مجيد مِجد وهلمّ جرًّا ولكنهُ لما كثر في كلامهم توارُد هاتين الصيغتين توهموا مع كل فعيلٍ فِعلاً وان لم ينطقوا بهِ . ويزيد ذلك صراحةً قولهم في النسبة الى الربيع والخريف رِبْعيّ وخِرْفيّ بالكسر فيهما مع انهُ لم يرد الربع ولا الخرف في كلامهم بهذا المعنى ولذلك صرَّح علمآء اللغة في هذين بالشذوذ ايضاً وهما مما ذُكر . والذي اوردناهُ هنا لا يختصّ بصيغة فعيل ولكنهُ ورد في غيرها ايضاً كقولهم في جمع قاعد قعود وفي جمع راهب رُهبان وفي جمع خالٍ للعَزَب أخلآء وفاعل لا يُجمَع على فُعول ولا فُعلان ولا أفعال وانما هي جمع فَعْل بالفتح الذي هو اسم جمع لفاعل وان لم ينطقوا باسم الجمع من هذه الالفاظ ولكنهم قاسوها على ما ورد ذلك فيهِ كقولهم في جمع جالس جلوس وفي جمع راكب رُكبان وفي جمع صاحب اصحاب وانما هي على الحقيقة جمع جَلْس ورَكْب وصَحْب جمعوا الاول على حدّ قلب وقلوب والثاني على حدّ ظَهر وظُهران والثالث على حدّ فَرْخ وأفراخ وان كان هذا الاخير نادرًا وهذا كلهُ من دقيق اسرار اللغة فتنبّه

ستأتي البقية



مقالة في التربية

لحضرة الكاتب الفاضل عبد الله افندي المراش نزيل مرسيليا

(تتمة ما في الاجزاء السابقة)

هذا في امر العرام وما يصدر عنهُ من الخطايا اليسيرة والهنات والترّهات الزهيدة فان تجاوز الولد ذلك الى حدّ الغلطة او ارتكب خطيئةً لا يُستطاع ان يُقام عليهِ من اجلها حدٌّ طبيعيٌّ من جنسها فثمَّ ذرائع اخرى لاقامة الحدّ عليهِ يُحاكى فيها فعل الطبيعة على قدر الامكان ويُركن منها ان غلطتهُ هي التي اوجبت قصاصهُ وان هذا القصاص عاقبة تلك الغلطة . ان اطال لسانهُ او رفع يدهُ على احدٍ فألجئهُ ولو بالقهر ان يعتذر الى من اخطأَ في حقهِ ويستغفرهُ ثمَّ باعدهُ مدةً ليُركن ان فعلتهُ تلك هي التي جنت عليهِ ما يراهُ من امتعاضك وسخطك فانهُ ان كان يحبّك كما ينبغي لتيقّنهِ في غير ذلك من الاحوال انك تحبّهُ وتنصح لهُ وتحذّرهُ سوء العواقب وتدفع عنهُ الموبقات كانت مباعدتك اياهُ وموجدتك عليهِ في هذهِ الحال اشدَّ مضضاً عليهِ وانجع فيهِ من تأديبك اياهُ بالضرب

فان ارتكب خطايا اعظم من هذه وترقى مثلاً الى اقتراف ذنب السرقة فعاقبهُ اولاً بالعقاب الطبيعيّ اي ألجئهُ الى ردّ السرقة او تعويضها من مالهِ ان كان لهُ مالٌ او كنت تعطيهِ فلوساً من وقتٍ الى وقتٍ ليدّخرها كما جرت عادة بعض الآباء ثم اقم عليهِ ثانياً الحدّ الاصطناعيّ اي عزّرهُ وأنّبهُ وباعدهُ او احبسهُ في حجرتهِ مدةً ما . فان عاود الجريمة فزدهُ التأديب بالضرب ايضاً ولكن لا تضربهُ ضرباً مبرّحاً من غير ضرورةٍ بل اجعل القصاص على مقدار ذنبهِ لا على مقدار سخطك . فان ارتكب خطايا يُخشى ان تفضي عواقبها الى هلكتهِ او الاضرار بجسمهِ اي ان لعب بالسلاح او حاول القفز من شاهقٍ

او همَّ بتناول شيءٍ سامٍ او تصدَّى لغير ذلك من الافعال التي عاقبتها اعني عقوبة الطبيعة عليها ذات خطرٍ على حياتهِ فحذّرهُ سوء العقبى منها ومرهُ بالكفّ عنها فان لم يرعوِ ولم ينتهِ تعيّن عليك حينئذٍ ان تكفّهُ عنها بالقوّة المجبرة

اما الشوائب والعيوب الطبيعية فقد ذكرنا في اول هذا الفصل ان طريقة اصلاحها حمل الولد بالرفق والملاينة على الاقلاع عنها بملازمة المناقب التي تضادّها فلا حاجة الى الاعادة

وكلّ الامثلة المتقدّمة تدلك على الطريقة التي يجب عليك ان تحتذيها في تقويم سيرة الاولاد وتدميث اخلاقهم ومعاقبتهم على الخطأ وحملهم على الاقلاع عن العادات الذميمة فقِسْ عليها نظائرها ولكن لا تستنتج ان في ذلك علاجاً فعّالاً لا يكذب في حالٍ من الاحوال . فلعمري ان بعض الخلال المستهجنة قد تكون موروثةً من الآباء بل من الجدود فيتعذّر اصلاحها حتى لا نقول يستحيل وبعضها وان لم تكن موروثةً فقد يحول دون اصلاحها حائل طبيعيٌّ من بنية الولد او من مزاجهِ . وكثيرًا ما نشاهد اولادًا تتساوى شروط تربيتهم وتتفاوت مع ذلك اخلاقهم لتلك العلّة وقُصارَى ما يستطيعهُ المربّي في هذا الموطن هو ان يقوّي ما رُكِزَ في جبلة الولد من جراثيم الصلاح بقدر الطاقة املّها تتغلب على ما فيهِ من جراثيم الطلاح

ثم انهُ من المحال ان تترقب ان يكون الولد اليافع او ابن العشرين كاملاً في خَلقهِ وخُلقهِ كالكهل او ابن الستّين وهب ان ذلك ممكنٌ فلا تتمنّهُ بل اقنع بما تيسّر لان الولد الذي يبلغ من درجة الكمال ما يبلغهُ الكهل المحنّك هو بمنزلة الولد الذي تشبّ قامتهُ قبل الوقت فانهُ كثيرًا ما يموت مختضرًا وان عاش عاش سقيماً وكذلك الولد الذي يسرع نضج ذهنهِ قبل ابّانهِ فانهُ يُفرِغ ما

في وطابهِ وهو حدَثٌ ثم يقف

وبعد هذا وذاك فلا ترجُ ان يبلغ حدَّ الكمال المطلَق احدٌ من الناس لان ذلك غير ممكن في ايامنا هذه

واعلم بانّك ان اردتَ مهذَّبًا رمتَ الشطط

الخاتمة

قال احد الفلاسفة ان فطرة الولد مركّبة من متضادّاتٍ لا تفتر عن اثارة معتركٍ بين نفسهِ وجسدهِ وان شئت قلت بين ما فيهِ من صفات الملَك وصفات الحيوان او الطبائع السماويّة والطبائع الارضية. وان احدى جهتيهِ هاتين لا تزال راجحةً تارةً ومرجوحة اخرى حتى اذا تغلبت احداهما على الاخرى تغلبًا بيّنًا رسخ هو اما في الصلاح واما في الطلاح رسوخًا نهآئيًّا وانبنت سائر افعالهِ بعد ذلك على الركن الذي رسخ عليهِ وان غاية التربية ان تظاهر جهة الصلاح حتى يكون لها الغلب على جهة الطلاح

وقال آخر ان غرائزهُ الحيوانية هي التي تستولي عليهِ في اول الامر وتصدهُ عن ان يشعر بشيء غير ما يقع تحت حواسّهِ بحيث لا يدرك سوى المحسوسات المادّية وفيها تجول خواطرهُ الآخذة في النشوء بحثًا واستقصآء حتى لا يرى في غيرها علةً ولا معلولاً وتكون لهُ هي غاية المنى ومنتهى السؤل ولكن اذا اعانتهُ التربية فانبلج لهُ صبح العقل وتمزّقت عنهُ غياهب الجهل واستنارت قوى نفسهِ بعد ان كانت في ظلمةٍ مدلهمةٍ انعكس الامر فنشط هو من عقال المادّة وتأتى لهُ ان يدرك المعقولات واصبح يفهم معنى وجودهِ في عالم الانسانية بل ان ما كان يخيَّل لهُ قبيل ذلك ان بهِ لا بسواهُ قوام هذا الوجود رآهُ بنظر العقل غير ما كان يتوهمهُ وتيقن انهُ لم يكن بالاضافة الى الحقيقة الاَّ كالقشر

بالاضافة الى اللب وانهُ هو نفسهُ كان مخدعاً بحلمٍ باطل او خيالٍ زائل

وقال ثالث ان الانسان الذي تغلب اخلاقهُ الخسيسة على الشريفة يكون منحطًا في درجة الانسانية وان الذي يستولي عليهِ الهوى لا يبقى لهُ هدًى وان الذي تسترقّهُ الشهوات يُحجَب عن نفسهِ نور العقل حتى تنغمس في الظلام فاذا زحزحت التربية ذاك الحجاب الكثيف بزغ العقل على نفسهِ كما تبزغ الشمس على الدنيا من وراء الغمام وتنير ساكنيها بنورٍ لا يخبو ولا ينقطع الاَّ عمَّن يحوّل عنهُ وجههُ وتلاشي الهوى كما يتلاشى الشهاب الذي يسطع في الليل طرفة عينٍ ثم يغيب فلا يُعرَفُ من اين اتى ولا الى اين مضى ولا يُدرَى لهُ حركةٌ مطّردة ولا اسيرهِ اتّجاهٌ معلوم

وقالوا جميعًا ان مَن تقيهِ التربية من تغلُّب هواهُ على عقلهِ ومن رجحان صفاتهِ الحيوانية على صفاتهِ الانسانية يتسنى لهُ ان يقمع شهواتهِ كافةً او يعدّلها بحيث لا يبقى معها عبدًا للخوف الكاذب ولا زبونًا للامل الخائب ولا يعضّهُ حسد الحسّاد ولا يفجعهُ الحزن ولا يستطيرهُ الفرح بل يسير بسكينةٍ في سبيل العمر وهو غير مبالٍ بالوجدان ولا مكترثٍ بالحرمان كما تسير الشمس في مدارها ولا تبالي بالريح عصفت ام ركدت ولا تعبأ بالغيوم تراكمت ام انقشعت . انتهى

العرب

(تابع لما قبل)

اما صفات الأعراب الادبية فلم تتغيّر عما كانت عليهِ في زمن جاهليتهم

قد وافقوا الوحش في سكنى مراتعها وخالفوها بتقويضٍ وتطنيبِ

فهم كما تقدم قبائل ظعنٌ غُزاةٌ تضرب في البيد انتجاعاً لموارد الكلإ وارتياداً

للسارح الطيبة والماء يؤثرون شظف العيش وخشونة البداوة على الترف ورقة الحضارة فهم اقرب الى الفطرة الاولى وابعد عما ينطبع في النفس من سوء الملكات التي يدعو اليها تنازع البقاء في المدن الكبيرة لا يكذبون ولا يمكرون ولا يداهنون ولا يوالسون ولا يُفحِشون في القول ولا يقيمون على الخسف ولا ينكثون العهد ولا يصبرون على ثأر حتى ينتقموا من عدوّهم بما جنت يداهُ قال عمرو بن كلثوم

الا لا يجهلنْ احدٌ علينا   فنجهل فوق جهل الجاهلينا

ولعلّ ذلك ناشئٌ فيهم عن بعدهم عن القضاء لانهم لو كانوا يعانون الاحكام لفسد البأس فيهم . ومن محامدهم الكرم والجود فهم يضيفون نزلاءهم قلُّوا ام كثروا لا يسألونهم جهة القصد قبل ثلاثة ايام وكلما طرق زائر انحاز الى الضيافة . ومن عوائدهم الطواف على الحضور بقهوة البن دفعاتٍ متوالية وهم لا يسكبون في الفنجان الاّ ما يكفي ثلاث جرَع فان ملأوهُ وجب على الضيف الرحيل لان ذلك علامة الحقد . ولهم في الكرم اريحيةٌ غالبة تُروَى عنها احاديث مأثورة وحسبك شاهدًا على ذلك انهم يوقدون نارًا يسمونها نار القرى ليعشو اليها الضيوف قال حاتم الطآئي يخاطب عبدًا لهُ

اوقد فان الليل ليلٌ قرٌّ   عسى يرى نارك من يمرُّ
ان جلبت ضيفًا فانت حرُّ

ويستدلون بنباح الكلاب على قدوم الضيف وربما استنبح في الليل البهيم اذا ضلّ لتجاوبهُ الكلاب فاسرعوا اليهِ قال ارطاة بن سهية في بعض افتخارهِ

واني لقوّامٌ الى الضيف موْهِنًا   اذا اغلق السترَ البخيلُ المواكلُ
دعا فأجابتهُ كلابٌ كثيرةٌ   على ثقةٍ مني بما انا فاعلُ

وما دون ضيفي من تلادٍ تحوزهُ   يد الضيف الا أن تصان الحلائلُ

ومن محامدهم صيانة العرض وقصر النسآء في اخدارهنّ فاذا ارتحلوا من مكان الى آخر حملوهنّ في الهوادج واحتاطوا بهنّ . ومن عوائدهم انهم يُشهِدون نسآءهم الحروب ويقيمونهنّ خلف الرجال ليقاتلوا مستبسلين في الدفاع عنهنّ فلا يمثلوا مخافة العار بسبي الحرم قال عمرو بن كلثوم التغلبي

على آثارنا بيضٌ حسانٌ   نحاذر ان تُقسَّم او تهونا
اخذنَ على بعولتهنّ عهدًا   اذا لاقوا كتائب مُعلمينا
ليستلبُنَّ أفراسًا وبيضًا   وأسرى في الحديد مقرّنينا
يَقُتْنَ جيادنا ويقلنَ لستم   بعولتنا اذا لم تمنعونا

وقد بلغ من شدة محافظتهم على العرض وخوفهم من عار الفضيحة انهم كانوا يئدون البنات اي يدفنونهنّ احيآء مع انهم لا يسيئون معاملة النسآء ولا يمتهنونهنّ ولا يستخفّون باقدارهنّ وكثيرًا ما نبغ فيهنّ من ذوات الحصافة في الرأي والبسالة في المعارك والبلاغة في نظم الشعر من يفتخرون بهنّ ومن الشواهد القريبة على ذلك ان احدى البدويات واسمها غالية كانت زعيمةً على قبيلةٍ منهم في حرب القائد الباسل المشهور ابرهيم باشا مع الوهابيين

اما الحضر فهم اخلاطٌ من العرب والامم التي تغلبوا عليها من سائر اجيال البشر بعد ان جمع الاسلام كلمتهم وفرّق الشقاقُ الرومَ فاستباحوا مدنهم وخضدوا شوكتهم ودحروهم عن سوريا ومصر وبعد ان استتبَّ لهم الغلب على ملك القياصرة اجتاحوا دولة الاكاسرة

فبات ايوان كسرى وهو منصدعٌ   كشمل اصحاب كسرى غير ملتئمِ

ثم تقدموا من جهة آسيا الى الهند والسند فالصين ومن جهة افريقيا الى

اوربا حتى اواسط فرنسا وكان النصر موطأ الاكناف لهم اينما توجهوا فثبتت اقدامهم في جميع الامصار وامتزجوا بشعوبها منذ القرن الاول للهجرة وتألفت منهم في آسيا وافريقيا واوربا دول بلغت من الحضارة والمدنية وفخامة الملك وبسطة العمران ما لم يبلغهُ سواها في غابر الزمان وكلها لم تثبت على غير الدهر وطوارق الحدثان فأُديلت بغيرها ولم يبقَ للامة العربية من باقي مجدها وسالف فخرها الا هذه اللغة التي تتنازعها عوامل الفناء من جميع الجهات . ومعلومٌ ان اللغة من اخصّ ما تتميز بهِ امةٌ عن اخرى وهي انما تقوم بالذين ينطقون بها وتثبت بثباتهم وتتغير طرق التفاهم بها بتغير عوائدهم واختلاف منازعهم وتباين مقاصدهم واذا كان الذين يتكلمون بهذه اللغة اشتاتاً متفرقين بين امم سبقتهم في حلبة تنازع البقاء كما هو ثابت بالعيان فلا بدع ان كان مصير هذه اللغة الى ما نراهُ من الانحطاط حتى صار اهلها يستنكفون من التكلم بها ولا يعولون في قرآءة العلوم التي نبغ فيها اسلافهم الاّ على لغة اجنبية فالذي يؤثر التعمق في علم الشريعة مثلاً لا يُعدّ بارعاً مستحقًّا للشهادة الاّ متى درس هذا العلم في اللغة الفرنسوية وكفى بذلك برهاناً على انحطاط الامة العربية في هذا العصر

على ان انحطاط العرب من حيث الخصائص المعنوية اشدّ اثرًا في اخلاقهم من حيث الخصائص الحسية ولا سيما في الامصار التي تغلبوا فيها على الاجيال الراقية في سلم البشرية كما في سورية حيث امتزجوا بالاراميين والعبرانيين وهم اخوان لهم بالمحتد والروم وهم من السلائل الراقية كما سيجيء فنشأ ثمَّ امةٌ ممتازة متفردة بمحاسن الصفات . واذا نظرت الى الحضر في جميع انحاء سوريا تبينت شيئاً من الاختلاف في السحنات والعادات مرجعهُ الى تأثير الاهوية واختلاف مواقع البلدان في الغالب مع ما رسخ من ذلك بالوراثة . على ان

قاعدة هذا القطر دمشق واهلها هم مثال الامة العربية المتمصرة المتمدنة العريقة في المحتد الممتازة بشرف السؤدد . هناك ترى العنصر العربي متغلباً وحالة المدنية لم تزل على ما كانت عليه في ايام الدولة الاموية غير متغيرة الآ قليلاً لان الدمشقيين ثبتوا على عوائدهم القديمة فلم تؤثر فيهم الاحداث الغريبة

بيض الوجوه كريمةٌ احسابهم   شمّ الانوف من الطراز الاول

فترى سيماء النجابة وامارات الترف والنعيم بادية على سحناتهم وهيئاتهم كأن نضارة



سوق من اسواق دمشق

بلادهم تبارت مع غضارة عيشهم فتهيأ بهما الاستعداد الطبيعي لقبول انبساط النفس على اتم صورة لذلك كان الدمشقيون حسان الخَلق لونهم البياض المشرب

بحمرة رؤوسهم الى الشكل المستدير وعيونهم نجل سود طويلة المدب وافواههم صغيرة وشفاههم رقيقة واسنانهم صلبة قوية ناصعة البياض وقدودهم ربعة الى السِمَن مترهلة العضل غالبًا ومزاجهم دموي بلغمي واخلاقهم على جانب من اللطف والدماثة والكياسة واللين والموادعة ويغلب عليهم حب الملذات والتأنق بالمطعم والملبس وهم شديدو التمسك بالعقائد الدينية الّا انهم اقل تعصبًا من سائر السوريين

ولا يسعنا في هذه العجالة ان نأتي على وصف الحضر في سائر الامصار السورية لما يقتضيهِ من التطويل الذي يضيق عنهُ المجال في هذا المقام كما اننا لا نرى ندحة لاشباع الكلام عليهم واستقرآء احوالهم واستيفآء البحث عن طباعهم وعوائدهم واخلاقهم في سائر الامصار التي يوجدون فيها فنجتزئ بالالماع الى ما طرأ عليهم من التغير لامتزاج الدم العربي بغيرهِ من الاجيال المختلفة . فقد اختلطوا في مصر بالقبط فتألفت الامة المصرية على ما سبق لنا بيان ذلك في الجزء الثاني من هذه المجلة . واختلطوا في افريقيا بالزنج والحبشة كما اختلطوا بهم في العربية من قديم الزمان فتغلب العنصر الزنجي كما يرى في اليمن . وامتزجوا في افريقيا الشمالية بالبربر على ما سبق لنا بيانهُ في هذه المجلة ايضاً . واختلطوا في اوربا بالسلالة اللاتينية بعد تغلبهم على الاندلس الّا انهم انقرضوا منها الآن فلم يبقَ الّا اثر الدم العربي في قبائل من الاسبان والبرتوغال بدليل ما يُرى من المشابهة في ملامحهم وهيئاتهم وطباعهم وما في لغاتهم من الالفاظ العربية الى غير ذلك . واختلطوا بالمغول في ملقّا وجزائر السند والصين وغيرها واول من دخل الصين من العرب سريّة مؤلفة من ٤٠٠٠ جندي انفذها الخليفة ابو جعفر المنصور سنة ٧٥٥ م لنجدة امبراطورها تسو تسنغ فتوطنوها وتعاقبوا فيها

فتكاثروا وهم الآن يبلغون ملايين عديدة الآ ان العنصر المغولي غالب عليهم . واختلطوا في الهند بالهنود وفي العجم بالفرس وبناء عليهِ كثر الاختلاط بين الحضر في السحنات والعوائد والاخلاق وكانت الارجحية للعنصر الغالب والله اعلم

معرفة ايام السنة

ننشر ما يأتي من رسالة وردتنا في هذا المعنى من حضرة موقعها الفاضل قال

قد وجدت طريقةً لمعرفة ايام السنين الماضية والآتية سهلة ومضبوطة جدًّا بدون تطويل مملّ وحساب مملّ كباقي الطرق التي عثرت عليها من قديمة وجديدة وهي مرسلة بأمل نشرها في مجلتكم الغرّاء ليعم نفعها. والطريقة هي ان تكتب

يناير ٣	فبراير ٦	مارث ٦	ابريل ٢	مايو ٤	يونيو ٠
يوليو ٢	اغسطس ٥	سبتمبر ١	أكتوبر ٣	نوفمبر ٦	دسمبر ١

ثم تكتب هذه الاحرف ا ب ج د . فحرف الالف يوضع تحتهُ عدد اليوم المطلوب معرفتهُ من الشهر . وحرف الباء يوضع تحتهُ العدد المقابل للشهر من الجدول المتقدم . وحرف الجيم يوضع تحتهُ عدد السنة المطلوبة . وحرف الدال يوضع تحتهُ الخارج التقريبي لقسمة السنة على اربعة . ثم تجمع هذه الاعداد وتقسم على عدد ايام الاسبوع اي ٧ فان كان الباقي صفرًا كان اليوم المطلوب معرفتهُ هو يوم السبت وان كان واحدًا كان يوم الاحد او اثنين كان يوم الاثنين وهكذا

مثلاً اذا اردنا ان نعرف ما هو اليوم الواقع فيهِ اول نوفمبر سنة ٩٧ نجري العمل هكذا

ا ب جـ د

١ + ٦ + ٩٧ + ٢٤ = ١٢٨ | ٧

٧ ١٨

٥٨

٥٦

٢ هذا الباقي هو يوم الاثنين اعني اول نوفمبر سنة ٩٧ . وهكذا في السنة القبطية اعني

توت ٢ بابه ٤ هاتور ٦ كيهك ٨ طوبه ٣ امشير ٥ برمهات ٧

برموده ٢ بشنس ٤ بؤونه ٦ ابيب ٨ مسري ٣ ايام النسي ٥

اما في السنة الكبيس فيُحذف عدد ١ من علامة الشهر ثم يجرى العمل على ما ذكر قبلاً ونسأل الله ان يفتح علينا بالتاريخ العبري والفارسي انهُ سميع الدعآء ومجيب الندآء

قاسم هلالي

مهندس بعموم ري وجه قبلي

بالمنيا

النزلة الصدرية

كثر الآن تفشي هذه العلة في مصر على اثر تغير الاحداث الجوية من الصيف الى الخريف شأنها في كل سنة بعد وافدة سنة ١٨٨٠ فآثرنا ان نبيّن لقرآء مجلتنا حقيقتها قاصرين البحث فيها على ما تهمّ معرفتهُ تبصرةً للعامة وذكرى للخاصة فنقول

لا شك في ان النزلة الصدرية كانت معروفةً قديمًا فقد ذكرها اطباء العرب مع الزكام وعرّفوها بانها تجلب الفضول الرطبة الى الحلق والى الرئة والصدر . اما حدوثها وافدةً فقد ذكرهُ اطباء الافرنج لما تفشت في رومة سنة ١٥٨٠ واودت بحياة ٩٠٠٠ نفس وسموها بالانفلونزا وهي لفظة طليانية مدلولها تأثير الاحداث الجوية وزعموا ان منشأها الاصلي في الشرق وانها لم تنتشر منذ القرن الثامن عشر الاّ من انحاء روسيا وان وافدة سنة ١٨٨٩ — ١٨٩٠ ظهرت اولاً في بخارا . ومن الغريب انها تسير على خطة واحدة من الشمال الى الجنوب ومن الشرق الى الغرب ويتوقف تفشيها على حدوث التغيرات الجوية اذ تنخفض درجة الحرارة عن المعدل المتوسط ويصير الهوآء رطباً وقد اثبت الباحثون ان البارومتر ارتفع عن معدلهِ المتوسط ابّان تفشي الوافدة المشار اليها في باريز وفينا وبرلين وبروكسل فبلغ درجة ٧٦٠ وكان على ٧٥٥ . ومن الثابت الآن ان هذه العلة شديدة العدوى تنتقل من شخص الى آخر ومن الانسان الى الحيوان وبالعكس ومن المواد الحاملة جراثيم العلة الى الانسان . والهوآء يحمل جراثيمها فتنتشر بهِ وربما انتشرت بالمآء ولكن قابلية العدوى تختلف بحسب الاستعداد كما في سائر الامراض الخصوصية فلا يصاب بها الاّ من كان مزاجهُ مستعدًّا لقبول الاصابة

ومن المحقق الآن ان لكل علةٍ وبيلةٍ معديةٍ جرثومةً خصوصية يمكن استفراخها واحداث العلة الناشئة عنها بتلقيح المادة المستفرخة في جسم الحيوان اما جرثومة النزلة الصدرية الخصوصية فلم تُكتشَف حتى الآن وانما كُشف في نُفاثة الذين اختلطت فيهم هذه العلة بالتهاب رئوي شُعَبي على جُسيمات محببة يربطها بعضها ببعض سلك كما في السبحة وذلك مثل ما يُرى في جرثومة ذات الرئة

وقد ثبت ان لهذه العلة مدة محاضنة من بضع ساعات الى يومين او ثلاثة ايام واعراضها في الغالب خفيفة لا يُعبأ بها الا اذا كان ثمَّ امراض مزمنة ولا سيما في الرئتين . وهي تختلف باختلاف شكل العلة من حيث تأثيرها إما في غشآء المسالك التنفسية المخاطي فيحدث عطاس وزكام وسعال يكون في اول العلة جافًا وينضج في آخرها . او في غشآء المعدة والمعى المخاطي فتفقد شهوة الطعام ويتغطى اللسان بطبقة وسخة وقد يحدث اسهال . او في النسيج العصبي فتتغلب الاعراض العصبية من مثل الصداع والم المفاصل والقَطَن والتهيج الى غير ذلك . وكثيرًا ما تجتمع هذه الاشكال الثلاثة في الحادثة الواحدة فيتولد منها شكل مشترَك يكون اشدها ضررًا بصحة المريض . وفي بعض الوافدات تتغلب اعراض شكل دون آخر كما حدث في وافدة سنة ١٨٩٠ اذ تغلبت اعراض الشكل المعدي المعوي فتوهم بعض الاطبآء ان هذه العلة انما هي الدنج والفرق بين العلتين لا يخفى على نطس الاطبآء فضلاً عن الذين ذاقوا تباريح كلٍّ منهما على حدةٍ فحمَّى الدنج انما هي حمى خصوصية نفاطية يظهر النفاط فيها دفعتين الاولى في بدآءة العلة والثانية عند نهايتها وينتهي النفاط الثاني بقشور تنسلخ عن البشرة . اما النفاط في النزلة الصدرية فنادر الحدوث واذا حدث لا يتقشر والاعراض العصبية في حمى الدنج تختلف كثيرًا عما هي في النزلة الصدرية فالصداع في النزلة يكون في الغالب خفيفًا كسائر الاعراض العصبية اما في حمى الدنج فهو ليس صداعاً ولكنهُ احساس بثقل في الرأس لا ينساهُ من ابتلي بهِ مرةً فالمصاب بهِ لا يستطيع ان يرفع رأسهُ عن وسادتهِ واذا فعل شعر بأن الغرفة تخسف بهِ . وسائر الاعراض العصبية في هذه الحمى قوية ولا سيما وجع الركب ولذلك سميت بالدنج وهي لفظة هندية معناها ذات الركب على

نحو ما يسميها العامة وقول بعضهم ان اصل لفظة الضنك لا صحة لهُ ولو كان صحيحاً لذكرهُ اطباء العرب . وحمى الدنج تبتدئ فجأة لا تسبقها اعراض منذرة خلافاً للنزلة الصدرية التي تدلّ عليها مدة الحضانة واعراض الزكام كما تقدم . والحمى في النزلة الصدرية قلما تبلغ ٣٩° — ٤٠° وتبقى على هذه الحالة مدة ٣٦ ساعة ثم تنحط الى درجة الصحة

واخص اعراض النزلة الصدرية الزكام والسعال وغير ذلك من علامات اصابة الجهاز التنفسي ولا شيء من ذلك في حمى الدنج . ومنشأُ حمى الدنج المنطقة الاستوآئية حيث هي متوطنة إمّا في اميركا الجنوبية او في سواحل الاوقيانوس الهندي والبحر الاحمر لا تنتشر من ثمَّ الّا متى حدثت احوال خصوصية تلائم انتشارها كما حدث سنة ١٨٧٥ حيث امتدت الى ٢٤° من العرض الشمالي حتى الى ٥٦° فلم يسلم منها في بيروت الا القليل ولكنها لم تمتد الى جبل لبنان فلم يُصَب بها من سكانهِ الا الذين نزلوا الى تلك المدينة . اما النزلة الصدرية فمنشأها الجهات الشمالية كما تقدم وقد توفّدت في وافدة سنة ١٨٩٠ عند حدود الجهات التي تنشأُ فيها حمى الدنج فلم تتعدّها وكثيرًا ما امتدت الى جميع انحاء جبل لبنان وكانت اشد فيهِ مما في المدن والسواحل . ثم ان حمى الدنج لا تظهر الا وافدةً خلافاً للنزلة الصدرية التي صارت متوطنة تظهر في كل سنة وان ظهرت وافدةً في بعض الاحيان . ولا يُنكَر ان هناك اعراضاً مشتركةً بين العلتين على ان مثل ذلك يرى في كثير من الامراض المتشابهة فلا مساغ للقول بان هذه العلل تتنوع وتتخفف وتتحول جراثيمها من نوع الى آخر متدرجةً بالارتقاء والنشوء اذ لو ثبت ذلك لترتب عليهِ انكار الحقائق الراهنة التي اثبتها بستور الشهير ببرهان التجربة والامتحان وجرى عليها علماء العصر واخصها ان كل نوع من

الاحياء قائم بذاتهِ لا ينشأ من غيرهِ بطريقة التولد الذاتي ولا يتحول الى آخر وعلى الجملة فان كل حيّ انما يتولد من حيّ مثلهِ

وحاصل القول ان النزلة الصدرية علة سليمة لا يخشى منها الا على المصابين بالعلل المزمنة واخصها الامراض الصدرية على انها من الامراض المتكسة يطول النقه فيها ويعظم خطرها على الشيوخ فيجب ان لا يهمل امرها واحسن الوسائط العلاجية فيها تدفئة المريض وحصرهُ في غرفة دافئة لا يتعرض فيها للبرد والرطوبة ولا يؤذن لهُ في الخروج منها الا بعد شفائهِ التام ويعطى المناقيع الحارة ويمنع من التخليط ويُقصَر على اللبن طعاماً ويوافق اعطاؤهُ مسهلاً ملحيًا وعند اللزوم الكينا والانتيمون ان لم يكن مصاباً بعلة قلبية ويفيد استعمال كلورهدرات النشادر وكربونات النشادر مع بعض الاشربة المنفثة والمسكنة لتلطيف السعال . اما العلل الثانوية التي تختلط بها هذه العلة فلكل منها علاج خصوصي يستدل عليهِ مما تقتضيهِ الاحوال والله الشافي

فائدة الكلوروبروم في تسكين الامراض العقلية

لحضرة النطاسي الفاضل الدكتور اسكندر افندي جريديني في نيويورك

الكلوروبروم دواءٌ حديث العهد والاستعمال مؤلف من مقادير متساوية من بروميد البوتاس والكلورَلمد[1] واول من استعملهُ الدكتور كارترس من كلاسكو لتسكين اعراض الدُوار فصادف على ما قيل نجاحاً عظيماً ثم عمموا استعمالهُ في الامراض العقلية فثبت بعد التجربة والتدقيق الطويلين انهُ من انجع الادوية المنوّمة في كثيرٍ من امراض العقل كالمنخوليا البسيطة والجنون الحادّ

(١) اسم المزيج مركب من جزء ٢ كلورال و ١ فورماميد

والمزمن ودآء الصرع والأرَق والاضطراب الذي يتولى اصحاب الاشغال العقلية والتجارية

اما طريقة تركيبهِ واستعمالهِ فهي ان يُذاب ٣٠ قمحة من كلٍّ من البروميد والكلورَلَد في اوقية مآء تُعطى دفعةً واحدةً قبل النوم وقد تزاد الجرعة الى مثل نصفها او اكثر اذا اقتضت الحال استعمالها فينام العليل بعد ثلاثة ارباع الساعة من تناول الدوآء نوماً هادئاً تختلف مدتهُ بين خمس الى تسع ساعات

واذكر اني يوم كنت في بيمارستان حكومة كنتكي عُهد اليَّ في دائرة المعاون الاول ان اشارف على جملة من المصابين بالمخوليا والجنون والارق والصرع المرافق لاختلال العقل فاستخدمت لتسكين هيجانهم المنوّمات الشائعة الاستعمال كالبروميد والكلورال والسلفونل والبارلدِهَيْد ثم جربت الكلوروبروم فكان انجحها علاجاً واسلمها عاقبةً للاسباب الآتية

(١) انهُ اسلم مغبَّةً على القلب والدورة من بروميد البوتاس والكلورال (المؤلف منهما الكلوروبروم) منفصلين

(٢) لم يعقب استعمالهُ صداعٌ ولا خلل في القناة الهضمية كما يحدث من استعمال البارلدهيد

(٣) اذا تناولهُ العليل وقت المنام فلا يُضطرّ الى تكرارهِ في النهار لتخفيف ما يبدو هنالك من الاعراض المتنوعة كالصراخ والعربدة وكثرة الكلام الخ

هذا ما وصل اليَّ من ابحاث ارباب التدقيق والعمل وقد توخيت متابعتهم في هذا السبيل فوجدت ان الكلوروبروم هو خير ما سمحت بهِ يد العلم في تسكين اغراض الجنون على نحو ما سبق بيانهُ وهو امر يجدر باطبآئنا الوطنيين ان يطرقوا بهِ باب التحري والتجربة لعلهم يهتدون الى خفيٍّ فيظهرونهُ او حقيقةٍ

فيعمموتها توسيعاً لنطاق العلم والنفع والله المسؤول ان يهدينا جميعاً الى مابه خدمة البشرية وتخفيف مصابها بحوله وكرمه

مطارحات

جادت علينا قرائح الشعراء بالمنظومات الآتية اجابةً لاقتراحنا في الجزء الحادي عشر ونحن نثبتها هنا مرتبةً على مواقيت ورودها وان اتحد تاريخ اكثرها في النظم وهي هذه

لا أرهب الدهر المحارب ان سطا ... أو احذر الموت الزؤام اذا عدا
لو مدَّ شخص الدهر نحوي كفهُ ... حدثتْ نفسي أن أمدَّ لهُ يدا
يأبى اباءَني أن يراني قاعدًا ... ومشاهدًا ككل البرية مقعدا
وأموت من ظمإٍ مخافة منةٍ ... لو كان لي نهر المجرة موردا
لو أن ادراك المدى بتذللٍ ... كان المدى ان لا أميل الى المدى
ولوَ آدركت زهر النجوم مكانتي ... خرّت جميعاً نحو وجهي سجدا

القاهرة في ٨ نوفمبر سنة ١٨٩٧ ... مصطفى لطفي المنفلوطي

***

لكنني لا اختشي دهرًا سطا ... أو حادث الموت الزؤام اذا عدا
لو مدّ نحوي الدهر صارم كفهِ ... حدّثت نفسي ان امدّ لهُ يدا
يأبى اباءَني ان يراني قاعدًا ... اني أرى كلّ البرية مقعدا
اظما اذا ابدى الحيا لي منّةً ... لو كان لي نهر المجرة موردا
لو كان ادراك المدى بتذللٍ ... خلت المدى ان لا اميل الى المدى

واذا درت زُهر النجوم مكانتي　　خرّت جيعاً نحو وجهي سجدا

الاسكندرية في ٨ نوفبر سنة ٩٧　　ابرهيم حلمي

في مكتب الافوكاتو سلامه

***

لا ارهب الدهر الكنود اذا سطا　　او احذر الموت الزؤام اذا عدا
لو مدّ صرف الدهر نحوي كفهُ　　حدّثت نفسي ان امـدّ لهُ يدا
يأبى اباتي ان يراني قاعـدًا　　لكن اری كل البرية مقعدا
واذا رأيت المـآء ابـدى منةً　　اظما ولو كان المجرة موردا
لو كان ادراك المدى بتذلل　　شمت المدى ان لا اميل الى المدى
لو ادركت زُهر النجوم مكانتي　　خرّت جيعاً نحو وجهي سجـدا

المنصورة في ٨ نوفبر سنة ٩٧　　احمد الصراف

ملاحظ بوليس مركز

المنصورة

***

لكنني لا ارهب الايام اذ　　تسطو ولا الموت الزؤام اذا عدا
ولو الصروف اليّ مدت كفها　　حدثت نفسي ان امـدّ لها يدا
وإباءِيَ يأبى ان يراني قاعـدًا　　واری البرية كلها لي مقعدا
اظما اذا لي المآء ابـدى منةً　　ولو المجـرة اصبحت لي موردا
ولوَ انّ ادراك المدى بتذلل　　خلت المدى ان لا اميل الى المدى
واذا دَرَت زُهر النجوم مكانتي　　خرت جيعاً نحو وجهي سجـدا

القاهرة في ١٠ نوفبر سنة ٩٧　　حبيب غزالة

بمصلحة الصحة

لا ارهب الدهر الخؤون اذا سطا ... كلا ولا الموت الزؤام اذا عدا
لو مد نحوي الدهر قبضة كفهِ ... حدثت نفسي ان امد لهُ يدا
يأبى آبائي ان يراني قاعدًا ... واري البرية كلها لي مقعدا
وأعاف شرب الماء خيفة منةٍ ... لو كان لي نهر المجرة موردا
لو كان ادراك المدى بتذللٍ ... قلت المدى ان لا اميل الى المدى
ولو النجوم الزهر تعلم موضعي ... يوماً لخرّت نحو وجهي سجدا

محلة منوف في ١٢ نوفمبر سنة ١٨٩٧ ... نجيب ابرهيم الصدي

وجاءنا حلّ المسئلة الصرفية من حضرة الفاضلين الدكتور الياس افندي سماحة بميناء القمح ونجيب افندي الحداد احد منشئي لسان العرب الاغرّ بالاسكندرية ولما كان حلّ الاول هو السابق في الورود اجتزأنا بنشرهِ وهو هذا

المسؤول عنهُ لفظ « فم » اصلهُ فَوَهٌ بوزن فَعَل حُذِفت الواو والهاء وعُوّض منهما الميم وحُذِف ما يقابلهما من لفظ فَعَل وهو العين واللام وعُوّض منهما الميم ايضاً لان حقها ان تزاد بلفظها فجاء « فم » على وزن « فم »

جائزة نحوية

اين تجتمع اربع كلمات لا يثبت منها في اللفظ الا حرفٌ واحد

جائزة الصواب نسخةٌ من مختصر نار القرى

اسئلة واجوبتها

القاهرة — ما هي حبة حلب وكيف تعالج   ن . ج

الجواب — حبة حلب علةٌ جلدية مُعْدية متقيحة يصاب بها اهل حلب وبغداد خصوصاً بدون سبب معروف الآ ان الاكثرين يذهبون الى ان سببها الشرب من مآء النهر بدليل ان الغريب الذي يجيء الى حلب ويشرب من مآء نهرها لا يسلم منها اما الذي يعاف شرب مآء النهر فيؤوب سالماً . وهي تصيب الكبار والصغار والذكور والاناث والوطنيين والدخلاء واكثر ما تظهر على الوجه ثم على اليدين والرجلين وتبقى سنة غالباً ولذلك سميت حبة السنة . وقد اعتاد اهل حلب ان يلقحوا بها في مكان من اجسادهم غير مكشوف دفعاً للتشوُّه وهي تبتدئ بدرنة كالعدسة تأخذ في النمآء بدون ألم مدة ٤ او ٥ اشهر ثم تنضج وتتقيح فيصحبها ألم مبرّح وتتكوّن جلبةٌ رطبة مبيضة تُشقق وتسقط فيعقبها غيرها ولا تزال تتجدد عدة مرات . وهذا الطور يسمى بطور التقرح ومدتهُ من ٥ الى ٦ اشهر ثم يتلوهُ طور الاندمال . وقد قسموا حبة حلب الى ذكر وانثى فتكون انثى اذا تكوّنت من حبتين فاكثر تحيط بها حبوب اصغر من الاصلية وعند تقرحها تزداد سعةً وامتداداً اما اذا كانت الحبة واحدة فهي ذكر

وليس لهذه العلة علاج خصوصي يُعوَّل عليهِ غير الوضعيات الملينة ومنع الجزء المريض من مماسة الهوآء . ومن رأي الاستاذ الفاضل الدكتور يوحنا ورتبات الذي اقام مدة طويلة في حلب ان يُستعمَل لها زيت السمك شرباً ومرهماً وعندهُ ان زيت السمك انجع علاج في حبة حلب وان المواد المستعملة

غيرهُ سوآء كانت من القوابض ام من المنقيات تهيج القرحة وتزيد في شدة العلة ولا تجدي نفعاً في تقصير مدتها خلافاً لما وجد بالتجربة بعد الادمان على استعمال زيت السمك كما ذكر ولعل منفعتهُ في هذه العلة كنفعتهِ في العلل التدرنية وأكثر الاطبآء يذهبون الى ان اصلهما واحدٌ فيعرّفون حبة حلب بانها علة تدرنية واذا كانت تدرنية فما سبب انحصارها في حلب مسئلة مشكلة لا سبيل الى الجواب عليها الاّ اذا تهيأ لاحد علمآء الجهريات من نطس الاطبآء التحري عن جرثومة العلة واستفراغها واجرآء التجارب التلقيحية بها . والذي نعلمهُ ان هذا البحث لم يقدم عليهِ احد حتى الآن

بغداد — نرجو اجابتنا على الاسئلة الآتية

(١) — سأل سائل « هل من حاجة لأن افعل كذا وكذا » فاذا أُريد الجواب الايجابي على هذا السؤال هل يكون بنعم ام بلى

(٢) لماذا تكتبون كلمة « الاستانة » بالمدّ

(٣) لماذا ترسمون المدّة في امكنة لا تُلفظ فيها نحو السمآء والعلآء

(٤) ما كتاب الاوقيانوس ومن صاحبهُ واين يوجد وكم قيمتهُ وفي كم مجلدٍ هو

انطون بولس سميري

الجواب — اما المسئلة الاولى فالجواب فيها يكون بنعمَ لأن بلى لا يجاب بها الاّ بعد النفي فتقلبهُ ايجاباً كما لو قيل أليس من حاجةٍ لان افعل كذا فيقال بلى

واما كتابة الآستانة بالمدّ فلأن الكلمة فارسية ومعناها العتبة وهي ممدودة في الاصل

واما رسم المدة على الالف الممدودة فلأنها تُمَدّ باللفظ ايضاً بمعنى ان

ألِف السماء تكون اطول من ألف السماع مثلاً وقد اختلفوا في تقديرها بين طول ألِفين الى ست ألفات . انظر كتاب الاتقان للسيوطي

واما كتاب الاوقيانوس فهو ترجمة قاموس الفيروزابادي الى التركية ومترجمهُ السيّد ابو الكمال احمد افندي عاصم وقد سماهُ « الاوقيانوس البسيط في ترجمة القاموس المحيط » طُبع في بولاق سنة ١٢٢٥ للهجرة في ثلاثة مجلدات ضخمة يبلغ كلٌّ منها ما يقارب ١٠٠٠ صفحة كبيرة في كل صفحة ٤١ سطرًا . واما اين يوجد فان نُسَخهُ عزيزةٌ في الغاية لا تكاد توجد في مكتبة كتبيّ ومع عزّتها وضخامة الكتاب واليأس من اعادة طبعهِ بالقياس الى كبر حجمهِ فقد بلغنا ان نسخةً منهُ عُرِضت على احد كبار الكتبيين بالقاهرة فلم يدفع في ثمن المجلد منها زيادة على ٨ قروش .....

المنصورة — ارجو الاجابة على السؤالين الآتيين

(١) يقول الصرفيون ان الصورة اللفظية والوضعية لبعض الكلمات تحولت الى صورة اخرى كقال مثلاً اصلها قَوَلَ تحركت الواو وفُتح ما قبلها قلبت الفًا فمن اين طرأ هذا التحويل وهل كان العرب في نشأتهم الاولى يقولون قَوَلَ ثم هذبوا لغتهم وصاروا يقولون قال وكيف توصّل الصرفيون الى معرفة الصورة الاصلية مع انهُ لم يصل اليهم الاَّ الصورة الحالية

(٢) يقول مجنون ليلى وهو قيس بن الملوّح العامريّ في بعض اشعارهِ

تمتَّعْ من شميم عرار نجدٍ   فما بعد العشيّة من عرارِ

فلماذا نبّه ان استنشاق العرار يكون قبل العشيّة لا بعدها

احمد الصراف

ملاحظ بوليس مركز المنصورة

الجواب — اما مسئلة قالَ وتقديرهم ان اصلها قوَلَ بوزن فَعَلَ فلأنَّ عين الثلاثيّ متحركةٌ بالوضع فقدّروا لها اصلاً يقبل الحركة وجعلوا اصلها الواو حملاً على بقيّة تصاريف هذا الفعل من المضارع والمصدر ومن نحو قوّلهُ وقاولهُ وتقوّل عليَّ وهو قوّالـــ وغير ذلك . وانما قدّروا حركتها الفتحة لانهُ لا وجه لتحريكها بالكسر لأن المضارع مضموم العين ولا بالضمّ لان هذا الفعل ليس من افعال الطبائع فضلاً عن ان فَعُلَ المضموم العين لا يأتي من الاجوف فلم يبقَ الاَّ أن تقدَّر مفتوحةً على حدّ الصاد من نَصَر . واما هل كان العرب في غابر الدهر يقولون قَوَلَ ثم عدلوا الى قالَ فما لا دليل عليهِ بل هو ما لم يكن قطعاً لأنا لا نجد لمثل ذلك اثرًا في العربية ولا غيرها من اللغات المؤاخية لها وانما هذا وامثالهُ من الوضع الثنائيّ مُدّت فيهِ حركة اول المقطعين على ما اومأنا اليهِ في مقالة اللغة والعصر فخرج المدّ حرفاً ثالثاً ثم صُرّف الفعل تصريف الثلاثيّ كما شُدِّد المقطع الثاني من نحو مدَّ فنشأ من ذلك حرفٌ ثالث وصُرّف الفعل تصريف الثلاثيّ ايضاً . واما كيف توصل الصرفيون الى معرفة الصورة الاصلية — اي الصورة المقدَّرة اصلاً — من الصورة الحالية فبالدليل الذي ذكرناهُ اولاً والله اعلم

واما قول المجنون « فما بعد العشيّة من عرارِ » فانما قال ذلك لانهُ كان منصرفاً عن نجد كما يتبين من قولهِ قبل هذا البيت

اقول لصاحبي والعيسُ تهوي   بنا بين المنيفة فالضِمارِ

ثم قال تمتع من شميم عرار نجدٍ الى آخرهِ . والمنيفة ماءةٌ لتميم بين نجد واليمامة والضِمار مكانٌ هناك وقيل هو وادٍ منخفض يضمَر السائر فيهِ اي يغيَّب . وعزا في تاج العروس هذا الشعر الى الصِمّة بن عبد الله القُشيريّ قال قال الصاغانيّ

هكذا انشدهُ لهُ المرزوقيّ والصحيح انهُ لجعدة بن معاوية بن حزن العُقيليّ . اه
والله اعلم بالصواب

تساقط الشهب

قد كانت ليلة اول امس وهي الواقعة بين ١٣ و١٤ من هذا الشهر موعد انقضاض الشهب التي دلّ الحساب على سقوطها في هذا التاريخ جريًا على مواقيتها المعلومة مما تقرر في مجلات اهل العلم وانبأت بهِ المجلّات والجرائد العلمية منذ حين ولكن لما كان سقوطها في مثل هذا الموعد يبتدئ بعد نصف الليل قلّ من رآها الاّ من تعمّد مراقبتها لغرضٍ علميّ وقليلٌ ما هم

وتساقُط الشهب على هذه الصورة امرٌ معهودٌ في كل زمن الاّ انهُ لا يقع الاّ في سنين معلومة ومواقيت محدودة وهو على ما فيهِ من الغرابة في عين المشاهد ليس فيهِ شيءٌ غير مألوف سوى كثرة ما يُرَى من هذه القذائف النارية تتزاحم في العنان وحدوث هذه الكثرة في اوقاتٍ دون اوقات على ما اومأنا اليهِ . فانهُ لا يمرّ بنا ليلةٌ الاّ نرى فيها شيئًا من هذه الشهب يسحب ذيلهُ في الفضاء كانهُ سهمٌ ناريٌّ تبصرهُ العين لمحةً ثم يختفي او كانهُ نجمٌ قد انقضّ من موضعهِ ثم اضمحلّ بغتةً فلم يبقَ لهُ من اثر . وقد أَلِف عامّتنا ان يروا في مثل ذلك دليلًا على موت نفسٍ من النفوس البشرية وانتقالها من هذا العالم الى الدار الباقية فلعلهم يقدّرون في مثل هذه الليلة ان جميع نفوس البشر قد خرجت من الدنيا ولحقت بالعالم الاخرويّ وان الانسان قد وثب بعضهُ على بعض في الارض كلها فتكاثرت القتلى وتزاحمت الارواح في طريق الاخرى حتى سدّت الافق وربما توهموا انهم اذا اصبحوا وجدوا الارض قفرًا مغطًّى باشلاء البشر

تتساقط عليها جوارح الطير وتنفرها ضواري السباع

اما ماهية هذه الشهب فقد اجمع اهل العلم اليوم على انها حصىً كونيّة متجمعة في الفضآء تدور حول الشمس في افلاكٍ شلجمية فاذا دنت من فلك الارض اجتذبت منها قِطعًا فتهوي مخترقةً اعالي الجوّ وبسبب ما يعرض لها من الاحتكاك بدقائق الهوآء تفقد شيئًا من سرعتها فتستحيل تلك السرعة الى حرارة وحينئذٍ فما كان منها صغير الحجم يزن بضعة دوانق[1] الذهب واستحال بأسرهِ غازًا وتبخر في الهوآء وما كان اعظم من ذلك ثبت على كيانهِ ولكن ظاهرهُ يذوب فيكون عليهِ اشبه بطبقةٍ من الطلآء

والمألوف من هذه الشهب يظهر في مواقيت يومية ومواقيت سنوية فيكون اكثر ظهورهِ في اليوم ما بين الساعة الثالثة والسادسة بعد نصف الليل وفي السنة ما بين شهري يوليو وينابر . واما امطار الشهب كالذي حدث في هذا الاوان فاشهر مواعدها اثنان احدهما في شهر اوغسطس في ليل العاشر منهُ والآخر في شهر نوفمبر في صباح الرابع عشر ويتكرر معظم الاول في كل ١٢١ سنة ومعظم الثاني في كل ٣٣ سنة . وعلة ذلك فيما قررهُ شياپارلّي الفلكي المشهور ان لهذه الشهب علاقةً بذوات الاذناب لانهُ بعد ادمان البحث والمراقبة ظهر لهُ ان شهب اوغسطس يوافق فلكها فلك المذنّب الثالث الذي ظهر سنة ١٨٦٢ وكان في نقطة الذنب في ٢٣ اوغسطس من السنة المذكورة ومدة دورانهِ ١٢١ سنة وشهب نوفمبر يوافق فلكها فلك المذنّب الذي ظهر سنة ١٨٦٦ وهو من جملة تلك الشهب ومدة دورانهِ ٣٣ سنة . ومن هنا استُدِلّ على ان الشهب متكونة من اصل سديمي وانها آتية من عالمٍ غير عالمنا الشمسي على خلاف ما كان عليهِ اهل الهيئة الى ظهور هذا البحث

---

(١) الدانق بفتح النون وكسرها سدس الدرهم او نحو نصف غرام

اما سرعة هذه الاجسام فهي ما بين ١٢ و١٩ ميلاً في الثانية وهي تتوزع من نقطةٍ من السماء بينها فتظهر في اوغسطس مما بين صورتي برشاوش وذات الكرسيّ وفي نوفمبر من صورة الاسد وقد قدّروا ارتفاعها بخمسة وسبعين ميلاً في بداءة ظهورها وبخمسين ميلاً في آخر ممرّها المنظور . على أن منها ما هو ارفع من ذلك كثيرًا فقد قيس ارتفاع بعضها فكان ما بين ١٨٥ الى ٢٤٨ ميلاً ومنهُ تقدَّر مسافة ارتفاع الجوّ الارضيّ وفي كل ما ذكرناهُ في هذه العجالة كلامٌ طويل اقتصرنا منهُ على ما قلّ ودلّ والله اعلم

فوائد شتى

حفظ البقول والفواكه — افضل ما امتُحن في ذلك ان توضع البقول والفواكه ونحوها في محلول مركب من ٤ اجزاء من الماء وجزء من الكحل (روح النبيذ) مشبع بالحامض السليسيليك

اتقاء الناموس — وصف بعضهم لذلك ان يوقد في حجرة النوم فانوس يُدهَن زجاجهُ بعسل ونحوهِ بحيث يبقى شفافاً ما امكن فاذا رأى الناموس النور تهافت عليهِ فيلصق ويموت مكانهُ

لحام للحديد على البارد — جاء في احدى المجلات الالمانية والعهدة عليها انهُ اذا اريد لحام القِطَع الحديدية التي يتعذر ادخالها النار تُجمع اطراف تلك القطع بلحام مركب من ٦ اجزاء من الكبريت و٦ من الاسفيداج وواحد من البورق تُداف بالحامض الكبريتيك المركَّز ثم تُضغَط القِطَع بعضها الى بعض ضغطاً شديدًا وتُترك كذلك مدة خمسة الى سبعة ايام فيشتدّ لحامها حتى لا يمكن الفصل بينها ولو بالمطرقة

البيان

السنة الاولى ——— الجزء الثالث عشر

١ دسمبر سنة ١٨٩٧

اللغة والعصر

(تابع لما قبل)

ومن ذلك مثال فَعُول بفتح الفآء واكثر ما يجيء بمعنى الفاعل صفةً لمن اعتاد الفعل كصَبُور ومَلُول وسَؤُوم وكَذُوب وشَكُور وكَنُود ووَدُود وأَلُوف ونَفُور وغير ذلك وهو كثير. وقد يأتي صفةً للمفعول بمعنى ما كان على حالةٍ يمكن معها وقوع الفعل كقولهم مآءٌ شَرُوب وهو الذي يمكن شربهُ وبئرٌ غَرُوف وهي التي يُغترَف مآؤها باليد وفرسٌ رَكُوب وهو الذي قد حان ان يُركَب ومسئلةٌ غَلُوط وهي التي يُغلَط فيها[1] ومن هذا قولهم ناقةٌ حَلُوب وفسّرها صاحب القاموس وغيرهُ بالحلوبة وليس بالاشبه والوجه ما فسرها بهِ في المزهر قال ناقةٌ حَلُوب رَكُوب اي تصلح للحلب والركوب واليهِ يشير صنيع صاحب اللسان حيث قال في بعض تفاسيرهِ لها وناقةٌ حَلُوبة وحَلُوب للتي تُحلَب واحسن منهُ ما فسرها بهِ في المصباح قال وناقةٌ حَلُوب وزان رسول اي ذات لبن يُحلَب . اه . والامثلة من هذا قليلة لم نعثر منها على غير ما ذُكر

(١) هذه الصيغة تقابل ما جاء في الفرنسوية والانكليزية مختوماً بلفظ able او ible او uble نحو soluble, visible, aimable

ويكثر مجيء فَعُول اسماً بمعنى المفعول واكثر ما يُستعمل في اسمآء الأدوية كالسَفُوف وهو ما يُسَفّ من الدوآء اي يؤخذ غير معجون والوَجُور وهو الدوآء يُوجَرهُ المريض والصغير اي يُسقاهُ على كره والنَشُوع وهو بمعناهُ يقال بالعين والغين ويقال لهُ الوَشوع ايضاً واللَدُود وهو الدوآء يُصَبّ في احد شِقّي الفم والسَعُوط وهو الدوآء يُصَبّ في الأنف والذَرُور وهو ما يُذَرّ في العين او على القرح والرَقُوء وهو ما يوضع على الجرح يُقطَع بهِ الدم واللَصُوق وهو ما يُلصَق بالجرح ويلازمهُ حتى يبرأ ويقال فيهِ ايضاً اللَسُوق والزَرُوق . وقد يجيء في المتناوَلات من طعام او شراب كالسَحُور لطعام السَحَر والفَطُور لطعام الصائم والصَبُوح وهو ما يُشرَب بالغداة والغَبُوق وهو ما يُشرَب بالعشيّ والحَسُوّ وهو ما يُحسَى اي يُشرَب شيئاً بعد شيء كالمرق ونحوهِ واللَعُوق وهو ما يُلعَق بالاصبع يكون في الطعام والدوآء . وربما جآء لغير ذلك كالغَسُول للمآء الذي يُغتسَل بهِ والطَهُور وهو المآء يُتطهَّر بهِ والوَضُوء وهو المآء يُتوضأ بهِ واللَطُوخ وهو ما يُلطَخ بهِ الشيء مما يغيّر لونهُ والنَضُوح وهو ضربٌ من الاطياب وكذلك الخَلُوق والاول مخصوصٌ بما كان رقيقاً كبعض مياه الزهر والثاني بما كان غليظاً كبعض الأدهان المعقودة . ومن هذا القبيل الشَبُوب وهو ما توقد بهِ النار من دُقاق العيدان والوَقُود وهو ما يُلقى على النار من جزل الحطب والسَجُور وهو ما يُحمَى بهِ التنور وغير ذلك . وجآء الهَجُوريّ لطعام نصف النهار بلفظ المنسوب لم يُنقَل عنهم الا كذلك وهو غريب

ومن ذلك وزن مِفعال ويكثر مجيئهُ من أفعل الرباعيّ صفةً لمن اعتاد الفعل بمنزلة فَعُول من الثلاثيّ كمقدام ومجزام ومكثار ومعسان ومعطآء ومضياف ومهدآء وقولهم رجلٌ متلاف مخلاف وهو الذي يتلِف شيئاً فيُخلِف غيرهُ وفرسٌ

محضار ومعناق للسريع الجري ومنع الاول في القاموس وهو خلاف ما عليهِ جمهورهم وبعيرٌ مرقال وهو السريع السير وقيّدهُ في القاموس وغيرهِ بالناقة والظاهر انهُ تمثيلٌ لا قيد ارادوا منهُ الاشارة الى انهُ يستعمل للمذكر والمؤنث بلفظٍ واحد قال النابغة

اذا استُنزلوا للطعن عنهنَّ ارقلوا الى الموت ارقال الجمال المصاعبِ

فجعل الإرقال للجمال ولهذا نظائر كثيرة في كتبهم ينبغي التنبُّه لها . ويكثر ورود مفعال في صفات الاناث كقولهم امرأةٌ مِتْآم وهي التي تلد التوائم وامرأةٌ مذكار وهي التي تلد الذُكران وامرأةٌ مئناث وهي التي تلد الإناث وامرأةٌ معقاب وهي التي تلد مرةً ذكرًا ومرةً انثى وامرأةٌ مقلات وهي التي لا يكاد يعيش لها ولد وامرأةٌ مجعال وهي التي تضع ولدها قبل وقتهِ وقولهم امرأةٌ منقاص للكثيرة الضحك من قولهم انقص بالضحك اذا بالغ فيهِ وكذا قولهم امرأةٌ مهزاق ومن الغريب انهُ لم يجيء امرأةٌ مهناف ولا مهلاس للتي عادتها ذلك مع انهُ يقال أهنفت وأهلست وهو ان تضحك في فتور كضحك المستهزئ . وندر من الثلاثيّ كقولهم رجلٌ مطراب بمعنى طَرُوب وميسان للكثير النعاس ومهياف للسريع العطش ومهذار للكثير الكلام وقولهم امرأةٌ مكسال ومعطال وهي التي اعتادت العَطَل اي ترك الحلي . ويغلب من الثلاثيّ في الافعال الطبيعية كما رأيت ولا يكاد يأتي الاّ لازمًا

ومن ذلك مثال فَعَل بفتحتين ويكثر مجيئهُ اسمًا بمعنى المفعول نحو الوَلَد والعَدَد والسَلَب والحَلَب والجَلَب والنَسَق وهو كل ما جاء على نظامٍ واحد والنَضَد وهو ما نضدتهُ من المتاع اي جعلت بعضهُ فوق بعض والرَتَج وهو الباب المغلق وعليهِ بابٌ صغير والحَفَر وهو التراب المستخرَج بالحفر والنَبَط وهو

اول ما يُستنبَط من ماء البئر والحَصَد وهو الزرع المحصود والخَضَد وهو ما خُضِد اي قُطِع من العيدان الرطبة والقَدَر وهو ما قدرهُ الله تعالى . ويتمشى على هذا اشتقاق بعض الاسماء التي يتبادر الى الذهن أنها من الوضع المرتجَل نحو القَصَب سُمّي بذلك لانهُ يُقصَب اي يُقطَع والمَسَد وهو الحبل من ليف لانهُ يُمسَد اي يُفتَل والمَرَس للحبل لانهُ يُمرَس عند الفتل اي يُدلَك وقال في لسان العرب لتمرُّس الايدي بهِ ولم يذكر للتمرُّس معنى الاَّ التحكك والقَلَم لانهُ يُقلَم اي يُقطَع طرفهُ كما يُقلَم الظفر والقَنَص من قَنَص الشيء اذا جمعهُ وقرّب بعضهُ من بعض وغير ذلك مما يُوقَف عليهِ بالاستقراء

ومنهُ بناء فَعَلة بالتحريك ويأتي اسماً في العاهات للموضع المعوَّه كالقَطَمة وهي بقية اليد المقطوعة والجَذَمة وهي قريبةٌ منها والخَرَمة وهي موضع الخَرم من الأنف اي شقّ الوَتَرة وهي ما بين المنخرين والجَدَعة وهي موضع الجدع والفَلَحة وهي موضع الفَلَح اي الشقّ في الشفة السُفلى والعَلَمة وهي موضع العَلَم للشق في الشفة العليا والصَلَعة وهي موضع الصَلَع من الرأس وكذلك الجَلَحة والنَزَعة وغير ذلك . وهذه الصيغة مخصوصةٌ بباب أفعَل فعلاء واكثر ما تُبنى من فَعِل المكسور العين مما دلّ على عيبٍ في الخلقة وهي أخصرّ من المصدر بمعنى ان المصدر يكون كالجنس وهي كالواحد ومنزلتها منهُ منزلة المرّة من مصدر غيرهِ او اسم النوع منهُ تقول أُصيب فلانٌ بالحَوَل وقد شوّهتهُ تلك الحَوَلة وان بهِ لعَرَجاً وانهُ لقبيح العَرَجة ونحو ذلك . وعليهِ فينبغي ان تكون قياساً في كل ما جرى هذا المجرى وان لم ينقلوها في كثيرٍ من المواد كالشَتَر وهو انقلاب الجفن والثَرَم وهو انكسار احدى الثنايا والجَلَه وهو قريبٌ من الجَنَح والقَبَل وهو اقبال الحدقة على الأنف . ولا تكون الاّ بفتح العين وان

ضُبطت احياناً بالاسكان في الرسم كما جآء في لسان العرب في ضبط الحولة والفنجة. وهي في الاصل اسمٌ للعيب نفسهِ كما يستفاد مما قررناهُ ثم تُطلق على موضعهِ فافهم كل ذلك والله اعلم   ستأتي البقية

اهل التقادير واصحاب السعي والتدبير

لحضرة الكاتب الفاضل قسطاكي افندي الحمصي في حلب

ويختلف الرزقان والفعل واحدٌ   الى ان يُرى احسانُ هذا لذا ذنبا

قد أَلِفَ بعض الناس الاتكال على التقادير اي على ما تولدهُ الليالي من الحوادث التي لم تكن في الحسبان وخالفهم في ذلك اقوامٌ زعموا ان ذلك مدرجةٌ الى الكسل وانهُ مما يقف في سبيل التقدم وبلوغ الكمالات الانسانية ولكلٍ من الفريقين حجج وبينات يؤيدون بها مدَّعاهم

قال الفريق الاول لو لم تكن التقادير هي الحاكمة في انصبة البشر اللاعبة بحظوظهم الفاعلة في تغيير احوالهم واخلاقهم لبلغ كلُّ امرئٍ ما يتمنى على قدر همتهِ وسعيهِ وكم من ساعٍ وراء امرٍ يرومهُ والتقادير تعاندهُ فلا يبلغ متمنَّاهُ واذا تفقدتَ امرهُ وجدتهُ فوق مطلبهِ ذا همةٍ تنطح السمآء وفطنةٍ تصطاد الجوزآء ورصانةٍ تزري بالجبال وإقدامٍ لا يعرف الملال قد عرك الدهر وعجن الايام وتعمق في فنون السياسة والتدبير وعُرف بالامانة للملك والمحبة للامّة والوطن مع عفافٍ وعدل واقدام لا يرهب في الحق كبيرًا متواضعاً في السلوك بغير ضعف يُرجى لحلّ المشاكل المعضلات وركوب الاخطار فيظلّ منسيًّا في بيتهِ مُبعَدًا عن ذوي المراتب غير مذكور عند توزيع المناصب وسافل القوم قد تربع في

الدسوت ودنيّهم قد تصدّر في المجالس واستُوزر مَن لا يصلح لكشف غمّة او لدفع ملمّة وقضى في الخصام مَن لا يفرق بين الحلال والحرام وعُدَّ السفيه فقيهاً والجاهل حكيماً فجار في الاحكام واستطال على ذوي المقامات وتعدى حدود الشريعة واختلس اموال الدولة ومدَّ الى قبول الرشوة يدًا قد طالت وخان المملكة بتمهيدهِ للعدوّ سُبُل الطعن عليها وطُرُق التدخل في امورها وهو على ما عددتُ من اخلاقهِ وافعالهِ الدنيئة قد تسلّط على العباد ونال من دنياهُ ما اراد فقد اوطأهُ التوفيق المحل الارفع واحلّتهُ السعادة المكان الاعلى وسكت الناس عن عيوبهِ وغفل الرئيس عن بغيهِ واستبدادهِ فتمسّك بقول القائل

واذا السعادة لاحظتك عيونها نم فالمخاوف كلهنَّ امانُ
واصطد بها العنقآء فهي حبالةٌ واقتد بها الجوزآء فهي عنانُ

او كأن يكون طبيباً نطاسياً رزيناً اضاف الى علمهِ طول الاختبار لا يصف الدوآء الاّ بعد الاستبصار رفيقاً بالعليل سريع الحضور عند الطلب فلا تجد مَن يستدعيهِ الاّ في اوقاتٍ نادرة ولأمراض عسيرة الشفآء فلا يعود المريضَ مرةً او مرتين حتى يعاجلهُ القضآء ويتذكر الناس فيهِ قول الشاعر

هذا الطبيب بطبّهِ كم من مريضٍ قد دفنْ
يعطي الدوا بيمينهِ وشمالهُ تطوي الكفن

او يملّ اهل العليل من طول المرض وكثرة تردد الطبيب على غير نفع ولا تقدم في صحة المريض فيستدعون طبيباً دونهُ في معرفة الامراض وتشخيصها فيقول قد أخطأ طبيبكم باعطآء عليلكم العلاج الفلاني ومداواتهِ على الطريقة الفلانية وهو يهذي ويهذر فيما يقول ويخلط ويخبط خبط عشوآء في تشخيص الدآء وتغيير الدوآء فلا يلبث العليل بعد عيادتهِ مرةً او مرتين حتى يصافح

العافية ولا تمرّ ايام حتى يبرأ من اسقامهِ الوبيلة .   او كأن يكون عالمًا عاقلاً وفاضلاً كاملاً مكبًّا على المطالعة مجدًّا في تحصيل العلم يقطع الايام ويسهر الليالي في التآليف المفيدة ليهذب اخلاق قومهِ ضاربًا لهم الامثال يرشدهم بها الى سبل الكمال واعظًا بهم في اكتساب الفضائل وتفهّم الحقائق والسعي وراء الصنائع النافعة والاعمال المثمرة والتخلق باخلاق الذين كان سعيهم مشكورًا وعلمهم مأجورًا وان يتشبهوا بالامم الذين نهجوا مناهج العدل وسلكوا طرق الاستقامة واتبعوا سبيل الصدق واخلصوا النيّات وترفعوا عن الدنيّات ولم تمل بهم الاهوآء الى سوء الافعال فتسنموا ذروة المعالي وملكوا ناصية المجد ونالوا من محاسن كل شيء فوق ما راموا . وهو على غزارة فضلهِ وكمال علمهِ وجلال قدرهِ وسموهِ في مراتب الفضائل البشرية لا تجد لكتبهِ رواجًا ولا على علمهِ اقبالاً ولا تراهُ بالغًا من الشهرة ما يستحقهُ فضلهُ وادبهُ ولا حاصلاً على ما يتبلغ بهِ من العيش كانما التقادير قد كشفت لهُ اسرار الخيرات وبسطت لديهِ خفايا كنوز الارض واطلعتهُ على الاسباب المبلّغة الغنى والوسائل الموصلة الى سعادة الحياة الدنيا ونعيمها ولكنها صدّتهُ عن ذلك كلهِ بحاجز حصين من نقص التوفيق .   وانك لتجد غيرهُ من المتحذلقين المموهين الذين يتفقرن على الناس الضلال والاكاذيب في طيّ خسيس الكلام ويبيعونهم السفاسف والترّهات محشوّة في سَقَط القول وفاسد التعبير قد نال حظًّا من دنياهُ وبلغ ما يتمناهُ فشهرة علمهِ قد طبّقت الخافقين واصبحت رؤيتهُ جلآء العين وابواب الرزق قد انفتحت امامهُ وبلغ من السعادة مرامهُ ولله درّ القائل

كم عاقلٍ عاقلٍ ضاقت مذاهبهُ   وجاهلٍ جاهلٍ تلقاهُ مرزوقا
هذا الذي جعل الافهام حائرةً   وصيّر العالم النحرير زنديقا

وقد اضاف الى نقصهِ كمال الوقاحة والخيلاء واتخذ الوقيعة والازدراء بمن فوقهُ دينًا وسلك في سبل الدعارة كل طريق فكانهُ سدل من سعدهِ حجابًا على العقول واسبل من توفيقهِ نقابًا على الابصار فلم تعد تميز خطاء القول من صوابهِ ولم تستطع ان تتبين فاسد الكلام من صحيحهِ وكانهُ رفع من حظهِ لديها الف شافع يستر على عيوبهِ الفاضحة وقد قلت بهذا المعنى

فما الحرمانُ خُصَّ بذي كمالٍ ولا الدنيا عنت لذوي الرقاعه
ولكن ذلك التوفيق يبدو فيُدعى الفدمُ من اهل البراعه

او كأن يكون تاجرًا مجدًّا في عملهِ كدودًا في شغلهِ بارعًا في حساباتهِ مقتصدًا في خرجهِ موفرًا في دخلهِ لا يشتري السلعة الاَّ بعد تحققهِ جودتها وبخس ثمنها ولا يحتكر البضاعة الاَّ بعد ان يحسب الف حساب حتى يكاد الربح يتأكد لديهِ او يهبط عليهِ وهو فوق ذلك كلهِ عندهُ رأس المال الواسع والصيت البعيد والشهرة المحمودة والرأي الرجيح ومع هذا ترى التقادير مُلحّةً في معاندتهِ لاجّةً في مماكستهِ فتجارتهُ غير رابحة وتدابيرهُ غير ناجحة وتجد سواهُ من اهل حرفتهِ قد لازمهُ السعد وحالفهُ التوفيق لا يحتكر صنفًا من البضائع الاَّ وترتفع اسعارهُ ويكثر طلاَّبهُ فهو ابدًا في نجاح امورهُ ميسّرة وارباحهُ مقررة مع جود ذهنٍ ظاهرٍ فيهِ وتوانٍ ملازمٍ لهُ وعجزٍ عن الحسب والتقدير وقد يضيف الى هذه الاوصاف احتيالاً في المعاملات وطمعًا فاتَ الحدّ وشراسةً في الاخذ والعطاء فكانما التقادير قد آلت ان تصبّ عليهِ الرزق صبًّا وتوسعهُ من كنوز الارض كسبًا . او كأن يكون زارعًا يُلقي بذرهُ بلا تعب في يوم صحوٍ من اوائل الشتاء فلا ينقضي النهار حتى تهطل الامطار فيختفي البذر في شقوق الارض المحروثة ثم ينقلب فوقهُ التراب فتكمن البذرة في جوف الارض تغتذي

بعناصرها وبما توصلهُ اليها من عناصر الحرارة والهوآء والمآء حتى تدب فيها نسمة الحياة فلا يأتي الربيع الآ ويبرز رأس مولودها الاخضر في تلك السهول ناظرًا الى ما حولهُ يلتمس لهُ من العناصر المذكورة رزقًا اوسع ولا يزال يتدرَّج في مراتب النمو حتى يشتمل ذلك الرأس شيباً فينهض الزارع الموفق لحصد زرعهِ والاقبال يبسم لهُ لكثرة غلتهِ وجودتها فلا يفكر فيا تأكلهُ البهيمة ولا فيا سقط بين التراب وقت الحصاد ثم يقوم ليذرّيها والريح لهُ موآتية فينتهي من عملهِ بغير ما عنآء كانهُ موعود بالراحة والهنآء حتى انهُ ليبيع غلالهُ والسوق رائجة بينما يكون جارهُ المنحوس قد قام للزرع في يوم غائم على امل سقوط الامطار فلا يأتي على تمام عملهِ حتى تنطلق الرياح من كل صوب فينقشع السحاب ويظهر وجه السمآء صافياً وتبدو الغزالة لا برقع على محياها ولا لثام ضاحكة على عقل صاحبنا التعيس لأخذهِ بالاسباب التي ظنها مجلبة توفيقهِ ولسان حالها يقول

جرى قلم القضآء بما يكونُ ... فسيان التحرك والسكونُ
جنونٌ منك ان تسعى لرزقٍ ... ويُرزق في غشاوتهِ الجنينُ

فتنقضّ الطير على تلك الارض فلا تبقي على بذرهِ ولا تذر ثم تمرّ ايام الشتآء وهو يتراوح بين الامل والرجآء حتى اذا بدت تباشير الربيع قام الى ارضهِ يتفقد المزروع وينتظر ظهور رأس المولود فلا يرى الآ رؤوساً ضعيفة صفرآء متفرقة في ذلك السهل فينقبض لذلك المنظر صدرهُ وتنحدر دموعهُ ثم لا ييأس من رحمة الله ينتظر آيةً من آياتهِ رحمةً بهِ وبعيالهِ فتنقضي ايام الربيع ويتكلل رأس النبات بالبياض فيهرول الى حصد زرعهِ وهو يتحرى قطع النبات سنبلةً سنبلةً ويجمع ما سقط في التراب عند الحصاد حبةً حبةً ويكومها كومةً يلقي عليها ثيابهُ وفراشهُ وخيمتهُ وكل ما عندهُ من غطآء خوفًا عليها من

طير السماء ودوابّ الارض وهو ينتظر ريحاً موافقة للتذرية وبينا يكون مع امرأته واولاده مكبّين على يابس الخبز وبحامض اللبن يترمّقون اذا بصوت ينادي النار يا اهل الحيّ فيركض وقلبهُ خافق ودمعهُ جارٍ فاقد الرشد لا يلوي على احد ولا يصل الى بيدره الاّ والنار قد احاطت بهِ من كل جانب ولا تمرّ دقائق قليلة حتى تمسي تلك الكومة رماداً وقد ذهب معها اثاثهُ وثيابهُ فينظر اليها تارةً والدم يقطر من فؤادهِ وينظر طوراً الى امرأتهِ واولادهِ ولسان حالهِ يقول هذه آمالكم وقد لعبت بها الاقدار بل قوام حياتكم وقد اكلتها النار واضاعت معها المشقة التي تحملتها والانصاب التي كابدتها ولم ادّخر سعياً في كل ما يؤول الى بلوغ المرام ولكن هو النحس اذا اقبل والسعد اذا ادبر فلا اجتهاد يفيد ولا دافع يردّ المصاب العتيد بل ربما كانت كثرة الجهد والاعتناء سبباً في وقوع البلاء ولله من قال

اذا لم يكن عونٌ من الله للفتى　　فاول ما يجني عليهِ اجتهادهُ

ستأتي البقية

الحياة في عوالم السيارة

قد اجمع الباحثون من علماء هذا العصر على أن الارض وسائر اخواتها من الاجرام الدائرة حول الشمس مشتقةٌ من اصلٍ واحد لا يكاد يختلف بعضها عن بعضٍ عناصر ولا تركيباً وكلها سابحةٌ في اشعة الشمس تستمدّ حرارتها وضوءها وفي كلها الماء والهواء وسائر اسباب الحياة ومُمِدّاتها مما لم يبقَ معهُ وجهٌ للحكم بخلوّ تلك الاجرام من مثل ما في الارض من مظاهر الحياة ونفي كونها آهلة بالاحياء من صنوف النبات والحيوان

وقد طالما كانت هذه المسئلة ولم تبرح محل شغلٍ شاغل لعقول اهل البحث ولا سيما في هذا العهد الذي اتسعت فيهِ مذاهب التنقيب عن اسرار الطبيعة والتطلع الى خفايا الكائنات بعد ما ظهر من المكتشفات الطبيعية والكياوية بواسطة التصوير الشمسي والتحليل الطيفي مما نبَّه اهل الهيئة والطبيعيين للايغال في طرق البحث والتهالك في التماس الذرائع المبلّغة الى كشف اللثام عن هذا السرّ الخطير الا وهو الوصول الى تحقيق ما اشتمل عليهِ كل واحدٍ من هذه العوالم المجاورة . وكان اعظم ما نبّه الاذهان الى ذلك ما اكتُشِف في اثناء هذا القرن على سطح المرّيخ من الآثار الدالّة على وجود الحياة فيهِ بل على وجود خلائق عاقلة قد تكون أرقى من الانسان مدارك وابعد مذهباً في سبيل الحضارة واهمّ تلك المكتشفات خطوط التُرَع الذاهبة على سطحهِ كل مذهب مما لم يُرَ لهُ نظيرٌ في افعال الطبيعة ومما يغلب على الظن انهُ من عمل خلائق متبحرة في العلم والصناعة بالغة من القدرة على عظيم الاعمال ما لا يُعدّ عندهُ شقّ خليج السويس او هدم برزخ بناما الا كخطّ المحراث . وذلك فضلاً عن الفتح الجليل الذي وُفّق اليهِ اهل هذا العصر باختراق اقاصي الفضآء واكتشاف كثيرٍ من ادقّ الاجرام واخفاها حتى على اقوى الآلات البصرية وتمييز عناصرها ومعرفة موادّها الطبيعية والكياوية وكثافاتها واوزانها وما يقع بينها من تفاعل القُوَى الجاذبة الى غير ذلك مما سنعود الى الكثير منهُ ان شآء الله

وبديهيٌّ ان اول ما يتوخاهُ الراصد لاحد تلك الاجرام في الاستدلال على ثبوت الشبه بينهُ وبين الارض ان ينظر الى شكل ذلك الجرم وما عليهِ من برّ وبحر وجبالٍ وثلوج وما شاكل ذلك من اوجه الشبه الطبيعي ثم ينتقل الى البحث فيما يكتنفهُ من الاحوال الجوّية والحوادث العُلوية وما يتصل بذلك

من طول سنته وفصولها ومدة النهار والليل عليهِ الى غير ذلك . الآ ان هذا كلهُ ليس من لوازم الحكم باثبات وجود الخلائق الحية فيهِ لأنا اذا اعتبرنا الامر في الارض نفسها لم نجد هذه الاحوال واحدةً فيها وحسبُنا في ذلك المقابلة بين عوالم المآء وعوالم الهوآء وما بين هذين الفريقين من بُعد التفاوت في الطبائع المقوّمة لهما والعناصر المحيطة بهما حتى لا يتأتى لاحدهما ان يعيش في موضع الآخر بل ما هو عند احدهما سبب الحياة ينقلب عند الآخر سبباً للهلاك وكذا ما نجد من التفاوت بين الاقاليم المجاورة للقطب حيث جبال الجَمَد الخالدة قائمةٌ في وجه السمآء والاقاليم التي على خط الاستوآء حيث لا تزال اشعة الشمس عموديةً ايام السنة كلها بما يكاد يذيب الجبال الصخرية والحياة مع ذلك منتشرة في العرضين جميعاً

ولا ريب ان السيّارات تخالف الارض في كثير من القيود المشار اليها كما يخالف بعضها بعضاً حالاً ووضعاً وحجماً وكثافةً وحرارةً وجوًّا الى غير ذلك وحسبك ان منها ما هو شديد القرب من الشمس حتى تبلغ الحرارة فيهِ اضعاف ما تبلغهُ في احرّ موضع من الارض ومنها ما هو متناهي البعد عنها حتى لقد تتوهم سطحهُ باسرهِ متجمدًا ومنها ما تكاثف جوّهُ وتلبد بالغيوم والابخرة حتى انهُ مع طول الرصد ومواصلته لم يُكتشف ما ورآءهُ ومنها ما يُرى جوُّهُ في غاية الرقّة والصفآء حتى لا يكاد يكسر شعاعاً . وذلك فضلاً عن ان في بعضها عناصر قد لا توجد في البعض الآخر فقد دلّ التحليل الطيفي على عنصرٍ غريب في جوّ المشتري من خصائصهِ شدّة التشرُّب لبعض الاشعة الحمرآء وهو ما لم يُعهَد مثلهُ في الارض وقد ظهر لهم هذا العنصر نفسهُ في جوّ زُحَل واورانس بل قد رؤي في جوّ اورانس خلا بخار المآء ما يباين جوّنا كل المباينة . الآ

ان ذلك كلهُ لا ينبغي ان يُعتبَر مانعاً من توفر اسباب الحياة في هذه الاجرام لما قدَّمناهُ قريباً ولأن للطبيعة تصرُّفاً في المركَّبات بما فيها من الفواعل الطبيعية والكيماوية التي تحوّل هيئة المركب وتنوّعهُ على امثلةٍ لا يأخذها العدّ ولا تدخل تحت قياس

وبناءٓ عليهِ فالحكم بجواز وجود الاحياءٓ في هذه العوالم على اختلافها لا يلزم منهُ ان تكون تلك الخلائق مماثلةً لما في الارض كما ان هذا الاختلاف بينها لا يجوز ان يكون في بعضها مانعاً من ظهور الحياة بل أحرِ بهِ ان يكون سبباً في زيادة ظهورها وكثرة تنوُّع اصحابها فان الحياة واحدةٌ مهما اختلفت عناصر الحيّ وتنوّع تركيبهُ

بقي أنهُ على تسليم أن هذه الاجرام كلها قابلةٌ لظهور الحياة فيها فان ذلك لا يترتب عليهِ انها جميعها كذلك في الحال لان منها ما قد نضبت موارد الحياة منهُ لزوال اهمّ العناصر القائمة بها كالقمر مثلاً ومنها ما لا يزال حارًّا بل قد يكون باقياً الى اليوم في حالة السيلان كالمشتري الاّ انهُ لا بدّ ان يصير الى حالةٍ تظهر فيها عليهِ اسباب الحياة ولعل ذلك لا يكون الاّ بعد ان تشيخ الارض وتعود قفرًا هامدًا . وسنُشبع الكلام على كل واحدٍ من هذه الاجرام في الاجزاءٓ التالية ان شاءٓ الله

انتقال الامراض بالغبار

لقد ثبت ان الماءٓ يحمل جراثيم بعض الامراض فيكون سبباً لانتقال عدواها من المريض الى السليم كما في الحمى التيفوئيدية والهواءٓ الاصفر ولكن

جراثيم اكثر الامراض المعدية مستقرة في الهوآء تتطرق اليهِ من مبرزات المرضى وفضلاتهم واكثر ما يكون ذلك اذا طُرحت هذه المبرزات والفضلات على الارض فجفّت ثم تطايرت مع الغبار . وقد وجد كلش وسمونن من بوردو كثيرًا من جُسيمات الامراض الوبيلة عالقة في الغبار منها جسيمات الحميات النفاطية كالحصبة والجدري والقرمزية وجسيمات الخناق (الدفثيريا) وذات الرئة والسل وشرُّها جسيمات السل الذي كثر تفشيهِ من جرآء القآء البصاق انى وُجد المريض فيجفّ على الارض وتتطاير جسيماتهُ الوبيلة في الهوآء . ومعلوم ان الهوآء لا يستطيع احدٌ الى منع استنشاقهِ سبيلاً فاذا لم يكن نقيًّا لم يؤمَن ضررهُ خلافًا للمآء والطعام اللذين يمكن اتقآء ضررهما بكثير من الطرق اذا عرضت فيهما شبهة

واكثر بلاد الله يجودها الغيث في الشتآء فيحمل الاقذار مع السيول ومعها الاحيآء السافلة والجسيمات الوبيلة الى حيث يؤمن ضررها وفضلاً عنهُ فقد رأينا البلاد الاوربية يعتني اهلها بامور الصحة العمومية ايّما اعتنآء فقد حفروا الاسراب تحت الارض لتجري فيها الاوساخ والقاذورات فلا يتضرر بها الناس وهم الآن يبحثون في مجامعهم العلمية عن طريقة يحتاطون بها لمنع العدوى بالغبار في المدارس والاسواق والاندية العمومية والمارستانات والمستشفيات والمعسكرات وغيرها . وقد اشار بعض علمآئهم ومنهم كلش المذكور بفرش ارض الاماكن المذكورة بالقلقطار اعتقاد أنهُ يمنع تكاثر الغبار و بالتالي يقاوم انتشار الامراض المعدية . اما القطر المصري فالعناية فيهِ بامر الصحة قاصرة على رش الشوارع الكبيرة بالمآء مع توفر اسباب العفونات وتراكم الاقذار في الازقة والحارات منذ الوف من السنين فلا يجوده الغيث فيجرفها ولا يوجد ثم اسراب تجري

فيها الى حيث لا تضر بالسكان ولكنها تجفّ لشدة الحرّ وتتطاير بالهوآء مع الغبار الذي لو اتاح الله لهُ في مصر من يحللهُ تحليلاً مجهريًّا لوجد فيهِ من الجسيمات الحية ولا سيما جسيمات الرمد الصديدي ما لا يوجد مثلهُ في غيرها فلا بدع ان بلغ عدد الوفيات في هذا القطر ما لا يبلغهُ في قطرٍ آخر ولا عجب ان كان عدد العميان فيهِ من جرّآء الرمد الصديدي اضعاف اضعاف عددهم في سائر الامصار

وبناء عليه يجدر بنا ان ننبه مصلحة الصحة الى هذا الامر الجلل لعلها تهتمّ بهِ كما يجب فتتدارك الخلل البيّن بما يمكن من الوسائط المفيدة وانفعها الاعتنآء بنظافة المساكن الفاسدة الهوآء اذ هي مقرّ الوبالة غير قاصرة جهدها على تحصيب احد الشوارع واهمال ما هو اهم من ذلك لان الاصحآء لا يحتاجون الى طبيب . وننبّه عامّة السكان الى وجوب الاعتنآء بالنظافة لانها القاعدة الاصلية في حفظ الصحة واذا كان لا يُطمَع في منع استنشاق الغبار فلا اقل من اتقآء ضررهِ باغلاق نوافذ البيوت والاكثار من الكنس والبعد عن الاماكن التي يكثر فيها الزحام والهرب من سكنى الحارات التي لا تقع تحت انظار ذوي الشان من مستخدمي مصلحة الصحة والله الواقي

لغة الدواوين

بقلم حضرة الكاتب الالمعي نجيب افندي الحداد احد اصحاب جريدة لسان العرب الغراء

نهضت بعض الجرائد في هذه الايام تطالب الحكومة باصلاح اللغة في دواوينها وتتوخى همتها في تلافي ما فشا بين كتبتها من خطأ الانشاء وسوء

التعبير والخروج عن قواعد الكتابة واصولها خروجاً فاحشاً حتى غدت اللغة تحت اقلامهم كانها لغة جديدة مخلّطة لا يكاد يفهمها سوى كاتبها ومن اصطلح عليها من زملائه واغاطه وقد اوردت تلك الصحف لهذا النقص امثلة كثيرة وشواهد عديدة هي قليلٌ من كثير من تلك الاغلاط الديوانية الفاشية وكلها مما يمس كرامة الحكومة ويحط من منزلة نظامها واتقانها ولا يليق باقل الحكومات تمدناً وترتيباً فضلاً عن مثل الحكومة المصرية التي تُعَدُّ من افضل الحكومات الشرقية واقربها من ذروة الكمال ومقام الاصلاح والتهذيب. ولما كانت مجلتكم الغرّاء احق من سواها بالنظر في هذا الامر وقد وقفت الجانب الكبير من ابحاثها على مسائل اللغة واصلاحها فقد رأيت ان اوافيها بهذه العجالة تشترك بها مع هذه الصحائف في تنديدها ومطالب اصلاحها عسى ان يكون لهذا المجموع من اصوات الجرائد واقلام المنددين تأثيرٌ في جانب الحكومة يعود علينا منهُ ما نرجوهُ من تدارك هذا الخلل واصلاح تلك الاغلاط التي اصبحت تمسّ منزلة الشعب كلهِ في نظر التاريخ لا منزلة الحكومة وحدها بمن حوتهُ من بعض الروساء وكبار العمّال. وفي مأمولنا ان لا يقتصر هذا البحث على بعض الصحف اليومية فقط في ايام معدودة ثم تزول آثارهُ وتنقطع مواردهُ كانها لم تكن ويبقى الخلل على اسوأ مما كان بل ان تنهض جرائد البلاد كلها يشدّ بعضها بعضاً في هذا المطلب الوطني المحض وان لا يفصل بينها فيهِ اختلاف السياسة وتشعب المذاهب والآراء فان الامر لغويٌّ جنسيٌّ لا دخل للسياسة فيهِ ولا مكان للاختلاف عليهِ وان لا يقول بعضها انها قد اصبحت مسبوقةً في هذا المعنى فهي لا تدخل في ابحاثهِ هرباً من التقليد وانفةً من التمثل والاقتداء فانهُ عذرٌ واهن لا تقبلهُ الوطنية ولا تساعد عليهِ الغيرة الجنسية العربية والاّ لوجب على تلك

الجرائد ان تنقطع عن السياسة بتةً ولا تخط فيها حرفاً واحداً اذ كلها احاديث مسبوقة ومعانٍ مكررة ليس فيها شيء من فضل الابتكار ولا طلاوة الجديد . ذلك فضلاً عن ان جرائدنا كلها مع تباين آرآئها واختلاف مذاهبها في ضروب السياسة والاميال ليس فيها صحيفةٌ لا تدّعي الوطنية ولا جريدةٌ لا تزعم انها تخدم الوطن وتسعى الى اصلاحهِ ونجاح بنيهِ وهذه المسئلة وطنية محضة بما قدمناهُ من علاقتها بابنآء البلاد ولغة حكومتها واللغة من اعظم الروابط الوطنية وامتن العرى الاجتماعية كما لا يخفى فلم يعد للجرائد عذرٌ في عدم التعاون عليها كما لا يعود للحكومة عذر في اغفالها اذا اجمعت صحف البلاد كلها على الكتابة فيها

لا جرم ان حكومتنا قد بلغت من الفساد في لغة دواوينها وكتابة اوراقها وتواقيعها الى غاية لا يحسن التغاضي عنها ولا يجمل برجال الحكم الصبر عليها بعد الذي تراهُ في غيرها من الحكومات المتمدنة من اصلاح لسانها واشتراط حسن الانشآء في كتّابها او سلامتهِ من الخلل والاغلاط الفاضحة على الاقل وهي انما تقتدي بتلك الحكومات في نظام شؤونها وترتيب اعمالها وسائر ما تجري عليهِ من خطة تحدّيها وتقليدها توصلاً الى الاتقان والكمال وقد تعين عليها ان تقتدي بها في هذا الشأن ايضاً اذ هو رأس الشؤون الادبية وملاكها ان لم يكن للمباهاة والفخر فلنفي النقيصة وعار التقصير . بل لقد اصبحت حكومتنا في بعض مصالحها عكس حكومة الخلفآء من اسلافها تماماً فقد روي عن الحجاج انهُ ارسل الى عاملٍ لهُ يطلب منهُ ان يبعث اليهِ بعدّةٍ من كتّاب ناحيتهِ يستعملهم في ديوان انشآئهِ فسيَّر اليهِ جماعةً فيهم شبر ابن ابي كثير فلما وردوا على الحجاج وكان على ما اشتهر عنهُ من الظلم والعسف خشي كثير ان يُدخلهُ في جملة كتابهِ ثم ينالهُ منهُ ما لا يحب فقال ما أُراني اخلص من الحجاج الاّ باللحن فلما

أُدخل عليهِ سألهُ ما اسمك قال كثير قال ابن من قال كثير فخشيت ان لا يتعدى هذه المسئلة الى سواها فقلت ابن ابا كثير قال اعزُب لعنة الله عليك وعلى من ارسلك . اما في هذه الايام فانا نرى بعض الرؤساء من رجال حكومتنا قد يغضبون على كاتبهم اذا اجتنب اللحن في كتابتهِ وكثيرًا ما يصلحون لهُ على زعمهم فيبدلون الصواب بالخطاء ثم لا يقبلون لهُ عذرًا ولا يسمعون برهانًا ولا قاعدةً عندهم الاّ ما درجوا عليهِ ولا اصل الاّ ما الفوهُ من سابق لغتهم السقيمة نقلاً عن اخلاط السلف وقد ذهبت عناية الحكومة في مدارسها ضياعًا وراحت مساعيها في تعليم قواعد اللسان أدراج الرياح . وما ننكر ان في رؤساء الدواوين من يعرفون الاصول الكتابية ويسعون في تقويم الكتابة واصلاحها ولكننا نقصر كلامنا على البعض منهم ممن لا يزالون على النسق القديم ولا يقبلون عبارة الكاتب الاّ كما يفهمونها وحدهم وهي لو أعدتها على غيرهم بعدد حروفها ما فهم لها لفظًا ولا معنى

ولا يخفى ان الحكومة تشترط علم القواعد الانشائية في مدارسها وتقديم الامتحان الكتابي في ولاية مصالحها حتى انها لتتشدد في اتقان الخط احيانًا وترفض من لا يجيد تصويرهُ وهي مسئلة ثانوية في جانب العلم الصحيح فكيف تغفل ذلك من جهة وهي ترى هذا الخلل الفاشي في لغة دواوينها من الجهة الثانية واذا كان لا يهمها الاصلاح وسلامة الانشاء فلماذا تطالب عمالها بشهادات العلم وما بالها تشدّد في امتحانهم كل هذا التشديد وما الذي يفيدها من الحصول على الواسطة اذا كانت لا تستعمل الغاية واي كسب لها في اتقاء الغصن اذا كانت لا ترجو منهُ ثمرًا ولا تطالبهُ بجنى اللهمَّ الاّ ان يكون تشدُّدها ذلك من قبيل التعنُّت في استعمال المستخدمين والتصعيب عليهم في طرق الاستخدام وهو ما لا

يليق بحكومةٍ متمدنة فتحت مدارسها لتهذيب الشعب وفتحت مناصبها لمن يخرجون من تلك المدارس من المتعلمين الفتيان الذين هم رائد الاصلاح والعمران وفي ايديهم مستقبل البلاد وتقدم الاوطان

فصل المرضى عن الاصحاء في الامراض المعدية

لا مراء في ان صحة العموم من اهم مباحث العلم في كل أينٍ وآن واخص مطالب الحضارة في جميع الامصار والبلدان وقد ثبتت مبانيها في شرائع الملل على قواعد الدين من قديم الزمان فجُعِلت من الفروض التي ما زال العمل بها جارياً حتى الآن على انها صارت في هذا العصر من شؤون الحكومة الاجرائية يقرر الاطباء قواعدها فيتخذها الوازع دستوراً للعمل واخصّ القواعد التي جرت عليها حكومات البلاد المتمدنة منذ عهد قريب (١) وجوب المبادرة الى اعلان المرض المعدي حالما يظهر لتُتَّخَذ التدابير المانعة من انتشار العدوى (٢) فصل المرضى والناقهين وذوي الامراض المشتبهة عن الاصحاء فصلاً تامًّا في مساكنهم او في المستشفيات المعدة لهم (٣) نقل هؤلاء المرضى الى المستشفيات في عربات خصوصية تُطهَّر بعد ذلك (٤) فصل الممرّضين ومراقبة الذين احتاطوا بالمريض (٥) تطهير الملابس والامتعة التي تلوثت به (٦) الاحتياط لدى دفن الموتى على طرق خصوصية. وهذه المبادئ التي جرت عليها او على بعضها الحكومة الخديوية في حوادث الوباء الاخير لم تزل غير مرعية في كثير من الامراض المعدية الكثيرة الانتشار في القطر المصري ولذلك آثرنا تنبيه الذين تهمهم الشؤون الصحية من الخاصة والعامة الى ما تمس اليه حاجة البلاد على مبدأ وذكّر ان نفعت الذكرى

ولا يخفى ان القدمآء لم يعوّلوا على فصل الاصحاء عن المرضى الا في البرص والطاعون . اما البرص فقد عُدَّ في الزمن القديم من شرّ الامراض المعدية التي كانوا يتقونها بالهرب من المريض ويظهر انهُ كان كثير الانتشار في اوربا في القرون الوسطى بدليل انها كانت تشتمل على ١٩٠٠٠ مستشفى مخصصة كلها لعزل البُرص منهـا الفان في فرنسا وحدها انشئت في ايام الملك لويس الثامن . ولا شك في ان هذه المستشفيات كانت الوسيلة لمنع انتشار هذه العلة فقد ثبت ان عدد المصابين بها في النصف الاخير من هذا القرن لم يبلغ في نرويج وحدها ربع ما بلغهُ قبل ذلك فيها . واما الطاعون فقد اعتُمد في الوقاية منهُ على هذه القاعدة « متى حلّ هذا الوبآء في بلدةٍ فلا يدخلها احد ولا يخرج منهـا احد » ولم يُحجَر على المطعونين الا منذ القرن السادس عشر حيث كانت أحكام الحجر شديدة يؤدي اقل اخلالٍ بهـا الى اشد العقوبات وقد ظهرت منافعها ظهورًا بيّنًا في الوافدة التي تفشت في ايطاليا من سنة ١٥٧٥ الى ١٥٧٧ . وفي ايام البابا اسكندر السابع ظهر هذا الوبآء في نابُلي سنة ١٦٥٦ فارتاع اهل رومة وقُطِعت العلائق بتاتًا بين المدينتين على ان ذلك لم يمنع من تفشي الوافدة في رومة فعهد البابا بادارة امور الصحة للكردينال جَستَدي وقد أبدى هذا الكردينال من الحزم حينئذٍ ما خلّد لهُ الذكر الجميل فهو اول من انشأ مستشفى منعزلاً عن المدينة لتمريض المطعونين وحتم بوجوب اعلان حوادث العلة أنى ظهرت وجعل درك ذلك على رب البيت والطبيب والخادم الروحي ثم لم يكتفِ بذلك بل جعل عزل المطعونين في مستشفيات خصوصية الزاميًّا وحتم بوجوب نقل ذوي المرض المشتبه الى مستشفى خصوصي وبان تُطهَّر المواد الملوثة وحرّم بيع ملابس المرضى واشيآءهم وقرر وجوب الاسراع بدفن الموتى

واجرآء التدابير الفعَّالة لمنع انتشار الروائح المنتنة من قبورهم وذلك بان تكون حُفَرها عميقة وتفرش بالجير ثم اخذ في مساعدة المعوزين والفقرآء مما جمعهُ من اهل البر والاحسان فوق بذلك مدينة رومة من ذلك الوبآء الجارف الذي اودى بحياة ٢٠٠٠٠٠ نفس في نابُلي ولم تتجاوز الوفيات بهِ في رومة ١٤٠٠٠ نفس على ما كان بين المدينتين من التفاوت في عدد السكان حينئذٍ. ومما يؤثر عنهُ قولهُ « ان الوبآء لا يقاوَم الاَّ بالادوية السياسيَّة »

ومما يجدر اعتبارهُ انهم لم يهتمّوا في ذلك القرن بعزل المصابين بالامراض المعدية اهتمامهم بعزل المطعونين فالجدري لم يكن اقلّ نكالاً من الطاعون على انهُ لم يتقرر عزل المجدورين الاَّ في النصف الثاني من القرن. ومع ان الفرنساويين سبقوا غيرهم الى القول بوجوب انشآء المستشفيات الخصوصية لعزل المصابين بالامراض المعدية فالانكليز كانوا اول السابقين الى العمل بموجب هذا القول شأنهم في جميع الامور الخطيرة فقد انشأُوا سنة ١٧٤٦ في لندن اول مستشفى لعزل المجدورين ثم انشأُوا سنة ١٨٠٢ مستشفى آخر لعزل المصابين بالحميات النفاطية ويوجد الآن في لندن خمسة مستشفيات مخصصة لعزل المصابين بالامراض المعدية ومستشفى سادس للناقهين منها وكلها تتعهدها شركة وطنية واحدة اعضآؤها ينوبون عن اربعة ملايين سكان تلك المدينة العظيمة. وقد عدلوا الآن عن تمريض المجدورين في المستشفى المخصص بهم كما ذكر آنفًا لانهم عيّنوا لهم سفنًا راسية في نهر التاميز مهيأة لتمريضهم على احسن اسلوب وخصصوا المستشفى المذكور بالناقهين منهم وهذه المستشفيات تشتمل على ٢٣٨٣ سريرًا تزاد عند اللزوم الى ٣٠٠٠ وكلٌّ منها متصل باسلاك التلفون التي تربطها بالمحطات المعينة للنقَّالات تسهيلاً لنقل المرضى حال اعلان المرض المعدي وقد مُرّض فيها من

٣٠ اكتوبر سنة ١٨٨٩ الى ١٦ مايو سنة ١٨٩١ نحوٌ من ٤٤٥٦١ مريضاً منهم ٢٢٣٨٠ مريضاً بالقرمزية و٩٧٥٢ مريضاً بالخناق (الدفثيريا) و٧١٢٢ مريضاً بالحمرة و٤٤٢٢ مريضاً بالحمى التيفوئيدية و٣٤٢ مريضاً بالحمى الملازمة (المطبقة) و٣٣٩ بحمى النفاس و١٣٤ بالجدري و٥٨ بالتيفوس و١٢ بالتيفوس المتكس . اما المستشفيات الأُخر فجملة الذين مُرّضوا فيها في المدة السابق ذكرها ١١٤ مريضاً بالامراض المعدية المختلفة منهم ٥٤ بالقرمزية و٢٠ بالخناق و١٣ بالحمرة و٢٥ بالحمى التيفوئيدية و٢ بحمى النفاس

والامراض التي حُكم بوجوب الفصل بين الاصحاء والمرضى بها على ما في قانون جمهورية فرنسا هي الخناق (الدفثيريا) والحميات النفاطية (كالجدري والحصبة والقرمزية) والحمرة والشهقة والسل . اما الحمى التيفوئيدية وذات الرئة ففيهما خلاف من حيث ضعف او قوة عدواهما عادةً على ان الانكليز قد خالفوا الفرنساويين بوجوب عزل المصابين بالحمى التيفوئيدية . واما الامرض الوافدة كالهوآء الاصفر والطاعون والحمى الصفرآء الخصوصية والتيفوس النفاطي والجاورسية فقد اجمعوا على وجوب عزل المصابين بها في مستشفياتٍ تُعَدُّ لها عند اللزوم

ويُنقَل المصابون بالامراض المعدية الى المستشفيات في عربات خصوصية يسهل تطهيرها كلما حُمل فيها مريض تطهيرًا كافيًا وافيًا . ومن شرائع الانكليز المرعية الاجرآء منذ سنة ١٨٧٥ ان المريض الذي يركب عربة من العربات العمومية وهو يعرف ان مرضهُ معدٍ يغرَّم بمبلغ ٤٠ جنيهاً الآ اذا كان مضطرًّا بشرط ان يخبر الحوذيّ بعلتهِ ويسترضيهُ بدفع ما يتضرر بهِ اما الحوذيّ فيحتم عليهِ حينئذٍ ان يطهر تلك العربة الملوثة فان لم يفعل يُغرَّم بالمبلغ نفسهِ .

ومما جرى عليهِ الانكليز اكراه المصاب بمرضٍ معدٍ على الانتقال الى المستشفى في حالتين الاولى فيما اذا كان المريض ساكناً مع جملة اشخاص في بيت واحد بحيث يسهل انتشار العدوى والثانية فيما اذا كان ساكناً وحدهُ في غرفةٍ لا معين لهُ ولا من يعولهُ ومع ذلك فان الرأي رأي الطبيب يفعل بحسب مقتضى الحال ولو كان للمريض من يعولهُ خلافاً للفرنسويين الذين يكلون لارادة المريض امر تمريضهِ الى شاءَ لئلاَّ تُمسّ حريتهُ الشخصية. على ان الطبيب يلتزم بان يبعد من غرفة المريض كل من لا لزوم لهُ وان يحترس على ملابس عليلهِ واشيائهِ الملوثة لئلاَّ تنقل من غرفتهِ الى مكان آخر بدون تطهير وان يحذّر الذين يخالطونهُ من عدم الاعتناء بالنظافة والتطهير فيحملهم على لبس إتبٍ (ثوبٍ واقٍ) يسهل تطهيرهُ ويرشدهم الى وجوب تطهير ايديهم ووجوههم كلما خرجوا من غرفتهِ ويمنعهم من ان يذوقوا طعاماً عندهُ . ومتى ابلّ المريض تحتم على الطبيب عزلهُ في مكان مخصوص حتى يزول خطر العدوى وحينئذٍ تُطهّر الاماكن التي كان فيها. وفي فرنسا يجري التطهير على نفقة الحكومة عملاً بالقانون الذي سنتهُ الجمهورية في ٣٠ نوفمبر سنة ١٨٩٢ ومن موادهِ ان كل طبيب ومريض وقابلة يُجبَر على اخبار الحكومة لدى ظهور مرضٍ معدٍ والاَّ فهو يغرّم بمبلغ ٥٠ فرنكاً الى ٢٠٠ فرنك . وفي انكلترا يُجبر اهل المريض والطبيب على اخبار الحكومة بوجود العلل المعدية ولكن على طريقة اخرى وهي ان كل طبيب يخبرها عن مريض رآهُ مصاباً بعلة معدية يُكافأ كل مرة بمبلغ شلنين (نحو نصف ريال) ومن قوانين هذه الدولة ان كل صاحب بيتٍ او فندق يُؤجر مسكناً اقام فيهِ مريض بعلة معدية قبل ان يُطهّر التطهير المحتوم بهِ يُعاقب المؤجر عقاباً شديدًا

ومن المسائل المشكلة تعيين مدة عزل المرضى في الامراض المعدية

المختلفة في القرمزية مثلاً كانوا يظنون ان العدوى تزول بعد تمام التقشُّر وقد ثبت الآن ان هذه العلة تنتقل عدواها بعد مضي ٥٠ او ٥٥ يوماً من حين البرء وبعض المصابين بها بقوا ٧٧ يوماً في المستشفى بعد ابلالهم منها ولما خرجوا منهُ انتقلت عدواها بهم الى آخرين . على ان المعوَّل عليهِ الآن وجوب عزل المصابين بالقرمزية ٥٠ يوماً بعد ابلالهم منها وهذه المدة تزاد الى شهرين او ثلاثة اشهر اذا صاحبها اختلاط تقيحي . اما الحصبة فقلما يعتمد على عزل المصابين بها الاَّ اذا اختلطت بالتهاب شُعَبي رئوي واذا اقتضي عزلهم وجب تفريقهم حذرًا من انتشار الالتهاب المذكور . واما الخناق (الدفثيريا) فالمسئلة المشكلة المعضلة فيهِ عدم التثبت في معرفة جرثومتهِ الخصوصية لان التمييز بينهُ وبين سائر ع‍ل الخناق الغشآئية في اول ظهور العلة عند سرير المريض من اصعب الامور على الطبيب تحقيقًا فلا يسوغ للطبيب ان يجزم بتشخيص هذه العلة كلما رأى بقعةً بيضآء في الحلق كما لا يسوغ لهُ ان ينفي وجودها ان لم يرَ الغشآء الكاذب لان بعض حوادث هذه العلة لا يظهر الغشآء فيها على الحلق على ما يبدو للنظر المجرَّد وبنآء عليهِ أُنشئ في باريس مكان خصوصي يعالج فيهِ ما اشتبه من حوادث هذه العلة وقد ثبت ان جرثومتها الخصوصية استكنت احيانًا في حلق المصاب ونقلت الى غيرهِ بالعدوى ولم يكن ثمَّ ما يقي منها . وقد جرى الاطبآء على تسليم مرضاهم بعد شفآئهم من هذه العلة باثني عشر يوماً وهي طريقة لا يُحمَد غبُّ امرها لان هذه العلة يمكن ان تنتشر بعد ذلك كما يعلم بالمشاهدة . وفي نيويورك مختبر مخصص لفحص جراثيم هذه العلة اثبت مديرهُ منذ امد قريب وجود جراثيمها في ٧٥٢ حادثة تحرّاها في جميع اطوارها فتبيّن ان جرثومتها الخصوصية زالت بزوال الاغشية الكاذبة في ٣٢٥ حادثة منها

وفي ٢٠١ هلكت هذه الجراثيم بعد مضيّ ٦ الى ٧ ايام من ظهور الاغشية الكاذبة في الحلق وفي ٨٤ حادثة بقيت هذه الجراثيم الى اليوم الثاني عشر وفي ٦٩ حادثة الى اليوم الخامس عشر وفي ٥٧ حادثة لم تزل الآ بعد مضي ثلاثة اسابيع وفي ١١ بقيت الى آخر الاسبوع الرابع وفي ٥ بقيت الى آخر الاسبوع الخامس وفي حادثة واحدة بقيت الى آخر الاسبوع السادس . والحاصل ان مدة حياة جراثيم الامراض المعدية لم تزل غير معروفة كما يجب ولذلك لا يستطيع الطبيب ان يعين الوقت الذي يؤمن بعد مضيهِ من انتقال العدوى في كثير من هذه الامراض

وكنا نود ان نشبع الكلام في هذا الموضوع المهم لو انفسح لنا مجال القول فنقف القلم عند هذا الحد وفي ما تقدم كفاية للدلالة على وجوب الاعتناء بصحة العموم في هذا القطر على ما تقتضيهِ مبادئ العلم فعسى ان تدبّ روح المروءة في بعض ذويهِ ليتألفوا جمعية وطنية تهتم ببناء مستشفى واحد لتمريض الذين يصابون بالامراض المعدية اقتداء بجمعية لندن التي تهتم بكثير من المستشفيات

وتشبهوا ان لم تكونوا مثلهم ان التشبه بالكرام فلاحُ

العادات ونتائجها

لحضرة النطاسي الفاضل الدكتور الياس افندي ساحة

العادة سجية مكتسبة للنفس تحدوها الى فعل قد كُرّر استعمالهُ او طال الولوع بهِ فاذا بلغت مبلغها من الانسان بسطت عليهِ يداً مطلقة التصرف تقودهُ بلا معارضة فينقاد لها ويستعبد لاحكامها قلبهُ وحواسهُ وسائر اهوآئهِ واميالهِ

ولذا قيل انها خامسة الطبائع او ثانيتها على قول ومن تحرى الدقة في البحث عن الكائنات الحية تبين ان جميع وظائفها تتم بالعادة في اوقات معينة وهي منذ نشوءها ونموها في الآدمي تنفعل بها المواد المركب منها جسمهُ حتى يصير كانهُ قد فُطِر عليها ودخلت في تركيبهِ

ولما كان غرضنا من هذه المجالة غرض الطبيب لزمنا ذكر مضارّ بعض العوائد السائدة علينا الناشرة الوية عدآئها على ربوعنا فنقول

ان العادة السيئة المضرة هي ولوع القلب ببعض الملاذ ولوعاً يتعدى الحدود الطبيعية ويتخطى الشرائع والنواميس الادبية وعاقبتها حصر القوى العقلية والجوارح البدنية في دائرة ضيقة تجعل الحس والعقل في ظلال الخفآء وظلمات التيه فيقصر عن الشعور بما يجري فيهِ وما يحيط بهِ حتى يصاب بالوهن والخرف وترى صاحبهُ يخالط الناس حاضراً كالغائب كانهُ من التماثيل الخشبية وربما انتهى بهِ الامر الى الجنون

وكما تؤثر العادة المضرة في الاعمال العقلية تؤثر في الاعمال الادبية والعضوية والغذآئية والتنفسية والدورية والافرازية وتعدُّنا لاصابات مرضية عديدة اما بجعلها الاعمال الارادية العادية دورية قسرية واما باخلالها في نظام الوظائف الطبيعية فتنشأ عنها اضطرابات قد تكون ثقيلة تؤدي الى امراض عضالة . فسوء تدبير غذآء الطفل يعنيهِ بالنزلات المعدية المعوية والقيء والمغص والاسهال وسوء معالجتهِ يؤدي الى ثقلها وخطرها على حياتهِ . والام الجاهلة تجازف بحياة فلذة كبدها وثمرة احشآئها ليس بحيادها عن جادة حسن تدبيرهِ الغذائي فقط فانهُ قد يعتادهُ ويستمر عليهِ بل تزيد على ذلك تعريضهُ لان يبتلى بانواع الرمد والزكامات الشعبية والرئوية واحتقان المخ وما يتولد عنهُ من جرآء

عصب رأسهِ والخنازيري على اشكالهِ من جرآء الاقامة في الاماكن الرطبة الكثيرة العفونة كما تجعلهُ حجر عثرة للناس بفساد آدابها يستظلون معهُ برحى المزاحمة الكونية وهي سارحةٌ في مجاهل الغباوة والبله وقد يكون من خيارهم لو تربى

وتؤثر العادة المستهجنة في البالغ سن الرشد تأثيرات مرضية مختلفة بحسب نوعها ومدتها وكيفيتها والعضو الفاعلة فيهِ وغير ذلك مما يطول شرحهُ ويستغرق مجلدات كثيرة ولذلك نوجز في الكلام فنقول

ان الاكثار من النوم والافراط في الاكل والشرب والسهر ومعاقرة الشراب والوقوع في مهاوي العشق وضبط المفرزات الطبيعية كل ذلك يُعِدّ المرء لنمو جراثيم الامراض فيهِ فينجم عنها الامتلآء الدموي والحميات المخاطية البطنية والصدرية وعسر الهضم وفقد شهوة الطعام والنقرس والحصيّات الكبدية والكاوية والسكر والارتعاش الكحلي والتهاب الحبل الشوكي والتشنج والآلام العصبية والنزلة المثانية والامساك والبواسير ودآء السويدآء وما شاكل. وعادة التحديق في الاشيآء الدقيقة كالبحث المجهري والرسم الدقيق تؤدي الى قصر النظر وادمان شم الروائح الكريهة يثلم حاسة الشم واستماع الاصوات القوية يبتلي بفقد السمع والاخلاد الى الاراجيف والاكاذيب يفسد الضمائر

ويجدر بنا ان نسهب القول قليلاً في العادات المضرة الناتجة من استعمال انواع الكسوة التي انما تتخذ لوقاية الجسم من المؤثرات الخارجية الناشئة عن تقلبات الفصول او اختلاف الاقاليم والسنّ والمزاج والحالة الوظيفية الطبيعية كالحمل والارضاع والصحة والمرض والنقه كما يقصد بها احاطة البدن بسياج العفاف وتسويرهُ بسور الوقار والهيبة فان الملابس الحافظة للحرارة كالصوفية والحريرية تلائم الاحداث والمرضى المنهوكين وتضر بالبالغين لما ينشأ عنها من

افراز عرق غزير الكمية متعب يلتبس ملحهُ بطفح الحميات وقلما ينجو المصاب بهِ من مضار الخطأ في التشخيص وسوء العلاج . وهي تسبب تعباً جزيلاً لاسراعها دوران الدم وتهيئ لابسها للاصابات المرضية فلفافات الرأس تهيئ للاحتقان الدماغي ومحيطات العنق للذبحات

والملابس الغير الحافظة للحرارة يتوقف تأثيرها على البيئة من حيث البرد والحرّ والجفاف والرطوبة فهي كالعري من الاثواب

وتعرية الصدر والعنق والذراعين والعضدين اتّباعاً لاهوآء الازيآء السيئة العقبى التي يتّبعها الجنس اللطيف تقودهنَّ الى ملاقاة جيوش الآلام الروماتزمية والزكامات الانفية وذات الجنب وذات الرئة والسل الرئوي وهنَّ غافلات عن نصائح مرشدهنَّ راضيات بأمل الحصول على استحسان الرجال للطف اعضآئهنَّ ونصاعة بياض الوانهنَّ وبئست الاماني القاتلة

والضغط على البدن يعوق نموّ العضو المضغوط فتضطرب وظائفهُ وينشأ عن ذلك مضار تختلف باختلاف الاعضآء المضغوطة فضغط قبعة الرأس يحدث الشقيقة وضغط عصابة العنق يعقب الرعاف والاحتقانات الدماغية وضغط الحذآء يولد ما يسمى بعين السمكة في اجزآء مختلفة من القدم قد تلجئ المريض والطبيب بعد طول معاناة الآلام الى بتر الاصبع الموجودة فيه وضغط الاحزمة والسراويلات ومشدّات الصدور يعطل الهضم ويعوق حركات التنفس ويورث الفتوق وقد يتلف حياة المبتلي بهِ وهو راضٍ بتصورهِ السقيم انهُ ذو قوامٍ ميّاس وخصرٍ نحيل

اما مشدّ الصدر (الكورسه) فحدّث عن اضرارهِ ولا حرج واذكر جسيم بلآئهِ ولا تخشَ الخطأ في القول انهُ وبآء بنات التمدن الكاذب لانهُ يغير شكل صدورهنَّ فتضيق قواعدها ويقلل من حركات اضلاعهنَّ فيضيق منفرج

الرئتين ويقل تطهير الدم بالتنفس الطبيعي وتضغط الرئة اليمنى منها على الكبد فتضطرب وظائفها ويكون من الاسباب المتممة لتوليد الحميات فيه ويمنع بروز حلمتي الثديين فتضمران كما تضمر عضلات القفص الصدري وينشوه العمود الفقري بالالتواءات العارضة وتخلع الكلية ويبرز البطن ويخفق القلب وتنقص شهوة الطعام وتصير جميع العواطف محزنة وربما انفجرت بعض العروق في الانف فيسيل الدم رعافاً وينذر بالسلّ الذي تستكّ من ذكره المسامع وتهلع القلوب وتنهمر شآبيب الدمع دماً واذا لم توءاته الاحوال ولم يجد سبيلاً للحلول في اهم اعضاء الشابة ينيب عنهُ اعواناً لهُ كافة من آفات القلب او علة من علل الدماغ

وليُعلم ان قوام المرأة الادبية الفاضلة يكون باعتدال الصحة وجودة العقل وحسن الادب والصبر وابهى حلي لها هو الحياء الذي لم تعطلهُ وساوس سوء المعاشرة ولم تتلفهُ سموم الولع بمضرات الاهواء فان العادات المؤذية من شرّ ما ابتُلي بهِ الانسان لان لكل امرئٍ من دهرهِ ما تعوَّد

اسئلة واجوبتها

القاهرة — ارجو الافادة عن هذين السؤالين

(١) ما اصلح الاستضاءة ليلاً لمن اراد القراءة والكتابة والرسم وما الطريقة التي تقي نظار المدمن عليها من الضعف

(٢) ما الذي يعين الانسان على الاشغال العقلية وصرف الهموم القلبية

يوسف احمد
رسام بلجنة الآثار
العربية

الجواب — اما السؤال الاول فافضل ما استُصبح بهِ النور الابيض بشرط ان لا يكون شديدًا جدًّا ولا ضعيفًا وافضل ما يُختار لذلك هذا النوع من المصابيح الاميركانية الذي لا زجاج عليهِ فانهُ فضلاً عن بياض نورهِ وتفاوتهِ غير معرَّض للكدر الذي يعلو الزجاج في غيرهِ من المصابيح المألوفة . واما وضع المصباح فالاصلح ان يكون مرتفعاً عن موازاة العين او مائلاً الى جهة الوراء ما امكن حتى لا تقع اشعتهُ على الحدقة مباشرةً . وعلى كل حال فان ادمان الاشغال الدقيقة على ضوء المصباح مضرٌّ بالبصر مؤدٍّ على التمادي الى ضعفهِ وربما حدثت عنهُ آفات لا تؤمن عواقبها كالسمادير وهي ما يتراءى للعين من الاشباح الكاذبة ونزول الماء وشلل العصب البصري وغير ذلك . فان لم يمكن ان يُجتنب او يخفَّف فلا اقلّ من اخذ فتراتٍ كل نصف ساعةٍ في الاكثر مدة خمس الى عشر دقائق يُتشاغل فيها بالحديث اوغيرهِ ريثما يستريح البصر ثم يُستأنف الشغل

واما السؤال الثاني فافضل ما يستعان بهِ على الاشغال العقلية اغتنام اوقات الفراغ للنزهة في الاماكن الخَضِرة والمناظر الفسيحة والاشتغال بشيء من لهو الحديث او السماع مع اعطاء الجسم حقهُ من الراحة والنوم والغذاء والرياضة واجتناب الكظّة من الطعام واختيار المآكل السريعة الهضم والتجافي عن الشغل في اوقات الامتلاء والانصراف الى الراحة كلما شعر العقل بتعبٍ او ارتباك

واما صرف الهموم فقد يفيد فيهِ كثيرٌ مما ذُكر وانفع ما يوصف لهُ بعد ذلك توطين النفس على مصابرة النوازل ورفعها عن مذلة الانكسار لعوارض الدهر واخذها بالملاينة والملاطفة وتعليلها بترقب الفَرَج فان النفس اشبه بالطفل الصغير سريعة الانفعال سريعة الرضى ولو بالمحال وذلك مع العلم بان كل مبتدإٍ لا بدّ ان ينتهي الى آخر . ثم اختيار الصديق الصدوق ذي المروءة والشفقة

تُفضي اليهِ بسرّك وتكاشفهُ بمكنون بثّك فان لم يستطع ازالة شكواك فلا اقلّ من ان يتوجّع لك فان النفس اذا آنست شريكاً لها في البلاَء شعرت من التأسي بما يخفف عنها من عبئهِ ويهوّن عليها احتمالهُ

بني سويف — في اطلاعي على الجزء العاشر من مجلتكم الغرّاء (صفحة ٤٠٠) عثرت على طريقة لمعرفة ايام السنة لحضرة الفاضل محمد افندي راغب في قسم الادارة عندنا ثم اطلعت في الجزء الثاني عشر (صفحة ٤٦٤) على طريقة تماثلها لحضرة الفاضل قاسم افندي هلالي مهندس بعموم ري وجه قبلي بالمنيا . وبفحص الطريقتين تراءى لي ان طريقة هلالي افندي انسب واسهل لكن اشكل عليَّ فيها امرٌ التمس ايضاحهُ لي وهو أن القاعدة التي ذكرها الافندي المشار اليهِ ان يؤخذ عدد السنة الواقع فيها اليوم المراد معرفتهُ موضوعاً تحت حرف (جـ) ويُضَمّ مع ربعهِ الى عدد اليوم نفسهِ والعدد المفروض للشهر ويُقسَم المجموع على ٧ عدّة ايام الاسبوع . وعليهِ فاذا كانت تلك السنة هي سنة ١٩٠٠ فهل نجمع مع الاعداد المراد جمعها «٩٠٠» ام «١٠٠» ام «١٩٠٠» وكذا اذا كانت ١٩٠١ هل نجمع مع تلك الاعداد «٩٠١» ام «١٠١» ام «١٩٠١» ام«١»? . ارجو افادتي عن ذلك ولكم الفضل محمد راقم

الجواب[1] — ان الطريقة المذكورة تمشي على عموم السنين الآتية والماضية

---

[1] قد بعثنا بالسؤال نفسه الى حضرة هلالى افندى فورد علينا منه الجواب الذى تراه وهو مع صحته لا يخلو من مباينة لما تقرر من العمل بهذه الطريقة فى موضعها لان الذى اخذ من عدد السنة هنا هو رقم المئات فما دون حالة كون

اعني انهُ يؤخذ ربع سنة ٩٠٠ وسنة ٩٠١ وسنة ٩٠٢ وهلمَّ جرًّا الى سنة ١٠٠٠ ويوضع الربع تحت حرف (د) ثم توضع السنة نفسها تحت حرف (ج) كما تقدم ويجري العمل. مثالهُ انك اذا اردت ان تعرف اول يوم من يناير سنة ١٩٠٠ تجري في العمل على هذه الصورة

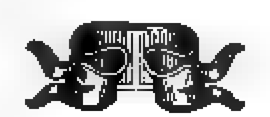
١٠ ب ج د

١ + ٣ + ٩٠٠ + ٢٢٥ = ١١٢٩ ÷ ٧ يكون الباقي ٢ وهو يوم الاثنين الموافق لاول يناير سنة ١٩٠٠ وهو المطلوب

قاسم هلالي
مهندس

القاهرة — لم نعثر في كلام الجاهلية ولا صدر الاسلام على لفظة «ايضاً» مع انها اذا اعتبرناها مصدرًا لآض بمعنى رجع عربيةٌ صحيحة فنرجو ان تعرّفونا رأيكم فيها ومن اول من استعملها من المولدين د٠ ع

الجواب — الاظهر ان الكلمة قديمة الاستعمال وان لم تروها في كلامٍ قديم فان جميع مؤلفي اللغة يذكرونها في كتبهم بالمعنى المتعارَف لها اليوم وقد علمتم ان اصحاب اللغة لا يكادون ينقلون الاّ ما ثبت استعمالهُ عن العرب



الذي اخذ هناك هو رقم العشرات فما دون ولو حاولنا توحيد الطريقة بترك المئات هنا او بزيادتها هناك لم يستقم الجواب ولذلك لم يكن بد من معاودة هذه الطريقة وتحريرها بحيث يكون العمل بها مطردا على وجه واحد

البيان

السنة الاولى — الجزء الرابع عشر

١٦ دسمبر سنة ١٨٩٧

اللغة والعصر

(تابع لما قبل)

وقد امتدّ بنا نَفَس الكلام في هذا الباب الى ما لعلّ المزيد عليهِ يورث الملل فنقِف منهُ عند هذا القدر وانْ هو الاّ غَيضٌ من فيض اوردناهُ عبرةً ومثالاً وتنبيهاً للباحث الى وجوه تدبُّر اللغة والتفطن لاستنباط اسرارها والكشف عن غوامضها وقد اقتصرنا فيما ذكرناهُ على اشهر ابنية المشتقات وأمثلها اغراضاً مما ظهر لنا ثبوت القياس فيهِ وان لم يطّرد في السماع وبقي وراءَ ذلك من خفيّ آثار الوضع ما لا يسعنا استيفاؤهُ في هذا المقام وما يقتضي بحثاً دقيقاً ونظراً طويلاً في تتبُّع الفاظ اللغة وتفقُّد مواقعها في كلام العرب للاحاطة باغراضها وردّ كلّ منها الى حيِّزهِ وهو ولاجرَم من المباحث الحريّة بأن تكون علماً برأسهِ يقيَّد بأصولٍ وضوابط يُرجَع اليها عند الاقتضاء ولعلّنا لا نعدم في علماء هذا العصر من ينتدب للقيام بهذا المهمّ ان نشطوا لذلك وما هو على من صدق العزم فيهِ بعزيز

بقي ان نذكر شيئاً في الكلام على صيغ الافعال وطُرُق اشتقاقها وما يتعاورها

من ضروب المعاني ووجوه الاستعمال وهذا على كونهِ من اغراض علم الصرف وهو مما ازدحمت عليهِ اقلام المصنفين حتى كادت تآليفهم تفوت الحصر فقد بقيت هناك اشيآء لم يوفّوها حقها من البحث ولم نجد من زاد فيها على المشهور او خالف الى غير طريق المتداوَل لاعتياد كل من ألّف منهم على النقل ووقوفهِ عند ما قالتهُ السَلَف الاّ نفرًا منهم ممن أُيّدوا بالبصيرة النقّادة وقليلٌ ما هم

فمن تلك الصيغ مثال فاعَلَ وجُلّ ما ذكروا فيهِ انهُ يأتي بمعنى المشاركة وهو المعنى المشهور لم يكادوا يخرجون عنهُ الاّ الى معانٍ نادرة جآءَت في الفاظٍ محفوظة وربما اخرجوهُ في بعض تلك المعاني عن اصل وضعهِ كما سيتضح لك مما يجيء. قال الزمخشريّ في مفصَّلهِ «وفاعَلَ لأن يكون من غيرك اليك ما كان منك اليهِ كقولك ضاربتهُ وقاتلتهُ.. ويجيء مجيء فَعَلتُ كقولك سافرتُ وبمعنى أفعلتُ نحو عافاك الله وطارقتُ النعل وبمعنى فعّلتُ نحو ضاعفتُ وناعمتُ» اه. قلنا قولهُ لأن يكون من غيرك اليك الى آخرهِ تفسيرٌ لمعنى المشاركة التي يعبّر بها غيرهُ والمراد بها المشاركة في اصل معنى الفعل حتى يكون كل واحدٍ من الفريقين فاعلاً ومفعولاً في المعنى وهذا انما يصدق في المثال الاول اي في قولهِ ضاربتهُ لاشتراك الطرفين في الضرب بحيث كان كلٌّ منها ضاربًا ومضروبًا واما المثال الثاني فلا يصحّ ذلك فيهِ اذ ليس المراد منهُ ان كلاًّ من الفاعل والمفعول قد قتل الآخر كما هو ظاهر. وهناك امثلةٌ شتى لا يتجه فيها معنى المشاركة ولا تنطبق على معنى فَعَل او أفعل او فعّل كقولك طالبتهُ بديني وضايقتهُ وتابعتهُ وطاردت الصيد وراقبت النجم وهاجم العدوّ البلد وحاصرَهُ وقولك خامَرَهُ الهمّ وخالطَهُ السكر وعادَهُ الدآء وعاوَدَهُ وراجعَهُ وما شاكل ذلك فان هذه كلها لا تحتمل معنى المشاركة لان الفعل فيها من جانب واحد كما ترى ولا يفي بها

معنى فَعَّل المجرَّد ولا معنى أفعل ولا فَعَّل فيما يحتمل ذلك منها لان في قولك طالبتهُ بديني مثلاً معنى لا تجدهُ في طلبتهُ وكذا قولك عاطيتهُ وأعطيتهُ وعاليتهُ وعلّيتهُ وقس على ذلك نظائرهُ ولكن هذه الامثلة وما اشبهها انما يراد بها تكرار الفعل وموالاة بعضهِ لبعض فقولك طالبتهُ بديني حقيقة معناهُ طلبتهُ بهِ مرةً بعد مرة وكذا قولك طاردت الصيد وراقبت النجم وضايقت الرجل وهلمَّ جرًّا كما يشهد بهِ الاستعمال

وقد يجيء فاعَلَ بمعنى طلب الفعل من طريق المزاولة والملاج ولازمهُ التكرار كما لا يخفى وهذا قد يكون من الجانبين اي من جانبي الفاعل والمفعول جميعاً وقد يكون من جانبٍ واحد كما في الامثلة السابقة . فالاول نحو قولك سابقتهُ وغالبتهُ وصارعتهُ وما جرى مجراها فان معنى سابقتهُ طلب كلٌّ منا ان يسبق صاحبهُ لا أن كل واحدٍ منا قد سبق الآخر كما هو المفهوم من مطلق معنى المشاركة والاَّ كان كلٌّ من الفاعل والمفعول سابقاً ومسبوقاً في وقتٍ واحد وهو محال . ومن هذا قولك قاتلتهُ اي طلب كلٌّ منا قتل صاحبهِ وهو المعنى الذي ينبغي ان يُفهَم من هذا اللفظ كما يُستدرَك بادنى تأمل وحينئذٍ فالمشاركة انما هي في طلب الفعل لا في الفعل نفسهِ كما ترى . والى هذا مرجع ما يسمى بافعال المغالبة نحو قولهم فاخرتهُ وشارفتهُ اي غالبتهُ في الفخر والشرف لان هذه الافعال موضوعةٌ لطلب مصدر الفعل الذي يُسنَد الى الغالب وهو الفعل الثلاثيّ الذي يُذكَر بعد المفاعلة من قولك فاخرتهُ ففخرتهُ وشارفتهُ فشرَفتهُ فكانك قلت طلبتُ ان افخرهُ ففخرتهُ وطلبتُ ان أشرُفهُ فشرَفتهُ وقس على ذلك. والفرق بين هذه الافعال والتي قبلها أن الثلاثيّ الذي تُشتقّ منهُ تلك يكون متعدّيًا من وضعهِ نحو سبق وقتل فيجوز ان تأتي بهِ بعد المفاعلة نحو

سابقةُ فسبقتهُ وان تستعملهُ بدونها فتقول سبقتهُ الى موضع كذا وان لم يكن بينكما مسابقة. وبخلافها هذه فان الثلاثيّ الذي تُشتق منهُ لا يكون الاّ لازمًا كشَرُفَ او متعدّيًا ولكن الى غير المغلوب كعَلِمَ ولذلك اذا أُريد فعل الغلب منها بُني لهُ من لفظها صيغةٌ مخصوصةٌ بهذا المعنى تُجعَل متعديةً ولا تُستعمل الاّ بعد المفاعلة كما رأيت. وبهذا الاعتبار يُعَدّ غالبتهُ من افعال المزاولة لا من افعال المغالبة وان كان لفظهُ نصًّا في معناها ولهذا جآء مضارعهُ بكسر العين على خلاف القياس فيها. فتأمّل

والثاني اي ما يكون الفعل فيهِ من جانبٍ واحد نحو قولك خادعتهُ وخاتلتهُ وماكرتهُ وماحلتهُ وكايدتهُ وعاجزتهُ وغالطتهُ فان كل ذلك على معنى طلب الفعل ومزاولتهِ لا على معنى ايقاعهِ لان قولك خادعتهُ مثلاً معناهُ حاولتُ ان اخدعهُ ولذلك يصح ان تقول خادعتهُ فلم ينخدع وغالطتهُ فلم يغلط مثلاً بخلاف قولك جالستهُ وماشيتهُ مما وُضِع على معنى المشاركة فانهُ لايصح ان يقال بعدهُ فلم يجلس او فلم يمشِ لان الفعل في هذين المثالين واقعٌ من الطرفين لا محالة وفي الاولين مطلوب لاحدهما والآخر بريءٌ منهُ كما ترى

ثم ان هنا امرًا دقيقًا لم نجد من تنبّه لهُ وهو أن المشاركة قد تكون بين اثنين ليس فاعل الفعل واحدًا منهما كقولك طارقتُ النعل اذا خصفتَ عليها نعلاً اخرى وضاعفت الشيء اذا زدت عليهِ ضعفًا آخر وهما اللذان حلهما في المفصل على معنى أفعلت وفعّلت. ومثل ذلك قولهم هذه دابّةٌ لا ترادف اي لاتقبل الرديف وانما المرادفة بين الراكبين وقولك قاربتُ خطوي ودانيتهُ وهذا الاخير ذكرهُ في القاموس في تفسير قارَبَ واقتصر في موضعهِ على قولهِ ودانيت القيد ضيّقتهُ وتقول قاربت بين الشيئين وواليت بينهما وتابعت بينهما وعاديت

بين الصيدين اي تابعت بينهما وظاهرت بين الثوبين وطابقت بينهما اذا لبست احدهما فوق الآخر وراوحت بين العملين اذا عملت هذا مرّةً وهذا مرّة واكثر هذه الامثلة لا علَ فيه لافعل ولا نقل كما ترى

ستأتي البقية

اهل التقادير واصحاب السعي والتدبير

لحضرة الكاتب الفاضل قسطاكي افندى الحمصي في حلب

(تابع لما قبل)

وكأن التوفيق والحرمان غير مقصورين على البشر بل هما من نصيب البلاد ايضاً قال الشاعر

واذا نظرتَ الى البلاد وجدتها   تشقى كما تشقى العبادُ وتسعدُ

فهذه المدينة الفلانية شوارعها واسواقها عريضة مستقيمة مفروشة الارض باجود انواع الحجر او الخشب مكنوسةٌ على الدوام مرشوشة وقد قامت الاشجار المظلية على جانبيها ممتدّة الاغصان تظلل المارّين باوراقها من حرّ الشمس والناس يسيرون فيها على ارصفةٍ من الجانبين مرتفعةٍ عن وسط الشارع وهم آمنون من راكبٍ يصدمهم او فارسٍ يزحمهم او مركب تدوسهم دواليبهُ او تدفعهم قادمتهُ. وترى الحوانيت التي على جانبي الشارع ملأى بالسلع النفيسة والبضائع المختلفة والامتعة الثمينة من الجواهر الغالية وفاخر اللباس وباهر الاثاث وبدائع الزخارف وغرائب الزينة والآنية الجميلة والآلات العديدة المختلفة الاشكال ودكاكين باعة الزهور المتنوعة البهية الالوان التي لا يحصيها عد المجموعة باقات على اسلوب يأخذ بمجامع النفوس وسائر حاجات الترف والنعيم منضودة معروضة للانظار

ورآء زجاج الدكاكين بترتيب وابداع بالغ من الذوق الغاية البعيدة . وبين هذه الحوانيت مطاعم يتناول فيها الغربآء ومن كان بيتهُ بعيدًا من اهل الصنائع واصحاب الدكاكين احسن المآكل الشهيّة والوان الطبيخ اللذيذة واشكال اللحوم العديدة من حيوان البرّ والبحر وسائر اصناف البقول والمعجّنات والحلاوى والفواكه مما تضيق دون تفصيلهِ الاسفار فاذا دخلتها عاينت الموائد ممدودًا على كلٍّ منها مُلآءَةٌ من الكتّان الابيض الناصع المكويّ وفوقها الصحاف البديعة اللامعة من فاخر الخزف وبجانبها آلات الاكل من مِلعقة ومِشْكٍ وسكين من خالص الفضة وفوطة من نفيس الكتّان وقنينة خمر وقنينة اخرى من المآء المثلوج في فصل الحرّ وفي وسط المائدة باقة من الزهور التي تبهج الخاطر وتقر بمرآها النواظر مرفوعة على وعآء من القضار الافرنجي البديع وغلمان المطعم رشاق باسمو الثغور قائمون بالخدمة البالغة منتهى الاتقان وهم لابسو الثياب السودآء اللطيفة والقمصان البيضآء المكويّة والروائح الشهية تتضوع في ارجآء ذلك المكان الفسيح المفروشة ارضهُ بالرخام والمدهون الحيطان والسقف ببدائع الالوان ولطائف التصاوير التي تناسب المقام وتستدعي زائد الشهوة الى الطعام . وفوق هذه الحوانيت والمطاعم الدور والفنادق الشاخمة ذات الطباق العديدة والجهات الانيقة بما حُفِر ونُقِش على حجرها من الرسوم الجميلة الصنع ثم انك تنتهي الى ساحاتٍ فسيحة قد قامت في وسطها اهرام او عمد او تماثيل بعض اعاظم الرجال او مشاهير الفلاسفة من الحجر المرمر او النحاس او الصفر وقد كُتب على القاعدة منها السبب الذي دعا الى نصبها وهو اما نصرٌ مبين على العدو او فتحٌ جليل او كشف حقيقةٍ علمية او اختراع امرٍ مفيد في صناعةٍ او علمٍ مما يرغّب في الفضائل ويحبّب الى الناس ركوب الاهوال في سبيل الاوطان وبلوغ الاوطار وتكون

عائدة ذلك سعادة اهل ذلك المصر وغبطتهم وترقيهم في سلم الكمالات البشرية . واما ان يكون في وسط الساحة حوضٌ كبير يتفجر فيه الماء من افواه اسود وشابين من المرمر الابيض وغيرهِ وحول الساحة الصروح العظيمة والمباني الفخيمة وبيوت الالحان والملاهي والملاعب والحانات وفيها السرر والمقاعد والمتكآت والوسائد والمقصورات مزينةً بأنيق الاثاث مفروشةً بالخز والديباج والمخمل والطنافس الفاخرة مما يحيّر الافكار ويدهش الابصار فاذا وقف الانسان في وسط تلك الساحة ناظرًا يرى حول تلك الدائرة شوارع عديدة مستقيمة لا يدرك الطرف آخرها ثم اذا تعديت تلك الطرقات والشوارع الى خارج المدينة فانك تجد المروج النضيرة والبساتين الناضرة والجنات البديعة والحدائق الغنآء وبينها القصور والمغاني التي تعشقها العيون وتهيم بجمالها النفوس . وقد جمعتُ لمحةً من احوال اولئك القوم في قصيدةٍ اتلو عليك بعضها قصد الفكاهة قلتُ فيها

دع عنك صهبآء الدساكر	والى مغاني الدرس بادر
وانظر الى زمنٍ بهِ	دَوح الحضارة عاد زاهر
قد حاز فيهِ الغربُ غا	ياتِ السباق بلا مناقر
قُطرٌ رقي اهلوهُ اسـ	ـمى ذروةٍ فيها المفاخر
فعلومهم بلغت الى	حدٍّ تحارُ بهِ الخواطر
بحثوا عن الاجرام واة	تبثوا المخاثر والمغاور
وترصدوا سير النجو	م وراقبوا اعلى الدوائر
سبرُوا البحار وحللوا	ما في الوجودِ من العناصر
والكهربآء لهدهم	اضحى بها ذو اللب حائر
جآءت بما شدَهَ العقو	ل عجائبًا وسبى النواظر

والكيمياء قد اكتست ثوبًا من الابداع باهر
قد هامَ في اسرارها من بعد جابرَ الفُ جابر
نظروا الى ما دق مما ليس تدركهُ البواصر
قد خططوا سطح البسيطة والبحار مع الجزائر
والبعدَ قاسوا والعلوَّ وعامرًا منها وغامر
صنعوا موازين الجبار فلم يَتِهْ فيها المسافر
وجلوا خفيات الطبيعة فاستبانت كالظواهر
والسحر قد اضحى حديث خرافةٍ او قولَ هاذر
واتوا بكل غريبةٍ اعيت وحقك كل ساحر
لو شامها اليونان والرومان ارباب المآثر
او اهل مصر الاقدمون ذوو المعارف والمفاخر
لرأيتهم خرّوا الى الاذقان للرجل المُعاصر
وزكنتَ معنى القول كم ترك الاوائل للاواخر
قد حلقوا في الجوّ بالمنطاد تحليق الكواسر
والبرق قد قادوهُ بآلة اسلاك يعنو للاوامر
قد سخّروهُ بحمل منطوق الرسائل والدفاتر
فاطاعهم ولذلك استغنوا به عن كل طائر
قد اسمعوك ندا البعيد بآلةٍ من صنع ماهر
جابوا الفلاة على عجال قد جرت من غير زاجر
ومراكبٍ قد راح يحدوها البُخار بلا اباعر
خرقوا الجبال لجريها وعلى الوهاد بنوا قناطر

فاذا اتيتَ بلادهم الفيتَ طيب العيش ناضر
جمعتْ بشوارعهم احا سن كل شيءٍ كان نادر
فبيوت ألحانٍ بها تشدو القيان على المزاهر
وديار لهوٍ يلتقي فيها الحادث والمسامر
ورياض انسٍ ترتعي فيها السباع مع الجآذر
شادوا لصوت الحق في امصارهم اعلى المنابر
واضا لهم صبح اليقيـ ن وبات ليل الشك دابر
وعلى التساوي في الحقو ق مشى الأكابر والاصاغر
ذا شأنهم اضحى واذ ت غدوت تسحب ذيل عاثر
تلهو ببعض خزعبلا ت والتستّر منك ظاهر
تخفي الاسى والله يعـ لم ما اكتنّتهُ السرائر
وتقول حكم مقدّر وعليهِ قد امسيتُ صابر
تعزو الى الاقدار حكمًا من فعالك كان جائر
واللهُ ليس يريد شرّ اً بالانام وليس غادر
هذا التواني والخمو ل وذي شرورك والكبائر
حقًّا شهودٌ عدلٌ نمّتْ عليك بها الضمائر
بالجهل بتَّ لدى الملا مثلاً من الامثال سائر
فيقال زيدٌ قد حكى في جهلهِ بعض العشائر
قومٌ لهم بُنى الصفا ر فهم لذا القومُ الاصاغر
بسوى التفرق والتقا مل لا تطيب لهم خواطر
وتمسكوا جهلاً بأعـ راضٍ وقد تركوا الجواهر

حسدٌ واحقادٌ بها يتفاخرون على المفاخر
وبما جنت ايديهمو ما إن لهم في الخلق عاذر
دارت علينا يا لصحـ ـبي في الورى شرّ الدوائر
مَن نامَ عن طلب العلو م فانّهُ وابيك خاسر
يا ليت قومي يعلمون بانهم باتوا مساخر
فتى ارى الوطن المفدّ ى عن محيّا الفضل سافر
ومتى تواسيني بالاما ني والرغائب لي البشائر
هبّوا الى طلب المعا رف فهي تهدي كلّ حائر
وتشبّهوا ان لم تكو نوا مثلهم فالفرق ظاهر
ومليكنا عبد الحميـ ـد لكم معينٌ بل مُظاهر
ملكٌ اليهِ تنتمي كل المحامد والمآثر
ملكٌ لديهِ كل ذيـ ـحزمٍ وعلمٍ بات صاغر
لم تلقَ الاَّ حامدًا منا ايادِيَهُ وشاكر

ستأتي البقية

الكلدان والاشوريون

لا تقوم المدن العظيمة الا حيث تكثر موارد الرزق وتسهل اسباب الحضارة والعمران وليس في العالم كلهِ من مكان توفرت فيهِ اسباب المدنية وتيسرت لسكانهِ وسائل المعاش كالقطر الواقع بين دجلة والفرات هنالك وجد الانسان في بدآءة عهد الحضارة بسطةً من العيش فانس الى سكنى تلك الربوع الفسيحة الارجاء الكثيرة الخصب والنماء بعد ان طال عليهِ عهد البداوة يتقلب

فيها على قتاد الخشونة وشظف العيش فبنى المدن التي لم يبقَ من شواهد عظمتها الآثارُ تدلُّ عليها واعظم هذه المدن واقدمها مدينة بابل وكانت قائمة على ضفة الفرات في القطر الواقع بين النهرين المسمى كلدة وهو الذي ذُكر في التوراة باسم شنعار وقد اثبت الذين نبغوا بقرآءة الكتابة المسمارية في هذا القرن ان الاشوريين سموا ارض الكلدان بصومر واكَّد وقال بعض المحققين انهم ارادوا بصومر جنوبيَّ الكلدان وباكَّد شماليها وان سكان صومر كانوا امةً طورانية نشأت في اواسط اسيا من جبال التآي وسكان اكَّد كانوا ساميين توطنوا في اشور ثم اطلق الاشوريون اسم اكَّد على القطر الواقعة فيهِ مدينة بابل ومعنى اكَّد بلغة الصومريين « مدينة النار » واما بابل فلفظة باب في اللغة الاشورية كما هي في اللغة العربية فاستنتجوا من ذلك ان بابل اسم مركب من لفظتين باب وإيلي او ايلو ومعناهُ الاله او الآلهة وفي الآثار الاشورية يراد ببل البعل او باعال وهو المشتري المعروف عند قدمآء اليونانيين بجوبيتير وبنآء عليهِ يكون معنى هذه التسمية مدينة الاله او مدينة البعل. على ان التوراة قد ذكرت وجهاً آخر لهذه التسمية فقد ورد في الفصل الحادي عشر من سفر التكوين ان القوم اجتمعوا هنالك فتآمروا على بنآء برج يعتصمون فيهِ راسهُ الى السمآء فبلبل الله السنتهم لكي لا يفهم الواحد منهم لغة صاحبهِ ولذلك سميت المدينة بابل « لان الرب هناك بلبل لغة الارض كلها ومن هناك شتتهم الرب » وقد دلت الكتابة المسمارية التي وجدت في انقاض نينوى على صحة رواية التوراة حيث سميت بابل عند الاشوريين إيكي اي مدينة اللغات وسواناكي اسي مدينة العقاب لان الله عاقبهم على طغيانهم. ومن اسمآئها في الكتابة المسمارية تن تركي اي مدينة الخلف لان نوحاً خرج باصحابهِ من الفلك فخلفوا فيها اسلافهم الغابرين

وتاريخ اشور مرتبط بتاريخ بابل ومعنى اشور مدينة الاله اشور (وهو عندهم اسور بالسين المهملة) وهي الى شمالي بابل لا يفصلهما تخم طبيعي وفي تاريخ هيرودوطس ان اشور تشتمل على بابل وقد توسع اليونان باطلاق لفظة اشور على جميع ساحل الفرات وقالوا ان سوريا مشتقة من اسور على التصغير على انهم ميزوا اشور عن بابل وسوريا عن اشور . وفي الكتابة المسمارية ذكر كثير من المدن العامرة في تلك البقعة الواقعة في لوآء الموصل شمالي كردستان منها كالح وراسن ونينوى واربيل وقد ورد ذكر بعضها في التوراة ويظهر مما رواهُ القدمآء ان ارض اشور كانت في قديم الزمان كارض مصر قليلة المطر والشجر كثيرة الغلال تنمو فيها الحنطة نموًّا عظيماً وان الثمار والفواكه كانت ترد الى مدنها من الجبال المحيطة بها

ويؤخذ مما ورد في التوراة ان الاشوريين من نسل سام بن نوح وان البابليين من نسل حام لانهُ ذكر في الفصل العاشر من سفر التكوين ان « اشور ابن سام خرج من ارض شنعار فبنى نينوى وساحات المدينة وكالح وراسن » وارض شنعار انما كانت ملكًا لنمرود الجبار وكان اول مملكتهِ بابل وأرك واكّد وكلنة وعليهِ يكون خروج اشور السامي من ارض ملكها نمرود وهو ابن كوش اول ابنآء حام . ويستدلّ بالآثار الاشورية على ان هاتين الامتين امتزجتا معاً فتألف منهما شعب ذكر باسم الصومر وهم الذين استنبطوا الكتابة المسمارية التي عني علمآء العاديات في هذا العصر بحل رموزها فكشفوا الحجاب عن تاريخ تلك المدن الداثرة . وقد اجمعوا على ان بابل اقدم عهدًا بالحضارة والعمران الآ ان ملوك اشور انتحلوا لانفسهم النسب العريق في القدم فادعوا بان سلفآءهم كانوا ملوكاً على بابل ونينوى ومن ذلك ما نُقل عن سرجون وكان ملكاً على اشور

من سنة ٧٢٢ الى ٧٠٥ ق م ان سلفاءهُ الثلاثمائة والخمسين ملكوا مدينة البعل اي بابل فيترجح اذًا ان الطور الاول من تاريخ اشور انما هو تاريخ الكلدان اي ان ملوك بابل كانوا ملوكًا على اشور ايضًا ويؤيد ذلك ما جآء في التوراة من ان اشور بن سام خرج من ارض شنعار وهي ارض الكلدان فبنى نينوى وراسن وكالح وما عُلم عن الاشوريين في الطور الاول من تاريخهم يوافق ما ثبت بالآثار التاريخية الدالة على ما كانت عليهِ بابل في قديم الزمان ويؤيد القول بان نينوى كانت تابعةً لبابل وان تاريخ الامتين الاشورية والبابلية في طورهما الاول واحدٌ

وعُلِمَ مما ورد في التوراة ان لغة البابليين كانت الكلدانية لان اليهود الذين اجلاهم نبوخذ نصَّر من اليهودية الى بابل اضطروا الى التكلم بلغة الكلدان وقد ورد في التوراة في الفصل الاول من سفر دانيال ان الملك امر رئيس خصيانهِ ان يحضر من بني اسرائيل فتيانًا يعقلون كل حكمة ويدركون العلم... لتعلُّم كتابة الكلدانيين ولسانهم ومعلوم ان اللغة الكلدانية هي غير اللغة الارامية التي كانت لغة الاشوريين الاَّ ان الملك كان يتكلم بالارامية بدليل ما ورد في التوراة ايضًا في الفصل الثاني من السفر المذكور « وكلَّم الكلدانيون الملك بالارامية » والمأخوذ من ذلك ان لسان الكلدانيين وكتابتهم كانا في تلك الايام شائعين بين العامة ورجال الدولة وان اللغة الارامية كانت حينئذٍ لغة الخاصة ثم صارت اللغة الكلدانية مختصة بفريق الكهنة والعرافين وقد عُدَّ بيروز المورخ الاشوري كلدانيًا وكان معاصرًا لفلاسفة اليونان بعد وفاة اسكندر المقدوني بنصف قرن

ولا مرآء في ان الكلدان كانوا اول امةٍ نبغت في العلم ولا سيما علم التنجيم والفلك فهم الذين سبقوا سائر الامم الى رصد الكواكب واستنبطوا الآلات لمعرفة

قياس الزوايا وضبط التوقيت وعرفوا زمن كسوف الشمس وخسوف القمر وعينوا السيارات سبعاً وقسموا الاسبوع الى سبعة ايام وينسب اليهم قسمة الدائرة الى ٣٦٠ درجة والدرجة الى ٦٠ دقيقة واثبت البتاني وهو الفلكي العربي المشهور انهم هم الذين عينوا السنة ٣٦٥ يوماً و٦ ساعات و١١ دقيقة . والمرجح ان المصريين استفادوا من حكمتهم وان اليونان اخذوا عنهم اكثر العلوم التي نبغوا فيها لان تعاليم فيثاغورس مبنية على الاساس الذي وضعوه وفي مؤلفات ديموقريطس وارسطو كثيرٌ من المنقول عنهم وقد اطال ديودورس الكلام على مذاهبهم الفلسفية وبراعتهم في التنجيم ووضع الازياج وتقويم الازمنة . على انهم كانوا يقصدون بالنجامة التكهن والعرافة ولذلك نُسب اليهم السحر وقد قاومهم الرومان وطردوا الذين وُجدوا منهم في رومة مرارًا وكثيرًا ما تهكم بهم شيشرون في خطبهِ وانكر عليهم النبوات التي ادعوها وحظرت النصرانية تعاليمهم وحرمتها وقد ورد في القرآن « ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أُنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من احدٍ حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون بهِ بين المرء وزوجهِ وما هم بضارين بهِ من احد الاّ باذن الله »

وقد وُجد في الجزيرة بين النهرين كثيرٌ من الآجر كُتب فيهِ بالخط المسماري تاريخ مدنهم وقصص الهتهم واخبار ملوكهم واحبارهم وحديث الخلق والطوفان ورسم البروج والازياج وتقويم الاوقات وكثيرٌ منها يشتمل على طلاسم ونبوات يوافق بعضها ما جاء في سفر دانيال مما يدل على حكمة الكلدان والسحرة وعلى تاثير الكواكب في الاجسام السفلية وعلى الكسوف والخسوف ومنها ما يتعلق بالعرافة والعيافة والفأل والطيرة وتعبير الرؤيا والحلم ومنها ما يختص بحقائق

طبيعية لا شيء فيها من الخوارق كالفلاحة ووصف الحيوان والنبات . وبعض تلك الكتابات مكتوبٌ على عمودين احدهما كلداني والثاني اشوري وفيها بحث عن الامراض والتعزيم لطرد الارواح الخبيثة الى غير ذلك مما تابعت الملل بتحريمهِ فدرست علومهُ وبطلت الأ بقايا يتناقلها منتحلو هذه الصنائع . قال ابن خلدون « ولقد يقال ان هذه العلوم انما وصلت الى يونان منهم (اي من الكلدان) حين قتل الاسكندر دارا وغلب على مملكة الكينية فاستولى على كُتُبهم وعلومهم ما لا يأخذهُ الحصر ولما فتحت ارض فارس ووجدوا فيها كتباً كثيرة كتب سعد بن ابي وقاص الى عمر بن الخطاب يستأذنهُ في شأنها وتلقينها للمسلمين فكتب اليهِ عمر ان اطرحوها في المآء فان يكن ما فيها هُدًى فقد هدانا الله بأهدى منهُ وان يكن ضلالاً فقد كفانا الله فطرحوها في المآء او في النار وذهبت علوم الفرس فيها عن ان تصل الينا »

وقد نقل الباحثون في العاديات الى لغاتهم الاوربية ما وجدوهُ في تلك الدفائن من نفائس الآثار التي حقَّ لهم ان يتفاخروا بجمعها ونقلها الى متاحفهم فاحسنوا واجادوا بما تحروهُ من التدقيق في حل رموزها وكشف اسرارها حتى انجلت غياهب الاوهام عن كثير من الحقائق التاريخية . ومما يجدر اعتبارهُ ان كثيرًا من مندرجات الآجرّ الباقي من آثار تلك المدن العظيمة يدلُّ على صحة ما ورد في سفر التكوين من اخبار الخلق الاّ انهُ يخالفهُ في تحديد الازمنة وتعيين نسب الآبآء او رؤسآء القبائل او الملوك الذين اوصلوهم الى الانسان الاول . وقد كان للكلدانيين والاشوريين عقائد اشبه بها خرافات اليونان الاّ اننا اذا ضربنا صفحًا عن طور الخرافات نرى ان بعض الفلاسفة القدمآء نسبوا الى الكلدان قِدَمًا بالغوا فيهِ الى حدٍّ بعيد جدًّا فزعم ديودورس ان منشأهم يُرَدّ

الى ما يزيد على ٤٧٣,٠٠٠ سنة وتابعهُ شيشرون وبلين ونقل بعضهم عن برفيريوس ان احد منجميهم ارسل الى ارسطو ارصاداً فلكية يُرَدُّ تاريخها الى ٣١,٠٠٠ سنة وهم يبنون هذه المزاعم على تقاويم لهم يرجعون بها الى الارصاد الفلكية التي نبغوا فيها قديماً وهي مع ما قد يكون فيها من الحقائق العلمية بالقياس الى ما كان عليهِ العلم لذلك العهد فانها لا تثبت شيئاً من الحقائق التاريخية ولذلك امسكنا عن الخوض فيها ميلاً الى الاختصار وتخفيفاً عن المطالع

الديابيطس او البول السكري

الديابيطس او البول السكري مرض عضال كثير الحدوث عسر الشفآء طويل المدة تنفع فيهِ الوسائط الصحية اكثر مما تنفع العقاقير والادوية وقد استفرغ علمآء منافع الاعضآء جهدهم في التنقيب عن اسبابهِ لمعرفة طريقة تولد السكر من حيث هو عمل حيوي واطال الاطبآء البحث في اعراضهِ واشكالهِ وما يرافقهُ من العلل المختلفة الى غير ذلك مما نجتزئ عنهُ بذكر ما هو اهمُّ وافيد اجابةً لطلب كثير من قرآء مجلتنا الذين رغبوا الينا في بيان ما يعوَّل عليهِ من الوسائط النافعة للمصابين بهذه العلة فنقول

لا يخفى على الطبيب الحاذق ان هذه العلة تؤثر تأثيرًا مرضيًا في الكبد والكليتين وجهاز الدورة الدموية فالكبد يزداد حجمها في كثيرٍ من المصابين بها إما لضخامةٍ في خلاياها من جرآء زيادة عملها او لاحتقانٍ مسببٍ عن خلل عصبي وقد يتصلب نسيجها من جرآء زيادة عمل الهضم في الذين يفرطون في الطعام و يسرفون في الشراب فيحدث اليرقان وكثيرًا ما يكون تميلاً . أما الكليتان فالغالب فيهما ان يفسد نسيجهما لتعرضهما للتحوُّل الزجاجي الذي يقع في خلاياهما البشرية

(الابْلِية) لاستمرار تهيجهما بافراز السكر وبعض المواد الفاسدة مما يتولد عن سوء تمثيل الغذاء فيحدث البول الآحيّ وينتهي غالباً بالتسمم البولي . واما جهاز الدورة فخللهُ يظهر بما يعتري الشرايين من العلل كغنغرينا الاطراف وهي شديدة الخطر والتهاب باطن القلب او التهاب شغافهِ وهما سبب الموت في اكثر حوادث هذه العلة وقد يكون سببهُ الاختناق الصدري

ومما يجب الانتباه اليهِ ان المصابين بالبول السكري عرضةٌ لنمو الجراثيم الوبيلة لضعف الدم فيهم فمن المهمّ ان يحتاط عليهم بطرق الوقاية منها حذرًا من الاختلاط بالعلل التي تودي بحياتهم غالباً كالسل والتهاب الرئة والبثرة والجمرة والفلغمون وغيرها

ومن الاقاويل الشائعة ان المصابين بهذه العلة يحتاجون الى التقوية فالمشروبات الروحية تفيدهم وقد وهم بعض الاطباء بان الادوية المقوية كثيرة النفع فافرطوا في استعمالها وفاتهم ان الكبد تكون غالباً عليلةً كما تقدم فالنتيجة الضرر لا محالة لزيادة احتقانها وتهيجها وتعرضها للتصلب وشرٌّ من ذلك استعمال الخمور الطبية وغيرها من الادوية الخصوصية مما ادعى مركبوها انها تشفي المصابين بالديابيطس وتعيد قوام ولا يخفى ان هؤلاء المرضى يرتاحون الى سماع القصص المخترعة بقصد ترويج العقاقير السرّية التركيب فلا يهدأ لهم روع حتى يجربوها فتعود عليهم بالوبال ولذلك يجب على الطبيب المداوي ان يكون بارعاً خبيرًا باحوال المريض وطباعهِ وعوائدهِ قادرًا على ازالة اوهامهِ ليستسلم لهُ ويعمل برأيهِ فيعيش مدة طويلة وقد شوهد ان بعض المصابين بهذه العلة عاشوا ثلاثين سنة بعد ان ظهرت فيهم لانهم سلكوا بموجب قواعد الصحة منذ بداءة العلة

اما القواعد المعتمد عليها في العلاج فهي. اولاً يجب على المصاب بهذه العلة ان ينام باكرًا وان يستيقظ صباحاً في وقت معين فلا يسوغ لهُ ان يقضي ليلهُ ساهرًا وان يتعرض لبرد الليل ورطوبتهِ. ثانياً يجب عليهِ ان يفرك بدنهُ بشعرية (فرشاة) خشنة قبل ان يلبس ثيابهُ صباحاً وان يدلكهُ عند الرقاد بخرقة فلانلا مبلة بسيال كحلي عطري كمآء كولونيا او صبغة النارنج. ثالثاً يجب عليهِ ان يستعمل المآء علاجاً على طرقهِ المختلفة وفاقاً لما تكون عليهِ حالتهُ الصحية وحالة الجوّ فتفيد الحمامات الفاترة او المعتدلة الحرارة من ١٠ دقائق الى ٢٠ دقيقة كلّ يومين او ثلاثة ايام ويضاف اليها كربونات الصودا او ملح الطعام او كبريتيد الصوديوم. وتوافق المضخّات (الدوش) الباردة مرة في الشهرين يوماً تُكرّر في اليوم الواحد ٣ الى ٤ مرات اذا كان العليل قويّ البنية وكانت العلة خفيفة. ويوافق ان يرسل الاعلاَّء الى الحمامات المعدنية الحارة حيث يستحمون ضحًا ويُمرَّزون بعد الاستحمام. وفوائد العلاج بالمآء في هذه العلة كثيرة اخصها تقوية دورة الجلد الدموية وازالة الاوساخ التي تحمل الجراثيم المضرة فتمنع بذلك العلل الجلدية الكثيرة الحدوث في هذه العلة وفضلاً عن ذلك تُنبه الاعصاب المتوزعة في الجلد فتصلح التغذية لما يحدث فيهِ من التبادل بين العناصر فيُطرَح المضر منها بالبخار الذي يتكاثف فيصير مآء هو العرق. رابعاً يجب على المصاب بهذه العلة ان يستعمل الرياضة في الهوآء النقي المطلق يومياً كلّما سنحت الفرصة على انهُ لا يسوغ الافراط فيها لانها تضرّ حينئذٍ بالمريض اذا بلغت درجة التعب فقد يعقبها الاعيآء والاغمآء. وبعد الرياضة يُحذَر من البرد لانهُ يؤدي الى نوازل صدرية. ويجب على الطبيب اذا اشار بالرياضة ان يراعي سن المريض وحالة مرضهِ ومزاجهِ فيصف لكلّ ما يلائمهُ من مثل الصيد ولعب الاكر وركوب

الخيل والدراجات والرقص والتنقل في الحدائق. خامساً يجب على العليل استعمال جميع وسائط الصحة مما لا يدع سبيلاً لتطرُّق العلل العارضة كأن يغسل فمهُ بعد كل وجبة طعام ويتمضمض بالسوائل المضادة للعفونة ويحتم عليهِ الاعتنآء بمعالجة الحكاك والأكلان والشرى وسائر العلل الجلدية مهما كانت طفيفة لان اقل خدش او جرح يؤدي في هذه العلة الى عواقب يخاف خطرها. ومما يجب ان لا يتغاضى عنهُ الاهتمام بعلاج النوازل الصدرية قبل تمكنها لئلا تكون وسيلة للتدرن الرئوي. سادساً اهم الوسائط العلاجية في هذه العلة الغذآء فيجب ان يمتحن العليل في بدء الامر بالحمية الشديدة مدة عشرة ايام اذا لم تكن العلة قوية ولم تحط بها قوى العليل وكان البول لا يشتمل على المواد التي تدل على امكانية التسمم كالأستون وكثرة الازوت فاذا زال السكر يستنتج ان العلة سليمة يسهل شفآؤها بالوسائط الصحية ولا يُحتاج فيها الى العقاقير والمركبات الدوآئية وان نقص ولم يزُل تماماً كان لا بدَّ من استعمال المواد الطبيّة على ما تقتضيهِ حالة العلة وتقضي بهِ مهارة الطبيب وحذقهُ وهي مما يطول الكلام عليها فلا يسعنا البحث عنها في هذا المقام. اما الحمية الشديدة في هذه العلة فيراد بها الاقتصار على الغذآء باللحم والبيض والمواد الدهنية وشرب المآء القراح مضافاً اليهِ قليلٌ من الخمر الجيدة المرة او القهوة (بدون سكر). ولا يجوز الاستمرار على هذه الحمية مدة طويلة لئلا تحمل المريض على كراهية الطعام وتؤدي الى فقد الشهوة وعسر الهضم. على انهُ يجوز للمريض فيما عدا ذلك ان يستعمل الحسآء (الشوربة) من مرق اللحم مع البيض والبقول وان يقتات باللحم على انواعهِ (من ٤٠٠ الى ٥٠٠ غرام يومياً) وكما يشآء سوآء كان من الغنم والبقر والماعز وغيرها او من الطيور والسمك والملاميات ما عدا المحار مشويةً او مقلية او مطبوخة

مع الادام كالسمن والزيت والزبدة . اما النباتات التي يسوغ استعمالها فاخصها الهندبآء والاسباغ والخس والجرجير والخبازى والخرشوف واللوبيآء الخضرآء و يجوز استعمال الكرنب (الملفوف) والقنبيط نادرًا واشار بعض الاطبآء باستعمال الحماض وما شاكلهُ من النباتات التي تشتمل على الحامض الأكسالبك وانكر ذلك بعضهم وقال آخرون ان المليون جائز الاستعمال ولم يستصوب ذلك فريق من الاطبآء . ومما يوافق الاغتذآء بهِ في هذه العلة الجبن على انواعهِ والقشدة واللوز والجوز والبندق والفستق والزيتون . اما الثمار فاذا كانت العلة خفيفة يؤذن باكلها سكريةً كالدراقن والمشمش والخوخ والتفاح والفرصاد الشامي والفراولا وما شاكل ويحظر اكل العنب والكرز والتين والبلح والبطيخ . ولا يجوز استعمال الخبز العاديّ اي ما كان مشتملاً على ٦٠ في المئة من المادة النشآئية وقد استعملوا خبز الكلوتن وهو يستحضر بغسل الدقيق بالمآء فتزول كية من المادة النشآئية ويبقى الصمغ المعروف بالكلوتن وهو ثقيل الهضم صعب المضغ غير مقبول الذوق فلا يقبلهُ الاعلآء الأكرهًا واستنبط بعضهم انواعًا من الخبز غالية الثمن وكلها لا تفي بالحاجة المطلوبة ولذلك ضربنا عن ذكرها صفحًا على ان بعض اطبآء فرنسا افادوا باستعمال خبز من دقيق البطاطا ولباب الخبز على نسبة ١٠٠ — ١٥٠ من البطاطا الى ٢٥ من لباب الخبز لان كية الدقيق في لب الخبز اقل مما هي في قشرهِ

وبقيت مسئلة مهمة وهي ان يُنظَر الى ظمإ المصاب بهذه العلة فهو لا يروى من كثرة الشرب ولقد اصاب الذين قالوا بلزوم الاكثار من شرب المآء القراح للاعانة على حل ما زاد من السكر في الدم وابرازهِ من الجسم وفاقًا لما تقتضيهِ حالة المرض . اما نبيذ العنب الصرف فيجوز استعمالهُ قليلاً ولا يجوز

الاكثار منهُ منعاً لتأثيرهِ في الكبد . ويحظر سائر الخمور والمشروبات كالجعة والمزز ونبيذ التفاح وغيرها . وقد اختلفوا في اللبن ولكن الذي ثبت بالتجربة انهُ مفيد لانهُ يقلل السكر في البول ولا يزيدهُ خلافاً لمن زعم الخلاف والله الواقي



رزء وطني

في صبيحة السادس من هذا الشهر رُزئ العالم الادبيّ بل الوطن العربيّ بفقد العالم العامل والحكيم الكامل المرحوم امين الشميل احد أعلام

العصر وهُداتهِ بل احد مصابيح الشرق الذي طالما استضاءَت الابصار بنور مشكاتهِ فاجأتهُ المنية عن تسعٍ وستين سنة قضاها بين الدفاتر والمحابر ولم يألُها سعيا في اكتساب المحامد والمآثر فكان لهُ يومٌ مشهودٌ ذرفت فيهِ عيون الفضائل والمناقب ومأتمٌ حافلٌ مشى فيهِ عالم الوجاهة والمناصب الى ان اودعوهُ تربةً تعطرت من ثنآئهِ باطيب من أرَج الزهر ومُطِرت من غيوث المراحم بما اغناها عن صيّب القطر

اما ترجمتهُ فقد وُلِد رحمهُ الله في كفر شيما من سفح جبل لبنان في ٢٤ من فبراير سنة ١٨٢٨ وتلقى مبادئ العلم في المدرسة الاميركانية بمدينة بيروت حيث درس العربية والحساب واللغة الانكليزية ثم قرأ الفقه الحنفي على بعض كبرآء اربابهِ كالشيخ بشارة الخوري والشيخ محيي الدين اليافي . وانحاز بعد ذلك الى الاعمال التجارية فارتحل الى مدينة ليفربول من البلاد الانكليزية واقام بها سنين متوالية فحسنت آثارهُ بين ارباب هذه الحرفة درايةً وامانةً وفُتحت لهُ ابواب السعادة فامتدّت متاجرهُ في البر والبحر وادرك من البسطة في الغنى والوجاهة في القدر شيئاً عزيزاً . الاّ انهُ لم يلبث ان خانهُ الجدّ وادبر نجم سعدهِ فدارت الدوائر على تلك الثروة الواسعة وتحيفتها النوازل من كل جانبٍ تباعاً فاقام يتقلب بين السعي والامل وهمتهُ لا تفتر ولا تني الى ان ايقن بانقلاب الحظ عن خدمتهِ فعدل عن الاتّجار بضاعة القَدَر وجعل معوَّلهُ على ما رُزِق من الذكآء والاقدام وما ادّخر في صدرهِ من كنوز العلم التي لا تنالها الحوادث ولا يتعاورها الاتفاق . وفي سنة ١٨٨٥ القى عصاهُ في هذه العاصمة واشتغل فيها بالوكالة عن ارباب الدعاوي تجاه المحاكم الاهلية وانشأ مجلة قضآئية سماها بالحقوق كان فيها لطلاب هذا الشأن منافع جمة واستمرّ على كتابتها الى آخر ايامهِ

وكان في كل ما مرَّ بهِ من المشاغل المهمّة والنوازل المدلهمّة لا ينقطع عن المطالعة والتأليف فدرس في اثنآء تلك المدد اللغة الفرنسوية والطليانية والتركية ومبادئ اللغة العربية واللاتينية وتوسع في درس الشرع وقوانين الاحكام وكان لهُ اطّلاع واسع في الفلسفة والعلوم الدينية وكثيرٍ من العلوم المحدثة ودرس التاريخ حق درسهِ ووعى منهُ شيئاً كثيرًا حتى كان من المشار اليهم فيهِ . ولهُ تآليف جمة اشهرها كتاب الوافي في تاريخ المسئلة الشرقية وهو كتاب ضخم في ستة اجزآء كبيرة طُبع اثنان منهـا والباقي مبيَّض بخطهِ وكتابٌ سماهُ المبتكر في اطوار حياة الانسان ووصف ما يعرض لهُ من التلون في اخلاقهِ واهوآئهِ وهو مطبوع ايضاً ولهُ عدا ذلك رسائل مختلفة الحجم في اغراض شتى من الفلسفة والتاريخ والدين والسياسة والعلم الطبيعي وغيرها مما يدل على تبحرهِ في العلوم ولهُ شعرٌ كثير يبلغ ديوانًا كبيرًا وكثير منهُ مشهور متداول

واما صفاتهُ الشخصية فكان ربعة القوام ابيض اللون الى السمرة رقيق البدن متوقد الذكآء قوي الحجة فصيح اللسان حسن المحاضرة وقورًا مهيباً رحمهُ الله تعالى واجل مثواهُ في جوارهِ ونفع باقتباس انوار علومهِ واقتفآء جميل آثارهِ

مطارحات

حل المسئلة النحوية الموردة في الجزء الثاني عشر

لحضرة الكاتب الالمعي نجيب افندي الحداد احد منشئي جريدة لسان العرب الغراء

جواب هذه المسئلة في قول الشاعر وهو بيت النحاة المشهور

ابا خُراشةَ أمَّا انت ذا نفـرٍ فانَّ قوميَ لم تأكلهمُ الضَبُعُ

فان قولهُ « أمَّا أنتَ » تقديرهُ « لأَنْ كنتَ » وهي المراد بالكلمات الاربع التي لا يثبت منها في اللفظ الاّ حرفٌ واحد . وذلك ان هذه العبارة مركبة من

لام الجرّ وأن المصدرية وكان الناقصة والتآء التي هي اسمها فحُذفت اللام على قياس حذفها قبل أن المصدرية ثم حُذفت كان وعُوّض منها ما فصارت « أن ما » ولما كان مخرج النون قريباً من مخرج الميم أُبدل منها ميم وأُدغمت في الميم التي بعدها فصارت « أمّا » وحينئذٍ بقيت التآء من كنتَ وهي ضميرٌ متصل لا يستقلّ بدون عامله فحُذفت ايضاً وجُعل مكانهـا الضمير المنفصل الذي هو أنتَ فلم يبقَ من احرف العبارة الاصلية الاّ الهمزة من أن

اقتراح

نقترح على حضرات شعرآئنا المجيدين نظم قصيدة في بيان اضرار المقامرة لا تكون اقلّ من عشرين بيتاً ولا اكثر من ثلاثين لتُنشر على صفحات البيان والجائزة على اجود قصيدةٍ تردنا في هذا المعنى اجزآء سنة كاملة من هذه المجلة يُبعث بها الى الناظم مجلدةً تجليدًا حسناً والموعد في قبول الاجوبة الى آخر يناير القادم

آثار ادبية

رواية عذرآء الهند — انتهت الينا نسخةٌ من هذه الرواية الغذرآء لحضرة منشئها الاديب المتفنن احمد بك شوقي الشاعر المشهور وهي روايةٌ غرامية غريبة السرد تنتهي وقائعها الى زمن رعمسيس الثاني المعروف باسم سيزستريس احد فراعنة مصر الاقدمين من عهدٍ لا يقلّ عن ثلاثة وثلاثين قرناً من الدهر[1]. والذي تبين لنا بعد تصفح جانب منها ان مؤلفها لم يقصد من وضعها الاّ تمثيل ما كان عليه اهل ذلك العصر من الخرافات والترّهات ولذلك اكثر فيها من

---

١ ذكر المؤلف فى صدر الرواية تحت عنوان تنبيه ان تاريخ حوادثها منذ ٣٣٠٠ سنة اى فى عهد هذا الملك وهو الذى عليه اكثر المؤرخين وذكر فى صفحة ٧ انها من نحو خمسين قرنا من الزمان وهو ما لم يقل به احد من المحققين

ذكر الجنّ والعفاريت والسحرة والكهّان والمنجمين والرُّقى والطلاسم ووصف عجائب المخلوقات الوهمية والصور الخيالية من نحو « ثعابين خضر الألوان تنتصب على اطراف اذنابها في صورة امهات الموز واخرى صفرآء تعانق الاشجار وتتدفق بالانوار وافيالٍ عراضٍ طوال في اجرام الجبال تتخذ الطير في آذانها وظهورها اوكارًا وناسٍ في صورة القِرَدة ولهم خفة المَرَدة وشيخٍ كلما وقعت عينهُ على جماعةٍ منهم راحت نائمة وهي قائمة » الى ما شاكل ذلك مما لا نطيل بتعدادهِ ولا نتعرض لما ورآءهُ من قَصَص الرواية وتلخيص وقائعها لأنا لم نجد ثمة شيئًا مما يتوخاهُ واضعو الروايات في هذه الايام من المغازي الحكمية او الاغراض الادبية او الحقائق التاريخية ولذا فانًا نتخطى موضوع الرواية الى ما أُلبستهُ من العبارة العربية نومئ الى بعض ما فيها من مطارح النظر قضآء لحق النقد ووفآء بما ارصدنا لهُ انفسنا من الخدمة العلمية وهو ولا جَرَم شأنٌ كنا نودّ التفادي منهُ حرصاً على ولآء المؤلف لعلمنا بما للنقد من الوقع في نفوس الكثيرين من ادبآئنا بالقياس الى ما أَلِفوهُ من نغم كثيرٍ من الجرائد وتهافتها على الاطرآء تزلفًا وتمويهاً او جهلاً وتقصيرًا ومعاذ الله ان نكون ممن يقبل على الحق رشوةً او يرضى من امانة العلم ثمنًا

فأول ما وقفنا عليهِ منها عبارة « الاهدآء » وقد رفع هذه الرواية الى مقام السدّة الخديوية اعزّها الله تعالى وكأن الذي زيّن لهُ ذلك مع ما اسلفنا من بيان فحواها ما تضمنتهُ من اتصال بعض وقائعها باحد ملوك مصر الاولين وهذا ايضاً مما نمسك عن الافاضة فيهِ وان كان لا يخلو من موضع نظرٍ لذوي الذوق السليم

قال في مطلع كلامهِ « الكاتب وما كتب غراس نعمآئك وجنى ظلالك ومآئك » وهو كلامٌ غريبٌ في هذا المقام لان مثل هذا انما يصحّ من تلميذٍ لأستاذهِ لا من مربوبٍ لوليّ نعمتهِ والاّ فكيف يكون ما كتبهُ من غراس نعمة الامير وايّ علاقةٍ بين النعمآء والانشآء . وقولهُ « وجنى ظلالك ومآئك » لا

محلّ لذكر الظلّ هنا لانهُ لا يكون سبباً للجنى بل أحرِ بالغراس الذي يعيش في الظلّ ان لا يُجني ثمرًا

ثم قال « فاذا وُفِق ليرفع اليك عملاً فقد اسند افضالك في الفضل الى اسماَئك » وهو كلامٌ غامض لا يظهر الغرض منهُ وكأنهُ من قبيل ما تقدمهُ يريد أن اعمال هذا الكاتب مُستَمَدَّةٌ منك فاذا اهدى اليك عملاً منها فكأنهُ اخذهُ منك وأهداهُ اليك وانظر اين هذا المعنى من ذلك التعبير . ولا يخفى على من عرف آداب الخطاب ان مثل هذا مما ينبغي تجنبهُ في مخاطبة الملوك والكبرآء تنزيهاً لهم عن التكايف في حلّ معضلهِ وانما يجوز في خطاب اهل الترسل والغوص على الغريب ممن لا يبالي بقضآء نصف يوم في حلّ مسئلةٍ من المسائل المشكلة

وقال في الصفحة التالية في الكلام عن وليّ عهد رمسيس « كان احبَّ اخوتهِ الكثيرين الى الام » وهو من التراكيب التي منعها اهل العربية كما نصّ على ذلك الحريريّ في دُرّة الغوّاص وان تعقّبهُ الخفاجي بما لا يسلم من الردّ لان افعل التفضيل لا يضاف الاّ الى ما هو داخلٌ فيهِ فيقال زيدٌ افضل القوم وافضل اهل بلدهِ لانهُ واحدٌ منهم ولا يقال زيدٌ افضل اخوتهِ كما لا يقال افضل جيرانهِ مثلاً لانهُ غير داخل في جملتهم

ثم قال « وأجذَبهم بأزمّة الرأي العام وامتنهم اعلاقاً في القلوب » يريد بالاعلاق العلائق وهي لا تأتي بهذا المعنى انما الاعلاق جمع عِلق بالكسر وهو الشيء النفيس . وقولهُ « وأجذبهم بأزمّة الرأي العام » يريد وأجمهم لأهوآء النفوس ونحو ذلك فجآء بهذه العبارة الغريبة وانما هي من المواضعات الافرنجية درجت عليها لغة الجرائد العربية في هذه الايام وليس كل ما تأتي بهِ الجرائد يجوز اتباعهُ . على ان هذه ليست العبارة الوحيدة التي اخذها عن الجرائد او سخّر لها سجيّتهُ من الفاظ الاعاجم فقد ورد لهُ بعد ذلك في الكلام عن الاميرة آثرت « وان الملك مَدِينٌ لنصحها الثمين » وهي من الالفاظ المعربة عن كلام

الافرنج يقولون انا مديونٌ لفلان في هذا الامر اي لهُ عليَّ الفضل فيهِ . وفي صفحة ٢٩ « قد رؤيا (اي الرجلان) على نُقَطٍ من المملكة » اي رؤيا في مواضع منها . وفي صفحة ٤٣ « باحوا بسرّ المأمورية » اي بسرّ ما أُمروا بهِ وامثال هذه العبارات في الرواية لا تُحصَى فنكتفي منها بهذا القدر . بل ربما تنازل الى استعمال اشياء من اللغة العامية كقولهِ في صفحة ١٤ « فأطرق المنجم برهةً » يعني هنيهةً من الزمان وانما البرهة الزمن الطويل واستعمالها للزمن القصير من اوهام العامة . وفي صفحة ٢٤ « تساعفهُ الصدفة » يريد بالصدفة الاتفاق او المقدور وهي من الاوضاع العامية كانهم اخذوها من المصادفة ولم ترد في شيء من كلام العرب ولا المولدين . وفي صفحة ٢٦ « عائلة بشرية » يعني بالعائلة الأُسرة او العشيرة وكانها تصحيح قول العامة « عيلة » وكلتاهما لا تأتي بهذا المعنى انما يقال عيال الرجل وعيّلهُ بالتشديد بمعنى الذين يتكفل بهم ويعولهم . وفي صفحة ٢٩ « ويرى جيئة الهوادس وذهابها في فؤادهِ » يريد بالهوادس خطرات الهموم وما يتخالج منها في الصدر وانما هي من تحريفات العامة وصوابها الهواجس بالجيم الى غير ذلك

وقال في صفحة ٧ في الكلام على التاريخ المصري « وان الحقيقة معهُ لا يستقرّ بها خبر . فهي عينٌ تارةً وأثر . تحيا بحجر وتموت بحجر » . يريد فهي عينٌ تارةً وتارةً اثر فحذف احدى التارتين ولا وجه للحذف في هذا الموضع ولا يظهر لهُ غرضٌ الاَّ ان يكون قصدهُ التعمية وافراغ الكلام في قالب اللغز . ثم انظر ما اراد بقولهِ « تحيا بحجر وتموت بحجر » وماذا يفهم بالحجر هنا وهل هذا الاَّ ضربٌ من الرُقى وشكلٌ من اشكال الحروف . على أن في الرواية كثيرًا من امثال هذه المعمّيات نورد بعضها لغرابتها كقولهِ في صفحة ٣٥ « وما عساي ناولتك مما فات التفاني قدرهُ » وانظر الى قولهِ ما عساي ناولتك وايّ تركيب هذا . وفي صفحة ٦٢ « ان الفتاة محرَّمٌ عليها ان تركب البحر في عمرها مرّتين لا متتاليتين ولا متعاقبتين » وفي الصفحة نفسها « كانت اشخاصهم ترق وتنطوي وتضمحل وتتلاشى متوارية ثم تتوارى متلاشية » . وفي صفحة ٦٩ « جاورك

قبل جوار الماء والتيار فاستعار فاستتار واستدار وصار الى ما اليهِ صار» .
وفي صفحة ٧١ «كان الفصل نيلا والليل خفيفاً ثقيلا جفيفاً بليلا صدئاً ثقيلا لا قصيرًا ولا طويلا وكان الليل في طفولتهِ الاولى لا ينفع الضال ولا يغني عن الساري فتيلا» . وفي صفحة ٩٣ «وسيجدهم اما في السكر واما نائمين من السكر» . وفي صفحة ٩٤ «وقد اخذ اثنين منهم النوم والثالث مستمرّ ما ينتهي فرغت الزجاجات ولم يفرغ من الشرب» !!!

وهناك الفاظٌ وتراكيب ليست باقلّ غرابةً مما ذكر كقولهِ في صفحة ٣٧ «فتركهُ كذلك شيئاً ليس بالحيّ» . وفي صفحة ٣٨ «اجهد اذنيهِ» يريد ارهف اذنيهِ وحدَّد سمعهُ . وفي صفحة ٤٢ «فأخذ النوم يطمئن بمقاعدهِ من الاجفان» . وفيها «ارتجل نظارةً في الافق» ومثلهُ قولهُ في صفحة ٢٠ «قدم الصاحبان على منازل ذلك الثعبان فاذا نورهُ التام المحيط خيرٌ من الف شريط وهو على الاشجار يرتجل الانوار» . وفي صفحة ٤٨ «من خوفٍ مانعٍ للفكاك مفقدٍ للحراك» ولينظر ما معنى قولهِ مانعٍ للفكاك . ثم قال «وبالجملة وقعوا من الفزع في اضيق من الشراك» يريد بالشراك الشَرَك وهو حبالة الصائد وانما الشراك السير الذي تشدُّ بهِ النعل . وفي صفحة ٨٣ «اصبح كهلاً غير قادر المشيب» . وفي صفحة ٩٢ «ثم تواكل الثلاثة بالباب فلم يزالوا بهِ حتى كسروهُ» وانما يقال تواكل القوم اذا اتكل بعضهم على بعض فهو اقرب ان يكون على عكس مرادهِ . وفي صفحة ١١٨ «سلسلتان من تماثيل ابي الهول . . متقابلة متناقصة الاحجام تدريجيًّا فاوّلها كبير كبير وآخرها صغير صغير»

وعلى الجملة فان هذه الرواية كلها غرائب واغرب ما في تلك الغرائب صدورها عن مثل المؤلف على ما اشتهر بهِ من التقدم في الادب وطول مزاولتهِ لصناعة القلم وما نحسبهُ الاَّ قصد مراعاة النظير بين موضوع الرواية وعبارتها حتى تكون كلها غريباً في غريب ولا عجب في الاديب ان يقصد مثل ذلك جريًا على

مذهب القائل

وقالوا يا قبيح الوجه تهوى   مليحاً دونهُ السُمر الدقاقُ
فقلت وهل انا الاّ اديبٌ   فكيف يفوتني هذا الطباقُ

اما شعرهُ في هذه الرواية فغالبهُ حسن رشيق النظم مليح السبك نورد منهُ قولهُ في صفة الحب

نظـرةٌ فابتسامةٌ فسلامٌ   فكلامٌ فوعدٌ فلقـآء
ففراقٌ يكون منهُ دوآء   او فراقٌ يكون منهُ الدآء

وانظر اين هذا النظم المسجم والالفاظ المختارة من مثل ما ذُكر من كلامهِ في النثر وما ركب فيهِ من الغرابة والتكلف والتعقيد والبعد عن مقام الفصاحة وهذا ولا جَرَم مما يدلك على أن كلاًّ من النظم والنثر لغةٌ قائمةٌ بنفسها لا يحسنها غير اهلها وان ما اشتهر من قولهم كل شاعرٍ ناثر قولٌ لا يطّرد صدقهُ ولا يُبنى عليهِ قياس . بل اذا اعتبرت كل فريقٍ من ارباب هاتين الصناعتين ظهر لك من التفاوت في طبقات النثر وعلاقتهِ بالطبع وتوقفهِ على المزاولة والاشتغال ما لا يقصّ عما تراهُ من مثل ذلك في النظم بل الامر في النثر اضيق مسلكاً واوعر سبيلاً لان في النظم ما يستر عيوبهُ ويستدعي المعذرة لقائلهِ من التزام الوزن والقافية على ما فيهما من مشاغلة السامع احياناً عن نقد الكلام والتنبه لما فيهِ من العوار وليس في النثر شيء من ذلك ولكن كل عيبٍ فيه يكون بادياً لا يسترهُ ساتر ولا تتهيأ عنهُ معذرةٌ لعاذر . ويشهد الله اناكنا نودّ للمؤلف لو لم يُجرِ بهذا التأليف قلماً فان الرجل معروفٌ بالشعر من الطبقة العالية مشهودٌ لهُ فيهِ بانهُ من الطراز الاول وحقيقٌ بمن بلغ في امرٍ من الامور منزلة يكون فيها من رؤسآء اربابهِ ان لا يتصدى للدخول في فنٍّ ينزل فيها عن رتبتهِ ويُعَدّ بينهم آخراً فان اهمال بعض الامر لا عيب فيهِ اذ لا يتعين على المرء الاشتغال بالامور كلها ولكن العيب كل العيب على من انتحل امراً وقصّر فيهِ . ومن رشيق نظمهِ في هذه الرواية وانما نعني الصناعة اللفظية قولهُ

انا في تطلابهِ وهو لديَّ مطلبٌ مرٌّ ولم يلوِ عليَّ
قد تركت الهند اطويها لهُ وهو يطويها وما يدري اليَّ
والتقينا ما خطا لي خطوةً لا ولم انقــل اليهِ قدَمَيَّ
يا لملكٍ راح عني نائيًا كان لو فتشتُ عنهُ في يديَّ

وقولهُ من ابياتٍ عن لسان عذراء الهند تخاطب محبوبها

أذاكرٌ انت ام نسيت لنا اذ نحن طفلانِ والهوى طفلُ
اذ تعجب الهند والديار بنـا وبعجب النـاظرون والاهلُ

لنا في صدر البيت الاول متعلقة بذاكر — ومنها

ما نحن قلنا فالحبّ قائلهُ وما فعلنا فالهوى الفعلُ
وان نقلنـا لبقعةٍ قدمًا فالهوى لا البقعة النقلُ

وهو كلامٌ في غاية الرقة والانسجام الاَّ أن البيت الاخير مختلف الوزن من بحرين لان الشطر الاول من المنسرح ووزنهُ « مستفعلن فاعلاتُ مفتعلن » وهو بحر سائر القصيدة والشطر الثاني من ثالث السريع ووزنهُ « مستفعلن مستفعلن فعْلن » ووقوع هذا الخلل البيّن من مثل هذا الشاعر مما يصعب تصوُّرهُ ولذلك لم نشكّ لاول وهلةٍ انهُ من غلط الطبع ولا سيما مع امكان تصحيح الشطر الثاني بأدنى تغيير وهو أن يقال في مكان البقعة « للبقعة » فيستقيم الوزن ولكننا لم نلبث أن رأيناهُ يقول في البيت الذي يليهِ

فلا تكن يا أميرُ ناسيَنا فنحن ما ننسى وما نسلو

وفيهِ نفس الخلل الذي في البيت المتقدم ولا يتأتى في هذا ما تأتى في ذاك من احتمال غلط الطبع لانهُ لا يستقيم وزن العجز الاَّ بعد تغيير كثير كأن يقال « فنحنُ لم ننسكم ولم نسلُ » . ثم قال وفيهِ ما في البيتين السابقين

تلك سماء الهند شاهدةٌ وأرضها والجبال والسهلُ

غير انهُ خالف هنا بين الشطرين فجعل الاول من السريع والثاني من المنسرح وهذا مع ما عُرِف به الناظم من طول الباع في صناعة الشعر والانطباع عليهِ من

العجب العجب . ولعلّ عذرهُ فيهِ انهُ كان قليل الركوب لهذا البحر لقلة شيوعهِ في الاستعمال مع ما في ضبط اوزانهِ من الصعوبة لتباين صُوَر اجزآئهِ واختلاف قواليها حتى كأن الشطر برمّتهِ قطعةٌ واحدة بخلاف غيرهِ من الابحر التي ترى اجزآءها متناسقةً على وصفٍ متماثل واوزان مكررة كاجزآء الكامل والبسيط فانها تأتي متَّزنةً من غير تكلف ولا تعمُّلٍ لقصر الصور المتكررة فيها وقرب بعضها من بعض والله اعلم

مجموعة الامثال العاميّة — أُهديت لنا نسخةٌ من هذه الرسالة لحضرة جامعها الاديب يوسف افندي خانكي وقد اتى فيها على اشهر الامثال المتداولة على لسان العامّة في القطر المصري وترجمها كلها الى اللغة الانكليزية ترجمةً حرفية ثم شفع الترجمة ببيان المغزى المقصود من كل واحدٍ منها وما كان لهُ من تلك الامثال رديفٌ باللغة المذكورة اوردهُ على اثر الترجمة تتميماً للفائدة فجآءَت كتاباً لطيفاً مفيدًا لاصحاب اللغتين فنثني على حضرة المؤلف ثنآء طيباً ونرجو لمؤلَّفهِ مزيد الرواج

السلطنة — هي الجريدة المشهورة لحضرة مديرهـا ورئيس تحريرهـا اسكندر افندي شلهوب وقد بدأ يُصدرها في هذه الايام يومية بعد ان كانت اسبوعية وموعد صدورها صبيحة كل يوم بحيث تتناول اخبار اليوم السابق الى آخر وارد وهي اول جريدةٍ صباحية نُشرت في هذا القطر . وقد جعل قيمة اشتراكها السنوي ١٥٠ قرشًا اميريًّا في القطر المصري و٥٠ فرنكًا في غيرهِ تُدفَع معجَّلاً . ومعنى « تُدفَع معجَّلاً » ان الجريدة كما ذُكر في اعلانها « لا تُرسَل الاّ الى من ينقد الادارة الاشتراك مقدَّماً كائناً من كان » بحيث تصل القيمة الى يد صاحبها فعلاً لا كما اعتادت بقية الجرائد ان تشترط التعجيل ثم تدرج على اشتراكها الايام وتدبّ الليالي وتمرّ الاسابيع ويمضي الشهر بعد الشهر بل العام بعد العام

وصاحب الجريدة يتحمل نفقات التحرير والطبع والبريد يؤدّي ذلك كلهُ من مالهِ خدمةً لحضرات المشتركين الكرام ثم يعود فيبسط يد السؤال طالباً ان يُتصدَّق عليهِ بقيمة ما انفق ويبث الوكلاء في الجهات فيقضون الاشهر الطويلة على نفقة هذه الجريدة الرابحة فلا يصلهُ الفلس من قيمة مطلوبهِ الاَّ بعد ان ينفق عليهِ خمسةً : والمشتركون في اثناء ذلك بين مدافعٍ في القيمة يحيل بها من موعدٍ الى موعد واقرب احالةٍ لا تكون اقلّ من شهر لسببٍ لا يخفى على اللبيب .. وبين منكرٍ للاشتراك رأساً وهو يقسم ان الجريدة لم تصلهُ وبين محتجٍ بانهُ لم يطلب الاشتراك فيها وان صاحبها انما كان يبعث بها اليهِ على وجه التبرع والتزلف من يدهِ البيضاء ... الى امثال ذلك مما يخجل القلم من تسطيرهِ ومما يدلنا — وهو دليلٌ من الف — على علل تأخرنا يوماً بعد يوم وسقوط الادبيات والعلميات عندنا . ولا نزيد وجهاءنا واغنياءنا علماً ان الواحد منهم اذا أدَّى قروشاً معدودة في السنة عن حقّ قد لزم ذمتهُ وشرفهُ فلا يترتب على هذا الشيء القليل ما يضرّ بثروتهِ ويؤدّي الى ضيق ذات يدهِ ولكن صاحب الجريدة اذا استمرّ يوزّعها على مئاتٍ منهم ويتكلف نفقاتها من مالهِ أدّى ذلك بهِ الى الخراب العاجل وبهذا القدر في مقام التنبيه كفاية

وردنا من حضرة الفاضلين الدكتور امين افندي ابي خاطر والدكتور داود افندي ابي شعر انهما قد وُفّقا الى وضع كتاب في الطب الاهلي يستعان بهِ في مداواة المرضى عند غيبة الطبيب وقد اقتصرا في شرح الامراض الباطنة على ما في وسع العامي تشخيصهُ ومن الادوية والعقاقير على ما لا تُخشى غائلتهُ اذا استعملهُ غير الطبيب وختماهُ بفصل في كيفية تمريض المريض وكل ذلك بعبارة سهلة يفهمها العامي ومع الرسوم الكافلة بالايضاح

وقد شرعا في طبع هذا الكتاب وجعلا قيمة اشتراكهِ ثلاثة فرنكات مع اجرة البريد في الخارج فمن احب الاشتراك فيهِ في هذا القطر فليطلبهُ من ادارة هذه المجلة



السنة الاولى —— الجزء الخامس عشر

١ يناير سنة ١٨٩٨

اللغة والعصر

(تابع لما قبل)

هذا في فاعَلَ واما تفاعَلَ فاذا كان بين اثنين فاكثر فليس فيهِ الاَّ المشاركة في الفعل كتضارب القوم وتنازعوا الشيء وتواثبوا اليهِ او في مزاولتهِ كتقاتلوا وتفاخروا . واما اذا كان من جانبٍ واحد فكثيرًا ما يجيء لوقوع الفعل مكررًا نحو تعاطى الامرَ وتشاغل بهِ وتلاعب وتلاهى وتمايل الغصن وتهادت المرأة اذا تمايلت في مشيتها اكثر ما يُستعمَل في النسآء وتعاطف الرجل وهو ان يحرّك رأسهُ ويتهادى في مشيهِ وتعادى المكان اذا كان غير مستوٍ وتضارس البنآء وهو بمعناهُ وتقاذف الفرس في جريهِ اذا اسرع وحقيقتهُ قذف نفسهُ مرّةً بعد مرّة وتساقط الشيء اذا تتابع سقوطهُ او سقط قطعةً قطعةً . او لوقوع الفعل في مهلٍ نحو تراجع عن الشيء وتقاعس عنهُ اي تأخر وتجانف عنهُ اي مال وتخامص عنهُ وتجافى عنهُ وتباعد وهي بمعنىً وتلافى الامرَ وتداركهُ وتماثل المريض وتماثل وهو بمعنى تماثل وتعاظم الامر وتكاثر وتزايد وتكامل وتناهى وتجاوز حدّهُ وغير ذلك

وقد يجيء استفعل لمزاولة الفعل مثل فاعَلَ نحو استوقدتُ النار واستوريتُ الزند واستخرجت الشيء واستنبطت الركيّة اي البئر اذا استخرجت ماءَها واستقطرت الماء اذا رُمتَ قَطَرانهُ واستوكفتهُ مثلهُ واستودفت الشحم اذا استقطرتهُ على النار واستنقذت الرجل واستملتهُ واستدرجتهُ واستنزلتهُ . ويجيء بمعنى الحمل على الشيء نحو استطربهُ واستبكاهُ واستحضر فرسهُ اذا حملهُ على الحُضر وهو الاسراع في الجري واستمداهُ وهو بمعناهُ واستنبح الكلبَ واستثار الصيدَ واستنفرهُ واستجهلهُ الطيش واستخفّهُ الغضب واستزلّهُ الشيطان واستهامهُ الحبّ وما جرى هذا المجرى

وقد ذكروا لافتعل معاني منها الاتخاذ ومثلوا عليهِ بقولهم احتطب وهو غير ظاهرٍ في هذا المعنى وأظهرُ منهُ قولهم اشتوى اذا اتخذ شِواءً واطّبخ اذا اتخذ طبيخًا واحترف صناعة كذا اذا اتخذها حرفةً لهُ واصطنع فلانًا اذا اتخذهُ صنيعة لنفسهِ واختدمهُ اذا اتخذهُ خادمًا وهو كثير . ويشركهُ في هذا المعنى تفعّل نحو توسّد وتلثّم وتختّم وتزوّد ونحو تخدّم الرجلَ وتعبّدهُ وتأمّى الجارية اي اتخذها أمَةً وتولّى فلانًا اذا اتخذهُ مولًى وتزوّج المرأة وتسرّاها وتبنّى الصبيّ وتمثّل بالشيء اذا ضربهُ مثلًا وغير ذلك . وقد يجيء استفعل بهذا المعنى نحو استفرخ الحمامَ اذا اتخذهُ للفراخ واستذرى بالحائط وغيرهِ اذا اتخذهُ ذَرًى لهُ اي كِنًّا يستتر بهِ ومثلهُ استكنّ بهِ واستظلّ بهِ اي اتخذهُ ظُلّةً وهي كل ما اظلّك واستعبد الرجلَ واسترقّهُ واستخدمهُ وهذا الاخير عن المصباح واستأمى الجارية وهو مثل تأمّاها واستعمل الحاكم فلانًا اي اتخذهُ عاملًا وكذا استوزرهُ واستقضاهُ واستحجبهُ وما شاكل ذلك

ويأتي افتعل لاخذ الشيء الذي اشتُقّ منهُ الفعل نحو امتخّ العظمَ اذا

امتصهُ واستخرج مخهُ ومثلهُ امتكهُ وهي المُخاخة والمُكاكة وكذا اصطلب العظم اذا طبخهُ بالمآء واستخرج دسمهُ فائتدم بهِ وهو الصليب واطّفح القِدر اذا اذا اخذ طُفاحتها وهي ما يعلوها من الزَبَد وانتشف الرجلُ اذا شرب نُشافة اللبن وهي ما يعلوهُ من الرُغوة عند الحلب ومثلهُ ارتغى من الرُغوة . ويشاركهُ في ذلك ايضاً تفعَّل نحو تمخخ العظمَ وتمككهُ وتسأّر النبيذ اذا شرب سؤرهُ اي بقيتهُ وتزبّد اللبن اذا استخرج زُبدهُ وتبرّض المآء اذا اخذ برضهُ وهو القليل منهُ وتثمّل ما في الانآء اذا شرب ثميلتهُ وهي البقية من المآء تبقى في اسفلهِ . وربما جآء استفعل بهذا المعنى نحو استصفى الشيء اذا اخذ صفوهُ وهو نادر . وبقيت هناك اشيآء أُخر يقف عليها من استقرى الفاظ اللغة بالتدبر فنكتفي منها بهذا القدر

وقبل ان نختم هذا البحث لا بدّ لنا ان نذكر شيئاً في الكلام على اشتقاق الفعل والمشهور في كتبهم ان المجرّد منهُ يؤخذ من المصدر والمزيد يؤخذ من المجرّد ما خلا امثلةً قليلة من بابي أفعل واستفعل صرّحوا باشتقاقها من الجامد نحو اغدّ البعير اذا صار ذا غدّة واستحجر الطين اذا تحوّل الى الحجرية لم يكادوا يزيدون على ذلك . والتحقيق أن هذا لا يختصّ بالبابين المذكورين ولا ينحصر من غير المصدر في الجوامد فقد جآء منهُ فعّل بالتشديد كقولهم ذهّب الشيء اذا طلاهُ بالذهب وغبّرهُ اذا لطخهُ بالغبار وترّبهُ اذا جعل عليهِ التراب وكلّسهُ اذا طلاهُ بالكلس وكذلك جيّرهُ وجصّصهُ ودوّن الدواوين اي وضعها وجمعها ومصّر المكان اذا جعلهُ مصرًا وأرّف الارض اذا جعل لها أُرفةً وهي الحدّ بين الارضين ونوّع الاشيآء وصنّفها اذا جعلها انواعاً او اصنافاً وكذلك جنّسها ولم يزد في القاموس في تفسير هذا الاخير على قولهِ والتجنيس تفعيل من الجنس

وقال في لسان العرب والجنس اعمّ من النوع ومنهُ المجانسة والتجنيس اه وما نحسبهما ارادا الاّ التجنيس البديعي والذي اشرنا اليهِ هو مقتضى القياس . ومن ذلك بناء فاعَلَ وهو مقيس من اسماء الزمان في معنى المعاملة كقولهم ياوَمَهُ اذا عاملهُ باليوم ومثلهُ لايَلَهُ وشاهَرَهُ وعاوَمَهُ وساناهُ وساوَعَهُ وصايَفَهُ وشاتاهُ وغير ذلك . ويكثر اخذهُ من اسماء الاعضاء نحو ظاهَرَهُ اي عاونهُ وحقيقتهُ جعل ظهرهُ مع ظهرهِ ومثلهُ آزَرَهُ وهو من الأَزْر بمعنى الظهر وكذا عاضَدَهُ وساعَدَهُ ومن هنا قول بعض كتّاب المعاصرين كاتَفَهُ اي ساعَفَهُ كأن المعنى جعل كتفهُ الى كتفهِ . ونحو خاصرهُ اذا مشى الى جنبهِ فجعل خصرهُ الى خصرهِ ومثلهُ جانَبَهُ وعانقهُ وصافحهُ وواجههُ وشافههُ . وقد يجيء من غير ذلك نحو تاخَمَهُ وآرَفَهُ وهو بمعنى تاخَمَهُ وكاسَرَهُ اذا كان كِسر بيت احدهما اي جانبهُ الى كِسر بيت الآخر وطانَبَهُ وهو من الطُنُب ككاسرهُ من الكِسر وسامَتَهُ اذا قابلهُ وآزاهُ وهذا عن المصباح وقس على ذلك تفاعل في الكل . ومنهُ بناء تفعّل كقولهم تأيّيت الرجل اذا قصدتهُ مأخوذٌ من الآية وهي الشخص فكانك قلت قصدتُ آيتهُ وتخشّبت الابل اذا اكلت الخشب وقولهم تطرّف السيل المكان وتحيّفهُ اذا اخذ من اطرافهِ او حافاتهِ وتوسطتُ الدار اذا صرتَ في وسطها وتصفحت الكتاب اذا نظرتَ في صفحاتهِ وتديّرت المكان اذا اتخذتهُ دارًا كذا نطقوا بهذا الحرف وكان حقهُ بالواو تبعًا لاصل الألف واكثر ما جاء من تفعّل بمعنى الاتخاذ من هذا . ومنهُ الفاظٌ اشتُقت من اسماء الاعضاء نحو تأبّط الشيء اذا جعلهُ تحت ابطهِ وتنكّب القوس اذا جعلها على منكبهِ وتضلّع الآكل اذا امتلأت اضلاعهُ وترجّل الفارس اذا قام على رجلهِ وتقدم الماشي وحقيقتهُ خطا بقدمهِ وتكفّف السائل اذا سأل بكفّهِ وتعقبتُ الرجلَ اذا تبعتهُ

فجعلتَ عقبك مكان عقبهِ . وفي مجراهُ وزن افتعل نحو اعتضدهُ اذا جعلهُ على عَضُدهِ وانتكبهُ وهو مثل تنكبهُ واحتجرهُ اذا جعلهُ في حجرهِ واحتضنهُ وهو كذلك من الحضن وارتفق اذا اتكأ على مرفقهِ الى غير ذلك

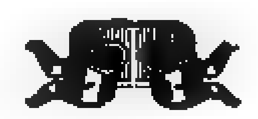
وكثيرًا ما يقع ذلك في المجرَّد نحو مَلَح الطعام اذا جعل فيهِ الملح ورَمَلَهُ اذا جعل فيهِ الرمل وتَرِب الرجل اذا افتقر حتى لصق بالتراب وراش السهمَ ولا تقل أراشهُ اذا ألزق عليهِ الريش وكَلِب الكلب وغيرهُ اذا اعتراهُ جنون الكلاب ونَمِج الرجل اذا ثَقُل قلبهُ من اكل لحم الضأن كذا فسروهُ ومَرُؤَ اذا جمع الكمالات الانسانية وشَمِس اليوم اذا كان ذا شمس . ومن ذلك قولهم رأس فلانٌ القومَ وفاهَ بالكلمة وكفهتهُ عن الامر وحقيقتهُ دفعتهُ بكفي وصبعتهُ على الشيء أي دللتهُ عليهِ بالاصبع وجبهتُ الرجل اذا استقبلتهُ بما يكره فكانك صككت جبهتهُ وأذِنتُ لهُ واليهِ اي استمعت وضَرِس الرجل اذا كلّت اضراسهُ من اكل حامض وأنِف اذا استكبر وترفع عن قبول الشيء وهم كثيرًا ما ينسبون الكبر والهوان وما يناسبهما الى الانف يقال رجلٌ اشمّ وشامخ الأنف وقد رغمَ انفهُ ووطئت انفهُ وجدعَ انفهُ وقال الشاعر يهجو قومًا

من كل من قامتُهُ اصبعٌ وأنفهُ خمسةُ أشبـارِ

ويتصل بذلك قولهم رأسهُ اذا اصاب رأسهُ وعَضَدهُ اذا أصاب عَضُدَهُ وشفههُ اذا ضرب شفتهُ وصُدِر الرجل اذا أُصيب صدرهُ وكذلك رُئي من الرئة وفُئِد من الفؤاد وشُغِف من الشغاف وهو قميص القلب وغير ذلك . وأغرب ما ورد في هذا الباب قولهم تموَّل الرجل اذا صار ذا مالٍ ويقال ايضًا مال يمال مثل خاف يخاف وحقيقة لفظ المال ما الموصولة ولام الملك ثم استعملوهما كلمة واحدة واشتقوا منها وقلبوا الالف في التصريف واوًا على حكم الالف المجهولة

ومما تقدم يتبين لك ان قولهم ان المصدر المجرّد اصل المشتقات لا يلزم منهُ ان يكون المصدر المذكور مرتجلاً خلافًا لما يتوهمهُ بعض ضَعَفة المصنّفين ولا يمنع ان يكون مأخوذًا من اصل آخر كسائر الابنية المشتقة من المصدر وغيرهِ مما ذُكر على ما مرّت بك مُثُلهُ . بل كثيرًا ما يُشتق بعض مزيدات الافعال من الاسماء المشتقة مع وجود المصدر المجرّد وذلك نحو قولهم حدّثهُ بكذا فانهُ مشتقٌّ من الحديث الذي هو صفةٌ من حَدَث الشيء لا من الحدوث الذي هو مصدر حدَث المجرَّد لانهُ لا يجري عليهِ في المعنى . وبيانهُ انهم قالوا حدث الشيء ضدّ قَدُمَ فهو حادثٌ وحديثٌ ثم استعملوا الحديث الذي هو ضدّ القديم بمعنى الخبر على حدّ ما هو في بعض اللغات الافرنجية كالفرنسوية والانكليزية ثم قالوا منهُ حدّثهُ وحادثهُ وكلاهما من معنى الخبر لا من معنى الحدوث كما ترى وحينئذٍ فكلٌّ من التفعيل والمفاعلة هنا صيغةٌ قائمةٌ بنفسها لا من مزيدات حدَث المجرَّد كما يستدرك بأدنى روية . وكذا قولهم قلّدهُ اي ألبسهُ القلادة فانهُ مشتقٌّ من القلادة لا من القَلْد الذي هو العطف والليّ المشتقة منهُ القلادة . وقس على ذلك قولهم ارقب الرجل اذا علا واشرف وهو مأخوذ من المرقب للمكان العالي يُرقَب منهُ لا من رَقَب وقولهم ترهّب اذا دخل في الرهبانية فانهُ مشتقٌّ من الراهب لا من الرهبة والاّ لكان بمعنى تخوّف وسيمرّ بك مزيد بيانٍ لذلك في البحث الآتي ان شاء الله

ستأتي البقية



اهل التقادير واصحاب السعي والتدبير

لحضرة الكاتب الفاضل قسطاكى افندى الحمصى فى حلب

(تابع لما قبل)

هذا طرفٌ مما يعاينهُ الناظر في تلك الاقطار المسعودة فاذا تفقدت احوالها بعين الناقد الخبير وجدت ثمت من رغد العيش وسعادة الحياة وانتظام الامور وبسطة العدل وترقي العلوم وتقدم المعارف وعزة النفوس ومكارم الاخلاق وحرية الضمائر وسلامة النيات واستقامة الاعمال ما تحكم معهُ بان هذه البقعة قد نالت من التوفيق النصيب الاوفر وبلغت من الاسعاد غاية الآمال

واذا نظرت الى المدينة الفلانية وقد طلّقها الجدُّ وفارقها البخت رأيت ازقتها الضيقة القصيرة المعوجَّة مظلمةً بما عُقد فوقها من الاقبية وامتدَّ من السوابيط حتى انك لا تكاد تهتدي الطريق ولا تستطيع ان تميز المارّين في رائعة النهار وفي وسط اكثرها مجاري الاقذار تكشفت للناس وسرت روائحها الخبيثة في انوفهم فيعبر ذو الذوق فيها راكضاً ولا يصدّق انهُ ينتهي منها سالماً معافى وهو يثور ويخمد ويسقط وينهض متعثرًا بالكلاب النائمة في وسطها او المتجمعة على قمامةٍ قد رماها السكان بجوار تلك الطريق الموحلة . هذا عدا ما يزحمك من الحمير المحملة حجارة او زبلاً والجمال المثقلة بالاحمال العظيمة حتى انها لتسد اعرض طرقات المدينة والطامّة الكبرى عندما يلتقي الجمل بالجمل والناس بينهما معرّضين لرحمة هذه الحيوانات فضلاً عما يعترض لك من سائقي بغال النقل الذين يمرّون بك كالسهم المنطلق فان اخذت لنفسك الاهبة والتجأت الى دهليز (والدهاليز بحمد الله كثيرة) او حانوت او باب مفتوح سلمك الله

من الخطر ونجاك والاّ وقعت صريع سوقهم وكنت من المحطمين ولا من يسأل عن ذلك ولا من يردع . ثم انك لتمرّ بدكاكين الباعة وقد نصبوا على جانبيها وامامها اهراماً من السلع الكاسدة والمتاع الرديء والبضائع التي تقلبت عليها الاحقاب وتاقلتها يد الخلف عن السلف ونسج عليها العنكبوت قصوراً وهي ليست من النفاسة في شيء منصوبةً كلها فوق صناديق كبيرة فارغة وقد يضع الفرد من الباعة ستة او سبعة من تلك الصناديق الواحد امام الآخر اوفوقهُ وهو غير مبالٍ بتضييق الطريق او السوق فوق ما هي عليهِ من الضيق وقد شرحت طرفاً من هذه الحال في فصل آخر . واذا مررتَ بسوق لم تسقف بالحجر او بالخشب تراها مسقوفة بالحصر العتيقة المخرّقة والخرق البالية الممزّقة والزبابيل المنتنة ممدودة على اعواد رفيعة او اخشاب منخورة والسنانير والكلاب تركض فوقها من سوق الى اخرى وقد يتفق وقوع كلب او سنور على رأس احد العابرين . هذا عدا غريب منظر هذه السقوف وقد تدلت منها اطراف تلك الحصر والخرق البالية خصوصاً ايام الامطار اذ تسيل منها المياه القذرة فوق المارين وتنصبّ على رؤوسهم واعناقهم فتصبغ ثيابهم بالالوان المختلفة وكأنها تعارض النقوش البديعة التي يراها السالك على جدران المدينة المسعودة . ثم انك لا تخطو بضع خطوات حتى ترى رجلاً متقرفصاً او مستوفزاً يبول على حائط في عرض الطريق او الشارع وهو متنحٍّ ذراعاً او اكثر عن الحائط لا يستحي من فعلتهِ هذه ولا يخجل ممن يمرّ بهِ من اهل الاقدار وصبيان المكاتب وربات الخدور ذوات الصون والعفاف . وقد تمرّ بفسيح (تضارع الساحات التي تقدم ذكرها ولا تشبيه) قامت في وسطها شجرة قديمة العهد قد نخرها السوس واتخذها جيران ذلك المكان لربط خيلهم وبغالهم وحميرهم والجمال قد أُنيخت

باحمالها واثقالها والزبل قد ملأ تلك الفسحة بين منشور ومنثور والذباب يهاجم المارين ويلاطم وجوههم ويطن في آذانهم والكلاب تنبح ان مر بها ذو نعمة على عكس ما قال بعض الشعرآء في باب الغنى والفقر لانها قد ألفت اكل العظام النيئة وفتات الخبز اليابس وشم رائحة الدهن الخبيث والسمن المنتن ولم تعتد شم الطيوب التي يتطيب بها اهل الذوق السليم ولا ألفت عيونها النظر الى زيّ اهل الحضارة والنعيم . وقد تمرّ بمطاعم تبًا لها من مطاعم فان رائحة لحم الجمل ولحوم الماعز والغنم البائتة المشوية على النار يتقزّز منها ذو الذوق وتعافها النفوس الابية وأضف الى ذلك رائحة ذفرة الجزار صاحب المطعم المذكور والصحاف الموضوع فيها المشويّ والخوان الوخم وكل ما تشاهدهُ في ذلك الدكان مما يُنفّر منهُ ويُبتعَد عنهُ . واذا اجلت طرفك فيما حولهُ من دكاكين الجزّارين والبقالين والسمانين والخبازين القذرة وفي ملابس اصحابها الوسخة وفي الباعة على ظهور الحمير الذين يعترضون لك في وسط الطريق بالاحمال الكبيرة وفي الكلاب المتنقلة من دكان الى آخر وفي هراشها بين ارجل العابرين وغير ذلك من المناظر والاحوال التي تنقبض منها النفس وتشمئز عدا ما تراهُ على وجوه الاهلين من سيمآء الكآبة والقنوط حكمتَ جازماً بان التوفيق لم يمرّ على تلك الربوع ولا جاز بهاتيك المدينة وانهُ سلمها الى رحمة النحوس تتلاعب بها يد البؤس وتتقلب بين عوامل الشقآء فهي عُرضة مصائب الدهر ونوازل الايام لا تكاد تخلص من وبآء حتى ينزل بها حريق هائل او تنهض من مجاعة وقحط حتى تقع في كساد مفقر وأيقنتَ ان السعد والنحس هما الفاعلان في تقدم هذا وتقهقر ذاك ونجاح زيد وفشل عمرو وعلوّ سعيد وانحطاط صالح وكلهم كما علمت لم يسعدوا باهليتهم وسعيهم ولا شقوا لخمولهم وكسلهم بل هي احكام التوفيق

وقضاء الحرمان

وما طلب المعيشة بالتمني ولكن ألقِ دلوك في الدلاء
تجيء بملئها طورًا وطورًا تجيء بحمأةٍ وقليل ماء

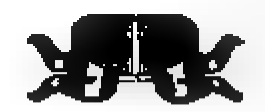
وقال الفريق الثاني لولا السعي والعمل لما وصل الانسان الى حالة التمدن التي نراهُ عليها الآن في اكثر جهات الارض ولا قيّض لهُ الاجتماع الآئل الى غبطة نوعهِ بل لما تيسرت لهُ اسباب البقاء ولولاهما لما عاش في بدء امرهِ وقد كان تائهاً في قفار الجهل هائماً على وجههِ في سباسب الهمجية ضاربًا في الاودية والجبال وراء حيوان يقنصهُ او نبات يأكلهُ او سمكة يصطادها غير عالم من سابق امرهِ شيئًا ولا مقدّرًا امرًا من آتيهِ وانما جلّ سعيهِ كان وراء قوتهِ فلولا سعيهُ وعملهُ لما استتبّ لهُ الحصول على غذائهِ اليومي وبسببهما أُتيح لهُ مصادفة سواهُ من بني جنسهِ فتعاونا على دفع المضرّة وجلب المنفعة وزاد سعيهما وعملهما فوجدا آخرين من نوعهما عائشين على شاكلتهما فانضمت فئةٌ الى اخرى وتوالى ذلك الانضمام حتى كانت العشائر فزادت كمالياتهم على حاجيّاتهم بالمعاونة على السعي والعمل فاحتبسوا الحيوان الجامح النافر وروّضوهُ للانتفاع بهِ واتخذوا وبرهُ فنسجوهُ خيامًا ثم توصلوا الى معرفة الحبوب النافعة وتمييز الاثمار الصالحة ثم الى طريقة حفظها وزرعها وحصدها وطحنها وعجنها وخبزها وكل ذلك لا يتم الاّ بالسعي والعمل ثم شرعوا في بناء القرى فالبلدان الصغيرة فسارة المدن والامصار العظيمة ولا يخفى ما تخلل ذلك من ترقي الانسان في الصنائع والعلوم والفنون وسن الشرائع مما احتاج الى الكدّ والنصب والعناء الطويل ولم يتم الاّ ويد الانسان عاملة فيهِ تجري بهِ احكامها في السرّاء والضرّاء ولو اقام يترقب السعود والطوالع ويترصد النجم اللامع ويتمسك بالفأل

الكاذب الخادع ويعتقد بالحظ والتوفيق ويعقد مع البخت العهود والمواثيق لما اكل الاّ الجوع ولا عاش الاّ اياماً او بعض ايام

واذا راجعت تاريخ القرون الغابرة وتأملت في حالتي العمران والخراب رأيت السعي والعمل ملازمين أُولى الحالتين بل ربما وضح لك ان الاعتقاد بالتوفيق والحرمان هو احد اسباب الخراب بل اشدُّهُ ضربةً على العمران وقلّ ما تجد هذه العقيدة في البلاد السعيدة وكثيرًا ما ترى علماَء وعقلاَء تلك البلاد يستخفون بها وجل اتكالهم على سعيهم واعمالهم اليدوية والعقلية وتجد هذا المبدأ شائعًا في البلاد الشقية المنحطة وعند الامم التي لم تشرق عليها انوار العلوم الصحيحة والشعوب التي ألفت الكسل وسرى في عروقها سمّ الحسد ودب في دمها الخمول وماتت منها العصبية وعدمت محبة الوطن وفقدت من بينها عزة النفس وفارقت رؤوسها النخوة . وكلما تتبعت امر هذا الزعم وجدتهُ متأصلاً في النحوت الذين يلجأون اليه سترًا لمعايبهم ودفعًا لتقريع مؤنبيهم على تقاعدهم عن العمل وقد لا يكتفون بذلك فيتخذون هذا المبدأ ذريعةً للتنديد بذوي الاقدار وارباب المراتب واهل العلم والفضل والثروة الطائلة ممن لم يصلوا الى تلك المنزلة ولم يبلغوا ما نالوهُ من الشهرة والغنى الاّ بعد الجهد والعناء وطول الروية والتفكر ومزيد الاكباب على الدرس وسهر الليالي ومعاركة الايام ومعاناة الامور العظام ولله ابو الطيب حيث قال

تريدين لقيان المعالي رخيصةً ولا بدّ دون الشهد من ابر النحل

ستأتي البقية



قرآءة الكتابة من وراء الحجب الكثيفة

لحضرة الدكتور نجيب افندي بدورة في بيروت

لا يزال نطاق العلوم الطبيّة فيما يتعلق بالجهاز العصبي ضيقاً جداً ولا تزال مسائلهُ من الامور المغلقة التي لم تهتدِ ذرائع البحث الى الكشف عن سرائرها . وقد وقفنا في هذه الايام على مسئلة وضعها الدكتور النطاسي الاستاذ كراسّي موضع البحث في مجمع العلوم بمونبليه تتعلق بحادثة غريبة فريدة في بابها أيدها بالادلة القاطعة والبراهين الناصعة حتى لم يُبقِ للريب مجالاً

اما الحادثة المذكورة فهي كما رواها الدكتور كراسّي قال « اخبرني صديقٌ لي من تلاميذي يدعى فرّول عن امرأة في نوربون تقرأ الكتابة المحجوبة بالاجسام الكثيفة فوقع هذا الامر عندي موقع العجب واردت ان اتأكد صحة ذلك فكتبتُ (على غير علمٍ من تلميذي ومن غيرهِ) على نصف طبق من الورق بيتين من الشعر وكتبت تحتهما كلمتين احداهما باللغة الروسية ذات احرف كبيرة والثانية بالالمانية ذات احرف صغيرة وطويت الصحيفة ووضعتها ضمن ظرف من القصدير الرقيق ثم وضعتُ هذا الظرف ضمن ظرف آخر من الورق العاديّ الثخين والصقتهُ الصاقاً محكماً وختمتهُ بالشمع الاحمر بختم منقوش عليهِ اسمي ودفعتهُ الى تلميذي المشار اليهِ وكلفتهُ ان يتوجّه الى نوربون حيث تقيم المرأة ويقترح عليها ان تقرأ مضمون الرسالة دون ان تفضها فتناول الظرف مني وانطلق بهِ وبعد يومين كتب اليّ ما يأتي

« اني وصلت الى نوربون ووضعت رسالتك على منضدتي في منزلي وذهبت لأُحضر المرأة من منزلها وهو يبعد ٣٠٠ متر عن منزلي فسألتني عن قصدي فاطلعتها فقالت لا حاجة الى ذهابي معك فاني افعل ذلك في الحال

ونحن هنا فازداد بذلك عجبي واستغرابي وسألتها ان تنبئني بمضمون الرسالة فشرعت قائلةً ان الرسالة موضوعة ضمن ظرفٍ اول مختوم بالشمع الاحمر وعليه اسم الدكتور كراسي فاذا فضضت هذا الظرف وجدت الرسالة مغلفة بظرفٍ ثانٍ من القصدير الرقيق والرسالة تشتمل على بيتين من الشعر وهما كذا وكذا وانشدتنيهما ثم قالت وتحت البيتين كلمتان الواحدة باحرف كبيرة والاخرى باحرف صغيرة

« هذا ما قالتهُ المرأة عن مضمون رسالتك فعليك ان تحقق ذلك انت بنفسك وقد استغرق هذا الامتحان دقيقة ونصف دقيقة من الزمن وها انا واضع لك ضمن كتابي هذا رسالتك التي عند اطلاعك عليها تتأكد انها لم تُمَسّ والسلام

« فاخذت الكتاب وقابلت عليهِ ما قالتهُ المرأة فاذا هو في غاية المطابقة لنص رسالتي فاخذني العجب لا فقط من قرآءة الكتابة المحجوبة بالاجسام الكثيفة بل من قرآءتها عن بعد ٣٠٠ متر» انتهى

وقد رفع الدكتور كراسي هذا الامر الى مجمع العلوم بمونبليه واطلعهُ على الرسالة المختومة حتى اذا تأكدت لديهِ صحة الخبر قرر ارسال معتمدين من قبلهِ لتحقيق الامر واستجلاء ما يمكن الوقوف عليهِ من هذا الامر الغريب

وقد قرأنا كثيرًا من مثل هذه الحوادث غير انها لم تكن في هذه المنزلة من الوضوح ولا ناقلوها ممن يركن اليهم واما هذه الحادثة فصحيحة لا ريب فيها لان ناقلها الدكتور كراسي وهو احد مشاهير اساتذة الطب في فرنسا وقد تأيدت صحتها بشهادة مجمع العلوم بمونبليه فضلاً عن انها مسندة الى براهين قاطعة لا تحتمل الشك ونحن في انتظار ما يحكم بهِ المجمع المذكور في ذلك والله اعلم

رجل العصر

﴿ في التأليف والاختراع ﴾

من نظم حضرة الاستاذ عيسى افندي المعلوف احد مدرسي العربية في مدرسة كفتين

من الشخص المكبُّ على الكتابِ يطالعُهُ بجدٍّ وارتقابِ
لهُ طرسٌ تبسم مذ تبدَّى بطَرْف يراعهِ فرط انتحابِ
حكى طَرْف السحائب اذ تباكى فأضحك ثغر ازهار الروابي
هو الغصن الذي الالفاظ قطفٌ لهُ ونسيمهُ نَفَسُ الصوابِ
وشحرور المعاني ان تغنى تلاعبَ بالنهى مثل الشرابِ
فيخطب اذ منابرهُ اكفٌّ وينطق صامتاً دون ارتيابِ
وليس بألثغٍ نطقاً وجارت بقطع لسانهِ ذاتُ النصابِ
وكم توحي العقولُ الى كليمٍ بطُور الطرس من عجبٍ عجابِ
ومحبرةٌ تحن الى يراعٍ وترضعهُ جنى أريٍ وصابِ
اذا ما طرفهُ مَرَهاً تشكى تكحلهُ باثمدها الرضابِ
زنادٌ للخواطر دون قدحٍ ترى منها سنى شرر الثقابِ

فذاك الشهم ينشر ما بقلبٍ بكتبٍ من سؤالٍ او جوابِ
يخوض بحار افكارٍ فيجني لآلئ حكمةٍ ذات التهابِ
ترى من حولهِ حصناً حصيناً من الكتب المعدَّة للطلابِ
مجلاتٌ وصحفٌ ليس تحصى تنيلك مطلباً من كل بابِ
فيها من فنون العصر دُرٌّ تنظَّمَ كالقلائد في الرقابِ

مؤلفها كنحلٍ في رياضٍ جنى عسلاً بكدٍّ واكتسابِ

****

ومَن ذاك الذي اضحى مكبّاً على ابحاثهِ منذ الشبابِ
وقوات الطبيعة سلمتهُ عنان قيادها دون اضطرابِ
بقوةِ كهربآء او بخارٍ اعاد العصر مخضلَّ الجنابِ
اذلَّ الجاذبية في قيودٍ كما اقتنص الصواعق بالحرابِ
وارجف قلب بحرٍ فيهِ سارت بواخرهُ على رغم العبابِ
وقد قتل البعاد على قطارٍ توقل في السفوح وفي الهضابِ
وطار بقيد المنطاد حتى تلفع بالضباب وبالسحابِ
وأنشا الفُنُغراف لحفظ صوتٍ وفي تلفونهِ نقل الخطابِ
بمكروفونهِ قوّى سماعاً كجهر طنين اجنحة الذبابِ
وفي رسم الفنغراف اذّكارٌ لهُ بعد الممات او الغيابِ
اشعة باطنٍ كشفت مخبّاً شؤونٍ قد توارت بالحجابِ
بنظّاراتهِ العين اطمأنت وفاقت طرف زرقا والعقابِ
لسان البرق سخرهُ فادنى لهُ الانبآء في زمنٍ اغترابِ
ومرقبهُ الى الفلك المعلى تطلع كاشفاً حال الشهابِ
ومجهرهُ صغيرَ الجسم يجلو فسهّل عزمهُ كل الصعابِ

****

اجاب العصرُ سائلهُ فخذهُ مقالاً فيهِ اسلوب العتابِ
هو الرجل الذي احيا الليالي فاحيت ذكرهُ بين الصحابِ
هو الرجل الذي لم يألُ جهداً بتنقيبٍ ببعدٍ واقترابِ

ارق دمَ القلوب ونور عينٍ على الجائه وعلى الكتابِ
فما ذنب الفتى باللهو ذكراً ولا في جمع مالٍ واكتسابِ
ولا في عجبهِ او في قمارٍ ولا بالحسن او نضد الثيابِ
وما بتخرُّصات الوهم جدوى كفعل السحر او زجر الغرابِ
وما كسبُ المنى بلذيذ عيش ولا في قرب سلمى والربابِ
فذلك مستطير الذكر دوماً وهذا مشتكٍ سوء المآبِ

الكائنات وخصائصها

الكائنات على اختلاف مراتبها وتبايُن اصنافها مؤلفة من العناصر البسيطة على ضروب مختلفة في الكم والكيف وكلها اما ان تكون اجساماً قارَّةً في مواضعها مؤلفةً من دقائق متجانسة لا يختلف الجزء منها في تركيبهِ الكيماوي ووضع دقائقهِ وشكلهِ وسائر خواصهِ عن الجسم كلهِ وهي الجماد واما ان تكون اجساماً حيةً مؤلفةً من اعضاءٍ تقوم بعمل حيوي غايتهُ بقآء ذلك الجسم الى الاجل الذي أتيح لهُ وحفظ نوعهِ بطريقة التوالد وهي الاجسام الحية او الآلية وتشتمل على النبات والحيوان . فالجماد او المعدن عادم الاعضاء لا ينفعل بحركات داخلية تتهيأ بها اسباب الحياة فهو لا يتوالد ولا يموت واذا لم يطرأ عليهِ حادث بقي قارًّا في موضعهِ الى ما شآء الله على انهُ يتحرك بقوةٍ خارجية مما يفعل في كل مادة كما لو قُذف بشيء منهُ في الفضآء فانطلقت القذيفة بسرعة تعادل قوة الدفع التي تقاوم ثقل مادتها فانها تبقى منطلقةً على السرعة نفسها ما لم تعارض هذه القوة قوةٌ اخرى تحدث خللاً في الموازنة . ولما كانت الاجسام الغير الآلية مؤلفةً من دقائق متجانسة وكانت العناصر المركبة منها لا تختلف في جزءٍ من الجسم عما

هي في كلهِ لم تتغير اشكالها اذا تبلورت ولم تختلف اجزآؤهــا اذا تجزأت عما تكون عليهِ الكتلة الاصلية وكل ذلك ثابت بالتجربة تراهُ بالمجهر اذا اردت ان تحقق كيفية تولُّد بلورة جسم معدني فترى شكلها لا يُفرَق عن شكل الجسم الذي صدرت عنهُ في اكبر حجمهِ . ولا شك في ان العلة الفاعلة في التبلور ناموس عامٌ تجري احكامهُ على وتيرةٍ واحدة في الجمادات كافةً ومهما كانت الذرّات المؤلف منها الجسم الجماديّ دقيقةً فهي صلبة من شأنها مقاومة غيرها بحيث لا يخترق بعضها بعضاً ولكن بعضها يجذب بعضاً لما بينها من الالفة فتراكم سافاً فوق سافٍ على سطوحها المتماثلة بحيث لا يبقى فراغٌ بينها غير مملوءٍ

وقد يحدث ان الجسم الواحد يتشكل باشكال مختلفة على طرق معيَّنة تحت سلطة فواعل خصوصية كالكبريت اذا ذُوِّب في كبريتيد الكربون وأُحمي حتى يتبخر السائل فيتبلور على شكل مثمن الزوايا الى الشكل المعين ثم اذا صُهر وبرد يتبلور على شكل ابر طويلة مؤلفة من موشورات منحرفة قاعدتهــا معينة . وقد يحدث ان جسماً يحلُّ محلَّ جسم آخر فيتخذ شكلاً جديدًا غير شكلهِ الاصلي ولذلك يسمى بالشكل الكاذب وهو يقع كثيرًا في الصخور المآئية الاصل وقد سمي بالتحجر ونادرًا في المعادن المتبلورة كما في الجص اذا استحال الى مادة رملية (سلكا) وقد تؤثر الفواعل الخارجة في تبلور الجسم بعينهِ فتتغير شكل بلوراتهِ تغيرًا هندسيًا يجري على نظامٍ ثابت . فينتج من ذلك ان نمو الاجسام الغير الآلية انما يتم بوضع طبقاتٍ بعضها فوق بعض تتعاقب ما دامت هذه الاجسام محاطةً بالمواد التي تستمدُّ منها النمآء

وزعم فريقٌ من العلمآء ان دقائق الاجسام الغير الآلية متحركة على ان حركاتها انما هي اهتزازية لا شيء فيها من الحركة الخصوصية او الذاتية التي تمتاز بها الحويصلات

او الخلايا الحية وزعمهم هذا مبنيٌّ على ما شوهد من حركة المادة بفعل الحرارة الذاتية . ولا يخفى على الفطن اللبيب الفرق بين حركة عضوٍ تقوم بهِ الحياة وبين استطالة قضيب من الحديد اذا أُحمي وقصرهِ اذا برد وانجذابهِ بالقوة الكهربائية او المغنطيسية الى غير ذلك مما لا محل للافاضة فيهِ الآن

اما الحركات المعروفة بالبرونية بالنسبة الى برون مكتشفها فتُرَى بالمجهر في قطرة ماء تشتمل على دقائق مادةٍ غير آلية حيث تتجاذب وتتدافع بسرعة غريبة وهذه الحركات تبطئ بالحرارة وتسرع بالبرد وتتلطف بالقلويات الكاوية وتتوقف بالحوامض المعدنية ولا سيما الحامض الكبريتي فاستدلوا بذلك على المشابهة في الحركات بين الاجسام الآلية وغير الآلية ولكن هذه المشابهة لا تثبت خاصة الحياة للدقائق الآلية ولا سيما لان البرد يوقف حركة الدقائق الآلية كما توقفها الحرارة خلافاً لدقائق المواد المعدنية كما تقدم

والاجسام الآلية على حالةٍ بين السيولة والصلابة لا تتغير كيفيتها الا وقد هلكت خلافاً للاجسام الغير الآلية فانها تستحيل بفعل الحرارة من حالة الصلابة الى الحالة الغازية . ومعلوم ان عناصر الاجسام الآلية تنحل بفعل الحرارة القوية فلا تقوى الحيل البشرية بعد ذلك على اعادة تركيبها بحيث تؤلف كائناً حيّاً مع ان العناصر المكوّنة هي منها انما هي بعض العناصر الطبيعية القائمة بها الاجسام الغير الآلية فليس فيها عنصرٌ خاصٌّ ولكن هذه العناصر تتركب فيها على طرق خصوصية بفعل القوة التي لم تدرك حقيقتها وهي المعروفة بالحياة

ومن الغريب ان الاجسام الآلية لا تزال تنمو وتتكاثر وتتعاقب انواعها فيرث الخلفُ السلف وهي كثيرة التعرض لاسباب الهلاك والفناء لما في تركيب

عناصرها الكيماوي من قابلية الانحلال وتأليف دقائقها الحية من لطيف التقويم واغرب من ذلك ثباتها لدى طوارق الحدثان وصبرها على مغالبة صروف الزمان منذ كانت الاحداث تنتاب طبقات الارض في اطوار تكوينها الاولى فلا شك في انها لم تقوَ على الفوز في حلبة تنازع البقاء الاّ لقوة خاصة تعرف بقوة المقاومة او الثبات لانها تدرأ بها عن نفسها اسباب الهلكة وتتهيأ بها لملاءمة احوال البيئة على ما يقتضيهِ كيانها وليس من ذلك شيء للاجسام الغير الآلية

ومن خصائص الكائنات الحية انها مركبة من اعضاء تنفعل بحركة دقائقها الذاتية انفعالاً مصدرهُ الحياة وغايتهُ التغذية للتعويض عما خسرتهُ بالعمل الحيوي المحتوم على كلٍ منها فهي لا تزال عرضةً للتركيب والتحليل ولذلك كانت حركتها مستمرةً لا تنقطع وقد شُبهت هذه الاعضاء بالآلات وفي الواقع ان الكائن الحيّ سواء كان بناؤهُ بسيطاً او راقياً انما هو آلةٌ حية تُفرَق عن الآلة المألوفة بأن هذه تتلف بكثرة الاحتكاك او الصدا وتُصلَح بتجديد ما تلف منها اما تلك فاسباب تلفها لا تختلف عن اسباب تلف الآلة المعروفة ولكن تجديد ما تلف منها انما يكون من جراء الفعل الحيوي المستمرّ فيها فاذا كان الكائن الحيّ حدثاً آخذاً في النشوء يغلب فيهِ التركيب على التحليل فينمو الشخص ويكبر حتى يبلغ الطور الذي يتوازن فيهِ التركيب والتحليل فيصير حينئذٍ على اتم كمالهِ حريّاً بالتوليد والنتاج ثم ينقضي هذا الطور بغلبة التركيب على التحليل حتى تتوقف الآلة عن العمل فيحدث الموت فالموت اذاً عبارةٌ عن غلبة التحليل على التركيب في المادة الحية واستحالتها الى مبادئها العنصرية

ولا يشبه دثورُ الاجسام المعدنية موتَ الاجسام الحية في شيء فالماء والحرارة يحللان الصخور ويفرقان اجزاءها ويشققان الطبقات الرقيقة منها وربما

حدثت هزةٌ فجائية فانفصلت بعض القطع وانحدرت الى المهاوي والاغوار فتألفت كوماً وركاماً ويرى تأثير المآء في الصخور القائمة في شاطئ البحر حيث تصادم الامواج فتحفر فيها على تمادي الزمان اخاديد وينهالت ترابها فتسقط ولا يخفى ان كل ذلك لا يشبه التحليل الواقع في الجسم الحي في شيء . على ان الصخور الكلسية يحللها مآء المطر المشبع بالحامض الكربونيك فيتحوّل كربونات الجير المؤلفة منهُ هذه الصخور الى بيكربوناتهِ وهو اكثر قبولاً للذوبان بالمآء ثم يفلت المقدار الزائد من الحامض الكربونيك فيرسب كربونات الجير على الهيئة المعروف بها في الصخور الكلسية التي تكون منها الركام المؤلفة منهُ القشرة الارضية . ومثل ذلك يحدث اذا اخترق مآء المطر الطبقات المتراكة في ارضٍ متخلخلة التربة حيث يتحد الحامض الكربونيك بكربونات الجير فيتكون بيكربونات الجير القابل الذوبان واذا رشح هذا المركب الذائب في غار قطرةً قطرةً انعقد في سقفهِ احجاراً كلسية تتدلى منهُ على شكل نتوءات او رسب على جوانبهِ او في ارضهِ كما يرى في كثير من الكهوف .

والحجر المحبَّب وهو كثير الصلابة ينحل على نحو ما تقدم فيقوم بتكوين الصلصال والرمال التي تُحمَل الى الاماكن البعيدة عن منشإها بمجاري المآء وهو مكون من موادّ رملية وشبيّة يُعبّر عنها بالكوارتز والفلدسبات وهو سلكات الالومين والبوتاسا او الصودا الذي يؤثر فيهِ المآء المشبع بالحامض الكربونيك فيحلّ بهِ انحلالاً بطيئاً مستمرًا فيتولد حينئذٍ الفضار الذي يُصنَع منهُ الخزف الفاخر الثمين . والصوّان اكثر صلابةً ولكنهُ يتحاتّ شيئاً فشيئاً بالفواعل الطبيعية لان المآء المشبع بالحامض الكربونيك او بموادّ نشادرية يحلّ مادّتهُ الرملية فتدخل في تركيب بنية النبات . والحاصل ان الاجسام الغير الآلية يعتورها التحليل كـ

تقدم ولكن العناصر المحلة منها تبق في الارض او تدخل في تركيب الكائنات الآلية فلا تفقد حيثيتها خلاقاً للاجسام الحية التي يؤدي انحلال عناصرها الى فقد حياتهـا ومتى انحلت هذه العناصر استحالت الى مركبات جديدة لا يشبه شيء منها الجسم الذي كان قائماً بها ولا جزءٌ من اجزآئهِ فثبت بذلك ان الفرق بين عالم الجماد وعالمي النبات والحيوان قائمٌ بكثير من الخصائص التي لا تقوى على تفنيدها مزاعم قوم من العلماء والله اعلم

القلب وامراضه

لحضرة الفاضل الدكتور شبلي شميل [١]

القلب هو الجزء المركزيّ لما يسمى عندهم بالجهاز الدوريّ يقبل الدم الوريديّ الراجع من اطراف الجسم والذي لم يعد يصلح للتغذية لتطهيرهِ في الرئتين ويدفع الدم الشرياني الراجع من الرئتين والذي صار صالحاً للتغذية الى سائر اجزآء هذا الجسم. وهو مؤلف من اربعة تجاويف اثنان ايمنان للدم الوريدي واثنان ايسران للدم الشرياني فالدم الوريدي يصب في الأُذينة اليمنى بواسطة وريدين احدهما يقال لهُ الاجوف الصاعد او السفلي يأتي بالدم من اجزآء الجسم السفلى والثاني يقال لهُ الاجوف النازل او العُلويّ يأتي بالدم من الرأس واجزآء الجسم العليا. ومن الاذينة اليمنى ينزل الدم الى البطين الايمن وهذا ينقبض

١ اقترحت علينا هذه المقالة من بعض مشتركينا الكرام طلبا للفائدة الصحية والعلمية ولا يخفى ان هذا الموضوع مما لا يستوفى فى مقالة ولا فى عدة اجزاء من البيان ولكن المنشئ حفظه الله قد التزم فيه جانب الايجاز والتلخيص مع الاجتزاء بالقدر الذى يفهمه جمهور القراء

فيدفعهُ في وعآء يقال لهُ الشريان الرئوي يوزعهُ في الرئتين حيث يتطهَّر اي يفقد اكسيد الكربون الذي يكون قد اكتسبهُ في طريقهِ من احتراق انسجة الجسم ويأخذ الاكسيجين من الهوآء الذي يأتي الى الرئتين عن طريق المسالك الهوآئية بالتنفس وهذا التبادل بين اكسيجين الهوآء واكسيد الكربون الذي يحملهُ الدم الوريدي يتمّ بموجب ناموس يعرف عندهم بناموس تبادل الغازات . فاذا تطهَّر الدم في الرئتين نقلتهُ اربعة اوعية تعرف بالاوردة الرئوية الى الاذينة اليسرى وهذه تصبهُ في البطين الايسر وهذا ينقبض فيدفعهُ في الشريان العظيم المعروف بالاورطى (الابهر) فيرسلهُ الى جميع اجزاء الجسم غذآء مريئًا يكسبها قوَّةً ونشاطًا

ومما تقدَّم يظهر لنا ان القلب ليس آلة بسيطة بل هو آلةٌ مركَّبة محكمة الصنع اشبه شيء بالآلات الميكانيكية كل تجويف من تجاويفهِ يقوم بوظيفة غير الوظيفة التي يقوم بها التجويف الآخر . ولهُ صمامات مختلفة تفتح وتقفل بحسب ما يلزم لاحكام القيام بوظائفهِ المتعددة. فاوَّلاً يوجد صمام بين الاذينة اليمنى والبطين الايمن يعرف بالثلاثي الرؤوس لانهُ مؤلف من ثلاث قطع مخروطية تجتمع رؤوسها في المركز وترتبط قواعدها في الحلقة الفاصلة بين التجويفين ترتخي وتنفرج رؤوسها فتسمح للدم بالنزول من الاذينة الى البطين فاذا بامتلائهِ انقبض البطين واشتدّ الصمام وسدّ الفوهة الاذينية البطينية منعًا للدم من التقهقر الى الاذينة التي اتى منها فلا يجد امامهُ طريقًا يسير فيهِ غير فوهة الشريان الرئوي فيندفع فيها فاذا قذف البطين كل الدم الذي فيهِ ارتخى لقبول دم جديد يأتيهِ من الاذينة كالاول ولم يتقهقر اليهِ الدم المندفع في الشريان لوجود ثلاثة صمامات بين الشريان وبينهُ تنتشر فتصدّ الدم عن الرجوع . ويوجد صمام آخر ايضًا بين الاذينة اليسرى والبطين الايسر يعرف بالصمام التاجي مؤلف من قطعتين فقط

ووظيفتهُ كوظيفة الاول منع الدم عن التقهقر الى الاذينة اليسرى عند انقباض البطين الايسر لدفعهِ في الشريان الاورطي حيث يوجد ايضاً ثلاثة صمامات هلالية تمنعهُ عن الرجوع الى البطين عند ارتخائهِ. وعدا ذلك فالقلب كلهُ مغلّف بغلاف من جنس الاغشية المصليَّة يعرف بالشغاف او التأمور

فاذا عرف ذلك وعرف اتصال القلب بالاعضاء الاخرى خصوصاً الكليتين والكبد بسبب الدورة الدموية بحيث ان عاقةً في هذه الدورة ناشئةً عن احد هذه الاعضاء لا بد ان تؤثر في وظيفة الآخر علم حينئذٍ ان امراض القلب كثيرة جدًّا لا يمكن استيفاء وصفها وصفاً دقيقاً في مقالةٍ واحدة. ولا بدّ من الاشارة الى ذلك في هذا المقام لان المقصود من معرفة امراض القلب معرفة العلاج والعلاج لا يكون معقولاً ولا يرجى منهُ فائدة كلية او جزئية الاّ اذا نُظر فيهِ الى الاسباب لان اسباباً مختلفة كثيرًا ما تحدث نتائج متشابهة فلو اقتصرنا حينئذٍ على النتيجة وأهملنا السبب لم نفلح وان افلحنا مرةً بطريق الاتفاق نخطئ عشرين. والعلاج على الصورة التي اشرنا اليها يعرف عندهم بالمعالجة السببية وهي وان كانت ذات شأن عظيم في عامّة الامراض الاّ ان شأنها اعظم جدًّا في علاج امراض القلب لكثرة ما يعرض فيها من الاختلاطات التي قلما تشاهَد في سواها ولا يكون لها نفس الاهمية التي لها في امراض القلب

قلنا ان امراض القلب كثيرة ونغفل ذكر امراض غلافهِ المعروف بالتأمور ونقتصر على ذكر امراضهِ الخاصّة ونجتهد على قدر الامكان في بيان الارتباط بينها تسهيلاً لفهمها وتوطئةً للمدلولات العلاجية مع الاختصار اللائق بالمقام

فاولاً التهاب بطانة القلب وهو يحدث غالباً عن سموم بعض الامراض خصوصاً داء المفاصل الحادّ وعن ارتفاع درجة الحرارة كثيرًا في الحميات مهما

كان نوعها وعن الافراط في المسكرات واعراضهُ العامّة تابعة للمرض المرافق واعراضهُ الموضعية ضنك في القسم القلبي وعسر في التنفس وهو كثيرًا ما يكون سببًا لعلل الصمامات التي هي اشدّ علل القلب خطرًا لكثرة عروضها واحداث الاضطراب في دورة الدم . وما قيل عن التهاب بطانة القلب يقال عن التهاب نسيج القلب نفسهِ وكثيرًا ما يكون نتيجة اشتداد العلة الاولى ولذلك كانت اسبابهُ اسبابها غالبًا ويدلّ عليهِ سرعة النبض جدًّا وصغرهُ (ضآلته) وعدم انتظامهِ

ثانيًا تضخم القلب وهو زيادة جرمهِ بزيادة غلظ جدرانهِ وهو يحدث غالبًا عقيب العلل الصمامية التي توجب تقهقر الدم سوآء كان ذلك مع تضييق فوهاتها أو من دون تضييق للتعويض عما نقص من انتظام وظيفة القلب لزيادة قوة عضلتهِ بزيادةٍ في أليافها مثل تضخم العضلات التي تكلف عملاً زائدًا كتضخم عضلات التنفس في امفيسيا الرئتين . ويدل عليهِ اتساع مساحة الصمم عند القرع على جهة القلب واشتداد نبضانهِ ومصادمتهِ لجدران الصدر حتى لقد يرى ذلك واضحًا رأي العين

ثالثًا تمدّد القلب وهو عبارة عن اتساع جوف او اكثر من اجواف القلب وهو يسبق غالبًا ضخامة القلب ولذلك كثيرًا ما تكون العلتان موجودتين معًا والاسباب غالبًا عاقة في دورة الدم كما تقدم لنقصٍ في الصمامات كما سيأتي والاعراض اذا لم يكن معهُ تضخم هي زيادة مساحة الصمم عند القرع وهذه الزيادة تكون عرضًا اكثر منها طولاً مع ضعف مصادمة جدران القلب لجدران الصدر

رابعًا ضمور القلب وهو اما خلقي أو مكتسب والمكتسب يرافق هزال الجسم كلهِ في سير علل مختلفة او ضغط عليهِ من رشح مآئي في جوف

التأمور او من تجمع الدهن حولهُ او من أية علة اخرى تضعف تغذيتهُ . ويدل عليهِ الميل الى الاغماء والخفقان والانيميا وصغر النبض وصغر مساحة الصمم تحت القرع وضعف الصوت الاول والثاني عند التنصت بالاذن ووضوح اللغط التنفسي في القسم القلبي من طفوف الرئة عليهِ الاّ اذا رافق ذلك مرتشح في جوف التامور او سبب آخر يجعل القسم القلبي اصم تحت القرع

خامساً نقصان صمامات القلب وتضييق فوهاتهِ — كل فوهة من فوهات القلب الأربع وهي الفوهة الاذينية البطينية اليسرى والفوهة الاذينية البطينية اليمنى والفوهة الاورطية والفوهة الشريانية الرئوية تصاب بنقصان او تضييق او نقصان وتضييق معاً ففي التضييق يصير مرور الدم من هذه الفوهات صعباً ويطلب من عضلة القلب جهداً زائداً وقلما يتيسر فراغ التجويف فراغاً تاماً من الدم المطلوب دفعهُ وفي النقصان يفرّغ الدم كلهُ بالانقباض وانما حالما يرجع الجوف المنقبض الى الارتخاء والاتساع يتقهقر اليهِ جانب من الدم الذي يكون قد دفعهُ لنقص في الصمام يحول دون احكام السد الضروري لانتظام الدورة في حال الصحة. واذا وجدت العلتان معاً اي التضييق والنقصان فتعب القلب من ذلك يكون اشدّ ايضاً ويسهل تصوُّر التغيرات العضوية والاضطرابات الوظيفية التي تصاحب ذلك كتمدّد القلب وتضخمهِ وعدم انتظام ضرباتهِ وتأثيرها في النبض وقلة تطهير الدم واحداث احتقانات في اعضاء بعيدة كالكبد والكليتين قد تؤدي الى امراض شديدة كورم الاطراف السفلى والاستسقاء والزلال في البول الخ. ومن اكثر هذه العلل حدوثاً العاقة الاورطيّة الناشئة عن ضيق الفوهة الاورطيّة ونتيجتها تمديد البطين الأيسر واحداث نقصان في الصمام التاجي بين البطين الايسر والاذينة اليسرى تكون نتيجتهُ تقهقراً تاجياً ويتبع

ذلك اضطرابات في الدورة المحيطية . ويستدلّ عليهِ بالاعراض التي تدلّ على تضخم البطين الايسر وسماع صرير تقلصي تجاه الصمامات الاورطيّة

ثم التقهقر الاورطي الناشئ عن نقصان الصمامات الاورطيّة ويحدث مع الزمان نفس التغيير في البطين الايسر للقلب مع تضخم فيهِ ونقصان الصمامات التاجيّة وما يتبع ذلك من الاضطرابات العامّة ويدلّ عليهِ التمدُّد والتضخم وسماع صرير خشن عوضاً عن الصوت الثاني للقلب

ثم تضييق الفوهة التاجيّة او الحاقة التاجيّة وهي علّة نادرة او هي اندر من التقهقر التاجي ويعقبها تمدُّد الأُذينة اليسرى ضرورةً مع تضخمها ويدلّ عليها سعال مستعصٍ وعسر تنفُّس ونوب ربو قلبي ونوب خفقان شديد تؤدي الى ابذيما رئويّة او سكتة دماغيّة وعند الاستقصاء يسمع صرير يسبق الصوت الاول المسموع عند رأس القلب

ثم نقصان الصمامات التاجيّة والتقهقر التاجي وهذه العلّة اكثر وقوعاً من سائر العلل الصماميّة ويعقبها تمدُّد تجاويف القلب عموماً وتضخمهُ ويدل عليها ما يدل على التمدد والتضخم وسماع صرير مع الصوت الاول اوضح عند رأس القلب وضعف الصوت الثاني الطبيعي

ونقتصر على هذا القدر ونغفل الكلام على العلل التي تعرض لفتحة الشريان الرئوي ولصماماتهِ وللصمامات الثلاثية الرؤوس التي بين البطين الايمن والاذينة اليسرى لندرتها ونكتفي بالاشارة الى حؤول القلب الدهني الذي يعرض كثيرًا للسمان على انهُ شوهد ايضاً في النحفاء وكثيرًا ما يعقبهُ الموت فجاءةً بانفجار القلب او بالغشيان والى عيوب القلب الخلقيّة كوضع القلب في غير موضعهِ وفقد التامور كلهِ او بعضهِ والزراق الناشئ عن اختلاط الدم الشرياني بالوريدي

لعدم انسداد الثقب البيضي وانسداد القناة الشريانيَّة بعد الولادة

وهنالك علل اخرى كثيرة كصلابة الشرايين التي تمرض للانسان كلما تقدم في السن والتي لها شأن عظيم في علل القلب وما يترتب عليها من الامراض الثانويَّة في الاعضآء الاخرى وكالألم الفؤادي الحقيقي الشديد الخطر والكاذب الذي يرافق عللاً كثيرة ضعفيَّة كالانيميا والمرض الاخضر والهستيريا وكالخفقان الناشئ عن شدَّة الانفعالات العصبيَّة او عن افعال اخرى منعكسة عن المعدة او سواها مما يضيق بنا المقام لو تحرينا وصفهُ وصفاً كافياً ولا يسعهُ الاَّ مطوَّلات هذا الفن ونتقدم الى الكلام في المعالجة على وجه مختصر كذلك مع النظر فيها الى القواعد الكليَّة والمدلولات السببيَّة مما يجعل فهمها نافعاً ومفيداً لتطبيق المفردات الدوآئية عليها وموعدنا في ذلك الجزء الآتي

الاحصآء المصري

ذكرنا في الجزء الخامس من هذه المجلة مجمل الاحصآء الذي تمَّ في اثنآء السنة الحالية فكان مجموع سكان القطر ٩٫٦٥٤٫٣٢٣ نفساً . وقد وقفنا الآن على بيان تفصيل هذا العدد باعتبار الجنسيات والمذاهب وغيرها فكان مجموع السكان ٩٫٧٣٤٫٤٠٥ انفس اي بزيادة ٨٠٫٠٨٢ ثمانين الفاً واثنين وثمانين نفساً (لا غير) عن مجمل التعداد الذي نُشر في ذلك الحين على ما اثبتناهُ في موضعهِ مفصلاً وقد سبق لنا التنبيه على مثل هذا الخلل في الكلام على تعداد الطائفة القبطية (صفحة ٤٣٦) مما دل على مقدار ما في هذا الاحصآء من الدقة والضبط .. وهذا محصَّل التفصيل المذكور ننشرهُ على علاَّتهِ

﴿ التعداد بحسب الجنسيات ﴾

(عدد المصريين والعثمانيين المقيمين بالقطر)

المصريون الوطنيون	الرعايا العثمانيون	عرب البادية	المجموع
٩ ٠٠٧ ٧٥٥	٤٠ ١٥٠	٥٧٣ ٩٧٤	٩٦٢١٨٧٩

(عدد الاجانب المقيمين بالقطر)

اليونان	الطليان	الانكليز	الفرنسيس	النمساويون	الروس	
٣٨١٧٥	٢٤٤٦٧	١٩٥٥٧	١٤١٥٥	٧١١٧	٣١٩٣	
الالمان	الاسبنيول	السويسران	الاميركان	البلجيك	الهولنديون	١١٢٥٢٦
١٢٧٧	٧٦٥	٤٧٣	٢٩١	٢٥٦	٢٤٧	
البرتوغال	الاسوجيون والنروجيون	الدنمرك	الايران	اخلاط		
١٥١	١٠٧	٨٣	١٣٠١	٩١٣		
						٩ ٧٣٤ ٤٠٥

﴿ التعداد بحسب المذاهب ﴾

المسلمون	المسيحيون	الاسرائيليون	من مذاهب شتى	المجموع
٨٩٧٨٧٧٥	٧٣٠١٦٢	٢٥٢٠٠	٢٦٨	٩٧٣٤٤٠٥

﴿ تفصيل اصحاب المذاهب المسيحية ﴾

القبط على مذاهبهم	الكاثوليك من غيرهم	الارثوذكس	البروتستان	المجموع
٦٠٨٤٤٦	٥٦٣٤٣	٥٣٤٧٩	١١٨٩٤	٧٣٠١٦٢

وقد عُلِم من هذا الاحصآء ان الذين يتعاطون الصنائع والحِرَف يبلغون ٣,٢٤٧,٩٠٧ وهم نحو الثلث من اهل البلاد والباقون وهم ٦,٤٤٦,٤٩٨

لاصناعة لهم . والذين يعرفون القرآءة ٤٦٧,٨٨٦ لا غير والبـاقون وهم ٩,٢٦٦,٥١٩ أُمّيون فاذا قابلت هذين العددين وجدت ان عدد القارئين في البلاد لا يكاد يبلغ ٥ في المئة (٤٨ في الالف) . على أن هذا التقسيم يتناول جميع سكان القطر من وطنيين وغيرهم كما يُعلَم من الاعداد المتقابلة فاذا اخرجت منهم الرعايا العثمانيين والاجانب ممن لا تكاد تجد فيهم أُميًّا وهم لا يقلون عن ١٥٠ الف نفس بقي عدد القارئين من الوطنيين نحوًا من ٣٠٠ الى ٣٢٠ الف وهو عددٌ لا يتجاوز ٣٢ في الألف وبقي ما يقرب من ٩٧٠ في الالف او ٩٧ في المئة يجهلون القرآءة . وهذا ولا جرم من الفحش الجهل الذي لا تكاد تجد لهُ نظيرًا في شيء من الممالك التي بزغ عليها فجر التمدن العصريّ والذي ولا شك سيفضي بالامة والبلاد الى الاضمحلال العاجل والدمار الكامل . وانما المؤاخَذ بهذا رجال العقد والحلّ من نوّاب الأُمّة الذين أُلقيت اليهم مقاليد امورها وعُصِب بهم امر سياستها وتدبيرها بل التَبِعة كل التَبِعة فيهِ على وجوه البلاد وسراة اهلها الذين في ايديهم ثروتها وهم لسان الامة ويدها وقادة الرأي والعمل فيها والذين اليهم ينتهي عزّها وعمرانها وعليهم يقع ذلّهـا وخسرانها . ولعمر الحق ان السخآء بالمبالغ الطائلة من اموال البلاد وردّها عليها القيام بانشآء المدارس وتهذيب المدارك واخراج الالباب من ظلمات الجهل والأُمّية بل اخراج الأُمة من مدافن الخمول والبوار لأَولى وأبرّ من ارسالـــ تلك الاموال في طريقٍ لا يرجع عليهم منها بشكران ولا يشيعها فيهِ الاّ رُسُل الشقاق والشنآن . وان قطع المسافات ولو على القدم وارتقآء المنابر في صدر كل مُزدحَم لحثّ كبرآء البلاد وذوي الثروة فيهـا على هذا الامر المهمّ الذي بمثلهِ تنهض الامة من كبوتها وتدفع يد الغاصب عن حوزتها لأَجدَر وأَجدَى من الطواف

في الاقطار البعيدة لاستمانة ذوي المآرب على المطالبة بحقٍ قد اضعناهُ من ايدينا والتوسل اليهم بشكايةٍ لا تعدو شكوى الجريح الى العقبان والغريق الى الحيتان وبهذا القدر كفايةٌ لقومٍ يستبصرون

اسئلة واجوبتها

القاهرة — هل يوجد دوآء لتقوية النظر بعد قصرهِ

احد مشتركي البيان

ت . ج

الجواب — لا سبيل الى معالجة ذلك بالدوآء لانهُ ناشئٌ عن خلل في شكل بعض الاجزآء المؤلفة منها العين ولكنهُ يُصلَح بوضع الزجاجات المقعَّرة تُختار على وفاق العين على يد طبيب عارف

الاسماعيلية — هل الاصحّ في لفظة « روح » التذكير ام التأنيث وعلى اي قاعدة يبنى الحكم وما الشواهد على ذلك

صالح هرون
ناظر مدرسة الاميركان
بالاسماعيلية

الجواب — الروح يذكَّر ويؤنَّث الآن التذكير اكثر . واما القاعدة التي يُبنى عليها الحكم في تعيين احدهما فليس لنا في ذلك الاَّ متابعة النقل عن العرب والرجوع بهذه اللفظة وامثالها الى قاعدة « ايٌّ كذا خُلِقت » . قال في المصباح قال ابن الأنباريّ وابن الأعرابيّ الروح والنفس واحد غير ان العرب تذكّر الروح وتؤنث النفس وقال الازهري ايضاً الروح مذكر وقال صاحب

المحكم والجوهري الروح يذكر ويؤنث قال وكأن التأنيث على معنى النفس » اه.
ومن شواهد التأنيث قول الحريري في المقامة القطيعية

صبرتُ عليكِ حتى عيل صبري ۞ وكادت تبلغ الروح التراقي

وهو كثيرٌ في كلام المولدين ولا يحضرنا عليهِ شاهدٌ من كلامٍ قديم

فيلادلفيا — عثرت في الجزء الحادي عشر من البيان (صفحة ٤٣١) على لفظة « داحة » عنى بها الكاتب « اللعبة » وبعد البحث في كتب اللغة لم اقف على هذه اللفظة . غير اني كثيرًا ما سمعت عامّة الناس يعبرون عن الشيء الحسن بقولهم « دَحّة » بتشديد الحآء وبعض عامة لبنان يستعملون في هذا المعنى « الدَحّلة » وفي اللغة الانكليزية لفظة Dall تفيد « لعبة » فهل من نسبةٍ بين هذه الكلمات وان كانت لفظة « داحة » واردة في كتب اللغة ارجو ان تبينوا لنا ذلك افادةً للقرآء

جرجي حيقة

الجواب — قال في القاموس في مادّة (د و ح) « الداح نقشٌ يلوَّح للصبيان يعللون بهِ ومنهُ الدنيا داحة » . وفي الأساس « وفلانٌ يلبس الداح وهو الوشي والنقش ... وجآءنا وعليهِ داحة » اي ثوبٌ منقوش . وفي لسان العرب « قال ابو عمرو هذا حرفٌ صحيح في اللغة .. قال وقول الصبيان الداح منهُ » اه . فقول العامّة « دَحّة » محرَّفٌ عن « داحة » واما الدَحلة في قول عامّة لبنان فلا يظهر لها اصلٌ في اللغة فالظاهر انهُ تحريفٌ آخر ابدلوا من احدى حآءي « الدَحّة » لاماً تخفيفاً من ثقل اجتماع الحآئين . واما اللفظة الانكليزية فلا نظن ان لها اتصالاً بشيء من ذلك والله اعلم

آثار ادبية

المشرق — وردنا الجزء الاول من هذه المجلة الحسناء لحضرة صاحب امتيازها الاب لويس شيخو اليسوعي وهي مجلة علمية ادبية فنية تُطبَع بادارة آباء كلية القديس يوسف في بيروت . وقد تصفحنا هذا الجزء منها فوجدناهُ مشتملاً على عدة مقالات جليلة الفائدة منها مقالة علمية في اهم اكتشافات سنة ١٨٩٧ للاب كولنجت ومقالة اخرى في اكتشاف وزن قديم لمدينة بيروت للدكتور روفيه وكتاب الدارات للاصمعي وهو يتضمن اسماء دارات العرب الوارد ذكرها في كلام شعرآئهم وجزء من تاريخ بيروت واخبار الامرآء من بني الغرب لصالح بن يحيى احد ابنآء الامرآء المذكورين وغير ذلك من الفصول الانيقة والفوائد النادرة ولا بدع في ذلك مع ما اشتهر لهذه العصابة الفاضلة من الاجتهاد في احيآء رسوم العلم وتوسيع نطاقهِ ولا سيما في بلادنا الشرقية مما خلد لهم جميل الذكر في هذه الانحاء وحقّ لهم بهِ جزيل الشكر وطيب الثنآء

وهذه المجلة تصدر مرّتين في الشهر كل مرة في ٤٨ صفحة وقيمة اشتراكها السنوي اثنا عشر فرنكاً في بيروت وخمسة عشر في خارجها فنتمنى لها مزيد الرواج والانتشار .

دليل لبنان — اهديت لنا نسخةٌ من هذا الدليل المفيد وهو من وضع ادارة جريدة لبنان وطبع مطبعتها يتضمن تعريف احوال لبنان واحكامهِ وتعداد من فيهِ من المتوظفين وارباب الاقلام وتقسيمهُ الجغرافي والاداري وما فيهِ من جرائد ومطابع ومدارس وغيرها مع تقويم لسنة ١٨٩٨ يشتمل على فوائد شتى فنثني على واضعهِ ثنآء جميلاً

البيان

السنة الاولى — الجزء السادس عشر

١٦ يناير سنة ١٨٩٨

السيارة في عالم الثوابت

نحن في عصرٍ تواترت علينا فيهِ العجائب حتى كدنا لا نعجب وترادفت الغرائب حتى عدنا لا نعلم أيُّها اغرب وحتى توهمنا الانسان قد دخل في نوعٍ من الطفرة التي طالما حسبناها محالاً وكاد يتجرد من ثوب هيولاهُ ويتقمص من الروحانية سربالاً فبينا هو في جوف الارض يبحث فيما اشتملت عليهِ من المعادن والجواهر ويستطلع ما خبأتهُ ذراتها من الاستقصّات والعناصر اذا هو قد ارتفع في جوّها فاستوى فوق موضع السحاب وانزوَت لهُ الارض فاذا هي كدارة درهمٍ لا يفوت طرفهُ منها برٌّ ولا عُباب وبينا هو في معالجة العناصر يبحث عما أُودعتهُ من الخصائص والطبائع وفي مزاولة الطبيعة يستنطقها عما استبطنتهُ من القُوى والشرائع اذا هو بين الكواكب والسُدُم مخترقاً اقاصي السماوات يتعرّف حقائقها وحركاتها ويمسح ما بينها من المسافات وقد أَلِفها حتى اصبحت كانها قطعةٌ من الارض لا يجهل منها جليلاً ولا دقيقاً بل ربما كانت ادنى منالاً من بعض اقسام الارض واسهل طريقاً

وليس غرضنا من هذه المقالة ان نبحث في الكشف عن علوم هذا

العصر وتعداد ما وُفّق اليه ارباب البحث من المكتشفات والمخترعات التي تفوت الحصر ولكنا نقصر كلامنا في هذا الموضع على امرٍ منها هو من اغربها وقعاً وأدلّها على ما يبذلــــه القوم من الجهد والمثابرة في بلوغ كل ما يتمثل للذهن ويمرّ في الخاطر من الغايات التي قد تظهر لطالبها ـــفي حد المستحيلات ونعني بذلك استدلالهم على وجود اجرام من الكواكب لم ترَها عينٌ ولا تُدرَك بشيء من الآلات البصرية المعروفة ليومنا هذا ولعلها لن تُرَى الى الابد وقد اثبتوا وجودها بما لا يحتمل الريب وعيّنوا مواقعها وخططوا وجهة سيرها وعرفوا زنتها والعناصر الداخلة في تركيبها وهي مع ذلك كلهِ قائمةٌ وراء حجابٍ لا يخرقهُ الحسّ ولا يُتوصّل الى ما وراءهُ بسبب

وقبل ان نخوض ـــفي بيان ذلك لا بدّ لنا أن نذكر للمطالع أن كثيرًا من النجوم التي تُرَى بالعين المجرّدة فذّةً اي مفردةً تبيّن بعد الكشف عنها بالآلات البصرية انها متعدّدة اي مركّبة من نجمين فاكثر الاّ انها لشدّة التقارب بين الواحد منها وما يجاورهُ لا تميّزها العين بل منها ما لا يُميَّز الاّ بأقوى المراقب في اصفى الاوقات . وذلك لان شعاع احد المتجاورين يحجب الآخر او يتصل بشعاعهِ اذا تعادلت قوّتهما فيظهران كالشيء الواحد ولا يمكن حلّهما حتى ينقطع شعاعهما وينفرد احدهما عن الآخر . وهذه احدى فوائد الآلات المكبّرة فانها فضلاً عن تبعيد المسافة بين النجمين ضرورةَ تجرّدهما من الشعاع كلما زادت فيها قوّة التكبير حتى لا يبقى منهما الاّ كالنقط الهندسية وحينئذٍ فاذا كان بينهما اقلّ فاصل ولو نصف ثانية ظهر كل واحد منهما مستقلاً

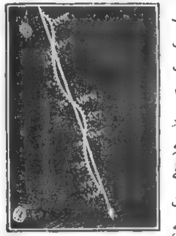
وأوّل نجمٍ اكتُشِف من هذا النوع النجم المعروف بالعَناق من القدر الثاني من كواكب الدبّ الاكبر وهو اوسط نجوم الذَّنَب وبجانبهِ نجمٌ صغير

من القدر الخامس يُعرَف بالسُّهى كانت العرب تمتحن بهِ ابصارها وليس هذا هو النجم المقصود هنا فانهُ يُرَى بالعين المجرَّدة وبينهُ وبين العَناق ٤٨ً ١١َ فليس مما يُعدّ بهِ النجم مزدوجاً ولكن هناك نجماً آخر من القدر الرابع كشفهُ رتشيولي بمنظارهِ سنة ١٦٥٠ وهو اول نجمٍ كُشِف عنهُ بالآلات البصرية واول نجمٍ أُخِذ رسمهُ بالتصوير الشمسي صوَّرهُ بوند سنة ١٨٥٧ ثم اخذ عنهُ عدة رسوم بلغت ٨٦ رسماً قيس منها البعد بينهُ وبين العناق فكان ٥ً١٤

والنجوم المتعدّدة من هذا الضرب كثيرة بعضها ثُنائيٌّ وبعضها ثلاثيٌّ ورُباعيٌّ وفوق ذلك وقد اكتُشِف منها ما يبلغ ٦٠٠٠ نجم لا تزيد المسافة بين الواحد منها وصاحبهِ على ثانية الاّ انهُ لم يتحقق الارتباط النظامي بين كل واحدٍ منها والذي يجاورهُ لجواز ان يكون تجاورُهما اتفاقيًّا او مرئيًّا فقط ولذلك عدلوا الى مراقبة حركاتها فتحقق ان ذوات الارتباط منها ٨١٩ نجماً منها ٧٣١ ثنائية و٧٣ ثلاثية و١٢ رباعية و٢ خماسيّان و١ سداسي . وهذا مما يدلّ دلالةً بيّنة على ان جميع الاجرام السماوية جاريةٌ على سُنّةٍ واحدة من التجاذب ودوران بعضها حول بعض على ما هو الحال بين شمسنا وسيّارتها والسيّارة واقمارها

وهناك اجرامٌ أُخر عُلِم ازدواجها بمراقبة حركاتها ومنها الشعرى اليمانية فانهُ بتكرار الرصد عليها وقياس مواقعها في اوقات مختلفة تبينوا في حركتها اضطرابًا وانحرافًا عن خط مسيرها واول من تنبه لحدس بوجود سيّارٍ لها ونبّه العلماء الى ذلك الفلكي بَسّل سنة ١٨٤٤ فكان ذلك موضع بحثهم ومراقباتهم الى ان ظهر لهم بعد تكرار الرصد والحساب ان هذا الانحراف كان على اتجاهات مخصوصة ومُدَدٍ معيّنة لا يتعدّاها فكانت تارةً تعدل عن طريقها شرقًا وتارةً تعدل غربًا وطورًا تزداد سرعتها جنوبًا وحينًا تتباطأ وكان اكثر ما يظهر

ذلك الانحراف في صعودها المستقيم بحيث كان يبلغ الى ١٥٢ ؛٠ غربًا ومثل ذلك شرقًا الى ان ترجع الى حيث كانت بعد ٤٩ سنة . وقد رُوقِب ذلك فيها منذ اواسط القرن الحالي فكان معظم انحيازها الى الشرق سنة ١٧٦٩و١٨١٨و١٨٦٧ ومعظم انحيازها الى الغرب سنة ١٧٩٣و١٨٤٣ على ما ترى ذلك في الرسم وهذا ما حدا بسُّل على التكهن بوجود جرم آخر غير منظور هو الذي يعدل بها عن اتجاهها ويقتضي هذه الحركة عيّن بَتْرُس خط الفلك الذي ينبغي ان يكون ذلك الجرم دائرًا فيهِ حولها وفي سنة ١٨٦٢ وُجِّه اليها المِرقب فشُوهِد بهِ ذلك السيّار عيانًا في نفس الموضع الذي دلّ عليهِ الحساب . وذلك على حدّ ما وقع في اكتشاف نبتون من سيّارة عالمنا حين دلّ الحساب على موضعهِ فلما وُجّه اليهِ المِرقب لم يخطئهُ من اول نظرة . وكان تحقيق سيّار الشعرى بعد وفاة بسُّل بست عشرة سنة


اضطراب حركة الشعرى

وقد حُسِب بمقتضى زاوية اختلاف الشعرى ان بُعد هذا السيّار يعدل ٣٧ ضعفًا من نصف قطر فلك الارض فيكون عنها ابعد من نبتون عن الشمس وان ظهر لنا من هنا غائصًا في اشعتها وتُحسَب مسافتهُ عنها بنحو ٣٫٤٠٠٫٠٠٠٫٠٠٠ ميل وسرعتهُ على هذه المسافة تدلّ على أن مادّة الشعرى تبلغ ١٤ ضعفًا من مادّة الشمس ويكون هو اعظم من الشمس نفسها بسبعة اضعاف

وقد ظهر من رصدٍ حديث سنة ١٨٩٦ ان مادّة هذا السيار تعدل نصف مادّة الشعرى وهو يطابق القول المتقدم حالة كون ضوءهِ لا يزيد على $\frac{١}{١٠٠٠٠}$ من ضوءها وهو يعدّ من القدر التاسع الاّ ان مقدار الضوء المنبعث عنهُ لا ينبغي ان يتخذ دليلاً على مقدار مادّتهِ ولا قياس حجمهِ كما انهُ لا وجه للقطع بأن هذا الضوء ذاتيٌّ لهُ لاحتمال ان يكون منعكساً عنهُ من ضوء الشعرى على حدّ ما في الاجرام



الشعرى وسيارها

الدائرة حول الشمس فان من قابل بين الزُّهَرة والشعرى وجدها انوَر منها بما لا يقاس وان لم تكن الزهرة مضيئةً بذاتها فاذا فُرض ان ضوء الشعرى في نفسهِ لا يزيد على ضوء الشمس الاّ ضعفاً واحداً وكان سطحها اوسع من سطح الشمس مئة واربع واربعين مرة فان ما يتناولهُ من ضوءها مثل هذا السيار العظيم يكفي لأن يُبصَر من هنا ولو كان عنها بالمسافة التي تقدم ذكرها

وقد عاينوا مثل ذلك الاضطراب في حركة الشعرى الشامية والكوكب

الثامن من العقرب (θ) وبعد طول المراقبة اكتُشف بالقرب من كلٍّ من هذين النجمين نجمٌ صغير من القدر الثالث عشر فرجح عندهم انهُ هو النجم المدلول عليهِ بذلك الاضطراب الاّ أنَّ ذلك الى الآن لم يتحقق لقرب العهد بهذين الاكتشافين

ومن الكواكب ما عُرف وجود تابعٍ لها بتفاوت ضوءها اشتدادًا وضعفًا وان لم يُعايَن بشيء من الآلات والسيَّارة من هذا النوع لا تكون الاَّ مظلمةً وهي تدور حول شموسها في خط البصر فاذا توسطت بيننا وبينها حجبت ضوءها عنا كما يحدث في كسوف الشمس بجرم القمر . ومن هذا النوع النجم المعروف برأس الغول وهو الثاني من صورة برشاوش المسمى بحامل رأس الغول وهذا النجم من ذوات القدر الثاني وبجوارهِ سيَّارٌ مظلمٌ يدور حولهُ في يومين و٢٠ ساعة و٤٨ دقيقة و٥٣ ثانية وفي اثناء دورانهِ حولهُ يكسفهُ في مواقيت محدودة حتى يستحيل الى القدر الرابع ويستمرّ كذلك مدة ٦ دقائق ويبدأ نقص النور فيهِ قبل مُعظَم الكسوف باربع ساعات ونصف وبعد ذلك يعود فيقوى شيئًا حتى يرجع الى ما كان عليهِ في مثل المدة المذكورة

وقد حسبوا ان المسافة بين هذا السيار وشمسهِ ٣٫٢٧٠٠٠٠ ميل وسرعتهُ حولها ٥٦ ميلاً في الثانية وقطرهُ نحو ٨٤٠٠٠٠ ميل وقطر شمسهِ نحو ١٫٠٠٠٠٠٠ ميل ومادتها تعدل ٤/٩ مادة شمسنا ومادتهُ نحو النصف من ذلك

والنجوم من هذا النوع كثيرة الاَّ انهُ ليس كلّ نجمٍ تفاوت ضوءهُ ولو في مواقيت محدودة دلّ ذلك على وجود سيَّارٍ مظلمٍ يدور حولهُ ولا سيما اذا تباعدت المدّة بين محاق ومحاق لان ذلك لايكون الاَّ مع شدة القرب بين الجرمين حتى يمكن وقوع الكسوف وذلك يقضي ولا جرم بسرعة الدوران وقصر

المسافة التي يقطعها السيّار حتى يتمّ دورتهُ . والمعروف الآن من الانجم ذوات المُدَد القصيرة تسعة لا يبعد ان تكون من هذه الرتبة منها اثنان في صورة قيفاوس وواحدٌ في الثور وواحدٌ في الميزان واثنان في المثلَّث الجنوبي وغير ذلك مما لا نطيل باستقصآئهِ ومددها تتفاوت بين يوم و٣ ايام و٥ و٤٠

غير ان هناك انجماً أُخر سيّاراتها مضيئة وهي تدور حولها في سطحٍ مسامت لخط البصر بحيث لا تمكن رؤيتها بحال ولا دليلَ عليها من اضطراب حركات شموسها لان كل حركةٍ لها انما هي في السطح عينهِ ولكنهم توصلوا الى معرفتها بفحص الطيف المحلَّة اليهِ اشعتها مما سيمرّ بك بيانهُ تفصيلاً . وذلك أنهم يأخذون رسم طيفها بالتصوير الشمسي في اوقاتٍ متباينة فترتسم طرائق ألوانهِ على الصفيحة الحساسة مرتبةً ترتيبها الطبيعي من البنفسجي الى الاحمر . ومعلومٌ ان الوان الطيف تقطعها خطوطٌ مختلفة الوضع والعدد بها يتعين تركيب الجم الكياوي وما فيهِ من العناصر المختلفة كما سبق الايمآء اليهِ لان لكل عنصرٍ خطوطاً تخصهُ مما لا موضع للافاضة فيهِ هنا وهذه الخطوط هي محلّ الفحص المذكور

ومن غريب الاتفاق ان اول نجمٍ أُخذ رسم طيفهِ على هذا الوجه هو العَناق المشار اليهِ قبل هذا وهو اول نجمٍ تُوصّل الى حلّهِ بالآلات البصرية واول نجمٍ ثنائيٍّ أُخذ رسمهُ بالتصوير الشمسي على ما تقدم . وبعد أن أُخذ عنهُ عدة رسوم في اوقاتٍ مختلفة وقُوبِل بينها وُجِد أن بعض خطوط طيفهِ كانت في بعض تلك الرسوم مزدوجة وأن ازدواجها كان تارةً من احد طرفي الطيف اي من جانب البنفسجي وتارةً من الطرف الآخر اي من جانب الاحمر فكان من نتيجة هذا البحث أن الازدواج المذكور في الطيف لا بدّ ان يكون ناشئاً عن ازدواج مصدرهِ بمعنى انهُ كان هناك طيفان مختلفان لا طيفٌ واحد فلزم

ان يكون ثمّة نجمان او شمسان شديدتا القرب تتحركان في سطحٍ مسامتٍ لسطح فلك الارض بحيث تتداخل اشعتهما ويقع طيفاهما متراكبين على الصفيحة الحساسة فيكون عنهما ما ذكر من الازدواج

ثم ان حصول الازدواج تارةً من الجانب الواحد وطورًا من الجانب الآخر دلّ على ان احد هذين النجمين يدور حول الاخر فيكون تارةً متجهًا الينا وتارةً متجهًا عنا وذلك انهُ عند حركتهِ الينا يكون طيفهُ بنفسجيًا فتتضاعف بهِ خطوط البنفسجي في طيف الآخر وعند حركتهِ عنا يكون طيفهُ احمر فتتضاعف بهِ خطوط الاحمر . وربما حصل هذا الازدواج من الجانبين معًا فيدلّ على أن هنالك شمسين تدوران كل واحدةٍ منهما حول صاحبتها في وِجهتين متعاكستين فتكون احداهما متجهةً الينا والاخرى متجهةً عنا في آنٍ واحد فتتضاعف بحركة احداهما خطوط البنفسجي وبحركة الاخرى خطوط الاحمر على قياس ما تقدم . والسبب في ذلك أن الضوء انما ينتقل بهيئة امواج فاذا كان النجم آخذًا في التباعد تطاولت امواج الضوء الصادر عنهُ وكان عددها في الثانية اقلّ فظهر الطيف مزدوجًا من جانب الاحمر واذا كان يقترب قصرت الامواج وتكاثر عددها فيزدوج البنفسجي . ومن هنا عُلمت حركة طائفة من النجوم التي نراها ثابتةً في مواقعها لانها تتحرك في خط البصر فظهر انها منطلقة بسرعةٍ شديدة قد تبلغ ٦٠ الى ١٨٠ ميلاً في الثانية

والذي تبين لهم من فحص طيف العناق انهُ مركبٌ من شمسين ناصعتي البياض وهما متوازنتا قوّة الجذب تدور كلٌّ منهما حول الاخرى بحركة بطيئة بحيث تتمان دورتهما في ١٠٤ ايام وسرعتهما تبلغ ٩٩ ميلاً في الثانية والمسافة بينهما نحو ١٤٩ الف الف ميل وهي نحو ما بين الشمس والمرّيخ . وقد تقدم أن

لهذا النجم تابعاً آخر هو الذي كُشِف بالمرقب فيكون من النجوم الثُلاثية الاّ انهُ الى الآن لم يتبين لذلك التابع حركةٌ حولهُ بخلاف ما دلّ عليهِ الطيف في امر النجم الذي نحن فيهِ فالظاهر ان الازدواج بينهُ وبين الاول ليس الاّ في رأي العين

وقد اكتُشِف بهذه الطريقة عوالم أُخر منها السماك الأعزل وهو على ما ظهر لهم مركبٌ من شمسين تدوران في فلكٍ مُشترَك على حدّ ما ذُكر في شمسي العَناق بسرعة ١٢ ميلاً في الثانية وتتمان دورتهما في ٤ ايام و١٨ دقيقة والمسافة بينهما لا تزيد على ٦٦٠ الف ميل وجملة مادّتهما تعدل ١'٣ من مادّة الشمس

ومنها النسر الواقع وهو مؤلفٌ من شمسين ايضاً متعادلتي الجرم تدوران كل واحدة منهما حول الاخرى في مدة ٢٤ ساعة (٢٤'٦٨) وسرعتهما نحو ٣٧٠ ميلاً في الثانية (كذا) وهي اعظم سرعةٍ تُتصوَّر في حركات الكواكب والمسافة بينهما نحو ٤٫٩٧٠٫٠٠٠ ميل ومادّتهما معاً نحو ٢٢ ضعفاً ونصف ضعف من مادّة الشمس

ومنها احد كواكب مُمسِك الأعنّة وهو النجم الذي على منكب العَيُّوق وهو من القدر الثاني ويسمى منكب ذي العِنان والسيّار المصاحب لهُ يدور حولهُ بسرعة ١٤٩ ميلاً في الثانية ويتمّ دورتهُ في ٤ أيام وقُطر فلكهِ يبلغ نحو ١٦ الف الف ميل وهو نحوٌ من نصف قُطر فلك عطارد

وقد ظهر لهم انجمٌ أُخر من هذا النوع منها النجم المعروف بمنقار الدجاجة والنجم الثاني عشر من العقرب وكلاهما من القدر الثالث وبضعة انجم غير هذه اكثرها من القدر السادس فما دونهُ اضربنا عن استقصآئها تخفيفاً عن المطالع .

وفي كل ما ذكرنا في هذا الفصل كلامٌ طويل اجتزأنا منهُ بهذا القدر بياناً لما انتهى اليهِ مبلغ العلم في هذه الايام وايذاناً بما وصل اليهِ اولئك القوم من الامعان في البحث والمثابرة على استطلاع حقائق الكون وخباياهُ مما اتسعت بهِ حدود المعارف البشرية الى ما تجاوز مرمى الحواسّ وجآء من ورآء المدارك العقلية . وانما بلغوا ذلك بفضل ما أُوتوا من الثبات والصبر على مزاولة المطالب وتنبُّه اولي الامر منهم وارباب الثروة لتأييد دعائم العلم وتعزيز القائمين بامرهِ مما نهض بهم الى اسمى ذُرى الفخر وجعلهم في مقدمة الامم في هذا العصر فلمثل هذا فليعمل العاملون

اهل التقادير واصحاب السعي والتدبير

لحضرة الكاتب الفاضل قسطاكي افندي الحمصي في حلب

(تابع لما قبل)

وهآءنذا اقصّ عليك من أنبآء بعض المتقدمين والمتأخرين ما يكشف الغطآء عن خطآء اهل السعود والنحوس وفساد مزاعمهم فعرّج معي على مصر والصين والهند وبابل ونينوى وآثينا وروما وغيرها من البلاد والممالك نسأل رسومها الدارسة واطلالها البالية ونستنطقها عن احوال فراعنتها وملوكها الذين نصبوا اعلام مجدهم تناطح الجوزآء وخلفوا اهرامهم آيةً لمن يأتي بعدهم من الملوك والامرآء واختطّوا الامصار ووطدوا الاسوار وشقّوا الامواج وصنعوا الابراج وشيّدوا الهياكل الفخيمة وقاموا بالفتوحات العظيمة وتركوا من بدائع صنائعهم عجائب ومن آيات علومهم غرائب وأسّسوا اوّل عمران رواهُ تاريخ البشر وشهدت بصدقهِ الآثار الباقية ولسان حالهم ينشد

ان آثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا الى الآثارِ

أحكان ما اسسوهُ وشيّدوهُ وبنوهُ ومهّدوهُ واحكوهُ وقيّدوهُ حظًّا وسعدًا وتوفيقًا ام سعيًا وجهدًا وتحقيقًا . ورُفعت اهرام مصر بتوفيق خينوس و بخت خورا وسعد منقيرا فراعنتها ام باقدامهم وسعيهم واستبدادهم وبغيهم . أُبنيت ممفيس المدينة العظيمة مهد العلوم والمعارف والصنائع الاوليّة بتوفيق مينس ام بسعيهِ واجتهادهِ . وهل قام سور الصين المنيع وفُتحت طرقاتها وخُرقت جبالها بتوفيق تسين شي هو أنك في ملكها العظيم ام بحزمهِ وسعيهِ ووفرة اعتنائهِ وأُحرقت كتبها القديمة بأحكام النحس ام بأوامر هذا السلطان المستبدّ . وتأسست بابل العظمى وسورها الرفيع بتوفيق نمرود ورُفعت جنّاتها المعلّقة بسعد سميراميس ام بهمها الشمّ وسعيها الوافر . وشيّدت نينوى البديعة بتوفيق آثور وقامت ابراجها الالف والخمسمائة بسعد نينوس ام باستعبادهِ الالوف من الاسرى وتسخيرهم ببنيانها وهندمتها وتأنيقها . وعُمّر البارتينون — هيكل مينرفا — بآتينا على ذلك النمط البديع والاسلوب العجيب بتوفيق بيريكليس وسعد ايكتينوس وكاليكات وفيدياس ام بسعيهم واجتهادهم ودأبهم . وبنيت الهياكل الفخيمة في رومة ونُصبت التماثيل والدُمى البديعة النقش بتوفيق سيرويليوس وفيلوبوس وقيصر وسيلا وفالون وغيرهم من قياصرتها ورؤسائها ام بسعيهم وحروبهم وغنائمهم

بل انظر الى تاريخ نابوليون بونابرت الاول وما أُوتيهُ من الفتوح في حروبهِ العديدة وارتقائهِ سدّة الملك ومغالبة اهلهِ بعد ان دانت لهم السُلطة قرونًا ولا نسب يؤيّد بهِ مدّعاهُ ولا حجة يحتجّ بها فملك البلاد وسنّ الشرائع ونظم الملك وشيد المباني والمصانع والقصور وعبّأ الجيوش التي عنت لبأسها الارض ونصب اعلام مجدهِ في اكثر الممالك الكبيرة وتوّج الملوك الى آخر ما اتاهُ في

حروبهِ وما جرى له ُ من الوقائع مما يكاد يُحسَب في عداد الخوارق أكان ذلك بقضآء الحظ وحكم البخت ام بأصالة الرأي ورجاحة العقل وثقوب الذهن ومضآء العزم وتوقد الفؤاد وسعة الاطلاع والجدّ والدأب وطول الاشتغال والنَصَب. على أن مَن يجيل نظرهُ في قِصَص هؤلآء الافراد واخبارهم يقف من امرهم في موقف الحيرة حتى يكاد لا يصدّق ما يقرأهُ من اعمالهم ولعلهُ يحسب ان امرأً تُقضى حياتهُ بين امتشاق السيوف وتعبئة الزحوف واقتحام الصفوف وتدريب الجنود وترتيب المكاتب وتشييد المدارس وتوزيع الضرائب وسن طرق التعليم وجمع اموال المملكة بترتيب وحفظ خزينتها عامرة وخلع الملوك من عروشهم ونصب الامرآء واحباط مساعي المفسدين واخاد الثورات واشتراع الشرائع ونشر العدل والامان وتمهيد سبل العمران ورفع شأن العلوم والفنون والصنائع والقائمين بها ومكافأة اهل الاستحقاق وما يتخلل ذلك من عشق وزواج وساعات لهو وقرآءة الى غير ذلك من تدبير حقير الاشيآء وجليلها لهو من رابع المستحيلات او يعدّ ذلك من باب المعجزات. وليس الامر في شيء من ذلك ولكن هي النفوس الكبيرة تجري في ميادين الاقدام والهممُ العالية تسابق في حلبة السعي لنيل المرام وانى للتوفيق وقد حالف بزعمهم غبيًّا كليلاً ان يأتي ببعض ما ذُكر عن الفرد من هؤلآء الناس ومن اين للجاهل ان يقوم بحمل جزء من هذه الاعمال واقلّها يقضي بالسعي المتواصل واجهاد الفكرة واذكاء الخاطر وحبس الهمة على المطالب وادمان السهر في اعمال الرويّة مع استحكام عرى الحزم وسبق الخبرة الطويلة والوقوف على حصة كبيرة من المعارف البشرية وهذه لا تكون الاّ في ارباب النفوس الزكيّة وذوي العناصر الطيّبة. وانّ امرأً تُقضى ايامهُ بين الكأس والطاس وتمرّ ساعاتهُ بين اغتنام الشهوات ومنادمة

الجلاس لبعيدٌ عن المعالي ولو ارتقى ارفع تخت محرومٌ من امانيهِ ولو عاقد كل موهوم من حظٍّ وبخت وان حصل لهُ ذلك فانما يكون استملاؤهُ اتفاقاً لا توفيقاً كان يكون من طريق الارث او غيرهِ من المصادفات النادرة الحدوث. وقد شبَّهوا السعد بعفريت احسر عدّ ساعدهُ الطويل فيتناول الرجل ويرفعهُ الى اعلى قامتهِ الشامخة لينظرهُ ويتفرّس فيهِ فان رآهُ اهلاً للمنزلة التي اعدّها لهُ احلهُ بها والاَّ رمى بهِ من اعلى قامتهِ المائلة الى الحضيض فيسقط مهشَّماً محطماً

ولا يخفى ما في هذا التشبيه من الحكمة الرائعة فما العفريت الاَّ الاتفاق يعرض للرجل الهمام الحازم فيغتنمهُ ويجد في السعي والعمل وراء المطالب فيفوز باسنى الرغائب وبعكسهِ الرجل الجاهل المتقاعد يحسب الاتفاق غادةً قد عشقت معانيهُ وتيمها حبهُ وملك فؤادها جمالهُ وباتت اسيرة محاسنهِ وهو لا يقابل حبها الاَّ بالجفاء والدلال والاعراض والملال حتى اذا ما اضاع الفرصة وتنبه من غفلتهِ وصحا من سكرتهِ طلبها فرأى انها قد نأت عنهُ ونفرت منهُ واذاقتهُ من صدها الحامض والمرّ وهجرتهُ واي هجر وعلم انها خريدةٌ مهرها الدرر الغوال وعِلقٌ بغير بذل المهج لا يُنال وبهذا القدر كفاية لمن كان لهُ قلبٌ او القى السمع وهو شهيد

وما أرى اصحاب السعي والعمل الاَّ مصيبين في رأيهم وفيما تقدم من براهينهم الساطعة وحججهم الدامغة عبرةٌ لأولي الالباب ولو شئت ان اسرد عليك لتعزيز هذا الرأي الرجيح قصص الاغنياء والعظماء واهل الحرف الذين جمعوا الاموال الطائلة وبلغوا اعلى مراتب المجد وغلبوا النحس المزعوم والحرمان الموهوم بمضاء عزائمهم ووفرة سعيهم وكدهم لاتيت من ذلك بما تضيق بهِ صفحات الاسفار . وانتَ اذا تأملت بعين الناقد الخبير وجدت ان البلاد لم تشق

الاَّ بشقاوة سكانها وجهلهم وكسلهم ولم تسعد الاَّ بسعيهم واقدامهم فما السعد روح من الارواح ولا الخص شبح من الاشباح ولا الحجارة او الخشب من الاجسام القابلة لهذا الحلول او التي تفعل بأوهام ضعاف العزائم والعقول فانك لو ألقيت قطعة من الحجر الصلد في قصر اسعد الملوك وتركتها الف عام بل الف دهر وقرأت عليها وعزّمت وشعوذت واستنجدت الحظ واستحلفت الجد واستدعيت التوفيق والسعد لما غيّرتَ من حالها شيئاً ولما خرجت عن عداد الحجارة والصخور المهملة المالئة قسماً كبيرًا من هذه الكرة ولكن لو طرحتها بين يدي حكّاكٍ او نحّاتٍ او رسّام او نقّاش او نقّار من مهرة هذه الصنائع لصاغها اناء يحار في حسن صنعتهِ ذو الذوق السليم او تمثالاً يخرجهُ على ابدع مثال واجمل تقويم مما قد تعبّد لمثلهِ السلف وتغالى بقيمتهِ الخلف وتزينت بهِ قصور الملوك والامرآء وتنافس فيهِ اهل الصنائع والعلمآء

ولم نُطِل بضرب هذه الامثال الاَّ لنصيب من نفس القارئ المعتقد بهذه الاوهام حظًّا يدفع منها الاغترار بهذه الترّهات ويبعدها عن مطارح التمسّك بهذه الخرافات ولترسخ في نفسهِ ملكة السعي والعمل وتنهض بهِ من وهدة الخمول الذي تولاَّه متّكلاً على همّتهِ واقدامهِ ومثابرتهِ في سبيل المطالب والمآرب وادراك سنيّ الرغائب ولله در القائل

على المرء ان يسعى لما فيهِ نفعهُ وليس عليهِ ان يساعدهُ الدهرُ

وقد تعترض علينا فيما نحن فيهِ بوجود كثيرين من اهل الصنائع الماهرين والعلمآء البارعين وذوي الرأي والاقدام غير بالغين مبلغ سواهم او من هم دونهم من نعيم الدنيا وغبطتها وسعة العيش بل ربما يُرى بعضهم في ضنك وضيق والجواب عن ذلك هين فلا تعجلنَّ علينا بالملام ولا تحسبنَّ انك قد غلبتنا بحجتك

هذه بل تبحر في كنه الحقيقة وتبصر في استطلاع الامور وابحث عن العلل واسبابها وقس الاشيآء بنظائرها واشباهها فتبدو لك امور لم تكن في حسبانك وتجلي لك اشيآء غابت عنك لانك لم تستبطن احوال مَن بحثت عنهُ كلها ولا دققت في الاستقصآء ولاتعمقت في الفحص والاستقرآء بل اخذت الاشيآء بظواهرها وانما الحقيقة بنت البحث وكم من ظاهرٍ يخالف الباطن وعيبٍ يسترهُ برقع صفيق فانك هدانا الله واياك اذا تفحصت عن السر في نجاح الطبيب المشعوذ المخرق والاديب المتحذلق المتشدق والتاجر الذي حسبتهُ عاجزًا بليدًا والمزارع الذي عددتهُ موفقًا سعيدًا وجدتهُ قائمًا بامرٍ واحد هو سعيهم ورآء عملهم وثباتهم على حِرَفهم واتكالهم على كدهم وجهدهم وما احسن قول الشاعر

وانما رجل الدنيا وواحدها مَن لا يعوّل في الدنيا على رجلِ

وأضف الى ذلك ظروف الزمان والمكان التي صادفتهم لأوّل امرهم وكانت علة سعادتهم لاسباب عديدة . منها ان نجاح الانسان في اوّل عمل يعملهُ هو أسٌ متين لكل ما يزاولهُ في مدة حياتهِ فهو يمكّن من نفسهِ الاعتقاد بكفآءتهِ فيما ينهض لهُ من الاعمال واقتدارهِ على صعاب المهمات وفوزهِ بابعد الغايات قياسًا على ما صادفهُ من النجح في المرّة الاولى ويُرسّخ في نفوس اهلهِ وذويهِ وابنآء بلدتهِ ذلك الاعتقاد وهذا مما يزيد في تجربتهِ وتشجيعهِ حتى انهُ لو اخطأ بعد هذا مرارًا واصاب مرّة لتمحلوا لهُ عند الفشل الاعذار ونسبوا ذلك الى الاقدار وناهيك ما لمعتقد الجمهور من التأثير العظيم في ايّ امرٍ كان وقد يكون على ضلالٍ ولكن نزع ذلك من نفوس معتقديهِ من اصعب التكاليف . وقد يهون اقناع العاقل وردّهُ عن رأيٍ باطل مهما كان عنيدًا ولكن دون اقناع الجهّال وردّهم عن ذلك خرط القتاد في الليلة الظلمآء . وغير خافٍ انهم الفئة

الكبرى والقسم الاعظم من المجتمع الانساني في كل قطر واذا قُدّر اقناعهم فلا يتيسّر ذلك الا على طول الايام والتفنّن في اساليب الارشاد والهداية لتتضح لهم وجوه الغواية حتى يحتاج الناصح الى مجاراتهم في اول الامر على ضلالهم ثم ايهامهم انهُ قد اهتدى الى فساد ذلك الرأي بانوارهم وعرف خطأهُ من صوابهم حتى يتمسّك الجهال بالرأي القويم زاعمين انهُ رأيهم . ولكن قد تمرّ الايام بل الاعوام ولا يفوز الهادي بهذا المرام واذا رُزق هذه السعادة بعد طول معاناة النَصَب وكثرة المشاق فلا يبلغها حتى يكون صاحبنا المزعوم موفّقًا قد بلغ من الغنى ما تمنى او من الشهرة ما اراد ستأتي البقية

التنويم

يُستعمل التنويم الآن علاجًا لكثيرٍ من الامراض ولا سيما العصبية منها وقد لغط الناس كثيرًا في امرهِ فاثبت بعضهم لهُ من الخوارق ما لا يقبلهُ العقل السليم من مثل معرفة الغيب وكشف الاسرار وبيان الحيل وانكر آخرون فعلهُ وذهب قومٌ الى ان ما يحدث عنهُ ليس الاّ شعوذةً يُقصَد بها التضليل والتمويه . وقد تصدَّى للبحث في حقيقتهِ فريقٌ من العلمآء المحققين والاطبآء البارعين فاطالوا النظر في تحقيق مسائلهِ واكثروا من مزاولة التجارب فيهِ على طرق مختلفة تحروا بها اثبات الصحيح ونفي الفاسد من مزاعم منتحلي هذه الصناعة حتى تبيَّن وجه الصواب فسلّم اكثرهم بصحة ما يحدثهُ من الاثر النافع في صناعة الشفآء وهم الآن يعتمدون عليهِ في علاج الامراض العصبية مما لم تنجع فيهِ حيل الاطبآء

ولم يقتصر البحث عن التنويم على بيان منافعهِ الشفآئية ولكنهُ كان

الوسيلة لكشف الغطاء عن كثير من الخوارق التي قُصِد بها خلب العقول زمانًا طويلاً لتقرير سلطة بعض النفوس على بعض فان طريق البحث عن هذه الصناعة من حيث اتهامها بالشعوذة افضت الى افتضاح الطرق التي جرى عليها المشعوذون منذ الازمنة القديمة حتى الآن . ومعلوم ان الانسان اذا شهد امورًا تفوق طور ادراكهِ ولم يهتدِ الى معرفة اسبابها هام عقلهُ في اودية الخيال وتاه في وعثاء الضلالة يحسب ذلك من الخوارق ومن الاسرار الغامضة ومن السحر ومن الكهانة ومن العرافة الى غير ذلك مما جسمتهُ الاوهام وابدعت صورهُ على اشكال مختلفة وهيئات متباينة . على ان طرق البحث عن العلل الفاعلة في ظواهر التنويم وآثارهِ قد تخطت حدود العلم الطبيعي الى معرفة اسرار علم النفس وبينت العلاقة بين هذا العلم وعلم منافع الاعضاء من حيث القوى العقلية وتأثيرها في الجهاز العصبي فعُلم ان كثيرًا من الامراض العضالة التي لم تنجح فيها حيل البرء لا يعسر شفاؤها بالايهام على ما اثبتت التجارب الكثيرة وان كثيرًا من مزاعم الكهانة والعرافة يُعلل عنها تعليلاً علميًا من مثل نماء قوةٍ من قوى الحس وتأثير النفوس الفاضلة في ما دونها وان شئت فقل ان غلبة الجهل تروّج مثل هذه البضاعة وانت ترى ان اقلَّ الناس علمًا اكثرهم تصديقًا لما يتلى عليهم من القصص الغريبة والحكايات المختلفة واقربهم الى الغواية بما يشاهدونهُ من المناظر المدهشة مما لم يألفوه او مما قصد بهِ خلب عقولهم واذا نظرت الى البشر في اول عهد الحضارة والعمران لم تكد تجد فرقًا من هذا القبيل بينهم وبين الامم السافلة في سلم المدنية لهذا العهد فالزنج في اواسط افريقيا تتسلط عليهم الاوهام وتغلب فيهم الوساوس الى حدّ يمد التصديق بان العقل البشري ينحطّ اليهِ وترى الاولاد اكثر قبولاً للتصديق بالخرافات والتسليم بالخزعبلات بل ترى

كثيرين من اذكياء النفوس يخلبهم بعض المشعوذين لانهم لا يهتدون الى معرفة سر شعوذتهم فلا غرابة اذا فضح العلم الآن سرّ الشعوذة واماط عن الحقيقة حجب الاوهام

ولا يخفى ان صناعة التنويم على ما وصلت اليهِ في الزمن الاخير بنيت على اساس البحث عن القوة المغنطيسية الحيوانية من حيث ان بعض الناس يؤثر في غيرهِ تأثيرًا خصوصيًّا اما بواسطة اللمس مباشرةً او بواسطة النظر سوآء كان هذا التأثير بآلة ومعين او بدونهما وذلك ما عرفهُ كهان الشرق قديمًا وجروا عليهِ في مزاولة السحر . قال ابن خلدون « والنفوس الساحرة على مراتب ثلاث اولها المؤثرة بالهمة فقط من غير آلة ولا معين وهذا هو الذي يسمّيه الفلاسفة بالسحر والثاني بمعين من مزاج الافلاك او العناصر او خواص الاعداد ويسمونهُ الطلسمات وهو اضعف من رتبة الاول والثالث تأثير في القوى التخيلية فيتصرف فيها بنوع من التصرف ويلقي فيها انواعًا من الخيالات والمحاكاة وصورٍ مما يقصدهُ من ذلك ثم ينزلها الى الحس من الرآئين بقوة نفسهِ المؤثرة فيهِ فينظر الراؤن كأنها في الخارج وليس هناك شيء من ذلك وسُمي هذا عند الفلاسفة الشعوذة او الشعبذة » وكان كهنة المصريين يزاولون التحديق في الحجارة الكريمة او في آنيةٍ بلورية مدةً طويلة توسلاً الى هبوط الوحي ومعرفة الغيب وكان المجوس يحدقون بنظرهم كثيرًا في شيء اتخذوهُ غرضهم كما يفعل الآن الدراويش من الهنود حتى يقع عليهم السبات وجرى على مثل ذلك رهبان جبل اتوس في القرن الحادي عشر الاّ انهم كانوا يحدقون بنظرهم كلٌّ الى سرتهِ حتى يسطع عليهم نورٌ سماوي على ما زعموا . ولم يزل الاعتقاد بسلطة القوى النفسانية وتأثير بعض الناس في غيرهم شائعًا في كل زمان

ومكان بدليل ان هذا التأثير قد زاولـــه احداثهُ الكهنة والاطبآء منذ الايام العريقة في القدم حتى الآن بطريقة اللمس مباشرة او بدونها. ولم تزل آثار ذلك في البراري بصعيد مصر شواهد دالة عليهِ منهــا البردي المنسوبة الى إيرَس وهي تمثل كاهناً مصريًّا يدهُ على رأس مريض قصد شفآئهِ سنة ١٥٢٥ ق م وعلى هذا النحو كان الملوك والامرآء يستشفون من عللهم الاَّ ان اللمس لم يكن لازماً في جميع الاحوال بدليل ما كانوا يزاولونهُ من طرق السحر المقصود بهــا مثل هذا التأثير عن بعد . اما القول بان في الانسان قوةً يؤثر بها في غيرهِ تأثيرًا مغنطيسيًّا ولا سيما من حيث المرض فقد نشأ في اواخر القرون المتوسطة وهو يُنسب الى فان هلمونت وعليهِ جرى مكسول السكتلندي سنة ١٦٠٠ الذي ذهب الى ان في العالم روحاً حيويًّا تتصل بهِ الاجسام بعضها ببعض وقد توسع في ذلك سنتانِلي الطلياني في بدآءة القرن الثامن عشر وزعم ان لكل مادة جوًّا تتشعع فيهِ المغنطيسية وان للوهم تأثيرًا عظيماً في الانسان

هذا هو الاساس الذي بنى عليهِ مسمر ارآءهُ في ما يختص بالمغنطيسية الحيوانية فنُسب اليهِ هذا المذهب وكان طبيباً وُلد في فينا سنة ١٧٣٤ وتوفي سنة ١٨١٥ وكان يطبب اولاً بالمغنطيس المعدني ثم عدل عنهُ الى استعمال المغنطيسية الحيوانية التي أتى على بيانهــا في نشرةٍ انفذها الى مجامع العلمآء في الامصار الاوربية سنة ١٧٧٥ فلم يحتفل بها احد ولكنها هاجت عليهِ سخط مواطنيهِ لما اتهم بهِ من السحر فاضطر الى الهرب الى باريز سنة ١٧٧٨ ووجد لهُ ثمَّ انصارًا وخصوماً طالـــ بينهم الجدال على تعليمهِ حتى انكرتهُ اللجنة العلمية التي عُينت لفحصهِ سنة ١٧٨٤ الاَّ انهــا نسبت فعل القوة المغنطيسية الى تأثير الوهم ومع ذلك كثر مشايعوهُ وسُمّي التعليم بالمغنطيسية الحيوانية « المذهب

الحيوي * . وقد كشف حينئذٍ احد اتباعهِ حالةً يكون فيها الشخص الواقع عليهِ اثر المغنطيسية نائماً تحت سلطة منوّمهِ فسماها بالنوم الصناعي ثم كشف طبيب آخر من ليون طريقة انتقال الحس كالسماع بالمعدة وتوالت بعد ذلك الاكتشافات لكثرة ما احتمل هذا المبحث من الاعتراض والمقاومة والجدل حتى تمحصت حقائقهُ ولا سيما بعد ان اثبت احد علماء الدين المسمى فاريا سنة ١٨١٥ ان ظواهر التنويم لا تصدر عن علة غير مدركة ولكنها مسببةٌ عن الايهام وتابعهُ في ذلك براد وهو طبيب انكليزي استعمل التنويم علاجاً للامراض العصبية وللتخدير في العمليات الجراحية وانتشرت طريقتهُ في بوردو من فرنسا سنة ١٨٥٩ حتى بلغت الاستاذ بروقا في باريز وجرى عليها ليبولت في مدينة ننسي حيث المدرسة الشهيرة التي يجري فيها التنويم على طريقة خاصة تختلف في وجوهٍ كثيرة عن طريقة الاستاذ شركو التي نحاها منذ سنة ١٨٧٨ على ما يأتي بيانهُ في محلهِ من هذه المجلة

والحاصل ان صناعة التنويم صارت الآن علماً ضبطت اصولهُ وتفرعت عنهُ مسائل كثيرة يبحث فيها بالنظر الى علم النفس ومنافع الاعضاء والطب وذلك بعد ان كانت الوسيلة للتدجيل والتضليل وكان الكهان يستعملونها لاغراض دينية فصار الاطباء يستعملونها في جميع الامصار الاوربية والاميركانية ولا سيما في بعض المستشفيات الكبيرة لشفاء الامراض العصبية وغيرها من العلل المزمنة وفي سنة ١٨٨٩ انعقد في باريز مؤتمر علمي للنظر في اهم مسائلها حضرهُ جمهور غفير من كبار العلماء وفي ذلك دليل واضح على ما لهذا الفن من الاعتبار والاهمية في هذا العصر مما حدانا الى الافاضة فيهِ على قدر ما يحتملهُ المقام وتمسّ اليهِ الحاجة وفوق كل ذي علم عليم

القلب وامراضه

لحضرة الفاضل الدكتور شبلي شميل

(تابع لما في الجزء السابق)

تقدَّم لنا في الجزء الماضي من هذه المجلة كلام مختصر في القلب وتركيبهِ ووظيفتهِ وما يطرأ عليهِ من الامراض والآن نبسط الكلام بقدرما يسمح بهِ المقام على القواعد الكليَّة المتَّبعة في علاج هذه الامراض مع ذكر اهم المفردات الدوآئية والقواعد الهيجينيَّة والتدبير الغذآئي التي تنيلنا هذا الغرض تتمةً للبحث فنقول

ان الناظر الى علل القلب نظرًا كليًّا يرى ان هذه العلل تقسم الى قسمين كبيرين وهما العلل الوظيفيَّة والعلل العضويَّة او الآليَّة فالعلل الوظيفية هي التي يصحبها اضطراب في وظيفة هذا العضو مع عدم وجود آفة في بنآئهِ التشريحي لا في عضلتهِ ولا في فوَّهاتهِ ولا في صماماتهِ فتفقد ضربات القلب انتظامها المعهود ويعرض لهُ الخفقان وقد يُسمَع فيهِ اصوات غير طبيعيَّة كالتي تصاحب العلل العضوية من نحو النفخ والصرير اللذين يصاحبان علل الصمامات والفوهات مع سلامة هذه الصمامات والفوهات من كل آفة واكثر ما نشاهد هذه العوارض في الاحداث والعصبيين وخصوصاً النسآء منهم ولذلك تكثر في الانيميآء اي فقر الدم والخلوروس اي المرض الاخضر والهستيريا . ولامراض المعدة كالتمدّد وعسر الهضم شأن عظيم في احداث مثل هذهِ الاضطرابات العارضة في وظيفة القلب خصوصاً الخفقان ولذلك ينبغي تدقيق النظر لمعرفة السبب الحقيقي في هذه العلل وقد لا يعسر ذلك على الطبيب الخبير . فمداواة هذه العلل تكون اذن

بمداواة اسبابها البعيدة كتقوية الدم بمجهّزات الكينا والحديد مثلاً في احوال فقر الدم وتسكين تهيّج الاعصاب في الهستيريا وسائر العلل العصبية بتقويتها بالتدبير المناسب واستعمال الادوية المعروفة كانواع البروموور والفاريانا وما شاكل وبمداواة علل المعدة على ما هو معروف عندهم مما لا يسعنا الافاضة فيهِ هنا لضيق المقام

والعلل العضوية التي يصحبها تغيّر في نسيج القلب وبنآئه الماديّ تقسم الى حادّة ومزمنة فالحادّة هي التهاب بطانة القلب والتهاب نسيجهِ العضلي ولا نطيل الكلام في هاتين العلتين لان علاجهما كعلاج سائر الالتهابات وبما انهما تعرضان غالبًا في سير امراض اخرى كدآء المفاصل الحادّ وبعض الحميات كالحميات النفاطية وسواها من الحميات المعدية كالحمى التيفوئيدية فعلاجها يكون غالبًا مع علاج هذه الامراض

واما علل القلب العضوية المزمنة فهي بالحقيقة الامراض التي يتجه اليها الذهن عند ذكر امراض هذا العضو اذا لم تعين وهي عبارة عن علل الصمامات والفوّهات والضخامة والتمدّد وتقتصر على هذا القدر منها لانها الأهمّ وفي الكلام على العلاج ننظر اليها جملةً لانها غالبًا لا توجد منفردة. وقبل ان نبسط الكلام على المعالجة الدوآئية لا بد لنا من ذكر التدبير الصحيّ والغذآئيّ الذي ينبغي اتباعهُ في جميع علل القلب فلما كان القلب مركز الدورة الدموية الذي عليهِ المعوّل في دفع الدم وتوزيعهِ في سائر اجزآء الجسم كان العمل الذي يقوم بهِ من الاعمال الحيويّة الشاقّة جدًّا ونظرًا لاتصالهِ بهذهِ الاجزآء بواسطة الدورة اتصالاً شديدًا كان اقل عملٍ ماديّ في هذه الاجزآء يؤثر فيهِ ايضًا . ومن البديهي ان العمل الذي ينالهُ من ذلك كلهِ يزيد المشقة عليهِ

اكثر اذا كان مريضاً فاول شرط اذًا في علاج امراض القلب الراحة الجسدية والفكرية ولذلك يجتنب اصحاب امراض القلب جميع الاعمال الشاقة وكل ما يحرّك الانفعالات النفسانية الشديدة الخطر جدًا . ويجب ان لا يُغفَل عن سائر وظائف الجسم حتى تبقى في نظامها الطبيعي ويُحذَر خصوصاً من إتعاب المعدة بالمآكل التي تلبكها بمقدارها الكثير اجتناباً لما تحدثهُ اذا مدَّدتها المآكل من الضغط على الاحشاء الصدرية واجتناباً لتأثيرها المنعكس على القلب بسبب ما بينهُ وبينها من الاشتراك العصبي . وافضل الغذاء اللبن لسهولة هضمهِ وتأثيرهِ الحسن في تعديلهِ سائر وظائف الجسم خصوصاً وظيفة الكليتين اللتين لهما شأن عظيم في تعديل وظيفة القلب

والذي يستوقف نظر الطبيب المداوي من هذه العلل اكثر من سواهُ علل الصمامات والفوهات لانها هي غالباً الاصل فنقصان في الصمامات يتقهقر معهُ الدم يتبعهُ ضرورةً ضخامة في القلب لان الطبيعة تحاول من نفسها التعويض عن هذا النقص في وظيفة الصمامات بان تزيد قوة عضلة القلب بزيادة اليافها وهذا يوجب نماء في حجمها هو سبب هذه الضخامة كما ان ضيق الفوهات يمنع تجاويف القلب من تفريغ الدم تفريغاً تاماً عند كل انقباض فينتج ذلك ضرورة تمدُّد التجويف الذي لا يتيسر تفريغهُ وكثيرًا ما يكون تضخم القلب وتمدُّدهُ في آنٍ واحدٍ لان غايتهما واحدة وهي مقاومة العاقة الناشئة عن علل الصمامات والفوهات وهذه العاقة سواء كانت عن نقصان الصمامات او ضيق الفوهات تطلب ضرورةً زيادة سعة في تجاويف القلب لقبول مقدار الدم المتقهقر او الذي حال دون مرورهِ ضيق الفوهة وزيادة قوة كذلك في عضلتهِ لمقاومة هذا الخلل فكأن هذين المرضين اي الضخامة والتمدُّد ليسا بالحقيقة علتين باثولوجيتين وانما

هما عملان فزيولوجيَّان تحاول بهما الطبيعة مداواة علة اخرى ومعرفة ذلك في علم العلاج ضرورية جدًّا لما تقدم . واهم علل الصمامات والفوهات هي ما كان منها في البطين الايسر بينهُ وبين الاذينة اليسرى وبينهُ وبين الشريان الاورطي لكثرتها وندرة سواها كما تقدم في وصف امراض القلب في الجزء الماضي ولذلك اذا ذكرنا نقصان الصمامات أو ضيق الفوهات من دون تعيين فانما نقصد بذلك الصمامات التاجيَّة والفوهة التي بين الاذينة اليسرى والبطين الايسر والصمامات الهلاليَّة والفوهة التي بين هذا البطين والاورطي

واذا تقرَّر ذلك وعلمنا أيضاً ان العلل الناشئة عن نقصان الصمامات وضيق الفوهات هي غالباً من العلل التي لا يرجى فيها شفآء الدآء شفآء قطعيًّا لبعد وسائطنا عن ذلك لزمنا ضرورةً ان ننظر الى الوسائل التي نتمكن بها من تخفيف هذه الاعراض لتأخير عوارضها الرديئة ما أمكن فننظر اليها اولاً في القلب نفسهِ لتقوية هذا العضو حتى يقوى على القيام بوظيفتهِ على ما تسمح بهِ الطاقة ثم في اعضآء الجسم البعيدة لمقاومة العوارض التي تنشأ فيها عن هذا الخلل كالاحتقانات التي قد تعرض من جرآء ذلك للرئتين والكبد والكليتين والارتشاحات خصوصاً في الاطراف السفلى والاستسقآء . وليس من الضروري ان تكون كل العوارض عن ذلك احتقانية بل قد تكون معها عوارض انيميآء أيضاً أي ضعف الدم وقلتهِ وكثيرًا ما يكون الاحتقان والانيميآء موجودين معاً لعدم توزُّع الدم بالسوآء في سائر الاعضآء ويغلب ان يعرض الاحتقان للاعضآء السفلى والانيميآء للاعضآء العليا اي للرأس والدماغ وذلك لتخفيف اثر هذه العوارض الثانويّة في العلة الاصليّة نفسها بالارتداد

والعقاقير المستعملة في امراض القلب كثيرة وتقسم الى مقوّيات تعمل

على عضلة القلب نفسها كالديجيتال والقهوين والى معدّلات لوظيفتهِ كالبرومور واليودور وهي اهمّ العقاقير المعروفة. ولكن لما كانت القاعدة الكبرى في الطب مداواة المريض لا مداواة المرض بناءً على ان المرض الواحد تختلف اعراضهُ باختلاف المرضى كانت معالجة امراض القلب كمعالجة سائر الامراض لا تخرج عن هذا المبدإ ولذلك كان الطبيب لا يستغني فيها عن سائر الوسائل المستعملة في الطب عموماً بحسب الاعراض المختلفة المصاحبة لها من الفصد العامّ الذي يقصد بهِ استفراغ مقدارٍ من الدم لمقاومة الاحتقانات الشديدة والتخفيف عن القلب اذا كثر تلبكهُ لاجتماع كمية منهُ فيهِ اكثر مما تطيق تجاويفهُ لكثرة تهقر الدم اليهِ الى المرفين لتسكين ما قد يخالط ذلك من التنبه العصبي الذي يزيد اضطرابهُ وذلك بحسب المدلولات المستفادة من حالة الجسم عموماً وحالة كل عضوٍ من اعضائهِ ولذلك كانت المقوّيات العمومية كالحديد وخصوصاً المسهلات والمدرّات للبول من العقاقير المعوَّل عليها كثيرًا في هذه الامراض. فالديجيتال والقهوين يفيدان جدًّا في نقصان الصمامات لتقوية عضلة القلب حتى تقوى على مقاومة التقهقر وعلى مقاومة الخفقان الناشئ عن ضعفهِ واضطرابهِ ومما يجعل فائدتهما عظيمة جدًّا الخاصيّة التي لهما في ادرار البول ولا يخفى ان وظيفة الكليتين كلما بقيت محفوظة سالمة قلَّ خطر الاختلاط الناشئ عن عدم انتظام الدورة كالاحتقانات وخصوصاً السم البولي لانحباس المواد الرديئة التي تُطرَد مع البول اذا قلّ افراز البول او انحبس بسبب احتقان الكليتين او علة اخرى فيهما اهمّ كما ان المساهل تنفع كذلك لتخفيف الاحتقانات الكبدية التي تصاحب علل القلب وتعرض للاستسقاء. والبرومور واليودور يستعملان كثيرًا لتعديل ضربات القلب خصوصاً يودور البوتاسيوم فانهُ يفيد جدًّا في جميع العلل القلبية

الناشئة عما يعرف عندهم بصلابة الشرايين وفي علل الصمامات والفوهات خصوصاً في اولها لمساعدته على امتصاص المرتشحات الليفية التي هي غالباً سبب نقصان الصمامات وضيق الفوهات . هذه هي اهمّ القواعد التي يجب اتباعها في معالجة العلل القلبية الكثيرة الاختلاطات والعسرة الشفآء بحسب درجة العطل الذي يصحبها في بنآء القلب التشريحي . انتهى

علاج السمن

السمن اذا تجاوز حد الاعتدال فهو علةٌ تجرّ ورآءها عللاً ذات خطر وقد استفرغ الاطبآء جهدهم في البحث عن علاج ينجع في مداواتها وجلّ ما عوّلوا على استعماله منع السمان عن الطعام الكثير الإدام وعن الحلويات وسائر المآكل المشتملة على كية كبيرة من النشآء كالبطاطا والارز واشاروا بالرياضة وغيرها من الوسائط المضعفة . وقد رأينا بعض السمان يكثرون من شرب الخل على توهم انهُ يذيب الشحم وربما افرطوا في استعمال الوسائط المضرّة بالصحة فكان ما استشفوا بهِ اشد ضررًا عليهم من الدآء نفسهِ

وقد عثرنا في احدى المجلات الطبية على علاج وصفهُ الطبيب وترنتز في جمعية مدرسة الطب في فينا فرأيناهُ حريًّا بالنشر لافادة قرآء مجلتنا لانهُ يمنع زيادة السمن بواسطة الرياضة العضلية على كيفية يؤمن بها على الجسم من الضرر . ومعلوم ان الرياضة العنيفة تؤدي الى زوال الالومين (المادة الآحية) من الانسجة مع ارتفاع الحرارة فتحدث عوارض ثقيلة كالاعيآء العضلي والبول الآحي او الازوتي وغيرها . على ان الطبيب المشار اليهِ قد تسنى لهُ مجانبة هذه الاضرار بالطريقة التي زاول العلاج بموجبها منذ احدى عشرة سنة وهي تخفض

حرارة المصاب بالسمن الى درجة سافلة بمزاولة العلاج بالمآء البارد قبل مباشرة الرياضة العضلية حيث يكون رجوع الحرارة مؤثرًا في النسيج الدهني دون العضلي وبذلك ينقص وزن الجسم كثيرًا ولا يحدث ضرر على صحة العليل

وهناك طريقة اخرى يقاوَم بها السمن وهي تقوم باستعمال الطرق المعرّقة اما بان يلفّ العليل بملآءاتٍ دافئة او بان يعرّض لحرارة الحمام حتى يتصبب عرقهُ مدة ٥ الى ١٠ دقائق ثم يستعمل حمامًا معتدل البرد مدة ٣ الى ٦ دقائق وبعد ذلك يزاول الرياضة . واذا كان العليل مصابًا بعلة قلبية تمنعهُ من المشي فلا بأس من ان يستلقي في فراشهِ حيث يُحرّك بيد ممرّضهِ . وهذه الطرق تكرر في الاربع والعشرين ساعة مرتين او ثلاث مرات

وقد اثبت الطبيب المذكور ان الذين عالجهم بالطرق المذكورة استفادوا كثيرًا فكان الواحد منهم ينقص وزنهُ بعد مضي بضعة اسابيع من بدآءة العلاج ٢٠ الى ٢٥ كيلوغرامًا وذلك بدون ان يمنعهم عن اتخاذ المآكل المألوفة ويضطرهم الى الحمية . وقال انهُ لم يستعمل يودور البوتاسيوم الاّ في احوال السمن المصحوبة بتصلب الشرايين اما اذا كان السمن مصحوبًا بعلل قلبية فالاولى ان يعتمد في علاجهِ على الوسائط الطبيعية لا على العقاقير الطبية

كلمة ادبية

وردتنا تحت هذا العنوان الرسالة الآتية فأثبتناها بحروفها

اطلعت على رواية الثورة العرابيّة لمؤلفها الفاضل عبد الفتاح افندي رفعت معاون بوليس مركز هيهيا وهي رواية تشخيصية غرامية فاحببت ان اعلّق عليها بعض انتقادات سنحت لي خلال مطالعتها

ولا خفآء ان الانتقاد نوعٌ من الكتابة وان كنا معشر الشرقيين متغاضين عنهُ وغير معيريهِ جانب الالتفات فان لهُ عند الغربيين شأناً عظيماً واهمية في عالم الكتابة والتأليف ولولاهُ لما بلغ اولئك القوم هذا المبلغ من دقة الصنعة في التصنيف وبُعد النظر فيما يسطرون ويحررون لان الكاتب منهم يكتب وهو خائفٌ وجلٌ من هفوةٍ تبدر منهُ او عثرةٍ يقع فيها فيسلقهُ المنتقدون بألسنةٍ حدادٍ فيبذل قصارى جهدهِ في اجتناب الهفوات وتنكب العثرات

اما نحن فلأنَّا تعوَّدنا ان نرى عند ظهور ايّ كتابٍ تقريظاً واستحساناً لهُ ولو كان مشحوناً بالاوهام سرى فينا روح الاستخفاف بالتأليف ولم نجد من انفسنا باعثاً على تحرّي الدقة والاصابة فيهِ فكان ذلك من المورّطات لنا في ارتكابِ الغلط والاقدام على التأليف ولو كنا من غير اهلهِ

فتحدّياً بالغربيين وايذاناً باستحسان ما جريتم عليهِ في هذا النوع من الكتابة الذي كاد يكون معدوماً عندنا عنّ لي ان اعلّق شيئاً من الانتقاد على الرواية المشار اليها غير قاصدٍ من ذلك الّا مجرَّد الفائدة الادبية فاقول

قال المؤلف في اهدآء الرواية ما نصهُ « هذه رواية جمعتها من بنات افكاري واقتطفتها من محاسن اثماري » . ثم قال بعد ذلك بقليل « اعتمدت على جمعها من اصدق التواريخ العربية والروايات الصحيحة الوطنية » . ولا يخفى ما في القولين من التناقض بحيث اصبح لا يُعلَم هل الرواية من فكرهِ ام من التواريخ والروايات . والذي اظنهُ اراد الامرين جميعاً وعليهِ فلو قال جمعتها من التواريخ والروايات واضفت اليها ما سنح من بنات افكاري لكان بمعزلٍ عن الاعتراض

ثم قال في الخطبة بعد البسملة « الحمد لله الذي خيَّر الانسان بالنطق في اللسان » . ولا معنى لقولهِ « خيَّر » هنا الّا ان يكون الاصل « ميز الانسان »

فوقع فيهِ تحريفٌ من جامع الحروف . على انهُ يُقصَد بالنطق في مثل هذا النطق العقلي لا اللساني فقولهُ « في اللسان » فيه ما فيه

وقال في صفحة ٦ « وما يستعملونهُ في السعي لانحطاط قدرنا » وفي هذه العبارة اضطرابٌ لا يخفى والوجه من السعي في حط قدرنا

وفي صفحة ٧ « بل كانوا يباعون بالمال لاصغر العائلات وفقرآء الرجال» فقولهُ « عائلات » ليس من اللفظ العربي الصحيح انما يقال عيال الرجل لاهل بيتهِ الذين يمونهم

وفي صفحة ٩ « اسمعوني ما كتبتم وفي عريضتكم ما طلبتم » ولا يخفى ان قولهُ « في عريضتكم » يتعلق بقولهِ « طلبتم » الذي هو صلة الموصول وما بعد الموصول لا يعمل فيما قبلهُ ولكن الذي الجأَهُ الى هذا التزامهُ السجع الذي أُولع بهِ اكثر المؤلفين في هذه الايام

وفي صفحة ١٠ « كونوا في امان وطمان » وهذه الاخيرة من الفاظ العامة والصواب « واطمئنان »

وفي صفحة ٢١ « وتكدر كدرًا للغاية » والصواب كدرًا بلغ الغاية على ان استعمال الكدر بهذا المعنى اقرب الى ان يكون عاميًّا

وفي صفحة ٢٢ « فاخلعوا عنكم اتمار الذل » والصواب « اطمار » وهي الثياب الرثة وكنا نظن ان كتابتها بالتآء غلطٌ مطبعيٌّ لو لم نرَها تكررت بعد ذلك في الصفحة التالية

وفي صفحة ٢٦ « واصرف هذه الجنود الى محلاتهم لتشتغل في مهماتهم» والصواب « الى محلّاتها وفي مهماتها » او « اصرف هؤلآء الجنود الى محلاتهم ليشتغلوا في مهماتهم »

وفي صفحة ٢٨ « قال احد رؤساَء الثورة انا ممن يريدون الحرب والسلب والنهب » . ولا يخفى ان الثورة العرابية كانت على زعمهم بقصد اصلاح الوطن وتحسين حال الامة لا بقصد السلب والنهب فكيف يقول ذلك احد رؤسائها . ولكن الظاهر ان الذي ساقهُ اليها التزامهُ للسجع على ما تقدم قُبيل هذا فلم يبالِ بأمر المعنى

وفي صفحة ٢٩ « فرّض خادمها بالجنيه الوهاج » ولا خفاَء ان لفظة « جنيه » اعجمية ولا داعي لالتزامها في هذا الموضع فلو قال بالذهب الوهاج او بالاصفر الوهاج لحظي بالاحسن

وفيها « عديم من شرف الانسان » وهذا تركيب مختلٌّ معتلٌّ لانهُ لا يقال عديم من هذا المعنى ولا عَدِم فلان من الشيء

وفي صفحة ٣٣ « على مقالي الجمر » وهي عبارة سوقية مبتذلة

وفي صفحة ٣٤ « علامات الزعل » يريد بالزعل الغيظ كما تقولهُ العامة وهو في اللغة بمعنى النشاط

وفي صفحة ٤٠ « أحرمتِهِ » والصواب حرمتِهِ بحذف الالف من اولهِ والياَء من آخرهِ

وفي صفحة ٤٨ « وليكن كلاًّ منكم على وطنهِ مدافع » والصواب رفع كل ونصب مدافع وابدال على بعن

وفيها « ينوي على الفرار » والصواب « ينوي الفرار » لان الفعل متعدٍّ بنفسهِ

وفي صفحة ٦٧ « عسى ان ننول » والصواب ان ننال

وفي صفحة ٦٨ « يعفو على من اساَء » والصواب عمن اساَء

وقد بقيت اغلاط أُخر اغفلت التنبيه عليها حب الاختصار ولا سيما ما كان الخلل فيهِ من جهة اللحن في الاعراب كرفع المنصوب وخفض المرفوع واشباه ذلك مما لا يتوقف عن معرفة الصواب فيهِ من لهُ اقل المام بعلم النحو فلم اتكلف استقصاءهُ والتنبيه عليهِ . وارجو من حضرة المؤلف ان يحمل انتقادي على المحمل الحسن فاني لم اقصد منهُ الاَّ ما تقدم ذكرهُ من خدمة الادب . والله اسأل ان يوفقنا جميعاً الى اخلاص النية وسلوك خطة الصواب

احمد الصراف

ملاحظ بوليس مركز

المنصورة

متفرقات

علة تزايد الكَلَف الشمسية في ادوارٍ معلومة — المراد بالكَلَف الشمسية ما يغشى وجه الشمس من البُقَع السوداء وهذه الكَلَف تظهر عليها فتبلغ معظمها كثرةً وامتدادَ رقعةٍ كل احدى عشرة سنةً . وقد اختلفوا في علة ذلك ولعل الاقرب كما بحث الاستاذ لِنّ انها مسبَّبةٌ عن حلقةٍ من الرُجُم اي الحجارة السماوية تدور حول الشمس في فلكٍ اهليلجيّ على حدّ سائر الاجرام الدائرة حول مراكزها فتتمّ دورتها في ١١،١ سنة . وقد حسب بمقتضى هذه المدة ان بُعد الحلقة المذكورة ينبغي ان يكون ٤،٩٨ (اي من مثل مسافة الارض عن الشمس) فتكون اقرب من المشتري قليلاً وتكون نقطة الذنب منها وراء زُحَل . ثم ان هذه الحلقة على كثافةٍ متساوية او قريبةٍ من التساوي الاَّ في موضعٍ منها هي فيهِ اشدّ كثافةً وتراكباً فمتى بلغ هذا الموضع منها نقطة الرأس ازداد

بهِ مقدار الرُجُم المتساقطة على الشمس فازدادت بذلك السُفَع المذكورة حتى تبلغ معظمها

قواطع الطير — المراد بقواطع الطير التي تهاجر من بلاد الى بلاد في مختلفات الفصول وقد اتفق لبعضهم انهُ بينا كان في احد الايام يرصد الشمس اذ ظهرت لهُ عصائب منها تقطع في وجه السماء على بعدٍ لا تُرى منهُ الاَّ بالآلات المعظّمة وقد رآها مختلفة الحجم كثيرًا الاَّ انهُ تبين ان ذلك انما كان بسبب تفاوت بعدها لانهُ رأى اصغرها حجمًا اقلها سرعةً وقد استمرّ ذلك امامهُ مدة ساعات كثيرة على مسافات مديدة من السماء وكانت تمرّ بالالوف

وروى غيرهُ انهُ عاين مثل ذلك ليلاً وهو يرصد القمر فرأى عصائب من الطير عابرة اشبه بجوّ اغبر يمرّ على صفحة القمر وقد تكرّر ذلك على بصرهِ ليالي كثيرة فرآها تقلّ وتكثر عددًا تبعًا للازمنة والاحوال الجوية الاَّ انهُ لم تكد تمرّ دقيقةٌ الاَّ يرى فيها شيئًا منها . وكان ارتفاعها عن الارض فيما قدّر نحوًا من ستين كيلومترًا وسرعتها بين ١٥٠ و٢٠٠ كيلومتر في الساعة

التأريخ في الشجر — من المشهور ان طبقات الشجر تدلّ على عدد السنين التي عاشتها لان الشجرة تكتسب كل سنةٍ طبقةً على تفصيل ليس هذا موضعهُ فاذا اردت ان تعرف عمر شجرةٍ امكنك ان تعرفهُ من عدد الطبقات التي في ادنى الساق . وفضلاً عن ذلك فانهُ يؤْخذ من هذه الطبقات دليلٌ على ما كانت عليهِ حالة الجوّ عند نشوءِ كل واحدةٍ منها فان السنين الماطرة الغزيرة الرطوبة تكون الطبقات فيها ثخينةً متكتزة وبخلافها سنو الجدب فانها تكون فيها رقيقةً ضامرة وقد لا تتميز الاَّ بالجهد

البيان

السنة الاولى —— الجزء السابع عشر

١ اغسطس سنة ١٨٩٨

الى حضرات المشتركين الكرام

انقطع البيان هذه المدة عن قرّآئهِ والنيّة مطويّة على مواصلة اصدارهِ والعزم معقودٌ على متابعة الدأب في تمثيلهِ واظهارهِ ولكن المرء قد يخالف جية القصد وهو يراها ويصرف عنانهُ عن الأمنيّة وهو يتوخاها وما نودّ ان نزيد في الاعتذار على هذا القدر ان صحّ ان يُسمى مثل ذلك عذراً ولعلّ طيّ بعض المعاذير اجمل واحرى

وهنا نرفع خالص شكرنا الى حضرات مشتركينا الادبآء ممن تواترت الينا كتبهم في استبطآء صدور البيان والالحاح في تقاضيهِ والاعراب عما اخذهم من الاسف لاحتجابهِ عن مريديهِ حتى لقد شفع ذلك عندنا في جناية الايام عليهِ اذ حقق لنا كمال رضاهم عنهُ وارتياحهم اليهِ ودلّنا على ان ما عانيناهُ في خدمتهم كان مقدوراً عندهم قدرهُ بل فوق قدرهِ مما اوجب علينا مضاعفة الجهد في مرضاتهم قياماً بحق شكرهِ

ولما كان قد بقي لتمام سنة البيان جزآن حالت العوائق فيهما دون القصد ففي علينا واجب الذمة بالخروج من عهدتهما وان طال بهما العهد ونحن مصدروهما هذه المرّة مشفوعين بالاعتذار الى كرمهم الوضّاء آملين ان يبسطوا لها راحة القبول ويتلقوا تأخرها بالتسامح والاغضاء والله المسؤول في تيسيرنا الى متابعة الخدمة فيما بهِ نفع الأمة والبلاد عليهِ توكلنا وهو سبحانهُ الموفق الى سبيل السداد

كيف مُسِحت الارض

نلخّص هذا الفصل اجابةً لاقتراحٍ وردنا من احد مشتركينا الالبآء في معنى السؤال المتقدم وهو ولا ريب من المسائل التي تشكل في بادي الرأي على العاقل حتى لقد تبدو لهُ في ثوبٍ من المستحيل بالقياس الى ما هو معلوم من عظم جرم الارض وترامي مسافاتها وشدّة تضارس سطحها بما يتخللهُ من الجبال الشامخة والاودية الغائرة فضلاً عما فيهِ من الاصقاع المجهولة والاقاليم الهامدة التي لم تطأها قدم ولا يفضي اليها سالك. ولكن من وقف على ذرائع العلمآء في هذا الشأن واستقرى الطرق التي سلكوها لبلوغ هذا المقصد لم يرَ في الامر محالاً وايقن ان الارض قد اصبحت اليوم معلومة المسافات محدودة الشكل بما لا يعترضهُ ريب وان مساحة بلدٍ او بستانٍ ليست اصح تقديراً ولا ادق تحريراً من مساحة هذا الجرم العظيم برّهِ وبحرهِ بل ما يجمع جوانبهُ من الخطوط المارّة في باطنهِ مما لا تبلغ اليهِ حاسةٌ ولا ينالهُ مقياس ونحن نبسط القول في ذلك على قدر ما يسعهُ هذا المقام فنقول

قد توالت على الانسان الوفٌ من السنين لا يرى الارض الا بسيطاً مستوياً تتخللهُ الصحارى والهضاب وتحيط بهِ الجبال والبحار وقد ارتفعت فوقهُ قبة السمآء فاتصلت اطرافها باطرافهِ اتصال الخيمة بما دونها. ولا بدع في ذلك فانهُ المنظر الذي يتمثل منها للعين وتخيّلهُ البداهة ولا يمكن نقضهُ الا بمغالطة الحسّ والرجوع الى ما يمثلهُ نظر العقل ويرشد اليهِ دليل الحدس وليس في طوق كل احدٍ ان يعتقد كذب حواسهِ وهي آلة كسبهِ والمستشار

الذي يرجع اليهِ في تحقيق المدركات حوله ُ ولا عند كل احدٍ من قوّة الفكر وصحة الحدس ما يبصره ُ بالحقائق ويقوده ُ الى تمييز المحسوساتِ من طريق المعقول. ولذلك كان هذا الاعتقاد في هيئة الارض عاماً الى يومنا هذا عند الامم الفطرية بأسرها وفي عقول الطبقات السافلة من كل أُمةٍ بالغةً ما بلغت من الارتقاء في سلّم الحضارة والعلم بل اهل العلم انفسهم لم يتهيأ لهم تصوُّر الارض على حقيقة شكلها الاّ بعد التعليم والتلقين والزام العقل من طريق البرهان. وذلك ان الانسان لا يقع بصره ُ من سطح الارض الا على أُفقٍ ضيقٍ لا يتجاوز قطره ُ بضعة عشر ميلاً حالة كون قطر الارض يبلغ نحواً من ثمانية آلاف ميل وحالة كون القوس التي منها ذلك القطر اي قطر الأُفق المرئيّ تبلغ ما يزيد على اثني عشر الف ميل. وبعبارةٍ أُخرى لو فرضنا الارض كرةً محيطها عشرون متراً لكان افقنا المنظور منها دائرةً لا يزيد قطرها على سنتيمتر واحد ولا يخفى ان مثل هذه الفسحة لو كانت سطحاً منقاداً اي ليس فيهِ ارتفاعٌ ولا انخفاض لم تكد تظهر للعين الا سهلاً مستوياً لقصر قوسها بالقياس الى دائرة الكرة فكيف وقد تشكل وجهها بما عليهِ من الجبال والوهاد وسائر التضاريس الذاهبة في الاختلاف كل مذهب بحيث تنكرت هيئتها على الناظر ولم يعد لهُ سبيلٌ الى ادراك شيءٍ من شكلها الصحيح

ولعلّ اوّل ما عرض للانسان من الشبهات الداعية الى الحدس والنظر واستجلاء وجه الحقيقة من وراء حجاب الحسّ انهُ رأى الشمس والقمر وسائر الكواكب تبدو كلّ يومٍ من الشرق وتغيب في الغرب ثم تعود من الغد فتشرق من حيث اشرقت اوّلاً فلم يكن لهُ محيدٌ عن ضرورة الحكم بان هذه

الاجرام تمرّ من تحت الارض الى ان تعود الى حيث كانت وهو الامر الذي حارت فيهِ عقول المتقدّمين لاعتقادهم ان الارض معتمدةٌ بكلّ اجزآئها ممتدَّةٌ سفلاً الى غير نهاية فتخيل بعضهم ان تحت سطح الارض جوبةً واسعةً تمرّ فيها هذه الاجرام حتى تعود الى مطالعها وزعم غيرهُ ان لكل كوكبٍ ثقباً خاصاً يمرّ فيهِ وتوهم آخرون ان الارض قائمةٌ على عَمَدٍ تتخلل تلك الاجرام من بينها وهو قول متقدّمي المصريين وقال غيرهم انها قائمةٌ على ظهر فيل وهو مذهب علمآء الهند والاقوال في ذلك كثيرة غريبة فنكتفي منها بما ذُكر

وسوآء كانت الارض معتمدةً بنفسها او قائمةً على عمدٍ او ظهر فيلٍ او غير ذلك فلا بدَّ لها او لما قامت عليهِ من الاعتماد على شيء ثم هلمَّ جرًّا الى ان تنتهي الى ما لا يعتمد على شيءٍ وهذا ما افضى بالباحثين اخيرًا الى القول بان الارض قائمةٌ في الخلاء لا يتصل بها شيءٌ من جميع جوانبها لكن هذا ايضاً لبث عندهم دهرًا طويلاً من الاسرار التي لا سبيل الى حلها

اما شكل الارض عند هؤلاء فمنهم من توهمها على شكل طبل ومنهم من زعم انها على هيئة اسطوانة وذهب بعضهم الى انها على صورة بيضةٍ وغيرهم الى انها على شكل كرة ومثَّلها بعضهم بهيئة سفينةٍ مكفوءةٍ الى غير ذلك لكن الذي غلب اخيرًا انها كروية الشكل بأدلةٍ كثيرة منها ان المسافر اذا ارتحل شمالاً او جنوباً فانهُ كما تقدَّم في سيرهِ ظهر لهُ من الكواكب ما لم يكن ظاهرًا من قبل وغابت عنهُ كواكب اخرى من الجهة المقابلة ومنها ان السائر في البحر يرى رأس الجبل قبل اسفلهِ وكذا الناظر الى السفينة اذا امعنت في البحر فانهُ يغيب عنهُ اسفلها قبل اعلاها ومنها استدارة ظلّ

الارض على القمر في وقت الخسوف الى غير ذلك مما يطول استقصآؤهُ وهو القول الذي اتفقت عليهِ فلاسفة اليونان من عهد فيثاغورس في اواخر القرن السادس للميلاد

ولما صارت الارض على هذا ذات شكلٍ محدود اخذ العلمآء ينظرون في مساحة جرمها واول من حاول ذلك اراتُستان الفلكيّ اليونانيّ من رجال مدرسة الاسكندرية في اواسط القرن الثالث قبل الميلاد · وذلك انهُ راقب الشمس في مدينة اسوان في وقت المنقلب الصيفي فوجد ان الاشباح تكون في ذلك الوقت بغير ظلٍّ لان المكان واقعٌ على خطّ المنقلب وان اشعة الشمس اذا وقعت على بئرٍ نفذت الى قعرها وانعكست عنها صورة الشمس على خلاف ما يعهدهُ في الاسكندرية فتنبه من ذلك الى ما بين العرضين من التفاوت وانهُ لو دُلّي خيطان احدهما في اسوان والآخر في الاسكندرية لنشأت بينهما زاويةٌ ما نخطر لهُ ان يقيس هذه الزاوية لانها اذا قيست وكانت المسافة بين البلدين معلومة امكن ان تُعرف بذلك مساحة محيط الارض · فقاس مسافة السمت بالشاخص في ذلك الوقت من السنة في اسوان وفي الاسكندرية فكان بين الموضعين ٧ درجات و١٢ دقيقة ثم علم من تريبع البلاد ان المسافة بين العرضين تبلغ ٥٠٠٠ استادة والاستادة فيما قدَّرهُ بلينيوس ٦٢٥ قدماً فتكون تلك المسافة نحو ٦٠٠ ميل انكليزي ويكون محيط الارض على هذا ما يقرب من ثلاثين الف ميل وهو كما لا يخفى اكثر من القياس المتَّفق عليه اخيرًا بنحو الخمس · ومع ان هذه المساحة لم تفد الحقيقة لقصور الآلات وتعذُّر التدقيق في القياس فان هذه الطريقة

اتُّخِذَت قاعدةً لمن جآء بعدُ من العلمآء وعليها بنوا مساحتهم على ما سنذكره ُ

واستمرّ الامر على ذلك ما شآء الله من الزمن الى ان كان عهد المأمون الخليفة العباسيّ في اواسط القرن الثالث للهجرة اي بعد اراتستان بنحو ١١٠٠ سنة فعمد الى استئناف هذا القياس مرّةً اخرى كما شرح ذلك ابن خلكان في ترجمة محمد بن موسى واخويهِ احمد والحسن قال " ... ومما اختصوا بهِ في ملة الاسلام واخرجوهُ من القوة الى الفعل وان كان ارباب الارصاد المتقدمون على الاسلام قد فعلوه ُ لكنهُ لم يُنقَل ان احدًا من اهل هذه الملة تصدّى لهُ وفعلهُ الأَ م وهو ان المأمون كان مغرًى بعلوم الاوائل وتحقيقها ورأى فيها ان دور كرة الارض اربعة وعشرون الف ميل كل ثلاثة اميال فرسخ فيكون المجموع ثمانية آلاف فرسخ .. فاراد ان يقف على حقيقة ذلك فسأل بني موسى المذكورين عنهُ فقالوا نعم هذا قطعي قال اريد منكم ان تعملوا الطريق الذي ذكرهُ المتقدمون حتى نبصر هل يتحرّر ذلك ام لا . فسألوا عن الاراضي المتساوية في ايّ بلادٍ هي فقيل لهم صحرآء سنجار في غاية الاستوآء وكذلك وطآءات الكوفة فاخذوا معهم جماعةً ممن يثق المأمون الى اقوالهم ويركن الى معرفتهم بهذه الصناعة وخرجوا الى سنجار وجآءوا الى الصحرآء المذكورة فوقفوا في موضعٍ منها واخذوا ارتفاع القطب الشمالي ببعض الآلات وضربوا في ذلك الموضع وتدًا وربطوا فيهِ حبلاً طويلاً ثم مشوا الى الجهة الشمالية على استوآء الارض من غير انحرافٍ الى اليمين او اليسار على حسب الامكان فلما فرغ الحبل نصبوا وتدًا آخر وربطوا فيهِ حبلاً طويلاً ومشوا الى جهة الشمال ايضاً كفعلهم الاول ولم يزل ذلك دأبهم

حتى انتهوا الى موضعٍ اخذوا فيهِ ارتفاع القطب المذكور فوجدوهُ قد زاد على الارتفاع الاوَّل درجةً فمسحوا ذلك القدر الذي قدروهُ من الارض بالحبال فبلغ ستة وستين ميلاً وثلثي ميل فعلموا ان كل درجةٍ من درج الفلك يقابلها من سطح الارض ستة وستون ميلاً وثلثان . ثم عادوا الى الموضع الذي ضربوا فيهِ الوتد الاول وشدوا فيهِ حبلاً وتوجهوا الى جهة الجنوب ومشوا على الاستقامة وعملوا كما عملوا في جهة الشمال من نصب الاوتاد وشدّ الحبال حتى فرغت الحبال التي استعملوها في جهة الشمال ثم اخذوا الارتفاع فوجدوا القطب الشمالي قد نقص عن ارتفاعهِ الاول درجةً فصحَّ حسابهم وحققوا ما قصدوهُ من ذلك . . فلما عاد بنو موسى الى المأمون واخبروهُ بما صنعوا وكان موافقاً لما رآهُ في الكتب القديمة من استخراج الاوائل طلب تحقيق ذلك في موضعٍ آخر فسيرهم الى ارض الكوفة وفعلوا كما فعلوا في سنجار فتوافق الحسابان فعلم المأمون صحة ما حرّرهُ القدماء في ذلك " . انتهى ببعض اختصار . ونقل ابو الفداء هذا الخبر عن ابن خلكان ثم قال " ونقل غيرهُ من المؤرخين ان الذي وُجد في ايام المأمون لحصّة الدرجة ستة وستون ميلاً وثلثا ميل وهو غير صحيح فان ذلك هو حصة الدرجة على رأي القدماء . واما في ايام المأمون فانهُ وجد حصة الدرجة ستة وخمسين ميلاً وقد تحقق ذلك في علم الهيئة " . انتهى بحرفهِ . وهذا الاخير هو الذي رواهُ المسعودي في مروج الذهب والقزويني في عجائب المخلوقات وغيرهما ولعلهُ هو الاصحّ بدليل تكرار القياس بأمر المأمون فانهُ لو وجد القياس الجديد موافقاً للقديم لم يكن لاعادتهِ من داعٍ وحينئذٍ يكون المراد بقياس الاوائل المشار اليهِ

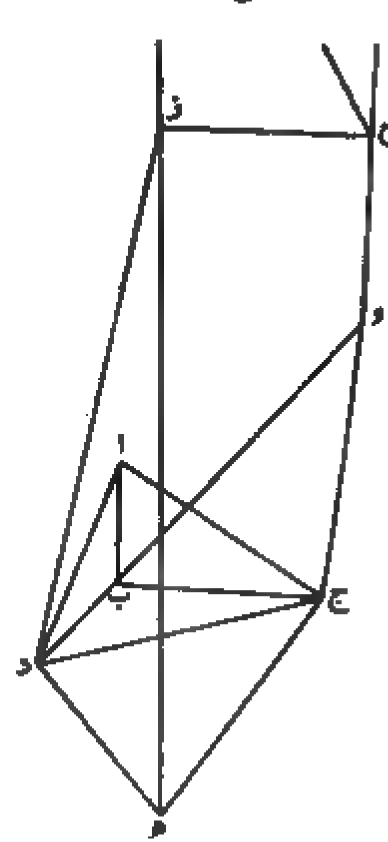
هذا هو قياس اراتستان المذكور وانما الفرق في تقدير الميل والله اعلم

واول مرّة قيست الدرجة بعد ذلك في القرن السادس عشر للميلاد (سنة ١٥٥٠) على يد فرنل احد علماء الفرنسيس وكان طبيباً للملك هنريكس الثاني وكان يأتيه من أميان وهي مدينة الى شمالي باريز على مركبةٍ لهُ والطريق بين هاتين المدينتين مستقيمة وهما مشيدتان على هاجرةٍ واحدة فعيّن مسافة درجةٍ من الطريق ثم قاسها باحدى عجلات مركبتهِ وقد ناط بها عدّاداً يحصي عدد الدورات التي تدورها وبعد ذلك قاس محيط العجلة قياساً مدققاً فخرج لهُ للخط المذكور ٥٧٠٧٠ قصبة والقصبة متران الاّ كسراً فكانت جملة ذلك ١١١ كيلومتراً و٢٣٠ متراً او نحو ٦٩ ميلاً انكليزياً . ثم انهُ بعد ١٢٠ سنة اي في سنة ١٦٨٢ اعاد الاب بيكار مؤسس مرصد باريز قياس الخط نفسه بطريق المثلثات فخرج لهُ ٥٧٠٦٠ قصبة فكان ذلك مما استدعى مزيد الاعجاب بدقة قياس فرنل

ولا بأس هنا ان نفيض بعض الشيء في بيان كيفية القياس بالمثلثات تتمةً للفائدة واظهاراً لما بلغ اليهِ اولئك القوم من التفنن في الوسائل للوصول الى الحقائق اليقينية . وذلك انهُ لما كان سطح الارض لا يخلو من جبالٍ واودية تمنع من قياسهِ مباشرةً اذ لو قيس كل جبلٍ يعرض في طريق الخط الممسوح على مسافة درجةٍ من الارض لأدّى ذلك الى خللٍ في القياس ينشأ عنهُ في اعتبار جملة سطح الارض فرقٌ ذو بال لم يكن بدٌّ في ضبط هذا القياس من المصير الى الطرق الهندسية بان تُستخدَم فيهِ مثلثات متواصلة تنشأ زواياها من قمم تلك الجبال او من اعالي بعض الابنية الرفيعة

ويوصل بينها بخطوطٍ تمرّ في الهوآء وهي الطريقة التي ابتكرها سناليوس في اوائل القرن السابع عشر وقاس بها الخط الممتدّ بين القماير وماليين

وللتوصل الى قياس تلك المثلثات يؤخذ اولاً قياس خطٍّ صغير من المسافة التي تراد مساحتها بحيث يكون ذلك الخط على ارضٍ تامة الاستوآء ثم يُجعَل الخط المذكور قاعدةً للمثلث الاول الذي تُبنى عليهِ بقية المثلثات وتعيَّن نقطةٌ مما يحاذيهِ تُجعل رأس المثلث ويُرسم بينها وبين طرفيهِ الضلعان الأُخريان وحينئذٍ تقاس الزاويتان الناشئتان على طرفيهِ فيُعرَف بذلك قياس الزاوية الثالثة وطول الضلعين المؤلفة منهما بحيث تصير كل واحدةٍ منهما صالحةً لأن تجعل قاعدةً لمثلثٍ آخر ثم يُفعل بالمثلث الآخر كذلك وهلمَّ جرًّا على نحو ما تراهُ في الرسم وهو مثال قطعةٍ من مثلثات بيكار التي رسمها بين باريز واميان فانهُ بدأ بالخط الذي بين (ا) و(ب) وهو الذي قاسهُ فعلاً وقد بلغ طولهُ ٥٦٦٣ قصبة ثم بنى عليهِ المثلث (ا ج ب) وبنى على (ا ج) (ا د ج) وعلى (د ج) (د ه ج) و(د وج)



وهلمَّ جرًّا وهكذا تتبع العمل الى شمال الخط الاول وجنوبهِ حتى اتى على قوس الدرجة كلها ثم قاس الزاوية الحادثة بين خط الهاجرة وما يحاذيه من اضلاع هذه المثلثات واسقط ما بين ذلك من الاضلاع حتى استخرج

طول القوس المذكورة وهو عدد القصبات المشار اليها وبضرب هذا العدد في ٣٦٠ عدد الدرج يكون محيط الارض ٢٠٠٥٤١٦٠٠ قصبة وهي اربعون الف كيلومتر وكسرٌ ضعيف

ومعلومٌ ان الجسم الكروي اذا عُلم قياس خطٍّ مفروض من سطحهِ استخرج منهُ قياس قطرهِ ومحيطهِ وبالتالي قياس مسطَّحهِ ومكعَّبهِ على ما هو مقررٌ في مواضعهِ لكن بقي ان نُحقق صحة كرويَّة الارض ونحرر شكلها على الجملة وهذا ايضاً مما توصلوا اليهِ بالذرائع العلمية فاثبتوا ان الارض اهليلجية الشكل لانهم وجدوها مسطحةً من ناحية القطبين - واول من تنبَّه لذلك ونبَّه العلماء لهُ الفيلسوف نيوتن المشهور فانهُ بناءً على ما تحقق من تفاوت خطران الرقاص بين الجهات القطبية والجهات الاستوائية من الارض على ما اثبتهُ ريشار وأن ذلك ناشئ عن قوَّة الجذب في نواحي القطب وضعفهِ في ناحية خطّ الاستواء على ما نبه عليهِ هويجنس حدس بان سطح الارض عند القطبين لا بدّ ان يكون اقرب الى مركزها منهُ عند خط الاستواء وبالتالي ان الارض مسطحةٌ من عند قطبيها وتوصل من ذلك الى ان هذا التفاوت في طول القطرين ناشئ عن القوّة الجاذبة وهي التي لا يخلو منها جسم والقوّة الدافعة الناشئة عن دوران الارض على محورها وبنى على ذلك ان السيَّارة كلها لا بدّ ان تكون مسطحةً كذلك . الاَّ ان قول نيوتن بقي نظرًا مجرّدًا حتى حاول العلماء تحقيقهُ بالقياس العملي وبتتابع اعمال المساحة في الجهات القطبية والجهات الاستوائية تبين لهم صحتهُ اذ وجدوا ان الدرجة عند خط الاستواء تبلغ قوسها ٦٨‚٧ ميلاً حال كونها عند القطب تبلغ ٦٩‚٤

مما دلهم على ان القوس عند خط الاستواء اشدّ انحناءً منها عند القطب فكانها عند القطب من دائرةٍ اعظم وعليهِ فيكون محيط الارض عند خط الاستواء ٢٤٨٥٠٠٠ ميلاً وقطرها الاستوائي ٧٩٢٦ ميلاً والقطبي ٧٨٩٩ ميلاً والفضل بينهما ٢٧ ميلاً ويكون مبلغ التسطح $\frac{١}{٢٩٤}$ والله اعلم

اهل التقادير واصحاب السعي والتدبير

لحضرة الكاتب الفاضل قسطاكي افندي الحمصي في حلب

(تابع لما قبل)

فاذا تأملت في اسباب هذا السعد او التوفيق رأيتهُ محصورًا في الاجتهاد والاقدام في العمل ولا دخل في ذلك للمريخ او لزُحل وقد اصاب المتنبي بقولهِ

تبدّلُ ايامي وعيشي ومنزلي نجائبُ لا يفكرنَ في النحس والسعدِ

وما نجائبنا اليوم الا هممٌ تقرّب البعيد وتهزأ بمن يزعم المحال حقيقةً وبعكس ذلك ما يعرض لمن عدّدتهم من اهل النحوس فقد يتفق ان اول تجارةٍ لتاجرنا كانت خاسرةً واول تأليفٍ لعالمنا لم يُرزَق الحظوة عند اهل الفضل لنقصٍ غفل عنهُ واول مريضٍ عالجهُ طبيبنا لم ينل البرء او فاجأهُ مرضٌ آخر اودى بهِ واول زرعةٍ لزرّاعنا لم تثمر اولم تأتِ بالمأمول فتقعد هممهم عن الجري في السبل المؤدّية الى النجاح. فترى التاجر لا يجسر على عمل الاَّ بعد ان يحسب الف حساب وكلما قدم رجلاً اخرّ اخرى . والعالم

يكتب ويخفي وكلما همّ بنشر شيء من مؤلفاته احجم عن ذلك ثم يطوي المنشور ويتكل على المقدور وقد فاتهُ صدق الحديث المأثور لا تلجّ بالمقادير فانها مدعاة الى التقصير · اما طبيبنا فتتضافر عليهِ البؤوس من كل جانب ويبيت يردد مع الشاعر

احاطت بي اللأواء من كل جانبٍ فمنك ومن واشي الهوى ومن الدهرِ

فهو عقيب ما صادفهُ في المرة الاولى من وفاة مريضهِ يخرج من دار المأتم والمعولات تشيّعه والنائحات تودّعه وهو مرتاب في المرض المفاجئ لا يعلم هل الدواء ساعد شدّته وسبّب موت العليل ام اخطأ هو في تشخيص المرض وقد شاع موت المريض في المدينة ونواحيها فمن قائلٍ ان الطبيب غير حاذق ومن قائلٍ ان الدواء غير موافق ومن قائلٍ لو حجمهُ ومن قائلٍ لو اسهلهُ وبين هذا وذاك ترى شهرة طبيبنا قد اصبحت على شفا جرفٍ هارٍ فاذا دُعي لمعالجة مريض آخر بات خائفاً قلقاً لا يجسّ نبضهُ الاَّ بقلبٍ خافق ويدٍ مرتجفة ولا يعطيهِ من الدواء الاَّ بمقدار ما يعجز عن الشفاء وهو يوقع الرعب في قلوب اهلهِ بكثرة تدقيقهِ وتحقيقهِ عن طعامهِ ومنامهِ ومفرزاتهِ ومبرزاتهِ حتى ليخيل لهم ان مريضهم قد ادنف وما احسن قول المتنبي

جاز حدود اجتهادهِ فأتى غيرَ اجتهادٍ لأُمهِ الهبلُ

ابلغُ ما يُطلَب النجاح بهِ الـ طبعُ وعنـد التعمق الزللُ

فيستدعون طبيباً سواهُ وقد يكون مخرقاً لكنهُ جسور فلا يلقي نظرهُ على المريض حتى يقول لاهلهِ ما بعليلكم من مرض ولكنهُ الوهم والدلال فليأكل ما شاء وليشرب الدواء الذي اصفهُ لهُ وهو بالغ بعدهُ كمال العافية

باذن الله · فيرفع العليل رأسه وقد نعشه كلام الطبيب وولَّد في نفسهِ امل الشفاء من اقرب طريق يساعده على ذلك اهله وقد نزل كلام الطبيب على قلوبهم اندى من الطلّ

وان بدا خطبٌ جلل · فالمرء يحيا بالامل
لا سيما اذا اكتمل · بحسن سعيٍ وحيل
وطول صبرٍ في العمل · فلم تقد يوماً لعل
فتىً تمادى في الكسل

واما الزارع فيحسب ان ما صادفه كان بأحكام النحوس وانه لو كان موفقاً لما اصابته المصائب وتوالت عليهِ النوائب فتفتر عزيمته وتني همته ويبيت يرصد نجم سعدهِ ويترقب الاقبال والحظّ ولا سعد مع الكسل ولا حظَّ لمن قعد عن السعي والعمل فيحيق بهِ الفقر المدقع والعياذ بالله ويمسي هو وعياله وقرًا على كاهل المجتمع الانساني

وقد تبيّن لك مما تقدّم ان خلاصة السعود والنحوس هي ظروف الزمان والمكان وهذه ليست الاّ احوال الاتفاق التي تعرض للمرء كل يوم بل كل ساعة · فهل يليق بالحازم البصير ان يقعد عن العمل وييأس من النجاح لفشلٍ صادفه في مبتدإ امرهِ او مستهلّ عمرهِ او في ايّ وقتٍ من اوقات حياتهِ أوَليس من العجز ان ينسب ذلك الى الحظوظ والسعود ولننظر هل كان تقدم اهل الغرب في سبيل الحضارة وترقيهم في سلم العمران ووصولهم الى المبلغ الذي بلغوه مقروناً دائماً بالاتفاقات الملائمة للفوز او بالحظّ والتوفيق كما يزعم اصحاب السعود والنحوس ألم تعترضهم موانع ألم يصادفهم الفشل ألم تقاومهم

آراء ذوي الاغراض على انهم اصيبوا كغيرهم بسائر ما يعدّهُ اصحاب البخت من ضروب النحوس ولكنهم صبروا على ذلك صبر الكرام وظلوا ساعين وراء الغاية دائبين في العمل ثابتين غير متقلقلين فدانت لهم المصاعب وفازوا باعز المآرب وبلغوا اعلى المراتب وما احسن قول المتنبي في المعنى

على قدر اهل العزم تأتي العزائمُ　　وتأتي على قدر الكرام المكارمُ
وتعظم في عين الصغير صغارُها　　وتصغر في عين العظيم العظائمُ

وقولهُ ايضاً

تحقّر عندي همتي كلّ مطلبٍ　　ويقصر في عيني المدى المتطاولُ

وبديهٌ ان التنقّل والتزعزع والقلقلة هي من موجبات الحرمان ولا شيء كالثبات كفيل بالنجاح . وهذا هو السرّ في عمران الغرب وبلوغ اهلهِ اقصى معارج المدنية مع انك لو قايست بين قرائحهم وقرائحنا لوجدت عند الشرقيين من توقد الخاطر وفرط الذكاء وسرعة الحفظ وسائر ملكات الفهم مالا يبارعهم فيهِ اهل الغرب ولكن

ما كان احوجنا الى　　عزمٍ يقوّم ذا الأوَد
ليس النبيل اخا المنى　　او من على البخت اعتمد
ان النبيل من الورى　　مَن جدّ دوماً واجتهد

ومن المعلوم ان نجاح الافراد وغناهم وتقدمهم في المعارف والصنائع والتجارة سببٌ من اعظم اسباب نجاح الامة وعظمتها ومن المقرر في علم الطبائع البشرية ان الاخلاق معْدية حسنها وقبيحها فانهماك زيدٍ في اعمالهِ وسعيهُ وراء مصلحتهِ وكدّهُ ونصبهُ في تحصيل الربح وكسب المجد كل ذلك

من شأنهِ ان يحرّك في نفوس جيرانهِ واقرانهِ الهمم الفاترة الوانية ليحذوهُ ويحتذوا مثالهُ . وعليهِ فان الرجل الهمام العامل لا يكون سعيهُ مقصوراً على نفعهِ واهل بيتهِ فقط بل يشمل كل من حولهُ من جيرانهِ واهل بلدتهِ بل سائر اهل مملكتهِ . فالزارع الهمام والتاجر المجدّ والعالم العامل والطبيب الحاذق المقدم والصانع النشيط يخدمون انفسهم اولاً وبالتالي ينفعون ابناء جنسهم اذ يصبحون قدوةً يأتسي بهم ابناء وطنهم ثم انهم ينفعونهم لاحتياجهم الى العدد الكثير منهم لمعاونتهم في اعمالم المذكورة ثم ينفعون البلاد باختراعاتهم الجديدة فيبنون المعامل العظيمة التي تغني المملكة وخزينتها بما يؤدون اليها من الوزائع والضرائب المفروضة على تجارتهم وصنائعهم ثم تفيض ثروتهم فيتسابقون في تشييد دور الخيرات والمبرّات وتعمير القنوات والطرقات ويتنافسون في بذل الصدقات والهبات فتكتسي بهم البلاد حلة الخصب والسعادة وترى مسحة النعيم عليها ظاهرة ولمحة الكمال فيها بادية وعلى هذا السبيل درجت الامم التي كان لها نصيبٌ في المدنية وحصةٌ من العمران موفورة وفكّت بذلك طلاسم الحظ والتوفيق والنجاح وكشفت اسرار السعد والبخت والفلاح وما احسن ما قيل

فتشبهوا ان لم تكونوا مثلهم ان التشبه بالكرام فلاحُ



الايهام في التنويم

قد اتينا في ما تقدّم على لمعةٍ في نشوء صناعة التنويم وما اعتورها من تغير الاساليب في طرق البحث عنها والمشاحات في نفيها واثباتها حتى صارت علماً يعلل بهِ عن كثيرٍ من المسائل التي اشكلت على الافهام فعُدَّت من الخوارق التي هي من شؤون ما وراء الطبيعة . وذكرنا ان هذه الصناعة انتشرت الآن في الامصار الاوربية والاميركية بعد ان ثبتت فوائدها في علاج كثيرٍ من الامراض ولا سيما العصبية التي يغلب عليها تأثير الاحداث النفسانية ولما كان هذا التأثير موقوفاً على الايهام رأينا ان نأتي على بيان ماهيتهِ قبل الافاضة في بيان مبادئ التنويم ومسائلهِ واعراضهِ ومنافعهِ الى غير ذلك مما نرجئ الكلام فيهِ الى محلّ آخر فنقول

اذا وقف انسان بازاء آخر وحدّق بنظرهِ اليهِ وحادثهُ وقع بينهما تبادل في العواطف يؤدي الى تسلط الواحد على افكار الآخر فان كانت مزاولة هذا التأثير لاحداث النوم فالنائم يقع تحت سلطة منوّمهِ يتلقى اوامرهُ ويمتثلها ولا يجد في نفسهِ سبيلاً لمخالفتها فاذا اوهمهُ انهُ مُسخ كلباً عوى واذا امرهُ ان يفعل امرًا فعلهُ ولو كان موهوماً واذا كان اشلّ واوعز اليهِ ان يتناول شيئاً مدّ يدهُ فالامر والايعاز والتلقين وما جرى مجراها هي ما سمّي بالايهام

واذا كان المنوّم منقادًا بالضرورة لسلطة الذي ينوّمهُ فوجدانهُ يكون حينئذٍ مفقودًا او ضعيفاً لانهُ لا يعمل بارادتهِ عن علمٍ ولكن بادارة المنوّم اذ يحلّ الوهم محل العلم فلا بدّ اذًا للتنويم من قابلية الايهام . على ان هذه

القابلية تكون اما محولية كالتي يحدثها المنوّم او موضوعية وهي ملازمة للوجدان في صنف الحيوان وتتوقف في الانسان على ادراك الصور الواردة الى الدماغ عن طريق الحس حيث يرتسم خيال هذه الصور بعد غيبوبة المادة فيقترن بعضها ببعض حتى اذا افتكر الانسان بواحدةٍ منها تذكر مالابسها وارتبط بها كما لو عرض لهُ ذكر جزيرة القديسة هيلانة فيلزم عن ذلك تصوُّر نفي بونابرت امبراطور الفرنسيس اليها وما قاساهُ في حبسهِ فيها من العذاب الاليم. ومن هذا القبيل ما يعتري الانسان من الحزن والكآبة من جرآء تصوّرهِ عزيزًا فقدهُ متى ذُكر لهُ اسمهُ واذا طرأ على ذاكرتهِ امرٌ يسرُّ بهِ انشرح لهُ صدرهُ وبرقت اسرّة وجههِ فبدت امارات الفرح عليهِ تنشر سرّهُ وتنمُّ بمكنون ضميرهِ . وعلى هذا النحو تنشأ الاميال والاهوآء وتتولد العواطف والرغائب فان ما يتوق اليهِ الانسان يهيج التفكرُ بهِ الرغبة في الحصول عليه وذكر القمل يحمل على حك الرأس والبراغيث على حك الجلد الى غير ذلك مما يطول استقرآؤهُ

وحريٌّ بالاعتبار في هذا المقام قول ابن خلدون في مقدمتهِ " اما الفلاسفة ففرقوا بين السحر والطلسمات بعد ان اثبتوا انها جميعًا اثر للنفس الانسانية واستدلوا على وجود الاثر للنفس الانسانية بان لها آثارًا في بدنها على غير المجرى الطبيعي واسبابهِ الجسمانية بل آثارًا عارضة عن كيفيات الارواح تارة كالسخونة الحادثة عن الفرح والسرور ومن جهة التصوُّرات النفسانية اخرى كالذي يقع من قِبل التوهم فان الماشي على حرف حائط او على جبل منتصب اذا قوي عندهُ توهم السقوط سقط بلا شك ولهذا تجد كثيرًا من الناس

يعوّدون انفسهم ذلك حتى يذهب عنهم هذا الوهم فتجدهم يمشون على حرف الحائط والجبل المنتصب ولا يخافون السقوط فثبت ان ذلك من آثار النفس الانسانية وتصورها للسقوط من اجل الوهم واذا كان ذلك اثرًا للنفس في بدنها من غير الاسباب الجسمانية الطبيعية فجائز ان يكون لها مثل هذا الاثر في غير بدنها اذ نسبتها الى الابدان في ذلك النوع من التأثير واحدة " واذا علمت ذلك تيسر لك فهم كثير من الحوادث التي يغلب فيها الوهم ويقوّيها الى حد تصور كونها من الخوارق كقرآءة الافكار وطريقتها تتضح بهذا المثل .

يجتمع قوم في غرفة فيُختار منهم شخص معيّن يضمر شيئًا مما في هذه الغرفة يكشف سرّهُ شخص آخر فاذا فرضنا ان الشخص الذي اضمر الشيء هو عمرو وان الذي يقوم بالتعريف عنهُ هو زيد وان الشيء المضمر زجاجة على مائدة في زاوية الغرفة ترتب على زيد ان يخرج من الغرفة وعلى عمرو ان يديم التفكر بذلك الشيء ثم يدخل زيد الى الغرفة ويمسك بيد عمرو ويكلفهُ ان يدمن التفكر في موضع الشيء المضمر فلا يلبثان قليلاً حتى يتجها كلاهما الى جهة المائدة حيث يشير زيد الى الزجاجة قائلاً هذا هو الشيء المضمر .

ومع ان هذه العملية بسيطة فقد عدّها كثيرون منذ خمسين سنة الى الآن من الخوارق وتعليلها ان ثبُت عمرٍو بفكرهِ يؤثر في بدنهِ فيتحرك عضلهُ حركاتٍ هي في منتهى اللطف ولا سيما عضل ذراعهِ حيث يمسك زيد بهِ فيشعر بهذه الحركات ويذعن لها منقادًا مع عمرو الى جهة الموضع المنصرفة اليهِ القوة المفكرة فترى ان هذه الحركات صدرت من عمرو على غير معرفة منهُ وبدون ارادتهِ ومع انها في منتهى اللطف فهي كافية للدلالة على اتجاه

الفكر فلنا في هذا المثال ثلاثة امور حرية بالتأمل هي اولاً ان عمرًا افتكر بشيء ثانيًا ان فكرهُ ثبت في ذلك الشيء ثالثًا ان ثبت الفكر اثر في البدن فحملهُ على الحركة. ومن هذا القبيل حركة الشفتين في من يحسب في سره حسابًا او يناجي نفسهُ بامرٍ يقتضي امعان الفكر. والحاصل ان القوة المفكرة تؤثر في الانسان تأثيرًا يظهر تارةً على شكل حركة في البدن وطورًا على شكل مدارك وتصورات وعواطف وغيرها وفي اكثر الحوادث او كلها يجتمع الامران على ان هذا الاثر مهما كان مصدرهُ يتوقف على مدارك الانسان وقوتهِ المخيلة وطبيعتهِ وعوائدهِ

وترى في احوال كثيرة ان بكرًا يؤثر في خالد تأثيرًا خصوصيًا تعمدهُ مع ان خالدًا لا يدرك شيئًا مما تعمدهُ بكر ومن هذا القبيل ما يفعلهُ المشعوذ فيعمد الى شيء ياخذهُ بيدهِ والحضور على غرةٍ منهُ ينظرون ولا يدركون وذلك انهُ يوهمهم خلاف قصدهِ فاذا عمد الى اخذ الشيء بيدهِ اليمنى حوَّل نظرهُ الى اليسرى فتتبعهُ اعين الرائين وهم لا يشعرون واذا استتبَّ لهُ ذلك اوهمهم أن شيئًا في يدهِ اليسرى ولا شيء فيها وربما يتسنى لهُ بمهارتهِ ورشاقتهِ اخفاء شيء لم يلاحظوهُ او نقلهُ من مكان الى آخر فهو اذًا يحدث في الحضور اثرًا تعمدهُ اي تحويل نظر الرائين الى خلاف الجهة المقصودة منهُ على انهُ يحرص اشدَّ الحرص في اخفاء مقصدهِ فلا يقول مثلاً لاحدٍ انظر الى جهة كذا او كذا فان فعل فسد عملهُ وافتضح سرهُ لان الابصار تدركهُ حينئذٍ.

وترى من جهة اخرى ان التأثير يحصل بالاقناع كما لو رايت رجلاً متعبًا فقلت لهُ ما بال وجهك اصفر فتوهمهُ انهُ مريض ولو لم يكن مريضًا فقد

علمت مما تقدم الايهام وكيفية حدوثهِ وطرق تأثيرهِ وهو المعول عليهِ في مزاولة التنويم عند علماء مدرسة ننسي ومن تابعهم

ومن انواع الايهام ما يحدثهُ الفكر في الشخص نفسهِ بدون وساطة شخص آخر وهو كثير الحدوث في امراض شتى ومن امثلتهِ ان الالثغ اذا لم يفتكر بلثغتهِ يجري نطقهُ احياناً كثيرة على صحة اللفظ فاذا افتكر بها او جاء في بالهِ ان لسانهُ لا يجري بدونها او ان سامعهُ متهيئ لنقدهِ عرضت لهُ في اثناء حديثهِ وربما اشتدت عليهِ حتى تمنعهُ من الكلام فترى هنا الايهام حادثاً من جراء تأثير الفكر في الشخص نفسهِ ولذلك سمي بالايهام الذاتي خلافاً لايهام اصفرار الوجه على ما ذكرا آنفاً فهو حادث من تأثير شخص غير الواقع عليهِ الاثر ولذلك سمي بالايهام الخارجي

وتكثر حوادث الايهام الذاتي في الامراض العقلية فقد يتوهم المريض انهُ لا يستطيع ان يتجاوز فجوة في طريقهِ فينكص عن الاقدام واذا حاولت اقناعهُ بعدم وجود الفجوة فكأنك تضرب في حديد بارد وقد يتخيل الآخر ان عدوًّا يجري وراءهُ فيجدُّ في الهرب منهُ . وكثيرٌ من حوادث الشلل الهستيري يشابه الايهام الذاتي فترى المريض بهذه العلة لا يستطيع ان يحرك رجليهِ لاقتناعهِ بان حركتها غير ممكنة فمتى زال الوهم عادت الحركة . وزعم شركو ان الايهام الذاتي قد يحدث عن سبب خارجي كالشلل الجراحي الجزئي الذي ينسب الى قطع احد الاعصاب وسببهُ الحقيقي في مخيلة المجروح ومن هذا القبيل توهم الملطوم عدم استطاعتهِ تحريك ذراعهِ من جراء اللطمة . وقد تفنن الذين يزاولون صناعة التنويم باحداث الايهام على طرق

مختلفة توصلاً الى ما يحاولونهُ من المقاصد منها اقناع المنوَّم في اثناء تنويمهِ بانهُ سيفعل كذا وكذا بعد ان يستيقظ وهذا النوع من الايهام يسمى بالايهام التالي كما ان الايهام قبل التنويم يسمى بالسابق وفي هذا القدر كفاية

تأثير القمر

في الاحوال الجوّية

بحث بعضهم فيما تحدثهُ اوجه القمر من التأثير في الاحوال الجوّية وهو كما لا يخفى من المعتقدات الشائعة عند العامة من عهدٍ عهيد الاّ انهُ مع عمومهِ واشتهارهِ لا يرجع الى قواعد مطّردة ولا يصدُق دائمًا بحيث يمكن ان يُبنى عليهِ انبآءٌ صحيح لان مطلق القياس في مثل هذا مما لا مطمع في الوصول اليهِ غير ان صدقهُ في كثيرٍ من الاحوال مما يدلُّ على انهُ لا يخلو من الصحة

وقد خاض اهل العلم في هذه المسئلة واطالوا من المراقبات والقيود والمقابلة بين وقتٍ ومثلهِ فمنهم من جزم بصحتها وفرض لها مواقيت ومواعد تُرَدُّ اليها قياساً على احوالٍ سابقة كما يفعلهُ اصحاب التقاويم السنوية فصدقت في بعض الاحوال وتخلفت في البعض الآخر ومنهم من نفاها بتةً وانكر كل علاقةٍ بين اوجه القمر والجوّ الارضي ومن اولئك العلامة اراغو الفلكي الشهير وهو ولا شك تطرُّفٌ في القطع لثبوت القياس في بعض تلك الحوادث كما تقدمت الاشارة اليهِ

والظاهر ان سبب هذا التأثير لا يتعين ان يكون من جهة تبدُّل اوجه

القمر فقط كما هو المتبادر لأول وهلة ولكن هناك عللاً اخرى تُضمّ الى السبب المذكور منها اختلاف اتجاه القمر في دورانهِ حول الارض فقد ثبت من عهدٍ قريب ان بعض تغيرات ميزان الهوآء تابع لميل القمر في فلكهِ وهو من الامور التي لا غرابة فيها مع قرب القمر منا واختلاف مواقعهِ من وجه الارض بل يكون من المستغرب ان مثل هذا الجرم مع عظمهِ في نفس الامر ومع ما يحدثهُ من التأثير المحسوس في بحار الارض بالمدّ والجزر يكون خالياً من التأثير في احوال جوّها الاّ ان هذا التأثير غير مطّرد على وجهٍ يقاس لتداخُل اسبابهِ احياناً وتعارُضها اخرى بحيث لا تثبت عنهُ قاعدةٌ يُبنى عليها حكم

ومعلومٌ ان مواقع القمر من الارض تتفاوت على اوجه شتى بما يتفق ان يكون عليهِ من الطول والصعود المستقيم والميل واختلاف المنظر فان كل ذلك يدخل فيما نحن فيهِ و يضاف الى ذلك ما ذُكر من اختلاف اوجههِ وهو مما لايطّرد تأثيرهُ على حدٍّ واحد كما اذا اتفق توليدهُ مرةً في الحضيض ومرةً في الاوج مثلاً وكذا اذا اختلف موقعهُ والحالة هذه من الميل جنوباً او شمالاً وذلك مع اعتبار حركتهِ في الميل ايضاً وكل ما ذُكر مما لا يصح القياس فيهِ على اطلاقهِ وان تشابه بعض حالاتهِ من بعض تلك الوجوه

واكثر ما تنبه الناس لهُ من علاقة اوجه القمر بالاحوال الجوّية ما يُرى لهُ من التأثير احياناً في امر السحب وانتشارها في زمن الشتآء والمشهور عندهم انهُ اذا استُهلّ القمر على صحوٍ كان ذلك الشهر كلهُ صحواً او على مطرٍ فمطراً ومنهم من يجعل ذلك لمدخل كل ربعٍ من ارباعهِ وقد راقب بعض الباحثين

ذلك في اشهرٍ مختلفة فظهر لهُ ان الفيوم كانت موافقةً للبدر وعند التوليد كان الجوّ مصحياً لكن مما تقدم يُعلم ان ذلك مما لا يصح الاخذ بهِ دائماً بل لا بدّ فضلاً عن مراعاة كل ماذُكر من النظر في حال ميزاني الهواء والحرارة ومقياسي رطوبة الهواء وسرعة الريح لان حالة الجوّ تتحرر بهذه المقاييس الاربعة جملةً والله اعلم

مطارحات

وردتنا عدة قصائد في بيان اضرار المقامرة اجابةً لما اقترحناهُ في الجزء الرابع عشر فاخترنا منها القصيدتين الآتيتين احداهما لحضرة الشاعر المجيد نجيب افندي الحداد صاحب جريدة لسان العرب قال

لكل نقيصةٍ في الناس عارُ وشرّ معايب المرء القمارُ
هو الداء الذي لا برء منهُ وليس لذنب صاحبهِ اغتفارُ
تشاد لهُ المنازل شاهقاتٍ وفي تشييد ساحتها الدمارُ
منازلُ كم أُريق دمٌ عليها وكل دمٍ اراقتهُ جُبارُ
نصيبُ النازلين بها سهادٌ فافلاسٌ فيأسٌ فانتحارُ
قداختصروا التجارة من قريبٍ فعُدمٌ في الدقيقة او يسارُ
وبئس العيش فقرٌ مستديمٌ يعارضهُ يسارٌ مستعارُ
وبئس المال لا تحظى يمينٌ بهِ حتى تسلّمهُ اليسارُ
يفرّ من البنان فليس يبقى لهم من إثرهِ الا اصفرارُ
كأن الزئبق الرجراج فيهِ يدور فلا يقرُّ لهُ قرارُ

كأن وجوههم ندماً وحزناً كساها لونَ صفرتهِ النضارُ
فينا تبصر الوجنات ورداً اذا هي في خسارتهم بهارُ
كأن المال بينهمُ نجومٌ ورقعة لعبهم فلكٌ مُدارُ
فبعض نجومهِ فيها سعودٌ وبعض نجومهِ فيها البوارُ
تراهم حول بسطتها قعوداً يُديرُ عيونهم ورقٌ يُدارُ
عصائب لا يودّ المرء فيها اخاهُ ولا يراعي الجارَ جارُ
يلاحظ بعضهم بعضاً بعينٍ يكاد يضيء اسودها الشرارُ
فتحسب ان بين القوم ثأراً ولا ثأرٌ هناك ولا نقارُ
ولكن جارت الاقدار فيهم ففي ابصارهم منها ازورارُ
كأن عيونهم لما أُديرت فَراشٌ حائمٌ والمال نـارُ
فهم لا يبصرون سواهُ شيئاً كساري الليل لاح لهُ منارُ
وهم لا يعطفون على خليلٍ وليس يشوق انفسهم مزارُ
وهم لا يذكرون قديم عهدٍ وليس لهم سوى الامس ادّكارُ
يذكرهم بما خسروهُ فيهِ وما كانوا عليهِ وكيف صاروا
كَرَبٌ الثأر اقبل يبتغيهِ فزيد عليهِ فوق الثار ثارُ
ترى الحاظهم فتخال فيهم خمارِ طلاً وليس بهم خُمارُ
ولكن دارت الحسرات فيهم كما دارت بشاربها العُقارُ
فكم غضبوا على الايام ظلماً وكم حنقوا على الدنيا وثاروا
وكم تركوا النساء تبيت تشكو وتسعدها الأُصيبية الصغارُ
تبيت على الطوى ترجو وتخشى يؤرّقها السهاد والأنتظـارُ

فبئست عيشة الزوجات حزنٌ وتسهيدٌ وهجرٌ وافتقارُ
وبئست خلة الفتيان همٌّ واتعابٌ وخسرانٌ وعارُ

والثانية لحضرة الاستاذ الفاضل احمد افندي سمير وهي هذه

هي الخسارة عمَّت اغلب الكبرا في مصر والشام حتى اصبحوا عبرا
همُّوا بما لم ينالوا من مزاعمَ لا تشفي غليلاً ولا تقضي لهم وطرا
وغرَّهم املٌ لاحت بوارقهُ في ظلمة العيش فاستهوتهمُ غررا
توهموا سفهاً ان المعاليَ لا ينالها طالبٌ الاَّ اذا يسرا
وفكروا انهم ان قامروا ربحوا سعادةً لم تصادف قبلهم بشرا
يا للمصيبة ان القوم قد خلعوا ثوب الرشاد ولمَّا يدركوا الخطرا
اما تراهم عبيداً للمطامع قد سعوا الى الحتف في جنح الدجى زمرا
جاءوا باموالهم يرجون منفعةً فعاد في الحال ما قد املوا ضررا
فانظر اليهم تجدهم في مقامرهم خشباً مسندةً تستلفت النظرا
هذا يطوف على الجيران مقترضاً ليستردَّ ولو بعض الذي خسرا
وذاك ينزع من طوق القميص حلى ثمينةً اخلصت في صوغها دررا
فان كفتهُ والاَّ كان خاتمهُ من فوق ساعته ملكاً لمن قمرا
ومنهمُ من تراهُ لا يعيد ولا يبدي حراكاً فان كلمتهُ نفرا
كانما هو فيما بينهم صنمٌ وخلفهُ وثنيٌّ يعبد الحجرا
الى مناظرَ تدمي عينَ ناظرها ندامةً وتردُّ القلب منكسرا
راموا الرباح فلما استيأسوا خلصوا بجلدهم وكثيرٌ منهم انتحرا

هذي مفاخرهم دارت دوائرها ميلاً عليهم فلم تترك لهم خبرا
باتت ذخائرهم ملكاً لغيرهم فاصبحوا لا ترى عيناً ولا اثرا
اثرى بهم من صعاليك الاجانب من قد كان قدماً لستر الجسم مفتقرا
رضوا بان يخدموهُ صاغرين كأنْ ما اصطفاهم على اموالهم أُجرا
وكلما خلتهم تابوا وجدتهم زادوا من الحرص في طنبورهِ وترا
لا ريب انهم اصل البلاء فقد ظنوا الضلالة رشداً والعمى بصرا
جرّوا البلاء بايديهم لانفسهم ثم انثنوا يعتبون الحظّ والقدرا
لو انهم فكروا في الامر لاتعظوا بمن مضوا وغدوا في قومهم أُمرا
لكنهم جهلوا العقبى فصيّرهم سوء التصرّف من بعد الغنى فقرا
فليتهم حفظوا ما في خزائنهم حتى يكون ليوم البؤس مدّخرا
لكنهُ الهوس استولى بخفتهِ عليهم فاضاعوا الغرس والثمرا
من كل ما ورثوا عفواً وما تعبوا للسعي في كسبهِ الآصالَ والبُكرا
سيّان موت الفتى منهم وعيشتهُ فحيُّهم في الورى ميْتٌ وما قُبرا
يكفي المُقامرَ ذلاً مدُّهُ يدَهُ من بعد ما اعتزّ احقاباً على النُظرا

متفرّقات

الذهب الصناعي – جاء في احدى المجلاّت العلمية الفرنسوية ما نعرّبهُ تحصيلاً قالت

ورد علينا من اميركا منذ بضعة اشهر ان واحداً من مشاهير الكيماويين في نيو يورك يقال لهُ اسطفان أمنّس من اعضاء جمعية المعادن الاميركانية

قد وُفق الى استنباط ذهبٍ صناعي جآء مماثلاً للذهب الطبيعيّ من كل وجه وانهُ عرض من هذا الذهب على سكة نيويرك وبعد امتحانهِ لم تتوقف عن مشتراهُ بسعر الذهب الجائز

اما كيفية صنع ذلك الذهب فزعم المكتشف انهُ اهتدى الى طريقةٍ يعالج بها الفضة حتى تستحيل الى ذهب فان صحّ زعمهُ هذا فقد ظفر بالاكسير الذي طالما حلمت بهِ عيون الاوائل ووجد حجر الفلاسفة الذي انضوا في طلبهِ ركاب الاعمار على غير طائل وحقّ لنا اليوم ان نكذّب قول القائل

اعيا جميع الورى من سالف الحقبِ ان يصنعوا ذهباً الا من الذهبِ

وهذا الاكتشاف مبنيٌّ فيما زعم على ما يذهب اليهِ فريقٌ من الحكمآء يفرضون ان اصل الموادّ كلها يرجع الى مادّةٍ واحدةٍ يسمونها بالبنطوجين ويقولون ان جميع الاجسام البسيطة — او التي نسميها بالبسيطة لانهُ لم يتسنّ لنا حلها الى الآن — تتفاوت طبائعها وتختلف الصفات المقوّمة لها بتفاوت المقدار النسبيّ الداخل في كيانها من هذه المادّة واختلاف جواهرها كثافةً ووضعاً فاذا اتُّخذ الهدروجين مثلاً مقياساً تقاس بهِ بقية العناصر فُرض ان فيهِ واحداً من تلك المادّة الاصلية كان في الاكسيجين ٨ وفي الكبريت ١٦ وحينئذٍ يقدّر ان الجوهر من جواهر الكبريت مؤلّفٌ من جوهرين من الاكسيجين والجوهر من الاكسيجين مؤلفٌ من ٨ من الهدروجين وهلمّ جرّاً. الاّ ان هذا كلهُ انما هو فرضٌ نظريٌّ ليس الاّ لان هذا الحلّ لم يُتوصل اليهِ فعلاً وما زال الكبريت كبريتاً والاكسيجين اكسيجيناً في كل

ما عُرضا لهُ من التفاعل الكيماوي

اذا عُلم هذا فالذي ذُكر من طريقتهِ في التحويل المذكور انهُ يأخذ النُقرة من الفضة المسبوكة بعد ان يتحقق خلوّها من كل شبهة ذهب فيعالجها بالطرق العنيف مع الاحتراز من كل ارتفاعٍ في الحرارة يعرض لها بسبب الضرب فاذا بلغت الى الحالة التي يقضي بصلاحيتها عرّضها لفعل الحامض النتريك بعد تعريض هذا الحامض لفعل اشعة الشمس (وفي هذا التعريض الثاني سرٌّ غريب) فيستحيل جزء منها الى الذهب

هذا محصّل ما وصل الينا من تفصيل هذا النبأ وفيهِ ما فيهِ وفي رأْي بعض المحققين ان الفضة التي اجرى فيها هذا الامتحان لا تخلو من ذرّاتٍ من الذهب وان ادّعى استبراءَها منهُ وان ما سماهُ بالتحويل ليس الا انفصالاً لتلك الذرّات على ان المستقبل افضل كاشف عن حقيقة هذه المسئلة والله اعلم

التركيب الكيماوي لجسم الانسان — ذكروا ان الجسم الانساني مركب من ثلاثة عشر عنصرًا منها خمسة غازات وثمانية جوامد فاذا فرضنا جسم الانسان المعتدل يزن ٧٥ كيلوغرامًا كان فيهِ من الاكسجين وهو اكثرها مقدارًا ٤٤ كيلوغرامًا في حالة الضغط المتناهي لان هذا المقدار وحدهُ لو كان خارج جسم الانسان وكان في الحرارة المألوفة لملأ حيزًا يربي على ٢٨ مترًا مكعبًا. اما الهدروجين فلا يدخل منهُ في تركيبهِ الاَّ مقدارٌ تافه اي اقلّ من ٧ كيلوغرامات وهذا المقدار ايضًا لو كان في الحالة المطلقة لشغل من الحيز نحو ٨٠ مترًا مكعبًا. واما الغازات الثلاثة الأُخر ففيهِ من الازوت كيلوغرام

و٢٧ ومن الكلور ٨٠٠ غرام ومن الفلور ١٠٠ غرام . واما الجوامد فمعظمها الفحم وفيهِ منهُ ٢٢ كيلوغراماً ومن الفصفور ٨٠٠ غرام ومن الكبريت ١٠٠ غرام . واما المعادن فليس منها في الانسان شيء ثمين واكثرها الكلسيوم وفيهِ منهُ ١٧٥٠ غراماً ومن البوتاسيوم ٨٠ غراماً ومن الصوديوم ٧٠ ومن المغنيسيوم ٥٠ ومن الحديد ٤٥ وهذا كل ما يمكن ان يستخرجهُ الكيماوي من جسم الانسان بعد آخر فحص . ولا حاجة ان يقال ان هذه الثلاثة عشر عنصراً متحدة بعضها ببعض على وجوهٍ كثيرة الاختلاف بحيث يتألف منها مركبات يقتضي تعدادها وحده مجلداً برأسهِ

اكتشاف عناصر جديدة في الهواء - كان المتقدمون يعدّون الهواء عنصراً بسيطاً الى ان حلهُ لافوازيه في اواخر القرن الثامن عشر الى عنصرين هما الاكسجين والازوت على نسبة ١ - ٤ واستمرّ الامر على ذلك الى سنة ١٨٩٤ فاكتُشف فيهِ عنصرٌ ثالث سمي بالارغون . ثم انهُ في هذه السنة بينما كان الكيماويان الانكليزيان رمسي وترافرز يفحصان الارغون السائل اكتشفا فيهِ عنصراً جديداً اثقل من الاكسجين سمياهُ بالكربتون وهي كلمة يونانية معناها الخفيّ وبعد ذلك عثرا على عنصرين آخرين سميا احدهما بالنيون اي الجديد والآخر بالمترغون ووضعا الاوّل في انبوب واطلقا عليهِ مجرى كهربائياً فكان عنهُ ضوء احمر نارنجي بهيج في الغاية وطيفهُ يختلف عن طيف الارغون قالا انهُ مؤلف من خطوط كثيرة تظهر في الاحمر النارنجي والاصفر وبعض خطوط البنفسجي المظلم واما طيف الآخر فظهر بين خطوطهِ

الكثيرة خط اخضر مجاور لخط الهيليوم وخط اصفر محلهُ بالقرب من خط الصوديوم · وعليهِ فالهوآء على ما علم الى الآن يتركب من ستة عناصر وهي الاكسجين والازوت والارغون والكربتون والنيون والمترغون وهم يشتغلون اليوم بالكشف عن خصائص هذه العناصر الجديدة

انتحار افعى — روى شاهد عيان من مراسلي احدى الجرائد الانكليزية قال ان صحاري ايلينويس من الولايات المتحدة الاميركانية كانت فيما مضى مألفاً للافاعي المعروفة بذوات الجلاجل وكان ارباب تلك الاراضي اذا خرجوا لحرثها وجدوا منها شيئاً كثيراً وهي في غاية السمّية الاّ انهُ لبطء سميها وما نيط بها من تلك الجلاجل المنذرة بمكانها كانت النجاة منها غير مستصعبة

وان المكاتب المذكور بينا خرج يوماً الى الصحرآء اذا رجلان من الفلاّحين يجرّان سكةً للحرث وقد قُرن بها خمسة او ستة ازواج من البقر فسار في طريقهما حتى اذا اوغل في الصحرآء اذا بواحدةٍ من تلك الافاعي تبلغ نحواً من ٣٠ الى ٣٥ سنتيمترًا من الطول (وطول هذا الصنف من الافاعي لا يكاد يبلغ ٥٠ سنتيمترًا) فوقف لها الرجلان وارادا ان يخيفاها طلباً للتلهي فالجآها الى الارض المحروثة وكان في ايديهما سوطان طويلان فجعلا يهوّلان عليها بهما فلما تضايقت من تلك الحال ولم تجد لها من سبيلٍ الى الهرب ارتدت على نفسها فانشبت انيابها في بطنها وللحال لم يلبث السمّ ان بلغ منها وفي اقلّ من خمس دقائق سقطت بغير حراك وبقيت انيابها في

الجرح . قال ولا ينبغي ان نعجب لهذا الموت الوحيّ في بضع دقائق اذا كان يموت بمثل هذه السمة رجلٌ بالغ في بضع ساعات

اسئلة واجوبتها

القاهرة – يقال ان كلمات القرآن وحروفه كلها معدودة فهل لذلك من صحة وكم بلغت
احد مشتركي البيان

ع . د

الجواب – كل ما في القرآن معدود حتى انواع حروفه مفصلةً فضلاً عن اجمالها . قال في الاتقان اخرج ابن الضريس من طريق عثمان بن عطاء عن ابيه عن ابن عباس قال جميع اي القرآن ستة آلاف وستمائة آية وست عشرة آية وجميع حروف القرآن ثلاثمائة الف حرف وثلاثة وعشرون الفاً وستمائة حرف وواحد وسبعون حرفاً . قال وعدّ قومٌ كلمات القرآن سبعة وسبعين الف كلمة وتسعمائة واربعاً وثلاثين كلمة وقيل واربعمائة وسبعاً وثلاثين وقيل ومائتين وسبعاً وسبعين وقيل غير ذلك . ونقل في الكشكول ان عدد كلمات القرآن ٧٦ ٤٤٠ وعدد حروفه ٣٣٢ ١٧٢٢ (كذا) ثم اورد اعدادها تفصيلاً فذكر ان فيه من الالفات ٧٩٢ ٤٠ ومن الباءات ١١٤٠ ومن التاءات ١٢٩٩ ومن الثاءات ١٢٩١ وهلمّ جرًّا الى آخر الحروف . قال في الاتقان والاشتغال باستيعاب ذلك مما لا طائل تحتهُ وقد استوعبهُ ابن الجوزي في فنون الافنان وعدّ الأنصاف والاثلاث الى الاعشار واوسع القول في ذلك

فراجعهُ منهُ فان كتابنا موضوع للمهات لا لمثل هذه البطالات . اه

القاهرة — هل لكم ان تصفوا لنا دواءً لازالة السحابات من العيون

احد مشتركي البيان

عبده داود

الجواب — اذا كان مرادكم بسحابات العيون السبَل وهو غشاوة تعرض في العين فتجلل القرنية وتبدو فيها على شكل بقعة بيضاء . ولذلك تسمى البياضة فعلاجها يتوقف على ازالة الاسباب وعلى ثخن البياضة ومزاج العليل . فاذا كان سببها تحبُّب الملتحمة وهي ما تسميهِ العامة بالحمية وجب الاعتناء اولاً بازالة هذه العلة فتزول البياضة معها غالباً واذا لم تزُل تستعمل الوسائط التي تنبه بها دورة الدم في القرنية للاعانة على امتصاص المولدات المرضية والتعويض عنها برتشح صحي ولهذه الغاية يستعمل ذرور من الكالومل مع مسحوق السكر ناعماً جداً او مع كبريتات الصودا او مرهم الراسب الاحمر وقد يفيد ذرور من مكلس اللؤلؤ وقطرة كبريتات الزنك (ملح التوتيا) وقد ينجع مس البياضة بكبريتات الكدميوم . واذا كانت البياضة غير واصلة الى طبقات القرنية السفلى ولم يكن سبيل لنجاح العلاج بالوسائط الدوائية تكشط بعملية جراحية وان لم يكن يرجى ازالتها يستعمل الوشم وغايتهُ اصلاح العيب الحادث من حيث منظر العليل ومع ذلك تستعمل الوسائط العلاجية لاصلاح مزاج العليل ولا بدَّ من نظر الطبيب في مثل هذه الاحوال والعمل بما يرتئيهِ

البيان

السنة الاولى — الجزء الثامن عشر

١٦ اوغسطس سنة ١٨٩٨

البعوث القطبية

ما زالت البعوث تتوالى من الآفاق الاوربية والاميركية الى الجهات الشمالية بقصد الوقوف على نواحي القطب وتخطيط ما هناك من الاراضي والبحار والكشف عما بقي غامضاً من طبيعة الارض وطبقاتها والبحث في تأثير البرد على الاجسام الجمادية والعضوية ومراقبة ميل الابرة المغنطيسية ووصف تلك الليالي الطويلة التي تستمرّ اشهراً لا يُرَى فيها الاّ ضوء الشفق القطبيّ الى غير ذلك

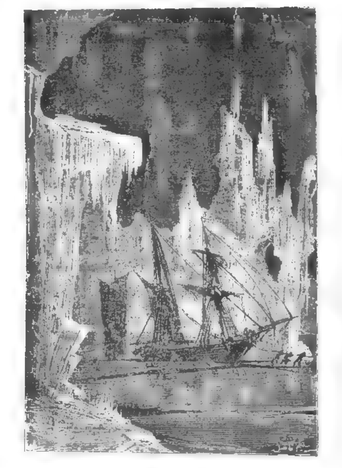
واوّل بعثٍ وُجّه الى تلك النواحي كان سنة ١٥٨٥ جهزتهُ الدولة الانكليزية تحت إمرة الربان يوحنا داويس قيل وكان غرضها اذ ذاك البحث عن طريقٍ تُختصر بهِ المسافة الى الهند الشرقية من ناحية الشمال الغربي من اميركا فقضى عدة رِحلاتٍ في تلك الاقاليم وعاد بغير طائل وهو الذي اكتشف جزيرة كمبرلند والمضيق المنسوب اليهِ الفاصل بين هذه الجزيرة وجزيرة غرنلند. ثم في سنة ١٦٠٩ وُجّه بعثٌ آخر يرأسهُ الربّان

هدسون جهزهُ جماعةٌ من تجار الانكليز لمثل المقصد المذكور فاكتشف عدَّة مواضع من اميركا الشمالية منها المضيق المسمى باسمهِ واستمرَّ في تلك الارض الى سنة ١٦١١ وارتحل بعدهُ بافين سنة ١٦١٢ ثم سنة ١٦١٥ و١٦١٦ فبلغ الى الدرجة ٧٨ من العرض الشمالي واخفق كلٌّ من هذين ايضاً وانقطع الرحيل بعد ذلك الى سنة ١٧٧١ ومذ ذاك تتابعت البعوث ولا سيما بعد سنة ١٨١٨ وهي السنة التي وُجّه فيها جون روس للكشف عن البحر المعروف بخليج بافين ولم يزل الوفد يتبع الوفد حتى كانت رحلة فرنكلين من سنة ١٨٢١ الى ١٨٢٦ وقد قطع مسافة ٩٠٠ ميل بحيث لم يدع في تلك الشواطئ موضعاً لم يطأْهُ الاَّ قليلاً فاثبت ان البحر القطبيّ قد يخلو من الجمد مدّةً تعبر في اثنائها السفن الى الباسيفيك من احد مضايق الاتلنتيك

وقد نشأ عن هذه الرحل فوائد جمة في علم الجغرافية بحيث اصبح اكثر تلك النواحي مخططاً تخطيطاً مدققاً بتوالي الاكتشافات وتتابع البحث على اثر البحث حتى لم تبقَ جهةٌ من برٍّ ولا بحرٍ مما امكن الوصول اليهِ الى ذلك الحين الاَّ قرعوا سبلها وجاسوا خلالها مراراً

وعلى عقب ذلك انصرفت الهمم الى كشف ما بقي من الارض الى نقطة القطب وتحوّل البحث علياً بحتاً فوُجّه في السنة نفسها السبربري وهي ثالث رحلةٍ لهُ الى تلك النواحي فانطلق في الوجهة التي رُسمت لهُ حتى انتهى الى الجزُر السبع في شمالي سبتزبرج ثم حِيل بينهُ وبينها بالجمد فمضى في طريقهِ شمالاً بين الجمد المتكسر حتى بلغ الى ٨١° و٥َ و٣٢ً من العرض

الشمالي وفي السنة التالية اعاد الكرَّة حتى بلغ الى ٨٢ْ و٤٥َ بعد ان قطع



منظر جبال الجمد في النواحي القطبية

نحو ٢٧ مرحلة عن شمال سبتزبرج وقد بقي بينهُ وبين القطب مسافة ٢٠٣

مراحل وهي نحو ٦٠٨ اميال ثم حالت دونهُ جبال الجمد فانقلب راجعاً

وفي سنة ١٨٢٩ عاد الربان روس فرحل فكشف عما بقي من شطوط اميركا شمالاً على نفقة نفسهِ ونفرٍ من اصحابهِ فاستمرَّ في هذه الرحلة مدة اربع سنوات بين الجمد اكتشف في خلالها مواضع شتى من اخوار وجزُر وغيرها وكان اهمّ ما في سفرتهِ هذه تعيين القطب المغنطيسي للارض فان ابرة الميل التي كانت في صحبتهِ بلغ ميلها ٨٩° و ٥٩َ فلم يبقَ الا دقيقةٌ واحدة حتى تكون قائمة

وفي سنة ١٨٣٣ ارتحل الربان باك فطاف اكثر المواضع التي اكتشفها روس وانتهى الى مواضع اخرى وتلت ذلك رِحَلٌ أُخرى تواصل الكشف فيها الى سنة ١٨٣٩ بحيث لم تبقَ بقعةٌ في شمالي اميركا الاَّ سُلكت وخُططت ومن اشهر تلك الرحل رحلة كانَ سنة ١٨٥٣ بقصد الوصول الى البحر السائل في جوار القطب على ما اخبر عنهُ بعض السائحين وقد استمرَّ فيها الى سنة ١٨٥٥ وزعم انهُ عاين البحر المذكور ثم رحلة نارس سنة ١٨٧٥ وقد انتهى فيها الى ٨٣° و ٢٠َ من العرض الشمالي ونصب العلم الانكليزي هناك ثم رحلة غريلي من سنة ١٨٨١ الى ١٨٨٤ وكانت بعثتهُ اميركانية فبلغ ٨٣° و ٢٤َ اي وراء ما بلغ اليهِ نارس باربع دقائق من العرض وهي نحو خمسة اميال

و بياناً لمقدار اجتهاد اولئك القوم وشدة اقدامهم على الاخطار في سبيل العلم نورد ملخص ما وقع لغريلي واصحابهِ من الاهوال والمهالك مما اشتهر وقتئذٍ في الجرائد ولم يكن من عاقبتهِ الاَّ ان زاد القوم اجتهاداً و تهافتاً على مثل هذه الاسفار طمعاً في احراز الفخر وتطالاً الى تخليد الذكر

وقد كان ذلك الركب مؤلفاً من سبعة وعشرين رجلاً خرجوا في ١٧ من يوليو سنة ١٨٨١ مجهزين بالآلات العلمية وكل ما يحتاجون اليهِ للوقاية من سطوة البرد الشديد في تلك الاصقاع فبلغوا الطيَّة التي نووا ان يجعلوها محطةً لهم في ١١ من اوغسطس على ما كتب بهِ غريلي اذ ذاك ثم انقطعت اخبارهم وحيل دون الوصول اليهم بدخول الشتاء . ولما كانت السنة التالية ارسلت الحكومة الاميركانية وفادة امدادٍ لهم في سفينةٍ بعثت بها في اوائل الصيف سنة ١٨٨٢ فبلغت الى الدرجة ٧٩ من العرض الشمالي ثم لم تستطع ان تتقدم لما اعترضها من تراكم الجمد فرجعت ادراجها ومضى الامر على ذلك الى سنة ١٨٨٣ فارسلت وفادةً اخرى فحيل دونها ايضاً . ولما كانت سنة ١٨٨٤ عادت الحكومة الاميركانية والحكومة الانكليزية فوجهتا ثلاث سفن للكشف عنهم فسارت تلك السفن في شهر ابريل من تلك السنة فعانت جهداً عظيماً في تخطّي الجمد العائم وبثّت الزوارق والزلّاجات في تلك الارجاء . فاصاب بعضها صندوقاً في جزيرة برافورت بالقرب من رأس صابين فيهِ رقعةٌ من غريلي بتاريخ ٢٦ من اكتوبر سنة ١٨٨٣ يدلّ فيها على موضعهِ اذ ذاك ويذكر في جملتها انهُ لم يبقَ عندهُ من الزاد الا ما يكفي اربعين يوماً وكان وقوفهم على هذه الرقعة بعد ثمانية اشهر

فوجهوا خُطاهم الى الجهة التي اشار اليها حتى بلغوها بعد النَصَب الشديد من مقاومة العواصف الجدية وفي اليوم نفسهِ وهو ٢٢ من يونيو ابصروا على مسافة نحو خمسة اميال خيمةً مقوّضة فلم يشكّوا انها خيمة غريلي ورفاقهِ فبادروا اليها وشقّوها بالمُدى فاذا تحتها منظرٌ تتفطّر لهُ القلوب رحمةً واسفاً

ألاَ وهو سبعة رجالٍ يعالجون نزع الروح وحولهم نحو هذا العدد من الجثث الهامدة وكان غريلي جاثياً على ركبتيهِ وهو يتلو صلاة النزع

وكان هؤلاء المساكين الباقون يتوقعون ساعة الموت وهم تحت ذلك الكفن اي الخيمة التي قوّضتها الريح من فوقهم ولم يكن فيهم قوّة لرفعها ولو ابطأ الوفد عنهم ثماني واربعين ساعة لما وجدوا ثمة الاّ جثث اموات

فلما رآهم غريلي واصحابهُ اصابهم من الفرح شبه الجنون فالقوا بانفسهم على ايدي الوافدين وارجلهم يقبلونها ويغسلونها بالدموع ثم توسلوا اليهم ان يمسكوا رمقهم بشيء من الطعام وكان قد اتى عليهم عدّة اسابيع لا قوت لهم الاّ الطحالب وبعض السراطين الصغيرة حتى كانوا منذ ايام ياكلون ما في بعض ملابسهم من سيور الجلد

وكان من حديثهم في سفرتهم تلك انهم بعد ان قاسوا اشدّ الاهوال من مهاجمة العواصف ومقاومة جبال الجمد وصلوا الى رأس صابين في ٢٩ من ستمبر سنة ١٨٨٣ وقد اصاب زورقهم تلفٌ كثير حتى لم يعد يصلح للركوب فلم يبقَ لهم بدٌّ من التأهب لقضاء فصل الشتاء في ذلك الموضع فعمدوا الى حطام الزورق واشرعتهِ وابتنوا منها خيمةً يأوون اليها فلبثوا منقطعين ثمة ثمانية اشهر وكان البرد على اشدّ مبالغةٍ حتى كانت المخادّ والدُثُر كثيراً ما تلتصق بالارض بما يغشاها من الجمد فاوقدوا ما بقي من حطام الزورق ولم يبقَ لهم من ادوات النقل الاّ قاربٌ صغير كان رجلٌ من المعروفين بالاسكيمو يركبهُ للصيد وان الرجل المذكور بينا كان في ٤ ابريل جادّاً في اثر حيوانٍ يصطادهُ غرق بهِ قاربهُ فابتلع كلاهما في جوف البحر

فكان فقد هذا الصيّاد ضربةً قاضية على الرفقة ولا سيما انهُ لم يبقَ عندهم ما يستعينون بهِ على طلب الصيد فانحصر طعامهم في بقية قليلة من اللحم والخبز لم تلبث ان فرغت بعد ايامٍ قلائل ولاجل ما نالهم من الجوع والبرد تناوبتهم الامراض وشرع الموت فيهم بحيث انهُ من شهر يناير سنة ١٨٨٤ الى اليوم الذي وصل فيهِ المدد كان قد هلك منهم عشرون نفساً وبقي سبعةٌ فقط فيهم غريلي الاَّ ان احدهم مات بعد ذلك بقليل بسبب قطع ساقيهِ بعد موتهما بالتجمد

ومع ما بلغوا اليهِ من تلك الحال وذهاب كل املٍ لهم في النجاة فانهم لم يكفّوا عن البحث ما وجدوا الى ذلك سبيلاً وحملتهم قوام على الانتقال في تلك الاراضي المتجمدة حتى انهُ في شهر مارس بعد ان كانت المنية تخطف الواحد منهم بعد الآخر بسلاح البرد والجوع ارتقى احدهم المسمى بالسيرجان لنغ الى قمة جبل كُورَغ واكتشف من هناك مضيق هيس فوجد انهُ يتدغربا الى مسافة ٣٠ كيلومترًا وراء الحدّ الذي رسمهُ نارس على الخرائط الانكليزية

وكانت فصول الشتاء الثلاثة التي قضاها هذا البعث في تلك النواحي من اشدّها بردًا واقساها حتى بلغ البرد ٥٠ درجةً تحت الصفر من السنتغراد وكانت سرعة الريح تبلغ احياناً ٩٠ الى ١٣٠ كيلومترًا في الساعة الا انهُ مع ذلك كلهِ كانت الحياة الحيوانية متوفرةً في تلك الاقاليم حتى في ابردها درجةً وقد عاينوا في جزيرة لكوود آثار الدببة والارانب والثعالب وغيرها ورأوا البقر المسكيّ منتشرًا في جميع تلك الاطراف الى مسافة اربعين كيلومترًا من رأس بريطانيا. اه

وتوقف الرحيل بعد ذلك الى ان كانت رحلة نانسن المشهورة وكان خروجهُ في شهر يونيو سنة ١٨٩٣ من بلاد نروج وقد قصَّ خبرها في ثلاث رسائل نشرها في بعض الجرائد ثم الَّف فيها كتاباً ضخماً في مجلدين كبيرين وصف فيهما سفرتهُ وما لقي من الاهوال في تلك الارض وقد قضى فيها ما يزيد على ثلاث سنوات بين جبال الجمد وزمهرير العواصف حتى بلغ الى ٨٦° و١٤َ من العرض الشمالي وهو ما لم يبلغهُ سائحٌ قبلهُ الاَّ انهُ لم يقع لهُ شيءٌ من مثل ما وقع لغريلي واصحابهِ ثم عجز عن التقدم فرجع ادراجهُ وبلغ نروج في اواخر شهر اوغسطس سنة ١٨٩٦ بعد ان اكتشف كثيراً من تلك النواحي بين اراضٍ وجزُر و بحار واخوار وخلجان وغير ذلك ووصف جميع ما شاهدهُ من طبيعة تلك الارض وصفاً مفصلاً

وتكاثر الوفد بعد ذلك الى تلك النواحي فارتحل سنة ١٨٩٦ سبعة بعوث انتشرت فيما بين مضيق سميث من غربي غرنلند الى زمبل الجديدة منها البعث الذي يرأَسهُ داود برون وقد ارتحل للبحث عما زعمهُ بعض الرواة من وجود آثارٍ للآدميين في جزيرة اسلاندا فلبث هناك الى اواخر سنة ١٨٩٧ وطاف النواحي الشمالية والجنوبية من تلك الجزيرة وجاب ما بينهما عوداً على بدء فوجد في بعض ما احتفرهُ سُرُجاً من الحجر وحلًى من الشَبَه ومواعين مختلفة مما ابقتهُ حضارة السكنديناو الاوَّلين

وفي سنة ١٨٩٧ ارتحل اندريا وصاحباهُ استرندبرج وفرنكل فنهضوا من جزيرة دنوآء في ١١ من يوليو سنة ١٨٩٧ في منطاد على قصد ان يبلغوا القطب وآخر ما عُلم من خبرهم ان صياداً نرويجياً اصطاد حمامةً في شمالي

سبتزبرج فوجد معها بطاقةً فيها انهم جازوا الدرجة ٨٢ ومذ ذاك غمض خبرهم فلم يُعلَم من امرهم شيءٌ

وبين كل ما ذُكر بعوثٌ اخرى اضربنا عن ذكرها حب الاختصار بعضها اخفق سعيهُ بما اعترضهُ من عراقيل الطريق وبعضها لم يأتِ بكبير امر ولا تزال البعوث تتأهب للرحيل من كل اوب للكشف عما بقي من تلك الارض وتخطيطهِ . ولتسهيل السفر في تلك المجاهل ارتأَوا ان ينشئوا محطّات بعضها امام بعض يودعونها اقدارًا وافية من الاقوات والمؤن وسائر المرافق الشتوية بحيث تستمرّ من سنة الى سنة وتكون ملجأً لهم كلما امتنع عليهم المسير واضطرّوا الى القرار . فمن المتأهبين للرحيل ياري وسردروب رفيق نانسن وولترمان وفي عزم الدنمرك ان يوجهوا ركبًا يجمل خطتهُ الشاطئ الشرقي من غرنلند فيتمّ ما شرع فيهِ ريدر من البحرية الدنمركية سنة ١٨٩١ من كشف القسم الواقع بين ٧٠° والدائرة الشمالية من الشاطئ المذكور وينوي بعثٌ آخر اسوجي ان يرحل تحت إمرة البروفسور ناترُست من علماء طبقات الارض لكشف سبتزبرج الشرقية واخيرًا فان البرنس لويس ابن اخي الملك همبرت يتأهب لرحلةٍ يبلغ بها القطب فيأتي اولاً الارض المعروفة باسم فرنسيس يوسف ويقيم هناك مستودعاتٍ للاقوات ثم يرحل جهة القطب على زلّاجاتٍ تجرّها الكلاب مصحوبًا بجماعةٍ حافلة من الاسكيمو وفي نيتهِ ان يتمّ هذه الرحلة سنة ١٨٩٩ ولعلهُ لا يدخل القرن العشرون حتى تكون تلك الارض قد خُطّطت بتمامها .

الصدق

لحضرة الكاتب الفاضل قسطاكي افندي الحمصي في حلب

ومن هوى الصدق في قولي وعادتهِ رغبت عن شعرٍ في الرأس مكذوبِ

أَجَلْ ابا الطيّب ان الصدق رأس الفضائل وانهُ لأفضل ما تحلى بهِ العاقل ودلَّ على كبر الهمة وشرف الشمائل لكني رأيتك تحامى الكذب في شَعرك ولا تحاماهُ في شِعرك وتحاشاهُ في مفرقك ولا تحاشاهُ في منطقك ولعمري لو لم يكن من شرف الصدق الا ان كل احدٍ يدّعيهِ ما احتاج فوق ذلك شرفاً ولو لم يكن من دناءَة الكذب الا ان صاحبهُ يذمهُ ويتبرأ منهُ لكفى

ومن الغريب ان الكذب على مقتهِ وعموم الاعتراف بشرهِ قد طبق انحاء الارض كلها فدخل مضارب الشمر في القفار وولج بيوت الاكارين في المزارع وقصور الكبراء في الامصار الا انهُ عند البدو الظاعنين اقلّ منهُ عند القرويين المقيمين وعند هؤلاء اقلّ منهُ عند اهل المدن وكلما كثر امتزاج الناس بعضهم ببعض وكثرت حاجاتهم زاد احتياجهم الى الكذب فقلما يستعين بهِ البدو لقلة حاجاتهم ولاستغناء بعضهم عن بعض الا في القليل من شؤونهم فرماحهم في غزواتهم تغنيهم عنهُ وفي ايام سلمهم يقنعون بالتافه من القوت والكُسى فلا تضطرهم احوال اجتماعاتهم وعاداتهم الى التحيّل والكذب فهم في الحقوق شرَعٌ لا يهابون كبيرًا ولا يمتهنون صغيرًا وقد الفوا الحرّية في سائر اطوارهم ومن شأنها ان تعلو بأخلاقهم عن عار الكذب. واما اهل القرى فحاجاتهم اكثر ولا قدرة لهم على كسب معايشهم

والوصول الى ضرورياتهم الا بالطرق المسنونة واخلاقهم ليست كاخلاق البدو من حيث الأنفة والترفع عن الدنايا لخمول تربيتهم وسفالة هممهم واختلاطهم باهل المدن فان البدويّ يكتفي بقميص يستر بهِ سوءته لباساً وبقليلٍ من اللبن او بحفنةٍ من الدقيق معجونة بقليل من السمن قوتاً وبعشر اذرع من نسيج الشعر يرفعهُ على اغصانٍ من الشجر مسكناً · واين منهُ احتياج القرويّ فلباسهُ اكثر عدداً وطعامهُ اوفر الواناً ولا يسكن الاّ المبنيّ وهو لا يغزو الا الارض الصامتة الجامدة لا برمحٍ على ظهر فرسٍ سابح بل بمحراثٍ على ظهر ثورٍ ناطح ويخضع لحكم شيخ قريتهِ ويرعى الماشية وهي اودع الحيوانات الآهلة ويتذلل لمزارعهِ بل مولاهُ العاتي من اغنياء اهل المدن ليحميهُ من غارات البدو واعتداء اللصوص وجور جيرانهِ المستبدّين ويستدين منهُ لتقوية زراعتهِ وكلها احوال تدعوهُ مع ما هو عليهِ من الجهالة والاميّة الى المذلّة والصغار فتموت من نفسهِ الأنفة والعزّة ويعجز عن تحصيل معايشهِ لتسلّط مُزارعهِ على مزروعاتهِ وهضمهِ حقوقهُ فيتحيّل لذلك بادنى الوسائط واسهلها ولا كالكذب سببٌ يرتزق بهِ الاوغاد والسفلة · ومع ذلك كلهِ فانهُ لما كانت حاجاتهم مقصورةً على القليل من الضروريّ لم يفشُ بينهم الكذب فشوّهُ بين اهل المدن الكبيرة ممن نقصت موارد رزقهم عن الوفاء بحاجاتهم المتعددة وزادت كمالياتهم على ارباحهم المحللة وفسدت آدابهم واغوتهم النفس الأمّارة واشتدّ فيهم الحسد ورام الصغير التشبه بالكبير والصعلوك الاقتداء بالامير في ملابسهم ومساكنهم وسائر احوالهم فمالوا الى الكذب – وفيهِ كل انواع الحيلة والخديعة والمكر – في سائر معاملاتهم وبات الصانع يكذب

التاجر والاعلى يهضم كذبة الادنى بلا استحياء · واشد ما كان منهُ في المجتمع الانساني عمومهُ أم الفرنجة في القرون الوسطى المعرَّفة عندهم بالقرون المظلمة بعكس ما نراهُ اليوم من بُعدهم عنهُ واشمئزازهم منهُ واحتقارهم من يوصف بهِ وهذا مما يؤيّد لك ان الامّة كلما زادت معارفها واستبحرت في العمران نهجت سُبل الفضائل واقصت عنها الرذائل · ونحن اذا ما اردنا ان نقفو آثارهم تحتم علينا ان نتجنَّب الكذب في جميع احوالنا فلا يكفيك ان تصدق في اقوالك لصلاح احوالك بل عليك ان تسلك السبيل القصد في كل اعمالك وتصدق في أكلك ونومك وقيامك وقعودك وذلك بان لايختلف ميعاد هذه الامور عن الامس ولا عن الذي قبلهُ فان بذلك دوام عافيتك وصلاح امرك وقِوام مصلحتك وسلامة اعمالك اذ يعلم صديقك ومعاملك وسمسارك وطاهيك وكاتبك وجابيك وغيرهم ممن تحتاج اليهم و يحتاجون اليك ساعة نهوضك من فراشك وقعودك لم وساعات اشتغالك بمصالحك واوقات راحتك وأُوَيقات فراغك ومواعيد اكلك وغيرها فلا يدهمك احدهم في ساعةٍ ليست لهُ ولا يلهيك غيرهُ بشغل لست لهُ متفرّغاً فتضيع اوقاتك سدًى وكثيرًا ما تخسر بذلك ما لا تستطيع لهُ تعويضاً · وعليك ان تصدق في نصحك وودك وعهدك ونقدك وذلك بان تتجرّد عن الأَثَرة لا تنظر الاّ مصلحة المستنصح وان تخلص لصديقك فلا تكتم عنهُ عيوبهُ فالصديق مشتقٌّ من الصدق وان لا تخلف عهدًا ما عشت فقد جآء في امثال العامة وعدٌ بلا وفآء عداوةٌ بلا سبب · وان تجتنب التدليس فيما تتكلف نقدهُ وتمييزهُ من سلعةٍ اوكتاب فتنظر فيما يُعرَض عليك منهُ نظر الفاحص المتبصر كانما تنظر

في ذلك الشيء لنفسك ثم تخبر بما ترى اخبار المخلص الصادق فيما يقول فتذكر ما يبدو لك من حسنهِ وقبحه او صوابهِ وشططهِ لا تأخذك في الحق لومة لائم ولا مخافة لسان سفيهٍ شاتم

ولتعلم ان النقد رائد التقدم في طريق الكمالات الانسانية وشعار الامم المستبحرة في العمران وقد عرف قدرهُ فضلاء الافرنج فاصبح عندهم علماً قائماً براسهِ تتطأطئ لهُ رؤوس فحولهم ولا يحسن الكتابة فيهِ الاَّ الائمة الافراد فلا يظهر عندهم كتابٌ او رسالة الاَّ تلتها فصول النقد تنشر في صحف الاخبار ومجلات العلوم فتفنّد الرأي الضعيف وتأتي على اطرآء الرجيح وتبين الاغلاط وتبدي ما يعنّ لاصحابها من مدح او ذمّ فهم " لا يقبلون على الحق رشوةً ولا يرضون من امانة العلم ثمناً " غير هيَّابين ولا محابين ولا ملقين الكلام على عواهنهِ ولا مبالين بمنزلة الكاتب ولو كان رفيعاً ولا باخسين من حقهِ ولو كان وضيعاً فعرف الكاتب منهم حدّهُ ولم يتعدّهُ ونهض النقد بكتاباتهم وسائر عوائدهم واخلاقهم الى ارفع المنازل واسمى المراتب وكان منهُ ان قيّد الكتّاب — الذين يحترمون العلم و يرغبون في مرضاة اهلهِ — فلم يقدم احدهم على نشر كتابتهِ وتأليفهِ الاَّ بعد الفحص الطويل والتهذيب المدقق وهو على يقينٍ من انتقاد الناقدين فكأنهم تمثلوا بقول الشاعر

اياك تعرض للقضاة قصيدةً	ما لم تكن بالغتَ في تهذيبها
فاذا عرضتَ الشعرَ غيرَ مهذَّبٍ	ظنوهُ منك وساوساً تهذي بها

ولمَّا كان العالم العاقل يعلم ان العصمة لله لم يستنكف اكبر علمائهم من الاقرار بخطائهِ وغلطهِ عند اظهارهِ من النقَّاد وهو يسرع الى اصلاحهِ عند

طبعهِ ثانيةً وقد يعترف بفضل الناقد عليهِ لا تأخذهُ في ذلك عزّة النفس الكاذبة ولا الانانيّة الخادعة . وانّى لنا ان نؤمّل البلوغ الى سلّم الترقي في معارج الفضائل البشرية والحضارة الحقيقية ونحن لا نرضى الاّ ان يُستحسن ولو رياءً كل مانقولهُ ونفعلهُ ولا نطيق ان نسمع الاّ التمليق والمداهنة وان نكذب ويُكذَّب علينا ابد الدهر . واين نحن من اولئك القوم ان البغاث بارضنا يستنسر وان صغير الكتّاب عندنا ليشمخ ويستكبر فلا يصبر على نقد كلامهِ وان بيّن الناقد الغلط واوضح الخبط والشطط ولا يزيدهُ ذلك الاّ اصرارًا على الخطآء ومكابرةً وعنادًا

يشذّ عن القياس ولا يبالي ويحمي غلطةً منهُ بغلطه

وهو يحسب انهُ قد احاط بعلوم المتقدّمين والمتأخرين وان الصواب وقف على كلامهِ بل قد يتخطى حدود الادب الى المماراة والصلف والدعاوى العريضة فينصب نفسهُ في مقام الحكَم ويتحرّش بمن يعلوهُ علوًّا عظيماً وقد لايكتفي بهذا الهذر والهذيان حتى يعترض على اكبر ائمة العصر وفحول علمآئهِ ويقيس نفسهُ ببعض مشاهير العلمآء المتقدّمين

ومن جهلت نفسهُ قدرهُ رأى غيرهُ منهُ ما لا يرى

ومثل هؤلآء الصغار يعدّون نفوسهم بين اهل النهضة الادبيّة في هذا العصر وقد استغواهم شيطان الغرور وغشي ابصارهم غشآء التمليق فحاد بهم عن سوآء الطريق فراحوا وكلمة الحق لها في نفوسهم فعل السهام لا يغفرون لقائلها وان تراخت الايام . وياليت شعري ما هم صانعون لو اصابهم من مناخز النقد ما يصيب بعض كتّاب الافرنج ففيما كتبهُ جول لوميتر الكاتب الشهير

من النقد المؤلم والمآخذ التي اخذها على الشاعر بول فرلين والكاتب النحرير اميل زولا وغيرهما عبرة لاولي الالباب ولو كان بول فرلين وغيره من امثاله كبعض المتغطرسين عندنا لشغلوا جول لوميتر عن النقد بالماحكة والهذر ولكان حالهم كحالنا من الجهل والادّعاء والمخرقة والخيلاء ولكنهم عرفوا فضل النقّاد وقدروا خدمتهم العلمية حق قدرها فاجازوهم عن كل سطر من كتاباتهم بالاموال الطائلة واحلوهم بينهم المنزلة الرفيعة · ونحن ولا احابي عندنا من هو اعلم واكتب من جول لوميتر فتى يتأدّب فتياننا بادب بول فرلين وامثاله

فغنى كل كاتب واديب جملة من محاسن الاخلاق
ان عُجب الاديب مستقبحٌ اضـ ـعاف تقبيحه على الاطلاق
هذّب الطبع قبل تهذيبك اللفـ ـظ وجانب ما اسطعت شر الشقاق
جوهر النفس ظاهرٌ من وراء الـ ـقول يجلوه زئبق الاوراق
فاتّضع ترتفع باعين اهل الـ ـعلم وانبذ مقال اهل النفاق

الصم يسمعون والبكم ينطقون

قرأنا في احدى المجلات العلمية التي تطبع في باريز خبر اختراع آلة عجيبة سيكون لها شأن خطير في مستقبل الزمن فآثرنا تلخيص ما ورد في هذه المجلة افادة لقرآئنا الكرام قالت

في اليوم ١٩ من شهر دسمبر الفائت اجتمع جمهور من العلمآء في دار اوجين باربر في باريز لتجربة الآلة الجديدة التي صنعها الاستاذ دُسُّود مدرّس علم الطبيعة في مدرسة جنفرا الصناعية لتنبيه حاسة السمع في الصمّ وهي آلة

تقوّى بها الاصوات الخفيفة وتُكتَب وترسل من مكان الى آخر ويُحفَظ فيها الكلام المحكيُّ وقد سُميت "المكرو فونغراف" (من ثلاث كلمات يونانية معناها راسمة الصوت الدقيق) وكان في جملة الحضور الدكتور لابورد رئيس المختبر الفسيولوجي في مكتب الطب بباريز وعضو المجمع الطبي فأتى على بيان منافع هذه الآلة من حيث تقوية التموجات الصوتية التي تنبه في الصم حاسة السمع وتنميها. قال ان طريقة تعليم الصم التكلم بالنظر الى حركات شفتي المتكلم على ما هو جارٍ الآن قاصرة عن الوفاء بالمقصود ولكنها تكمل بهذه الآلة لما هو ثابت في علم منافع الاعضاء من ان ادراك المسموعات انما يقع في مكانٍ معيَّن من الدماغ وان هذا الادراك ينبه القوَّة المفكرة فيسري التنبيه بالسائل العصبي الى حيث تتوزَّع الاعصاب التي يتوقف عليها تأليف الاصوات كلاماً وحصول ذلك متعذر على الصم لعدم وصول اثر السمع الى مركزهِ الذي يقع الادراك بهِ فيهِ فيضمر شيئاً فشيئاً ولكن اذا تهيج بهذه الآلة يعود الى العمل لان العمل يقتضي الآلة او كما يقول الفسيولوجيون المنفعة تبدع العضو. ولا يرد على ذلك ان الاصوات القوية كصوت اطلاق البارود وطرق المطرقة على السندان لا تؤثر فيهم لان التنبيه لا يتوقف على قوَّة المنبه ولكن على ماهيته بجهاز آلة دسود يولد اصواتاً خصوصية تتدرَّج في مراتب النغم الى ما لا نهاية لهُ وهذا هو سرّ نجاحهِ

وبعد ان اتمَّ خطابهُ تلاهُ الدكتور جلّي فاوضح ان المكروفونغراف يعيد الصوت على شدّتهِ ونغمتهِ وارتفاعهِ الى ما لا نهاية لهُ ومنفعة ذلك لا تخفى في ايصال الصوت الى الذاكرة وثباتهِ فيها وفضلاً عنهُ فان هذه الآلة

تولد اصواتاً كثيرة التفاوت بين الخفة والشدة واللين والحدة بحيث يتمكن المختبر اذا احكم التدبير من اختيار الصوت الذي يراه اكثر تأثيراً في عليله وعلى هذا المنوال تأتى للطبيب المذكور النجاح في علاج كثير من الاولاد الصم البكم منهم ولد عمره ثلاث سنين ونصف ادرك الاصوات منذ الدرس الرابع واول كلمة لفظها " بابا " بصوت خشن اجش على انه صار يلفظها بكل وضوح بعد مزاولة التعليم ورياضة الاعضاء السمعية ومنذ ذلك الحين لحظت امه انه يتطلب مصادر الصوت ويجيب متى دعي باسمه ويلفظ " بابا " جيداً ويفهم المراد بهذه اللفظة مع انه وُلد اصم . وحاصل كلام الدكتور جلي المذكور ان رياضة حاسة السمع بواسطة المكروفونغراف منذ الصغر افضل طريقة لتعليم الصم البكم لانها تجري على وفاق الطرق الطبيعية بتقوية خاصة النطق واعادة السمع وتنبيه مخارج الاصوات

ثم اخذ المعلم برثون بوصف هذه الالة وما يحصل من منافعها اذا تركبت مع التلفون (ناقل الصوت) والسينامونغراف (راسم الحركة) فقال " ان المكروفونغراف انما هو آلة تعاد بها الاصوات مؤلفة من دائرة يرتسم عليها الصوت بقلم من فولاذ فاذا أُديرت هذه الدائرة على محورها بعد ان يؤثر الصوت في صفيحتها الحساسة على الطريقة المألوفة ينتشر حينئذٍ فيصل الى آلة يتقوى بها (مكروفون) ثم ينقَل الى القابل التلفوني وهو التلفون الذي يوضع على اذن الاصم

" هذا هو الجهاز الذي يُستعمل في علاج الصمم على ان منفعته لا تقف عند هذا الحد فاذا اردنا نقل الاصوات الى بعدٍ سحيق بقوة غير مألوفة ترتب

علينا انفاذ مجرى المكروفون الى جهاز خصوصي تُقيَّد فيهِ الاصوات وهو آلة تلفونية يُحكِم مغنطيسها المكهرب على قلم من فولاذ ترتسم بهِ الاصوات المنقولة على اسطوانة من شمع وهذه الاسطوانة تتحرك بآلة كهربائية فالمجرى الوارد من المكروفون يؤثر في مغنطيس التلفون المكهرب فتضطرب صفيحتهُ والقلم المثبت في مركز هذه الصفيحة يتحرك فيرسم الصوت على الاسطوانة الشمعية . وعلى هذا المبدإ تقيَّد الاصوات وتسمع بكل وضوح مهما كانت خفيفة فقد أمكن بها سماع صوت الحركات الذي لا يشعر بهِ كحركات التنفس ودبيب النمل وغيرها

" واذا وُصلت هذه الآلة بسلك تلفوني يجمع بين مردّد الصوت في المكروفونغراف ومقيّدهِ تألف الجهاز الذي تُنقَل بهِ الاصوات الى بعد سحيق وقد سُمّي هذا الجهاز بالتلغروفونغراف وهو محكم الصنع يُنقل بهِ الكلام من مكان الى آخر ويُقيَّد في مكان وصولهِ ويُحفظ على الحالة التي نُطِق بها فاذا كان المخاطب غائباً تسنى لهُ الوقوف على نطق مخاطبهِ بعد ايابهِ . وقد جرّب ذلك في ٦ اكطوبر الفائت بحضور وزير الصناعة والتجارة في فرنسا وفي ٢١ نوفمبر الماضي مُدَّت اسلاك هذا الجهاز بين مدينتي باريز وليل على مسافة ٢٥٠ كيلومتراً فتحقق نجاحهُ على ما تقدم

" ثم تفنن اوجين باربر وجورج جوبرت بجمع هذا الجهاز مع الآلة المسماة السينامونغراف وهي التي ترتسم بها الحركات فتألف منهما جهاز غريب تصوَّر بهِ الحركات مهما كانت دقيقة وتنقل اصواتها من مكان الى آخر بحيث يتمكن الانسان وهو في غرفتهِ من سماع ما يتلى في ردهات التمثيل

ويرى حركات الممثلين ويتبين اشكالهم وصورهم فلا يفوتهُ الآ الوانهم في تبيُّن حقيقة اشخاصهم

" وقد عزم السيد اوجين باريز المشار اليهِ على بناء مشهد في معرض باريز سنة ١٩٠٠ تتبين فيهِ مناظر الموانئ الفرنساوية وغيرها بما يجري فيها من حركات المسافرين واصواتهم وتهيؤ السفن للسير بمن عليها الى غير ذلك من المشاهد الغريبة والمناظر العجيبة " انتهى

متفرقات

الصمم والدُوار البحري - نقلت مجلة العلم والطبيعة عن الدكتور جس من يستون ان الصمّ غير معرَّضين لدُوار البحر وبناء عليهِ فهو يشير على الذين يركبون البحر ان يسدُّوا آذانهم بقطعةٍ من القطن الناعم. قالت والشيء بالشيء يُذكَر فقد قرأنا في حديث عولس انهُ كان يوجب على رفقتهِ ان يسدُّوا آذانهم بالشمع فاملٌ في اكتشاف الدكتور المشار اليهِ ما يُظهِر لنا سرَّ الحكمة المقصودة من ذلك

جوّ الارض والاجرام المجاورة لها - من رأي بعض الباحثين ان تأثير جاذبية القمر والسيارات على جوّ الارض هو العلة في اكثر الوقائع الجوية كالزوابع والاعاصير وغيرها فان مواقيت الفجر القطبي توافق اقتران القمر بالمريخ او زحل الاّ انّ هذا القول لا يصح الاعتماد عليهِ الاّ بعد تكرار المراقبات وصدقها

اسئلة واجوبتها

طنطا — من المعلوم ان ابن آوى يجمع على بنات آوى ومثلهُ ابن لبون وابن مخاض وابن عرس خلافاً للقياس فهل من تعليل لذلك ام نكتفي "بهكذا سُمع"

ج . *

الجواب — لم يرد في كتب اللغة في هذه المسئلة زيادةٌ على ما جاء في لسان العرب في مادّة (اوى) قال قال ابو الهيثم انما قيل في الجمع بنات لتأنيث الجماعة كما يقال للفرس انهُ من بنات اعوج والجمل انهُ من بنات داعر ولذلك قالوا رايتُ جمالاً يتهادرنَ وبنات لَبُونٍ يتوقصنَ وبنات آوَى يعوينَ كما يقال للنسآء وان كانت هذه الاشيآء ذكوراً . اه . ولعل الاقرب انها جُمعت كذلك لئلاّ تلتبس بما اضيف الى اعلام الناس لانهُ لو قيل بنو آوَى وبنو اعوج وبنو داعر لتوهم السامع انهم اقوامٌ يُنسَبون الى هذه الاسمآء والله اعلم

القاهرة — من الناس من يكتب الصلاة والحياة والزكاة بالواو مع انهنَّ يُلفظنَ بالالف فما السبب في ذلك

احد مشتركي البيان

ع . د

الجواب — هذه الكتابة مخصوصة بالقرآن اتباعاً للصورة التي رُسمت بها هذه الكلمات في نسخة عثمان ولها نظائر اخرى وكتابتها كذلك في القرآن واجبة واما في غيرهِ فتكتَب بالالف على الاصل ومن كتبها بالواو فاقتداءً بهِ . ولرسم القرآن اصطلاحٌ مخصوص في كثيرٍ من كلماتهِ وقد حصروهُ في

ست قواعد وهي الحذف والزيادة والهمز والبدل والوصل والفصل وفي كلٍّ منها شرحٌ طويل لا فائدة من نقلهِ في هذا الموضع

بغداد – هل يجوز دخول أل على "غير" وان جاز فماذا تكون أل هناك

القس

جبرائيل قرياقوز

الجواب – اختلفوا في جواز دخول أل على غير فمن طالَب بالسماع عن العرب لم يُجز دخولها لانها لم تُسمع منهم الا مضافةً لفظاً او معنى ومن اكتفى بصحة دخولها في المعنى لم يمنعها وجعلها معاقبةً للاضافة . قال في تاج العروس نقل النَوَويّ عن ابن ابي الحسين منع قومٍ دخول الالف واللام على غير وكل و بعض لانها (يعني غير) لا تتعرف بالاضافة فلا تتعرف باللام قال وعندي لا مانع من ذلك لان اللام ليست فيها للتعريف ولكنها اللام المعاقبة للاضافة نحو قولهِ تعالى فان الجنة هي المأوى اي مأواهُ على ان غير قد تتعرف بالاضافة في بعض المواضع . اه . يريد بقولهِ في بعض المواضع ما ذكرهُ غيرهُ من نحو الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم لتعيُّن الموصوف بها وفيهِ نظرٌ لا يخفى

على ان من المولدين من اطلق دخول أل على غير وكل و بعض بشرط ان لا يكنَّ مضافاتٍ في اللفظ وامثلة ذلك حتى في كتب النحاة انفسهم اكثر من ان تُحصى . ومنهم من اجاز دخولها على غير في حال الاضافة ايضاً لكن بشرط ان يكون ما اضيفت اليهِ صفةً لا موصوفاً حتى تكون غير معهُ بمعنى

النفي دون التخصيص وحينئذٍ يجرونها مجرى المضاف اللفظيّ فيلتزمون ان يكون المضاف اليهِ مقروناً بأل ايضاً فيقال الرجل الغير الصادق كما يقال الرجل الحسن الوجه ولا يقال لا نتكلم بالغير الصدق والله اعلم

الاسكندرية – كثيرًا ما يتحدث الناس بذكر مجنون ليلى وينشدون من شعرهِ بل قد رأينا في كتب النحاة من يتمثل بشيءٍ من الشعر المنسوب اليهِ ويثبتهُ لهُ المفسرون ولكن من غير ان يذكروا اسمهُ ولا يصرحوا بنسبهِ وقد بحثت في كثيرٍ من كتب المؤرخين واهل النقل على ان اجد لهُ نسباً صحيحاً فلم يتيسر لي ذلك فهل لكم ان تنبئونا بالصحيح من امرهِ

امين الحداد

الجواب – قد اختلفت الرواة في امر هذا الرجل وتحقيق اسمهِ ونسبهِ بل منهم من ذهب الى انهُ اسمٌ مخترع وان كل ما يُنسب اليهِ من حديثٍ وشعرٍ موضوعٌ لا اصل لهُ . اما اسمهُ فقيل هو عامر وقيل مهدي وقيل الاقرع وقيل معاذ وقيل قيس بن معاذ وقيل قيس بن الملوّح وقيل البحتريّ بن الجعد . واما نسبهُ فقيل هو عامريّ وقيل كلابيّ وقيل جعديّ وقيل قُشَيريّ وقيل عُقَيليّ وقيل هما اثنان في بني عامر وقيل غير ذلك . قال في الاغاني قال الاصمعي رجلان ما عُرِفا في الدنيا الا بالاسم مجنون بني عامر وابن القرّيّة وانما وضعها الرواة قيل لهُ فمن قال هذه الاشعار المنسوبة اليهِ قال فتى من بني مروان كان يهوى امرأةً منهم فقال فيها الشعر وخاف الظهور فنسبهُ الى المجنون وعمل لهُ اخبارًا واضاف اليها ذلك فحملهُ الناس

وزادوا فيهِ · وقال الجاحظ ما ترك الناس شعرًا مجهول القائل فيهِ ذكر ليلى الاّ نسبوهُ الى المجنون ولا فيهِ ذكر لُبنَى الاّ نسبوهُ الى قيس بن ذريح · اه

قلنا اما وجودهُ ان صحّ ان يكون لهُ اصلٌ فهو كوجود عنترة والمهلهل وابي نُوَاس وغيرهم ممن أُولعت العامّة باخبارهم وتناولهم القصّاصون فزادوا في احاديثهم وزلّفوا ما شآءوا ووضعوا على السنتهم ونسبوا اليهم من الشعر والاقاصيص ما لا عهد لهم بهِ حتى صاروا بمنزلة اشخاصٍ خيالية قد تجسم في كل واحدٍ منها معنى الخرافة التي تُنسب اليهِ · واما شعرهُ على فرض صحة وجودهِ فاكثرهُ منحول لانهُ لا يشبه بعضهُ بعضًا بل تجد في غالبهِ من اختلاف ديباجة اللفظ وتفاوت طبقة المعاني ما لا يجوز ان يكون من الشاعر الواحد فبينا هو يقول

وادنيتني حتى اذا ما فتنتني ... بقولٍ يُحِلُّ العُصمَ سهلَ الاباطحِ
تجافيتِ عني حين لا ليَ حيلةٌ ... وغادرتِ ما غادرتِ بين الجوانحِ

اذ تراهُ يقول

فلا تعذلوني ان هلكتُ ترحموا ... عليَّ ففقد الروح ليس يعوقُ
وخطّوا على قبري اذا متُّ واكتبوا ... قتيل لحاظٍ مات وهو عشيقُ

وانظر اين هذا من ذاك · وبينا تعثر على مثل قولهِ

الاّ يا حمامات اللوى عدنَ عودةً ... فاني الى اصواتكنَّ حنونُ
فعدنَ فلما عدنَ كدنَ يُمِتْنَني ... وكدتُ باسراري لهنَّ ابينُ
وعدنَ بقرقار الهدير كانما ... شربنَ مدامًا او بهنَّ جنونُ
فلم ترَ عيني مثلهنَّ حمائمًا ... بكينَ ولم تدمع لهنَّ عيونُ

اذ يمرّ بك مثل قوله

فياقلب مت حزناً ولا تكُ جازعاً   فان جزوع القوم ليس بخالدِ
هويت فتاةً كالغزالة وجهها   وكالشمس يسبي دلها كل عابدِ
ولي كبدٌ حرّى وقلبٌ معذبٌ   ودمعٌ حثيثٌ في الهوى غير جامدِ
وآية وجد الصب تهطال دمعهِ   ودمع شجيّ الصب اعدل شاهدِ
على ما انطوى من وجدهِ في ضميرهِ   على الآنسات الناعمات الخرائدِ

وهكذا تجد اكثر الشعر المنسوب اليهِ وقد تجاذبتهُ الفصاحة والركاكة وتباينت فيهِ الانفاس واللغات حتى يتبين للبصير من اوّل وهلةٍ ان هناك شعراء لا شاعراً . على ان بعضاً منهُ من الشعر المشهور لغيرهِ المعروف قائلهُ كالقصيدة الرائية التي اوّلها

ايا حبّ ليلى قد بلغت بيَ المدى   وزدت على ما لم يكن بلغ الهجرُ

فانها لابي صخر الهذلي وقد اورد بعضها ابو تمام في الحماسة وروى بعضها الاصبهاني في الاغاني ورواها بتمامها القالي في امالِيهِ عن ابن الانباري وابن دريد واوّلها

لليلى بذات الجيش دارٌ عرفتها   وأُخرى بذات البين آياتها سطرُ

وهي قصيدة طويلة تقرب من ثلاثين بيتاً اكثر ما رُوي للمجنون في هذه القصيدة منها لكن بتقديم وتأخير وتحريف وتغيير وزيادة ابيات أُخر من غيرها يعلم الله لمن هي كقولهِ

ووجه لهُ ديباجةٌ قرشيةٌ   بهِ تكشف البلوى ويستنزل القطرُ
ويهتزّ من تحت الثياب قوامها   كما اهتزّ غصن البان والفنن الخضرُ

كذا في النسخة المطبوعة ببولاق ولعل الصواب القنن النَضْرُ لان القنن مفرد . ومن ذلك ما رُوي لهُ عن ابي اسحق بن الهيثم

وانتِ التي كلفتِني دلج السرى | وجون القطا بالجلهتين جثومُ
وانتِ التي قطّعتِ قلبي حرارةً | ورقرقتِ دمع العين فهو سجومُ
وانتِ التي اغضبتِ قومي كلهم | بعيد الرضى داني الصدود كظيمُ

ورُوي لهُ بعد ذلك قولهُ

وانتِ التي اخلفتِني ما وعدتِني | واشمتِّ بي من كان فيكِ يلومُ
وابرزتِني للناس ثم تركتِني | لهم غرضاً أُرمى وانتِ سليمُ
فلو ان قولاً يكلم الجسم قد بدا | بجسميَ من قول الوشاة كلومُ

وهو من عجيب النقل على ما في القطعة الثانية من الخطإ في قولهِ وانتِ سليمُ كما هو ظاهر . وانما القطعتان مراجعةٌ بين ابن الدُمينة وامرأتهِ وكان قد قاطعها مدةً ثم زارها ذات يوم فتعاتبا طويلاً ثم اقبلت عليهِ فقالت وانت الذي اخلفتني ما وعدتني . . . الى آخر القطعة الثانية فاجابها بالقطعة الاولى ورواها في الاغاني على غير الصورة التي نقلناها عن الديوان قال

وانتِ التي قطّعتِ قلبي حرارةً | ومزّقتِ قرح القلب فهو كليمُ
وانتِ التي كلفتِني دلج السرى | وجون القطا بالجلهتين جثومُ
وانتِ التي احفظتِ قومي فكلهم | بعيد الرضى داني الصدود كظيمُ

على ان رواية الديوان لا تخلو عدا ذلك عن محل تنبيه وتصحيح فان لفظ الجلهتين قد رُوي فيها بتقديم الهآء على اللام كما اثبتناهُ بصورتهِ والصحيح العكس كما هي رواية الاغاني ومعنى الجلهتين جانبا الوادي . وقولهُ وانتِ التي

احفظاتِ قومي كلهم الذي يتبادر منهُ ان كلهم توكيدٌ للقوم وهو غير المقصود فضلاً عما يؤدي اليهِ من اختلال بقية البيت وصوابهُ فكلهم كما هي رواية الاغاني ايضاً على انهُ مبتدأ مخبرٌ عنهُ بما بعدهُ . وبقي هنا ما نظنهُ غلطاً في الروايتين جميعاً وهو قولهُ قطّعتِ قلبي حرارةً فان لفظ الحرارة هنا في غير محلهِ ولعلّ الاصل حزازةً بزايين معجمتين وهي وجعٌ في القلب من غيظٍ ونحوهِ . ومن هذا القبيل ما رُوي لهُ من قولهِ

يقولون ليلى بالعراق مريضةٌ فاقبلتُ من مصرٍ اليها اعودها
فواللهِ ما ادري اذا انا جئتها أأُبرئها من سقمها ام ازيدها

فان ما سوى الشطر الاول مأخوذ من شعرٍ للعوّام بن عقبة وكان يهوى امرأةً بالغميم من بلاد غطفان يقال لها السوداء فخرج الى مصر في ميرةٍ فبلغهُ انها مريضة فترك ميرتهُ وكرّ نحوها وانشأ يقول

وخُبّرتُ سوداءَ الغميمِ مريضةً فاقبلتُ من مصرٍ اليها اعودها
فيا ليت شعري هل تغير بعدنا ملاحة عيني ام يحيي وجيدها
وهل اخلقت اثوابها بعد جدّةٍ ألاَ حبذا اخلاقها وجديدها
فواللهِ ما ادري اذا انا جئتها أأُبرئها من سقمها ام ازيدها

فنسبوا اليهِ البيت الاوّل والاخير مع تبديل اسم السوداء باسم ليلى لكن ذهلوا ان يخترعوا لهُ قصةً ينقلونهُ فيها الى مصر حتى يصح معنى البيت . على ان الشطر الاول مكررٌ بصورتهِ من قول المجنون في غير هذا الموضع

يقولون ليلى بالعراق مريضةٌ فياليتني كنتُ الطبيب المداويا

ثم استعيرلهُ مرةً اخرى وبُدّل عجزهُ في قولهِ

يقولون ليلى بالعراق مريضةٌ فما لك لا تضنى وانت صديقُ

ومثله قوله ايضاً

الا ان ليلى بالعراق مريضةٌ وانت خليّ البال تلهو وترقدُ

وفي الديوان من امثال هذا غير ما ذُكر مما يدلك على ان كل راوٍ كان يبدّل فيهِ ويزيد ماطاب لهُ من عندهِ او من عند غيرهِ كقولهِ من القصيدة الرائية المذكورة قبل وهو من ابيات الهذلي

واني لتعروني لذكراكِ نفضةٌ كما انتفض العصفور بلّلهُ القطرُ

فقد رُوي لهُ في غير هذه القصيدة بهذه الصورة

اذا ذُكرت ليلى سُررتُ بذكرها كما انتفض العصفور من بلل القطرِ

وكقولهِ وهو مما زيد في الرائية ايضاً

فلو ان ما بي بالحصى انفلق الحصى وبالصخرة الصماء لانصدع الصخرُ

ورُوي لهُ في موضعٍ آخر

فلو ان ما بي بالحصى انفلق الحصى وبالريح لم يُسمَع لهنّ هبوبُ

كذا بلفظ الجمع في ضمير الريح على انّ هذه ليست باول غلطةٍ وردت في هذا الديوان فقد جاء فيهِ خلا ما ذُكر قبلاً اغلاطٌ جمة تدلّ على ان بعض المتصرّفين في شعرهِ كانوا من عامة المتأخرين كقولهِ

دعوني دعوني قد اطلتم عذابيا وانضجتمُ جلدي بحرّ المكاويا

ومن هذه القصيدة قولهُ

فقلتُ نسيم الريح اذ تحيتي اليها وما قد حلّ بي ودهانيا

فاشكرهُ اني الى ذاك شائقٌ فيا ليت شعري هل يكون تلاقيا

وانظر ما معنى البيت الثاني · ومنها

خليليَّ هبا فاسعداني على البكا　　فقد جهدت نفسي وربِّ المثانيا

ومن ذلك قولهُ من غير هذه القصيدة

الا ايها الواشي بليلى الا ترى　　الى من تشيها او بمن انت واشيا

وقولهُ

بنفسيَ من لابدَّ لي ان اهاجرُهُ　　ومن انا في الميسور والعسر ذاكرُهُ

كذا برفع اهاجر للقافية · ومثلهُ قولهُ

ومنيتني حتى اذا ما رأيتني　　على شرفٍ للناظرين قريبُ

صددتِ واشمتِّ العداة بهجرنا　　اثابكِ فيما تصنعين مثيبُ

ومن ذلك قولهُ

ايا بائعيْ ليلى بمكة ضلةً　　تبايعتما هل يستوي الثمنانِ

فما غُبن المبتاع ليلى بمالهِ　　بل البائعا ليلى هما غبنانِ

يريد مغبونان وهو مما لم يرد بهِ سماع ولا يجري في قياس · وقولهُ

بلى لكِ نور الشمس والبدر كلهُ　　وما حملت عينيكِ شمسٌ ولا بدرُ

لكِ الشرقة اللألآء والبدر طالعٌ　　وليس لها منكِ الترائبُ والنحرُ

يعني بالشرقة المرة من الشروق وكأن المراد باللألآء المتلألئة وانظر ما وجهها · وقولهُ

غزالان شبَّا في نعيمٍ وغبطةٍ　　ورغدة عيشٍ ناعمٍ عطرانِ

يريد بالرغدة الاسم من الرغد وهو غير منقول · وقولهُ

ولو ان ما بي بالوحوش لما رعت　　ولا ساغها الماء النمير ولا الزهرُ

وانما يقال سفت الماء واسفته ولا يقال ساغني . وقد اطلنا الى ما لا يحتمله حال هذه المجلة ولا هو من غرضنا وانما اوردنا ما اوردناه دلالةً على موضع هذا الديوان من الصحة وبياناً لما ارتكب فيه من المجازفة والخبط وحسبك ان جامعهُ يقول في اوله اختُلف في اسم المجنون هل هو عامر او مهدي او الاقرع او فلان او فلان . . والصحيح الاول يعني عامراً . ثم لم يلبث ان روى قصتهُ حين اخرجهُ ابوهُ الى مكة وقولهُ لهُ يا قيس تعلق باستار الكعبة وبين القولين صفحةٌ واحدة . وروى لهُ بعد ذلك شعراً كثيراً يصرّح فيه بان اسمهُ قيس كقوله

لقد همَّ قيسٌ ان يزجَّ بنفسهِ ويرمي بها من ذروة الجبل الصعبِ

وقولهِ

يلومون قيساً بعد ما شفَّهُ الهوى وبات يراعي النجم حيران باكيا

وقول ليلى فيهِ

الا ليت شعري والخطوب كثيرةٌ متى رحلُ قيسٍ مستقلٌّ فراجعُ

الى غير ذلك وهو من الغرابة بمكان . وكثيراً ما يورد لهُ قصيدةً او قطعة ثم يفرد بعض ابياتها فيرويها في موضعٍ آخر او يكررها في قصيدةٍ اخرى من بحرها ورويها وكثيراً ما تجد الابيات الدخيلة قاطعةً للُحمة المعنى مضيعةً للمراد . ومما ينبغي التنبه لهُ انك كثيراً ما ترى القافية في القصيدة او القطعة الواحدة مكررةً مرات وقد تتوالى بلا فاصل وكل ذلك مما يثبت لك ما ذكرناهُ مقدماً من ان هذا الديوان انما هو نتيجة خواطر شتى ومجموع رواياتٍ متباينة ومنهُ تعلم ان اكثر القصة التي بني عليها بل كلها مخترعٌ . ومن المستغرب

بعد كل ما ذُكِر ان جامع الديوان يقول في ختامهِ هذا ما تناهى الينا من اخبار المجنون واشعارهِ وما كان منحولاً من قصيدةٍ او خبر اعرضنا عن كتبهِ . فتأمل

وبقي الكلام في الناظم الاصيل لهذا الديوان وما احراهُ ان يكون ذلك الفتى المروانيّ الذي اشار اليهِ الاصمعيّ يدلك عليهِ قولهُ من قصيدة

وكنتِ كذئب السوء اذ قال مرةً لبهمٍ رعت والذئب غرثان مُرمِلُ
ألستِ التي من غير شيء شتمتني فقالت متى ذا قال ذا عامَ اولُ
فقالت وُلدتُ العامَ بل رمتَ كذبةً فهاك فكلني لا يهنّئك مأكلُ
وكنتِ ككذّاب العصافير دائباً وعيناهُ من وجدٍ عليهنّ تهملُ
فلا تنظري ليلى الى العين وانظري الى الكف ماذا بالعصافير تفعلُ

فان هذا قول رجلٍ قد ربي في الحضر وجالس اهل العلم وقرأ واطّلع حتى استخرج هذين المثلين لا قول بدويّ هائمٍ في القفار والله اعلم

آثار ادبية

انيس الجليس – هي المجلة النسائية المشهورة لحضرة منشئتها الفاضلة السيدة الكسندرا افيرينو كريمة المرحوم قسطنطين الخوري وقد صدر منها الى الآن سبعة اجزاء كلها تشهد لمنشئتها بالفضل والادب الغزير لما لم تبرح تجلو علينا من الفصول الانيقة والمقالات البديعة المتضمنة اشرف الاغراض الادبية والفوائد التهذيبية ذاهبةً من الابداع كل مذهب سالكةً من التفنن في كل ما اغرب واطرب الى فكاهاتٍ هي الطف من نسائم الجنان

وبدائع هي افعل من سحر الاجفان مما يجدر بنساء الشرق جميعاً ان يتباهين به وان يقبلن على مطالعة هذه المجلة النفيسة التي تحلي العقول بما لا تقاس به قلائد العقيان في نحور الحسان وتشنف الآذان بما ترخص عنده غوالي الجمان فنحن نثني على حضرة الفاضلة المشار اليها اطيب الثناء ونتمنى لمجلتها الحسناء مزيد الانتشار والنماء ·

الفردوس — قد عادت هذه المجلة النفيسة الى الظهور مدبجة كسابق عهدها بقلم حضرة صاحبتها ومنشئتها الفاضلة السيدة اليزا حباليين · فنهنئ قارئاتها وقراءها بعودها اليوم بعد احتجابها اشهراً فاتتهم فيها ثمرات افنانها واحتبس عنهم زلال كوثرها واريج ريحانها ونأمل في غيرة مواطناتنا الاديبات ان يقبلن عليها بما يزيد في رواجها ويكفل بثباتها وان يقفن بعض اوقاتهن على من وقفت عليهن جل اوقاتها فان الكتاب بقرائه لا بحروفه وان جودته بجودة فهمه لا بجودة ترصيفه وان قطراً قد تزينت قصوره بمجالي التمدن العصري لحقيق بان تكون البضاعة العلمية ابهى ما زين تلك القصور وان عصراً تتطاول النساء فيه الى موازنة الرجال ثم لا يقمن فيه بجريدتين لهو عصر الغرور

الدليل — قد أطرفنا بنسخة من هذا المؤلف النفيس وهو تقويم سنوي يصدر من مدينة باريز باللسان العربي خدمة لتجارة البلاد المشرقية لحضرة صاحبه الالمعي الحسيب ندرا بك المطران · وقد تصفحناه فوجدناه سفراً انيق الوضع يشتمل على نحو ٥٠٠ صفحة كبيرة قد جمع فاوعى وتحلى من

كل فنّ بما لا يخلو من فائدة او فكاهة · وقد صدّره ُ بمقدمة طويلة ذات فصول متعددة ضمّنها فوائد شتى من صناعية وتجارية وتاْريخية وسياسية واستطرد الى وصف الجمهورية الفرنسوية و بيان خططها واسماء رجالها الحاليين وسائر من يتصل بها من ارباب السياسة ثم انتقل الى وصف باريز وما بها من المشاهد الانيقة والمعاهد السياسية والعلمية والدينية والآثار التاْريخية ومن بها من مشاهير اهل العلم والصناعات والفنون المختلفة الى غير ذلك مما يطول بيانهُ مع تزيين كل ذلك بالرسوم والصور البديعة

وعلى عقب ذلك جاء بتعداد جميع اصناف البضائع والمصنوعات الباريزية مرتبةً على حروف المعجم في فهرس طويل قد استوفى جميع انواعها مفصلةً مع الدلالة على محلاّت بيعها والنصّ على عناوين اربابها باللغتين العربية والفرنسوية بحيث انهُ من الاطلاع على هذا المعجم يستطيع كل طالب بضاعة ان يكاتب ايًّا شاء من محلاّت باريز مباشرةً · ولا يخفى ما في ذلك من التسهيل على عامة التجار وتجنيبهم كثيرًا من مواقع الغبن والغرر وتحمُّل المغارم المختلفة التي تلحقهم غالبًا عند الطلب على ايدي سماسرة الجلب وهي الفائدة الاصلية المقصودة من هذا العمل الجليل

والكتاب متقن الطبع على اجود صنف من الورق مجلد تجليدًا فاخرًا وهو يوزَّع مجانًا و يُرسل الى من يطلبهُ حيث كان فلا يلزمهُ الآن ينهي طلبهُ الى ادارة الدليل بعنوان "5, Square de l'Opéra, Paris"

فنحن نشكر مؤلفهُ الفاضل بلسان كل منتفع بهذا الاثر الجليل ونسأل لهُ التوفيق الى ما يضمن استمرار ظهوره ِ وتوسيع نطاق فوائده ِ

ملحق

بالجزء السادس عشر من البيان

بعث الينا بعض الفضلاء من اكليروس الروم الكاثوليك الموقر بالمقالة الآتية على قصد نشرها في صفحات مجلتنا ولما كان مضمونها مبايناً لغرض المجلة لما فيهِ من المنزع الديني والسياسي وكان الكاتب ممن يعزّ علينا الاّ اجابة مقترحهِ طبعناها على هيئة رسالةٍ مستقلة والحقناها بهذا الجزء تسهيلاً لانتشارها وتعميماً لما تضمنتهُ من الفائدة في الشأن المهمّ الذي توخى البحث فيهِ وهي هذه بحروفها

لمحة تاريخية حقوقية في الانتخابات البطريركية

ثارت ثائرة الملة في سوريا منذ بضعة اشهر بشأن الانتخاب البطريركي على اثر وفاة الطيب الذكر المثلث الرحمة البطريرك غريغوريوس الاول بطريركها المحبوب فمن طالب سرعة الانتخاب لزيد ومن طالب لعمرو ومن راغب في سرعة العمل بدون النظر الى الاشخاص بل الى المبدأ ومن زاعم بوجود الاختلاف بين الاساقفة ومن ومن الخ انما الكل مجمع على حفظ الحقوق المكفولة من القانون والعادة المرعية في كنيستنا الشرقية اليونانية في مثل هذه الاحوال وقد تقل على الجميع المداخلات المستحدثة من اي جهة كانت العابثة بحفظ الاستقلال الداخلي المفضية الى وخامة العواقب مما يسوء كل عاقل غيور على مصالح ملتهِ ورعاية حقوق كنيستهِ الدينية والمدنية

امّا وقد سكنت الآن تلك الثائرة وهدأت ريح القلاقل واطمأنت روح الاغراض نوعاً فلا بد لنا في هذه العُجالة من بسط الحقيقة في اصول الانتخابات البطريركية والتنقيب عن ذلك نظرياً دون التفات الى الاشخاص بل الى المبادي على وجه تاريخي حقوقي بحيث لا تؤثر فينا عوامل الميل ولا سيا في هذا الاوان

البادية فيهِ السكينة المليَّة حتى لا يقال قالــ فلان بل يُنظَر الى ما قال مجردًا عن الغاية الذاتية فنقول

بعد ما ارتاحت كنيسة المسيح من حملات المضطهدين لها في اجيالها الاولى الثلثة اخصهم القياصرة الرومانيون وقاست من ذلك اشكالاً والوانًا من التعاذيب المبرحة خرجت ظافرة غانمة باخضاعها الى سلطتها الروحية ذلك الملك العظيم الذي خضع لهُ الشرق والغرب اعني بهِ قسطنطين الكبير الذي أمَّن الكنيسة واعلن نفسهُ محامياً عنها فاخذت من ذلك الحين في لمّ شعثها وعقدت المجامع ونظمت القوانين والدساتير والنظامات الدينية الآئلة الى خير بنيها وحسن النظام فتأسست في الجيل الرابع ثم الخامس والسادس والسابع عموم القوانين الدستورية وقد عُلِم منذ المجمع النيقاوي الاول نظام البطريركيات فكان الروماني الاولــ ثم الاسكندري ثم الانطاكي حتى الجيل الرابع ثم لما رقّت الكنيسة الكرسي القسطنطيني والكرسي الاورشليمي الى مقام بطريركيَّة صار نظام الكراسي البطريركيَّة العظمى هكذا الروماني ثم القسطنطيني ثم الاسكندري ثم الانطاكي ثم الاورشليمي فكان اسقف رومية لهُ التقدم رتبةً منذ القديم بصفتهِ بطريركــ الغرب وسلطةً على كل الكنيسة حسب مبادي الدين المسيحي لانهُ خليفة هامة الرسل بطرس الطوباوي وكان لكل كرسي بطريركي حقوق وامتيازات كثيرة تكفل لهُ الاستقلال الداخلي وتعصمهُ من اي سلطة اخرى ما عدا سلطة المجمع والحبر الروماني عند الضرورة الماسَّة . ولا عبرة بما حدث خلاف ما ذكر فانهُ تمَّ على غير نظام وذلك اما بخرق الحقوق وإعمالــ القوة القاهرة مكان الحق او براعاة ظروف خصوصية اتقاء شر اعظم ولما صار الانفصال بين الكنيستين الشرقية والغربية بقيت تلك الحقوق سالمة من العبث بها ولما اتحدتا في المجمع الفلورنتيني تكرر اعلانها واثباتها وحفظها غير منثلمة كما كانت . ومن بعد ذلك لما انقسمت الكنيسة الشرقية اليونانية نفسها الى فرعين فرعٍ استمرَّ مقيدًا

كاثوليكيًّا مع الكرسي الرسولي كما تم الاتحاد في المجمع المسكوني الفلورنتيني وفرع خالف ذلك الاتحاد وانفصل مؤلفًا بطريركية مستقلة استمرّ ايضًا حفظ تلك الحقوق ولم يحدث ما غيرها بل اذا نظرنا الى بطريركيتنا الكاثوليكية نرى ان الكرسي الرسولي مرارًا وتكرارًا بمناشيره وبرآءاته المرسلة للبطاركة السلف المطوبي الذكر قد اعلن ووطد وثبت تلك الحقوق الممنوحة لنا منذ القديم من المجامع المقدسة وعلى ذلك يكون كرسينا البطريركي الانطاكي المقدس حائزًا لتلك الحقوق التي كانت لهُ منذ تأسيسهِ بدون مسّ ولا انثلام . ولا اعتبار لبعض اعمال سابقة او حالية جآءت مخالفة لذلك فليس لها قوة دستور جديد حقيق بابطال ما ثبت وتوالى منذ القديم لا بل ان الدستور الصادر من ثلث سنين من لدن الحبر الاعظم الحالي مصرح ومقرر فيهِ المحافظة على كل تلك الحقوق المختصة بالكرسي البطريركي وعدا ذلك ان روح السياسة الجارية عليها الكنيسة ولا سيما في ايام هذا الحبر الاعظم هي كافلة وكافية لاثبات ما نحن بصددهِ

اما اصول الانتخاب فظاهرة ايضًا من القوانين القديمة التي اشرنا اليها فمن طالع المجامع الانطاكي واللاذقي والنيقاوي والقرطاجني المنعقدة في الجيل الرابع ثم الخلكيدوني والقسطنطيني ومجمع القصر وغيرها مما عقد من قبل ومن بعد يتضح لهُ جليًّا ان حق الانتخاب هو لاساقفة الاقليم بدعوة من صاحب الكرسي المتقدم وعند عدم وجودهِ فمن يليهِ رتبةً ولا يجوز ترميل الكرسي مدة طويلة بدون انتخاب رئيس لهُ وهذا ما كان جاريًا بالعمل في الكرسي الانطاكي ولو ان شعب انطاكية وغيرهُ في الاجيال الاولى كان يساعد احيانًا الاساقفة على انتخاب راعيهِ غير المتوسط انما هذه العادة كانت تهذيبًا وقتيًّا ليس لهُ قوة دستور وقد بطل من زمان طويل وحُفظ حق انتخاب البطريرك للاساقفة طبقًا للقوانين .كل ذلك يتحصل من الحق القانوني الشرقي ومن التاريخ الكنائسي

من بعد هذا البيان الموجز يمكننا ان نطبق حالة الانتخاب الجاري على

ما ذكر

فاولاً من بعد وفاة البطريرك السعيد الذكر كان على رئيس الاساقفة الاول في الاقليم حسب النظام القديم ان يتولى الاعمال ويعقد المجمع الانتخابي ولو ان حقوق الاساقفة في الظروف الحالية التي آل اليها الشرق اضحت متساوية سلطةً واجتمعت حقوق رؤساء الاساقفة والاكسرخوسيين والمتروبوليتيين مع الحقوق البطريركية في شخص البطريرك الاّ اننا نراعي العادة القديمة في الرتبة اقلهُ طالما لم يعمل نظام آخر يلاشي القديم وعليهِ يكون الاولى بذلك الآن صاحب كرسي صور لان هذا الكرسي رأس كراسي فينيقية الاولى وهو اول كرسي في سوريا في القديم وذلك ظاهر من التاريخ الكنائسي ومن ترتيب كتاب التختيكون الانطاكي

ثانياً عند اجتماع الاساقفة يترأس على المجمع مطران صور نفسهُ ويتم الانتخاب باجماع واكثرية الاصوات حسب نص المجامع القديمة فاذا لم تحصل اغلبية بل انقسمت الآراء بدون ترجيح يعاد ثانية وثالثة عقيب صلوات ابتهالية للروح القدس واذا لم يتمّ بعد ذلك انتخاب قانوني اما لتساوي الاصوات او لاي سبب آخر يُرفع الامر الى الحبر الروماني رئيس الكنيسة العام ليرجح برأيهِ احد المنتخبين او يفصل اذا كان ثمَّ خلاف. وهذه الطريقة الاخيرة ولو انها حديثة الوضع الا انها تستند الى المبادي الدينية الحقة والى مضمون القوانين الكنائسية التي تجعل الكرسي الرسولي ملجأ للفصل والاستئناف عند الضرورة

ثالثاً وعليهِ اذا صح ما ينسب الى الكرسي الرسولي في الانتخاب الحالي من المداخلة غير المألوفة تكون اجرآآتهُ مخالفة للمبادي المتقدمة ومغايرة للخطة السياسية التي عُرف بها لحد الآن ولا سيما في ايام البابا لاون الثالث عشر الحريص على حفظ حقوق الكنائس الشرقية الدائب على زيادة ترقيها ونموها واعتبارها فكل اعمالهِ واقوالهِ وبالاخص منشورهُ الاخير والمعاملة الممتازة التي تلقى بها الطيب الذكر البطريرك غريغوريوس الكلي الطوبى عند مقابلتهِ في

رومية لأكبر شاهد على صحة ما نقول فكيف تنطبق سياسة نيافة القاصد الرسولي في سوريا على تلك السياسة الحبرية الصوابية العادلة وعليهِ لا نكاد نصدق كل ما نسمعهُ عن اعمال القصادة الرسولية من هذا القبيل لغرابتهِ

رابعاً ان صحّ شيء من ذلك لا يصعب على ساداتنا المطارنة اصحاب الشأن المدافعة بكل ما لديهم من الوسائل لحفظ حقوق الكرسي البطريركي غير منثلمة وبذلك يكونون أدّوا اعظم خدمة للكنيسة والملة وطابقوا نوايا الاب الاقدس الذي أمر ويأمر تبعاً لسلفآئهِ بحفظ حقوق البطريركية وطقوس الكنيسة الشرقية دون مساس واذا لم يتوفقوا الى نيل ذلك في هذا الانتخاب الاّ بتحكيم قداستهِ في الامر رأساً فلا اصحّ واصوب واعدل من ذلك

خامساً لا يرد على ذلك ان هذه المداخلات جارية وجائزة في سائر الملل الشرقية الكاثوليكية لان الحقوق البطريركية انما نشأت في كنيستنا اليونانية منذ القديم وتتابعت فيها الى يومنا هذا خلافاً للبقية فانهم استمدوها عند تألفهم كنائس وجماعات قائمة بنفسها فضلاً عن ان مركزنا ومستقبلنا نظرًا الى اخوتنا غير المتحدين وانفراد طقوسنا وتهذيباتنا عن سائر الطوائف الشرقية كل ذلك يجعل لنا حالة خاصة إزآء الاخرين بل ذلك حاصل فعلاً

سادساً ان المظاهرات التي قام بها قسم من الرعية في بعض جهات سوريا بشأن الانتخاب عموماً وتفضيل هذا على ذاك وما شاكل ذلك من الاعمال والاقوال التي انتشرت لا مسوغ لها على الاطلاق لان التداخل بامر الانتخاب محظور على اي كان سوى اربابه اما اذا كان القصد من ذلك اظهار ولآء الشعب لرؤسآئهِ واظهار امانيهِ بغاية الاعتدال على سبيل الموازرة فلا بأس طالما لا يترتب عليهِ تأثير في الانتخاب عموماً او انتخاب فلان دون غيرهِ وطالما لا يُبنَى عليهِ تكدير خواطر او سوء نتائج . هذا وحسبنا ما تقدم تلخيصهُ في هذه المسألة من حيث وجهتها الدينية

بقي علينا النظر فيها من حيث وجهتها المدنية باعتبار علاقتها مع الحكومة فنقول

منذ نشأت الكنيسة الى عهد قسطنطين الكبير كان امر الانتخاب منوطاً بارباب الكنيسة تارةً منفردين وطوراً بموازرة الشعب لهم لمعرفة شخص المنتخب وشهادةً بحسن صفاتهِ الى ان استقرت الحالة على ما بيّناها اعلاه مع تمادي الزمان ولم تتداخل الحكومة في شيء من هذا القبيل الى حين تأسيس الامبراطورية الشرقية في القسطنطينية فلما انتظمت احوال المملكة المسيحية وشرعت الكنيسة بتنظيماتها في المجامع وغيرها على ما وصفنا جرت العادة في القسطنطينية بان الامبراطور ومتقدمي الحكومة يعطون رضاهم بانتخاب البطريرك القسطنطيني وهكذا استمرت هذه العادة الى انقراض الامبراطورية الشرقية اما في الكرسي الانطاكي الذي نحن بصدده خصوصاً فاستمرت محفوظة قوانين البيعة ولو ان الاساقفة احياناً كانت تراعي خاطر ارباب الحكومة المحلية بشرط ان يكون المنتخب حائزاً الصفات المطلوبة من القوانين كما هو مدون في التواريخ الكنائسية

ومن ذلك يتضح اولاً ان قوانين الكنيسة لا تعرف للحكومة المدنية حقاً للمداخلة في امورها وامور رعاتها

ثانياً انما تسامحت احياناً بمجرد العادة باشراك الملك وبعض متقدمي الحكومة في مسألة انتخاب بطاركة القسطنطينية وغيرهم مع اعتبارها ان لا حق لهم بذلك كما صرح آباء بعض المجامع اذ ان كلاً من المملكة والكنيسة مستقل في نظاماتهِ وموضوع اعمالهِ فهما سلطتان ممتازتان في اصل الوضع

ثالثاً ان ما جعل الكنيسة تتسامح في ذلك هو جملة اسباب منها ان الملوك وسائر ارباب الحكومة كانوا حينئذٍ مسيحيين وخاضعين لسلطة الكنيسة الروحية فكان البطريرك راعياً روحياً للملك والملك ذا سلطان مدني على الكنيسة وكانت علاقات الكنيسة والمملكة بغاية الوفاق الواحدة تستعير من

الاخرى ما يفيد الرعية حتى ان شرائع المملكة مأخوذ جلها من شرائع الكنيسة لشدة تأثيرها روحيًّا على المملكة كما ان الكنيسة ادخلت بعض شرائع تطابق الدين وتعضدهُ سيما بعض قياصرة القسطنطينية اخصهم يوستنيانوس وكان الملك يشهر نفسهُ محامياً للكنيسة والدين ويغنيها مع رؤساَئها بامتيازات ومنافع مدنية جمة كل ذلك يصوب تسامح الكنيسة لما ذُكر حسب مقتضيات المكان والزمان طالما لم يناقض مبادئها الدينية ونظاماتها الاساسية

رابعاً ولما انقرضت الدولة الشرقية وتخلفت عنها الدولة الحالية وآل الامر الى آل عثمان تبدلت الحالة القديمة بالطبع ولم يبقَ سبيل او موجب لذلك التسامح فجرى من ذلك الحين الى يومنا هذا انتخاب البطاركة طبقاً للقوانين القديمة ولا سيما في كرسينا الانطاكي المقدس حيث استمر عقد مجمع الانتخاب لاساقفة الكرسي بدون مداخلة رجال الحكومة المدنية او سواهم حتى ان الحكومة نفسها لم تطلب قط المداخلة في امر الانتخاب لمعرفتها الاكيدة ان ذلك خارج عن دائرة اختصاصها حتى بعد انقسام الملة في سوريا الى كاثوليك وغير كاثوليك واقامة بطريركين عليها بقي كرسينا البطريركي متمتعاً بكل حقوقهِ القديمة والحكومة اعزها الله محافظة على ذلك بدون انثلام وما زال ذلك دأبنا ودأبها الى عهد هذا الانتخاب وكان بعد تسمية كل بطاريرك يُطلَب لهُ من جلالة السلطان الاعظم الفرمان المعتاد كما طُلب للبطاركة السالف

خامساً لا وجه اذًا لمداخلة الحكومة المدنية الآن ولو ان البطاريرك حائز لجملة اختصاصات مدنية تجعلهُ رئيساً مدنيًّا لملتهِ لان هذه الامتيازات السلطانية مُنحت للبطاركة والاساقفة كل واحد ضمن اختصاصهِ منذ تبوّؤ تخت القسطنطينية إما لان الدين يقتضيها لاجل خير رعايا الحكومة المسيحيين لارتباطها بمبادي وآداب الدين المسيحي واما لمساعدة رجال الحكومة في جمع الاموال الاميرية ونحوها واما اتباعاً لعادة قديمة وارتباط سابق بين المملكة والكنيسة

اقتضتها الظروف فحرص على حفظها السلاطين العظام بل ربما زادوا عليها تكرماً .
والحاصل ان مقام البطريرك هو ديني جوهريًا واساسيا وبالعرض له صفة مدنية بالنظر الى الفرمانات فضلا عن ان سياستنا كانت ولم تزل دائمًا وطنية محضة ومعلوم منذ القديم اخلاصنا للسدة السلطانية كما صرح بذلك جلالة السلطان الحالي واسلافه الاعظمون

وقبل الختام لا بد لنا ان نقترح في امر الانتخاب البطريركي لاجل المستقبل سنَّ دستور اساسي مفصل يُعمل به دفعا للقلاقل والبلابل التي تحصل عادةً في كل امر ذي شأن اذا لم يكن ثم دستور معروف من الجمهور مطابق لمقتضى الحال ونقترح ان يخول حق الانتخاب فضلاً عن السادة مطارنة الكرسي الى كل من ابرشيات غبطة البطريرك التي يسوسها بغير واسطة وهي اولاً مركز الكرسي الانطاكي المنحصر الآن بابرشية دمشق وضواحيها ثم الكرسي الاسكندري ثم الاورشليمي اللذان يسوسهما البطريرك علاوة على الكرسي الانطاكي وذلك بان ينوب عن كل من هذه الكراسي الثلاثة مندوب من متقدمي اكليروسها ينتخبهُ مجلس البطركخانة مع اكليروس البلد والقصد من هذا الاقتراح تمثيل هذه المراكز في مجمع الانتخاب كسائر الابرشيات . هذا ولما كان المقام البطريركي من اعظم المقامات في الكنيسة والالفة المدنية لكونهِ رئيس الملة دينيًا ومدنيًا وبهِ قوامها ورفع شأنها وعليهِ مدارُ نجاحها ورفعتها كان من اقدس الفروض على اصحاب الشأن الاهتمام بانتخاب الاليق لهذا المركز الخطير حتى انهُ ليجب للوصول الى هذه البغية تضحية كل الصوالح والفوائد الخصوصية ونبذ الاغراض الذاتية وان سرَّ النجاح في هذه المهمَّة وعنوان حسن النتيجة انما هو في التظافر والاتحاد وحسن السياسة نسألهُ تعالى ان يمنَّ علينا براعٍ امين جديرٍ بانتظار الامة والكنيسة غيور على صوالحهما والله الموفق الى سواء السبيل
